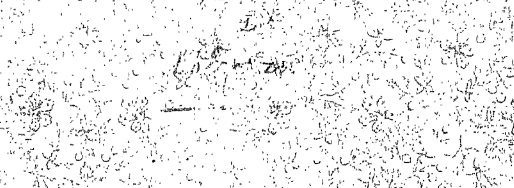
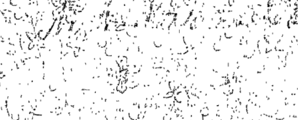
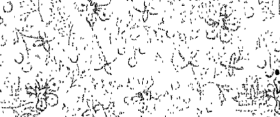
اهداءات ٢٠٠٢

أ.د/ محمد طه الحاجرى

الاسكندرية







الجزء الاول

من تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل
وحقائق التأويل تأليف الامام الجليل
العلامة أبي البركات عبد الله بن
أحمد بن محمود النسفي
عليه سحائب الرحمة
والرضوان
آمين

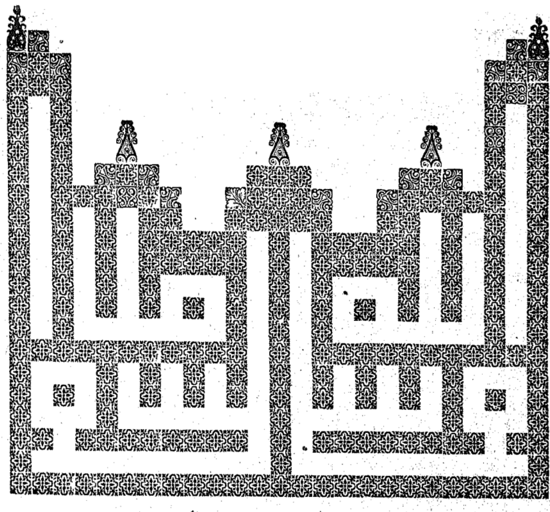
﴿ قال فى كشف الظنون ﴾

﴿ مدارك التنزيل * وحقائق التأويل ﴾ للامام حافظ الدين عبد الله بن أحمد النسفي المتوفى سنة ٧٠١ وقيل عشرة وسبعمائة أوله الحمد لله المنزه بذاته عن اشارة الاوهام الخ وهو كتاب وسط فى التأويلات جامع لوجوه الاعراب والقراآت متضمن لدقائق علم البديع والاشارات موشح بأقاويل أهل السنة والجماعة خال عن أباطيل أهل البدع والضلالة ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل اه

قام بنفقات طبعه السيد محمد عبد اللطيف الخطيب

﴿ محل مبيعه بالمكتبة الحسينية المصريه ﴾
﴿ بكفر الطماعين قريبا من الازهر الشريف بمصر ﴾

طبع بالمطبعة الحسينية المصريه سنة ١٣٤٤ هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنزه بذاته عن إشارة الاوهام * المقدّس بصفاته عن إدراك العقول والافهام * المتصف بالالوهية قبل كل موجود * الباقى بالنعوت السرمدية بعد كل محدود * الملك الذى طمست سبحات جلاله الابصار * المتكبر الذى أزاحت سطوات كبريائه الافكار * القديم الذى تعالى عن مماثلة الحدثان * العظيم الذى تنزه عن مماسة المكان * المتعالى عن مضاهاة الاجسام * ومشابهة الأنام * القادر الذى لا يشار اليه بالتكييف * القاهر الذى لا يسئل عن التعميل والتكليف * العليم الذى خلق الانسان وعلمه البيان * الحكيم الذى نزل القرآن شفاء للارواح والابدان * والصلاة والسلام على المستل من أرومة البلاغة والبراعة * المحتل فى بحبوحة النصاحة والفصاحة * محمد المبعوث الى خليقته * الداعى الى الحق وطريقته * صلى الله وسلم عليه * وعلى آله وشيعته (قال) مولانا الشيخ الامام المعظم * والحبر الهمام المقدم * أستاذ أهل الارض * محيي السنة

والفرض

والفرض * كشاف حقائق أسرار التنزيل * مفتاح أسرار حقائق التأويل * ترجمان كلام الرحمن * صاحب علم المعاني والبيان * الجامع بين الاصول والفروع * المرجوع اليه في المعقول والمسموع * حافظ الملة والدين * شيخ الاسلام والمسلمين * وارث علوم الانبياء والمرسلين * أكمل فحول المجتهدين * قدوة قروم المحققين * ذو السعادات والكرامات * أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي نفع الله الاسلام بطول بقائه * والمسلمين بيمن لقائه * قد سألني من تتعين اجابته كتابا وسطا في التأويلات * جامعا لوجوه الاعراب والقراآت * متضمنا لدقائق علمي البديع والاشارات * حاليا بأقاويل أهل السنة والجماعة * خاليا عن أباطيل أهل البدع والضلالة * ليس بالطويل الممل * ولا بالقصير المخل * وكنت أقدم فيه رجلا وأؤخر أخرى استقصارا لقوة البشر * عن درك هذا الوطر * وأخذا لسبيل الحذر * عن ركوب متن الخطر * حتى شرعت فيه بتوفيق الله والعوائق كثيرة * وأتممته في مدة يسيرة * وسميته بمدارك التنزيل * وحقائق التأويل * وهو الميسر لكل عسير * وهو على ما يشاء قدير * وبالاجابة جدير

فاتحة الكتاب

مكية وقيل مدنية والاصح انها مكية ومدنية نزلت بمكة حين فرضت الصلاة ثم نزلت بالمدينة حين حولت القبلة الى الكعبة وتسمى أم القرآن للحديث قال عليه السلام لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن ولاشتمالها على المعاني التي في القرآن وسورة الوافية والكافية لذلك وسورة الكنز لقوله عليه السلام حاكيا عن الله تعالى فاتحة الكتاب كنز من كنوز عرشي وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه السلام فاتحة الكتاب شفاء من كل داء الا السام وسورة المثاني لانها تثنى في كل صلاة وسورة الصلاة لما يروى ولانها تكون واجبة أو فريضة وسورة الحمد والاساس فانها أساس القرآن قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا اعتللت أو اشتكيت فعليك بالاساس وآيها سبع بالاتفاق

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك للابتداء بها وهو مذهب أبي حنيفة ومن تابعه رحمهم الله ولذا لا يجهر بها عندهم في الصلاة وقراء مكة والكوفة على أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي وأصحابه رحمهم الله ولذا يجهرون بها في الصلاة وقالوا قد أثبتها السلف في المصحف مع الامر بتجريد القرآن عما ليس منه وعن ابن عباس رضي الله عنهما من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله ولنا حديث أبي هريرة قال سمعت النبي عليه السلام يقول قال الله تعالى قسمت الصلاة أي الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى أثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم

غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل فالابتداء بقوله الحمد لله دليل على أن التسمية ليست من الفاتحة واذا لم تكن من الفاتحة لا تكون من غيرها اجماعا والحديث مذكور في صحاح المصابيح وما ذكروا لا يضرنا لان التسمية آية من القرآن أنزلت للفصل بين السور عندنا ذكره فخر الاسلام في المبسوط وانما يرد علينا ان لو لم نجعلها آية من القرآن وتمام تقريره في الكافي وتعلقت الباء بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ أو أتلو لان الذي يتلو التسمية مقروء كما ان المسافر اذا حل وارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله أحل وبسم الله أرتحل وكذا الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله بسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له وانما قدر المحذوف متأخرا لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به وكانوا يبدؤن بأسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات وباسم العزى فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذا بتقديمه وتأخير الفعل وانما قدم الفعل في اقرأ باسم ربك لانها أول سورة نزلت في قول وكان الامر بالقراءة أهم فكان تقديم الفعل أوقع ويجوز ان يحمل اقرأ على معنى افعل القراءة وحققها كقولهم فلان يعطي ويمنع غير متعد الى مقروء به وان يكون باسم ربك مفعول اقرأ الذي بعده واسم الله يتعلق بالقراءة تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرأ ففيه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يعظمونه وبنيت الباء على الكسر لانها تلازم الحرفية والجر فكسرت لتشابه حركتها عملها والاسم من الاسماء التي بنوا أوائلها على السكون كالابن والابنة وغيرهما فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة تفاديا عن الابتداء بالساكن تعذرا واذا وقعت في الدرج لم يفتقر الى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم وهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم وأصله سمو بدليل تصريفه كاسماء وسمي وسميت واشتقاقه من السمو وهو الرفعة لان التسمية تنويه بالمسمّى واشادة بذكره وحذفت الالف في الخط هنا وأثبتت في قوله اقرأ باسم ربك لانه اجتمع فيها أي في التسمية مع أنها تسقط في اللفظ كثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا من حذفها وقال عمر بن عبد العزيز لكاتبه طول الباء وأظهر السينات ودور الميم والله أصله الاله ونظيره الناس أصله الاناس حذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف والاله من أسماء الاجناس يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بالحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وأما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره وهو اسم غير صفة لانك تصفه ولا تصف به لا تقول شيء اله كما لا تقول شيء رجل وتقول الله واحد صمد ولان صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات ابقيت صفات غير جارية على اسم موصوف بها وذا لا يجوز ولا اشتقاق لهذا الاسم عند الخليل والزجاج ومحمد ابن الحسن والحسين بن الفضل وقيل معنى الاشتقاق أن ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم أله اذا تحير ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك ان

الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذا كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح وقيل هو من قولهم أله يأله الها اذا عبد فهو مصدر بمعنى مألوه أي معبود كقوله هذا خلق الله أي مخلوقه وتفخم لامه اذا كان قبلها فتحة أو ضمة وترقق اذا كان قبلها كسرة ومنهم من يرققها بكل حال ومنهم من يفخم بكل حال والجمهور على الاول والرحمن فعلان من رحم وهو الذي وسعت رحمته كل شيء كغضبان من غضب وهو الممتلئ غضبا وكذا الرحيم فعيل منه كمريض من مرض وفي الرحمن من المبالغة ماليس في الرحيم لان في الرحيم زيادة واحدة وفي الرحمن زيادتين وزيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى ولذا جاء في الدعاء يارحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وقالوا الرحمن خاص تسمية لانه لا يوصف به غيره وعام معنى لما بينا والرحيم بعكسه لانه يوصف به غيره ويخص المؤمنين ولذا قدم الرحمن وان كان ابلغ والقياس الترقي من الادنى الى الأعلى يقال فلان عالم ذوفنون نحرير لانه كالعلم لما لم يوصف به غير الله ورحمة الله انعامه على عباده وأصلها العطف وأما قول الشاعر في مسيلمة * وأنت غيث الورى لازلت رحمانا * فباب من تعنتهم في كفرهم ورحمن غير منصرف عند من زعم ان الشرط انتفاء فعلانة اذ ليس له فعلانة ومن زعم ان الشرط وجود فعلى صرفه اذ ليس له فعلى والاول الوجه (الحمد) الوصف بالجميل على جهة التفضيل وهو رفع بالابتداء وأصله النصب وقد قرئ باضمار فعله على انه من المصادر المنصوبة بافعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا والعدول عن النصب الى الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره والخبر (لله) واللام متعلق بمحذوف أي واجب أو ثابت وقيل الحمد والمدح اخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته على شجاعته وحسبه وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال

أفادتكم النعماء مني ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا

أي القلب والحمد باللسان وحده وهو احدى شعب الشكر ومنه الحديث الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وجعله رأس الشكر لان ذكر النعمة باللسان أشيع لها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب ومافي عمل الجوارح من الاحتمال ونقيض الحمد الذم ونقيض الشكر الكفران وقيل المدح ثناء على ما هوله من أوصاف الكمال ككونه باقيا قادرا عالما أبديا أزليا والشكر ثناء على ما هو منه من أوصاف الافضال والحمد يشملهما والالف واللام فيه للاستغراق عندنا خلافا للمعتزلة ولذا قرن باسم الله لانه اسم ذات فيستجمع صفات الكمال وهو بناء على مسئلة خلق الافعال وقد حققته في مواضع (رب العالمين) الرب المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل من قريش أحب الي من أن يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه ربا فهو رب ويجوز أن يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو في العبيد مع التقييد انه ربي أحسن مثواي قال ارجع الى ربك وقال الواسطي هو

الخالق ابتداء والمربي غذاء والغافر انتهاء وهو اسم الله الاعظم والعالم كل ما علم به الخالق من الاجسام والجواهر والاعراض أو كل موجود سوى الله تعالى سمي به لانه علم على وجوده وانما جمع بالواو والنون مع انه يختص بصفات العقلاء أو ما في حكمها من الاعلام لما فيه من معنى الوصفية وهي الدلالة على معنى العلم (الرحمن الرحيم) ذكرهما قد مر وهو دليل على ان التسمية ليست من الفاتحة اذ لو كانت منها لما أعادهما لخلو الاعادة عن الافادة (مالك) عاصم وعلي "ملك" غيرهما وهو الاختيار عند البعض لاستغنائه عن الاضافة ولقوله لمن الملك اليوم ولان كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا ولان أمر الملك ينفذ على المالك دون عكسه وقيل المالك أكثر ثوابا لانه أكثر حروفا وقرأ أبو حنيفة والحسن رضي الله عنهما ملك (يوم الدين) أي يوم الجزاء ويقال كما تدين تدان أي كما تفعل تجازى وهذه اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع كقولهم * ياسارق الليلة أهل الدار * أي مالك الامر كله في يوم الدين والتخصيص بيوم الدين لان الامر فيه لله وحده وانما ساغ وقوعه صفة للمعرفة مع أن اضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية لانه أريد به الاستمرار فكانت الاضافة حقيقية فساغ أن يكون صفة للمعرفة وهذه الاوصاف التي أجريت على الله سبحانه وتعالى من كونه ربا أي مالكا للعالمين ومنعما بالنعم كلها ومالكا للامر كله يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء عليه (اياك نعبد واياك نستعين) ايا عند الخليل وسيبويه اسم مضمر والكاف حرف خطاب عند سيبويه ولا محل له من الاعراب وعند الخليل هو اسم مضمر أضيف ايا اليه لانه يشبه المظهر لتقدمه على الفعل والفاعل وقال الكوفيون إياك بكماله اسم وتقديم المفعول لقصد الاختصاص والمعنى نخصك بالعبادة وهي أقصى غاية الخضوع والتذلل ونخصك بطلب المعونة وعدل عن الغيبة الى الخطاب للالتفات وهو قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقوله والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ القيس

تطاول ليلك بالأثمد * ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة * كليلة ذي العائر الارمد
وذلك من نبإ جاءني * وخبرته عن أبي الاسود

فالتفت في الابيات الثلاثة حيث لم يقل ليلي وبت وجاءك والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام اذا انتقل من أسلوب الى أسلوب أدخل في القبول عند السامع وأحسن تطرية لنشاطه وأملأ لاستلذاذ اصغائه وقد تختص مواقعه بفوائد ولطائف قلما تتضح الا للحذاق المهرة والعلماء النحارير وقليل ما هم ومما اختص به هذا الموضع أنه لما ذكر الحقيق بالحمد والثناء وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية

الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المميز بتلك الصفات فقيل إياك يامن هذه صفاته نعبد ونستعين لا غيرك وقدمت العبادة على الاستعانة لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة أقرب الى الاجابة أو لنظم الآي كما قدم الرحمن وان كان الابلغ لا يقدم وأطلقت الاستعانة لتتناول كل مستعان فيه ويجوز أن يراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادات ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف أعينكم فقالوا (اهدنا الصراط المستقيم) أي ثبتنا على المنهاج الواضح كقولك للقائم قم حتى أعود اليك أي اثبت على ما أنت عليه أو اهدنا في الاستقبال كما هديتنا في الحال وهدى يتعدى بنفسه الى مفعول واحد فاما تعديه الى مفعول آخر فقد جاء متعديا اليه بنفسه كهذه الآية وقد جاء متعديا باللام وبالى كقوله تعالى هدانا لهذا وقوله هداني ربي الى صراط مستقيم والسراط الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه كانه يسرط السابلة اذا سلكوه والصراط من قلب السين صادا لتجانس الطاء في الاطباق لان الصاد والضاد والطاء والظاء من حروف الاطباق وقد تشم الصاد صوت الزاي لان الزاي الى الطاء أقرب لانهما مجهورتان وهي قراءة حمزة والسين قراءة ابن كثير في كل القرآن وهي الاصل في الكلمة والباقون بالصاد الخالصة وهي لغة قريش وهي الثابتة في المصحف الامام ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام (صراط الذين أنعمت عليهم) بدل من الصراط وهو في حكم تكرير العامل وفائدته التأكيد والاشعار بان الصراط المستقيم تفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده وهم المؤمنون والانبياء عليهم السلام أو قوم موسى قبل أن يغيروا (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) بدل من الذين أنعمت عليهم يعني أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال أو صفة للذين يعني أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال وانما ساغ وقوعه صفة للذين وهو معرفة وغير لا يتعرف بالاضافة لانه اذا وقع بين متضادين وكانا معرفتين تعرف بالاضافة نحو عجبت من الحركة غير السكون والمنعم عليهم والمغضوب عليهم متضادان ولان الذين قريب من النكرة لانه لم يرد به قوم باعيانهم وغير المغضوب عليهم قريب من المعرفة للتخصيص الحاصل له باضافته فكل واحد منهما فيه ابهام من وجه واختصاص من وجه فاستويا وعليهم الاولى محلها النصب على المفعولية ومحل الثانية الرفع على الفاعلية وغضب الله ارادة الانتقام من المكذبين وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت يده وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل ولا زائدة عند البصريين للتوكيد وعند الكوفيين هي بمعنى غير * آمين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما أن رويد اسم لامهل وعن ابن عباس رضي الله عنهما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل وهو مبني وفيه لغتان مد ألفه وقصرها وهو الأصل والمد باشباع الهمزة قال

يارب لا تسلبني حبها أبدا * ويرحم الله عبدا قال آمينا

وقال *أمين فزاد الله مابيننا بعدا* قال عليه السلام لقنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل أنه لم يثبت في المصاحف

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وست أوسبع وثمانون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) ونظائرها أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم فالقاف تدل على أول حروف قال والالف تدل على أوسط حروف قال واللام تدل على الحرف الاخير منه وكذلك ماأشبهها والدليل على انها أسماء ان كلا منها يدل على معنى في نفسه ويتصرف فيها بالامالة والتفخيم وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير وهي معربة وانما سكنت سكون زيد وغيره من الاسماء حيث لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه وقيل انها مبنية كالاصوات نحو غاق في حكاية صوت الغراب ثم الجمهور على أنها أسماء السور وقال ابن عباس رضي الله عنهما أقسم الله بهذه الحروف وقال ابن مسعود رضي الله عنه انها اسم الله الاعظم وقيل انها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله الا الله وما سميت معجمة الا لاعجامها وابهامها وقيل ورود هذه الاسماء على نمط التعديد كالايقاظ لمن تحدى بالقرآن وكالتحريك للنظر في ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ماينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم يظهر عجزهم عن ان يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم أمراء الكلام الا لانه ليس من كلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من الخلاقة بالقبول بمنزل وقيل انما وردت السور مصدرة بذلك ليكون أول مايقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاغراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك ان النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم وأهل الكتاب بخلاف النطق بأسامي الحروف فانه مختص بمن خط وقرأ وخالط أهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستبعدا من الامي المتكلم بها استبعاد الخط والتلاوة فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس شيأ من أهله حكم الاقاصيص المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش ومن يضاهيهم في شيء من الاحاطة بها في ان ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد لصحة نبوته) واعلم ان المذكور في الفواتح نصف أسامي حروف المعجم وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم وهي مشتملة على انصاف أجناس الحروف فمن المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المفخمة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها

القاف

القاف والضاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء وغير المذكورة من هذه الاجناس مكثورة بالمذكورة منها وقد علمت ان معظم الشئ ينزل منزلة كله فكان الله تعالى عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما مر من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم وانما جاءت مفرقة على السور لان اعادة التنبيه على المتحدى به مؤلفا منها لا غير أوصل الى الغرض وكذا كل تكرير ورد في القرآن فالمطلوب منه تمكين المكرر في النفوس وتقريره ولم يجئ على وتيرة واحدة بل اختلفت أعداد حروفها مثل ص وق ون وطه وطس ويس وحم والم والر وطسم والمص والمر وكهيعص وحمعسق فوردت على حرف وحرفين وثلاثة وأربعة وخمسة كعادة افتنانهم في الكلام وكأن أبنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة أحرف فسلك في الفواتح هذا المسلك والم آية حيث وقعت وكذا المص آية والمر لم تعد آية وكذا الر لم تعد آية في سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها وحمعسق آيتان وكهيعص آية وص ون وق ثلاثها لم تعد آية وهذا عند الكوفيين ومن عداهم لم يعد شيأ منها آية وهذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور ويوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل أسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات أو جعلت وحدها أخبار ابتداء محذوف كقوله الم الله أي هذه الم ثم ابتدأ فقال الله لا إله الا هو الحي القيوم ولهذه الفواتح محل من الاعراب فيمن جعلها أسماء للسور لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام وهو الرفع على الابتداء أو النصب أو الجر لصحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها أسماء للسور لم يتصور أن يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجملة المبتدأة وللمفردات المعدودة (ذلك الكتاب) أي ذلك الكتاب الذي وعد به على لسان موسى وعيسى عليهما السلام أو ذلك اشارة الى الم وانما ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة لان الكتاب ان كان خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه بالتذكير والتأنيث وان كان صفته فالاشارة به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان أو ذلك الشخص فعل كذا ووجه تأليف ذلك الكتاب مع الم ان جعلت الم اسما للسورة أن يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ومعناه أن ذلك هو الكتاب الكامل كأن ماعداه من الكتب في مقابلته ناقص كما تقول هو الرجل أي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف أي هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة أخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب أي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل (لا ريب) لا شك وهو مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه قوله عليه السلام دع ما يريبك

الى مالا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمأنينة أى فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه وانما نفى الريب على سبيل الاستغراق وقد ارتاب فيه كثير لان المنفى كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغى لمرتاب أن يقع فيه لان أحدا لا يرتاب وانما لم يقل لا فيه ريب كما قال لا فيها غول لان المراد فى ايلاء الريب حرف النفى نفى الريب عنه واثبات انه حق لا باطل كما يزعم الكفار ولو أولى الظرف لبعد عن المراد وهو أن كتابا آخر فيه ريب لا فيه كما قال فى قوله تعالى لا فيها غول ففيه تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هى والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على ريب ولا بد للواقف من أن ينوى خبرا والتقدير لا ريب فيه (فيه هدى) فيه باشباع كل هاء مكى ووافقه حفص فى فيه مهانا وهو الاصل كقولك مررت به ومن عنده وفى داره وكما لا يقال في داره ومن عنده وجب أن لا يقال فيه وقال سيبويه ماقاله مؤد الى الجمع بين ثلاثة أحرف سواكن الياء قبل الهاء والهاء اذ الهاء المتحركة فى كلامهم بمنزلة الساكنة لان الهاء خفية والخفى قريب من الساكن والياء بعدها والهدى مصدر على فعل كالبكا وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة فى مقابلته في قوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وانما قيل هدى (للمتقين) والمتقون مهتدون لانه كقولك للعزيز المكرم أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة على ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ولانه سماهم عند مشارفتهم لاكتساب لباس التقوى متقين كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه وقول ابن عباس رضى الله عنهما اذا أراد أحدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض فسمى المشارف للقتل والمرض قتيلا ومريضا ولم يقل هدى للضالين لانهم فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى وهو هدى لهؤلاء فحسب فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التى ذكرنا فقيل هدى للمتقين مع ان فيه تصديرا للسورة التى هى أولى الزهراوين وسنام القرآن بذكر أولياء الله والمتقى فى اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى ففاؤها واو ولامها ياء واذا بنيت من ذلك افتعل قلبت الواو تاء وأدغمتها فى التاء الاخرى فقلت اتقى والوقاية فرط الصيانة وفى الشريعة من يقى نفسه تعاطى ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك ومحل هدى الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف أو خبر مع لا ريب فيه لذلك أو النصب على الحال من الهاء فى فيه والذى هو أرسخ عرقا في البلاغة أن يقال ان قوله الم جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف عطف وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان

ذلك انه نبه أولا على انه الكلام المتحدى به ثم أشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدى ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال أكمل مما للحق واليقين ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة وقيل لعالم فيم لذتك قال فى حجة تتبختر اتضاحا وفى شبهة تتضاءل افتضاحا ثم أخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد أن رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم الرشيق من نكتة ذات جزالة ففى الاولى الحذف والرمز الى المطلوب بألطف وجه وفى الثانية ما فى التعريف من الفخامة وفى الثالثة ما فى تقديم الريب على الظرف وفى الرابعة الحذف ووضع المصدر الذى هو هدى موضع الوصف الذى هو هاد كأن نفسه هداية وايراده منكرا ففيه اشعار بانه هدى لا يكتنه كنهه والايجاز فى ذكر المتقين كما مر (الذين) فى موضع رفع او نصب على المدح اى هم الذين يؤمنون اوأعنى الذين يؤمنون اوهو مبتدأ وخبره أولئك على هدى اوجر على أنه صفة للمتقين وهى صفة واردة بيانا وكشفا للمتقين كقولك زيد الفقيه المحقق لاشتمالها على ما أسست عليه حال المتقين من الايمان الذى هو أساس الحسنات والصلاة والصدقة فهما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما ألا ترى أن النبى عليه السلام سمى الصلاة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر ترك الصلاة وسمى الزكاة قنطرة الاسلام فكان من شأنهما استتباع سائر العبادات ولذلك اختصر الكلام بان استغنى عن عد الطاعات بذكرهما وكالعنوان لها مع ما فى ذلك من الافصاح عن فضل هاتين العبادتين أو صفة مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها كقولك زيد الفقيه المتكلم الطبيب ويكون المراد بالمتقين الذين يجتنبون السيآت (يؤمنون) يصدقون وهو افعال من الامن وقولهم آمنه اى صدقه وحقيقته أمنه التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى أقر واعترف (بالغيب) بما غاب عنهم مما أنبأهم به النبى عليه السلام من أمر البعث والنشور والحساب وغير ذلك فهو بمعنى الغائب تسمية بالمصدر من قولك غاب الشئ غيبا هذا ان جعلته صلة للايمان وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء أى يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته متلبسين بالغيب والايمان الصحيح أن يقر باللسان ويصدق بالجنان والعمل ليس بداخل فى الايمان (ويقيمون الصلاة) أى يؤدونها فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض أركانها كما عبر عنه بالقنوت وهو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح لوجودها فيها أو أريد باقامة الصلاة تعديل أركانها من أقام العود اذا قومه أو الدوام عليها والمحافظة من قامت السوق اذا نفقت لانه اذا حوفظ عليها كانت كالشئ النافق الذى تتوجه اليه الرغبات واذا أضيعت كانت كالشئ الكاسد الذى لا يرغب فيه والصلاة فعلة من صلى كالزكاة من زكى وكتابتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين أى الاليتين لان المصلى يفعل ذلك فى ركوعه وسجوده وقيل للداعى مصل تشبيها له فى تخشعه بالراكع والساجد (ومما

رزقناهم) أعطيناهم وما بمعنى الذى (ينفقون) يتصدقون أدخل من التبعيضية صيانة لهم عن التبذير المنهى عنه وقدم المفعول دلالة على كونه أهم والمراد به الزكاة لاقترانه بالصلاة التى هى أختها أوهى وغيرها من النفقات فى سبل الخير لمجيئه مطلقا وأنفق الشئ وأنفذه اخوان كنفق الشئ ونفذ وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ودلت الآية على ان الاعمال ليست من الايمان حيث عطف الصلاة والزكاة على الايمان والعطف يقتضى المغايرة (والذين يؤمنون) هم مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه من الذين آمنوا بكل وحى أنزل من عند الله وأيقنوا بالآخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه لايدخل الجنة الا من كان هودا أونصارى وان النار لن تمسهم الا أياما معدودات ثم ان عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا فى جملة المتقين وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا فكانه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما أنزل اليك أو المراد به وصف الاولين ووسط العاطف كما يوسط بين الصفات فى قولك هو الشجاع والجواد وقوله

الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم

والمعنى أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه (بما أنزل اليك) يعنى القرآن والمراد جميع القرآن لا القدر الذى سبق انزاله وقت ايمانهم لان الايمان بالجميع واجب وانما عبر عنه بلفظ الماضى وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على مالم يوجد ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كأن كله قد نزل (وما أنزل من قبلك) يعنى سائر الكتب المنزلة على النبيين (وبالآخرة) وهى تأنيث الآخر الذى هو ضد الاول وهى صفة والموصوف محذوف وهو الدار بدليل قوله تلك الدار الآخرة وهى من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع أنه خففها بان حذف الهمزة وألقى حركتها على اللام (هم يوقنون) لا يقان اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه (أولئك على هدى) الجملة فى موضع الرفع ان كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ والا فلا محل لها ويجوز أن يجرى الموصول الاول على المتقين وأن يرتفع الثانى على الابتداء وأولئك خبره ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بأهل الكتاب الذين لا يؤمنون بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون أنهم على الهدى وطامعون أنهم ينالون الفلاح عند الله ومعنى الاستعلاء فى على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به بحيث شبهت حالهم بحال من اعتلى الشئ وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك فى قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى (من ربهم) أى أوتوه من عنده ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه كانه قيل على أى هدى ونحوه لقد وقعت على لحم أى على لحم عظيم (وأولئك هم المفلحون) أى الظافرون بما طلبوا الناجون عما هربوا فالفلاح درك البغية والمفلح الفائز بالبغية كانه الذى انفتحت له وجوه الظفر والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذا اخواته فى الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى وجاء بالعطف هنا بخلاف قوله أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم

الغافلون لاختلاف الخبرين المقتضيين للعطف هنا واتحاد الغفلة والتشبيه بالبهائم ثم فكانت الثانية مقررة للاولى فهي من العطف بمعزل وهم فصل وفائدته الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره أو هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك فانظر كيف كرر الله عزوجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل مالاينا له أحد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره ففيه تنبيه على انهم كما ثبت لهم الاثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح وتعريف المفلحون ففيه دلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الآخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من أهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب أي هو الذي أخبرت بتوبته وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ماطلبوا وينشطك لتقديم ماقدموا اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة لما قدم ذكر أوليائه بصفاتهم المقربة اليه وبيّن ان الكتاب هدى لهم قفى على أثره بذكر اضدادهم وهم العتاة المردة الذين لاينفع فيهم الهدى بقوله (ان الذين كفروا) الكفر ستر الحق بالجحود والتركيب دال على الستر ولذا سمي الزراع كافرا وكذا الليل ولم يأت بالعاطف هنا كما في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لان الجملة الاولى هنا مسوقة بيانا لذكر الكتاب لا خبرا عن المؤمنين وسيقت الثانية للاخبار عن الكفار بكذا فبين الجملتين تفاوت في المراد وهما على حد لا مجال للعطف فيه وان كان مبتدأ على تقدير فهو كالجاري عليه والمراد بالذين كفروا أناس باعيانهم علم الله انهم لايؤمنون كابي جهل وأبي لهب واضرابهما (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) بهمزتين كوفي وسواء بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى الى كلمة سواء أي مستوية وارتفاعه على انه خبر لان وأنذرتهم أم لم تنذرهم مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه أو يكون سواء خبرا مقدما وأنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع الابتداء أي سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لان وانما جاز الاخبار عن الفعل مع انه خبر أبدا لانه من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا أيتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما جرى ذلك على صورة النداء ولا نداء والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي (لايؤمنون) جملة مؤكدة للجملة قبلها أو خبر لان والجملة قبلها اعتراض أو خبر بعد خبر والحكمة في الانذار مع العلم بالاصرار اقامة الحجة وليكون الارسال عاما وليثاب الرسول (ختم الله على قلوبهم) قال الزجاج الختم التغطية لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه تغطية له لئلا يطلع عليه وقال ابن عباس طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير يعني ان الله طبع عليها فجعلها بحيث لايخرج منها مافيها من الكفر ولايدخلها ماليس فيها من

الايمـان وحاصل الختم والطبع خلق الظلمة والضيق في صدر العبد عندنا فلا يؤمن مادامت تلك الظلمة في قلبه وعنـد المعتزلة اعـلام محض على القلوب بمـا يظهر للملائـكة انهـم كفار فيلعنونهم ولا يدعون لهم بخـير وقال بعضهم ان اسـناد الختم الى الله تعالى مجاز والخاتم في الحقيقة الـكافر الا انه تعالى لمـا كان هو الذى أقدره ومكنه أسند اليه الختم كما يسند الفعل الى السبب فيقال بنى الامير المدينة لان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمـكان والمسبب له فاسـناده الى الفاعل حقيقة وقد يسـند الى هذه الاشياء مجازا لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهى الرجل الاسـد فى جرأته فيستعار له اسمه وهذا فرع مسئلة خلق الافعال (وعلى سمعهم) وحد السمع كما وحد البطن فى قوله

* كلوا فى بعض بطنـكم تعفوا * لأمن اللبس ولان السمع مصدر فى أصله يقال سمعت الشئ سمعا وسماعا والمصدر لا يجمع لانه اسم جنس يقع على القليل والـكثير فلا يحتاج فيه الى التثنية والجمع فلمح الاصل وقيل المضاف محـذوف أى وعلى مواضع سمعهم وقرئ على اسماعهم (وعلى أبصارهم غشاوة) بالرفع خبر ومبتدأ والبصر نور العـين وهو ما يبصر به الرائى كما ان البصـيرة نور القلب وهى ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله تعالى فيهما آلتين للابصار والاستبصار والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشئ كالعصابة والعمامة والقلادة والاسماع داخلة فى حكم الختم لا فى حكم التغشية لقوله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولو قفهم على سمعهم دون قلوبهم ونصب المفضل وحده غشاوة باضمار جعل وتـكرير الجار في قوله وعلى سمعهم دليل على شدة الختم في الموضـعين قال الشيخ الامام أبو منصور بن على رحمه الله الـكافر لمـا لم يسمع قول الحق ولم ينظر فى نفسـه وغيره من المخلوقات ليرى آثار الحدوث فيعلم أن لا بد له من صانع جعل كأن على بصره وسمعه غشاوة وان لم يكن ذلك حقيقة وهـذا دليل على ان الاسماع عنده داخلة فى حكم التغشـية والآية حجة لنا على المعتزلة فى الاصلح فانه أخبر انه ختم على قلوبهم ولا شك ان ترك الختم أصلح لهم (ولهم عذاب عظيم) العذاب مثل النـكال بناء ومعنى لانك تقول أعذب عن الشئ اذا أمسـك عنه كما تقول نـكل عنه والفرق بين العظيم والـكبير ان العظيم يقابل الحقير والـكبير يقابل الصغير فـكان العظيم فوق الـكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان فى الجثة والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره ومعنى التنـكير ان على أبصارهم نوعا من التغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامى عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم من العـذاب لا يعلم كنهه الا الله (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) افتتح سبحانه وتعالى بذكر الذين أخلصوا دينهـم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ثم ثنى بالـكافرين قلوبا وألسـنة ثم ثلث بالمنافقين الذين آمنوا بأفواههـم ولم تؤمن قلوبهم وهم أخبث الـكفرة لانهم خلطوا بالـكفر استهزاء وخداعا ولذا نزل فيهم ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار وقال مجاهد أربع آيات من أول السورة فى نعت المؤمنين وآيتان فى

ذكر الكافرين وثلاث عشرة آية في المنافقين نعى عليهم فيها مكرهم وخبثهم وسفههم واستجهالهم واستهزاءهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة وأصل ناس أناس حذفت همزته تخفيفا وحذفها كاللازم مع لام التعريف لا يكاد يقال الاناس ويشهد لاصله انسان وأناسي وانس وسموا به لظهورهم وانهم يؤنسون أي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول فانك تقول وزنه افعل وليس معك الا العين وهو من أسماء الجمع ولام التعريف فيه للجنس ومن موصوفة ويقول صفة لها كأنه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا وانما خصوا الايمان بالله وباليوم الآخر وهو الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع وانما سمي بالآخر لتأخره عن الاوقات المنقضية أو الوقت المعهود من النشور الى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لانهم أوهموا في هذا المقال انهم أحاطوا بجانبي الايمان أوله وآخره وهذا لان حاصل المسائل الاعتقادية يرجع الى مسائل المبدأ وهي العلم بالصانع وصفاته وأسمائه ومسائل المعاد وهي العلم بالنشور والبعث من القبور والصراط والميزان وسائر أحوال الآخرة وفي تكرير الباء اشارة الى انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام وانما طابق قوله (وما هم بمؤمنين) وهو في ذكر شأن الفاعل لا الفعل قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهو في ذكر شأن الفعل لا الفاعل لان المراد انكار ما ادعوه ونفيه على أبلغ وجه وآكده وهو اخراج ذواتهم من أن تكون طائفة من المؤمنين ونحوه قوله تعالى يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها فهو أبلغ من قولك وما يخرجون منها وأطلق الايمان في الثاني بعد تقييده في الاول لانه يحتمل أن يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه ويحتمل أن يراد نفي أصل الايمان وفي ضمنه نفي المذكور أولا والآية تنفي قول الكرامية ان الايمان هو الاقرار باللسان لا غير لانه نفى عنهم اسم الايمان مع وجود الاقرار منهم وتؤيد قول أهل السنة انه اقرار باللسان وتصديق بالجنان ودخلت الباء في خبر ما مؤكدة للنفي لانه يستدل به السامع على الجحد اذا غفل عن أول الكلام ومن موحد اللفظ فلذا قيل يقول وجمع وما هم بمؤمنين نظرا الى معناه (يخادعون الله) أي رسول الله فحذف المضاف كقوله واسأل القرية كذا قاله أبو علي رحمه الله وغيره أي يظهرون غير ما في أنفسهم فالخداع اظهار غير ما في النفس وقد رفع الله منزلة النبي صلى الله عليه وسلم حيث جعل خداعه خداعه وهو كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم وقيل معناه يخادعون الله في زعمهم لانهم يظنون ان الله ممن يصح خداعه وهذا المثال يقع كثيرا لغير اثنين نحو قولك عاقبت اللص وقد قرئ يخدعون الله وهو بيان ليقول أو مستأنف كأنه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما منفعتهم في ذلك فقيل يخادعون الله ومنفعتهم في ذلك متاركتهم عن المحاربة التي كانت مع من سواهم من الكفار واجراء أحكام المؤمنين عليهم ونيلهم من الغنائم

وغير ذلك قال صاحب الوقوف الوقف لازم على بمؤمنين لانه لو وصل لصار التقدير وما هم بمؤمنين مخادعين فينتفي الوصف كقولك ماهو برجل كاذب والمراد نفي الايمان عنهم واثبات الخداع لهم ومن جعل يخادعون حالا من الضمير في يقول والعامل فيها يقول والتقدير يقول آمنا بالله مخادعين أو حالا من الضمير في بمؤمنين والعامل اسم الفاعل فيها والتقدير وما هم بمؤمنين في حال خداعهم لا يقف والوجه الاول (والذين آمنوا) أي يخادعون رسول الله والمؤمنين باظهار الايمان واضمار الكفر (وما يخدعون الا أنفسهم) أي وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا أنفسهم لان ضررها يلحقهم وحاصل خداعهم وهو العذاب في الآخرة يرجع اليهم فكانهم خدعوا أنفسهم وما يخادعون أبو عمرو ونافع ومكي للمطابقة وعذر الاولين ان خدع وخادع هنا بمعنى واحد والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للقلب والروح النفس لان النفس بهما وللدم نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه والمراد بالانفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم أن الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم (وما يشعرون) ان حاصل خداعهم يرجع اليهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار وهو ثوب يلي الجسد ومشاعر الانسان حواسه لانها آلات الشعور والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له (في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق لان الشك تردد بين الامرين والمنافق متردد في الحديث مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين والمريض متردد بين الحياة والموت ولان المرض ضد الصحة والفساد يقابل الصحة فصار المرض اسما لكل فساد والشك والنفاق فساد في القلب (فزادهم الله مرضا) أي ضعفا عن الانتصار وعجزا عن الاقتدار وقيل المراد به خلق النفاق في حالة البقاء بخلق أمثاله كما عرف في زيادة الايمان (ولهم عذاب أليم) فعيل بمعنى مفعل أي مؤلم (بما كانوا يكذبون) كوفي أي بكذبهم في قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر فما مع الفعل بمعنى المصدر والكذب الاخبار عن الشيء على خلاف ما هو به يكذبون غيرهم أي بتكذيبهم النبي عليه السلام فيما جاء به وقيل هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما بان الشيء وبين (واذا قيل لهم) معطوف على يكذبون ويجوز أن يعطف على يقول آمنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم (لا تفسدوا في الارض) لكان صحيحا والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به وضده الصلاح وهو الحصول على الحال المستقيمة النافعة والفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك فساد ما في الارض وانتفاء الاستقامة عن أحوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية وكان فساد المنافقين في الارض أنهم كانوا يمايلون الكفار ويمالؤنهم على المسلمين بافشاء أسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي الى هيج الفتن بينهم (قالوا انما نحن مصلحون) بين المؤمنين والكافرين بالمداراة يعني أن صفة المصلحين خلصت لنا وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد لان انما لقصر الحكم على شيء أو لقصر الشيء على حكم كقولك انما ينطلق زيد وانما زيد كاتب

وما كافة لانها تكفها عن العمل (ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) أنهم مفسدون فحذف المفعول للعلم به ألا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي أفاد تحققا كقوله تعالى أليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم وقد رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين أبلغ رد وأدله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف وما في ألا وإن من التأكيد وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون (واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) نصحوهم من وجهين أحدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده عن الصواب وجره الى الفساد وثانيهما تبصيرهم الطريق الاسد من اتباع ذوي الاحلام فكان من جوابهم أن سفهوهم لتمادي جهلهم وفيه تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة وانما صح اسناد قيل الى لا تفسدوا وآمنوا مع أن اسناد الفعل الى الفعل لا يصح لانه اسناد الى لفظ الفعل والممتنع اسناد الفعل الى معنى الفعل فكأنه قيل واذا قيل لهم هذا القول ومنه زعموا مطية الكذب وما في كما كافة كما في ربما أو مصدرية كما في بما رحبت واللام في الناس للعهد أي كما آمن الرسول ومن معه وهم ناس معهودون أو عبد الله بن سلام وأشياعه أي كما آمن أصحابكم واخوانكم أو للجنس أي كما آمن الكاملون في الانسانية أو جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم والكاف في كما في موضع النصب لانه صفة مصدر محذوف أي ايمانا مثل ايمان الناس ومثله كما آمن السفهاء والاستفهام في أنؤمن للانكار واللام في السفهاء مشار بها الى الناس وانما سفهوهم وهم العقلاء المراجيح لانهم لجهلهم اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق وان ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها والسفه سخافة العقل وخفة الحلم (ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) أنهم هم السفهاء وانما ذكر هنا لا يعلمون وفيما تقدم لا يشعرون لانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا له ولان الايمان يحتاج فيه الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة أما الفساد في الارض فامر مبني على العادات فهو كالمحسوس والسفهاء خبران وهم فصل أو مبتدأ أو السفهاء خبرهم والجملة خبر ان (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) وقرأ أبو حنيفة رحمه الله واذا لاقوا يقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه الآية الاولى في بيان مذهب المنافقين والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون مع المؤمنين من الاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وايهامهم أنهم معهم (واذا خلوا الى شياطينهم) خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه وبالى أبلغ لان فيه دلالة الابتداء والانتهاء أي اذا خلوا من المؤمنين الى شياطينهم ويجوز أن يكون من خلا بمعنى مضى وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم اليهود وعن سيبويه أن نون الشياطين أصلية بدليل قولهم تشيطن وعنه أنها زائدة واشتقاقه من شطن اذا ابعد لبعده من الصلاح والخير أو من شاط اذا بطل ومن أسمائه الباطل (قالوا انا معكم) انا مصاحبوكم وموافقوكم على

دينكم وانما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان لانهم في خطابهم مع المؤمنين في ادعاء حدوث الايمان منهم لا في ادعاء أنهم أوحديون في الايمان امالان أنفسهم لاتساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك واما لانه لا يروج عنهم لوقالوه على لفظ التأكيد والمبالغة وكيف يطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والانصار وأما خطابهم مع اخوانهم فقد كان عن رغبة وقد كان متقبلا منهم رائجا عنهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتأكيد وقوله (انما نحن مستهزؤن) تأكيد لقوله انا معكم لان معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزؤن رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدابه ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته أو استئناف كانهم اعترضوا عليهم بقولهم حين قالوا لهم انا معكم ان كنتم معنا فلم توافقون المؤمنين فقالوا انما نحن مستهزؤن والاستهزاء السخرية والاستخفاف وأصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان (الله يستهزئ بهم) أي يجازيهم على استهزائهم فسمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فسمي جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن الجزاء سيئة واعتداء وهذا لان الاستهزاء لا يجوز على الله تعالى من حيث الحقيقة لانه من باب العبث وتعالى عنه قال الزجاج هو الوجه المختار واستئناف قوله الله يستهزئ بهم من غير عطف في غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله تعالى هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم اليه باستهزاء لما ينزل بهم من النكال والذل والهوان ولما كانت نكايات الله وبلاياه تنزل عليهم ساعة فساعة قيل الله يستهزئ بهم ولم يقل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزؤن (ويمدهم) أي يمهلهم عن الزجاج (في طغيانهم) في غلوهم في كفرهم (يعمهون) حال أي يتحيرون ويترددون وهذه الآية حجة على المعتزلة في مسئلة الاصلح (أولئك) مبتدأ خبره (الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أي استبدلوها به واختاروها عليه وانما قال اشتروا الضلالة بالهدى ولم يكونوا على هدى لانها في قوم آمنوا ثم كفروا أو في اليهود الذين كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم فلما جاءهم كفروا به أو جعلوا لتمكنهم منه كأن الهدى قائم فيهم فتركوه بالضلالة وفيه دليل على جواز البيع تعاطيا لانهم لم يتلفظوا بلفظ الشراء ولكن تركوا الهدى بالضلالة عن اختيارهم وسمي ذلك شراء فصار دليلا لنا على أن من أخذ شيأ من غيره وترك عليه عوضه برضاه فقد اشتراه وان لم يتكلم به والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين (فما ربحت تجارتهم) الربح الفضل على رأس المال والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح واسناد الربح الى التجارة من الاسناد المجازي ومعناه فما ربحوا في تجارتهم اذ التجارة لا تربح ولما وقع شراء الضلالة بالهدى مجازا اتبعه ذكر الربح والتجارة ترشيحا له كقوله

ولما رأيت النسر عز ابن دأية * وعشش في وكريه جاش له صدري

لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر (وما كانوا مهتدين) لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العاملون بما يربح فيه ويخسر والمعنى ان مطلوب التجار سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوهما فرأس مالهم الهدى ولم يبق لهم مع الضلالة واذا لم يبق لهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وان ظفروا بالاغراض الدنيوية لان الضال خاسر ولانه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح وقيل الذين صفة أولئك وفاربحت تجارتهم الى آخر الآية في محل الرفع خبر أولئك (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا) لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب الامثال في ابراز خفيات المعانى ورفع الاستار عن الحقائق تأثير ظاهر ولقد كثر ذلك في الكتب السماوية ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل في أصل كلامهم هو المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا الا قولا فيه غرابة ولذا حوفظ عليه فلا يغير وقد استعير المثل للحال أو الصفة أو القصة اذا كان لها شان وفيها غرابة كانه قيل حالهم العجيبة الشان كحال الذى استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون أى فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة الشأن ثم أخذ في بيان عجائبها ولله المثل الاعلى أى الوصف الذى له شأن من العظمة والجلالة ووضع الذى موضع الذين كقوله وخضتم كالذى خاضوا فلا يكون تمثيل الجماعة بالواحد أو قصد جنس المستوقدين أو أريد الفوج الذى استوقد نارا على أن ذوات المنافقين لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ومعنى استوقد أوقد ووقود النار سطوعها والنار جوهر لطيف مضىء حار محرق واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا (فلما أضاءت ما حوله) الاضاءة فرط الانارة ومصداقه قوله هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهى في الآية متعدية ويحتمل أن تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد أماكن وأشياء وجواب فلما (ذهب الله بنورهم) وهو ظرف زمان والعامل فيه جوابه مثل اذا وما موصولة وحوله نصب على الظرف أو نكرة موصوفة والتقدير فلما أضاءت شيأ ثابتا حوله وجمع الضمير وتوحيده للحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى والنور ضوء النار وضوء كل نير ومعنى أذهبه أزاله وجعله ذاهبا ومعنى ذهب به استصحبه ومضى به والمعنى أخذ الله بنورهم وأمسكه وما يمسك فلا مرسل له فكان أبلغ من الاذهاب ولم يقل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما أضاءت لان ذكر النور أبلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة والمراد ازالة النور عنهم رأسا ولو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا ألا ترى كيف ذكر عقيبه (وتركهم في ظلمات) والظلمة عرض ينافى النور وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله (لا يبصرون) وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد فاذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير

فيجرى مجرى أفعال القلوب ومنه وتركهم فى ظلمات أصله هم فى ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزأين والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطروح لامن قبيل المقدر المنوى كان الفعل غير متعد أصلا وانما شبهت حالهم بحال المستوقد لانهم غب الاضاءة وقعوا فى ظلمة وحيرة نعم المنافق خابط فى ظلمات الكفر أبدا ولكن المراد مااستضاؤا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم وو راء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق المفضية بهم الى ظلمة العقاب السرمدى وللآية تفسير آخر وهو أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذى باعوه بالنار المضيئة ماحول المستوقد والضلالة التى اشتروها باذهاب الله بنورهم وتركه اياهم فى الظلمات وتنكير النار للتعظيم (صم بكم عمى) أى هم صم كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم وان ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كأنما ايفت مشاعرهم وطريقته عند علماء البيان طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء الا أن هذا فى الصفات وذلك فى الاسماء وما فى الآية تشبيه بليغ فى الاصح لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام (فهم لا يرجعون) لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه أو عن الضلالة بعد أن اشتروها لتنوع الرجوع الى الشئ وعنه أو أراد انهم متحيرون بقوا خامدين فى مكانهم لا يبرحون ولا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون (أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق) ثنى الله سبحانه وتعالى فى شأنهم بتمثيل آخر لزيادة الكشف والايضاح وشبه المنافق فى التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار وهنا شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيا به حياة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات ومافيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيبهم من الافزاع والبلايا من جهة أهل الاسلام بالصواعق والمعنى أو كمثل ذوى صيب فحذف مثل لدلالة العطف عليه وذوى لدلالة يجعلون عليه والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء بهذه الصفة فلقوا منها مالقوا فهذا تشبيه أشياء بأشياء الا أنه لم يصرح بذكر المشبهات كما صرح فى قوله وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسئ وقول امرئ القيس

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

بل جاء به مطويا ذكره على سنن الاستعارة والصحيح أن التمثيلين من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شئ يقدر شبهه به بيانه أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيأ واحدا بأخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الآية فالمراد تشبيه حال اليهود فى جهلها بما معها من التوراة بحال الحمار فى جهله بما يحمل من

أسفار الحكمة وتساوى الحالتين عنده من حمل أسفار الحكمة وحمل ماسواها من الاوقار
لا يشعر من ذلك لا بما يمر بدفيه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء
أنزلناه من السماء فالمراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فهو تشبيه كيفية بكيفية فاما أن
يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيأ واحدا فلا فكذلك لما وصف
وقوع المنافقين فى ضلالاتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر
عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها فى ظلمة الليل وكذلك من أخذته السماء فى
الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق والتمثيل الثانى أبلغ لانه أدل على
فرط الحيرة وشدة الامر واذا أخروهم يتدرجون فى مثل هذا من الاهون الى الاغلظ
وعطف أحد التمثيلين على الآخر بأو لانها فى أصلها لتساوى شيئين فصاعدا فى
الشك عند البعض ثم استعيرت لمجرد التساوى كقولك جالس الحسن أو ابن سيرين
تريد أنهما سيان فى استصواب أن يجالسا وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا
أى الآثم والكفور سيان فى وجوب العصيان فكذا هنا معناه أن كيفية قصة المنافقين
مشبهة لكيفيتى هاتين القصتين وان الكيفيتين سواء فى استقلال كل واحدة منهما بوجه
التمثيل فبأيتهما مثلتها فأنت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذى
يصوب أى ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب أيضا وتنكير صيب لانه نوع من المطر
شديد هائل كما نكرت النار فى التمثيل الاول والسماء هذه المظلة وعن الحسن انها موج
مكفوف والفائدة فى ذكر السماء والصيب لا يكون الا من السماء انه جاء بالسماء معرفة فأفاد
انه غمام أخذ بآفاق السماء ونفى أن يكون من سماء أى من أفق واحد من بين سائر الآفاق
لان كل أفق من آفاقها سماء ففى التعريف مبالغة كما فى تنكير صيب وتركيبه وبنائه وفيه دليل
على أن السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه وقيل انه يأخذ من البحر ويرتفع
ظلمات مرفوع بالجار والمجرور لانه قد قوى لكونه صفة لصيب بخلاف ما لو قلت ابتداء
فيه ظلمات ففيه خلاف بين الاخفش وسيبويه والرعد الصوت الذى يسمع من السحاب
لاصطكاك أجرامه او ملك يسوق السحاب والبرق الذى يلمع من السحاب من برق الشئ
بريقا اذا لمع والضمير فى فيه يعود الى الصيب فقد جعل الصيب مكانا للظلمات فان أريد به
السحاب فظلماته اذا كان أسحم مطبقا ظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة اليهما ظلمة الليل
وأما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل وجعل
الصيب مكانا للرعد والبرق على ارادة السحاب به ظاهر وكذا ان أريد به المطر لانهما
ملتبسان به فى الجملة ولم يجمع الرعد والبرق لانهما مصدران فى الاصل يقال رعدت السماء
رعدا وبرقت برقا فروعى حكم الاصل بأن ترك جمعهما ونكرت هذه الاشياء لان المراد
أنواع منها كأنه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف (يجعلون أصابعهم فى
آذانهم) الضمير لاصحاب الصيب وان كان محذوفا كما فى قوله أو هم قائلون لان المحذوف

باق معناه وان سقط لفظه ولا محل لجعلون لكونه مستأنفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على مايؤذن بالشدة والهول فكان قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون أصابعهم في آذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقال يكاد البرق يخطف أبصارهم وانما ذكر الاصابع ولم يذكر الانامل ورؤس الاصبع هي التي تجعل في الآذان اتساعاً كقوله فاقطعوا أيديهما والمراد الى الرسغ ولان في ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل وانما لم يذكر الاصبع الخاص الذي تسد به الاذن لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها أولى بآداب القرآن ولم يذكر المسبحة لانها مستحدثة غير مشهورة (من الصواعق) متعلق بجعلون أي من أجل الصواعق يجعلون أصابعهم في آذانهم والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت أجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا أتت عليه الا أنها مع حدتها سريعة الخمود يحكى أنها سقطت على نخلة فأحرقت نحو نصفها ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا أهلكته فصعق أي مات اما بشدة الصوت أو بالاحراق (حذر الموت) مفعول له والموت فساد بنية الحيوان أو عرض لا يصح معه احساس معاقب للحياة (والله محيط بالكافرين) يعني أنهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط فهو مجاز وهذه الجملة اعتراض لا محل لها (يكاد البرق يخطف أبصارهم) الخطف الاخذ بسرعة وكاد يستعمل لتقريب الفعل جدا وموضع يخطف نصب لانه خبر كاد (كلما أضاء لهم) كل ظرف وما نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف أي كل وقت أضاء لهم فيه والعامل فيه جوابها وهو (مشوا فيه) أي في ضوئه وهو استئناف ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين كشدته على أصحاب الصيب وماهم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف أن يخطف أبصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين وأضاء متعد أي كلما نور لهم ممشى ومسلكا أخذوه والمفعول محذوف أو غير متعد أي كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو (واذا أظلم عليهم) أظلم غير متعد وذكر مع أضاء كلما ومع أظلم اذا لانهم حراص على وجود ماهمهم به معقود من امكان المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف (قاموا) وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قام الماء اذا جمد (ولو شاء الله لذهب بسمعهم) بقصيف الرعد (وأبصارهم) بوميض البرق ومفعول شاء محذوف لدلالة الجواب عليه أي ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بهما ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء وأراد لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب كنحو قوله

فلو شئت أن أبكي دما لبكيته ☆ عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وقوله تعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا ولو أراد الله أن يتخذ ولدا (ان الله على كل شيء قدير) أي ان

الله

الله قادر على كل شيء لما عدد الله فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم وأحوالهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور فقال (يا أيها الناس) قال علقمة ما في القرآن يا أيها الناس فهو خطاب لاهل مكة وما فيه يا أيها الذين آمنوا فهو خطاب لاهل المدينة وهذا خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع لنداء البعيد وأي والهمزة للقريب ثم استعمل في مناداة من غفل وسها وان قرب ودنا تنزيلا له منزلة من بعد ونأى فاذا نودي به القريب المقاطن فذلك للتوكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معتنى به جدا وقول الداعي يارب وهو أقرب اليه من حبل الوريد استقصار منه لنفسه واستبعاد لها عن مظان الزلفى هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط مع فرط التهالك على استجابة دعوته وأي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما أن ذو والذي وصلتان الى الوصف بأسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يزيل ابهامه فلابد أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه يتصف به حتى يتضح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه يا أي والتابع له صفته نحو يا زيد الظريف الا أن أيا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك عن الصفة وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها التأكيد معنى النداء وللعوض عما يستحقه أي من الاضافة وكثر النداء في القرآن على هذه الطريقة لان ما نادى الله به عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده أمور عظام وخطوب جسام يجب عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الابلغ (اعبدوا ربكم) وحدوه قال ابن عباس رضي الله عنهما كل عبادة في القرآن فهي توحيد (الذي خلقكم) صفة موضحة مميزة لانهم كانوا يسمون الآلهة أربابا والخالق ايجاد المعدوم على تقدير واستواء وعند المعتزلة ايجاد الشيء على تقدير واستواء وهذا بناء على أن المعدوم شيء عندهم لان الشيء ما صح أن يعلم ويخبر عنه عندهم وعندنا هو اسم للوجود خلقكم بالادغام أبو عمرو (والذين من قبلكم) احتج عليهم بأنه خالقهم وخالق من قبلهم لانهم كانوا مقرين بذلك فقيل لهم ان كنتم مقرين بأنه خالقكم فاعبدوه ولا تعبدوا الاصنام (لعلكم تتقون) أي اعبدوا على رجاء ان تتقوا فتنجوا بسببه من العذاب ولعل للترجي والاطماع ولكنه اطماع من كريم فيجري مجرى وعده المحتوم وفاؤه وبه قال سيبويه وقال قطرب هو بمعنى كي أي لكي تتقوا (الذي جعل لكم الارض) أي صير ومحل الذي نصب على المدح أو رفع باضمار هو (فراشا) بساطا تقعدون عليها وتنامون وتتقلبون وهو مفعول ثان لجعل وليس فيه دليل على ان الارض مسطحة أو كرية اذ الافتراش ممكن على التقديرين (والسماء بناء) سقفا كقوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهو مصدر سمي به المبني (وأنزل من السماء ماء) مطرا (فأخرج به) بالماء نعم خروج الثمرات بقدرته ومشيئته وايجاده ولكن جعل الماء سببا في خروجها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على انشاء الكل بلا سبب كما أنشأ نفوس الاسباب والمواد

ولكن له في انشاء الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما وعبرا للنظار بعيون الاستبصار ومن في (من الثمرات) للتبعيض أو للبيان (رزقا) مفعول له ان كانت للتبعيض ومفعول به لاخرج ان كانت للبيان وانما قيل الثمرات دون الثمر والثمار وان كان الثمر المخرج بماء السماء كثيرا لان المراد جماعة الثمرة ولان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها في الجمعية (لكم) صفة جارية على الرزق ان أريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كانه قيل رزقا اياكم (فلا تجعلوا لله أندادا) هو متعلق بالامر أي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له أندادا لان أصل العبادة وأساسها التوحيد وأن لا يجعل له ند ولا شريك ويجوز أن يكون الذي رفعا على الابتداء وخبره فلا تجعلوا ودخول الفاء لان الكلام يتضمن الجزاء أي الذي حفكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه (وأنتم تعلمون) أنها لا تخلق شيأ ولا ترزق والله الخالق الرازق أو مفعول تعلمون متروك أي وأنتم من أهل العلم وجعل الاصنام لله أندادا غاية الجهل والجملة حال من الضمير في فلا تجعلوا ولما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويبطل الاشراك لخلقهم أحياء قادرين وخلق الارض التي هي مثواهم ومستقرهم وخلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار وما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل من الثمار رزقا لبني آدم فهذا كله دليل موصل الى التوحيد مبطل للاشراك لان شيأ من المخلوقات لا يقدر على ايجاد شيء منها عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يقرر اعجاز القرآن فقال (وان كنتم في ريب مما نزلنا) ما نكرة موصوفة أو بمعنى الذي (على عبدنا) محمد عليه السلام والعبد اسم لمملوك من جنس العقلاء والمملوك موجود قهر بالاستيلاء وقيل نزلنا دون أنزلنا لان المراد به النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات غب آيات على حسب النوازل وعلى سنن ما نرى عليه أهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا شيأ فشيأ لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بخطبه ضربة فلو أنزله الله لانزله جملة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على تدريج (فأتوا بسورة) أي فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من أصغر السور والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلها ثلاث آيات وواوها ان كانت اصلا فاما أن تسمى بسور المدينة وهو حائطها لانها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور أو لانها محتوية على فنون من العلم وأجناس من الفوائد كاحتواء سور المدينة على ما فيها واما أن تسمى بالسورة التي هي الرتبة لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي

أيضا في نفسها مرتبة طوال وأوساط وقصار أو لرفعة شأنها وجلالة محلها في الدين وان كانت منقلبة عن همزة فلأنها قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة التي هي البقية من الشئ وأما الفائدة في تفصيل القرآن وتقطيعه سورا فهي كثيرة ولذا أنزل الله تعالى التوراة والانجيل والزبور وسائر ما أوحاه الى أنبيائه مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون في كل فن كتبهم أبوابا موشحة الصدور بالتراجم منها ان الجنس اذا انطوت تحته أنواع واشتمل على أصناف كان أحسن من أن يكون بيانا واحدا ومنها ان القارئ اذا ختم سورة أو بابا من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له وأبعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومن ثم جزأ القراء القرآن أسباعا وأجزاء وعشورا وأخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه ومنه حديث أنس رضي الله عنه كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جل فينا ومن ثم كانت القراءة في الصلاة بسورة تامة أفضل (من مثله) متعلق بسورة صفة لها والضمير لما نزلنا أي بسورة كائنة من مثله يعني فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم أو لعبدنا أي فأتوا ممن هو على حاله من كونه أميا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء ولا قصد الى مثل ونظير هنالك ورد الضمير الى المنزل أولى لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله فأتوا بعشر سور مثله على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان الكلام مع رد الضمير الى المنزل أحسن ترتيبا وذلك ان الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه فان المعنى وان ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم نبذا مما يماثله وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولان هذا التفسير يلائم قوله (وادعوا شهداءكم) جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة (من دون الله) أي غير الله وهو متعلق بشهداءكم أي ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة انكم على الحق أو من يشهد لكم بانه مثل القرآن (ان كنتم صادقين) ان ذلك مختلق وأنه من كلام محمد عليه السلام وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله أي ان كنتم صادقين في دعواكم فأتوا أنتم بمثله واستعينوا بآلهتكم على ذلك (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة) لما أرشدهم الى الجهة التي منها يتعرفون صدق النبي عليه السلام قال لهم فاذا لم تعارضوه وبان عجزكم ووجب تصديقه فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وعاند وفيه دليلان على اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله ولما كان العجز عن المعارضة قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واعتمادهم على بلاغتهم سيق الكلام معهم على حسب حسبانهم فجيء بان الذي للشك دون اذا الذي للوجوب وعبر عن الاتيان بالفعل لانه فعل من الافعال والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا اذ لو لم يعدل من لفظ الاتيان الى

لفظ الفعل لاستطيل أن يقال فان لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله ولا محل
لقوله ولن تفعلوا لانها جملة اعتراضية وحسن هذا الاعتراض ان لفظ الشرط للتردد فقطع
التردد بقوله ولن تفعلوا ولا ولن أختان في نفي المستقبل الا أن في لن تأكيدا وعن الخليل
أصلها لاأن وعند الفراء لا أبدلت ألفها نونا وعند سيبويه حرف موضوع لتأكيد نفي
المستقبل وانما علم انه اخبار عن الغيب على ماهو به حتى صار معجزة لانهم لو عارضوه بشئ
لاشتهر فكيف والطاعنون فيه أكثر عددا من الذابين عنه وشرط في اتقاء النار انتفاء اتيانهم
بسورة من مثله لانهم اذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق الرسول واذا
صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد وأبوا الانقياد استوجبوا النار فقيل لهم ان استبنتم العجز
فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار سبب ترك العناد وهو من باب الكناية
وهي من شعب البلاغة وفائدته الايجاز الذي هو من حلية القرآن والوقود ماترفع به النار يعني
الحطب وأما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح وصلة الذي والتي تجب أن تكون معلوما
للمخاطب فيحتمل أن يكونوا سمعوا من أهل الكتاب أو من رسول الله أو سمعوا قبل هذه
الآية قوله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة وانما جاءت النار منكرة ثم ومعرفة هنا لان
تلك الآية نزلت بمكة ثم نزلت هذه الآية بالمدينة مشارا بها الى ماعرفوه أولا ومعنى قوله تعالى
وقودها الناس والحجارة أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها تتقد بالناس والحجارة وهي
حجارة الكبريت فهي أشد توقدا وأبطأ خمودا وأنتن رائحة وألصق بالبدن أو الاصنام المعبودة
فهي أشد تحسرا وانما قرن الناس بالحجارة لانهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا حيث عبدوها
وجعلوها لله أندادا ونحوه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أي حطبها
فقرنهم بها محماة في نار جهنم ابلاغا في ايلامهم (أعدت للكافرين) هيئت لهم وفيه دليل على
أن النار مخلوقة خلافا لما يقوله جهم سنة الله في كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب تنشيطا
لاكتساب مايزلف وتثبيطا عن اقتراف مايتلف فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم
بالعقاب قفاه بذكر المؤمنين وأعمالهم وتبشيرهم بقوله (وبشر الذين آمنوا وعملوا
الصالحات) والمأمور بقوله وبشر الرسول عليه السلام أو كل أحد وهذا أحسن لانه يؤذن
بان الامر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بان يبشر به كل من قدر على البشارة به وهو معطوف
على فاتقوا كما تقول يابني تميم احذروا عقوبة ماجنيتم وبشر يافلان بني أسد باحساني اليهم
أو جملة وصف ثواب المؤمنين معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كقولك زيد يعاقب
بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به
ومن ثم قال العلماء اذا قال لعبيده أيكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق أولهم
لانه هو الذي أظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال أخبرني مكان بشرني عتقوا جميعا لانهم
أخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ماظهر من أوائل ضوئه وأما فبشرهم
بعذاب أليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به كما يقول

الرجل لعدوه أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم
والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس والآية
حجة على من جعل الاعمال ايمانا لانه عطف الاعمال الصالحة على الايمان والمعطوف غير
المعطوف عليه ولا يقال انكم تقولون يجوز أن يدخل المؤمن الجنة بدون الاعمال الصالحة
والله تعالى بشر بالجنة لمن آمن وعمل صالحا لان البشارة المطلقة بالجنة شرطها اقتران الاعمال
الصالحة بالايمان ولا نجعل لصاحب الكبيرة البشارة المطلقة بل نثبت بشارة مقيدة بمشيئة
الله ان شاء غفر له وان شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة (أن لهم جنات) أي بان لهم
جنات وموضع أن وما عملت فيه النصب ببشر عند سيبويه خلافا للخليل وهو كثير في التنزيل
والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف والتركيب دائر على معنى الستر ومنه الجن
والجنون والجنين والجنة والجان والجنان وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان والجنة
مخلوقة لقوله تعالى أسكن أنت وزوجك الجنة خلافا لبعض المعتزلة ومعنى جمع الجنة
وتنكيرها ان الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب بحسب
أعمال العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان (تجري من تحتها الانهار) الجملة
في موضع النصب صفة لجنات والمراد من تحت أشجارها كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ
الانهار الجارية وأنهار الجنة تجري في غير اخدود وأنزه البساتين ما كانت أشجارها مظلة
والانهار في خلالها مطردة والجري الاطراد والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر
يقال للنيل نهر مصر واللغة العالية نهر ومدار التركيب على السعة واسناد الجري الى الانهار
مجازي وانما عرف الانهار لانه يحتمل أن يراد بها أنهارها فعوض التعريف باللام من تعريف
الاضافة كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا أو يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله تعالى
فيها أنهار من ماء غير آسن الآية والماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى ولذا قرن
الله تعالى الجنات بذكر الانهار الجارية وقدمه على سائر نعوتها (كلما رزقوا) صفة ثانية
لجنات أو جملة مستأنفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع أن يقع فيه أثمار تلك
الجنات أشباه ثمار جنات الدنيا أم أجناس أخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها أشباه
ثمار جنات الدنيا أي أجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله (منها من ثمرة رزقا قالوا
هذا الذي) أي كلما رزقوا من الجنات أي من أي ثمرة كانت من تفاحها أو رمانها أو غير ذلك
رزقا قالوا ذلك فمن في الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات
والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة ونظيره أن تقول رزقني فلان فيقال لك من أين فتقول
من بستانه فيقال من أي ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وليس المراد من الثمرة
التفاحة الواحدة أو الرمانة الفذة وانما المراد نوع من أنواع الثمار (رزقنا) أي رزقناه
فحذف العائد (من قبل) أي من قبل هذا فلما قطع عن الاضافة بني والمعنى هذا مثل
الذي رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله (وأتوا به متشابها) وهذا كقولك أبو يوسف

أبو حنيفة تريد أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته والضمير في به يرجع الى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا الذى رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين وانما كان ثمار الجنة مثل ثمار الدنيا ولم تكن أجناسا أخر لان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود أميل واذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا شاهد ما سلف له به عهد ورأى فيه مزية ظاهرة وتفاوتا بينا كان استعجابه به أكثر واستغرابه أوفر وتكريرهم هذا القول عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور المزية وعلى أن ذلك التفاوت العظيم هو الذى يستملي تعجبهم في كل أوان أوالى الرزق كأن هذا اشارة اليه والمعنى أن ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذى أتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه عليه السلام والذى نفس محمد بيده ان الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدلها الله مكانها مثلها فاذا أبصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك وقوله وأتوا به متشابها جملة معترضة للتقرير كقولك فلان أحسن بفلان ونعم ما فعل ورأى من الرأى كذا وكان صوابا ومنه وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون (ولهم فيها أزواج) أزواج مبتدأ ولهم الخبر وفيها ظرف للاستقرار (مطهرة) من مساوى الاخلاق لا طمحات ولا مرحات أو مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة ومالا يختص بهن من البول والغائط وسائر الاقذار والادناس ولم تجمع الصفة كالموصوف لانهما لغتان فصيحتان ولم يقل طاهرة لان مطهرة أبلغ لانها تكون للتكثير وفيها اشعار بان مطهرا طهرهن وما ذلك الا الله عزوجل (وهم فيها خالدون) الخلد والخلود البقاء الدائم الذى لا ينقطع وفيه بطلان قول الجهمية فانهم يقولون بفناء الجنة وأهلها لانه تعالى وصف بانه الاول والآخر وتحقيق وصف الاولية بسبقه على الخلق أجمع فيجب تحقيق وصف الآخرية بالتأخر عن سائر المخلوقات وذا انما يتحقق بعد فناء الكل فوجب القول به ضرورة ولانه تعالى باق وأوصافه باقية فلو كانت الجنة باقية مع أهلها لوقع التشابه بين الخالق والمخلوق وذا محال قلنا الاول في حقه هو الذى لا ابتداء لوجوده والآخر هو الذى لا انتهاء له وفي حقنا الاول هو الفرد السابق والآخر هو الفرد اللاحق واتصافه بهما لبيان صفة الكمال ونفي النقيصة والزوال وذا في تنزيهه عن احتمال الحدوث والفناء لا فيما قالوه وأنى يقع التشابه في البقاء وهو تعالى باق لذاته وبقاؤه واجب الوجود وبقاء الخلق به وهو جائز الوجود * لما ذكر الله تعالى الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب به مثلا ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فنزل (ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة) أى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أن يتمثل بها لحقارتها وأصل الحياء تغير وانكسار يعترى الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم ولا يجوز على القديم التغير وخوف الذم ولكن الترك لما كان من لوازمه عبر عنه به ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا أما يستحيي رب محمد

أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وفيه لغتان التعدي بنفسه وبالجار يقال استحييته واستحييت منه وهما محتملتان هنا وضرب المثل صنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وما هذه إبهامية وهي التي إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته إبهاما وزادته عموما كقولك أعطني كتابا ما تريد أي كتاب كان أو صلة للتأكيد كالتي في قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم كأنه قال لا يستحيي أن يضرب مثلا البتة وبعوضة عطف بيان لمثلا أو مفعول ليضرب ومثلا حال من النكرة مقدمة عليه أو انتصبا مفعولين على أن ضرب بمعنى جعل واشتقاقها من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض ومنه بعض الشيء لأنه قطعة منه والبعوض في أصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت (فما فوقها) فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة أو فما زاد عليها في الحجم كأنه أراد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لأنهما أكبر من البعوضة ولا يقال كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهو النهاية في الصغر لأن جناح البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات وقد ضرب به رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق) الضمير للمثل أو لأن يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ إنكاره يقال حق الأمر إذا ثبت ووجب (من ربهم) في موضع النصب على الحال والعامل معنى الحق وذو الحال الضمير المستتر فيه (وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) ويوقف عليه إذ لو وصل لصار ما بعده صفة له وليس كذلك وفي قولهم ماذا أراد الله بهذا مثلا استحقار كما قالت عائشة رضي الله عنها في عبد الله بن عمرو يا عجبا لابن عمرو هذا محقرة له ومثلا نصب على التمييز أو على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية وأما حرف فيه معنى الشرط ولذا يجاب بالفاء وفائدته في الكلام أن يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فإذا قصدت توكيده وأنه لا محالة ذاهب قلت أما زيد فذاهب ولذا قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير يفيد كونه تأكيدا وأنه في معنى الشرط وفي إيراد الجملتين مصدرتين به وإن لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون إحماد عظيم لأمر المؤمنين واعتداد بليغ بعلمهم أنه الحق ونعي على الكافرين إغفالهم حظهم ورميهم بالكلمة الحمقاء وماذا فيه وجهان أن يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي وما استفهاما فيكون كلمتين وأن تكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا للاستفهام فيكون كلمة واحدة فما على الأول رفع بالابتداء وخبره ذا مع صلته أي أراد والعائد محذوف وعلى الثاني منصوب المحل بأراد والتقدير أي شيء أراد الله والإرادة مصدر أردت الشيء إذا طلبته نفسك ومال إليه قلبك وهي عند المتكلمين معنى يقتضي تخصيص المفعولات بوجه دون وجه والله تعالى موصوف بالإرادة على الحقيقة عند أهل السنة وقال معتزلة بغداد إنه تعالى لا يوصف بالإرادة على الحقيقة فإذا قيل أراد الله كذا فإن كان فعله فمعناه أنه فعل وهو غير ساه ولا مكره عليه وإن كان فعل غيره فمعناه أنه أمر به (يضل به كثيرا

ويهدى به كثيرا) جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا من باب الهدى وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة وأهل الهدى كثير فى أنفسهم وانما يوصفون بالقلة بالقياس الى أهل الضلال ولان القليل من المهتدين كثير فى الحقيقة وان قلوا فى الصورة

ان الكرام كثير فى البلاد وان * قلوا كما غيرهم قل وان كثروا

والاضلال خلق فعل الضلال فى العبد والهداية خلق فعل الاهتداء هذا هو الحقيقة عند أهل السنة وسياق الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة من الكفار واستغربوه من أن تكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع الاستنكار والاستغراب لان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى وادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به كذلك وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك ألا ترى ان الحق لما كان واضحا جليا تمثل له بالضياء والنور وان الباطل لما كان بضد صفته تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التى جعلها الكفار أندادا لله لا حال أحقر منها وأقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها فى الضعف والوهن وجعلت أقل من الذباب وضربت لها البعوضة فالذى دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للتمثل استحى من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب فى تمثيله محق فى قوله سائق للمثل على قضية مضربه ولبيان ان المؤمنين الذين عادتهم الانصاف والنظر فى الامور بناظر العقل اذا سمعوا بهذا التمثيل علموا انه الحق وان الكفار الذين غلب الجهل على عقولهم كابروا وعاندوا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب هدى المؤمنين وضلال الفاسقين والعجب منهم كيف أنكروا ذلك ومازال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور وخشاش الارض فقالوا أجمع من ذرة وأجرأ من الذباب وأسمع من قراد وأضعف من فراشة وآكل من السوس وأضعف من البعوضة وأعز من مخ البعوض ولكن ديدن المحجوج والمبهوت أن يرضى لفرط الحيرة بدفع الواضح وانكار اللائح (وما يضل به الا الفاسقين) هو مفعول يضل وليس بمنصوب على الاستثناء لان يضل لم يستوف مفعوله والفسق الخروج عن القصد وفى الشرع يعة الخروج عن الامر بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين أى بين منزلة المؤمن والكافر عند المعتزلة وسيمر عليك ما يبطله ان شاء الله (الذين ينقضون عهد الله) النقض الفسخ وفك التركيب والعهد الموثق والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله أحبار اليهود المتعنتون أو منافقوهم أو الكفار جميعا وعهد الله ما ركز فى عقولهم من الحجة على التوحيد كانه أمر وصاهم به ووثقه عليهم أو أخذ الميثاق عليهم بانهم اذا بعث اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره أو أخذ الله العهد عليهم أن لا يسفكوا دماءهم ولا يبغى بعضهم على بعض ولا يقطعوا أرحامهم وقيل عهد الله الى خلقه ثلاثة عهود العهد الاول الذى أخذه على جميع ذرية آدم

عليه السلام بان يقروا بربوبيته وهو قوله تعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم الآية وعهد خص به النبيين أن يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين وهو قوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه (من بعد ميثاقه) أصله من الوثاقة وهى احكام الشئ والضمير للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله و إلزامه أنفسهم ويجوز أن يكون بمعنى توثقته كما ان الميعاد بمعنى الوعد أو الله تعالى أى من بعد توثقته عليهم ومن لابتداء الغاية (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) هو قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين أو قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض والامر طلب الفعل بقول مخصوص على سبيل الاستعلاء وما نكرة موصوفة أو بمعنى الذى وأن يوصل فى موضع جر بدل من الهاء أى بوصله أو فى موضع رفع أى هو أن يوصل (ويفسدون فى الارض) بقطع السبيل والتعويق عن الايمان (أولئك) مبتدأ (هم) فصل والخبر (الخاسرون) أى المغبونون حيث استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب (كيف تكفرون بالله) معنى الهمزة التى فى كيف مثله فى قولك أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان وهو الانكار والتعجب ونظيره قولك أتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح والواو فى (وكنتم أمواتا) نطفا في أصلاب آبائكم للحال وقد مضمرة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قول ويقال لعادم الحياة أصلا ميت أيضا كقوله تعالى بلدة ميتا (فأحياكم) فى الارحام (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) للبعث (ثم اليه ترجعون) تصيرون الى الجزاء أو ثم يحييكم في قبوركم ثم اليه ترجعون للنشور وانما كان العطف الاول بالفاء والبواقى بثم لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بلا تراخ وأما الموت فقد تراخى عن الحياة والحياة الثانية كذلك تتراخى عن الموت ان أريد النشور وان اريد احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء أيضا متراخ عن النشور وانما أنكر اجتماع الكفر مع القصة التى ذكرها لانها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر ولانها تشتمل على نعم جسام حقها أن تشكر ولا تكفر (هو الذى خلق لكم ما فى الارض) أى لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم أما الاول فظاهر وأما الثانى فالنظر فيه وما فيه من العجائب الدالة على صانع قادر حكيم عليم وما فيه من التذكير بالآخرة لان ملاذها تذكر ثوابها ومكارهها تذكر عقابها وقد استدل الكرخى وأبو بكر الرازى والمعتزلة بقوله خلق لكم على أن الاشياء التى يصح أن ينتفع بها خلقت مباحة فى الاصل (جميعا) نصب على الحال من ما (ثم استوى الى السماء) الاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود أى قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل أى قصده قصدا مستويا من غير أن يلوى على شئ ومنه قوله تعالى ثم استوى الى السماء أى أقبل وعمد الى خلق السموات بعد ما خلق ما فى الارض من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شئ آخر والمراد

بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق والضمير فى (فسواهن) مبهم يفسره (سبع سموات) كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء ولفظها واحد ومعناها الجمع لانها فى معنى الجنس ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور أو اتمام خلقهن وثم هنا لبيان فضل خلق السموات على خلق الارض ولا يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحاها لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء وأما دحوها فتأخر وعن الحسن خلق الله الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منها السموات وأمسك الفهر فى موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله تعالى كانتا رتقا وهو الالتزاق (وهو بكل شئ عليم) فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما فى الارض على حسب حاجات أهلها ومنافعهم وَهْوَ واخواته مدنى غير ورش وأبو عمرو وعلى جعلوا الواو كأنها من نفس الكلمة فصار بمنزلة عضد وهم يقولون فى عضد عضد بالسكون ولما خلق الله تعالى الارض أسكن فيها الجن وأسكن فى السماء الملائكة فأفسدت الجن في الارض فبعث اليهم طائفة من الملائكة فطردتهم الى جزائر البحار ورؤس الجبال وأقاموا مكانهم فأمر نبيه عليه السلام أن يذكر قصتهم فقال (واذ قال ربك للملائكة) اذ نصب باضمار اذكر والملائكة جمع ملأك كالشمائل جمع شمأل وإلحاق التاء لتأنيث الجمع (انى جاعل) أى مصير من جعل الذى له مفعولان وهما (فى الارض خليفة) وهو من يخلف غيره فعيلة بمعنى فاعلة وزيدت الهاء للمبالغة والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها آدم وذريته ولم يقل خلائف أو خلفاء لانه أريد بالخليفة آدم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما تستغنى بذكر أبى القبيلة فى قولك مضر وهاشم أو أريد من يخلفكم أو خلقا يخلفكم فوحد لذلك أو خليفة منى لان آدم كان خليفة الله فى أرضه وكذلك كل نبى قال الله تعالى ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض وانما أخبرهم بذلك ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما أجيبوا به فيعرفوا حكمته فى استخلافهم قبل كونهم أو ليعلم عباده المشاورة في أمورهم قبل أن يقدموا عليها وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) تعجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم الذى لا يجهل وانما عرفوا ذلك باخبار من الله تعالى أو من جهة اللوح أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر (ويسفك الدماء) أى يصب والواو في (ونحن نسبح) للحال كما تقول أتحسن الى فلان وأنا أحق منه بالاحسان (بحمدك) فى موضع الحال أى نسبح حامدين لك ومتلبسين بحمدك كقوله تعالى وقد دخلوا بالكفر أى دخلوا كافرين (ونقدس لك) ونطهر أنفسنا لك وقيل التسبيح والتقديس تبعيد الله من السوء من سبح في الارض وقدس فيها اذا ذهب فيها وأبعد (قال انى أعلم ما لا تعلمون) أى أعلم من الحكم فى ذلك ما هو خفى عليكم يعنى يكون فيهم الانبياء والاولياء والعلماء وما بمعنى الذى وهو مفعول أعلم والعائد محذوف أى ما لا تعلمونه أنى مجازى

وأبو عمرو (وعلم آدم) هو اسم أعجمي وأقرب أمره أن يكون على فاعل كآزر واشتقاقهم آدم من أديم الارض أو من الادمة كاشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس (الاسماء كلها) أي أسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء اذ الاسم يدل على المسمى وعوض منه اللام كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا ولا يصح أن يقدر وعلم آدم مسميات الاسماء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه لان التعليم تعلق بالاسماء لا بالمسميات لقوله تعالى أنبئوني بأسماء هؤلاء وأنبئهم بأسمائهم ولم يقل أنبئوني بهؤلاء وأنبئهم بهم ومعنى تعليمه أسماء المسميات انه تعالى أراه الاجناس التي خلقها وعلمه أن هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعن ابن عباس رضي الله عنهما علمه اسم كل شيء حتى القصعة والمغرفة (ثم عرضهم على الملائكة) أي عرض المسميات وانما ذكر لان في المسميات العقلاء فغلبهم وانما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت (فقال أنبؤني) أخبروني (بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين) في زعمكم اني أستخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء وفيه رد عليهم وبيان أن فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي أصول الفوائد كلها ما يستأهلون لاجله أن يستخلفوا (قالوا سبحانك) تنزيها لك أن يخفى عليك شيء أو عن الاعتراض عليك في تدبيرك وأفادتنا الآية أن علم الاسماء فوق التخلي للعبادة فكيف بعلم الشريعة وانتصابه على المصدر تقديره سبحت الله تسبيحا (لا علم لنا الا ما علمتنا) وليس فيه علم الاسماء وما بمعنى الذي والعلم بمعنى المعلوم أي لا معلوم لنا الا الذي علمتنا (انك انت العليم) غير المعلم (الحكيم) فيما قضيت وقدرت والكاف اسم ان وأنت مبتدأ وما بعده خبره والجملة خبر ان أو أنت فصل والخبر العليم والحكيم خبر ثان (قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم) سمى كل شيء باسمه (قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض) اي أعلم ما غاب فيهما عنكم مما كان ومما يكون (وأعلم ما تبدون) تظهرون (وما كنتم تكتمون) تسرون (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) أي اخضعوا له وأقروا بالفضل له عن أبي بن كعب وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان ذلك انحناء ولم يكن خرورا على الذقن والجمهور على أن المأمور به وضع الوجه على الارض وكان السجود تحية لآدم عليه السلام في الصحيح اذ لو كان لله تعالى لما امتنع عنه ابليس وكان سجود التحية جائزا فيما مضى ثم نسخ بقوله عليه السلام لسلمان حين أراد أن يسجد له لا ينبغي لمخلوق أن يسجد لاحد الا لله تعالى (فسجدوا الا ابليس) الاستثناء متصل لانه كان من الملائكة كذا قاله علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ولان الاصل ان الاستثناء يكون من جنس المستثنى منه ولهذا قال ما منعك أن لا تسجد اذ أمرتك وقوله كان من الجن معناه صار من الجن كقوله فكان من المغرقين وقيل الاستثناء منقطع لانه لم يكن من الملائكة بل كان من الجن بالنص وهو قول الحسن وقتادة ولانه خلق من نار والملائكة خلقوا من النور ولانه أبى وعصى واستكبر والملائكة

لايعصون الله ما أمرهم ولا يستكبرون عن عبادته ولانه قال أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني ولا نسل للملائكة وعن الجاحظ ان الجن والملائكة جنس واحد فمن طهر منهم فهو ملك ومن خبث فهو شيطان ومن كان بين بين فهو جن (أبى) امتنع مما أمر به (واستكبر) تكبر عنه (وكان من الكافرين) وصار من الكافرين بإبائه واستكباره ورده الامر لا بترك العمل بالامر لان ترك السجود لا يخرج من الايمان ولا يكون كفرا عند أهل السنة خلافا للمعتزلة والخوارج أوكان من الكافرين في علم الله اى وكان في علم الله انه يكفر بعد ايمانه لانه كان كافرا أبدا في علم الله وهى مسئلة الموافاة (وقلنا يا آدم اسكن) أمر من سكن الدار يسكنها سكنى اذا أقام فيها ويقال سكن المتحرك سكونا (أنت) تأكيد للمستكن في اسكن ليصح عطف (وزوجك) عليه (الجنة) هى جنة الخلد التى وعدت للمتقين للنقل المشهور واللام للتعريف وقالت المعتزلة كانت بستانا باليمن لان الجنة لا تكليف فيها ولا خروج عنها قلنا انما لا يخرج منها من دخلها جزاء وقد دخل النبى عليه السلام ليلة المعراج ثم خرج منها وأهل الجنة يكلفون المعرفة والتوحيد (وكلا منها) من ثمارها فحذف المضاف (رغدا) وصف للمصدر أى أكلا رغدا واسعا (حيث شئتما) شئتما وبابه بغير همز أبو عمرو وحيث للمكان المبهم أى أى مكان من الجنة شئتما (ولا تقربا هذه الشجرة) أى الحنطة ولذا قيل كيف لا يعصى الانسان وقوته من شجرة العصيان او الكرمة لانها أصل كل فتنة أو التينة (فتكونا) جزم عطف على تقربا أونصب جواب للنهى (من الظالمين) من الذين ظلموا أنفسهم أومن الضارين أنفسهم (فأزلهما الشيطان عنها) أى عن الشجرة أى فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فأصدر الشيطان زلتهما عنها أوفأزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما فأزالهما حمزة وزلة آدم بالخطا في التأويل اما بحمل النهى على التنزيه دون التحريم أو بحمل اللام على تعريف العهد وكان الله تعالى أراد الجنس والاول الوجه وهذا دليل على انه يجوز اطلاق اسم الزلة على الانبياء عليهم السلام كما قال مشايخ بخارى فانه اسم الفعل يقع على خلاف الامر من غير قصد الى الخلاف كزلة الماشى فى الطين وقال مشايخ سمرقند لا يطلق اسم الزلة على أفعالهم كما لا تطلق المعصية وانما يقال فعلوا الفاضل وتركوا الافضل فعوتبوا عليه (فأخرجهما مما كانا فيه) من النعيم والكرامة أومن الجنة ان كان الضمير للشجرة في عنها وقد توصل الى ازلالهما بعد ما قيل له أخرج منها فانك رجيم لانه منع عن دخولها على جهة التكرمة كدخول الملائكة لا عن دخولها على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وروى انه أراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل فى فم الحية حتى دخلت به وقيل قام عند الباب فنادى (وقلنا اهبطوا) الهبوط النزول الى الارض والخطاب لآدم وحواء وابليس وقيل والحية والصحيح لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا أصل الانس ومتشعبهم جعلا كانهما الإنس كلهم ويدل عليه قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا (بعضكم لبعض عدوّ) المراد به

ماعليه الناس من التباغي والتعادي وتضليل بعضهم لبعض والجملة في موضع الحال من
الواو في اهبطوا أي اهبطوا متعادين (ولكم في الارض مستقر) موضع استقرار أو
استقرار (ومتاع) وتمتع بالعيش (الى حين) الى يوم القيامة أو الى الموت قال ابراهيم
ابن أدهم أورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا (فتلقى آدم من ربه كلمات) أي استقبلها بالاخذ
والقبول والعمل بها وبنصب آدم ورفع كلمات مكي على انها استقبلته بأن بلغته واتصلت به
وهن قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وفيه
موعظة لذريتهما حيث عرفوا كيفية السبيل الى التنصل من الذنوب وعن ابن مسعود
رضي الله عنه ان أحب الكلام الى الله تعالى ما قاله أبونا آدم حين اقترف الخطيئة سبحانك
اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي انه
لا يغفر الذنوب الا أنت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يارب ألم تخلقني بيدك قال بلى
قال يارب ألم تنفخ فيّ من روحك ألم تسبق رحمتك غضبك ألم تسكني جنتك وهو تعالى يقول
بلى بلى قال فلم أخرجتني من الجنة قال بشؤم معصيتك قال فلو تبت أراجعي أنت اليها قال نعم
(فتاب عليه) فرجع عليه بالرحمة والقبول واكتفى بذكر توبة آدم لان حواء كانت تبعا له وقد
طوى ذكر النساء في أكثر القرآن والسنة لذلك (انه هو التواب) الكثير القبول للتوبة
(الرحيم) على عباده (قلنا اهبطوا منها جميعا) حال أي مجتمعين وكرر الامر بالهبوط
للتأكيد أو لان الهبوط الاول من الجنة الى السماء والثاني من السماء الى الارض أو لما نيط به
من زيادة قوله (فاما يأتينكم مني هدى) أي رسول أبعثه اليكم أو كتاب أنزله عليكم
بدليل قوله تعالى والذين كفروا وكذبوا بآياتنا في مقابلة قوله (فمن تبع هداي) أي
بالقبول والايمان به (فلا خوف عليهم) في المستقبل (ولا هم يحزنون) على ما خلفوا والشرط
الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول كقولك ان جئتني فان قدرت أحسنت اليك فلا خوف
بالفتح في كل القرآن يعقوب (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك) مبتدأ والخبر
(أصحاب النار) أي أهلها ومستحقوها والجملة في موضع الرفع خبر المبتدأ أعني والذين (هم
فيها خالدون يابني اسرائيل) هو يعقوب عليه السلام وهو لقب له ومعناه في لسانهم صفوة
الله أو عبد الله فاسرا هو العبد أو الصفوة وايل هو الله بالعبرية وهو غير منصرف لوجود
العلمية والعجمة (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) ذكرهم النعمة أن لا يخلوا
بشكرها ويطيعوا مانحها وأراد بها ما أنعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون
وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وما أنعم به عليهم من ادراك زمن
محمد صلى الله عليه وسلم المبشر به في التوراة والانجيل (وأوفوا) أدوا وافيا تاما يقال وفيت له
بالعهد فأنا واف به وأوفيت له بالعهد فأنا موف به والاختيار أوفيت وعليه نزل التنزيل
(بعهدي) بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي أو من الايمان بنبي الرحمة
والكتاب المعجز (أوف بعهدكم) بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم

والعهد يضاف الى المعاهِد والمعاهَد جميعا وعن قتادة هما لئن أقمتم ولا كفرن وقال أهل
الاشارة أوفوا في دار محنتي على بساط خدمتي بحفظ حرمتي أوف في دار نعمتي على بساط
كرامتي بسرور رؤيتي (واياى فارهبون) فلا تنقضوا عهدى وهو من قولك زيدا رهبته
وهو أوكد في افادة الاختصاص من إياك نعبد وإياى منصوب بفعل مضمر دل عليه ما بعده
وتقديره فارهبوا إياى فارهبون وحذف الاول لان الثانى يدل عليه وانما لم ينتصب بقوله
فارهبون لانه أخذ مفعوله وهو الياء المحذوفة وكسرة النون دليل الياء كما لا يجوز نصب زيد
فى زيدا فاضربه باضرب الذى هو ظاهر (وآمنوا بما أنزلت) يعنى القرآن (مصدقا) حال
مؤكدة من الهاء المحذوفة كأنه قيل أنزلته مصدقا (لما معكم) من التوراة يعنى فى
العبادة والتوحيد والنبوة وأمر محمد عليه السلام (ولا تكونوا أول كافر به) أى أول من
كفر به أو أول حزب أو فوج كافر به أو ولا يكن كل واحد منكم أول كافر به وهذا
تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته والضمير في به يعود
الى القرآن (ولا تشتروا) ولا تستبدلوا (بآياتى) بتغييرها وتحريفها (ثمنا قليلا) قال
الحسن هو الدنيا بحذافيرها وقيل هو الرياسة التى كانت لهم فى قومهم خافوا عليها الفوات لو
اتبعوا رسول الله (واياى فاتقون) فخافونى فارهبونى فاتقونى بالياء فى الحالين وكذلك كل
ياء محذوفة فى الخط يعقوب (ولا تلبسوا الحق بالباطل) لبس الحق بالباطل خلطه والباء
ان كانت صلة مثلها فى قولك لبست الشئ بالشئ خلطته به كان المعنى ولا تكتبوا فى التوراة
ماليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذى كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان
كانت باء الاستعانة كالتى فى قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها
بباطلكم الذى تكتبونه (وتكتموا الحق) هو مجزوم داخل تحت حكم النهى بمعنى ولا
تكتموا أو منصوب باضمار أن والواو بمعنى الجمع أى ولا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل
وكتمان الحق كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن وهما أمران متميزان لان لبس الحق
بالباطل ما ذكرنا من كتبهم فى التوراة ماليس منها وكتمانهم الحق أن يقولوا لا نجد فى
التوراة صفة محمد أو حكم كذا (وأنتم تعلمون) فى حال علمكم انكم لابسون وكاتمون وهو
أقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر مرتكبه (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى صلاة
المسلمين وزكاتهم (واركعوا مع الراكعين) منهم لان اليهود لا ركوع في صلاتهم أى أسلموا
واعملوا عمل أهل الاسلام وجاز أن يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود وأن يكون أمرا
بالصلاة مع المصلين يعنى فى الجماعة أى صلوها مع المصلين لا منفردين والهمزة فى (أتأمرون
الناس) للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم (بالبر) أى سعة الخير والمعروف ومنه
البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يأمرون من
نصحوه فى السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد عليه السلام ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون
بالصدقة ولا يتصدقون واذا أتوا بالصدقات ليفرقوها خانوا فيها (وتنسون أنفسكم) وتتركونها

من البر كالمنسيات (وأنتم تتلون الكتاب) تبكيت أي تتلون التوراة وفيها نعت محمد عليه السلام وأوفيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل (أفلا تعقلون) أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وهو توبيخ عظيم (واستعينوا) على حوائجكم الى الله (بالصبر والصلاة) أي بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب ودفع الوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية ومراعاة الآداب والخشوع واستحضار العلم بأنه انتصاب بين يدي جبار السموات والارض أو استعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلاة عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نعي اليه أخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وصلى ركعتين ثم قال واستعينوا بالصبر والصلاة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر وقيل الصلاة الدعاء أي استعينوا على البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله في دفعه (وانها) الضمير للصلاة أو للاستعانة (لكبيرة) لشاقة ثقيلة من قولك كبر على هذا الامر (الا على الخاشعين) لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم ألا ترى الى قوله (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) أي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفسر يظنون بيتيقنون لقراءة عبد الله يعلمون أي يعلمون انه لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك وأما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة والخشوع الاخبات والتطامن وأما الخضوع فاللين والانقياد وفسر اللقاء بالرؤية وملاقو ربهم بمعاينوه بلا كيف (وأنهم اليه راجعون) لا يملك أمرهم في الآخرة أحد سواه (يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) التكرير للتأكيد (وأني فضلتكم) نصب عطف على نعمتي أي اذكروا نعمتي وتفضيلي (على العالمين) على الجم الغفير من الناس يقال رأيت عالما من الناس والمراد الكثرة (واتقوا يوما) أي يوم القيامة وهو مفعول به لا ظرف (لا تجزي نفس) مؤمنة (عن نفس) كافرة (شيأ) أي لا تقضي عنها شيأ من الحقوق التي لزمتها وشيأ مفعول به أو مصدر أي قليلا من الجزاء والجملة منصوبة المحل صفة يوما والعائد منها الى الموصوف محذوف تقديره لا تجزي فيه (ولا يقبل منها شفاعة) ولا تقبل بالتاء مكي وبصري والضمير في منها يرجع الى النفس المؤمنة أي لا تقبل منها شفاعة للكافرة وقيل كانت اليهود تزعم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم فأويسوا فهو كقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين وتشبث المعتزلة بالآية في نفي الشفاعة للعصاة مردود لان المنفي شفاعة الكفار وقد قال عليه السلام شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي من كذب بها لم ينلها (ولا يؤخذ منها عدل) أي فدية لانها معادلة للمفدى (ولا هم ينصرون) يعانون وجمع لدلالة النفس المنكرة على النفوس الكثيرة وذكر لمعنى العباد أو الاناسي (واذ نجيناكم من آل فرعون) أصل آل أهل ولذلك يصغر بأهيل

فأبدلت هاؤه ألفا وخص استعماله بأولي الخطر كالملوك وأشباههم فلا يقال آل الاسكاف والحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس (يسومونكم) حال من آل فرعون أي يولونكم من سامه خسفا اذا أولاه ظلما وأصله من سام السلعة اذا طلبها كأنها بمعنى يبغونكم (سوء العذاب) ويزيدونكم عليه ومساومة البيع مزايدة أو مطالبة وسوء مفعول ثان ليسومونكم وهو مصدر سيئ يقال أعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيئ أشده وأفظعه (يذبحون أبناءكم) بيان لقوله يسومونكم ولذا ترك العاطف (ويستحيون نساءكم) يتركون بناتكم أحياء للخدمة وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة أنذروا فرعون بأنه يولد مولود يزول ملكه بسببه كما أنذروا نمروذ فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله (وفي ذلكم بلاء) محنة ان أشير بذلكم الى صنع فرعون ونعمة ان أشير به الى الانجاء (من ربكم) صفة لبلاء (عظيم) صفة ثانية (واذ فرقنا) فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرقنا أي فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت اثني عشر على عدد الاسباط (بكم البحر) كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم أو فرقناه بسببكم أو فرقناه ملتبسا بكم فيكون في موضع الحال روى ان بني اسرائيل قالوا لموسى عليه السلام أين أصحابنا فنحن لا نرضى حتى نراهم فأوحى الله اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم (فأنجينا كم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) الى ذلك وتشاهدونه ولا تشكون فيه وانما قال (واذ واعدنا موسى) لان الله تعالى وعده الوحي ووعده هو المجيء للميقات الى الطور وعدنا حيث كان بصرى لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله تعالى موسى أن ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقال (أربعين ليلة) لان الشهور غررها بالليالي وأربعين مفعول ثان لواعدنا لا ظرف لانه ليس معناه واعدناه في أربعين ليلة (ثم اتخذتم العجل) أي إلها فحذف المفعول الثاني لاتخذتم وبابه بالاظهار مكي وحفص (من بعده) من بعد ذهابه الى الطور (وأنتم ظالمون) أي بوضعكم العبادة غير موضعها والجملة حال أي عبدتموه ظالمين (ثم عفونا عنكم) محونا ذنوبكم عنكم (من بعد ذلك) من بعد اتخاذكم العجل (لعلكم تشكرون) لكي تشكروا النعمة في العفو عنكم (واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان) يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل وهو التوراة ونظيره رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة أو التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات أو الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفلاق البحر أو النصر الذي فرق بينه وبين عدوه (لعلكم تهتدون) لكي تهتدوا (واذ قال موسى لقومه) للذين عبدوا العجل (ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم

العجل)

العجل) معبودا (فتوبوا الى بارئكم) هو الذى خلق الخلق بريئا من التفاوت وفيه تقريع لما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذى برأهم ابراء من التفاوت الى عبادة البقر الذى هو مثل في الغباوة والبلادة (فاقتلوا أنفسكم) قيل هو على الظاهر وهو النخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل أمر من لم يعبد العجل أن يقتلوا العبدة فقتل سبعون ألفا (ذلكم) التوبة والقتل (خير لكم عند بارئكم) من الاصرار على المعصية (فتاب عليكم انه هو التواب) المفضال بقبول التوبة وان كثرت (الرحيم) بعفو الحوبة وان كبرت والفاء الاولى للتسبيب لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم اذ الله تعالى جعل توبتهم قتل أنفسهم والثالثة متعلقة بشرط محذوف كأنه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) عيانا وانتصابها على المصدر كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس أو على الحال من نرى أى ذوى جهرة (فأخذتكم الصاعقة) أى الموت قيل هى نار جاءت من السماء فاحرقتهم روى أن السبعين الذين كانوا مع موسى عليه السلام عند الانطلاق الى الجبل قالوا له نحن لم نعبد العجل كما عبده هؤلاء فأرنا الله جهرة فقال موسى سألته ذلك فاباه علىّ فقالوا انك رأيت الله تعالى فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فبعث الله عليهم صاعقة فاحرقتهم وتعلقت المعتزلة بهذه الآية فى نفى الرؤية لانه لو كان جائز الرؤية لما عذبوا بسؤال ما هو جائز الثبوت قلنا انما عوقبوا بكفرهم لان قولهم انك رأيت الله فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة كفر منهم ولانهم امتنعوا عن الايمان بموسى بعد ظهور معجزته حتى يروا ربهم جهرة والايمان بالانبياء واجب بعد ظهور معجزاتهم ولا يجوز اقتراح الآيات عليهم ولانهم لم يسألوا سؤال استرشاد بل سؤال تعنت وعناد (وأنتم تنظرون) اليها حين نزلت (ثم بعثناكم) أحييناكم وأصله الاثارة (من بعد موتكم لعلكم تشكرون) نعمة البعث بعد الموت (وظللنا عليكم الغمام) جعلنا الغمام يظلكم وذلك فى التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون فى ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى (وأنزلنا عليكم المنّ) الترنجبين وكان ينزل عليهم مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع (والسلوى) كان يبعث الله عليهم الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهى السمانى فيذبح الرجل منها ما يكفيه وقلنا لهم (كلوا من طيبات) لذيذات أو حلالات (ما رزقناكم وما ظلمونا) يعنى فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أنفسهم مفعول يظلمون وهو خبر كان (واذ قلنا) لهم بعد ما خرجوا من التيه (ادخلوا هذه القرية) أى بيت المقدس أو أريحاء والقرية المجتمع من قريت لانها تجمع الخلق أمروا بدخولها بعد التيه (فكلوا منها) من طعام القرية وثمارها (حيث شئتم رغدا) واسعا (وادخلوا الباب) باب القرية أو باب القبة التى كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى عليه السلام وانما دخلوا الباب في حياته ودخلوا بيت المقدس بعده (سجدا) حال وهو جمع ساجد أمروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله تعالى

وتواضعا له (وقولوا حطة) فعلة من الحط كالجلسة وهى خبر مبتدأ محذوف أى مسئلتنا حطة أو أمرك حطة والاصل النصب وقد قرئ به بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطى معنى الثبات وقيل أمرنا حطة أى أن نحط فى هذه القرية ونستقر فيها وعن على رضى الله عنه هو بسم الله الرحمن الرحيم وعن عكرمة هو لا إله إلا الله (نغفر لكم خطاياكم) جمع خطيئة وهى الذنب يغفر مدنى تغفر شامى (وسنزيد المحسنين) أى من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا فى زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم) فيه حذف وتقديره فبدل الذين ظلموا بالذى قيل لهم قولا غير الذى قيل لهم فبدل يتعدى الى مفعول واحد بنفسه والى آخر بالباء فالذى مع الباء متروك والذى بغير باء موجود يعنى وضعوا مكان حطة قولا غيرها أى أمروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما أمروا به ولم يمتثلوا أمر الله وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا أى حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا (فانزلنا على الذين ظلموا رجزا) عذابا وفى تكرير الذين ظلموا زيادة فى تقبيح أمرهم وايذان بانزال الرجز عليهم لظلمهم (من السماء) صفة لرجز (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم روى انه مات منهم فى ساعة بالطاعون أربعة وعشرون ألفا وقيل سبعون ألفا (واذ استسقى موسى لقومه) موضع اذ نصب كانه قيل واذكروا اذ استسقى أى استدعى أن يسقى قومه (فقلنا اضرب بعصاك الحجر) عطشوا فى التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روى انه حجر طورى حمله معه وكان مربعا له أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين لكل سبط عين وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا أو للجنس أى اضرب الشئ الذى يقال له الحجر وهذا أظهر فى الحجة وأبين فى القدرة (فانفجرت) الفاء متعلقة بمحذوف أى فضرب فانفجرت أى سالت بكثرة أو فان ضربت فقد انفجرت وهى على هذا فاء فصيحة لا تقع الا فى كلام بليغ (منه اثنتا عشرة عينا) على عدد الاسباط وقرئ بكسر الشين وفتحها وهما لغتان وعينا تمييز (قد علم كل أناس) كل سبط (مشربهم) عينهم التى يشربون منها وقلنا لهم (كلوا) من المن والسلوى (واشربوا) من ماء العيون (من رزق الله) أى الكل مما رزقكم الله (ولا تعثوا فى الارض) لا تفسدوا فيها والعيث أشد الفساد (مفسدين) حال مؤكدة أى لا تتمادوا فى الفساد فى حال فسادكم لانهم كانوا متمادين فيه (واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد) هو ما رزقوا فى التيه من المن والسلوى وانما قالوا على طعام واحد وهما طعامان لانهم أرادوا بالواحد ما لا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها يقال لا يأكل فلان الا طعاما واحدا ويراد بالوحدة نفى التبدل والاختلاف أو أرادوا أنهما ضرب واحد لانهما معا من طعام أهل التلذذ والترف وكانوا من أهل الزراعات فارادوا ما ألفوا من البقول والحبوب وغير ذلك (فادع لنا ربك) سله

وقل له أخرج لنا (يخرج لنا) يظهر لنا ويوجد (مما تنبت الارض من بقلها) هو ما أنبتته الارض من الخضر والمراد به أطايب البقول كالنعناع والكرفس والكراث ونحوهما مما يأكل الناس (وقثائها) يعني الخيار (وفومها) هو الحنطة أو الثوم لقراءة ابن مسعود وثومها (وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى) أقرب منزلة وأدون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار (بالذي هو خير) أرفع وأجل (اهبطوا مصرا) من الامصار أي انحدروا اليه من التيه وبلاد ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ أو مصر فرعون وانما صرفه مع وجود السببين وهما التأنيث والتعريف لارادة البلد أو لسكون وسطه كنوح ولوط وفيهما العجمة والتعريف (فان لكم) فيها (ما سألتم) أي فان الذي سألتم يكون في الامصار لا في التيه (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) أي الهوان والفقر يعني جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة وفقر إما على الحقيقة وإما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة أن تضاعف عليهم الجزية عليهم الذلة حمزة وعلي وكذا كل ما كان قبل الهاء ياء ساكنة وبكسر الهاء والميم أبو عمرو وبكسر الهاء وضم الميم غيرهم (وباؤا بغضب من الله) من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له أي صاروا أحقاء بغضبه وعن الكسائي حقوا (ذلك) اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين) بالهمزة نافع وكذا بابه أي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود شعياء وزكريا ويحيى صلوات الله عليهم والنبي من النبإ لانه يخبر عن الله تعالى فعيل بمعنى مفعل أو بمعنى مفعل أو من نبا أي ارتفع والنبوة المكان المرتفع (بغير الحق) عندهم أيضا فانهم لو أنصفوا لم يذكروا شيأ يستحقون به القتل عندهم في التوراة وهو في محل النصب على الحال من الضمير في يقتلون أي يقتلونهم مبطلين (ذلك) تكرار للاشارة (بما عصوا وكانوا يعتدون) بسبب ارتكابهم أنواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شئ مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز أن يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على أن ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتلهم الانبياء أو ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا (ان الذين آمنوا) بألسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم المنافقون (والذين هادوا) تهودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود (والنصارى) جمع نصران كندمان وندامى يقال رجل نصران وامرأة نصرانة والياء في نصراني للمبالغة كالتي في أحمري سموا نصارى لانهم نصروا المسيح (والصابئين) الخارجين من دين مشهور الى غيره من صبأ اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة وقيل هم يقرؤن الزبور (من آمن بالله واليوم الآخر) من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا (وعمل صالحا

فلهم أجرهم) ثوابهم (عند ربهم) فى الآخرة (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ومحل من آمن الرفع ان جعلته مبتدأ خبره فلهم أجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان والمعطوف عليه فخبران فى الوجه الاول الجملة كما هى وفى الثانى فلهم والفاء لتضمن من معنى الشرط (واذ أخذنا ميثاقكم) بقبول ما فى التوراة (ورفعنا فوقكم الطور) أى الجبل حتى قبلتم وأعطيتم الميثاق وذلك أن موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام فقلع الطور من أصله ورفعه فظله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا ألقى عليكم حتى قبلوا وقلنا لكم (خذوا ما آتيناكم) من الكتاب أى التوراة (بقوة) بجد وعزيمة (واذكروا ما فيه) واحفظوا ما فى الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه (لعلكم تتقون) رجاء منكم ان تكونوا متقين (ثم توليتم) ثم أعرضتم عن الميثاق والوفاء به (من بعد ذلك) من بعد القبول (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) بتأخير العذاب عنكم أو بتوفيقكم للتوبة (لكنتم من الخاسرين) الهالكين فى العذاب (ولقد علمتم) عرفتم فيتعدى الى مفعول واحد (الذين اعتدوا منكم فى السبت) هو مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وقد اعتدوا فيه أى جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك أن الله تعالى نهاهم أن يصيدوا فى السبت ثم ابتلاهم فما كان يبقى حوت فى البحر الا أخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها يوم السبت لا منها من الصيد فكانوا يسدون مشارعها من البحر فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس فى الحياض هو اعتداؤهم (فقلنا لهم كونوا) بتكويننا اياكم (قردة خاسئين) خبر كان أى كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد (فجعلناها) يعنى المسخة (نكالا) عبرة تنكل من اعتبر بها أى تمنعه (لما بين يديها) لما قبلها (وما خلفها) وما بعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت فى كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين (وموعظة للمتقين) الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحى قومهم أو لكل متق سمعها (واذ قال موسى لقومه) أى واذكروا اذ قال موسى وهو معطوف على نعمتى فى قوله اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم كأنه قال اذكروا ذاك واذكروا اذ قال موسى وكذلك هذا فى الظروف التى مضت أى اذكروا نعمتى واذكروا وقت انجائنا اياكم واذكروا وقت فرقنا واذكروا نعمتى واذكروا وقت استسقاء موسى ربه لقومه والظروف التى تأتى الى قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه (ان الله يأمركم أن) أى بأن (تذبحوا بقرة) قال المفسرون أول القصة مؤخر فى التلاوة وهو قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وذلك ان رجلا موسرا اسمه عاميل قتله بنو عمه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤا يطالبون بديته فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبرهم بقاتله (قالوا أتتخذنا هزؤا) أتجعلنا مكان هزء أو أهل هزء أو الهزء نفسه لفرط الاستهزاء هزأ بسكون الزاى والهمزة حمزة وبضمتين والواو حفص وغيرهما بالتثقيل والهمزة

(قال أعوذ بالله) العياذ واللياذ من واد واحد (أن أكون من الجاهلين) لان الهزء في مثل هذا من باب الجهل والسفه وفيه تعريض بهم أى أنتم جاهلون حيث نسبتموني الى الاستهزاء (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) سؤال عن حالها وصفتها لانهم كانوا عالمين بماهيتها لان ماوان كانت سؤالا عن الجنس وكيف عن الوصف ولكن قد تقع ماموقع كيف وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان وماهي خبر ومبتدا (قال انه يقول انها بقرة لا فارض) مسنة وسميت فارضا لانها فرضت سنها أى قطعتها وبلغت آخرها وارتفع فارض لانه صفة لبقرة وقوله (ولا بكر) فتية عطف عليه (عوان) نصف (بين ذلك) بين الفارض والبكر ولم يقل بين ذينك مع ان بين يقتضى شيئين فصاعدا لانه أراد بين هذا المذكور وقد يجرى الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال ابو عبيدة قلت لرؤبة في قوله

فيها خطوط من سواد وبلق * كانه في الجلد توليع البهق

ان أردت الخطوط فقل كانها وان أردت السواد والبلق فقل كانهما فقال أردت كان ذاك (فافعلوا ماتؤمرون) أى تؤمرونه بمعنى تؤمرون به أو أمركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها) موضع مارفع لان معناه الاستفهام تقديره ادع لنا ربك يبين لنا أى شئ لونها (قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) الفقوع أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه يقال في التوكيد أصفر فاقع وهو توكيد لصفراء وليس خبرا عن اللون الا انه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل ولا فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها وفي ذكر اللون فائدة التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهى الصفرة فكانه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده (تسر الناظرين) لحسنها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه عن على رضى الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تعالى تسر الناظرين (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي عليه السلام لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم (ان البقر تشابه علينا) ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا (وانا ان شاء الله لمهتدون) الى البقرة المراد ذبحها أو الى ماخفى علينا من أمر القاتل وان شاء الله اعتراض بين اسم ان وخبرها وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد أى لو لم يقولوا ان شاء الله (قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض) لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعنى لم تذلل للكراب واثارة الارض (ولا تسقى الحرث) ولا هى من النواضح التى يسنى عليها لسقى الحروث ولا الاولى نافية والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير الارض أى تقلبها للزراعة وتسقى الحرث على ان الفعلين صفتان لذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية (مسلمة) عن العيوب وآثار العمل (لا شية فيها) لا لمعة في نقبتها من لون آخر سوى الصفرة فهى صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهى في الاصل مصدر

وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر (قالوا الآن جئت بالحق) أي بحقيقة وصف البقرة وما بقي اشكال في أمرها جئت وبابه بغير همز أبو عمرو (فذبحوها) فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها (وما كادوا يفعلون) لغلاء ثمنها أوخوف الفضيحة في ظهور القاتل روى أنه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم انى استودعتكها لابني حتى يكبروكان برا بوالديه فشبت البقرة وكانت من أحسن البقر وأسمنه فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين سنة وهذا البيان من قبيل تقييد المطلق فكان نسخا والنسخ قبل الفعل جائز وكذا قبل التمكن منه عندنا خلافا للمعتزلة (واذ قتلتم نفسا) بتقدير واذكروا خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم (فادارأتم فيها) فاختلفتم واختصمتم في شأنها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا أي يدفع أو تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فيدفع المطروح عليه الطارح أولان الطارح في نفسه دفع وأصله تدارأتم ثم أرادوا التخفيف فقلبوا التاء دالا لتصير من جنس الدال التي هي فاء الكلمة ليمكن الادغام ثم سكنوا الدال اذ شرط الادغام أن يكون الاول ساكنا وزيدت همزة الوصل لانه لا يمكن الابتداء بالساكن فادارأتم بغير همز أبو عمرو (والله مخرج ما كنتم تكتمون) مظهر لا محالة ما كتمتم من أمر القتل لا يتركه مكتوما وأعمل مخرج على حكاية ما كان مستقبلا في وقت التدارئ وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم و (فقلنا) والضمير في (اضربوه) يرجع الى النفس والتذكير بتأويل الشخص والانسان أو الى القتيل لما دل عليه ما كنتم تكتمون (ببعضها) ببعض البقرة وهو لسانها أو فخذها اليمنى أو عجبها والمعنى فضربوه فحي فحذف ذلك لدلالة (كذلك يحيي الله الموتى) عليه روي انهم لما ضربوه قام باذن الله تعالى وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فأخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك وقوله كذلك يحيي الله الموتى اما أن يكون خطابا للمنكرين في زمن النبي عليه السلام واما أن يكون خطابا للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة (ويريكم آياته) دلائله على انه قادر على كل شيء (لعلكم تعقلون) فتعملون على قضية عقولكم وهي أن من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء جميعها لعدم الاختصاص والحكمة في ذبح البقرة وضربه ببعضها وان قدر على احيائه بلا واسطة التقرب به والاشعار بحسن تقديم القربة على الطلب والتعليم لعباده ترك التشديد في الامور والمسارعة الى امتثال أوامر الله من غير تفتيش وتكثير سؤال وغير ذلك وقيل انما أمروا بذبح البقرة دون غيرها من البهائم لانها أفضل قرابينهم ولعبادتهم العجل فاراد الله تعالى أن يهون معبودهم عندهم وكان ينبغي أن يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الامر بذبحها وأن يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها ولكنه تعالى انما قص قصص بني اسرائيل تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها وهاتان القصتان وان كانتا متصلتين فتستقل كل واحدة منهما

بنوع

بنوع من التقريع فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال ومايتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وماتبعه من الآية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لوعمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب المراد فى تثنية التقريع ولقد روعيت نكتته بعدما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها ان وصلت بالاولى بضمير البقرة لا باسمها الصريح فى قوله اضربوه ببعضها ليعلم انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وقصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة وقيل هذه القصة تشير الى أن من أراد احياء قلبه بالمشاهدات فليمت نفسه بانواع المجاهدات ومعنى (ثم قست قلوبكم) استبعاد القسوة (من بعد) ماذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها وصفة القلوب بالقسوة مثل لنبوها عن الاعتبار والاتعاظ من بعد (ذلك) اشارة الى احياء القتيل أوالى جميع ماتقدم من الآيات المعدودة (فهى كالحجارة) فهى فى قسوتها مثل الحجارة (أوأشد قسوة) منها وأشد معطوف على الكاف تقديره أومثل أشد قسوة فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه أوهى فى أنفسها أشد قسوة يعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بجوهر أقسى منها وهوالحديد مثلا أومن عرفها شبهها بالحجارة أوقال هى أقسى من الحجارة وانما لم يقل أقسى لكونه أبين وأدل على فرط القسوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالباس كقولك زيد كريم وعمرو أكرم (وان من الحجارة) بيان لزيادة قسوة قلوبهم على الحجارة (لما يتفجر منه الانهار) ما بمعنى الذى فى موضع النصب وهواسم ان واللام للتوكيد والتفجر التفتح بالسعة والكثرة (وان منها لما يشقق) أصله يتشقق وبه قرأ الاعمش فقلبت التاء شينا وأدغمت (فيخرج منه الماء) يعنى ان من الحجارة مافيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير ومنها ماينشق انشقاقا بالطول أوبالعرض فينبع منه الماء أيضا وقلوبهم لاتندى (وان منها لما يهبط) يتردى من أعلى الجبل (من خشية الله) قيل هو مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لاتمتنع على مايريد فيها وقلوب هؤلاء لاتنقاد ولاتفعل ماأمرت به وقيل المراد به حقيقة الخشية على معنى انه يخلق فيها الحياة والتمييز وليس شرط خلق الحياة والتمييز فى الجسم ان يكون على بنية مخصوصة عند أهل السنة وعلى هذا قوله لوأنزلنا هذا القرآن على جبل الآية يعنى وقلوبهم لاتخشى (وما الله بغافل عما تعملون) وبالياء مكى وهو وعيد (أفتطمعون) الخطاب لرسول الله والمؤمنين (أن يؤمنوا لكم) أن يؤمنوا لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله تعالى فآمن له لوط يعنى اليهود (وقد كان فريق منهم) طائفة فيمن سلف منهم (يسمعون كلام الله) أى التوراة (ثم يحرفونه) كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية الرجم (من بعد ماعقلوه) من بعد مافهموه وضبطوه بعقولهم (وهم يعلمون) أنهم كاذبون مفترون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة فى ذلك (واذا لقوا) أى المنافقون أو اليهود (الذين آمنوا) أى المخلصين من أصحاب محمد عليه السلام (قالوا) أى المنافقون (آمنا) بأنكم على الحق وأن محمدا هو الرسول المبشر به (واذا خلا بعضهم) الذين لم ينافقوا

(الى بعض) الى الذين نافقوا (قالوا) عاتبين عليهم (أتحدثونهم) أتخبرون أصحاب محمد عليه السلام (بما فتح الله عليكم) بما بين الله لكم فى التوراة من صفة محمد عليه السلام (ليحاجوكم به عند ربكم) ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم فى كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو فى كتابكم هكذا محاجة عند الله ألا تراك تقول هو فى كتاب الله تعالى هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد وقيل هذا على اضمار المضاف أى عند كتاب ربكم وقيل ليجادلوكم ويخاصموكم به بما قلتم لهم عند ربكم فى الآخرة يقولون كفرتم به بعد ان وقفتم على صدقه (أفلا تعقلون) ان هذه حجة عليكم حيث تعترفون به ثم لا تتابعونه (أولا يعلمون أن الله يعلم) جميع (ما يسرون وما يعلنون) ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان (ومنهم) ومن اليهود (أميون) لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها (لا يعلمون الكتاب) التوراة (الا أمانى) الا ما هم عليه من أمانيهم وأن الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا تمسهم النار الا أياما معدودة أو الا أكاذيب مختلفة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد ومنه قول عثمان رضى الله عنه ما تمنيت منذ أسلمت أو الا ما يقرؤن من قوله

تمنى كتاب الله أول ليلة * وآخرها لاقى حمام المقادر

أى لا يعلمون هؤلاء حقيقة المنزل وانما يقرؤن أشياء أخذوها من أحبارهم والاستثناء منقطع (وان هم) وما هم (الا يظنون) لا يدرون ما فيه فيجحدون نبوتك بالظن ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم ثم العوام الذين قلدوهم (فويل) فى الحديث ويل وادفى جهنم (للذين يكتبون الكتاب) المحرف (بأيديهم) من تلقاء أنفسهم من غير أن يكون منزلا وذكر الايدى للتأكيد وهو من مجاز التأكيد (ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا) عوضا يسيرا (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) من الرشا (وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة) أربعين يوما عدد أيام عبادة العجل وعن مجاهد رضى الله عنه كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل ألف سنة يوما (قل أتخذتم عند الله عهدا) أى عهد اليكم أنه لا يعذبكم الا هذا المقدار (فلن يخلف الله عهده) متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده (أم تقولون على الله ما لا تعلمون) أم اما ان تكون معادلة أى أتقولون على الله ما تعلمون أم تقولون عليه ما لا تعلمون أو منقطعة أى بل أتقولون على الله ما لا تعلمون (بلى) اثبات لما بعد النفى وهو لن تمسنا النار أى بلى تمسكم أبدا بدليل قوله هم فيها خالدون (من كسب سيئة) شركا عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما رضى الله عنهم (وأحاطت به خطيئته) وسدت عليه مسالك النجاة بأن مات على شركه فأما اذا مات مؤمنا فأعظم الطاعات وهو الايمان معه فلا يكون الذنب محيطا به فلا يتناوله النص وبهذا التأويل يبطل تشبث المعتزلة والخوارج وقيل استولت عليه كما يحيط العدو ولم ينفص عنها بالتوبة خطياته مدنى (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم

فيها

فيها خالدون واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل) الميثاق العهد المؤكد غاية التأكيد (لاتعبدون الا الله) اخبار في معنى النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو أبلغ من صريح الامر والنهي لانه كانه سورع الى الامتثال والانتهاء وهو يخبر عنه وتنصره قراءة أبي "لاتعبدوا" وقوله وقولوا والقول مضمر لايعبدون مكي وحمزة وعلي لان بني اسرائيل اسم ظاهر والاسماء الظاهرة كلها غيب ومعناه أن لايعبدوا فلما حذفت ان رفع (وبالوالدين احسانا) أي وأحسنوا اليهما ثم عطف الامر وهو قوله وقولوا عليه (وذي القربى) القرابة (واليتامى) جمع يتيم وهو الذي فقد أباه قبل الحلم الى الحلم لقوله عليه السلام لايتم بعد البلوغ (والمساكين) جمع مسكين وهو الذي أسكنته الحاجة (وقولوا للناس حسنا) قولا هو حسن في نفسه لافراط حسنه حسنا حمزة وعلي (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم) عن الميثاق ورفضتموه (الا قليلا منكم) قيل هم الذين أسلموا منهم (وأنتم معرضون) وأنتم قوم عادتكم الاعراض والتولية عن المواثيق (واذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ولاتخرجون أنفسكم من دياركم) أي لايفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به أصلا أو دينا وقيل اذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لانه يقتص منه (ثم أقررتم) بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه (وأنتم تشهدون) عليها كما تقول فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها أو وأنتم تشهدون اليوم يامعشر اليهود على اقرار أسلافكم بهذا الميثاق (ثم أنتم هؤلاء) استبعاد لما أسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم أنتم مبتدأ وهؤلاء بمعنى الذين (تقتلون أنفسكم) صلة هؤلاء وهؤلاء مع صلته خبر أنتم (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) غير مراقبين ميثاق الله (تظاهرون عليهم) بالتخفيف كوفي أي تتعاونون وبالتشديد غيرهم فمن خفف فقد حذف احدى التاءين ثم قيل هي الثانية لان الثقل بها وقيل الاولى ومن شدد قلب التاء الثانية ظاء وأدغم (بالاثم والعدوان) بالمعصية والظلم (وان يأتوكم أسارى تفادوهم) تفدوهم أبو عمرو وأسرى تفدوهم مكي وشامي أسرى تفدوهم حمزة أسارى تفادوهم علي فدى وفادى بمعنى وأسارى حال وهو جمع أسير وكذلك أسرى والضمير في (وهو محرم عليكم) للشان أو هو ضمير مبهم تفسيره (اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب) بفداء الاسرى (وتكفرون ببعض) بالقتال والاجلاء قال السدي أخذ الله عليهم أربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهرة وفداء الاسير فأعرضوا عن كل ما أمروا به الا الفداء (فما جزاء من يفعل ذلك) هو اشارة الى الايمان ببعض والكفر ببعض (منكم الا خزي) فضيحة وهوان (في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب) وهو الذي لا روح فيه ولا فرج أو الى أشد من عذاب الدنيا (وما الله بغافل عما تعملون) بالياء مكي ونافع وأبو بكر (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) اختاروها على الآخرة اختيار المشتري (فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون) ولاينصرهم أحد بالدفع عنهم (ولقد

آتينا موسى الكتاب) التوراة أتاه جملة (وقفينا من بعده بالرسل) يقال قفاه اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به اذا أتبعه اياه يعني وأرسلنا على أثره الكثير من الرسل وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعياء وأرمياء وعزير وحزقيل وإلياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم (وآتينا عيسى بن مريم البينات) هي بمعنى الخادم ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا لم يثبت في الابنية البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات (وأيدناه بروح القدس) أي الطهارة وبالسكون حيث كان مكي أي بالروح المقدسة كما يقال حاتم الجود ووصفها بالقدس للاختصاص والتقريب أو بجبريل عليه السلام لانه يأتي بما فيه حياة القلوب وذلك لانه رفعه الى السماء حين قصد اليهود قتله أو بالانجيل كما قال في القرآن روحا من أمرنا أو باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره (أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى) تحب (أنفسكم استكبرتم) تعظمتم عن قبوله (ففريقا كذبتم) كعيسى ومحمد عليهما السلام (وفريقا تقتلون) كزكريا ويحيي عليهما السلام ولم يقل قتلتم لوفاق الفواصل ولان المراد وفريقا تقتلونه بعد لانكم تحومون حول قتل محمد عليه السلام لولا اني أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة والمعنى ولقد آتينا يابني اسرائيل أنبياء كم ما آتيناهم فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الايمان به فوسط بين الفاء وماتعلقت به همزة التوبيخ والتعجب من شأنهم (وقالوا قلوبنا غلف) جمع أغلف أي هي خلقة مغشاة بأغطية لا يتوصل اليها ماجاء به محمد عليه السلام ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن (بل لعنهم الله بكفرهم) فرد الله أن تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق وانما طردهم بكفرهم وزيغهم (فقليلا ما يؤمنون) فقليلا صفة مصدر محذوف أي فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف وقرئ به جمع غلاف أي قلوبنا أوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره أو أوعية للعلوم فلو كان ماجئت به حقا لقبلنا (ولما جاءهم) أي اليهود (كتاب من عند الله) أي القرآن (مصدق لما معهم) من كتابهم لا يخالفه (وكانوا من قبل) يعني القرآن (يستفتحون على الذين كفروا) يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة ويقولون لاعدائهم المشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ماقلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم (فلما جاءهم ما عرفوا) ما موصولة أي ما عرفوه وهو فاعل جاء (كفروا به) بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة (فلعنة الله على الكافرين) أي عليهم وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد أو للجنس ودخلوا فيه دخولا أوليا وجواب لما الاولى مضمر وهو نحو كذبوا به أو أنكروه أو كفروا بجواب الاولى والثانية لان مقتضاهما واحد وما في (بئس ما) نكرة موصوفة مفسرة لفاعل

بئس أي بئس شيأ (اشتروا به أنفسهم) أي باعوه والمخصوص بالذم (أن يكفروا بما أنزل الله) يعني القرآن (بغيا) مفعول له أي حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا (أن ينزل الله) لان ينزل أو على أن ينزل أي حسدوه على أن ينزل الله (من فضله) الذى هو الوحي (على من يشاء من عباده) وهو محمد عليه السلام (فباؤا بغضب على غضب) فصاروا أحقاء بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق و بغوا عليه أو كفروا بمحمد بعد عيسى عليهما السلام أو بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك (وللكافرين عذاب مهين) مذل بئسما و بابه غير مهموز أبو عمرو و ينزل بالتخفيف مكي و بصري (واذا قيل لهم) لهؤلاء اليهود (آمنوا بما أنزل الله) يعني القرآن أو هو مطلق يتناول كل كتاب (قالوا نؤمن بما أنزل علينا) أي التوراة (ويكفرون بما وراءه) أي قالوا ذلك والحال أنهم يكفرون بما وراء التوراة (وهو الحق مصدقا لما معهم) غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ومصدقا حال مؤكدة (قل فلم تقتلون انبياء الله) أي فلم قتلتم فوضع المستقبل موضع الماضي ويدل عليه قوله (من قبل ان كنتم مؤمنين) أي من قبل محمد عليه السلام اعتراض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الانبياء قيل قتلوا في يوم واحد ثلثمائة نبي في بيت المقدس (ولقد جاءكم موسى بالبينات) بالآيات التسع وأدغم الدال في الجيم حيث كان أبو عمرو وحمزة وعلي (ثم اتخذتم العجل) إلها (من بعده) من بعد خروج موسى عليه السلام الى الطور (وأنتم ظالمون) هو حال أي عبدتم العجل وأنتم واضعون العبادة غير موضعها أو اعتراض أي وأنتم قوم عادتكم الظلم (واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة) كرر ذكر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى (واسمعوا) ما أمرتم به في التوراة (قالوا سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك وطابق قوله جوابهم من حيث أنه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة (وأشربوا في قلوبهم العجل) أي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب والمضاف وهو الحب محذوف (بكفرهم) بسبب كفرهم واعتقادهم التشبيه (قل بئسما يأمركم به إيمانكم) بالتوراة لانه ليس في التوراة عبادة العجل واضافة الامر الى إيمانهم تهكم وكذا إضافة الايمان اليهم (ان كنتم مؤمنين) تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم له (قل ان كانت لكم الدار الآخرة) أي الجنة (عند الله) ظرف ولكم خبر كان (خالصة) حال من الدار الآخرة أي سالمة لكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا (من دون الناس) هو للجنس (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) فيما تقولون لان من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق اليها تخلصا من الدار ذات الشوائب كما نقل عن العشرة المبشرين بالجنة ان كل واحد منهم يحب الموت ويحن اليه (ولن يتمنوه أبدا) هو نصب على الظرف أي لن يتمنوه ما عاشوا (بما قدمت أيديهم) بما أسلفوا

من الكفر بمحمد عليه السلام وتحريف كتاب الله وغير ذلك وهو من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما أخبر به كقوله وان تفعلوا ولو تمنوه لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث (والله عليم بالظالمين) تهديد لهم (ولتجدنهم أحرص الناس) مفعولا وجد هم وأحرص (على حيوة) التنكير يدل على أن المراد حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة ولذا كانت القراءة بها أوقع من قراءة أبي على الحياة (ومن الذين أشركوا) هو محمول على المعنى لان معنى أحرص الناس أحرص من الناس نعم قد دخل الذين أشركوا تحت الناس ولكنهم أفردوا بالذكر لان حرصهم شديد كما أن جبريل وميكائيل خصا بالذكر وان دخلا تحت الملائكة أو أريد وأحرص من الذين أشركوا فحذف لدلالة أحرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ وانما زاد حرصهم على الذين اشركوا لانهم علموا انهم صائرون الى النار لعلمهم بحالهم والمشركون لا يعلمون ذلك وقوله (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف وقيل أراد بالذين أشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش ألف نيروز وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو قول الاعاجم زى هزار سال وقيل ومن الذين أشركوا كلام مبتدأ أي ومنهم ناس يود أحدهم على حذف الموصوف والذين أشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير في (وما هو بمزحزحه من العذاب) لاحدهم وقوله (أن يعمر) فاعل بمزحزحه أي وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره ويجوز أن يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والانحاء قال في جامع العلوم وغيره لو يعمر بمعنى ان يعمر فلو هنا نائبة عن ان وان مع الفعل في تأويل المصدر وهو مفعول يود أي يود أحدهم تعمير ألف سنة (والله بصير بما يعملون) أي بعمل هؤلاء الكفار فيجازيهم عليه وبالتاء يعقوب (قل من كان عدوا لجبريل) بفتح الجيم وكسر الراء بلا همز مكي وبفتح الراء والجيم والهمز مشبعا كوفي غير حفص وبكسر الراء والجيم بلا همز غيرهم ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة ومعناه عبد الله لان جبر هو العبد بالسريانية وايل اسم الله روى ان ابن صوريا من أحبار اليهود حاج النبي صلى الله عليه وسلم وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا وأشدها انه أنزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم أمره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى أي ذنب تقتلونه (فانه نزله) فان جبريل نزل القرآن ونحو هذا الاضمار أعني اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة حيث يجعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته (على قلبك) أي حفظه اياك وخص القلب لانه محل الحفظ كقوله نزل به الروح الامين على قلبك وكان حق الكلام أن يقال على قلبي ولكن جاء على حكاية كلام الله

كما

كان ـ كلم به وانما استقام أن يقع فانه نزله جزاء للشرط لان تقديره ان عادى جبريل أحد من أهل الـكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا لـكتب بين يديه فلو أنصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم وقيل جواب الشرط محذوف تقديره من كان عدوا لجبريل فليمت غيظا فانه نزل الوحي على قلبك (باذن الله) بامره (مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين) رد على اليهود حين قالوا ان جبريل ينزل بالحرب والشدة فقيل فانه ينزل بالهدى والبشرى أيضا (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) بصري وحفص وميكائل باختلاس الهمزة كميكاعل مدني وميكائيل بالمد وكسر الهمزة مشبعة غيرهم وخص الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر اذ التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات (فان الله عدو للكافرين) أى لهم فجاء بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة كفر كعداوة الانبياء ومن عاداهم عاداه الله (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون) المتمردون من الكفرة واللام للجنس والاحسن أن تكون اشارة الى أهل الكتاب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماجئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك بها فنزلت الواو في (أوكلما) للعطف على محذوف تقديره أكفروا بالآيات البينات وكلما (عاهدوا عهدا نبذه) نقضه ورفضه وقال (فريق منهم) لان منهم من لم ينقض (بل أكثرهم لا يؤمنون) بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به (ولما جاءهم رسول من عند الله) محمد صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب) أى التوراة والذين أوتوا الكتاب اليهود (كتاب الله) يعني التوراة لانهم بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها أو كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول (وراء ظهورهم) مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهور استغناء عنه وقلة التفات اليه (كانهم لا يعلمون) انه كتاب الله (واتبعوا ما تتلوا الشياطين) أى نبذ اليهود كتاب الله واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها (على ملك سليمان) أى على عهد ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤنها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه سخر الجن والانس والريح (وما كفر سليمان) تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به (ولكن الشياطين) هم الذين (كفروا) باستعمال السحر وتدوينه ولكن بالتخفيف الشياطين بالرفع شامي وحمزة وعلى (يعلمون الناس السحر) في موضع الحال أى كفروا معلمين الناس السحر قاصدين به اغواءهم واضلالهم (وما أنزل على الملكين) الجمهور على ان ما بمعنى الذي وهو نصب عطف

على السحر أى ويعلمونهم ما أنزل على الملكين أو على ما تتلوا أى واتبعوا ما أنزل على الملكين
(ببابل هاروت وماروت) علمان لهما وهما عطف بيان للملكين والذى أنزل عليهما هو علم
السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ان كان فيه رد مالزم فى شرط
الايمان ومن تجنبه أو تعلمه لئلا يعمل به ولكن ليتوقاه لئلا يغتر به كان مؤمنا قال الشيخ أبو
منصور الماتريدى رحمه الله القول بان السحر على الاطلاق كفر خطأ بل يجب البحث عن
حقيقته فان كان فى ذلك رد مالزم فى شرط الايمان فهو كفر والا فلا ثم السحر الذى هو كفر
يقتل عليه الذكور لا الاناث وما ليس بكفر وفيه اهلاك النفس ففيه حكم قطاع الطريق
ويستوى فيه المذكر والمؤنث وتقبل توبته اذا تاب ومن قال لا تقبل فقد غلط فان سحرة
فرعون قبلت توبتهم وقيل أنزل أى قذف فى قلوبهما مع النهى عن العمل قيل انهما ملكان
اختارتهما الملائكة لتركب فيهما الشهوة حين عيرت بنى آدم فكانا يحكمان فى الارض
ويصعدان بالليل فهويا زهرة فحملتهما على شرب الخمر فزنيا فرآهما انسان فقتلاه فاختارا
عذاب الدنيا على عذاب الآخرة فهما يعذبان منكوسين فى جب ببابل وسميت ببابل
لتبلبل الالسن بها (وما يعلمان من أحد) وما يعلم الملكان أحدا (حتى يقولا) حتى ينبهاه
وينصحاه ويقولا له (انما نحن فتنة) ابتلاء واختبار من الله (فلا تكفر) بتعلمه والعمل به
على وجه يكون كفرا (فيتعلمون منهما) الفاء عطف على قوله يعلمون الناس السحر أى
يعلمونهم فيتعلمون من السحر والكفر اللذين دل عليهما قوله كفروا ويعلمون الناس
السحر أو على مضمر والتقدير فيأتون فيتعلمون والضمير لما دل عليه من أحد أى فيتعلم
الناس من الملكين (ما يفرقون به بين المرء وزوجه) أى علم السحر الذى يكون سببا فى
التفريق بين الزوجين بان يحدث الله عنده النشوز والخلاف ابتلاء منه وللسحر حقيقة عند
أهل السنة كثرهم الله وعند المعتزلة هو تخييل وتمويه (وما هم بضارين به) بالسحر (من أحد
الا باذن الله) بعلمه ومشيئته (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) فى الآخرة وفيه دليل على
انه واجب الاجتناب كتعلم الفلسفة التى تجر الى الغواية (ولقد علموا) أى اليهود (لمن اشتراه)
أى استبدل ما تتلو الشياطين على كتاب الله (ماله فى الآخرة من خلاق) من نصيب
(ولبئس ما شروا به أنفسهم) باعوها وانما نفى العلم عنهم بقوله (لو كانوا يعلمون) مع اثباته لهم
بقوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمى لان معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم
يعملوا به كانهم لا يعلمون (ولو أنهم آمنوا) برسول الله والقرآن (واتقوا) الله فتركوا ما هم
عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين (لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون) أن
ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لما تركوا العمل بالعلم والمعنى لاثيبوا من
عند الله ما هو خير وأوثرت الجملة الاسمية على الفعلية فى جواب لو لما فيها من الدلالة على
ثبات المثوبة واستقرارها ولم يقل لمثوبة الله خير لان المعنى لشئ من الثواب خير لهم وقيل
لو بمعنى التمنى كانه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدأ لمثوبة من عند الله خير (ياأيها الذين آمنوا لا تقولوا

راعنا وقولوا انظرنا) كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ألقى عليهم شيأ من العلم راعنا يارسول الله أى راقبنا وانتظرنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية أوسريانية وهى راعنا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهى المؤمنون عنها وأمروا بما هو فى معناها وهو انظرنا من نظره اذا انتظره (واسمعوا) وأحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقى عليكم من المسائل بآذان واعية وأذهان حاضرة حتى لاتحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة أو واسمعوا سماع قبول أوطاعة ولا يكون سماعكم كسماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا (وللكافرين) ولليهود الذين سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم (عذاب أليم) مؤلم (مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم) وبالتخفيف مكى وأبو عمرو (من خير من ربكم) من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان أهل الكتاب والمشركون والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحى وكذلك الرحمة (والله يختص برحمته من يشاء) يعنى أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى اليهم فيحسدونكم ومايحبون أن ينزل عليكم شئ من الوحى والله يختص بالنبوة من يشاء (والله ذو الفضل العظيم) فيه اشعار بأن ابتاء النبوة من الفضل العظيم ولما طعنوا فى النسخ فقالوا ألاترون الى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا نزل (ماننسخ من آية أوننسها) تفسير النسخ لغة التبديل وشريعة بيان انتهاء الحكم الشرعى المطلق الذى تقرر فى أوهامنا استمراره بطريق التراخى فكان تبديلا فى حقنا بيانا محضا فى حق صاحب الشرع وفيه جواب عن البداء الذى يدعيه منكروه أعنى اليهود ومحله حكم يحتمل الوجود والعدم فى نفسه لم يلحق به ماينافى النسخ من توقيت أوتأبيد ثبت نصا أودلالة وشرطه التمكن من عقد القلب عندنا دون التمكن من الفعل خلافا للمعتزلة وانما يجوز النسخ بالكتاب والسنة متفقا ومختلفا ويجوز نسخ التلاوة والحكم والحكم دون التلاوة والتلاوة دون الحكم ونسخ وصف بالحكم مثل الزيادة على النص فانه نسخ عندنا خلافا للشافعى رحمه الله والانساء أن يذهب بحفظها عن القلوب أوننسأها مكى وأبو عمرو أى نؤخرها من نسأت أى أخرت (نأت بخير منها) أى نأت بآية خير منها للعباد أى بآية العمل بها أكثر للثواب (أومثلها) فى ذلك اذلا فضيلة لبعض الآيات على البعض (ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير) أى قادر فهو يقدر على الخير وعلى مثله (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) فهو يملك أموركم ويدبرها وهو أعلم بما يتعبدكم به من ناسخ أومنسوخ (وما لكم من دون الله من ولى) يلى أمركم (ولا نصير) ناصر يمنعكم من العذاب (أم تريدون) أم منقطعة وتقديره بل أتريدون (أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) روى أن قريشا قالوا يامحمد اجعل لنا الصفا ذهبا ووسع لنا أرض مكة فنهوا أن يقترحوا عليه الآيات

كما اقترح قوم موسى عليه حين قالوا اجعل لنا إلها (ومن يتبدل الكفر بالايمان) ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها (فقد ضل سواء السبيل) قصده ووسطه (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم) أي يردوكم (من بعد ايمانكم كفارا) حال من كم أي يردونكم عن دينكم كافرين نزلت حين قالت اليهود للمسلمين بعد وقعة أحد ألم تروا الى ما أصابكم ولو كنتم على الحق لما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم (حسدا) مفعول له أي لاجل الحسد وهو الاسف على الخير عند الغير (من عند أنفسهم) يتعلق بود أي ودوا من عند أنفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك (من بعد ما تبين لهم الحق) أي من بعد علمهم بأنكم على الحق أو بحسدا أي حسدا متبالغا منبعثا من أصل نفوسهم (فاعفوا واصفحوا) فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة (حتى يأتي الله بأمره) بالقتال (ان الله على كل شيء قدير) فهو يقدر على الانتقام منهم (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير) من حسنة صلاة أو صدقة أو غيرهما (تجدوه عند الله) تجدوا ثوابه عنده (ان الله بما تعملون بصير) فلا يضيع عنده عمل عامل والضمير في (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى) لاهل الكتاب من اليهود والنصارى اى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد الى كل فريق قوله وأمنا من الالباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما صاحبه ألا ترى الى قوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهود جمع هائد كعائذ وعوذ ووحد اسم كان للفظ من وجمع الخبر لمعناه (تلك أمانيهم) أشير بها الى الامانى المذكورة وهي أمنيتهم أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأمنيتهم أن يردوهم كفارا وأمنيتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم أي تلك الامانى الباطلة أمانيهم والامنية أفعولة من التمني مثل الاضحوكة (قل هاتوا برهانكم) هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة وهات بمنزلة هاء بمعنى أحضر وهو متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وتلك أمانيهم اعتراض (ان كنتم صادقين) في دعواكم (بلى) اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة (من أسلم وجهه لله) من أخلص نفسه له لا يشرك به غيره (وهو محسن) مصدق بالقرآن (فله أجره) جواب من أسلم وهو كلام مبتدأ متضمن لمعنى الشرط وبلى رد لقولهم (عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) أي على شيء يصح ويعتد به والواو في (وهم يتلون الكتاب) للحال والكتاب للجنس أي قالوا ذلك وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة والانجيل وآمن به أن لا يكفر بالباقي لان كل واحد من الكتابين مصدق للآخر (كذلك) مثل ذلك القول الذي سمعت به

(قال)

(قال الذين لا يعلمون مثل قولهم) أي الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام
والمعطلة قالوا لاهل كل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع
علمهم في سلك من لا يعلم (فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) أي بين
اليهود والنصارى بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب اللائق به (ومن أظلم ممن منع
مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) موضع من رفع على الابتداء وهو استفهام وأظلم خبره
والمعنى أي أحد أظلم وان يذكر ثاني مفعولي منع لانك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا
أن نرسل بالآيات وما منع الناس أن يؤمنوا ويجوز أن يحذف حرف الجر مع ان أي من
أن يذكر وان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد
الله وان مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه طرح النصارى في بيت المقدس
الاذى ومنعهم الناس أن يصلوا فيه أو منع المشركين رسول الله أن يدخل المسجد الحرام
عام الحديبية وانما قيل مساجد الله وكان المنع على مسجد واحد وهو بيت المقدس أو
المسجد الحرام لان الحكم ورد عاما وان كان السبب خاصا كقوله تعالى ويل لكل همزة
والمنزول فيه الاخنس بن شريق (وسعى في خرابها) بانقطاع الذكر والمراد بمن العموم
كما أريد العموم بمساجد الله (أولئك) المانعون (ما كان لهم أن يدخلوها) أي ما كان
ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله (الا خائفين) حال من الضمير في يدخلوها أي على حال
التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا أن يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا
المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم روي أنه لا يدخل
بيت المقدس أحد من النصارى الا متنكرا خيفة أن يقتل وقال قتادة لا يوجد نصراني في
بيت المقدس الا بولغ ضربا ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لا يحجن بعد هذا العام
مشرك وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله تعالى وما
كان لكم أن تؤذوا رسول الله (لهم في الدنيا خزي) قتل وسبي للحربي وذلة بضرب
الجزية للذمي (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) أي النار (ولله المشرق والمغرب) أي بلاد
المشرق والمغرب كلها له وهو مالكها ومتوليها (فأينما) شرط (تولوا) مجزوم به أي ففي أي مكان
فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد
الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره والجواب (فثم وجه الله) أي جهته التي أمر بها ورضيها
والمعنى انكم اذا منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام أو في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض
مسجدا فصلوا في أي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة في كل مكان
(ان الله واسع عليم) أي هو واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده وهو عليم بمصالحهم وعن ابن
عمر رضي الله عنهما نزلت في صلاة المسافر على الراحلة أينما توجهت وقيل عميت القبلة على قوم
فصلوا الى انحاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا وهو حجة على الشافعي رحمه الله فيما
اذا استدبر وقيل فأينما تولوا للدعاء والذكر (وقالوا اتخذ الله ولدا) يريد الذين قالوا المسيح ابن

الله وعزير ابن الله قالوا شامي فاثبات الواو باعتبار أنه قصة معطوفة على ما قبلها وحذفه باعتبار أنه استئناف قصة أخرى (سبحانه) تنزيه له عن ذلك وتبعيد (بل له ما في السموات والارض) أي هو خالقه ومالكه ومن جملته المسيح وعزير والولادة تنافي الملك (كل له قانتون) منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره والتنوين في كل عوض عن المضاف اليه أي كل ما في السموات والارض أو كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما أضافوا اليهم وجاء بما الذي لغير أولي العلم مع قوله قانتون كقوله سبحان ما سخركن لنا (بديع السموات والارض) أي مخترعهما ومبدعهما لا على مثال سبق وكل من فعل ما لم يسبق اليه يقال له أبدعت ولهذا قيل لمن خالف السنة والجماعة مبتدع لانه يأتي في دين الاسلام ما لم يسبقه اليه الصحابة والتابعون رضي الله عنهم (واذا قضى أمرا) أي حكم أو قدر (فانما يقول له كن فيكون) هو من كان التامة أي احدث فيحدث وهذا مجاز عن سرعة التكوين وتمثيل ولا قول ثم وانما المعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون و يدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما أن المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل ولا يكون منه اباء وأكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت صفاته مباينة لصفات الاجسام فانى يتصور التوالد ثم والوجه الرفع في فيكون وهو قراءة العامة على الاستئناف أي فهو يكون أو على العطف على يقول ونصبه ابن عامر على لفظ كن لانه أمر وجواب الامر بالفاء نصب وقلنا ان كن ليس بامر حقيقة اذ لا فرق بين أن يقال واذا قضى أمرا فانما يكونه فيكون و بين أن يقال فانما يقول له كن فيكون واذا كان كذلك فلا معنى للنصب وهذا لانه لو كان أمرا فاما أن يخاطب به الموجود والموجود لا يخاطب بكن أو المعدوم والمعدوم لا يخاطب (وقال الذين لا يعلمون) من المشركين أو من أهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به (لولا يكلمنا الله) هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا (أو تأتينا آية) جحودا لان يكون ما أتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم) أي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى (قد بينا الآيات لقوم يوقنون) أي لقوم ينصفون فيوقنون انها آيات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها (انا أرسلناك بالحق بشيرا) للمؤمنين بالثواب (ونذيرا) للكافرين بالعقاب (ولا تسئل عن أصحاب الجحيم) ولا نسألك عنهم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت و بلغت جهدك في دعوتهم وهو حال كنذيرا و بشيرا و بالحق أي وغير مسؤل أو مستأنف قراءة نافع ولا تسئل على النهي ومعناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه وقيل نهى الله نبيه عن السؤال عن أحوال الكفرة حين قال ليت شعري ما فعل أبواي (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) كأنهم قالوا لن نرضى عنك وان أبلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله عن دخولهم في الاسلام فذكر الله عزوجل كلامهم

(قل ان هدى الله) الذى رضى لعباده (هو الهدى) أى الاسلام وهو الهدى كله ليس وراءه هدى والذى تدعون الى اتباعه ماهو هدى انما هو هوى ألا ترى الى قوله (ولئن اتبعت أهواءهم) أى أقوالهم التى هى أهواء و بدع (بعد الذى جاءك من العلم) أى من العلم بان دين الله هو الاسلام أو من الدين المعلوم صحته بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة (مالك من الله) من عذاب الله (من ولى ولا نصير) ناصر (الذين) مبتدأ (آتيناهم الكتاب) صلته وهم مؤمنو أهل الكتاب وهو التوراة والانجيل أو أصحاب النبى عليه السلام والكتاب القرآن (يتلونه) حال مقدرة من هم لانهم لم يكونوا تالين له وقت ايتائه ونصب على المصدر (حق تلاوته) أى يقرؤنه حق قراءته فى الترتيل وأداء الحروف والتدبر والتفكر أو يعملون به و يؤمنون بما فى مضمونه ولا يغيرون مافيه من نعت النبى صلى الله عليه وسلم (أولئك) مبتدأ خبره (يؤمنون به) والجملة خبر الذين و يجوز أن يكون يتلونه خبرا والجملة خبر آخر (ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون) حيث اشتروا الضلالة بالهدى (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) أى أنعمتها عليكم (وأنى فضلتكم على العالمين) وتفضيلى اياكم على عالمى زمانكم (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) هم رفع بالابتداء والخبر ينصرون والجمل الاربع وصف ليوما أى واتقوا يوما لا تجزى فيه ولا يقبل فيه ولا تنفعها فيه ولا هم ينصرون فيه وتكرير هاتين الآيتين لتكرار المعاصى منهم وختم قصة بنى اسرائيل بما بدأ به (واذ) أى واذكر اذ (ابتلى ابراهيم ربه بكلمات) اختبره باوامر ونواه والاختبار منا لظهور مالم نعلم ومن الله لاظهار ما قد علم وعاقبة الابتلاء ظهور الامر الخفى فى الشاهد والغائب جميعا فلذا تجوز اضافته الى الله تعالى وقيل اختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الامرين ما يريد الله تعالى وما يشتهيه العبد كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه ابراهيم ربه برفع ابراهيم وهى قراءة ابن عباس رضى الله عنهما أى دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن أم لا (فأتمهن) أى قام بهن حق القيام وأداهن أحسن التأدية من غير تفريط وتوان ونحوه وابراهيم الذى وفى ومعناه فى قراءة أبى حنيفة رحمه الله فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيأ والكلمات على هذا ما سأل ابراهيم ربه فى قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا منهم ربنا تقبل منا والكلمات على القراءة المشهورة خمس فى الرأس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس فى الجسد الختان وتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والاستنجاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى ثلاثون سهما من الشرائع عشر فى براءة التائبون الآية وعشر فى الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الآية وعشر فى المؤمنين والمعارج الى قوله يحافظون وقيل هى مناسك الحج (قال انى جاعلك للناس اماما) هو اسم من يؤتم به أى يأتمون بك فى دينهم (قال ومن ذريتى) أى واجعل من ذريتى اماما يقتدى به ذرية الرجل أولاده ذكورهم واناثهم فيه سواء فعيلة من الذرء أى الخلق فابدلت

الهمزة ياء (قال لا ينال عهدي الظالمين) بسكون الياء حمزة وحفص أي لا تصيب الامامة أهل
الظلم من ولدك أي أهل الكفر أخبر أن امامة المسلمين لا تثبت لاهل الكفر وان من أولاده
المسلمين والكافرين قال الله تعالى وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم
لنفسه مبين والمحسن المؤمن والظالم الكافر قالت المعتزلة هذا دليل على ان الفاسق ليس
باهل للامامة قالوا وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام انما هو لكف الظلمة فاذا نصب
من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم ولكنا نقول المراد بالظالم
الكافر هنا اذ هو الظالم المطلق وقيل انه سأل أن يكون ولده نبيا كما كان هو فاخبر ان الظالم
لا يكون نبيا (واذ جعلنا البيت) أي الكعبة وهو اسم غالب لها كالنجم للثريا (مثابة للناس)
مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه (وأمنا) وموضع أمن فان
الجاني يأوي اليه فلا يتعرض له حتى يخرج وهو دليل لنا في الملتجئ الى الحرم (واتخذوا من
مقام ابراهيم مصلى) وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه وعنه عليه السلام انه أخذ بيد
عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر أفلا نتخذه مصلى فقال عليه السلام لم أومر بذلك فلم تغب
الشمس حتى نزلت وقيل مصلى مدعى ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه أثر قدميه وقيل الحرم كله
مقام ابراهيم واتخذوا شامي ونافع بلفظ الماضي عطفا على جعلنا أي واتخذ الناس من مكان
ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها (وعهدنا الى ابراهيم
واسمعيل) أمرناهما (أن طهرا بيتي) بفتح الياء مدني وحفص أي بان طهرا أو أي طهرا
والمعنى طهراه من الاوثان والخبائث والانجاس كلها (للطائفين) للدائرين حوله (والعاكفين)
المجاورين الذين عكفوا عنده أي أقاموا لا يبرحون أو المعتكفين وقيل للطائفين للنزاع اليه
من البلاد والعاكفين والمقيمين من أهل مكة (والركع السجود) والمصلين جمع راكع وساجد
(واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا) أي اجعل هذا البلد أو هذا المكان (بلدا آمنا) ذا أمن
كعيشة راضية أو آمنا من فيه كقولك ليل نائم فهذا مفعول أول وبلدا مفعول ثان وآمنا صفة له
(وارزق أهله من الثمرات) لانه لم يكن لهم ثمرة ثم أبدل من آمن منهم بالله واليوم الآخر من
أهله بدل البعض من الكل أي وارزق المؤمنين من أهله خاصة قاس الرزق على الامامة
فخص المؤمنين به قال الله تعالى جوابا له (قال ومن كفر) أي وأرزق من كفر (فأمتعه
قليلا) تمتيعا قليلا أو زمانا قليلا الى حين أجله فامتعه شامي (ثم أضطره) ألجئه (الى عذاب النار
وبئس المصير) المرجع الذي يصير اليه النار فالمخصوص بالذم محذوف (واذ يرفع) حكاية
حال ماضية (ابراهيم القواعد) هي جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة
غالبة ومعناها الثابتة ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى
هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر (من البيت) بيت الله وهو الكعبة (واسمعيل)
هو عطف على ابراهيم وكان ابراهيم يبني واسمعيل يناوله الحجارة (ربنا) أي يقولان
ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد أظهره عبد الله في قراءته ومعناه

يرفعانها قائلين ربنا (تقبل منا) تقربنا اليك ببناء هذا البيت (انك أنت السميع) لدعائنا (العليم) بضمائرنا ونياتنا وفي ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام تفخيم لشان المبين (ربنا واجعلنا مسلمين لك) مخلصين لك أوجهنا من قوله أسلم وجهه لله أو مستسلمين يقال أسلم له واستسلم اذا خضع وأذعن والمعنى زدنا اخلاصا واذعانا لك (ومن ذريتنا) واجعل من ذريتنا (أمة مسلمة لك) ومن للتبعيض أو للتبيين وقيل أراد بالامة أمة محمد عليه السلام وانما خصا بالدعاء ذريتهما لانهم أولى بالشفقة كقوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا (وأرنا مناسكنا) منقول من رأى بمعنى أبصر أو عرف ولذا لم يتجاوز مفعولين أى وبصرنا متعبداتنا في الحج أو عرفناها وواحد المناسك منسك بفتح السين وكسرها وهو المتعبد ولهذا قيل للعابد ناسك وأرنا مكى قاسه على فخذ في فخذ وأبو عمرو يشم الكسرة (وتب علينا) ما فرط منا من التقصير أو استتابا لذريتهما (انك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم) في الامة المسلمة (رسولا منهم) من أنفسهم فبعث الله فيهم محمدا عليه السلام قال عليه السلام أنا دعوة أبى ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمى (يتلوا عليهم آياتك) يقرأ عليهم ويبلغهم ما توحى اليه من دلائل وحدانيتك وصدق أنبيائك ورسلك (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) السنة وفهم القرآن (ويزكيهم) ويطهرهم من الشرك وسائر الارجاس (انك أنت العزيز) الغالب الذى لا يغلب (الحكيم) فيما أوليت (ومن يرغب عن ملة ابراهيم) استفهام بمعنى الجحد وانكار أن يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذى هو ملة ابراهيم والملة السنة والطريقة كذا عن الزجاج (الا من) في محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك أحد الا زيد والمعنى وما يرغب عن ملة ابراهيم الا من (سفه نفسه) أى جهل نفسه أى لم يفكر في نفسه فوضع سفه موضع جهل وعدى كاعدى أو معناه سفه في نفسه فحذف في كما حذف من في قوله واختار موسى قومه أى من قومه وعلى في قوله ولا تعزموا عقدة النكاح أى على عقدة النكاح والوجهان عن الزجاج وقال الفراء هو منصوب على التمييز وهو ضعيف لكونه معرفة (ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين) بيان لخطأ رأى من يرغب عن ملته لان من جمع كرامة الدارين لم يكن أحد أولى بالرغبة في طريقته منه (اذ قال) ظرف لاصطفيناه وانتصب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح الذى لا يرغب عن ملة مثله (له ربه أسلم) أذعن أو أطع أو أخلص دينك لله (قال أسلمت لرب العالمين) أى أخلصت أو انقدت (ووصى) وأوصى مدنى وشامى (بها) بالملة أو بالكلمة وهى أسلمت لرب العالمين (ابراهيم بنيه ويعقوب) هو معطوف على ابراهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه أيضا (يابنى) على اضمار القول (ان الله اصطفى لكم الدين) أى أعطاكم الدين الذى هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به (فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) فلا

يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهى في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وأنت خاشع فلا تنهاه عن الصلاة ولكن عن ترك الخشوع في صلاته (أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أى ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام اذ حضره الموت أى حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي أو متصلة ويقدر قبلها محذوف والخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبي الا على اليهودية كانه قيل أتدعون على الانبياء اليهودية أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت (اذ قال) بدل من اذ الاولى والعامل فيهما شهداء أو ظرف لحضر (لبنيه ما تعبدون) ما استفهام في محل النصب بتعبدون أى أى شئ تعبدون وما عام في كل شئ أو هو سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد أفقيه أم طبيب (من بعدى) من بعد موتى (قالوا نعبد إلهك وإله آبائك) أعيد ذكر الاله لئلا يعطف على الضمير المجرور بدون اعادة الجار (ابراهيم واسمعيل واسحق) عطف بيان لآبائك وجعل اسمعيل من جملة آبائه وهو عمه لان العم أب قال عليه السلام في العباس هذا بقية آبائي (إلها واحدا) بدل من إله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة أو نصب على الاختصاص أى نريد باله آبائك إلها واحدا (ونحن له مسلمون) حال من فاعل نعبد أو جملة معطوفة على نعبد أو جملة اعتراضية مؤكدة (تلك) اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون (أمة قد خلت) مضت (لها ما كسبت ولكم ما كسبتم) أى ان أحدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان أو متأخرا فكما أن أولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك أنتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك لافتخارهم بآبائهم (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) ولا تؤاخذون بسيآتهم (وقالوا كونوا هودا أو نصارى) أى قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى وجزم (تهتدوا) لانه جواب الامر (قل بل ملة ابراهيم) بل نتبع ملة ابراهيم (حنيفا) حال من المضاف اليه نحو رأيت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق (وما كان من المشركين) تعريض بأهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعى اتباع ملة ابراهيم وهو على الشرك (قولوا) هذا خطاب للمؤمنين أو للكافرين أى قولوا لتكونوا على الحق والا فأنتم على الباطل (آمنا بالله وما أنزل الينا) أى القرآن (وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) السبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطى رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط حفدة يعقوب ذرارى أبنائه الاثنى عشر ويعدى أنزل بالى وعلى فلذا ورد هنا بالى وفي آل عمران بعلى (وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم) أى لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى وأحد في معنى الجماعة ولذا صح دخول بين عليه (ونحن له مسلمون) لله مخلصون (فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) ظاهر

الآية

الآية مشكل لانه يوجب أن يكون لله تعالى مثل وتعالى عن ذلك فقيل الباء زائدة ومثل
صفة مصدر محذوف تقديره فان آمنوا ايمانا مثل ايمانكم والهاء يعود الى الله عز وجل
وزيادة الباء غير عزيز قال الله تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها والتقدير
جزاء سيئة مثلها كقوله في الآية الاخرى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقيل المثل زيادة أي
فان آمنوا بما آمنتم به يؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بما آمنتم به وما بمعنى الذي
بدليل قراءة أبي بالذي آمنتم به وقيل الباء للاستعانة كقولك كتبت بالقلم أي فان دخلوا في
الايمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها (وان تولوا) عما تقولون لهم ولم ينصفوا أو ان
تولوا عن الشهادة والدخول في الايمان بها (فانما هم في شقاق) أي فما هم الا في خلاف
وعداوة وليسوا من طلب الحق في شيء (فسيكفيكهم الله) ضمان من الله لاظهار رسوله
عليهم وقد أنجز وعده بقتل بعضهم واجلاء بعضهم ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة وان
تأخر الى حين (وهو السميع) لما ينطقون به (العليم) بما يضمرون من الحسد والغل
وهو معاقبهم عليه فهو وعيد لهم أو وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي يسمع ما تدعو به
ويعلم نيتك وما تريده من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك (صبغة
الله) دين الله وهو مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله وهي فعلة من صبغ كالجلسة
من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس
والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون
هو تطهير لهم فاذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فأمر المسلمون
بأن يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وجيء بلفظ
الصبغة للمشاكلة كقولك لمن يغرس الاشجار أغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع
الكرام (ومن أحسن من الله صبغة) تمييز أي لا صبغة أحسن من صبغته يريد الدين
أو التطهير (ونحن له عابدون) عطف على آمنا بالله وهذا العطف يدل على ان قوله صبغة
الله داخل في مفعول قولوا آمنا أي قولوا هذا وهذا ونحن له عابدون ويرد قول من زعم أن
صبغة الله بدل من ملة ابراهيم أو نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك
النظم واخراج الكلام عن التئامه وانتصابها على انها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه
والقول ما قالت حذام (قل أتحاجوننا في الله) أي أتجادلوننا في شأن الله واصطفائه النبي
من العرب دونكم وتقولون لو أنزل الله على أحد لانزل علينا وترون أنكم أحق بالنبوة منا
(وهو ربنا وربكم) نشترك جميعا في اننا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من
يشاء من عباده (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) يعني ان العمل هو أساس الامر وكما ان
لكم أعمالا فلنا كذلك (ونحن له مخلصون) أي نحن له موحدون نخلصه بالايمان وأنتم
به مشركون والمخلص أحرى بالكرامة وأولى بالنبوة من غيره (أم تقولون) بالتاء شامي
وكوفي غير أبي بكر وأم على هذا معادلة للهمزة في أتحاجوننا يعني أي الامرين تأتون المحاجة

في حكم الله أم ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء أو منقطعة أي بل أيقولون غيرهم بالياء وعلى هذا لا تكون الهمزة الا منقطعة (ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى) ثم أمر نبيه عليه السلام أن يقول مستفهما رادا عليهم بقوله (قل أأنتم أعلم أم الله) يعني ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) أي كتم شهادة الله التي عنده أنه شهد بها وهي شهادة الله لابراهيم بالحنيفية والمعنى ان أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها أو أنا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد عليه السلام بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته ومن في قوله من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان اذا شهدت له في أنها صفة لها (وما الله بغافل عما تعملون) من تكذيب الرسل وكتمان الشهادة (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) كررت للتأكيد ولان المراد بالاول الانبياء عليهم السلام وبالثاني أسلاف اليهود والنصارى (سيقول السفهاء من الناس) الخفاف الاحلام فأصل السفه الخفة وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ أو المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء أو المشركون لقولهم رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم وفائدة الاخبار بقولهم قبل وقوعه توطين النفس اذ المفاجأة بالمكروه أشد وعداد الجواب قبل الحاجة اليه أقطع للخصم فقبل الرمي يراش السهم (ماولاهم) ماصرفهم (عن قبلتهم التي كانوا عليها) يعنون بيت المقدس والقبلة الجهة التي يستقبلها الانسان في الصلاة لان المصلي يقابلها (قل لله المشرق والمغرب) أي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها له (يهدي من يشاء) من أهلها (الى صراط مستقيم) طريق مستو أي يرشد من يشاء الى قبلة الحق وهي الكعبة التي أمرنا بالتوجه اليها أو الاماكن كلها لله فيأمر بالتوجه الى حيث شاء فتارة الى الكعبة وطورا الى البيت المقدس لا اعتراض عليه لانه المالك وحده (وكذلك جعلناكم) ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم فالكاف للتشبيه وذا جر بالكاف واللام للفرق بين الاشارة الى القريب والاشارة الى البعيد والكاف للخطاب لا محل لها من الاعراب (أمة وسطا) خيارا وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاوساط محمية أي كما جعلت قبلتكم خير القبل جعلتكم خير الامم أو عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها أقرب من بعض أي كما جعلنا قبلتكم متوسطة بين المشرق والمغرب جعلناكم أمة وسطا بين الغلو والتقصير فانكم لم تغلوا غلو النصارى حيث وصفوا المسيح بالالوهية ولم تقصروا تقصير اليهود حيث وصفوا مريم بالزنا وعيسى بانه ولد الزنا (لتكونوا شهداء) غير منصرف لمكان ألف التأنيث (على الناس) صلة شهداء (ويكون الرسول عليكم شهيدا) عطف على لتكونوا روي ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو أعلم فيؤتى بامة محمد

عليه السلام فيشهدون فيقول الامم من أين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسئل عن حال أمته فيزكيهم و يشهد بعد التهم والشهادة قد تكون بلا مشاهدة كالشهادة بالتسامع في الاشياء المعروفة ولما كان الشهيد كالرقيب جيء بكلمة الاستعلاء كقوله تعالى كنت أنت الرقيب عليهم وقيل لتكونوا شهداء على الناس فى الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار و يكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم و يعلم بعدالتكم واستدل الشيخ أبو منصور رحمه الله بالآية على ان الاجماع حجة لان الله تعالى وصف هذه الامة بالعدالة والعدل هو المستحق للشهادة وقبولها فاذا اجتمعوا على شيء وشهدوا به لزم قبوله وأخرت صلة الشهادة أولا وقدمت آخراً لان المراد فى الاول اثبات شهادتهم على الامم وفى الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها) أى وما جعلنا القبلة الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة فالتى كنت عليها ليست بصفة للقبلة بل هى ثانى مفعولى جعل روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى بمكة الى الكعبة ثم أمر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تأليفا لليهود ثم حول الى الكعبة (الالنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) أى وما جعلنا القبلة التى تحب أن تستقبلها الجهة التى كنت عليها أولا بمكة الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقلته يرجع فيرتد عن الاسلام عند تحويل القبلة قال الشيخ أبو منصور رحمه الله معنى قوله لنعلم أى لنعلم كائنا أو موجودا ما قد علمناه انه يكون ويوجد فالله تعالى عالم فى الازل بكل ما أراد وجوده انه يوجد فى الوقت الذى شاء وجوده فيه ولا يوصف بانه عالم في الازل بانه موجود كائن لانه ليس بموجود فى الازل فكيف يعلمه موجودا فاذا صار موجودا يدخل تحت علمه الازلى فيصير معلوما له موجودا كائنا والتغير على المعلوم لا على العلم أو لنميز التابع من الناكص كما قال تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التميز لان العلم به يقع التميز أو ليعلم رسول الله عليه الصلاة والسلام والمؤمنون وانما أسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه أو هو على ملاطفة الخطاب ان لا يعلم كقولك لمن ينكر ذوب الذهب فليلقه فى النار لنعلم أيذوب (وان كانت) أى التحويلة أو الجعلة أو القبلة وان هى المخففة واللام فى (لكبيرة) أى ثقيلة شاقة وهى خبر كان فارقة (الا على الذين هدى الله) أى هداهم الله فحذف العائد أى الا على الثابتين الصادقين فى اتباع الرسول (وما كان الله ليضيع ايمانكم) أى صلاتكم الى بيت المقدس سمى الصلاة ايمانا لان وجوبها على أهل الايمان وقبولها من أهل الايمان وأداؤها فى الجماعة دليل الايمان ولما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت ثم علل ذلك فقال (ان الله بالناس لرؤف) مهموز مشبع حجازى وشامى وحفص رؤف غيرهم بوزن فعل وهما للمبالغة (رحيم) لا يضيع أجورهم والرأفة أشد من الرحمة وجمع بينهما كما فى الرحمن

الرحيم (قد نرى تقلب وجهك في السماء) تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه أن يحوله الى الكعبة موافقة لابراهيم ومخالفة
لليهود ولانها أدعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم (فلنولينك)
فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته والياله أو فلنجعلنك تلي سمتها
دون سمت بيت المقدس (قبلة ترضاها) تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي أضمرتها
ووافقت مشيئة الله وحكمته (فول وجهك شطر المسجد الحرام) أي نحوه وشطر نصب على
الظرف أي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد أي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة
متعسر على النائي وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على أن الواجب مراعاة الجهة
دون العين روي انه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه
الى الكعبة (وحيثما كنتم) من الارض وأردتم الصلاة (فولوا وجوهكم شطره وان الذين
أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق) أي التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة أنبيائهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم انه يصلي الى القبلتين (من ربهم وما الله بغافل عما يعملون)
بالياء مكي وابو عمرو ونافع وعاصم وبالتاء غيرهم فالاول وعيد للكافرين بالعقاب على الجحود
والاباء والثاني وعد للمؤمنين بالثواب على القبول والاداء (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب)
أراد ذوي العناد منهم (بكل آية) برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق (ما تبعوا قبلتك)
لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما
في كتبهم من نعتك انك على الحق وجواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط (وما
أنت بتابع قبلتهم) حسم لاطماعهم اذ كانوا اضطربوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا
نرجو أن يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم ووحدت القبلة وان كان
لهم قبلتان فلليهود قبلة وللنصارى قبلة لاتحادهم في البطلان (وما بعضهم بتابع قبلة بعض)
يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا ترجى موافقتهم
لك فاليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس (ولئن اتبعت أهواءهم من بعد
ما جاءك من العلم) أي من بعد وضوح البرهان والاحاطة بان القبلة هي الكعبة وان دين
الله هو الاسلام (انك اذا لمن الظالمين) لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين
وتهييج للثبات على الحق وتحذير لمن يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وقيل الخطاب في
الظاهر للنبي عليه السلام والمراد أمته ولزم الوقف على الظالمين اذ لو وصل لصار (الذين آتيناهم
الكتاب) صفة للظالمين وهو مبتدأ والخبر (يعرفونه) أي محمدا عليه السلام أو القرآن
أو تحويل القبلة والاول أظهر لقوله (كما يعرفون أبناءهم) قال عبد الله بن سلام أنا أعلم به مني
بابني فقال له عمر ولم قال لاني لست أشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر
رأسه (وان فريقا منهم) أي الذين لم يسلموا (ليكتمون الحق) حسدا وعنادا (وهم يعلمون)
ان الله تعالى بينه في كتابهم (الحق) مبتدأ خبره (من ربك) واللام للجنس أي الحق من الله

لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي أنت عليه وما لم يثبت انه من الله كالذي عليه أهل الكتاب فهو الباطل أو للعهد والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو خبر مبتدا محذوف أي هو الحق ومن ربك خبر بعد خبر أو حال (فلا تكونن من الممترين) الشاكين في انه من ربك (ولكل) من أهل الاديان المختلفة (وجهة) قبلة وقرئ بها والضمير في (هو) لكل وفي (موليها) للوجهة أي هو موليها وجهه فحذف أحد المفعولين أو هو لله تعالى أي الله موليها اياه وهو مولاها شامي أي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى ولكل أمة قبلة يتوجه اليها منكم ومن غيركم (فاستبقوا) أنتم (الخيرات) فاستبقوا اليها غيركم من أمر القبلة وغيره (أينما تكونوا) أنتم وأعداؤكم (يأت بكم الله جميعا) يوم القيامة فيفصل بين المحق والمبطل أو ولكل منكم يا أمة محمد وجهة جهة يصلي اليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية فاستقبلوا الفاضلات من الجهات وهي الجهة المسامتة للكعبة وان اختلفت أينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلاتكم كأنها الى جهة واحدة وكأنكم تصلون حاضري المسجد الحرام (ان الله على كل شيء قدير ومن حيث خرجت) ومن أي بلد خرجت للسفر (فول وجهك شطر المسجد الحرام) اذا صليت (وانه) وان هذا المأمور به (للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون) وبالياء أبو عمرو (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة فكرر عليهم ليثبتوا على انه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها (لئلا يكون للناس عليكم حجة) أي قد عرفكم الله جل ذكره أمر الاحتجاج في القبلة بما قد بين في قوله ولكل وجهة هو موليها لئلا يكون للناس لليهود عليكم حجة في خلاف ما في التوراة من تحويل القبلة وأطلق اسم الحجة على قول المعاندين لانهم يسوقونه سياق الحجة (الا الذين ظلموا منهم) استثناء من الناس أي لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا المعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء عليهم السلام أو معناه لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابراهيم واسمعيل أبي العرب الا الذين ظلموا منهم وهم أهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع الى دينهم ثم استأنف منبها بقوله (فلا تخشوهم) فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فانهم لا يضرونكم (واخشوني) فلا تخالفوا أمري (ولأتم نعمتي عليكم) أي عرفتكم لئلا يكون عليكم حجة ولأتم نعمتي عليكم بهدايتي اياكم الى الكعبة (ولعلكم تهتدون) ولكي تهتدوا الى قبلة ابراهيم الكاف في (كما أرسلنا فيكم) اما أن يتعلق بما قبله أي ولأتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما أتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول أو بما بعده أي كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب فعلى هذا يوقف على تهتدون وعلى الاول لا (رسولا منكم) من العرب (يتلوا عليكم) يقرأ

عليكم (آياتنا) القرآن (ويزكيكم ويعلمكم الكتاب) القرآن (والحكمة) السنة والفقه (ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) مالاسبيل الى معرفته الا بالوحى (فاذكرونى) بالمعذرة (أذكركم) بالمغفرةاو بالثناء والعطاء او بالسؤال والنوال او بالتوبة وعفوالحوبة او بالاخلاص والخلاص او بالمناجاة والنجاة (واشكروا لى) ماأنعمت به عليكم (ولا تكفرون) ولاتجحدوا نعمائى (ياأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر) فبه تنال كل فضيلة (والصلوة) فانها تنهى عن كل رذيلة (ان الله مع الصابرين) بالنصر والمعونة (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله) نزلت فى شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلا (أموات) اى هم أموات (بل أحياء) اى هم أحياء (ولكن لا تشعرون) لاتعلمون ذلك لان حياة الشهيد لاتعلم حسا عن الحسن رضى الله عنه أن الشهداء أحياء عن الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدواوعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها (ولنبلونكم) ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون على ماأنتم عليه من الطاعة أم لا (بشئ) بقليل من كل واحدة من هذه البلايا وطرف منه وقلل ليؤذن أن كل بلاء أصاب الانسان وان جل ففوقه مايقل اليهم ويريهم أن رحمته معهم فى كل حال وأعلمهم بوقوع البلاء قبل وقوعها ليوطنوا نفوسهم عليها (من الخوف) خوف الله والعدو (والجوع) اى القحط اوصوم شهر رمضان (ونقص من الاموال) بموت المواشى اوالزكاة وهو عطف على شئ اوعلى الخوف اى وشئ من نقص الاموال (والانفس) بالقتل والموت او بالمرض والشيب (والثمرات) ثمرات الحرث اوموت الاولاد لان الولد ثمرة الفؤاد (وبشر الصابرين) على هذه البلايا اوالمسترجعين عند البلايا لان الاسترجاع تسليم واذعان وفى الحديث من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وطفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل أمصيبة هى قال نعم كل شئ يؤذى المؤمن فهو مصيبة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اولكل من يأتى منه البشارة (الذين) نصب صفة للصابرين ولا وقف عليه بل يوقف على راجعون ومن ابتدأ بالذين وجعل الخبر أولئك يقف على الصابرين لا على راجعون والاول الوجه لان الذين وما بعده بيان للصابرين (اذا أصابتهم مصيبة) مكروه اسم فاعل من أصابته شدة اى لحقته ولا وقف على مصيبة لان (قالوا) جواب اذا واذا وجوابها صلة الذين (انا لله) اقرار له بالملك (وانا اليه راجعون) اقرار على نفوسنا بالهلاك (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) الصلاة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة بعد رحمة (وأولئك هم المهتدون) لطريق الصواب حيث استرجعوا وأذعنوا لامر الله قال عمر رضى الله عنه نعم العدلان ونعم العلاوة اى الصلاة والرحمة والاهتداء (ان الصفا والمروة) هما علمان للجبلين (من شعائر الله) من

أعلام مناسكه ومتعبداته جمع شعيرة وهى العلامة (فمن حج البيت) قصد الكعبة (أواعتمر) زار الكعبة فالحج القصد والاعتمار الزيارة ثم غلبا على قصد البيت و زيارته للنسكين المعروفين وهما فى المعانى كالنجم والبيت فى الاعيان (فلا جناح عليه) فلا اثم عليه (أن يطوف بهما) أى يتطوف فادغم التاء فى الطاء وأصل الطوف المشى حول الشئ والمراد هنا السعى بينهما قيل كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى أنهما كانا رجلا وامرأة زنيا فى الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله وكان أهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية فرفع عنهم الجناح بقوله فلا جناح وهو دليل على أنه ليس بركن كما قال مالك والشافعى رحمهما الله تعالى وكذا قوله (ومن تطوع خيرا) أى الطواف بهما مشعر بانه ليس بركن ومن يطوع حمزة وعلى أى يتطوع فادغم التاء فى الطاء (فان الله شاكر) مجاز على القليل كثيرا (عليم) بالاشياء صغيرا أوكبيرا (ان الذين يكتمون) من أحبار اليهود (ماأنزلنا) فى التوراة (من البينات) من الآيات الشاهدة على أمر محمد عليه السلام (والهدى) الهداية الى الاسلام بوصفه عليه السلام (من بعد مابيناه) أوضحناه (للناس فى الكتاب) فى التوراة لم ندع فيه موضع اشكال فعمدوا الى ذلك المبين فكتموه (أولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون) الذين يتأتى منهم اللعن وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين (الا الذين تابوا) عن الكتمان وترك الايمان (وأصلحوا) ماأفسدوا من أحوالهم وتداركوا ما فرط منهم (وبينوا) وأظهروا ما كتموا (فاولئك أتوب عليهم) أقبل توبتهم (وأنا التواب الرحيم ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار) يعنى الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا (أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) ذكر لعنتهم أحياء ثم لعنتهم أمواتا والمراد بالناس المؤمنون أو المؤمنون والكافرون اذ بعضهم يلعن بعضا يوم القيامة قال الله تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها (خالدين) حال من هم فى عليهم (فيها) فى اللعنة أو فى النار الا أنها أضمرت تفخيما لشأنها وتهويلا (لايخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) من الانظار أى لايمهلون أولا ينتظرون ليعتذروا أولا ينظر اليهم نظر رحمة (وإلهكم إله واحد) فرد فى ألوهيته لاشريك له فيها ولايصح أن يسمى غيره إلها (لا إله إلا هو) تقرير للوحدانية بنفى غيره واثباته وموضع هو رفع لانه بدل من موضع لا إله ولايجوز النصب هنا لان البدل يدل على أن الاعتماد على الثانى والمعنى فى الآية على ذلك والنصب يدل على أن الاعتماد على الاول و رفع (الرحمن الرحيم) أى المولى لجميع النعم أصولها وفروعها ولا شئ سواه بهذه الصفة فما سواه اما نعمة واما منعم عليه على أنه خبر مبتدأ أو على البدل من هو لا على الوصف لان المضمر لا يوصف ولما عجب المشركون من إله واحد وطلبوا آية على ذلك نزل (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار) فى اللون والطول والقصر وتعاقبهما فى الذهاب والمجئ (والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس) بالذى

ينفعهم مما يحمل فيها أو ينفع الناس ومن في (وما أنزل الله من السماء) لابتداء الغاية وفي (من ماء) مطر لبيان الجنس لان ماينزل من السماء مطر وغيره ثم عطف على انزل (فأحيابه) بالماء (الارض بعد موتها) بيبسها ثم عطف على فاحيا (وبث) وفرق (فيها) في الارض (من كل دابة) هي كل مايدب (وتصريف الرياح) الريح حمزة وعلي أي وتقليبها في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي أحوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وطورا بالعذاب (والسحاب المسخر) المذلل المنقاد لمشيئة الله تعالى فيمطر حيث شاء (بين السماء والارض) في الهواء (لآيات لقوم يعقلون) ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون فيستدلون بهذه الاشياء على قدرة موجدها وحكمة مبدعها ووحدانية منشئها وفي الحديث ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها أي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها (ومن الناس) أي ومع هذا البرهان النير من الناس (من يتخذ من دون الله أندادا) أمثالا من الاصنام (يحبونهم) يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب (كحب الله) كتعظيم الله والخضوع له أي يحبون الاصنام كما يحبون الله يعني يسوون بينهم وبينه في محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه وقيل يحبونهم كحب المؤمنين الله (والذين آمنوا أشد حبا لله) من المشركين لآلهتهم لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بحال والمشركون يعدلون عن أندادهم الى الله عند الشدائد فيفزعون اليه ويخضعون له (ولو يرى) ترى نافع وشامي على خطاب الرسول أو كل مخاطب أي ولو ترى ذلك لرأيت أمرا عظيما (الذين ظلموا) اشارة الى متخذي الانداد (اذ يرون) يرون شامي (العذاب أن القوة لله جميعا) حال (وأن الله شديد العذاب) شديد عذابه أي ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله تعالى على كل شئ من الثواب والعقاب دون أندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيامة لكان منهم مالا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة فحذف الجواب لان لو اذا جاء فيما يشوق اليه أو يخوف منه قلما يوصل بجواب ليذهب القلب فيه كل مذهب ولو يليها الماضي وكذا اذ وضعها لتدل على الماضي وانما دخلتا على المستقبل هنا لان اخبار الله تعالى عن المستقبل باعتبار صدقه كالماضي (اذ تبرأ) مدغمة الذال في التاء حيث وقعت عراقي غير عاصم وهو بدل من إذ يرون العذاب (الذين اتبعوا) أي المتبعون وهم الرؤساء (من الذين اتبعوا) من الاتباع (ورأوا العذاب) الواو فيه للحال أي تبرؤا في حال رؤيتهم العذاب (وتقطعت) عطف على تبرأ (بهم الاسباب) الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب (وقال الذين اتبعوا) أي الاتباع (لو أن لنا كرة) رجعة الى الدنيا (فنتبرأ) نصب على جواب التمني لان لو في معنى التمني والمعنى ليت لنا كرة فنتبرأ (منهم كما تبرؤا منا) الآن (كذلك) مثل ذلك الإراء الفظيع (يريهم الله أعمالهم) أي عبادتهم الاوثان (حسرات عليهم) ندامات وهي مفعول ثالث ليريهم ومعناه ان أعمالهم تنقلب عليهم حسرات فلا يرون الا حسرات مكان أعمالهم (وماهم بخارجين من النار) بل هم فيها دائمون

ونزل

ونزل فيمن حرموا على أنفسهم البحائر ونحوها (ياأيها الناس كلوا) أمر اباحة (مما في الارض) من للتبعيض لان كل ما في الارض ليس بمأكول (حلالا) مفعول كلوا أو حال مما في الارض (طيبا) طاهرا من كل شبهة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) طرقه التي يدعوكم اليها بسكون الطاء أبو عمرو غير عباس ونافع وحمزة وأبو بكر والخطوة في الاصل ما بين قدمي الخاطي يقال اتبع خطواته اذا اقتدى به واستن بسنته (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة لا خفاء به وأبان متعد ولازم ولا يناقض هذه الآية قوله تعالى والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت أي الشيطان لانه عدو للناس حقيقة ووليهم ظاهرا فانه يريهم في الظاهر الموالاة ويزين لهم أعمالهم ويريد بذلك هلاكهم في الباطن (انما يأمركم) بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته أي لا يأمركم بخير قط انما يأمركم (بالسوء) بالقبيح (والفحشاء) وما يتجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما فيه حد (وأن تقولوا) في موضع الجر بالعطف على بالسوء أي وبان تقولوا (على الله ما لا تعلمون) هو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله تعالى مما لا يجوز عليه (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريق الالتفات قيل هم المشركون وقيل طائفة من اليهود لما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان واتباع القرآن (قالوا بل نتبع ما ألفينا) وجدنا (عليه آباءنا) فانهم كانوا خيرا منا وأعلم فرد الله عليهم بقوله (أولو كان آباؤهم) الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه أيتبعونهم ولو كان آباؤهم (لا يعقلون شيأ) من الدين (ولا يهتدون) للصواب ثم ضرب لهم مثلا فقال (ومثل الذين كفروا) المضاف محذوف أي ومثل داعي الذين كفروا (كمثل الذي ينعق) يصيح والمراد (بما لا يسمع الا دعاء ونداء) البهائم والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوي الصوت من غير إلقاء أذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجرها ولا تفقه شيأ آخر كما تفهم العقلاء والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن والنداء ما يسمع والدعاء قد يسمع وقد لا يسمع (صم) خبر مبتدا مضمر أي هم صم (بكم) خبر ثان (عمي) عن الحق خبر ثالث (فهم لا يعقلون) الموعظة ثم بين أن ما حرمه المشركون حلال بقوله (ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) من مستلذاته أو من حلاله (واشكروا لله) الذي رزقكموها (ان كنتم اياه تعبدون) ان صح انكم تختصونه بالعبادة وتقرون أنه معطي النعم ثم بين المحرم فقال (انما حرم عليكم الميتة) وهي كل ما فارقه الروح من غير ذكاة مما يذبح وانما الاثبات المذكور ونفي ما عداه أي ما حرم عليكم الا الميتة (والدم) يعني السائل لقوله في موضع آخر أو دما مسفوحا وقد حلت الميتتان والدمان بالحديث أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال (ولحم الخنزير) يعني الخنزير بجميع أجزائه وخص اللحم لانه المقصود بالأكل (وما أهل به لغير الله) أي ذبح للاصنام فذكر عليه

غير اسم الله وأصل الاهلال رفع الصوت أي رفع به الصوت للصنم وذلك قول أهل الجاهلية باسم اللات والعزى (فمن اضطر) أي ألجئ بكسر النون بصري وحمزة وعاصم لالتقاء الساكنين أعني النون والضاد وبضمها غيرهم لضمة الطاء (غير) حال أي فأكل غير (باغ) للذة وشهوة (ولا عاد) متعد مقدار الحاجة وقول من قال غير باغ على الامام ولا عاد في سفر حرام ضعيف لان سفر الطاعة لا يبيح بلا ضرورة والحبس بالحضر يبيح بلا سفر ولان بغيه لا يخرج عن الايمان فلا يستحق الحرمان والمضطر يباح له قدر ما يقع به القوام وتبقى معه الحياة دون ما فيه حصول الشبع لان الاباحة للاضطرار فيقدر بقدر ما تندفع الضرورة (فلا اثم عليه) في الاكل (ان الله غفور) للذنوب الكبائر فأنى يؤاخذ بتناول الميتة عند الاضطرار (رحيم) حيث رخص ونزل في رؤساء اليهود وتغييرهم نعت النبي عليه السلام وأخذهم على ذلك الرشا (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب) في صفة محمد عليه السلام (ويشترون به ثمنا قليلا) أي عوضا أو ذا ثمن (أولئك ما يأكلون في بطونهم) ملء بطونهم تقول أكل فلان في بطنه وأكل في بعض بطنه (الا النار) لانه اذا أكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار ومنه قولهم أكل فلان الدم اذا أكل الدية التي هي بدل منه قال * يأكلن كل ليلة اكافا * أي ثمنا اكاف فسماه اكافا لتلبسه به بكونه ثمناله (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) كلاما يسرهم ولكن بنحو قوله اخسؤا فيها ولا تكلمون (ولا يزكيهم) ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم أو لا يثني عليهم (ولهم عذاب أليم) مؤلم لحرف النفي مع الفعل حبر أولئك وأولئك مع خبره خبران والجمل الثلاث معطوفة على خبران فقد صار لان أربعة أخبار من الجمل (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة) بكتمان نعت محمد عليه السلام (فما أصبرهم على النار) فأي شيء أصبرهم على عمل يؤدي الى النار وهذا استفهام معناه التوبيخ (ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق) أي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق (وان الذين اختلفوا) أي أهل الكتاب (في الكتاب) هو للجنس أي في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل (لفي شقاق) خلاف (بعيد) عن الحق أو كفرهم ذلك بسبب ان الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه لفي شقاق بعيد عن الهدى (ليس البر أن تولوا) أي ليس البر توليتكم (وجوهكم قبل المشرق والمغرب) والخطاب لاهل الكتاب لان قبلة النصارى مشرق بيت المقدس وقبلة اليهود مغربه وكل واحد من الفريقين يزعم ان البر التوجه الى قبلته فرد عليهم بأن البر ليس فيما أنتم عليه فانه منسوخ (ولكن البر) بر (من آمن بالله) أو ذا البر من آمن والقولان على حذف المضاف والاول أجود والبر اسم للخير ولكل فعل مرضي وقيل كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب في أمر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب أن تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر أمر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به بر من آمن وقام بهذه الاعمال ليس البر بالنصب على أنه

خبر ليس واسمه أن تولوا حمزة وحفص ولكن البر نافع وشامى وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر وقرئ ولكن البار (واليوم الآخر) اى يوم البعث (والملائكة والكتاب) اى جنس كتب الله او القرآن (والنبيين وآتى المال على حبه) اى على حب الله او حب المال او حب الايتاء يريد أن يعطيه وهو طيب النفس باعطائه (ذوى القربى) اى القرابة وقدمهم لانهم أحق قال عليه الصلاة والسلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوى رحمك صدقة وصلة (واليتامى) والمراد الفقراء من ذوى القربى واليتامى وانما أطلق لعدم الالباس (والمساكين) المسكين الدائم السكون الى الناس لانه لاشئ له كالسكير للدائم السكر (وابن السبيل) المسافر المنقطع وهو جنس وان كان مفرد اللفظا وجعل ابنا للسبيل لملازمته له او الضيف (والسائلين) المستطعمين (وفى الرقاب) وفى معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم او فى فك الاسارى (واقام الصلوة) المكتوبة (وآتى الزكوة) المفروضة قيل هو تأكيد للاول وقيل المراد بالاول نوافل الصدقات والمبار (والموفون) عطف على من آمن (بعهدهم اذا عاهدوا) الله او الناس (والصابرين) نصب على المدح والاختصاص اظهار الفضل الصبر فى الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال (فى البأساء) الفقر والشدة (والضراء) المرض والزمانة (وحين البأس) وقت القتال (أولئك الذين صدقوا) اى أهل هذه الصفة هم الذين صدقوا فى الدين (وأولئك هم المتقون) روى انه كان بين حيين من أحياء العرب دماء فى الجاهلية وكان لاحدهما طول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الله بالاسلام فنزل (يا أيها الذين آمنوا كتب) اى فرض (عليكم القصاص) وهو عبارة عن المساواة وأصله من قص أثره واقتصه اذا اتبعه ومنه القاص لانه يتبع الآثار والاخبار (فى القتلى) جمع قتيل والمعنى فرض عليكم اعتبار المماثلة والمساواة بين القتلى (الحر بالحر) مبتدا وخبر اى الحر مأخوذ او مقتول بالحر (والعبد بالعبد والانثى بالانثى) وقال الشافعى رحمه الله لا يقتل الحر بالعبد لهذا النص وعندنا يجرى القصاص بين الحر والعبد بقوله تعالى ان النفس بالنفس كما بين الذكر والانثى وبقوله عليه السلام المسلمون تتكافأ دماؤهم وبأن التفاضل غير معتبر فى الانفس بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وبأن تخصيص الحكم بنوع لا ينفيه عن نوع آخر بل يبقى الحكم فيه موقوفا على ورود دليل آخر وقد ورد كما بينا (فمن عفى له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان) قالوا العفو ضد العقوبة يقال عفوت عن فلان اذا صفحت عنه وأعرضت عن أن تعاقبه وهو يتعدى بعن الى الجانى والى الجناية ثم عفونا عنكم ويعفوا عن السيآت واذا اجتمعا عدى الى الاول باللام فتقول عفوت له عن ذنبه ومنه الحديث عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق وقال الزجاج من عفى له اى من ترك له القتل بالدية وقال الازهرى العفو فى اللغة الفضل

ومنه يسألونك ماذا ينفقون قل العفو ويقال عفوت لفلان بمال اذا أفضلت له وأعطيته وعفوت له عما لى عليه اذا تركته ومعنى الآية عند الجمهور فمن عفى له من جهة أخيه شيء من العفو على أن الفعل مسند الى المصدر كما فى سير بزيد بعض السير والاخ ولى المقتول وذكر بلفظ الاخوة بعثاله على العطف لما بينهما من الجنسية والاسلام ومن هو القاتل المعفو له عما جنى وترك المفعول الآخر استغناء عنه وقيل أقيم له مقام عنه والضمير فى له وأخيه لمن وفى اليه للاخ أو للمتبع الدال عليه فاتباع لان المعنى فليتبع الطالب القاتل بالمعروف بأن يطالبه مطالبة جميلة وليؤد اليه المطلوب أى القاتل بدل الدم أداء باحسان بأن لا يمطله ولا يبخسه وانما قيل شيء من العفو ليعلم أنه اذا عفا عن بعض الدم أو عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ومن فسر عفى بترك جعل شيء مفعولا به وكذا من فسره بأعطى يعنى أن الولى اذا أعطى له شيء من مال أخيه يعنى القاتل بطريق الصلح فليأخذه بمعروف من غير تعنيف وليؤده القاتل اليه بلا تسويف وارتفاع اتباع بأنه خبر مبتدا مضمر أى فالواجب اتباع (ذلك) الحكم المذكور من العفو وأخذ الدية (تخفيف من ربكم ورحمة) فانه كان فى التوراة القتل لا غير وفى الانجيل العفو بغير بدل لا غير وأبيح لنا القصاص والعفو وأخذ المال بطريق الصلح توسعة وتيسيرا والآية تدل على أن صاحب الكبيرة مؤمن للوصف بالايمان بعد وجود القتل ولبقاء الاخوة الثابتة بالايمان ولاستحقاق التخفيف والرحمة (فمن اعتدى بعد ذلك) التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل أو القتل بعد أخذ الدية (فله عذاب أليم) نوع من العذاب شديد الالم فى الآخرة (ولكم فى القصاص حيوة) كلام فصيح لما فيه من الغرابة اذ القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل ظرفا للحياة وفى تعريف القصاص وتنكير الحياة بلاغة بينة لان المعنى ولكم فى هذا الجنس من الحكم الذى هو القصاص حياة عظيمة لمنعه عما كانوا عليه من قتل الجماعة بواحد متى اقتدروا فكان القصاص حياة وأى حياة أو نوع من الحياة وهى الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالقصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فتذكر الاقتصاص ارتدع فسلم صاحبه من القتل وهو من القود فكان شرع القصاص سبب حياة نفسين (ياأولى الالباب) ياذوى العقول (لعلكم تتقون) القتل حذرا من القصاص (كتب) فرض (عليكم اذا حضر أحدكم الموت) أى اذا دنا منه فظهرت أماراته (ان ترك خيرا) مالا كثيرا لما روى عن على رضى الله عنه ان مولى له أراد أن يوصى وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وليس لك مال وفاعل كتب (الوصية للوالدين والاقربين) وكانت الوصية للوارث فى بدء الاسلام فنسخت بآية المواريث كما بيناه فى شرح المنار وقيل هى غير منسوخة لانها نزلت فى حق من ليس بوارث بسبب الكفر لانهم كانوا حديثى عهد بالاسلام يسلم الرجل ولا يسلم أبواه وقرائبه والاسلام قطع الارث فشرعت الوصية فيما بينهم قضاء لحق القرابة ندبا وعلى هذا

لا يراد بكتب فرض (بالمعروف) بالعدل وهو أن لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث (حقا) مصدر مؤكد أي حق ذلك حقا (على المتقين) على الذين يتقون الشرك (فمن بدله) فمن غير الايصاء عن وجهه ان كان موافقا للشرع من الاوصياء والشهود (بعد ما سمعه) أي الايصاء (فانما اثمه على الذين يبدلونه) فما اثم التبديل الا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لانهما بريئان من الحيف (ان الله سميع) لقول الموصي (عليم) بجور المبدل (فمن خاف) علم وهذا شائع في كلامهم يقولون أخاف أن لا ترسل السماء ويريدون الظن الغالب الجاري مجرى العلم (من موص) موص كوفي غير حفص (جنفا) ميلا عن الحق بالخطا في الوصية (أو اثما) تعمدا للحيف (فأصلح بينهم) بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع (فلا اثم عليه) حينئذ لان تبديله تبديل باطل الى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم وقيل هذا في حال حياة الموصي أي فمن حضر وصيته فرآه على خلاف الشرع فنهاه عن ذلك وحمله على الصلاح فلا اثم على هذا الموصي بما قال أولا (ان الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا كتب) أي فرض (عليكم الصيام) هو مصدر صام والمراد صيام شهر رمضان (كما كتب) أي كتابة مثل ما كتب فهو صفة مصدر محذوف (على الذين من قبلكم) على الانبياء والامم من لدن آدم عليه السلام الى عهدكم فهو عبادة قديمة والتشبيه باعتبار ان كل أحد له صوم أيام أي أنتم متعبدون بالصيام في أيام كما تعبد من كان قبلكم (لعلكم تتقون) المعاصي بالصيام لان الصيام أظلف لنفسه وأردع لها من مواقعة السوء أو لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين اذ الصوم شعارهم وانتصاب (أياما) بالصيام أي كتب عليكم أن تصوموا أياما (معدودات) موقتات بعدد معلوم أي قلائل وأصله ان المال القليل يقدر بالعدد لا الكثير (فمن كان منكم مريضا) يخاف من الصوم زيادة المرض (أو على سفر) أو راكب سفر (فعدة) فعليه عدة أي فافطر فعليه صيام عدد أيام فطره والعدة بمعنى المعدود أي أمر أن يصوم أياما معدودة مكانها (من أيام أخر) سوى أيام مرضه وسفره وأخر لا ينصرف للوصف والعدل عن الالف واللام لان الاصل في فعلى صفة ان تستعمل في الجمع بالالف واللام كالكبرى والكبر والصغرى والصغر (وعلى الذين يطيقونه) وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر لهم ان أفطروا (فدية طعام مسكين) نصف صاع من بر أو صاع من غيره فطعام بدل من فدية فدية طعام مساكين مدني وابن ذكوان وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية ثم نسخ التخيير بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه ولهذا كرر قوله فمن كان منكم مريضا أو على سفر لانه لما كان مذكورا مع المنسوخ ذكر مع الناسخ ليدل على بقاء هذا الحكم وقيل معناه لا يطيقونه فاضمر لا لقراءة حفصة كذلك وعلى هذا لا يكون منسوخا (فمن تطوع خيرا) فزاد على مقدار الفدية (فهو خير له) فالتطوع أو الخير خير له يطوع بمعنى يتطوع حمزة وعلي (وأن تصوموا) أيها المطيقون (خير لكم) من

الفدية وتطوع الخير وهذا في الابتداء وقيل وأن تصوموا في السفر والمرض خير لكم لانه أشق عليكم (ان كنتم تعلمون) شرط محذوف الجواب (شهر رمضان) مبتدا خبره (الذى أنزل فيه القرآن) أى ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر أو أنزل في شأنه القرآن وهو قوله تعالى كتب عليكم الصيام وهو بدل من الصيام أو خبر مبتدا محذوف أى هو شهر والرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون وسموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته ولانهم سموا الشهور بالازمنة التى وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فان قلت ماوجه ماجاء في الحديث من صام رمضان ايمانا واحتسابا مع أن التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا قلت هو من باب الحذف لأمن الالباس القران حيث كان غير مهموز مكى وانتصب (هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) على الحال أى أنزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدى الى الحق ويفرق بين الحق والباطل ذكر أولا أنه هدى ثم ذكر أنه بينات من جملة ماهدى به الله وفرق بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فمن كان شاهدا أى حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذا الهاء في ليصمه ولا يكون مفعولا به لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) فعدة مبتدا والخبر محذوف أى فعليه عدة أى صوم عدة (يريد الله بكم اليسر) حيث أباح الفطر بالسفر والمرض (ولا يريد بكم العسر) ومن فرض الفطر على المريض والمسافر حتى لو صاما تجب عليهما الاعادة فقد عدل عن موجب هذا (ولتكملوا العدة) عدة ما أفطر تم بالقضاء اذا زال المرض والسفر والفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره لتعلموا ولتكملوا العدة (ولتكبروا الله على ماهدا كم ولعلكم تشكرون) شرع ذلك يعنى جملة ماذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بمراعاة عدة ما أفطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ماعلم من كيفية القضاء والخروج من عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص وهذا نوع من اللف اللطيف المسلك وعدى التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كانه قيل لتكبروا الله أى لتعظموه حامدين على ماهدا كم اليه ولتكملوا بالتشديد أبو بكر ولما قال اعرابى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه نزل (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب) علما واجابة لتعاليه عن القرب مكانا (أجيب دعوة الداع اذا دعان) الداعى دعانى في الحالين سهل ويعقوب ووافقهما أبو عمرو ونافع غير قالون في الوصل غيرهم بغير ياء في الحالين ثم اجابة الدعاء وعد صدق من الله لاخلف فيه غير ان اجابة الدعوة تخالف قضاء الحاجة فاجابة الدعوة أن يقول العبد يارب فيقول الله لبيك عبدى وهذا أمر موعود موجود لكل مؤمن وقضاء الحاجة اعطاء المراد وذا قد يكون

ناجزاوقد يكون بعد مدة وقد يكون في الآخرة وقد تكون الخيرة له في غيره (فليستجيبوا لي) اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما أني أجيبهم اذا دعوني لحوائجهم (وليؤمنوا بي) واللام فيهما للامر (لعلهم يرشدون) ليكونوا على رجاء من اصابة الرشد وهو ضد الغي كان الرجل اذا أمسى حل له الاكل والشرب والجماع الى أن يصلي العشاء الآخرة أو يرقد فاذا صلاها أو رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضي الله عنه واقع أهله بعد صلاة العشاء الآخرة فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه فأتى النبي عليه السلام وأخبره بما فعل فقال عليه السلام ما كنت جديرا بذلك فنزل (أحل لكم ليلة الصيام الرفث) أي الجماع (الى نسائكم) عدي بالى لتضمنه معنى الافضاء وانما كنى عنه بلفظ الرفث الدال على معنى القبح ولم يقل الافضاء الى نسائكم استقباحا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه بقوله تعالى (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) وقيل لباس أي ستر عن الحرام وهن لباس لكم استئناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذا رخص لكم في مباشرتهن (علم الله أنكم كنتم تختانون انفسكم) تظلمونها بالجماع وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة (فتاب عليكم) حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور (وعفا عنكم) ما فعلتم قبل الرخصة (فالآن باشروهن) جامعوهن في ليالي الصوم وهو أمر اباحة وسميت المجامعة مباشرة لالتصاق بشرتيهما (وابتغوا ما كتب الله لكم) واطلبوا ما قسم الله لكم وأثبت في اللوح من الولد بالمباشرة أي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل أو وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض) هو أول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود (من الخيط الاسود) وهو ما يمتد من سواد الليل شبها بخيطين أبيض وأسود لامتدادهما (من الفجر) بيان ان الخيط الابيض من الفجر لا من غيره واكتفى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان للآخر أو من للتبعيض لانه بعض الفجر وأوله وقوله من الفجر أخرجه من باب الاستعارة وصيره تشبيها بليغا كما أن قولك رأيت أسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها وعن عدي بن حاتم قال عمدت الى عقالين أبيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي فنظرت اليهما فلم يتبين لي الابيض من الاسود فاخبرت النبي عليه السلام بذلك فقال انك لعريض القفا أي سليم القلب لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته انما ذلك بياض النهار وسواد الليل وفي قوله (ثم أتموا الصيام الى الليل) أي الكف عن هذه الاشياء دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تأخير الغسل الى الفجر وعلى نفي الوصال وعلى وجوب الكفارة في الاكل والشرب وعلى ان الجنابة لا تنافي الصوم (ولا

تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد) معتكفون فيها بين ان الجماع يحل في ليالي رمضان لكن لغير المعتكف والجملة في موضع الحال وفيه دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا في المسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد (تلك) الاحكام التي ذكرت (حدود الله) أحكامه المحدودة (فلا تقربوها) بالمخالفة والتغيير (كذلك يبين الله آياته) شرائعه (للناس لعلهم يتقون) المحارم (ولا تأكلوا أموالكم بينكم) اى لا يأكل بعضكم مال بعض (بالباطل) بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه (وتدلوا بها الى الحكام) ولا تدلوا بها فهو مجزوم داخل في حكم النهي يعني ولا تلقوا أمرها والحكومة فيها الى الحكام (لتأكلوا) بالتحاكم (فريقا) طائفة (من أموال الناس بالاثم) بشهادة الزور أو بالايمان الكاذبة أو بالصلح مع العلم بان المقضى له ظالم وقال عليه السلام للخصمين انما أنا بشر وأنتم تختصمون الى ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيأ فان ما أقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه الرشوة يقال أدلى دلوه أي ألقاه في البئر للاستقاء (وأنتم تعلمون) أنكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أقبح وصاحبه بالتوبيخ أحق قال معاذ بن جبل يارسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة كالشمس فنزل (يسئلونك عن الاهلة) جمع هلال سمي به لرفع الناس أصواتهم عند رؤيته (قل هي مواقيت للناس والحج) أي معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدة نسائهم وأيام حيضهن ومدة حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته كان ناس من الانصار اذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من أهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج وان كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء فنزل (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) أي ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولا خلاف في رفع البر هنا لان الآية ثمة تحتمل الوجهين كما بينا فجاز الرفع والنصب ثمة وهذه لا تحتمل الا وجها واحدا وهو الرفع اذ الباء لا تدخل الا على خبر ليس (ولكن البر) بر (من اتقى) ما حرم الله البيوت وبابه مدني وبصري وحفص وهو الاصل مثل كعب وكعوب ومن كسر الباء فلمكان الياء بعدها ولكن هي توجب الخروج من كسر الى ضم وكانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله تعالى لا يكون الا حكمة فدعوا السؤال عنه وانظروا في خصلة واحدة تفعلونها مما ليس من البر في شيء وأنتم تحسبونها برا فهذا وجه اتصاله بما قبله ويحتمل أن يكون ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت الحج لانه كان من أفعالهم في الحج ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخل من ظهره والمعنى ليس

البر ومالا ينبغي ان تكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر برمن اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله (وأتوا البيوت من أبوابها) وباشروا الامور من وجوهها التي يجب ان تباشر عليها ولا تعكسوا أو المراد وجوب الاعتقاد بان جميع أفعاله تعالى حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسئل عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارنة الشك لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (واتقوا الله) فيما أمركم به ونهاكم عنه (لعلكم تفلحون) لتفوزوا بالنعيم السرمدي (وقاتلوا في سبيل الله) المقاتلة في سبيل الله الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين (الذين يقاتلونكم) يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة وقيل هي أول آية نزلت في القتال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف أو الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من أهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء أو الكفرة كلهم لانهم قاصدون لمقاتلة المسلمين فهم في حكم المقاتلة (ولا تعتدوا) في ابتداء القتال أو بقتال من نهيتم عنه من النساء والشيوخ ونحوهما أو بالمثلة (ان الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم) وجدتموهم والثقف الوجود على وجه الاخذ والغلبة (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أي من مكة وعدهم الله تعالى فتح مكة بهذه الآية وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح (والفتنة أشد من القتل) أي شركهم بالله أعظم من القتل الذي يحل بهم منكم وقيل الفتنة عذاب الآخرة وقيل المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان فيعذب به أشد عليه من القتل وقيل لحكيم ما أشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت فقد جعل الاخراج من الوطن من الفتن التي يتمنى عندها الموت (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) أي ولا تبدؤا بقتالهم في الحرم حتى يبدؤا فعندنا المسجد الحرام يقع على الحرم كله (فان قاتلوكم فاقتلوهم) في الحرم فعندنا يقتلون في الاشهر الحرم لا في الحرم الا أن يبدؤا بالقتال معنا فحينئذ نقتلهم وان كان ظاهر قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم يبيح القتل في الامكنة كلها لكن لقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه خص الحرم الا عند البداءة منهم كذا في شرح التأويلات (كذلك جزاء الكافرين) مبتدأ وخبر ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم حمزة وعلي (فان انتهوا) عن الشرك والقتال (فان الله غفور) لما سلف من طغيانهم (رحيم) بقبول توبتهم وايمانهم (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) شرك وكان تامة وحتى بمعنى كي أو الى أن (ويكون الدين لله) خالصا ليس للشيطان فيه نصيب أي لا يعبد دونه شيء (فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين) فان امتنعوا عن الكفر فلا تقاتلوهم فانه لا عدوان الا على الظالمين ولم يبق ظالمين أو فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة (الشهر الحرام) مبتدأ خبره (بالشهر الحرام) أي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه

بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم (والحرمات قصاص) أي وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة أي حرمة كانت اقتص منه بان تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا وأكد ذلك بقوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) من شرطية والباء غير زائدة والتقدير بعقوبة مماثلة لعدوانهم أو زائدة وتقديره عدوانا مثل عدوانهم (واتقوا الله) في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم (واعلموا أن الله مع المتقين) بالنصر (وأنفقوا في سبيل الله) تصدقوا في رضا الله وهو عام في الجهاد وغيره (ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة) أي أنفسكم والباء زائدة أو ولا تقتلوا أنفسكم بايديكم كما يقال أهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك أو عن الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله أو عن الاخطار بالنفس أو عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو والتهلكة والهلاك والهلك واحد (وأحسنوا) الظن بالله في الاخلاف (ان الله يحب المحسنين) الى المحتاجين (وأتموا الحج والعمرة لله) وأدوهما تامين بشرائطهما وفرائضهما لوجه الله تعالى بلا توان ولا نقصان وقيل الاتمام يكون بعد الشروع فهو دليل على ان من شرع فيهما لزمه اتمامهما وبه نقول ان العمرة تلزم بالشروع ولا تمسك للشافعي رحمه الله بالآية على لزوم العمرة لانه أمر باتمامهما وقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع أو اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة أهلك أو أن تفرد لكل واحد منهما سفرا أو أن تنفق فيهما حلالا أو ان لا تتجر معهما (فان أحصرتم) يقال أحصر فلان اذا منعه أمر من خوف أو مرض أو عجز وحصر اذا حبسه عدو عن المضي وعندنا الاحصار يثبت بكل منع من عدو أو مرض أو غيرهما لظاهر النص وقد جاء في الحديث من كسر أو عرج فقد حل أي جاز له أن يحل وعليه الحج من قابل وعند الشافعي رحمه الله الاحصار بالعدو وحده وظاهر النص يدل على ان الاحصار يتحقق في العمرة أيضا لانه ذكر عقبهما (فما استيسر من الهدي) فما تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدي جمع هدية يعني فان منعتم من المضي الى البيت وأنتم محرمون بحج أو عمرة فعليكم اذا أردتم التحلل ما استيسر من الهدي من بعير أو بقرة أو شاة فما رفع بالابتداء أي فعليكم ما استيسر أو نصب أي فاهدوا ما استيسر (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله) الخطاب للمحصرين أي لا تحلوا بحلق الرأس حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ محله أي مكانه الذي يجب نحره فيه وهو الحرم وهو حجة لنا في أن دم الاحصار لا يذبح الا في الحرم على الشافعي رحمه الله اذ عنده يجوز في غير الحرم (فمن كان منكم مريضا) فمن كان منكم به مرض يحوجه الى الحلق (أو به أذى من رأسه) وهو القمل أو الجراحة (ففدية) فعليه اذا حلق فدية (من صيام) ثلاثة ايام (أو صدقة) على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر (أو نسك) شاة وهو مصدر أو جمع نسيكة (فاذا أمنتم) الاحصار أي فاذا لم تحصروا وكنتم في حال أمن وسعة

(فمن تمتع) استمتع (بالعمرة الى الحج) واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله قبل انتفاعه بالتقرب بالحج وقيل اذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى أن يحرم بالحج (فما استيسر من الهدى) هو هدى المتعة وهو نسك يؤكل منه ويذبح يوم النحر (فمن لم يجد) الهدى (فصيام ثلاثة أيام فى الحج) فعليه صيام ثلاثة أيام فى وقت الحج وهو أشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج (وسبعة اذا رجعتم) اذا نفرتم وفرغتم من أفعال الحج (تلك عشرة كاملة) فى وقوعها بدلا عن الهدى أو فى الثواب او المراد رفع الايهام فلا يتوهم فى الواو أنها بمعنى الاباحة كما فى جالس الحسن وابن سيرين ألا ترى انه لو جالسهما او أحدا منهما كان ممتثلا (ذلك) اشارة الى التمتع اذ لا تمتع ولا قران لحاضرى المسجد الحرام عندنا وعند الشافعى رحمه الله الى الحكم الذى هو وجوب الهدى او الصيام ولم يوجب عليهم شيأ (لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام) هم أهل المواقيت فمن دونها الى مكة (واتقوا الله) فيما أمركم به ونهاكم عنه فى الحج وغيره (واعلموا ان الله شديد العقاب) لمن لم يتقه (الحج) اى وقت الحج كقولك البرد شهران (اشهر معلومات) معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم وهى شوال وذو القعدة وعشر ذى الحجة وفائدة توقيت الحج بهذه الاشهر ان شيأ من أفعال الحج لا يصح الا فيها وكذا الاحرام عند الشافعى رحمه الله وعندنا وان انعقد لكنه مكروه وجمعت اى الاشهر لبعض الثالث أولان اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما (فمن فرض) ألزم على نفسه بالاحرام (فيهن الحج) فى هذه الاشهر (فلا رفث) هو الجماع او ذكره عند النساء او الكلام الفاحش (ولا فسوق) هو المعاصى او السباب لقوله عليه السلام سباب المؤمن فسوق او التنابز بالالقاب لقوله تعالى بئس الاسم الفسوق (ولا جدال فى الحج) ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما أمر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب فى كل حال لانه مع الحج أسمج كلبس الحرير فى الصلاة والتطريب فى قراءة القرآن والمراد بالنفى وجوب انتفائها وانها حقيقة بان لا تكون وقرأ أبو عمرو ومكى الاولين بالرفع فحملاهما على معنى النهى كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالنصب على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كانه قيل ولا شك ولا خلاف فى الحج ثم حث على الخير عقيب النهى عن الشر وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة بقوله تعالى (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) اعلم بانه عالم به يجاز يكم عليه ورد قول من نفى علمه بالجزئيات كان أهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فنزل فيهم (وتزودوا) اى تزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم (فان خير الزاد التقوى) اى الاتقاء عن الابرام والتثقيل عليهم او تزودوا للمعاد باتقاء المحظورات فان خير الزاد اتقاؤها (واتقون) وخافوا عقابى وهو مثل دعان (يا أولى الالباب) يا ذوى العقول يعنى ان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباء فكانه لا لب له ونزل فى قوم زعموا ان لا حج لجمال وتاجر وقالوا

هؤلاء الداج وليسوا بالحاج (ليس عليكم جناح أن تبتغوا) في ان تبتغوا في مواسم الحج (فضلا من ربكم) عطاء وتفضيلا وهو النفع والربح بالتجارة والكراء (فاذا أفضتم) دفعتم بكثرة من افاضة الماء وهو صبه بكثرة وأصله أفضتم أنفسكم فترك ذكر المفعول (من عرفات) هي علم للموقف سمي بجمع كاذرعات وانما صرفت لان التاء فيها ليست للتأنيث بل هي مع الالف قبلها علامة جمع المؤنث وسميت بذلك لانها وصفت لابراهيم عليه السلام فلما رآها عرفها وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وفيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده (فاذكروا الله) بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات أو بصلاة المغرب والعشاء (عند المشعر الحرام) هو قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه المقيدة والمشعر المعلم لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته وسميت المزدلفة وجمعا لان آدم عليه السلام اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها أي دنا منها أو لانه يجمع فيها بين الصلاتين أو لان الناس يزدلفون الى الله تعالى أي يتقربون بالوقوف فيها (واذكروه كما هداكم) ما مصدرية أو كافة أي اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة أو اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه ولا تعدلوا عنه (وان كنتم من قبله) من قبل الهدى (لمن الضالين) الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان مخففة من الثقيلة واللام فارقة (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) ثم لتكن افاضتكم من حيث أفاض الناس ولا تكن من المزدلفة قالوا هذا أمر لقريش بالافاضة من عرفات الى جمع وكانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفات ويقولون نحن قطان حرمه فلا نخرج منه وقيل الافاضة من عرفات مذكورة فهي الافاضة من جمع الى منى والمراد بالناس على هذا الجنس ويكون الخطاب للمؤمنين (واستغفروا الله) من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم أو من تقصيركم في أعمال الحج (ان الله غفور رحيم) بكم (فاذا قضيتم مناسككم) فاذا فرغتم من عباداتكم التي أمرتم بها في الحج ونفرتم (فاذكروا الله كذكركم آباءكم) أي فاذكروا الله ذكرا مثل ذكركم آباءكم والمعنى فاكثروا من ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وأيامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن أيامهم (أو أشد ذكرا) أي أكثر وهو في موضع جر عطف على ما أضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقولون كذكر قريش آباءهم أو قوم أشد منهم ذكرا وذكرا تمييز (فمن الناس من يقول) فمن الذين يشهدون الحج من يسأل الله حظوظ الدنيا فيقول (ربنا آتنا في الدنيا) اجعل ايتاءنا أي اعطاءنا في الدنيا خاصة يعني الجاه والغنى (وماله في الآخرة من خلاق) نصيب لان همه مقصور على الدنيا لكفره بالآخرة والمعنى اكثروا ذكر الله ودعاءه لان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اغراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين أي من الذين قيل فيهم (ومنهم) ومن الذين يشهدون الحج (من يقول ربنا آتنا في الدنيا

حسنة) نعمة وعافية أو علما وعبادة (وفي الآخرة حسنة) عفوا ومغفرة أو المال والجنة أو ثناء الخلق ورضا الحق أو الايمان والامان أو الاخلاص والخلاص أو السنة والجنة أو القناعة والشفاعة أو المرأة الصالحة والحور العين أو العيش على سعادة والبعث من القبور على بشارة (وقنا عذاب النار) احفظنا من عذاب جهنم أو عذاب النار امرأة السوء (أولئك) أى الداعون بالحسنتين (لهم نصيب مما كسبوا) من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذى هو المنافع الحسنة أو من أجل ما كسبوا وسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب ويجوز أن يكون أولئك للفريقين أوان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا (والله سريع الحساب) يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة أو وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة أعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر من نقمته وروى انه يحاسب الخلق فى قدر حلب شاة وروى في مقدار لمحة (واذكروا الله فى أيام معدودات) هى أيام التشريق وذكر الله فيها التكبير فى أدبار الصلوات وعند الجمار (فمن تعجل) فمن عجل فى النفر أو استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل فى الامر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة أوفق بقوله ومن تأخر (فى يومين) من هذه الايام الثلاثة فلم يمكث حتى يرمى فى اليوم الثالث واكتفى برمى الجمار فى يومين من هذه الايام الثلاثة (فلا اثم عليه) فلا يأثم بهذا التعجيل (ومن تأخر) حتى رمى فى اليوم الثالث (فلا اثم عليه لمن اتقى) الصيد أو الرفث والفسوق أو هو مخير فى التعجيل والتأخر وان كان التأخر أفضل فقد يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم أفضل وقيل كان أهل الجاهلية فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفى المأثم عنهما (واتقوا الله) فى جميع الامور (واعلموا أنكم اليه تحشرون) حين يبعثكم من القبور كان الاخنس بن شريق حلو المنطق اذا لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله انى صادق فنزل فيه (ومن الناس من يعجبك قوله) يروقك ويعظم فى قلبك ومنه الشىء العجيب الذى يعظم فى النفس (فى الحيوة الدنيا) فى يتعلق بالقول أى يعجبك ما يقوله فى معنى الدنيا لانه يطلب بادعاء المحبة حظ الدنيا ولا يريد به الآخرة أو بيعجبك أى يعجبك حلو كلامه فى الدنيا لا فى الآخرة لما يرهقه فى الموقف من الحبسة واللكنة (ويشهد الله على ما فى قلبه) أى يحلف ويقول الله شاهد على ما فى قلبى من محبتك ومن الاسلام (وهو ألد الخصام) شديد الجدال والعداوة للمسلمين والخصام المخاصمة والاضافة بمعنى فى لان أفعل يضاف الى ما هو بعضه تقول زيد أفضل القوم ولا يكون الشخص بعض الحدث فتقديره ألد فى الخصومة أو الخصام جمع خصم كصعب وصعاب والتقدير وهو أشد الخصوم خصومة (واذا تولى) عنك

وذهب بعد إلانة القول واحلاء المنطق (سعى فى الارض ليفسد فيها) كما فعل بثقيف فانه كان بينه و بينهم خصومة فبيتهم ليلا وأهلك مواشيهم وأحرق زروعهم (ويهلك الحرث والنسل) اى الزرع والحيوان اواذا كان واليا فعل مايفعله ولاة السوء من الفساد فى الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل (والله لايحب الفساد واذا قيل له) للاخنس (اتق الله) فى الافساد والاهلاك (أخذته العزة بالاثم) حملته النخوة وحمية الجاهلية على الاثم الذى ينهى عنه وألزمته ارتكابه اوالباء للسبب اى أخذته العزة من أجل الاثم الذى فى قلبه وهو الكفر (فحسبه جهنم) اى كافيه (ولبئس المهاد) اى الفراش جهنم ونزل فى صهيب حين أراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فاشترى نفسه بماله منهم وأتى المدينة او فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل (ومن الناس من يشرى نفسه) يبيعها (ابتغاء) لابتغاء (مرضات الله والله رؤف بالعباد) حيث أثابهم على ذلك (ياأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم) وبفتح السين حجازى وعلى وهو الاستسلام والطاعة اى استسلموا لله وأطيعوه اوالاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا بنبيهم وكتابهم او للمنافقين لانهم آمنوا بألسنتهم (كافة) لايخرج أحد منكم يده عن طاعته حال من الضمير فى ادخلوا اى جميعا اومن السلم لانها تؤنث كأنهم أمروا أن يدخلوا فى الطاعات كلها اوفى شعب الاسلام وشرائعه كلها وكافة من الكف كأنهم كفوا ان يخرج منهم أحد باجتماعهم (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) وساوسه (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (فان زللتم) ملتم عن الدخول فى السلم (من بعد ما جاءتكم البينات) اى الحجج الواضحة والشواهد اللائحة على ان ماد عيتم الى الدخول فيه هو الحق (فاعلموا ان الله عزيز) غالب لايمنعه شئ من عذابكم (حكيم) لايعذب الابحق وروى ان قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه اعرابى لم يقرأ القرآن فأنكره وقال ليس هذا من كلام الله اذا الحكيم لايذكر الغفران عند الزلل والعصيان لانه اغراء عليه (هل ينظرون) ماينتظرون (الا أن يأتيهم الله) اى أمر الله وبأسه كقوله او يأتى أمر ربك فجاءها بأسنا اوالمأتى به محذوف بمعنى أن يأتيهم الله بيأسه للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز (فى ظلل) جمع ظلة وهى ما اظلك (من الغمام) السحاب وهو للتهويل اذ الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر أفظع وأهول (والملائكة) اى وتأتى الملائكة الذين وكلوا بتعذيبهم اوالمراد حضورهم يوم القيامة (وقضى الامر) اى وتم أمر اهلاكهم وفرغ منه (والى الله ترجع الامور) اى انه ملك العباد بعض الامور فترجع اليه الامور يوم النشور ترجع الامور حيث كان شامى وحمزة وعلى (سل) أصله اسأل فنقلت فتحة الهمزة الى السين بعد حذفها واستغنى عن همزة الوصل فصار سل وهو أمر للرسول اولكل أحد وهو سؤال تقريع كما يسئل الكفرة يوم القيامة (بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة) على أيدى أنبيائهم وهى

معجزاتهم أومن آية في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام وكم استفهامية أوخبرية (ومن يبدل نعمة الله) هي آياته وهي أجل نعمة من الله لانها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها أن الله أظهرها لتكون أسباب هداهم فجعلوها أسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم أى وحرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد عليه السلام (من بعد ما جاءته) من بعد ما عرفها وصحت عنده لانه اذا لم يعرفها فكأنها غائبة عنه (فان الله شديد العقاب) لمن استحقه (زين للذين كفروا الحيوة الدنيا) المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في أعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها أوالله تعالى بخلق الشهوات فيهم ولان جميع الكائنات منه ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحيوة الدنيا (ويسخرون من الذين آمنوا) كانوا يسخرون من فقراء المؤمنين كابن مسعود وعمار وصهيب ونحوهم أى لا يريدون غير الدنيا وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها أو ممن يطلب غيرها (والذين اتقوا) عن الشرك وهم هؤلاء الفقراء (فوقهم يوم القيامة) لانهم في جنة عالية وهم في نار هاوية (والله يرزق من يشاء بغير حساب) بغير تقتير يعنى انه يوسع على من أراد التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره وهذه التوسعة عليكم من الله لحكمة وهى استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان المؤمنون أحق بها منكم (كان الناس أمة واحدة) متفقين على دين الاسلام من آدم الى نوح عليهما السلام أوهم نوح ومن كان معه في السفينة فاختلفوا (فبعث الله النبيين) ويدل على حذفه قوله تعالى ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقراءة عبد الله كان الناس أمة واحدة فاختلفوا وقوله تعالى وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا أوكان الناس أمة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول الاوجه (مبشرين) بالثواب للمؤمنين (ومنذرين) بالعقاب للكافرين وهما حالان (وأنزل معهم الكتاب) أى مع كل واحد منهم كتابه (بالحق) بتبيان الحق (ليحكم) الله أوالكتاب أوالنبى المنزل عليه (بين الناس فيما اختلفوا فيه) في دين الاسلام الذى اختلفوا فيه بعد الاتفاق (وما اختلف فيه) في الحق (الا الذين أوتوه) أى الكتاب المنزل لازالة الاختلاف أى ازدادوا في الاختلاف لما أنزل عليهم الكتاب (من بعد ما جاءتهم البينات) على صدقه (بغيا بينهم) مفعول له أى حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه) أى هدى الله الذين آمنوا للحق الذى اختلف فيه من اختلف فيه (من الحق) بيان لما اختلفوا فيه (باذنه) بعلمه (والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم أم حسبتم) أم منقطعة لا متصلة لان شرطها أن يكون قبلها همزة الاستفهام كقولك أعندك زيد أم عمرو أى أيهما عندك وجوابه زيد ان كان عنده زيد أو عمرو ان كان عنده عمرو وأما أم المنقطعة فتقع بعد الاستفهام وبعد الخبر وتكون بمعنى بل والهمزة والتقدير بل أحسبتم ومعنى الهمزة فيها للتقرير وانكار الحسبان واستبعاده ولما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين بعد مجىء البينات تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الثبات

والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب وانكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي أبلغ أم حسبتم (أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم) أي ولم يأتكم وفي لما معنى التوقع يعني ان اتيان ذلك متوقع منتظر (مثل الذين خلوا) مضوا أي حالهم التي هي مثل في الشدة (من قبلكم) من النبيين والمؤمنين (مستهم) بيان للمثل وهو استئناف كأن قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم (البأساء) أي البؤس (والضراء) المرض والجوع (وزلزلوا) وحركوا بأنواع البلايا وازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه) الى الغاية التي قال الرسول ومن معه من المؤمنين (متى نصر الله) أي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة فقيل لهم (ألا ان نصر الله قريب) اجابة لهم الى طلبهم من عاجل النصر يقول بالرفع نافع على حكاية حال ماضية نحو شربت الابل حتى يجيء البعير يجر بطنه وغيره بالنصب على اضمار أن ومعنى الاستقبال لان أن علم له ☆ ولما قال عمرو بن الجموح وهو شيخ كبير وله مال عظيم ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها نزل (يسئلونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) فقد تضمن قوله ما أنفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبنى الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا أن تقع موقعها عن الحسن هي في التطوع (وما تفعلوا من خير فان الله به عليم) فيجزى عليه (كتب عليكم القتال) فرض عليكم جهاد الكفار (وهو كره لكم) من الكراهة فوضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها

☆ فانما هي اقبال وادبار ☆ كأنه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له أو هو فعل بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز أي وهو مكروه لكم (وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم) فانتم تكرهون الغزو وفيه احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة (وعسى أن تحبوا شيأ) وهو القعود عن الغزو (وهو شر لكم) لما فيه من الذل والفقر وحرمان الغنيمة والاجر (والله يعلم) ما هو خير لكم (وأنتم لا تعلمون) ذلك فبادروا الى ما يأمركم به وان شق عليكم ونزل في سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا المشركين وقد أهل هلال رجب وهم لا يعلمون ذلك فقالت قريش قد استحل محمد عليه السلام الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف (يسئلونك عن الشهر الحرام) أي يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال في الشهر الحرام (قتال فيه) بدل الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم (قل قتال فيه كبير) أي اثم كبير قتال مبتدأ وكبير خبره وجاز الابتداء بالنكرة لانها قد وصفت بفيه وأكثر الاقاويل على انها منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (وصد عن سبيل الله) أي منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت عام الحديبية وهو مبتدأ (وكفر به) أي بالله عطف عليه (والمسجد الحرام) عطف على سبيل الله أي وصد عن سبيل الله

وعن المسجد الحرام وزعم الفراء أنه معطوف على الهاء فى به أى كفر به وبالمسجد الحرام ولا
يجوز عند البصريين العطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار فلا تقول مررت به وزيد
ولكن تقول وبزيد ولو كان معطوفا على الهاء هنا لقيل وكفر به وبالمسجد الحرام (واخراج
أهله) أى أهل المسجد الحرام وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وهو عطف عليه
أيضا (منه) من المسجد الحرام وخبر الاسماء الثلاثة (أكبر عند الله) أى مما فعلته السرية من
القتال فى الشهر الحرام على سبيل الخطا والبناء على الظن (والفتنة) الاخراج أو الشرك
(أكبر من القتل) فى الشهر الحرام أو تعذيب الكفار المسلمين أشد قبحا من قتل هؤلاء
المسلمين فى الشهر الحرام (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم) أى الى الكفر وهو
اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى
معناها التعليل نحو فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة أى يقاتلونكم كى يردوكم وقوله تعالى
(ان استطاعوا) استبعاد لاستطاعتهم كقولك لعدوك ان ظفرت بى فلا تبق على وأنت واثق بانه
لا يظفر بك (ومن يرتدد منكم عن دينه) ومن يرجع عن دينه الى دينهم (فيمت وهو كافر)
أى يمت على الردة (فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة) لما يفوتهم بالردة مما للمسلمين
فى الدنيا من ثمرات الاسلام وفى الآخرة من الثواب وحسن المآب (وأولئك أصحاب النار
هم فيها خالدون) وبها احتج الشافعى رحمه الله على أن الردة لا تحبط العمل حتى يموت عليها
وقلنا قد علق الحبط بنفس الردة بقوله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله والاصل
عندنا أن المطلق لا يحمل على المقيد وعنده يحمل عليه فهو بناء على هذا ولما قالت السرية
أيكون لنا أجر المجاهدين فى سبيل الله نزل (ان الذين آمنوا والذين هاجروا) تركوا مكة
وعشائرهم (وجاهدوا فى سبيل الله) مع المشركين ولا وقف عليه لان (أولئك يرجون رحمت
الله) خبر ان قيل من رجا طلب ومن خاف هرب (والله غفور رحيم) نزل فى الخمر أربع آيات
نزل بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها وهى
لهم حلال ثم ان عمر ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله أفتنا فى الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة
للمال فنزل (يسئلونك عن الخمر والميسر) فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن
عوف جماعة فشربوا وسكروا فأم بعضهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون فنزل
لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك جماعة فلما سكروا منها
تخاصموا وتضاربوا فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزل انما الخمر والميسر الى قوله
فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهينا يارب وعن على رضى الله عنه لو وقعت قطرة فى بئر فبنيت
مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت فى بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم أرعه والخمر ما غلى
واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وسميت بمصدر خمره خمرا اذا ستره لتغطيتها العقل
والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد من فعله يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر لانه
أخذ مال الرجل بيسر وسهولة بلا كد وتعب أو من اليسار كأنه سلب يساره وصفة الميسر أنه

كانت لهم عشرة أقداح سبعة منها عليها خطوط وهو الفذ وله سهم والتوأم وله سهمان والرقيب وله ثلاثة والحلس وله أربعة والنافس وله خمسة والمسبل وله ستة والمعلى وله سبعة وثلاثة أغفال لانصيب لها وهي المنيح والسفيح والوغد فيجعلون الاقداح في خريطة ويضعونها على يد عدل ثم يجلجلها ويدخل يده ويخرج باسم رجل قدحا قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لانصيب له لم يأخذ شيأ وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه وفي حكم الميسر أنواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما بدليل (قل فيهما اثم كبير) بسبب التخاصم والتشاتم وقول الفحش والزور كثير حمزة وعلى (ومنافع للناس) بالتجارة في الخمر والتلذذ بشربها وفي الميسر بارتفاق الفقراء أو نيل المال بلا كد (واثمهما) وعقاب الاثم في تعاطيهما (أكبر من نفعهما) لان أصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة (ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو) أي الفضل أي أنفقوا ما فضل عن قدر الحاجة وكان التصدق بالفضل في أول الاسلام فرضا فاذا كان الرجل صاحب زرع أمسك قوت سنة وتصدق بالفضل واذا كان صانعا أمسك قوت يومه وتصدق بالفضل فنسخت بآية الزكاة العفو أبو عمرو فمن نصبه جعل ماذا اسما واحدا في موضع النصب بينفقون والتقدير قل ينفقون العفو ومن رفعه جعل ما مبتدأ وخبره ذا مع صلته فذا بمعنى الذي وينفقون صلته أي ما الذي ينفقون فجاء الجواب العفو أي هو العفو فاعراب الجواب كاعراب السؤال ليطابق الجواب السؤال (كذلك) الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف أي تبيينا مثل هذا التبيين (يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا) أي في أمر الدنيا (والآخرة) وفي يتعلق بتتفكرون أي تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو أصلح لكم أو تتفكرون في الدارين فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع ويجوز أن يتعلق بيبين أي يبين لكم الآيات في أمر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون ولما نزل ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتركوا مخالطتهم والقيام بأموالهم وذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل (ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير) أي مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم (وان تخالطوهم) وتعاشروهم ولم تجانبوهم (فاخوانكم) فهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ أن يخالط أخاه (والله يعلم المفسد) لاموالهم (من المصلح) لها فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح (ولو شاء الله) اعناتكم (لاعنتكم) لحملكم على العنت وهو المشقة وأحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم (ان الله عزيز) غالب يقدر على أن يعنت عباده ويحرجهم (حكيم) لا يكلف الا وسعهم وطاقتهم ولما سأل مرثد النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يتزوج عناق وكانت مشركة نزل (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) أي لا تتزوجوهن يقال نكح اذا

تزوج وأنكح غيرذوجه (ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم) ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها (ولا تنكحوا المشركين) ولا تزوجوهم بمسلمة كذا قاله الزجاج وقال جامع العلوم حذف أحد المفعولين والتقدير ولا تنكحوهن المشركين (حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم) ثم بين علة ذلك فقال (أولئك) وهو اشارة الى المشركات والمشركين (يدعون الى النار) الى الكفر الذى هو عمل أهل النار فحقهم أن لا يوالوا ولا يصاهروا (والله يدعوا الى الجنة والمغفرة) أى وأولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم (باذنه) بعلمه أو بأمره (ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون) يتعظون كانت العرب لم يؤا كلوا الحائض ولم يشاربوها ولم يساكنوها كفعل اليهود والمجوس فسأل أبو الدحداح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال يارسول الله كيف نصنع بالنساء اذا حضن فنزل (ويسئلونك عن المحيض) هو مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا (قل هو أذى) أى المحيض شئ يستقذر ويؤذى من يقربه (فاعتزلوا النساء فى المحيض) فاجتنبوهن أى فاجتنبوا مجامعتهن وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن فى كل شئ فأمر الله بالاقتصاد بين الامرين ثم عند أبى حنيفة وأبى يوسف رحمهما الله يجتنب مااشتمل عليه الازار ومحمد رحمه الله لا يوجب الا اعتزال الفرج وقالت عائشة رضى الله عنها يجتنب شعار الدم وله ماسوى ذلك (ولا تقربوهن) مجامعين أو ولا تقربوا مجامعتهن (حتى يطهرن) بالتشديد كوفى غير حفص أى يغتسلن وأصله يتطهرن فأدغم التاء فى الطاء لقرب مخرجيهما غيرهم يطهرن أى ينقطع دمهن والقراءتان كآيتين فعملنا بهما وقلنا له ان يقربها فى أكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل عملا بقراءة التخفيف وفى أقل منه لا يقربها حتى تغتسل أو يمضى عليها وقت الصلاة عملا بقراءة التشديد والحمل على هذا أولى من العكس لانه حينئذ يجب ترك العمل باحداهما لما عرف وعند الشافعى رحمه الله لا يقربها حتى تطهر وتتطهر دليله قوله تعالى (فاذا تطهرن فأتوهن) فجامعوهن فجمع بينهما (من حيث أمركم الله) من المأتى الذى أمركم الله به وحلله لكم وهو القبل (ان الله يحب التوابين) من ارتكاب مانهوا عنه أو العوادين الى الله تعالى وان زلوا فزلوا والمحبة لمعرفته بعظم عفو الله حيث لا ييأس (ويحب المتطهرين) بالماء أو المتنزهين من أدبار النساء أو من الجماع فى الحيض أو من الفواحش كان اليهود يقولون اذا أتى الرجل أهله باركة أتى الولد أحول فنزل (نساؤكم حرث لكم) مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبهن بالمحارث تشبيها لما يلقى فى أرحامهن من النطف التى منها النسل بالبذور والولد بالنبات ووقع قوله نساؤكم حرث لكم بيانا وتوضيحا لقوله فأتوهن من حيث أمركم الله أى ان المأتى الذى أمركم الله به هو مكان الحرث لا مكان الفرث تنبيها على ان المطلوب الاصلى فى الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن الا من المأتى الذى نيط به

هذا المطلوب (فأتوا حرثكم أنى شئتم) جامعوهن متى شئتم أو كيف شئتم باركة أو مستلقية أو مضطجعة بعد أن يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وهو تمثيل أى فأتوهن كما تأتون أراضيكم التى تريدون أن تحرثوها من أى جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة وقوله هو أذى فاعتزلوا النساء من حيث أمركم الله فأتوا حرثكم أنى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة فعلى كل مسلم أن يتأدب بها ويتكلف مثلها فى المحاورات والمكاتبات (وقدموا لانفسكم) مايجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف مانهيتم عنه أو هو طلب الولد أو التسمية على الوطء (واتقوا الله) فلا تجترؤا على المناهى (واعلموا أنكم ملاقوه) صائرون اليه فاستعدوا اللقائه (وبشر المؤمنين) بالثواب يا محمد وانما جاء يسئلونك ثلاث مرات بلا واو ثم مع الواو ثلاثا لان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول كانه وقع فى أحوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الاخر فى وقت واحد فجئ بحرف الجمع لذلك (ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم) العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة وهى اسم ما تعرضه دون الشئ من عرض العود على الاناء فيتعرض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير وكان الرجل يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم أو اصلاح ذات بين أو احسان الى أحد أو عبادة ثم يقول أخاف الله ان أحنث فى يمينى فيترك البر ارادة البر فى يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم أى حاجزا لما حلفتم عليه وسمى المحلوف عليه يمينا بتلبسه باليمين كقوله عليه السلام من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وقوله (أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) عطف بيان لايمانكم أى للامور المحلوف عليها التى هى البر والتقوى والاصلاح بين الناس واللام تتعلق بالفعل أى ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا ويجوز أن تكون اللام للتعليل ويتعلق أن تبروا بالفعل أو بالعرضة أى ولا تجعلوا الله لاجل أيمانكم به عرضة لان تبروا (والله سميع) لايمانكم (عليم) بنياتكم (لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم) اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين الساقط الذى لا يعتد به فى الايمان وهو أن يحلف على شئ يظنه على ماحلف عليه والامر بخلافه والمعنى لا يعاقبكم بلغو اليمين الذى يحلفه أحدكم وعند الشافعى رحمه الله هو ما يجرى على لسانه من غير قصد للحلف نحو لا والله وبلى والله (ولكن يؤاخذكم) ولكن يعاقبكم (بما كسبت قلوبكم) بما اقترفته من اثم القصد الى الكذب فى اليمين وهو ان يحلف على مايعلم انه خلاف مايقوله وهو اليمين الغموس وتعلق الشافعى بهذا النص على وجوب الكفارة فى الغموس لان كسب القلب العزم والقصد والمؤاخذة غير مبينة هنا وبينت فى المائدة فكان البيان ثمة بيانا هنا وقلنا المؤاخذة هنا مطلقة وهى فى دار الجزاء والمؤاخذة ثم مقيدة بدار الابتلاء فلا يصح حمل البعض على البعض (والله غفور حليم) حيث لم يؤاخذكم باللغو فى أيمانكم (للذين يؤلون) يقسمون وهى

قراءة ابن عباس رضي الله عنه ومن في (من نسائهم) يتعلق بالجار والمجرور أي للذين كانقول لك مني نصرة ولك مني معونة أي للمؤلين من نسائهم (تربص أربعة أشهر) أي استقر للمؤلين ترقب أربعة أشهر لا يؤلون لان آلى يعدى بعلى يقال آلى فلان على امرأته وقول القائل آلى فلان من امرأته وهم توهمه من هذه الآية ولك أن تقول عدي بمن لما في هذا القسم من معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين (فان فاؤا) في الاشهر لقراءة عبد الله فان فاؤا فيهن أي رجعوا الى الوطء عن الاصرار بتركه (فان الله غفور رحيم) حيث شرع الكفارة (وان عزموا الطلاق) بترك الفيء فتربصوا الى مضي المدة (فان الله سميع) لايلائه (عليم) بنيته وهو وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة وعند الشافعي رحمه الله معناه فان فاؤا وان عزموا بعد مضي المدة لان الفاء للتعقيب وقلنا قوله فان فاؤا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول أنا نزيلكم هذا الشهر فان أحمدتكم أقمت عندكم الى آخره والالم أقم الاريثما أتحول (والمطلقات) أراد المدخول بهن من ذوات الاقراء (يتربصن بأنفسهن) خبر في معنى الامر وأصل الكلام ولتتربص المطلقات واخراج الامر في صورة الخبر تأكيد للامر واشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكأنهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كانما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدا مما زاده أيضا فضل تأكيد لان الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبات بخلاف الفعلية وفي ذكر الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان أنفس النساء طوامح الى الرجال فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص (ثلاثة قروء) جمع قرء أو قرء وهو الحيض لقوله عليه السلام دعي الصلاة أيام أقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر فأقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان المطلوب من العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة ولانه لو كان طهرا كما قال الشافعي لانقضت العدة بقرأين وبعض الثالث فانتقض العدد عن الثلاثة لانه اذا طلقها في آخر الطهر فذا محسوب من العدة عنده واذا طلقها في آخر الحيض فذا غير محسوب من العدة عندنا والثلاث اسم خاص لعدد مخصوص لا يقع على مادونه ويقال أقرأت المرأة اذا حاضت وامرأة مقرئ وانتصاب ثلاثة على انه مفعول به أي يتربصن مضي ثلاثة قروء أو على الظرف أي يتربصن مدة ثلاثة قروء وجاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء لاشتراكهما في الجمعية اتساعا ولعل القروء كانت أكثر استعمالا في جمع قرء من الاقراء فاوثر عليه تنزيلا لقليل الاستعمال منزلة المهمل (ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في أرحامهن) من الولد أو من دم الحيض أو منهما وذلك اذا أرادت

المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها أو كتمت حيضها وقالت وهى حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ثم عظم فعلهن فقال (ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) لان من آمن بالله و بعقابه لايجترئ على مثله من العظائم (و بعولتهن) البعول جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع (أحق بردهن) أى أزواجهن أولى برجعتهن وفيه دليل على ان الطلاق الرجعى لايحرم الوطء حيث سماه زوجا بعد الطلاق (فى ذلك) فى مدة ذلك التربص والمعنى ان الرجل ان أراد الرجعة وأبتها المرأة وجب ايثار قوله على قولها وكان هو أحق منها الا ان لها حقا فى الرجعة (ان أرادوا) بالرجعة (اصلاحا) لما بينهم و بينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن (ولهن مثل الذى عليهن) ويجب لهن من الحق على الرجال من المهر والنفقة وحسن العشرة وترك المضارة مثل الذى يجب لهم عليهن من الامر والنهى (بالمعروف) بالوجه الذى لاينكر فى الشرع وعادات الناس فلا يكلف أحد الزوجين صاحبه ماليس له والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب فى كونه حسنة لا فى جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه أو خبزت له أن يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال (وللرجال عليهن درجة) زيادة فى الحق وفضيلة بالقيام بامرها وان اشتركا فى اللذة والاستمتاع أو بالانفاق وملك النكاح (والله عزيز) لايعترض عليه فى أموره (حكيم) لايأمر الا بما هو صواب وحسن (الطلاق مرتان) الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم أى التطليق الشرعى تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله ثم ارجع البصر كرتين أى كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين وهو دليل لنا فى ان الجمع بين الطلقتين والثلاثة بدعة فى طهر واحد لان الله تعالى أمرنا بالتفريق لانه وان كان ظاهره الخبر فمعناه الامر ولا يؤدى الى الخلف فى خبر الله تعالى لان الطلاق على وجه الجمع قد يوجد وقيل قالت انصارية ان زوجى قال لاأزال أطلقك ثم أراجعك فنزلت الطلاق مرتان أى الطلاق الرجعى مرتان لانه لارجعة بعد الثالث (فامساك بمعروف) برجعة والمعنى فالواجب عليكم امساك بمعروف (أوتسريح باحسان) بان لايراجعها حتى تبين بالعدة وقيل بان لا يطلقها الثالثة فى الطهر الثالث ونزل فى جميلة وزوجها ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها وقد أعطاها حديقة فاختلعت منه بها وهو أول خلع كان فى الاسلام (ولا يحل لكم) أيها الازواج أوالحكام لانهم الآمرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الآخذون والمؤتون (أن تأخذوا مما آتيتموهن شيأ) مما أعطيتموهن من المهور (الا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله) الا أن يعلم الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها (فان خفتم) أيها الولاة وجاز أن يكون أول الخطاب للازواج وآخره للحكام (الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما) فلا جناح على الرجل فيما أخذ ولا عليها فيما أعطت (فيما افتدت به) فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بذل ما أوتيت من المهر الا أن يخافا حمزة على

البناء للمفعول وابدال ألا يقيما من ألف الضمير وهو من بدل الاشتمال نحو خيف زيد تركه اقامة حدود الله (تلك حدود الله) أي ما حد من النكاح واليمين والايلاء والطلاق والخلع وغير ذلك (فلا تعتدوها) فلا تجاوزوها بالمخالفة (ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون) الضارون أنفسهم (فان طلقها) مرة ثالثة بعد المرتين فان قلت الخلع طلاق عندنا وكذا عند الشافعي رحمه الله في قول فكان هذه تطليقة رابعة قلت الخلع طلاق ببدل فيكون طلقة ثالثة وهذه بيان لتلك أي فان طلقها الثالثة ببدل فحكم التحليل كذا (فلا تحل له من بعد) من بعد التطليقة الثالثة (حتى تنكح زوجا غيره) حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المرأة كما يسند الى الرجل كالتزوج وفيه دليل على ان النكاح ينعقد بعبارتها والاصابة شرطت بحديث العسيلة كما عرف في أصول الفقه والفقه فيه انه لما أقدم على فراق لم يبق للندم مخلص لم تحل له الا بدخول فحل عليها ليمتنع عن ارتكابه (فان طلقها) الزوج الثاني بعد الوطء (فلا جناح عليهما) على الزوج الاول وعليها (أن يتراجعا) أن يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج (ان ظنا أن يقيما حدود الله) ان كان في ظنهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما أنهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله (وتلك حدود الله يبينها) وبالنون المفضل (لقوم يعلمون) يفهمون ما بين لهم (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أي آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان أجل وللموت الذي ينتهي به أجل (فأمسكوهن بمعروف أوسرحوهن بمعروف) أي فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة واما ان يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار (ولا تمسكوهن ضرارا) مفعول له أو حال أي مضارين وكان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا (لتعتدوا) لتظلموهن أو لتلجئوهن الى الافتداء (ومن يفعل ذلك) يعني الامساك للضرار (فقد ظلم نفسه) بتعريضها لعقاب الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) أي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ويقال لمن لم يجد في الامر انما أنت لاعب وهازئ (واذكروا نعمت الله عليكم) بالاسلام وبنبوة محمد عليه السلام (وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة) من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها (يعظكم به) بما أنزل عليكم وهو حال (واتقوا الله) فيما امتحنكم به (واعلموا ان الله بكل شيء عليم) من الذكر والاتقاء والاتعاظ وغير ذلك وهو أبلغ وعد ووعيد (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أي انقضت عدتهن فدل سياق الكلامين على افتراق البلوغين لان النكاح يعقبه هنا وذا يكون بعد العدة وفي الاولى الرجعة وذا يكون في العدة (فلا تعضلوهن) فلا تمنعوهن العضل المنع والتضييق (ان ينكحن) من أن ينكحن (أزواجهن) الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن وفيه اشارة الى انعقاد النكاح بعبارة النساء والخطاب للازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما ولا يتركونهن يتزوجن من شئن من الازواج

سموا أزواجا باسم مايؤل اليه أو للاولياء فى عضلهن ان يرجعن الى أزواجهن الذين كانوا أزواجا لهن سموا أزواجا باعتبار ما كان نزلت فى معقل بن يسار حين عضل اخته ان ترجع الى الزوج الاول أو للناس أى لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا فى حكم العاضلين (اذا تراضوا بينهم) اذا تراضى الخطاب والنساء (بالمعروف) بما يحسن فى الدين والمروءة من الشرائط أو بمهر المثل والكفء لان عند عدم أحدهما للاولياء ان يتعرضوا والخطاب فى (ذلك) للنبى صلى الله عليه وسلم أو لكل واحد (يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) فالمواعظ انما تنجع فيهم (ذلكم) أى ترك العضل والضرار (أزكى لكم وأطهر) أى لكم من ادناس الآثام أو أزكى وأطهر أفضل وأطيب (والله يعلم) ما فى ذلك من الزكاء والطهر (وانتم لا تعلمون) ذلك (والوالدات يرضعن أولادهن) خبر فى معنى الامر المؤكد كيتربصن وهذا الامر على وجه الندب أو على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبى الاثدى أمه أو لم توجد له ظئرا وكان الاب عاجزا عن الاستئجار أو أراد الوالدات المطلقات وايجاب النفقة والكسوة لاجل الرضاع (حولين) ظرف (كاملين) تامين وهو تأكيد لانه مما يتسامح فيه فانك تقول أقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما (لمن أراد أن يتم الرضاعة) بيان لمن توجه اليه الحكم أى هذا الحكم لمن أراد اتمام الرضاعة والحاصل ان الاب يجب عليه ارضاع ولده دون الام وعليه أن يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهى مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الام مادامت زوجة أو معتدة (وعلى المولود له) الهاء يعود الى اللام الذى بمعنى الذى والتقدير وعلى الذى يولد له وهو الوالد وله فى محل الرفع على الفاعلية كعليهم فى المغضوب عليهم وانما قيل على المولود له دون الوالد ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم اذ الاولاد للآباء والنسب اليهم لا اليهن فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن اذا أرضعن ولدهم كالاظآر ألا ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ (رزقهن وكسوتهن بالمعروف) بلا اسراف ولا تقتير وتفسيره ما يعقبه وهو أن لا يكلف واحد منهما ما ليس فى وسعه ولا يتضارا (لا تكلف نفس الا وسعها) وجدها وقدر امكانها والتكليف الزام ما يؤثره فى الكلفة وانتصاب وسعها على انه مفعول ثان لتكلف لا على الاستثناء ودخلت الا بين المفعولين (لا تضار) مكى وبصرى بالرفع على الاخبار ومعناه النهى وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وان يكون الاصل تضارر بكسر الراء أو تضارر بفتحها الباقون لا تضار على النهى والاصل تضارر أسكنت الراء الاولى وأدغمت فى الثانية فالتقى الساكنان ففتحت الثانية لالتقاء الساكنين (والدة بولدها) أى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو أن تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط فى شأن الولد وان تقول بعد ما ألفها الصبى اطلب له ظئرا وما أشبه ذلك (ولا مولود له بولده) أى ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بان يمنعها شيأ مما وجب عليه من رزقها وكسوتها أو يأخذه منها وهى تريد

ارضاعه واذا كان مبنيا للمفعول فهو نهى عن أن يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن أن يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد أو تضار بمعنى تضر والباء من صلته أى لا تضر والدة ولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تدفعه الى الاب بعد ما ألفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها أو يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد وانما قيل بولدها وبولده لانه لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وكذلك الوالد (وعلى الوارث) عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه أى وعلى وارث الصبى عند عدم الاب (مثل ذلك) اى مثل الذى كان على أبيه في حياته من الرزق والكسوة واختلف فيه فعند ابن أبي ليلى كل من ورثه وعندنا من كان ذا رحم محرم منه لقراءة ابن مسعود رضى الله عنه وعلى الوارث ذى الرحم المحرم مثل ذلك وعند الشافعي رحمه الله لا نفقة فيما عدا الولاد (فان أرادا) يعنى الابوين (فصالا) فطاما صادرا (عن تراض منهما وتشاور) بينهما (فلا جناح عليهما) في ذلك زادا على الحولين أو نقصا وهذه توسعة بعد التحديد والتشاور استخراج الرأى من شرت العسل اذا استخرجته وذكره ليكون التراضى عن تفكر فلا يضر الرضيع فسبحان الذى أدب الكبير ولم يهمل الصغير واعتبر اتفاقهما لما للاب النسبة والولاية وللام الشفقة والعناية (وان اردتم أن تسترضعوا أولادكم) أى لاولادكم عن الزجاج وقيل استرضع منقول من أرضع يقال أرضعت المرأة الصبى واسترضعتها الصبى معدى الى مفعولين أى ان تسترضعوا المراضع أولادكم فحذف أحد المفعولين يعنى غير الام عند إبائها أو عجزها (فلا جناح عليكم اذا سلمتم) الى المراضع (ما آتيتم) ما أردتم ايتاءه من الاجرة أتيتم مكى من أتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله كان وعده مأتيا أى مفعولا والتسليم ندب لا شرط للجواز (بالمعروف) متعلق بسلمتم أى سلمتم الاجرة الى المراضع بطيب نفس وسرور (واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير) لا تخفى عليه أعمالكم فهو يجازيكم عليها (والذين يتوفون منكم) تقول توفيت الشيء واستوفيته اذا أخذته وافيا تاما أى تستوفى أرواحهم (ويذرون) ويتركون (أزواجا يتربصن بأنفسهن) أى وزوجات الذين يتوفون منكم يتربصن أى يعتددن أو معناه يتربصن بعدهم بانفسهن فحذف بعدهم للعلم به وانما احتيج الى تقديره لانه لا بد من عائد يرجع الى المبتدا في الجملة التى وقعت خبرا يتوفون المفضل أى يستوفون آجالهم (أربعة أشهر وعشرا) أى وعشر ليال والايام داخلة معها ولا يستعمل التذكير فيه ذهابا الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت لخرجت من كلامهم (فاذا بلغن أجلهن) فاذا انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) أيها الائمة والحكام (فيما فعلن في أنفسهن) من التعرض للخطاب (بالمعروف) بالوجه الذى لا ينكره الشرع (والله بما تعملون خبير) عالم بالبواطن (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء) الخطبة الاستنكاح والتعريض أن تقول لها انك لجميلة أو صالحة ومن غرضى ان أتزوج ونحو

ذلك من الكلام الموهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول انى أريد ان أتزوجك والفرق بين الكناية والتعريض ان الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيأ تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا * وحسبك بالتسليم منى تقاضيا * فكأنه امالة الكلام الى غرض يدل على الغرض (أو أكننتم في أنفسكم) أوسترتم وأضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لامعرضين ولا مصرحين (علم الله أنكم ستذكرونهن) لامحالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن فاذكروهن (ولكن لاتواعدوهن سرا) جماعا لانه مما يسر أى لاتقولوا فى العدة انى قادر على هذا العمل (الا أن تقولوا قولا معروفا) وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والا متعلق بلا تواعدوهن أى لاتواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة (ولا تعزموا عقدة النكاح) من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة فى النهى عن عقد النكاح لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهى عنه كان عن الفعل أنهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح أو ولا تقطعوا عقدة النكاح لان حقيقة العزم القطع ومنه الحديث لاصيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروى لمن لم يبيت الصيام أى ولا تعزموا على عقدة النكاح (حتى يبلغ الكتاب أجله) حتى تنقضى عدتها وسميت العدة كتابا لانها فرضت بالكتاب يعنى حتى يبلغ التربص المكتوب عليها أجله أى غايته (واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم) من العزم على مالا يجوز (فاحذروه) ولا تعزموا عليه (واعلموا أن الله غفور حليم) لايعاجلكم بالعقوبة ونزل فيمن طلق امرأته ولم يكن سمى لها مهرا ولا جامعها (لاجناح عليكم) لاتبعة عليكم من ايجاب مهر (ان طلقتم النساء) شرط ويدل على جوابه لاجناح عليكم والتقدير ان طلقتم النساء فلا جناح عليكم (مالم تمسوهن) مالم تجامعوهن وماشرطية أى ان لم تمسوهن تماسوهن حمزة وعلى حيث وقع لان الفعل واقع بين اثنين (أوتفرضوا لهن فريضة) الا أن تفرضوا لهن فريضة أوحتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير الموطوءة لها نصف المسمى ان سمى لها مهر وان لم يسم لها مهر فليس لها نصف مهر المثل بل تجب المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفى ثمة (ومتعوهن) معطوف على فعل محذوف تقديره فطلقوهن ومتعوهن والمتعة درع وملحفة وخمار (على الموسع) الذى له سعة (قدره) مقداره الذى يطيقه قدره فيهما كوفى غير أبى بكر وهما لغتان (وعلى المقتر) الضيق الحال (قدره) ولا تجب المتعة عندنا الا لهذه وتستحب لسائر المطلقات (متاعا) تأكيد لمتعوهن أى تمتيعا (بالمعروف) بالوجه الذى يحسن فى الشرع والمروءة (حقا) صفة لمتاعا أى متاعا واجبا عليهم أوحق ذلك حقا (على المحسنين) على المسلمين أوعلى الذين يحسنون الى المطلقات

بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه وليس هذا الاحسان هو التبرع بما ليس عليه اذ هذه المتعة واجبة ثم بين حكم التي سمى لها مهرا في الطلاق قبل المس فقال (وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أن مع الفعل بتأويل المصدر في موضع الجر أي من قبل مسكم اياهن (وقد فرضتم) في موضع الحال (لهن فريضة) مهرا (فنصف ما فرضتم الا أن يعفون) يريد المطلقات وان مع الفعل في موضع النصب على الاستثناء كأنه قيل فعليكم نصف ما فرضتم في جميع الاوقات الا وقت عفوهن عنكم من المهر والفرق بين الرجال يعفون والنساء يعفون ان الواو في الاول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبني لا أثر في لفظه للعامل (أو يعفو) عطف على محله (الذي بيده عقدة النكاح) هو الزوج كذا فسره علي رضي الله عنه وهو قول سعيد بن جبير وشريح ومجاهد وأبي حنيفة والشافعي على الجديد رضي الله عنهم وهذا لان الطلاق بيده فكان بقاء العقد بيده والمعنى ان الواجب شرعا هو النصف الا أن تسقط هي الكل أو يعطي هو الكل تفضلا وعند مالك والشافعي في القديم هو الولي قلنا هو لا يملك التبرع بحق الصغيرة فكيف يجوز حمله عليه (وان تعفوا) مبتدأ خبره (أقرب للتقوى) والخطاب للأزواج والزوجات على سبيل التغليب ذكره الزجاج أي عفو الزوج باعطاء كل المهر خير له وعفو المرأة باسقاط كله خير لها أو للأزواج (ولا تنسوا الفضل) التفضل (بينكم) أي ولا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض (ان الله بما تعملون بصير) فيجازيكم على تفضلكم (حافظوا على الصلوات) داوموا عليها بمواقيتها وأركانها وشرائطها (والصلوة الوسطى) بين الصلوات أي الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما أفردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلاة العصر عند أبي حنيفة رحمه الله وعليه الجمهور لقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملا الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلاة التي شغل عنها سليمان حتى توارت بالحجاب وفي مصحف حفصة والصلاة الوسطى صلاة العصر ولانها بين صلاتي الليل وصلاتي النهار وفضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وقيل صلاة الظهر لانها في وسط النهار أو صلاة الفجر لانها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل أو صلاة المغرب لانها بين الاربع والمثنى ولانها بين صلاتي مخافتة وصلاتي جهر أو صلاة العشاء لانها بين وترين أو هي غير معينة كليلة القدر ليحفظوا الكل (وقوموا لله) في الصلاة (قانتين) حال أي مطيعين خاشعين أو ذاكرين الله في قيامكم والقنوت أن تذكر الله قائما أو مطيلين القيام (فان خفتم) فان كان بكم خوف من عدو أو غيره (فرجالا) حال أي فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام (أو ركبانا) وحدانا بايماء ويسقط عنه التوجه الى القبلة (فاذا أمنتم) فاذا زال خوفكم (فاذكروا الله) فصلوا صلاة الامن (كما علمكم) أي ذكرا مثل ما علمكم (ما لم تكونوا تعلمون) من صلاة

الامن (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لازواجهم) بالنصب شامي وأبو عمرو وحمزة وحفص أي فليوصوا وصية عن الزجاج غيرهم بالرفع أي فعليهم وصية (متاعا) نصب بالوصية لانها مصدر أو تقدير دمتعوهن متاعا (الى الحول) صفة لمتاعا (غير اخراج) مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ماتقول أو بدل من متاعا والمعنى ان حق الذين يتوفون عن أزواجهم أن يوصوا قبل أن يحتضروا بأن تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا أي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك مشروعا في أول الاسلام ثم نسخ بقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا الى قوله أربعة أشهر وعشرا والناسخ متقدم عليه تلاوة ومتأخر نزولا كقوله تعالى سيقول السفهاء من الناس مع قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء (فان خرجن) بعد الحول (فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن) من التزين والتعرض للخطاب (من معروف) مما ليس بمنكر شرعا (والله عزيز حكيم) فيما حكم (وللمطلقات متاع) أي نفقة العدة (بالمعروف حقا) نصب على المصدر (على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون) هو في موضع الرفع لانه خبر اعل وان أريد به المتعة فالمراد غير المطلقة المذكورة وهي على سبيل الندب (ألم تر) تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وأخبار الاولين وتعجيب من شأنهم ويجوز أن يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب (الى الذين خرجوا من ديارهم) من قرية قيل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فأماتهم الله ثم أحياهم بدعاء حزقيل عليه السلام وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذرا من الموت فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم (وهم ألوف) في موضع النصب على الحال وفيه دليل على الالوف الكثيرة لانها جمع كثرة وهي جمع ألف لا آلف (حذر الموت) مفعول له (فقال لهم الله موتوا) أي فأماتهم الله وانما جيء به على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فأولى أن يكون في سبيل الله (ثم أحياهم) ليعتبروا ويعلموا أنه لا مفر من حكم الله وقضائه وهو معطوف على فعل محذوف تقديره فماتوا ثم أحياهم أو لما كان معنى قوله فقال لهم الله موتوا فأماتهم كان عطفا عليه معنى (ان الله لذو فضل على الناس) حيث يبصرهم مايعتبرون به كما بصر أولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم أو لذو فضل على الناس حيث أحيا أولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى الى يوم النشور (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) ذلك والدليل على أنه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال في سبيل الله وهو قوله (وقاتلوا في سبيل الله) فحرض على الجهاد بعد الاعلام لان الفرار من الموت لا يغني وهذا الخطاب لامة محمد عليه السلام أو لمن أحياهم (واعلموا أن الله سميع) يسمع مايقوله المتخلفون والسابقون (عليم) بما يضمرونه (من) استفهام

فى موضع رفع بالابتداء (ذا) خبره (الذى) نعت لذا أو بدل منه (يقرض الله) صلة الذى سمى ما ينفق فى سبيل الله قرضا لأن القرض ما يقبض ببدل مثله من بعد سمى به لأن المقرض يقطعه من ماله فيدفعه اليه والقرض القطع ومنه المقراض وقرض الفار والانقراض فنبههم بذلك على أنه لا يضيع عنده وانه يجزيهم عليه لا محالة (قرضا حسنا) بطيبة النفس من المال الطيب والمراد النفقة فى الجهاد لانه لما أمر بالقتال فى سبيل الله ويحتاج فيه الى المال حث على الصدقة ليتهيأ أسباب الجهاد (فيضاعفه له) بالنصب عاصم على جواب الاستفهام وبالرفع أبو عمرو ونافع وحمزة وعلى عطفا على يقرض أو هو مستأنف أى فهو يضاعفه فيضعفه شامى فيضعفه مكى (أضعافا) فى موضع المصدر (كثيرة) لا يعلم كنهها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة (والله يقبض ويبسط) يقتر الرزق على عباده ويوسعه عليهم فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيق بالسعة ويبصط حجازى وعاصم وعلى (واليه ترجعون) فيجازيكم على ما قدمتم (ألم تر الى الملا) الاشراف لانهم يملؤن القلوب جلالة والعيون مهابة (من بنى اسرائيل) من للتبعيض (من بعد موسى) من بعد موته ومن لابتداء الغاية (اذ قالوا) حين قالوا (لنبى لهم) هو شمعون أو يوشع أو اشمويل (ابعث لنا ملكا) أنهض للقتال معنا أميرا نصدر فى تدبير الحرب عن رأيه وننتهى الى أمره (نقاتل) بالنون والجزم على الجواب (فى سبيل الله) صلة نقاتل (قال) النبى (هل عسيتم) عسيتم حيث كان نافع (ان كتب عليكم القتال) شرط فاصل بين اسم عسى وخبره وهو (أن لا تقاتلوا) والمعنى هل قاربتم أن لا تقاتلوا يعنى هل الامر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون وتجبنون فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت أن المتوقع كائن وانه صائب فى توقعه (قالوا وما لنا أن لا نقاتل فى سبيل الله) وأى داع لنا الى ترك القتال وأى غرض لنا فيه (وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) الواو فى وقد للحال وذلك أن قوم جالوت كانوا يسكنون بين مصر وفلسطين فأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين يعنون اذا بلغ الامر منا هذا المبلغ فلا بد من الجهاد (فلما كتب عليهم القتال) أى أجيبوا الى ملتمسهم (تولوا) أعرضوا عنه (الا قليلا منهم) وهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل بدر (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم على ظلمهم بترك الجهاد (وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت) هو اسم أعجمى كجالوت وداود ومنع من الصرف للتعريف والعجمة (ملكا) حال (قالوا أنى يكون له الملك علينا) أى كيف ومن أين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له (ونحن أحق بالملك منه) الواو للحال (ولم يؤت سعة من المال) أى كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق بالملك وانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت فى سبط لاوى بن يعقوب عليه السلام والملك فى سبط يهوذا وهو كان من سبط بنيامين وكان رجلا سقاء أو دباغا فقيرا وروى ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فأتى

بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت (قال ان الله اصطفاه عليكم) الطاء فى اصطفاه بدل من التاء لمكان الصاد الساكنة أى اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكمه ثم ذكر مصلحتين أنفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة فقال (وزاده بسطة) مفعول ثان (فى العلم والجسم) قالوا كان أعلم بنى اسرائيل بالحرب والديانات فى وقته وأطول من كل انسان برأسه ومنكبه والبسطة السعة والامتداد والملك لا بد أن يكون من أهل العلم فان الجاهل ذليل مزدرى غير منتفع به وأن يكون جسيما لانه أعظم فى النفوس وأهيب فى القلوب (والله يؤتى ملكه من يشاء) أى الملك له غير منازع فيه وهو يؤتيه من يشاء ايتاءه وليس ذلك بالوراثة (والله واسع) أى واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر (عليم) بمن يصطفيه للملك فثمة طلبوا من نبيهم آية على اصطفاء الله طالوت (وقال لهم نبيهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت) أى صندوق التوراة وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بنى اسرائيل ولا يفرون (فيه سكينة من ربكم) سكون وطمأنينة (وبقية) هى رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشئ من التوراة ونعلا موسى وعمامة هرون عليهما السلام (مما ترك آل موسى وآل هرون) أى مما تركه موسى وهرون والآل مقحم لتفخيم شأنهما (تحمله الملائكة) يعنى التابوت وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه والجملة فى موضع الحال وكذا فيه سكينة ومن ربكم نعت لسكينة ومما ترك نعت لبقية (ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) ان فى رجوع التابوت اليكم علامة أن الله قد ملك طالوت عليكم ان كنتم مصدقين (فلما فصل طالوت) خرج (بالجنود) عن بلده الى جهاد العدو وبالجنود فى موضع الحال أى مختلطا بالجنود وهم ثمانون ألفا وكان الوقت قيظا وسألوا أن يجرى الله لهم نهرا (قال ان الله مبتليكم) مختبركم أى يعاملكم معاملة المختبر (بنهر) وهو نهر فلسطين ليتميز المحقق فى الجهاد من المعذر (فمن شرب منه) كرعا (فليس منى) فليس من اتباعى وأشياعى (ومن لم يطعمه) ومن لم يذقه من طعم الشئ اذا ذاقه (فانه منى) وبفتح الياء مدنى وأبو عمرو واستثنى (الا من اغترف) من قوله فمن شرب منه فليس منى والجملة الثانية فى حكم المتأخرة عن الاستثناء الا انها قدمت للعناية (غرفة بيده) غرفة حجازى وأبو عمرو وبمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف ومعناه الرخصة فى اغتراف الغرفة باليد دون الكرع والدليل عليه (فشربوا منه) أى فكرعوا (الا قليلا منهم) وهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا (فلما جاوزه) أى النهر (هو) طالوت (والذين آمنوا معه) أى القليل (قالوا لا طاقة لنا اليوم) أى لا قوة لنا (بجالوت) هو جبار من العمالقة من أولاد عمليق ابن عاد وكان فى بيضته ثلثمائة رطل من الحديد (وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله) يوقنون بالشهادة قيل الضمير فى قالوا للكثير الذين انخذلوا والذين يظنون هم

القليل الذين ثبتوا معه وروى ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش (كم من فئة قليلة) كم خبرية وموضعها رفع بالابتداء (غلبت) خبرها (فئة كثيرة باذن الله) بنصره (والله مع الصابرين) بالنصر (ولما برزوا لجالوت وجنوده) خرجوا لقتالهم (قالوا ربنا أفرغ) أصبب (علينا صبرا) على القتال (وثبت أقدامنا) بتقوية قلوبنا والقاء الرعب في صدور عدونا (وانصرنا على القوم الكافرين) أعنا عليهم (فهزموهم) أي طالوت والمؤمنون جالوت وجنوده (باذن الله) بقضائه (وقتل داود جالوت) كان ايشا أبو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فأوحى الله الى نبيهم ان داود هو الذي يقتل جالوت فطلبه من أبيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة أحجار دعاه كل واحد منها أن يحمله وقالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته ثم حسده وأراد قتله ثم مات تائبا (وآتاه الله الملك) في مشارق الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود (والحكمة) والنبوة (وعلمه مما يشاء) من صنعة الدروع وكلام الطيور والدواب وغير ذلك (ولولا دفع الله الناس) هو مفعول به (بعضهم) بدل من الناس دفاع مدني مصدر دفع أو دافع (ببعض لفسدت الارض) أي ولولا ان الله تعالى يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها من الحرث والنسل أو ولولا ان الله تعالى ينصر المسلمين على الكافرين لفسدت الارض بغلبة الكفار وقتل الابرار وتخريب البلاد وتعذيب العباد (ولكن الله ذو فضل على العالمين) بازالة الفساد عنهم وهو دليل على المعتزلة في مسئلة الاصلح (تلك) مبتدا خبره (آيات الله) يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره على الجبابرة على يد صبي (نتلوها) حال من آيات الله والعامل فيه معنى الاشارة أو آيات الله بدل من تلك ونتلوها الخبر (عليك بالحق) باليقين الذي لا يشك فيه أهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك (وانك لمن المرسلين) حيث تخبر بها من غير أن تعرف بقراءة كتاب أو سماع من أهله (تلك الرسل) اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في هذه السورة من آدم الى داود أو الى ثبت علمها عند رسول الله عليه السلام (فضلنا بعضهم على بعض) بالخصائص وراء الرسالة لاستوائهم فيها كالمؤمنين يستوون في صفة الايمان ويتفاوتون في الطاعات بعد الايمان ثم بين ذلك بقوله (منهم من كلم الله) أي كلمه الله حذف العائد من الصلة يعني منهم من فضله الله بان كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام (ورفع بعضهم) مفعول أول (درجات) مفعول ثان اي بدرجات أو الى درجات يعني ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة وهو محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل عليهم بارساله الى الكافة وبانه أوتي ما لم يؤته أحد من الانبياء المتكاثرة المرتقية الى ألف أو أكثر وأكبرها القرآن لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر وفي هذا الابهام تفخيم وبيان انه

العلم الذى لا يشتبه على أحد والمميز الذى لا يلتبس وقيل أريد به محمد وابراهيم وغيرهما من أولى العزم من الرسل (وآتينا عيسى بن مريم البينات) كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك (وأيدناه بروح القدس) قويناه بجبريل أو بالانجيل (ولوشاء الله مااقتتل) أى مااختلف لانه سببه (الذين من بعدهم) من بعد الرسل (من بعد ماجاءتهم البينات) المعجزات الظاهرات (ولكن اختلفوا) بمشيئتى ثم بين الاختلاف فقال (فمنهم من آمن ومنهم من كفر) بمشيئتى يقول الله أجريت أمور رسلى على هذا أى لم يجتمع لاحد منهم طاعة جميع أمته فى حياته ولا بعد وفاته بل اختلفوا عليه فنهم من آمن ومنهم من كفر (ولوشاء الله مااقتتلوا) كرره للتأكيد أى لوشئت أن لا يقتتلوا لم يقتتلوا اذ لا يجرى فى ملكى الا ما يوافق مشيئتى وهذا يبطل قول المعتزلة لانه أخبر أنه لوشاء أن لا يقتتلوا لم يقتتلوا وهم يقولون شاء أن لا يقتتلوا فاقتتلوا (ولكن الله يفعل مايريد) أثبت الارادة لنفسه كما هو مذهب أهل السنة (ياأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم) فى الجهاد فى سبيل الله أو هو عام فى كل صدقة واجبة (من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه) أى من قبل أن يأتى يوم لا تقدرون فيه على تدارك مافاتكم من الانفاق لانه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ماتنفقونه (ولا خلة) حتى يسامحكم اخلاؤكم به (ولا شفاعة) أى للكافرين فأما المؤمنون فلهم شفاعة أو الا باذنه (والكافرون هم الظالمون) أنفسهم بتركهم التقديم ليوم حاجتهم أو الكافرون بهذا اليوم هم الظالمون لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة مكى وبصرى (الله لا إله إلا هو) لا مع اسمه وخبره وما أبدل من موضعه فى موضع الرفع خبر المبتدا وهو الله (الحى) الباقى الذى لا سبيل عليه للفناء (القيوم) الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه (لاتأخذه سنة) نعاس وهو مايتقدم النوم من الفتور (ولا نوم) عن المفضل السنة ثقل فى الرأس والنعاس فى العين والنوم فى القلب وهو تأكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوما وقد أوحى الى موسى عليه السلام قل لهؤلاء انى أمسك السموات والارض بقدرتى فلو أخذنى نوم أو نعاس لزالتا (له مافى السموات وما فى الارض) ملكا وملكا (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) ليس لاحد أن يشفع عنده الا باذنه وهو بيان لملكوته وكبريائه وان أحدا لا يتمالك أن يتكلم يوم القيامة الا اذا أذن له فى الكلام وفيه رد لزعم الكفار ان الاصنام تشفع لهم (يعلم مابين أيديهم وماخلفهم) ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما فى السموات والارض لان فيهم العقلاء (ولا يحيطون بشىء من علمه) من معلومه يقال فى الدعاء اللهم اغفر علمك فينا أى معلومك (الا بما شاء) الا بما علم (وسع كرسيه السموات والارض) أى علمه ومنه الكراسة لتضمنها العلم والكراسى العلماء وسمى العلم كرسيا تسمية بمكانه الذى هو كرسى العالم وهو كقوله تعالى ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما أو ملكه تسمية بمكانه الذى هو كرسى الملك وعرشه كذا عن الحسن أو هو سرير دون العرش فى الحديث ما السموات السبع فى الكرسى الا كحلقة ملقاة بفلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على تلك الحلقة أو قدرته بدليل قوله (ولا يؤده)

ولايثقله ولايشق عليه (حفظهما) حفظ السموات والارض (وهو العلى) فى ملكه وسلطانه (العظيم) فى عزه وجلاله أو العلى المتعالى عن الصفات التى لا تليق به العظيم المتصف بالصفات التى تليق به فهما جامعان لكمال التوحيد وانما ترتبت الجمل فى آية الكرسى بلا حرف عطف لانها وردت على سبيل البيان فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شأنه والرابعة لاحاطته بأحوال الخلق والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها أو لجلاله وعظم قدره وانما فضلت هذه الآية حتى ورد فى فضلها ما ورد منه ما روى عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق أو عابد ومن قرأها اذا أخذ مضجعه أمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وقال عليه السلام سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسى وقال ما قرئت هذه الآية فى دار الا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة وقال من قرأ آية الكرسى عند منامه بعث اليه ملك يحرسه حتى يصبح وقال من قرأ هاتين الآيتين حين يمسى حفظ بهما حتى يصبح وان قرأهما حين يصبح حفظ بهما حتى يمسى آية الكرسى وأول حم المؤمن الى اليه المصير لاشتمالهما على توحيد الله تعالى وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور أعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان أفضل من سائر الاذكار وبه يعلم أن أشرف العلوم علم التوحيد (لا إكراه فى الدين) أى لا اجبار على الدين الحق وهو دين الاسلام وقيل هو اخبار فى معنى النهى وروى أنه كان لانصارى ابنان فتنصرا فلزمهما أبوهما وقال والله لا أدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصارى يارسول الله أيدخل بعضى فى النار وأنا أنظر فنزلت فخلاهما قال ابن مسعود وجماعة كان هذا فى الابتداء ثم نسخ بالامر بالقتال (قد تبين الرشد من الغى) قد تميز الايمان من الكفر بالدلائل الواضحة (فمن يكفر بالطاغوت) بالشيطان أو الاصنام (ويؤمن بالله فقد استمسك) تمسك (بالعروة) أى المعتصم والمتعلق (الوثقى) تأنيث الاوثق أى الاشد من الحبل الوثيق المحكم المأمون (لا انفصام لها) لا انقطاع للعروة وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كأنه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والمعنى فقد عقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لاتحله شبهة (والله سميع) لاقراره (عليم) باعتقاده (الله ولى الذين آمنوا) أرادوا أن يؤمنوا أى ناصرهم ومتولى أمورهم (يخرجهم من الظلمات) من ظلمات الكفر والضلالة وجمعت لاختلافها (الى النور) الى الايمان والهداية ووحد لاتحاد الايمان (والذين كفروا) مبتدا والجملة وهى (أولياؤهم الطاغوت) خبره (يخرجونهم من النور الى الظلمات) وجمع لان الطاغوت فى معنى الجمع

يعني والذين صمموا على الكفر أمرهم على عكس ذلك أو الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبهة في الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين والذين كفروا أولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات الذي يظهر لهم الى ظلمات الشك والشبهة (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ثم عجب نبيه عليه السلام وسلاه بمجادلة ابراهيم عليه السلام نمرود الذي كان يدعي الربوبية بقوله (ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه) في معارضته ربوبية ربه والهاء في ربه يرجع الى ابراهيم أو الى الذي حاج فهو ربهما (أن آتاه الله الملك) لان آتاه الله يعني ان ايتاء الملك أبطره وأورثه الكبر فحاج لذلك وهو دليل على المعتزلة في الاصلح أو حاج وقت أن آتاه الله الملك (اذ قال) نصب بحاج أو بدل من أن آتاه اذا جعل بمعنى الوقت (ابراهيم ربي) حمزة (الذي يحيي ويميت) كانه قال له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت (قال) نمرود (أنا أحيي وأميت) يريد أعفي عن القتل وأقتل فانقطع اللعين بهذا عند المخاصمة فزاد ابراهيم عليه السلام مالا يتأتى فيه التلبيس على الضعفة حيث (قال ابراهيم) عليه السلام (فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) وهذا ليس بانتقال من حجة الى حجة كما زعم البعض لان الحجة الاولى كانت لازمة ولكن لما عاند اللعين حجة الاحياء بتخلية واحد وقتل آخر كلمه من وجه لا يعاند وكانوا أهل تنجيم وحركة الكواكب من المغرب الى المشرق معلومة لهم والحركة الشرقية المحسوسة لنا قسرية كتحريك الماء النمل على الرحى الى غير جهة حركة النمل فقال ان ربي يحرك الشمس قسرا على غير حركتها فان كنت ربا فحركها بحركتها فهو أهون (فبهت الذي كفر) تحير ودهش (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي لا يوفقهم وقالوا انما لم يقل نمرود فليأت ربك بالشمس من المغرب لان الله تعالى صرفه عنه وقيل انه كان يدعي الربوبية لنفسه وما كان يعترف بالربوبية لغيره ومعنى قوله أنا أحيي وأميت أن الذي ينسب اليه الاحياء والاماتة أنا لا غيري والآية تدل على اباحة التكلم في علم الكلام والمناظرة فيه لانه قال ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه والمحاجة تكون بين اثنين فدل على ان ابراهيم حاجه أيضا ولو لم يكن مباحا لما باشرها ابراهيم عليه السلام لكون الانبياء عليهم السلام معصومين عن ارتكاب الحرام ولانا أمرنا بدعاء الكفرة الى الايمان بالله وتوحيده واذا دعوناهم الى ذلك لابد أن يطلبوا منا الدليل على ذلك وذا لا يكون الا بعد المناظرة كذا في شرح التأويلات (أو كالذي مر) معناه أو أرأيت مثل الذي فحذف لدلالة ألم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجيب أو هو محمول على المعنى دون اللفظ تقديره أرأيت كالذي حاج ابراهيم أو كالذي مر وقال صاحب الكشف فيه الكاف زائدة والذي عطف على قوله الى الذي حاج عن الحسن ان المار كان كافرا بالبعث لانتظامه مع نمرود في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي أنى يحيي والاكثر أنه عزير أراد أن يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابراهيم عليه السلام وأنى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيي (على قرية) هي

بيت المقدس حين خربه بختنصر وهي التي خرج منها الالوف (وهي خاوية على عروشها) ساقطة مع سقوفها أو سقطت السقوف ثم سقطت عليها الحيطان وكل مرتفع عرش (قال أنى يحيي) أي كيف (هذه) أي أهل هذه (الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه) أي أحياه (قال) له ملك (كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم) بناء على الظن وفيه دليل جواز الاجتهاد روى انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم (قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك) روى ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا ولبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله (لم يتسنه) لم يتغير والهاء أصلية أو هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء لان الاصل سنهة والفعل سانهت يقال سانهت فلانا أي عاملته سنة أو واو لان الاصل سنوة والفعل سانيت ومعناه لم تغيره السنون لم يتسن بحذف الهاء في الوصل وباثباتها في الوقف حمزة وعلي (وانظر الى حمارك) كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه فمات وتفتتت عظامه أو وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من أعظم الآيات أن يعيش مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير (ولنجعلك آية للناس) فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ ما معه وقيل الواو عطف على محذوف أي لتعتبر ولنجعلك قيل أتى قومه راكبا حمارا وقال أنا عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فأخذ يقرؤها عن ظهر قلبه ولم يقرأ التوراة ظاهرا أحد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله فرأى أولاده شيوخا وهو شاب (وانظر الى العظام) أي عظام الحمار أو عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم (كيف ننشزها) نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب ننشرها بالراء حجازي وبصري نحييها (ثم نكسوها) أي العظام (لحما) جعل اللحم كاللباس مجازا (فلما تبين له) فاعله مضمر تقديره فلما تبين له أن الله على كل شيء قدير (قال أعلم أن الله على كل شيء قدير) فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كقولهم ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما أشكل عليه يعني أمر احياء الموتى قال اعلم على لفظ الامر حمزة وعلي أي قال الله له اعلم أو هو خاطب نفسه (واذ قال ابراهيم رب أرني) بصري (كيف تحيي الموتى) موضع كيف نصب بتحيي (قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) وانما قال له أولم تؤمن وقد علم انه أثبت الناس ايمانا ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى ايجاب لما بعد النفي معناه بلى آمنت ولكن لأزيد سكونا وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة فعلم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف الضروري واللام تتعلق بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك ارادة طمأنينة القلب (قال فخذ أربعة من الطير) طاوسا وديكا وغرابا وحمامة (فصرهن اليك) وبكسر الصاد حمزة أي أملهن واضممهن اليك (ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ) ثم جزئهن وفرق

أجزاءهن على الجبال التى بحضرتك وفى أرضك وكانت أربعة أجبل أو سبعة جزأ بضمتين وهمز أبو بكر (ثم ادعهن) قل لهن تعالين باذن الله (يأتينك سعيا) مصدر فى موضع الحال أى ساعيات مسرعات فى طيرانهن أو فى مشيهن على أرجلهن وانما أمره بضمها الى نفسه بعد أخذها ليتأملها ويعرف أشكالها وهيآتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم أنها غير تلك وروى أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق أجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وأن يمسك رؤسها ثم أمر أن يجعل أجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله تعالى فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى رأسها (واعلم أن الله عزيز) لا يمتنع عليه ما يريده (حكيم) فيما يدبر لا يفعل الا ما فيه الحكمة ولما برهن على قدرته على الاحياء حث على الانفاق فى سبيل الله وأعلم أن من أنفق فى سبيله فله فى نفقته أجر عظيم وهو قادر عليه فقال (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله) لا بد من حذف مضاف أى مثل نفقتهم (كمثل حبة) أو مثلهم كمثل باذر حبة (أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة) المنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا أسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل أن تخرج ساقا يتشعب منه سبع شعب لكل واحد سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كأنها ماثلة بين عينى الناظر والممثل به موجود فى الدخن والذرة وربما فرخت ساق البرة فى الارض القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ على أن التمثيل يصح وان لم يوجد على سبيل الفرض والتقدير ووضع سنابل موضع سنبلات كوضع قروء موضع اقراء (والله يضاعف لمن يشاء) أى يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت أحوال المنفقين أو يزيد على سبعمائة لمن يشاء يضعف شامى ومكى (والله واسع) واسع الفضل والجود (عليم) بنيات المنفقين (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا) هو أن يعتد على من أحسن اليه باحسانه ويريه أنه اصطنعه وأوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا اصطنعتم صنيعة فانسوها (ولا أذى) هو أن يتطاول عليه بسبب ما أعطاه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وأن تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا (لهم أجرهم عند ربهم) أى ثواب انفاقهم (ولا خوف عليهم) من بخس الاجر (ولا هم يحزنون) من فوته أو لا خوف من العذاب ولا حزن بفوت الثواب وانما قال هنا لهم أجرهم وفيما بعد فلهم أجرهم لان الموصول هنا لم يضمن معنى الشرط وضمنه ثمة (قول معروف) رد جميل (ومغفرة) وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤل أو ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل (خير من صدقة يتبعها أذى) وصح الاخبار عن المبتدا النكرة لاختصاصه بالصفة (والله غنى) لا حاجة له الى منفق يمن ويؤذى (حليم) عن معاجلته بالعقوبة وهذا وعيد له ثم أكد ذلك بقوله (ياأيها

الذين

الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى) الكاف نصب صفة مصدر محذوف والتقدير ابطالا مثل ابطال الذى (ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) أى لا تبطلوا ثواب صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يريد بانفاقه رضا الله ولا ثواب الآخرة ورئاء مفعول له (فمثله كمثل صفوان عليه تراب) مثله ونفقته التى لا ينتفع بها البتة بحجر أملس كان عليه تراب (فأصابه وابل) مطر عظيم القطر (فتركه صلدا) أجرد نقيا من التراب الذى كان عليه (لا يقدرون على شئ مما كسبوا) لا يجدون ثواب شئ مما أنفقوا أو الكاف فى محل النصب على الحال أى لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذى ينفق وانما قال لا يقدرون بعد قوله كالذى ينفق لانه أراد بالذى ينفق الجنس أو الفريق الذى ينفق (والله لا يهدى القوم الكافرين) ماداموا مختارين الكفر (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم) أى وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من أصل أنفسهم لانه اذا أنفق المسلم ماله فى سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من أصل نفسه ومن اخلاص قلبه ومن لابتداء الغاية وهو معطوف على المفعول له أى للابتغاء والتثبيت والمعنى ومثل نفقة هؤلاء فى زكاتها عند الله (كمثل جنة) بستان (بربوة) مكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها أزكى وأحسن ثمرا بربوة عاصم وشامى (أصابها وابل فآتت أكلها) ثمرتها أكلها نافع ومكى وأبو عمرو (ضعفين) مثلى ما كانت تثمر قبل بسبب الوابل (فان لم يصبها وابل فطل) فطر صغير القطر يكفيها الكرم منبتها أو مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد أن يطلب بها رضا الله تعالى زاكية عند الله زائدة فى زلفاهم وحسن حالهم عنده (والله بما تعملون بصير) يرى أعمالكم على اكثار واقلال ويعلم نياتكم فيهما من رياء واخلاص الهمزة فى (أيود أحدكم) للانكار (أن تكون له جنة) بستان (من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار له) لصاحب البستان (فيها) فى الجنة (من كل الثمرات) يريد بالثمرات المنافع التى كانت تحصل له فيها ولان النخيل والاعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم أردفهما ذكر كل الثمرات (وأصابه الكبر) الواو للحال ومعناه أن تكون له جنة وقد أصابه الكبر والواو فى (وله ذرية ضعفاء) أولاد صغار للحال أيضا والجملة فى موضع الحال من الهاء فى أصابه (فاصابها اعصار) ريح تستدير فى الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود (فيه) فى الاعصار وارتفع (نار) بالظرف اذ جرى الظرف وصفا لاعصار (فاحترقت) الجنة وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة رياء فاذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة جامعة للثمار فبلغ الكبر وله أولاد ضعاف والجنة معاشهم فهلكت بالصاعقة (كذلك) كهذا البيان الذى بين فيما تقدم (يبين الله لكم الآيات) فى التوحيد والدين (لعلكم تتفكرون) فتنتبهوا

(ياأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) من جياد مكسوباتكم وفيه دليل وجوب الزكاة في أموال التجارة (ومما أخرجنا لكم من الارض) من الحب والثمر والمعادن وغيرها والتقدير ومن طيبات ما أخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات (ولا تيمموا الخبيث) ولا تقصدوا المال الردىء (منه تنفقون) تخصونه بالانفاق وهو في محل الحال أى ولا تيمموا الخبيث منفقين أى مقدرين النفقة (ولستم بآخذيه) وحالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم (الا أن تغمضوا فيه) الا بان تتسامحوا في أخذه وتترخصوا فيه من قولك أغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبائع أغمض أى لا تستقص كأنك لا تبصر وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه (واعلموا أن الله غنى) عن صدقاتكم (حميد) مستحق للحمد أو محمود (الشيطان يعدكم) في الانفاق (الفقر) ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا والوعد يستعمل في الخير والشر (ويأمركم بالفحشاء) ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل (والله يعدكم) في الانفاق (مغفرة منه) لذنوبكم وكفارة لها (وفضلا) وان يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم أو وثوابا عليه في الآخرة (والله واسع) يوسع على من يشاء (عليم) بافعالكم ونياتكم (يؤتى الحكمة من يشاء) علم القرآن والسنة أو العلم النافع الموصل الى رضا الله والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل (ومن يؤت الحكمة) ومن يؤت يعقوب اى ومن يؤته الله الحكمة (فقد أوتى خيرا كثيرا) تنكير تعظيم أى أوتى أى خير كثير (وما يذكر الا أولوا الالباب) وما يتعظ بمواعظ الله الا ذوو العقول السليمة أو العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآى في معنى الانفاق (وما أنفقتم من نفقة) في سبيل الله أو في سبيل الشيطان (أو نذرتم من نذر) في طاعة الله أو في معصيته (فان الله يعلمه) لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه (وما للظالمين) الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون أموالهم في المعاصى أو ينذرون في المعاصى أو لا يفون بالنذور (من أنصار) ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه (ان تبدوا الصدقات فنعمّا هى) فنعم شيأ ابداؤها وما نكرة غير موصولة ولا موصوفة والمخصوص بالمدح هى فنعماهى بكسر النون واسكان العين أبو عمرو ومدنى غير ورش وبفتح النون وكسر العين شامى وحمزة وعلى وبكسر النون والعين غيرهم (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء) وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء (فهو خير لكم) فالاخفاء خير لكم قالوا المراد صدقات التطوع والجهر في الفرائض أفضل لنفى التهمة حتى اذا كان المزكى ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه أفضل والمتطوع ان أراد أن يقتدى به كان اظهاره أفضل (ونكفر) بالنون وجزم الراء مدنى وحمزة وعلى وبالياء ورفع الراء شامى وحفص وبالنون والرفع غيرهم فمن جزم فقد عطف على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط ومن رفع فعلى الاستئناف والياء على معنى يكفر الله (عنكم من سيآتكم) والنون على معنى نحن نكفر (والله بما تعملون) من الابداء والاخفاء (خبير) عالم (ليس عليك هداهم)

لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا أن تبلغهم النواهي فحسب (ولكن الله يهدى من يشاء) أو ليس عليك التوفيق على الهدى أو خلق الهدى وانما ذلك الى الله (وما تنفقوا من خير) من مال (فلأنفسكم) فهو لا نفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) وليست نفقتكم الا ابتغاء وجه الله أى رضا الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذى لا يوجه مثله الى الله أو هذا فى معناه النهى أى ولا تنفقوا الا ابتغاء وجه الله (وما تنفقوا من خير يوف اليكم) ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم فى ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على أحسن الوجوه وأجملها (وأنتم لا تظلمون) ولا تنقصون كقوله ولم تظلم منه شيأ أى لم تنقص الجار فى (للفقراء) متعلق بمحذوف أى اعمدوا للفقراء أو هو خبر مبتدأ محذوف أى هذه الصدقات للفقراء (الذين أحصروا فى سبيل الله) هم الذين أحصرهم الجهاد فمنعهم من التصرف (لا يستطيعون) لاشتغالهم به (ضربا فى الارض) للكسب وقيل هم أصحاب الصفة وهم نحو من أربعمائة رجل من مهاجرى قريش لم تكن لهم مساكن فى المدينة ولا عشائر فكانوا فى صفة المسجد وهى سقيفة يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون فى كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان عنده فضل أتاهم به اذا أمسى (يحسبهم الجاهل) بحالهم يحسبهم وبابه شامى ويزيد وحمزة وعاصم غير الاعشى وهبيرة والباقون بكسر السين (أغنياء من التعفف) مستغنين من أجل تعففهم عن المسئلة (تعرفهم بسيماهم) من صفرة الوجوه ورثاثة الحال (لا يسألون الناس إلحافا) إلحافا قيل هو نفى السؤال والالحاح جميعا كقوله *على لاحب لا يهتدى بمناره* يريد نفى المنار والاهتداء به والالحاح هو اللزوم وأن لا يفارق الا بشئ يعطاه وفى الحديث ان الله يحب الحيى الحليم المتعفف ويبغض البذى السائل الملحف وقيل معناه انهم ان سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا (وما تنفقوا من خير فان الله به عليم) لا يضيع عنده (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) هما حالان أى مسرين ومعلنين يعنى يعممون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة فى السر وعشرة فى العلانية أو فى على رضى الله عنه لم يملك الا أربعة دراهم تصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية (فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين يأكلون الربوا) هو فضل مال خال عن العوض فى معاوضة مال بمال وكتب الربوا بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع (لا يقومون) اذا بعثوا من قبورهم (الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان) أى المصروع لانه تخبط فى المعاملة فجوزى على المقابلة والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء (من المس) من

الجنون وهو يتعلق بلا يقومون أى لا يقومون من المس الذى بهم الا كما يقوم المصروع أو بيقوم أى كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا أكلة الربا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم أكلوا الربا فارباه الله فى بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الايفاض (ذلك) العقاب (بانهم) بسبب انهم (قالوا انما البيع مثل الربوا) ولم يقل انما الربا مثل البيع مع أن الكلام فى الربا لا فى البيع لانه جىء به على طريقة المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم فى حل الربا انهم جعلوه أصلا وقانونا فى الحل حتى شبهوا به البيع (وأحل الله البيع وحرم الربوا) انكار لتسويتهم بينهما اذ الحل مع الحرمة ضدان فأنى يتماثلان ودلالة على أن القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه (فمن جاءه موعظة من ربه) فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهى عن الربا (فانتهى) فتبع النهى وامتنع (فله ما سلف) فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه أخذ قبل نزول التحريم (وأمره الى الله) يحكم فى شأنه يوم القيامة وليس من أمره اليكم شىء فلا تطالبوه به (ومن عاد) الى استحلال الربا عن الزجاج أو الى الربا مستحلا (فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) لانهم بالاستحلال صاروا كافرين لان من أحل ما حرم الله عز وجل فهو كافر فلذا استحق الخلود وبهذا تبين أنه لا تعلق للمعتزلة بهذه الآية فى تخليد الفساق (يمحق الله الربوا) يذهب ببركته ويهلك المال الذى يدخل فيه (ويربى الصدقات) ينميها ويزيدها أى يزيد المال الذى أخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفى الحديث ما نقصت زكاة من مال قط (والله لا يحب كل كفار) عظيم الكفر باستحلال الربا (أثيم) متماد فى الاثم باكله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) قيل المراد به الذين آمنوا بتحريم الربا (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا) أخذوا ما شرطوا على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها روى انها نزلت فى ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا (ان كنتم مؤمنين) كاملى الايمان فان دليل كاله امتثال المأمور به (فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) فاعلموا بها من أذن بالشىء اذا علم يؤيده قراءة الحسن فايقنوا فآذنوا حمزة وأبو بكر غير ابن غالب فأعلموا بها غيركم ولم يقل بحرب الله ورسوله لان هذا أبلغ لان المعنى فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروى أنها لما نزلت قالت ثقيف لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله (وان تبتم) من الارتباء (فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون) المديونين بطلب الزيادة عليها (ولا تظلمون) بالنقصان منها (وان كان ذو عسرة) وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة ذو اعسار (فنظرة) فالحكم أو فالامر نظرة أى انظار (الى ميسرة) يسار ميسرة نافع وهما لغتان (وأن تصدقوا) بالتخفيف عاصم أى تتصدقوا برؤس أموالكم أو ببعضها على من أعسر من غرمائكم وبالتشديد غيره

فالتخفيف

فالتخفيف على حذف احدى التاءين والتشديد على الادغام (خير لكم) فى القيامة وقيل
أريد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم
صدقة (ان كنتم تعلمون) أنه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه
(واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) ترجعون أبو عمرو فرجع لازم ومتعد قيل هى آخر آية نزل
بها جبريل عليه السلام وقال ضعها فى رأس المائتين وثمانين من البقرة وعاش رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما أو احدا وثمانين أو سبعة أيام أو ثلاث ساعات
(ثم توفى كل نفس ما كسبت) أى جزاء ما كسبت (وهم لا يظلمون) بنقصان الحسنات
وزيادة السيآت (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين) أى اذا داين بعضكم بعضا يقال داينت
الرجل اذا عاملته بدين معطيا أو آخذا (الى أجل مسمى) مدة معلومة كالحصاد أو الدياس أو
رجوع الحاج وانما احتيج الى ذكر الدين ولم يقل اذا تداينتم الى أجل مسمى ليرجع الضمير
اليه فى قوله (فاكتبوه) اذ لو لم يذكر لوجب أن يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك
الحسن ولانه أبين لتنويع الدين الى مؤجل وحال وانما أمر بكتابة الدين لان ذلك أوثق
وآمن من النسيان وأبعد من الجحود والمعنى اذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه والامر
للندب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا أباح السلم
المضمون الى أجل معلوم فى كتابه وأنزل فيه أطول آية وفيه دليل على اشتراط الاجل فى السلم
(وليكتب بينكم) بين المتداينين (كاتب بالعدل) هو متعلق بكاتب صفة له أى كاتب مأمون
على ما يكتب يكتب بالاحتياط لا يزيد على ما يجب أن يكتب ولا ينقص وفيه دليل أن يكون
الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع وهو أمر للمتداينين بتخير
الكاتب وأن لا يستكتبوا الا فقيها دينا حتى يكتب ما هو متفق عليه (ولا يأب كاتب) ولا يمتنع
واحد من الكتاب (أن يكتب كما علمه الله) مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وكما
متعلق بأن يكتب (فليكتب) تلك الكتابة لا يعدل عنها (وليملل الذى عليه الحق) ولا يكن
المملى الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته فى ذمته واقراره به فيكون ذلك
اقرارا على نفسه بلسانه والاملال والاملاء لغتان (وليتق الله ربه) وليتق الله الذى عليه الدين
ربه فلا يمتنع عن الاملاء فيكون جحودا لكل حقه (ولا يبخس منه شيأ) ولا ينقص من الحق
الذى عليه شيأ فى الاملاء فيكون جحودا لبعض حقه (فان كان الذى عليه الحق سفيها) أى
مجنونا لان السفه خفة فى العقل أو محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف (أو ضعيفا) صبيا
(أو لا يستطيع أن يمل هو) لعى به أو خرس أو جهل باللغة (فليملل وليه) الذى يلى أمره
ويقوم به (بالعدل) بالصدق والحق (واستشهدوا شهيدين) واطلبوا أن يشهد لكم شهيدان
على الدين (من رجالكم) من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام وشهادة
الكفار بعضهم على بعض مقبولة عندنا (فان لم يكونا) فان لم يكن الشهيدان (رجلين فرجل
وامرأتان) فليشهد رجل وامرأتان وشهادة الرجال مع النساء تقبل فيما عدا الحدود والقصاص

(ممن ترضون من الشهداء) ممن تعرفون عدالتهم وفيه دليل على أن غير المرضي شاهد (أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى) لاجل أن تنسى احداهما الشهادة فتذكرها الاخرى ان تضل احداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد حمزة كقوله ومن عاد فينتقم الله منه فتُذَكِّرَ بالنصب مكي وبصري من الذِّكر لا من الذَّكر (ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا) لاداء الشهادة أو للتحمل لئلا تتوى حقوقهم وسماهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن فالاوّل للفرض والثاني للندب (ولا تسأموا) ولا تملوا قال الشاعر

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش * ثمانين حولا لا أبالك يسأم

والضمير في (أن تكتبوه) للدين أو الحق (صغيرا أو كبيرا) على أي حال كان الحق من صغر أو كبر وفيه دلالة جواز السلم في الثياب لان ما يكال أو يوزن لا يقال فيه الصغير والكبير وانما يقال في الذرعي ويجوز أن يكون الضمير للكتاب وأن تكتبوه مختصرا أو مشبعا (الى أجله) الى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته (ذلكم) اشارة الى أن تكتبوه لانه في معنى المصدر أي ذلك الكتب (أقسط) أعدل مَن القسط وهو العدل (عند الله) ظرف لاقسط (وأقوم للشهادة) وأعون على اقامة الشهادة وبني فعلا التفضيل أي أقسط وأقوم من أقسط وأقام على مذهب سيبويه (وأدنى أن لا ترتابوا) وأقرب من انتفاء الريب للشاهد والحاكم وصاحب الحق فانه قد يقع الشك في المقدار والصفات واذا رجعوا الى المكتوب زال ذلك وألف أدنى منقلبة من واو لانه من الدنو (الا أن تكون تجارة حاضرة) عاصم أي الا أن تكون التجارة تجارة أو الا أن تكون المعاملة تجارة حاضرة غيره تجارة حاضرة على كان التامة أي الا أن تقع تجارة حاضرة أو هي ناقصة والاسم تجارة حاضرة والخبر (تديرونها) وقوله (بينكم) ظرف لتديرونها ومعنى ادارتها بينهم تعاطيها يدا بيد (فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها) يعني الا أن تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا بأس أن لا تكتبوها لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين (وأشهدوا اذا تبايعتم) أمر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا أو كالئا لانه أحوط وأبعد من وقوع الاختلاف أو أريد به وأشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على أن الاشهاد كاف فيه دون الكتابة والامر للندب (ولا يضار كاتب ولا شهيد) يحتمل البناء للفاعل لقراءة عمر رضي الله عنه ولا يضارر وللمفعول لقراءة ابن عباس رضي الله عنهما ولا يضارر والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان أو النهي عن الضرار بهما بأن يعجلا عن مهم ويلزا أو لا يعطى الكاتب حقه من الجعل أو يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد (وان تفعلوا) وان تضاروا (فانه) فان الضرار (فسوق بكم) مأثم (واتقوا الله) في مخالفة أوامره (ويعلمكم الله) شرائع دينه (والله بكل شيء عليم) لا يلحقه سهو ولا قصور (وان كنتم) أيها المتداينون (على سفر) مسافرين (ولم تجدوا كاتبا فرهن) فرهان مكي وأبو عمرو أي فالذي يستوثق به رهن وكلاهما جمع رهن كسقف وسقف وبغل وبغال ورهن في الاصل مصدر سمي به ثم كسر تكسير الاسماء ولما

كان السفر مظنة لاعواز الكتب والاشهاد أمر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بأن يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد لان السفر شرط تجويز الارتهان وقوله (مقبوضة) يدل على اشتراط القبض لا كازعم مالك ان الرهن يصح بالايجاب والقبول بدون القبض (فان أمن بعضكم بعضا) فان أمن بعض الدائنين بعض المديونين بحسن ظنه به فلم يتوثق بالكتابة والشهود والرهن (فليؤد الذى ائتمن أمانته) دينه وائتمن افتعل من الامن وهو حث للمديون على أن يكون عند ظن الدائن وأمنه منه وائتمانه له وان يؤدى اليه الحق الذى ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمى الدين أمانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه (وليتق الله ربه) في انكار حقه (ولا تكتموا الشهادة) هذا خطاب للشهود (ومن يكتمها فانه آثم قلبه) ارتفع قلبه بآثم على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه أو بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان وانما أسند الى القلب وحده والجملة هي الآثمة لا القلب وحده لان كتمان الشهادة أن يضمرها في القلب ولا يتكلم بها فلما كان اثما مقترفا مكتسبا بالقلب أسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها أبلغ كما تقول هذا مما أبصرته عيني ومما سمعته أذني ومما عرفه قلبي ولان القلب رئيس الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم في أصل نفسه وملك أشرف مكان منه ولان أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح ألا ترى ان أصل الحسنات والسيآت الايمان والكفر وهما من أفعال القلوب واذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضى الله عنهما أكبر الكبائر الاشراك بالله وشهادة الزور وكتمان الشهادة (والله بما تعملون) من كتمان الشهادة واظهارها (عليم) لا يخفى عليه شئ (لله ما في السموات وما في الارض) خلقا وملكا (وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه) يعني من السوء (يحاسبكم به الله) يكافئكم ويجازيكم ولا تدخل الوساوس وحديث النفس فيما يخفيه الانسان لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه والحاصل ان عزم الكفر كفر وخطرة الذنوب من غير عزم معفوة وعزم الذنوب اذا ندم عليه ورجع عنه واستغفر منه مغفور فاما اذا هم بسيئة وهو ثابت على ذلك الا انه منع عنه بمانع ليس باختياره فانه لا يعاقب على ذلك عقوبة فعله أى بالعزم على الزنا لا يعاقب عقوبة الزنا وهل يعاقب عقوبة عزم الزنا قيل لا لقوله عليه السلام ان الله عفا عن أمتى ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم به والجمهور على ان الحديث في الخطرة دون العزم وأن المؤاخذة في العزم ثابتة واليه مال الشيخ أبو منصور وشمس الائمة الحلوانى رحمهما الله والدليل عليه قوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة الآية وعن عائشة رضى الله عنها ماهم العبد بالمعصية من غير عمل يعاقب على ذلك بما يلحقه من الهم والحزن في الدنيا وفي أكثر التفاسير انه لما نزلت هذه الآية جزعت الصحابة رضى الله عنهم وقالوا أنؤاخذ بكل ما حدثت به أنفسنا فنزل قوله آمن الرسول الى قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما

اكتسبت فتعلق ذلك بالكسب دون العزم وفي بعضها انها نسخت بهذه الآية والمحققون
على ان النسخ يكون في الاحكام لا في الاخبار (فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) برفعهما
شامي وعاصم أي فهو يغفر ويعذب وبجزمهما غيرهم عطفا على جواب الشرط وبالادغام
أبو عمرو وكذا في الاشارة والبشارة وقال صاحب الكشاف مدغم الراء في اللام لاحن مخطئ
لان الراء حرف مكرر فيصير بمنزلة المضاعف ولا يجوز ادغام المضاعف وراويه عن أبي عمرو
مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى أعلم الناس في العربية ما يؤذن بجهل عظيم (والله على
كل شئ) من المغفرة والتعذيب وغيرهما (قدير) قادر (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه
والمؤمنون) ان عطف المؤمنون على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في (كل)
راجعا الى الرسول والمؤمنون أي كلهم (آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) ووقف عليه وان
كان مبتدأ كان عليه كل مبتدأ ثانيا والتقدير كل منهم وآمن خبر المبتدا الثاني والجملة خبر
الاول وكان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكتابه
حمزة وعلي يعني القرآن أو الجنس (لا نفرق) أي يقولون لا نفرق بل نؤمن بالكل (بين أحد
من رسله) أحد في معنى الجمع ولذا دخل عليه بين وهو لا يدخل الا على اسم يدل على أكثر من
واحد تقول المال بين القوم ولا تقول المال بين زيد (وقالوا سمعنا) أجبنا قولك (وأطعنا)
أمرك (غفرانك) أي اغفر لنا غفرانك فهو منصوب بفعل مضمر (ربنا واليك المصير)
المرجع وفيه اقرار بالبعث والجزاء والآية تدل على بطلان الاستثناء في الايمان وعلى بقاء
الايمان لمرتكب الكبائر (لا يكلف الله نفسا) محكي عنهم أو مستأنف (الا وسعها) الا طاقتها
وقدرتها لان التكليف لا يرد الا بفعل يقدر عليه المكلف كذا في شرح التأويلات وقال
صاحب الكشاف الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه أي لا يكلفها الا ما يتسع
فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى غاية الطاقة والمجهود فقد كان في طاقة الانسان أن يصلي
أكثر من الخمس ويصوم أكثر من الشهر ويحج أكثر من حجة (لها ما كسبت وعليها
ما اكتسبت) ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر وخص الخير
بالكسب والشر بالاكتساب لان الافتعال للانكماش والنفس تنكمش في الشر
وتتكلف للخير (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا) تركنا أمرا من أوامرك سهوا (أو أخطأنا) ودل
هذا على جواز المؤاخذة في النسيان والخطا خلافا للمعتزلة لامكان التحرز عنهما في الجملة ولولا
جواز المؤاخذة بهما لم يكن للسؤال معنى (ربنا ولا تحمل علينا إصرا) عبأ يأصر حامله أي
يحبسه مكانه لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من
الجلد والثوب وغير ذلك (كما حملته على الذين من قبلنا) كاليهود (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة
لنا به) من العقوبات النازلة بمن قبلنا (واعف عنا) امح سيئاتنا (واغفر لنا) واستر ذنوبنا
وليس بتكرار فالاول للكبائر والثاني للصغائر (وارحمنا) بتثقيل ميزاننا مع افلاسنا والاول
من المسخ والثاني من الخسف والثالث من الغرق (أنت مولانا) سيدنا ونحن عبيدك أو

ناصرنا أو متولي أمورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) فمن حق المولى أن ينصر عبيده في الحديث من قرأ آمن الرسول الى آخره في ليلة كفتاه وفيه من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل و يجوز أن يقال قرأت سورة البقرة أو قرأت البقرة لما روى عن على رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وقال بعضهم يكره ذلك بل يقال قرأت السورة التي تذكر فيها البقرة والله أعلم

﴿ سورة آل عمران نزلت بالمدينة وهى مائتا آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم الله) حركت الميم لالتقاء الساكنين أعني سكونها وسكون لام الله وفتحت لخفة الفتحة ولم تكسر للياء وكسر الميم قبلها تحاميا عن توالي الكسرات وليس فتح الميم لسكونها وسكون ياء قبلها اذ لو كان كذلك لوجب فتحها في حم ولا يصح أن يقال ان فتح الميم هو فتحة همزة الله نقلت الى الميم لان تلك الهمزة همزة وصل تسقط في الدرج وتسقط معها حركتها ولو جاز نقل حركتها لجاز اثباتها واثباتها غير جائز وأسكن يزيد والاعشى الميم وقطعا الالف والباقون بوصل الالف وفتح الميم والله مبتدأ (لا اله الا هو) خبره وخبر لا مضمر والتقدير لا اله في الوجود الا هو وهو في موضع الرفع بدل من موضع لا واسمه (الحي القيوم) خبر مبتدا محذوف أي هو الحي أو بدل من هو والقيوم فيعول من قام وهو القائم بالقسط والقائم على كل نفس بما كسبت (نزل) أي هو نزل (عليك الكتاب) القرآن (بالحق) حال أي نزله حقا ثابتا (مصدقا لما بين يديه) لما قبله (وأنزل التوراة والانجيل) هما اسمان أعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وانما قيل نزل الكتاب وأنزل التوراة والانجيل لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة (من قبل) من قبل القرآن (هدى للناس) لقوم موسى وعيسى أو لجميع الناس (وأنزل الفرقان) أي جنس الكتب لان الكل يفرق بين الحق والباطل أو الزبور أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له تفخيما لشأنه (ان الذين كفروا بآيات الله) من كتبه المنزلة وغيرها (لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام) ذو عقوبة شديدة لا يقدر على مثلها منتقم (ان الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء) أي في العالم فعبر عنه بالسماء والارض أي هو مطلع على كفر من كفر وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه (هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء) من الصور المختلفة (لا اله الا هو العزيز) في سلطانه (الحكيم) في تدبيره روى انه قدم وفد بني نجران وهم ستون راكبا أميرهم العاقب وعمدتهم السيد وأسقفهم وحبرهم أبو حارثة خاصموا في أن عيسى ان لم يكن ولد الله فمن أبوه فقال عليه السلام ألستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه أباه قالوا بلى قال ألم تعلموا ان الله تعالى حي لا يموت وعيسى يموت وان ربنا قيم على العباد يحفظهم و يرزقهم وعيسى لا يقدر على ذلك وانه لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء

وعيسى لا يعلم الا ما علم وانه صور عيسى فى الرحم كيف شاء فحملته أمه ووضعته وأرضعته وكان يأكل ويحدث ور بنا منزه عن ذلك كله فانقطعوا فنزل فيهم صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية (هو الذى أنزل عليك الكتاب) القرآن (منه) من الكتاب (آيات محكمات) أحكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه (هن أم الكتاب) أصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها (وأخر) وآيات أخر (متشابهات) مشتبهات محتملات ومثال ذلك الرحمن على العرش استوى فالاستواء يكون بمعنى الجلوس وبمعنى القدرة والاستيلاء ولا يجوز الاول على الله تعالى بدليل المحكم وهو قوله ليس كمثله شئ او المحكم ما أمر الله به فى كل كتاب أنزله نحو قوله قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الآيات وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه الآيات والمتشابه ما وراءه او ما لا يحتمل الا وجها واحدا وما احتمل أوجها او ما يعلم تأويله وما لا يعلم تأويله او الناسخ الذى يعمل به والمنسوخ الذى لا يعمل به وانما لم يكن كل القرآن محكما لما فى المتشابه من الابتلاء به والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما فى تقادح العلماء واتعابهم القرائح فى استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله تعالى (فأما الذين فى قلوبهم زيغ) ميل عن الحق وهم أهل البدع (فيتبعون ما تشابه) فيتعلقون بالمتشابه الذى يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول أهل الحق (منه ابتغاء الفتنة) طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم (وابتغاء تأويله) وطلب أن يؤولوه التأويل الذى يشتهونه (وما يعلم تأويله الا الله) اى لا يهتدى الى تأويله الحق الذى يجب أن يحمل عليه الا الله (والراسخون فى العلم) والذين رسخوا اى ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع مستأنف عند الجمهور والوقف عندهم على قوله الا الله وفسروا المتشابه بما استأثر الله بعلمه وهو مبتدأ عندهم والخبر (يقولون آمنا به) وهو ثناء منه تعالى عليهم بالايمان على التسليم واعتقاد الحقية بلا تكييف وفائدة انزال المتشابه الايمان به واعتقاد حقية ما أراد الله به ومعرفة قصور افهام البشر عن الوقوف على ما لم يجعل لهم اليه سبيلا ويعضده قراءة أبى ويقول الراسخون وعبدالله ان تأويله الا عند الله ومنهم من لا يقف عليه ويقول بأن الراسخين فى العلم يعلمون المتشابه ويقولون كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا به اى بالمتشابه او بالكتاب (كل) من متشابهه ومحكمه (من عند ربنا) من عند الله الحكيم الذى لا يتناقض كلامه (وما يذكر) وما يتعظ وأصله يتذكر (الا أولوا الالباب) أصحاب العقول وهو مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التأمل وقيل يقولون حال من الراسخين (ربنا لا تزغ قلوبنا) لا تملها عن الحق بخلق الميل فى القلوب (بعد اذ هديتنا) للعمل بالمحكم والتسليم للمتشابه (وهب لنا من لدنك رحمة) من عندك نعمة بالتوفيق والتثبيت (انك أنت الوهاب) كثير الهبة والآية من مقول الراسخين ويحتمل الاستئناف

أى قولوها وكذلك التى بعدها وهى (ربنا انك جامع الناس ليوم) أى تجمعهم لحساب يوم أو لجزاء يوم (لاريب فيه) لاشك فى وقوعه (ان الله لايخلف الميعاد) الموعد والمعنى أن الالهية تنافى خلف الميعاد كقولك ان الجواد لايخيب سائله أى لايخلف ماوعد المسلمين والكافرين من الثواب والعقاب (ان الذين كفروا) برسول الله (لن تغنى) تنفع أو تدفع (عنهم أموالهم ولاأولادهم من الله) من عذابه (شيأ) من الاشياء (وأولئك هم وقود النار) حطبها (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم) الدأب مصدر دأب فى العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ماعليه الانسان من شأنه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة فى تكذيب الحق كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم أو منصوب المحل بلن تغنى أى لن تغنى عنهم مثل مالم تغن عن أولئك كداب بلا همز حيث كان أبو عمرو (كذبوا بآياتنا) تفسير لدأبهم مما فعلوا أو فعل بهم على انه جواب سؤال مقدر عن حالهم ويجوز أن يكون حالا أى قد كذبوا (فأخذهم الله بذنوبهم) بسبب ذنوبهم يقال أخذته بكذا أى جازيته عليه (والله شديد العقاب) شديد عقابه فالاضافة غير محضة (قل للذين كفروا) هم مشركو مكة (ستغلبون) يوم بدر (وتحشرون الى جهنم) من الجهنام وهى بئر عميقة وبالياء فيهما حمزة وعلى (وبئس المهاد) المستقر جهنم (قد كان لكم آية) الخطاب لمشركى قريش (فى فئتين التقتا) يوم بدر (فئة تقاتل فى سبيل الله) وهم المؤمنون (وأخرى) وفئة أخرى (كافرة يرونهم مثليهم) يرى المشركون المسلمين مثلى عدد المشركين ألفين أو مثلى عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين أراهم الله اياهم مع قلتهم أضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم ترونهم نافع أى ترون يامشركى قريش المسلمين مثلى فئتكم الكافرة أو مثلى أنفسهم ولايناقض هذا ماقال فى سورة الانفال ويقللكم فى أعينهم لانهم قللوا أولا فى أعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما اجتمعوا كثروا فى أعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير فى حالتين مختلفتين ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال فيومئذ لايسئل عن ذنبه انس ولاجان وقفوهم انهم مسؤلون وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى فى أعينهم أبلغ فى القدرة واظهار الآية ومثليهم نصب على الحال لأنه من رؤية العين بدليل قوله (رأى العين) يعنى رؤية ظاهرة مكشوفة لالبس فيها (والله يؤيد بنصره من يشاء) كما أيد أهل بدر بتكثيرهم فى أعين العدو (ان فى ذلك) فى تكثير القليل (لعبرة) لعظة (لاولى الابصار) لذوى البصائر (زين للناس) المزين هو الله عند الجمهور للابتلاء كقوله انا جعلنا ماعلى الارض زينة لها لنبلوهم دليله قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان (حب الشهوات) الشهوة توقان النفس الى الشئ جعل الاعيان التى ذكرها شهوات مبالغة فى كونها مشتهاة كأنه أراد تخسيسها بتسميتها شهوات اذ الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية (من النساء) والاماء داخلة فيها (والبنين) جمع ابن وقد يقع فى غير هذا

الموضع على الذكور والاناث وهنا أريد به الذكور فهم المشتهون في الطباع والمعدون للدفاع (والقناطير) جمع قنطار وهو المال الكثير قيل ملء مسك ثور أو مائة ألف دينار ولقد جاء الاسلام وبمكة مائة رجل قد قنطروا (المقنطرة) المنضدة أو المدفونة (من الذهب والفضة) سمي ذهبا لسرعة ذهابه بالانفاق وفضة لانها تتفرق بالانفاق والفض التفريق (والخيل) سميت به لاختيالها في مشيها (المسومة) المعلمة من السومة وهي العلامة أو المرعية من أسام الدابة وسومها (والانعام) هي الازواج الثمانية (والحرث) الزرع (ذلك) المذكور (متاع الحيوة الدنيا) يتمتع بها في الدنيا (والله عنده حسن المآب) المرجع ثم زهدهم في الدنيا فقال (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم) من الذي تقدم (للذين اتقوا عند ربهم جنات) كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم فجنات مبتدأ وللذين اتقوا خبره (تجري من تحتها الانهار) صفة لجنات ويجوز أن يتعلق اللام بخير واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به ويرتفع جنات على هو جنات وتنصره قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من خير (خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله) أي رضا الله (والله بصير بالعباد) عالم بأعمالهم فيجازيهم عليها أو بصير بالذين اتقوا وبأحوالهم فلذا أعد لهم الجنات (الذين يقولون) نصب على المدح أو رفع أو جر صفة للمتقين أو للعباد (ربنا اننا آمنا) اجابة لدعوتك (فاغفر لنا ذنوبنا) انجازا لوعدك (وقنا عذاب النار) بفضلك (الصابرين) على الطاعات والمصائب وهو نصب على المدح (والصادقين) قولا باخبار الحق وفعلا باحكام العمل ونية بامضاء العزم (والقانتين) الداعين أو المطيعين (والمنفقين) المتصدقين (والمستغفرين بالاسحار) المصلين أو طالبين المغفرة وخص الاسحار لانه وقت اجابة الدعاء ولانه وقت الخلوة قال لقمان لابنه يا بني لا يكن الديك أكيس منك ينادي بالاسحار وأنت نائم والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها وللاشعار بان كل صفة مستقلة بالمدح (شهد الله) أي حكم أو قال (أنه) أي بانه (لا اله الا هو والملائكة) بما عاينوا من عظيم قدرته (وأولوا العلم) أي الانبياء والعلماء (قائما بالقسط) مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على التسوية فيما بينهم وانتصابه على انه حال مؤكدة من اسم الله تعالى أو من هو وانما جاز افراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاء زيد وعمرو راكبا لم يجز لعدم الالباس فانك لو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة أو على المدح وكرر (لا اله الا هو) للتأكيد (العزيز الحكيم) رفع على الاستئناف أي هو العزيز وليس بوصف لهو لان الضمير لا يوصف يعني انه العزيز الذي لا يغالب الحكيم الذي لا يعدل عن الحق (ان الدين عند الله الاسلام) جملة مستأنفة أن الدين على البدل من قوله أنه لا اله الا هو أي شهد الله أن الدين عند الله الاسلام قال عليه السلام من قرأ الآية عند منامه خلق الله تعالى منها سبعين ألف خلق يستغفرون له الى يوم القيامة ومن قال بعدها وأنا

أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة يقول الله تعالى يوم القيامة ان لعبدى عندى عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى الجنة (وما اختلف الذين اوتوا الكتاب) اى اهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله (الا من بعد ما جاءهم العلم) انه الحق الذى لا محيد عنه (بغيا بينهم) اى ما كان ذلك الاختلاف الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا لا شبهة فى الاسلام وقيل هو اختلافهم فى نبوة محمد عليه الصلاة والسلام حيث آمن به بعض وكفر به بعض وقيل هم النصارى واختلافهم فى امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله (ومن يكفر بآيات الله) بحججه ودلائله (فان الله سريع الحساب) سريع المجازاة (فان حاجوك) فان جادلوك فى ان دين الله الاسلام والمراد بهم وفد بنى نجران عند الجمهور (فقل أسلمت وجهى لله) اى اخلصت نفسى وجملتى لله وحده لم اجعل فيها لغيره شريكا بان اعبده وادعوا الها معه يعنى ان دينى دين التوحيد وهو الدين القويم الذى ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندى وما جئت بشئ بديع حتى تجادلونى فيه ونحوه وقل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ فهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو اليقين الذى لا شك فيه فما معنى المحاجة فيه (ومن اتبعن) عطف على التاء فى اسلمت اى اسلمت انا ومن اتبعنى وحسن للفاصل ويجوز أن يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه ومن اتبعنى فى الحالين سهل ويعقوب وافق أبو عمرو فى الوصل وجهى مدنى وشامى وحفص والاعشى والبرجمى (وقل للذين أوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى (والاميين) والذين لا كتاب لهم من مشركى العرب (أأسلمتم) بهمزتين كوفى يعنى انه قد أتاكم من البينات ما يقتضى حصول الاسلام فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم وقيل لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الامر اى أسلموا كقوله فهل أنتم منتهون اى انتهوا (فان اسلموا فقد اهتدوا) فقد اصابوا الرشد حيث خرجوا من الضلال الى الهدى (وان تولوا فانما عليك البلاغ) اى لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك الا أن تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى (والله بصير بالعباد) فيجازيهم على اسلامهم وكفرهم (ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين) هم أهل الكتاب راضون بقتل آبائهم الانبياء (بغير حق) حال مؤكدة لان قتل النبى لا يكون حقا (ويقتلون الذين يأمرون) ويقاتلون حمزة (بالقسط) بالعدل (من الناس) اى سوى الانبياء قال عليه السلام قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا فى آخر النهار من ذلك اليوم (فبشرهم بعذاب أليم) دخلت الفاء فى خبر ان لتضمن اسمها معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بعذاب أليم بمعنى من يكفر فبشرهم وهذا لان ان لا تغير معنى الابتداء فهى للتحقيق فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت ولعل لامتنع دخول الفاء (أولئك الذين

حبطت اعمالهم) أى ضاعت (فى الدنيا والآخرة) فلهم اللعنة والخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة (ومالهم من ناصرين) جمع لوقف رؤس الآى والا فالواحد النكرة فى النفى يعم (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) يريد أحبار اليهود وانهم حصلوا نصيبا وافرا من التوراة ومن للتبعيض أو للبيان (يدعون) حال من الذين (الى كتاب الله) أى التوراة أو القرآن (ليحكم بينهم) جعل حاكما حيث كان سببا للحكم أو ليحكم النبى روى انه عليه السلام دخل مدراسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على أى دين أنت قال النبى عليه السلام على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا و بينكم التوراة فهلموا اليها فابيا (ثم يتولى فريق منهم) استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب (وهم معرضون) وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم (ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات) أى ذلك التولى والاعراض بسبب تسهيلهم على أنفسهم أمر العقاب وطمعهم فى الخروج من النار بعد أيام قلائل وهى أربعون يوما أو سبعة أيام وذلك مبتدأ أو بانهم خبره (وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون) أى غرهم افتراؤهم على الله وهو قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه ولا يعذبنا بذنوبنا الا مدة يسيرة (فكيف اذا جمعناهم ليوم) فكيف يكون حالهم فى ذلك الوقت (لا ريب فيه) لا شك فيه (ووفيت كل نفس ما كسبت) جزاء ما كسبت (وهم) يرجع الى كل نفس على المعنى لانه فى معنى كل الناس (لا يظلمون) بزيادة فى سيآتهم ونقصان فى حسناتهم (قل اللهم) الميم عوض من يا ولذا لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء فى القسم و بدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف و بقطع همزته فى يا الله و بالتفخيم (مالك الملك) تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وهو نداء ثان أى يا مالك الملك (تؤتى الملك من تشاء) تعطى من تشاء النصيب الذى قسمت له من الملك (وتنزع الملك ممن تشاء) أى تنزعه فالملك الاول عام والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل روى انه عليه السلام حين فتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقالت اليهود والمنافقون هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من ذلك (وتعز من تشاء) بالملك (وتذل من تشاء) بنزعه منه (بيدك الخير) أى الخير والشر فاكتفى بذكر أحد الضدين عن الآخر ولان الكلام وقع فى الخير الذى يسوقه الى المؤمنين وهو الذى أنكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك (انك على كل شىء قدير) ولا يقدر على شىء أحد غيرك الا باقدارك وقيل المراد بالملك ملك العافية أو ملك القناعة قال عليه السلام ملوك الجنة من أمتى القانعون بالقوت يوما فيوما أو ملك قيام الليل وعن الشبلى الاستغناء بالمكون عن الكونين تعز بالمعرفة أو بالاستغناء بالمكون أو بالقناعة وتذل باضدادها ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار فى المعاقبة بينهما وحال الحى والميت فى اخراج أحدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب بقوله (تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل) فالايلاج ادخال الشىء فى الشىء

وهومجازهنااى تنقص من ساعات الليل وتزيد فى النهار وتنقص من ساعات النهار وتزيد فى الليل (وتخرج الحى من الميت) الحيوان من النطفة اوالفرخ من البيضة اوالمؤمن من الكافر (وتخرج الميت من الحى) النطفة من الانسان اوالبيض من الدجاج اوالكافر من المؤمن (وترزق من تشاء بغير حساب) لا يعرف الخلق عدده ومقداره وان كان معلوما عنده ليدل على أن من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر أن يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهوقادر على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفى بعض الكتب أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فان العباد أطاعونى جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصونى جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى أعطفهم عليكم وهومعنى قوله عليه السلام كما تكونوا يولى عليكم الحى من الميت والميت من الحى بالتشديد حيث كان مدنى وكوفى غيرأبى بكر (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء) نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم اولصداقة قبل الاسلام اوغيرذلك وقدكررذلك فى القرآن والمحبة فى الله والبغض فى الله باب عظيم فى الايمان (من دون المؤمنين) يعنى ان لكم فى موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم (ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ) اى ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله فى شئ لان موالاة اولى وموالاة عدوه متنافيان (الا أن تتقوا منهم تقاة) الا أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه اى الا أن يكون للكافر عليك سلطان فتخافه على نفسك ومالك فحينئذ يجوزلك اظهارالموالاة وابطان المعاداة (ويحذركم الله نفسه) اى ذاته فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه وهذا وعيد شديد (والى الله المصير) اى مصيركم اليه والعذاب معدلديه وهووعيد آخر (قل ان تخفوا مافى صدوركم اوتبدوه) من ولاية الكفار اوغيرها مما لا يرضى الله (يعلمه الله) ولم يخف عليه وهوابلغ وعيد (ويعلم مافى السموات ومافى الارض) استئناف وليس بمعطوف على جواب الشرط اى هوالذى يعلم مافى السموات ومافى الارض فلا يخفى عليه سركم وعلنكم (والله على كل شئ قدير) فيكون قادرا على عقوبتكم (يوم تجدكل نفس ماعملت من خيرمحضرا وماعملت من سوء تودلو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) يوم منصوب بتود والضمير فى بينه لليوم اى يوم القيامة حين تجدكل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لوأن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا اى مسافة بعيدة اوباذكرويقع على ماعملت وحده ويرتفع وماعملت على الابتداء وتود خبره اى والذى عملته من سوء تود هى لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح أن تكون ماشرطية لارتفاع تود نعم الرفع جائزاذا كان الشرط ماضيا لكن الجزم هوالكثير وعن المبردان الرفع شاذ وكرر قوله (ويحذركم الله نفسه) ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه (والله رؤف بالعباد) ومن رأفته بهم أن حذرهم نفسه حتى لا يتعرضوا لسخطه ويجوز ان يريدانه مع كونه محذرا لكمال قدرته مرجو لسعة رحمته كقوله تعالى ان ربك لذومغفرة وذوعقاب أليم ونزل حين قال اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه

(قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) محبة العبد لله ايثار طاعته على غير ذلك ومحبة الله العبد أن يرضى عنه و يحمد فعله وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحبون الله فاراد أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه وقيل محبة الله معرفته ودوام خشيته ودوام اشتغال القلب به وبذكره ودوام الانس به وقيل هي اتباع النبي عليه السلام في أقواله وأفعاله وأحواله الا ماخص به وقيل علامة المحبة أن يكون دائم التفكر كثير الخلوة دائم الصمت لايبصر اذا نظر ولا يسمع اذا نودي ولا يحزن اذا أصيب ولا يفرح اذا أصاب ولا يخشى أحدا ولا يرجوه (ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول) قيل هي علامة المحبة (فان تولوا) أعرضوا عن قبول الطاعة ويحتمل أن يكون مضارعا أى فان تتولوا (فان الله لايحب الكافرين) أى لايحبهم (ان الله اصطفى) اختار (آدم) أبا البشر (ونوحا) شيخ المرسلين (وآل ابراهيم) اسمعيل واسحق وأولادهما (وآل عمران) موسى وهرون هما ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة (على العالمين) على عالمي زمانهم (ذرية) بدل من آل ابراهيم وآل عمران (بعضها من بعض) مبتدأ وخبره في موضع النصب صفة لذرية يعني ان الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوى ولاوى من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان وهو يتصل بيهوذا بن يعقوب بن اسحق وقد دخل في آل ابراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بعضها من بعض في الدين (والله سميع عليم) يعلم من يصلح للاصطفاء أو سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها (اذ قالت) واذ منصوب به أو باضمار اذكر (امرأة عمران) هى امرأة عمران ابن ماثان أم مريم جدة عيسى وهى حنة بنت فاقوذا (رب انى نذرت لك) أوجبت (ما في بطني محررا) هو حال من ما وهى بمعنى الذى أى معتقا لخدمة بيت المقدس لايدلى عليه ولا أستخدمه وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم أو مخلصا للعبادة يقال طين حر أى خالص (فتقبل منى) مدنى وأبو عمرو والتقبل أخذ الشئ على الرضا به (انك أنت السميع العليم فلما وضعتها) الضمير لما في بطني وانما أنث على تأويل الحبلة أو النفس أو النسمة (قالت رب انى وضعتها أنثى) أنثى حال من الضمير في وضعتها أى وضعت الحبلة أو النفس أو النسمة أنثى وانما قالت هذا القول لان التحرير لم يكن الا للغلمان فاعتذرت عما نذرت وتحزنت الى ربها ولتكلمها بذلك على وجه التحزن والتحسر قال الله (والله أعلم بما وضعت) تعظيما لموضوعها أى والله أعلم بالشئ الذى وضعت وما علق به من عزائم الامور وضعت شامى وأبو بكر بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة وعلى هذا يكون داخلا في القول وعلى الاول يوقف عند قوله أنثى وقوله والله أعلم بما وضعت ابتداء اخبار من الله تعالى (وليس الذكر) الذى طلبت (كالانثى) التى وهبت لها واللام فيهما للعهد (وانى سميتها مريم) معطوف على انى

وضعتها أنثى وما بينهما جملتان معترضتان وانما ذكرت حنة تسميتها مريم لربها لان مريم فى لغتهم العابدة فأرادت بذلك التقرب والطلب اليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وأن يصدق فيها ظنها بها ألا ترى كيف اتبعته طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان بقوله (وانى) مدنى (أعيذها بك) أجيرها (وذريتها) أولادها (من الشيطان الرجيم) الملعون فى الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها (فتقبلها ربها) قبل الله مريم ورضى بها فى النذر مكان الذكر (بقبول حسن) قيل القبول اسم مايقبل به الشئ كالسعوط لما يسعط به وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر فى النذر ولم تقبل قبلها أنثى فى ذلك أو بان تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة روى ان حنة لما ولدت مريم لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم فى بيت المقدس كالحجبة فى الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤس بنى اسرائيل وأحبارهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها عندى أختها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه أقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر على تقدير حذف المضاف أى فتقبلها بذى قبول حسن أى بامر ذى قبول حسن وهو الاختصاص (وأنبتها نباتا حسنا) مجاز عن التربية الحسنة قال ابن عطاء ما كانت ثمرته مثل عيسى فذاك أحسن النبات ونباتا مصدر على خلاف الصدر أو التقدير فنبتت نباتا (وكفلها) قبلها أو ضمن القيام بامرها وكفلها كوفى أى كفلها الله زكريا يعنى جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها (زكريا) بالقصر كوفى غير أبى بكر فى كل القرآن وقرأ أبو بكر بالمد والنصب هنا غيرهم بالمد والرفع كالثانية والثالثة ومعناه فى العبرى دائم الذكر والتسبيح (كلما دخل عليها زكريا المحراب) قيل بنى لها زكريا محرابا فى المسجد أى غرفة تصعد اليها بسلم وقيل المحراب أشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت فى أشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وكان لايدخل عليها الا هو وحده (وجد عندها رزقا) كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء (قال يامريم أنى لك هذا) من أين لك هذا الرزق الذى لايشبه أرزاق الدنيا وهو آت فى غير حينه (قالت هو من عند الله) فلا تستبعد قيل تكلمت وهى صغيرة كما تكلم عيسى وهو فى المهد (ان الله يرزق من يشاء) من جملة كلام مريم أو من كلام رب العالمين (بغير حساب) بغير تقدير لكثرته أو تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل (هنالك) فى ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم فى المحراب أو فى ذلك الوقت فقد يستعار هنا وحيث وثم للزمان لما رأى حال مريم فى كرامتها على الله ومنزلتها رغب أن يكون له من ايشاع ولد مثل ولد أمها حنة فى الكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت أمها كذلك وقيل لما رأى

الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر (دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية) ولدا والذرية يقع على الواحد والجمع (طيبة) مباركة والتأنيث للفظ الذرية (انك سميع الدعاء) مجيبه (فنادته الملائكة) قيل ناداه جبريل عليه السلام وانما قيل الملائكة لان المعنى أتاه النداء من هذا الجنس كقولهم فلان يركب الخيل فناديه بالياء والامالة حمزة وعلي (وهو قائم يصلي في المحراب) وفيه دليل على أن المرادات تطلب بالصلوات وفيها اجابة الدعوات وقضاء الحاجات وقال ابن عطاء ما فتح الله تعالى على عبد حالة سنية الا باتباع الاوامر واخلاص الطاعات ولزوم المحاريب (ان الله) بكسر الالف شامي وحمزة على اضمار القول أولان النداء قول الباقون بالفتح أي بان الله (يبشرك) يبشرك وما بعده حمزة وعلي من بشره والتخفيف والتشديد لغتان (بيحيى) هو غير منصرف ان كان عجميا وهو الظاهر فللتعريف والعجمة كموسى وعيسى وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر (مصدقا) حال منه (بكلمة من الله) أي مصدقا بعيسى مؤمنا به فهو أول من آمن به وسمي عيسى كلمة الله لان تكونه بكن بلا أب أومصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه (وسيدا) هو الذي يسود قومه أي يفوقهم في الشرف وكان يحيى فائقا على قومه لانه لم يركب سيئة قط ويالها من سيادة وقال الجنيد هو الذي جاد بالكونين عوضا عن المكون (وحصورا) هو الذي لا يقرب النساء مع القدرة حصر النفسه أي منعها من الشهوات (ونبيا من الصالحين) ناشئا من الصالحين لانه كان من أصلاب الانبياء أوكائنا من جملة الصالحين (قال رب أنى يكون لي غلام) استبعاد من حيث العادة واستعظام للقدرة لا تشكك (وقد بلغني الكبر) كقولهم أدركته السن العالية أي أثر في الكبر وأضعفني وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون (وامرأتي عاقر) لم تلد (قال كذلك الله يفعل ما يشاء) من الافعال العجيبة (قال رب اجعل لي) مدني وأبو عمرو (آية) علامة أعرف بها الحبل لأتلقى النعمة بالشكر اذا جاءت (قال آيتك ألا تكلم الناس) أي لا تقدر على تكليم الناس (ثلاثة أيام الا رمزا) الاشارة بيد أو رأس أو عين أو حاجب وأصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك واستثنى الرمز وهو ليس من جنس الكلام لانه لما أدى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما أو هو استثناء منقطع وانما خص تكليم الناس ليعلم انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذا قال (واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار) أي في أيام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة والادلة الظاهرة وانما حبس لسانه عن كلام الناس ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره كانه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر وأحسن الجواب ما كان منتزعا من السؤال والعشي من حين الزوال الى الغروب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى (واذ) عطف على اذ قالت امرأة عمران أوالتقدير واذكر اذ (قالت الملائكة يا مريم) روى

انهم كلموها شفاها (ان الله اصطفاك) أولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك بالكرامة السنية (وطهرك) مما يستقذر من الافعال (واصطفاك) آخرا (على نساء العالمين) بان وهب لك عيسى من غير أب ولم يكن ذلك لاحد من النساء (يامريم اقنتي لربك) أديمي الطاعة أو أطيلي قيام الصلاة (واسجدي) وقيل أمرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلاة ثم قيل لها (واركعي مع الراكعين) أي ولتكن صلاتك مع المصلين أي في الجماعة أو وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم (ذلك) اشارة الى ماسبق من قصة حنة وزكريا ويحيي ومريم (من أنباء الغيب نوحيه اليك) يعني ان ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي (وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم) ازلامهم وهي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين أو هي الاقلام التي كانوا يكتبون التوراة بها اختاروها للقرعة تبركا بها (أيهم يكفل مريم) متعلق بمحذوف دل عليه يلقون كانه قيل يلقونها ينظرون أيهم يكفل مريم أو ليعلموا أو يقولون (وما كنت لديهم اذ يختصمون) في شأنها تنافسا في التكفل بها (اذ قالت الملائكة) أي اذكر (يامريم ان الله يبشرك بكلمة) أي بعيسى (منه) في موضع جر صفة لكلمة (اسمه) مبتدأ وذكر ضمير الكلمة لان المسمى بها مذكر (المسيح) خبره والجملة في موضع جر صفة لكلمة والمسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق وأصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا أينما كنت وقيل سمي مسيحا لانه كان لا يمسح ذا عاهة الا برأ أو لانه كان يمسح الارض بالسياحة لا يستوطن مكانا (عيسى) بدل من المسيح (ابن مريم) خبر مبتدا محذوف أي هو ابن مريم ولا يجوز أن يكون صفة لعيسى لان اسمه عيسى فحسب وليس اسمه عيسى ابن مريم وانما قال ابن مريم اعلاما لها أنه يولد من غير أب فلا ينسب الا الى أمه (وجيها) ذا جاه وقدر (في الدنيا) بالنبوة والطاعة (والآخرة) بعلو الدرجة والشفاعة (ومن المقربين) برفعه الى السماء وقوله وجيها حال من كلمة لكونها موصوفة وكذا ومن المقربين أي وثابتا من المقربين وكذا (ويكلم الناس) أي ومكلما الناس (في المهد) حال من الضمير في يكلم أي ثابتا في المهد وهو ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر (وكهلا) عطف عليه أي ويكلم الناس طفلا وكهلا أي يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء (ومن الصالحين) حال أيضا والتقدير يبشرك به موصوفا بهذه الصفات (قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) اي اذا قدر تكون شيء كونه من غير تأخير لكنه عبر بقوله كن اخبارا عن سرعة تكون الاشياء بتكوينه (ويعلمه) مدني وعاصم وموضعه حال معطوفة على وجيها الباقون بالنون على انه كلام مبتدأ (الكتاب) أي الكتابة وكان أحسن الناس خطا في زمانه وقيل كتب الله (والحكمة) بيان الحلال والحرام أو الكتاب الخط باليد والحكمة البيان باللسان (والتوراة والانجيل

ورسولا) أى ونجعله رسولا أو يكون في موضع الحال أى وجيها فى الدنيا والآخرة ورسولا (الى بنى اسرائيل أنى) بانى (قد جئتكم بآية من ربكم) بدلالة تدل على صدقى فيما أدعيه من النبوة (أنى أخلق لكم) نصب بدل من أنى قد جئتكم أوجر بدل من آية أورفع على هى أنى أخلق لكم انى نافع على الاستئناف (من الطين كهيئة الطير) أى أقدر لكم شيأ مثل صورة الطير (فانفخ فيه) الضمير للكاف أى فى ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير (فيكون طيرا) فيصير طيرا كسائر الطيور طائرا مدنى (باذن الله) بامره قيل لم يخلق شيأ غير الخفاش (وأبرئ الاكمه) الذى ولد أعمى (والابرص وأحيي الموتى باذن الله) كرر باذن الله دفعا لوهم من يتوهم فيه اللاهوتية روى انه أحيا سام بن نوح عليه السلام وهم ينظرون اليه فقالوا هذا سحر مبين فارنا آية فقال يافلان أكلت كذا ويافلان خبئ لك كذا وهو قوله (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) وما فيهما بمعنى الذى أو مصدرية (ان فى ذلك) فيما سبق (لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدى من التوراة) أى قد جئتكم بآية وجئتكم مصدقا (ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم) رد على قوله بآية من ربكم أى جئتكم بآية من ربكم ولاحل لكم ما حرم الله عليهم فى شريعة موسى عليه السلام الشحوم ولحوم الابل والسمك وكل ذى ظفر فأحل لهم عيسى بعض ذلك (وجئتكم بآية من ربكم) كرر للتأكيد (فاتقوا الله) فى تكذيبي وخلافى (وأطيعون) في أمرى (ان الله ربى وربكم) اقرار بالعبودية ونفي للربوبية عن نفسه بخلاف مايزعم النصارى (فاعبدوه) دونى (هذا صراط مستقيم) يؤدى صاحبه الى النعيم المقيم (فلما أحس عيسى منهم الكفر) علم من اليهود كفرا علما لا شبهة فيه كعلم مايدرك بالحواس (قال من أنصارى) مدنى وهو جمع ناصر كاصحاب او جمع نصير كاشراف (الى الله) يتعلق بمحذوف حال من الياء أى من أنصارى ذاهبا الى الله ملتجئا اليه (قال الحواريون) حوارى الرجل صفوته وخاصته (نحن أنصار الله) أعوان دينه (آمنا بالله واشهد) ياعيسى (بانا مسلمون) انما طلبوا شهادته باسلامهم تأكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم وفيه دليل على أن الايمان والاسلام واحد (ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول) أى رسولك عيسى (فاكتبنا مع الشاهدين) مع الانبياء الذين يشهدون لاممهم أومع الذين يشهدون لك بالوحدانية أومع أمة محمد عليه السلام لانهم شهداء على الناس (ومكروا) أى كفار بنى اسرائيل الذين أحس منهم الكفر حين أرادوا قتله وصلبه (ومكر الله) أى جازاهم على مكرهم بان رفع عيسى الى السماء وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل ولايجوز اضافة المكر الى الله تعالى الا على معنى الجزاء لانه مذموم عند الخلق وعلى هذا الخداع والاستهزاء كذا فى شرح التأويلات (والله خير الماكرين) أقوى المجازين وأقدرهم على العقاب من حيث لايشعر المعاقب (اذ قال الله) ظرف لمكر الله (ياعيسى انى متوفيك) أى مستوفى أجلك ومعناه انى عاصمك من أن تقتلك الكفار ومميتك حتف أنفك لا قتلا بايديهم (ورافعك الى) الى سمائى ومقر ملائكتى (ومطهرك من الذين كفروا)

من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالى على فلان اذا استوفيته أو مميتك فى وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن اذ الواو لا توجب الترتيب قال النبى عليه السلام ينزل عيسى خليفة على أمتى يدق الصليب ويقتل الخنازير ويلبث أربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى وكيف تهلك أمة أنا فى أولها وعيسى فى آخرها والمهدى من أهل بيتى فى وسطها أو متوفى نفسك بالنوم ورافعك وأنت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وأنت فى السماء آمن مقرب (وجاعل الذين اتبعوك) أى المسلمين لانهم متبعوه فى أصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى (فوق الذين كفروا) بك (الى يوم القيامة) يعلونهم بالحجة وفى أكثر الاحوال بها وبالسيف (ثم الىّ مرجعكم) فى الآخرة (فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فنوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين) وتفسير الحكم هاتان الآيتان فيوفيهم حفص (ذلك) اشارة الى ماسبق من نبإ عيسى وغيره وهو مبتدأ (نتلوه عليك) خبره (من الآيات) خبر بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف (والذكر الحكيم) القرآن يعنى المحكم أو كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ونزل لما قال وفد بنى نجران هل رأيت ولدا بلا أب (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم) أى ان شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم عليه السلام (خلقه من تراب) قدره جسدا من طين وهى جملة مفسرة لحالة شبه عيسى بآدم ولا موضع لها أى خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة أب ولا أم فكذلك حال عيسى مع ان الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود من غير أب فشبه الغريب بالاغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو أغرب مما استغرب به وعن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا أب له قال فآدم أولى لانه لا أبوين له قالوا كان يحيى الموتى قال فحزقيل أولى لان عيسى أحيا أربعة نفر وحزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس أولى لانه طبخ وأحرق ثم قام سالما (ثم قال له كن) أى أنشأه بشرا (فيكون) أى فكان وهو حكاية حال ماضية وثم لترتيب الخبر على الخبر لا لترتيب المخبر عنه (الحق من ربك) خبر مبتدا محذوف أى هو الحق (فلا تكن) أيها السامع (من الممترين) الشاكين ويحتمل أن يكون الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ويكون من باب التهييج لزيادة الثبات لانه عليه السلام معصوم من الامتراء (فمن حاجك) من النصارى (فيه) فى عيسى (من بعد ما جاءك من العلم) من البينات الموجبة للعلم وما بمعنى الذى (فقل تعالوا) هلموا والمراد المجىء بالعزم والرأى كما تقول تعال نفكر فى هذه المسئلة (ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) أى يدع كل منا ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة (ثم نبتهل) ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وأبعده من رحمته وأصل الابتهال هذا ثم يستعمل فى كل دعاء

يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وروى انه عليه السلام لما دعاهم الى المباهلة قالوا حتى ننظر فقال العاقب وكان ذارأيهم والله لقد عرفتم يامعشر النصارى ان محمدا نبى مرسل وما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان أبيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا للحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها وهو يقول اذا أنا دعوت فأمنوا فقال أسقف نجران يامعشر النصارى انى لأرى وجوها لوسألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى فقالوا ياأبا القاسم رأينا أن لانباهلك فصالحهم النبى على ألفى حلة كل سنة فقال عليه السلام والذى نفسى بيده ان الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولولاعنوا لمسخوا قردة وخنازير وانما ضم الابناء والنساء وان كانت المباهلة مختصة به وبمن يكاذبه لان ذلك آكد فى الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ كبده لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته ان تمت المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم أعز الاهل والصقهم بالقلوب وقدمهم فى الذكر على الانفس لينبه على قرب مكانهم ومنزلتهم وفيه دليل واضح على صحة نبوة النبى صلى الله عليه وسلم لانه لم يروأحد من موافق أومخالف انهم أجابوا الى ذلك (فنجعل لعنت الله على الكاذبين) منا ومنكم فى شأن عيسى ونبتهل ونجعل معطوفان على ندع (ان هذا) الذى قص عليك من نبا عيسى (لهو القصص الحق) هو فصل بين اسم ان وخبرها أومبتدا والقصص الحق خبره والجملة خبران وجاز دخول اللام على الفصل لانه اذا جاز دخولها على الخبركان دخولها على الفصل أجوز لانه أقرب الى المبتدا منه وأصلها أن تدخل على المبتدا ومن فى (ومامن إله إلاالله) بمنزلة البناء على الفتح فى لا إله إلاالله فى افادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى فى تثليثهم (وان الله لهو العزيز) فى الانتقام (الحكيم) فى تدبير الاحكام (فان تولوا) أعرضوا ولم يقبلوا (فان الله عليم بالمفسدين) وعيد لهم بالعذاب المذكور فى قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون (قل ياأهل الكتاب) هم أهل الكتابين أو وفد نجران أو يهود المدينة (تعالوا الى كلمة سواء) أى مستوية (بيننا وبينكم) لا يختلف فيها القرآن والتوراة والانجيل وتفسير الكلمة قوله (ألانعبد الا الله ولانشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) يعنى تعالوا اليها حتى لانقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولانطيع احبارنا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ماشرع الله وعن عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يارسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك (فان تولوا) عن التوحيد (فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) أى لزمتكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب فى جدال أوصراع اعترف بانى أنا الغالب وسلم الى الغلبة (ياأهل الكتاب لم تحاجون

فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده) زعم كل فريق من اليهود والنصارى ان ابراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابراهيم وموسى ألف سنة وبينه وبين عيسى ألفان فكيف يكون ابراهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة (أفلا تعقلون) حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال (هاأنتم هؤلاء) ها للتنبيه وأنتم مبتدا وهؤلاء خبره (حاججتم) جملة مستأنفة مبينة للجملة الاولى يعنى أنتم هؤلاء الاشخاص الحمقاء وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم (فيما لكم به علم) مما نطق به التوراة والانجيل (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) ولا ذكر له فى كتابيكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذى وحاججتم صلته هاأنتم بالمد وغير الهمز حيث كان مدنى وأبو عمرو (والله يعلم) علم ما حاججتم فيه (وأنتم لا تعلمون) وأنتم جاهلون به ثم أعلمهم بانه برىء من دينهم فقال (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) كانه أراد بالمشركين اليهود والنصارى لاشراكهم به عزيرا والمسيح أوو ما كان من المشركين كالم يكن منهم (ان أولى الناس بابراهيم) ان أخصهم به وأقربهم منه من الولى وهو القرب (للذين اتبعوه) فى زمانه وبعده (وهذا النبى) خصوصا خص بالذكر لخصوصيته بالفضل والمراد محمد عليه السلام (والذين آمنوا) من أمته (والله ولى المؤمنين) ناصرهم (ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم) هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية (وما يضلون الا أنفسهم) وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم (وما يشعرون) بذلك (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) بالتوراة والانجيل وكفرهم بها انهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها (وأنتم تشهدون) تعترفون بانها آيات الله أو تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وأنتم تشهدون نعته فى الكتابين أو تكفرون بآيات الله جميعا وأنتم تعلمون انها حق (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) تخلطون الايمان بموسى وعيسى بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم (وتكتمون الحق) نعت محمد عليه السلام (وأنتم تعلمون) انه حق (وقالت طائفة من أهل الكتاب) فيما بينهم (آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا) أى القرآن (وجه النهار) ظرف أى أوله يعنى أظهروا الايمان بما أنزل على المسلمين فى أول النهار (واكفروا آخره) واكفروا به آخره (لعلهم يرجعون) لعل المسلمين يقولون ما رجعوا وهم أهل كتاب وعلم الا لامر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله) ولا تؤمنوا متعلق بقوله (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) وما بينهما اعتراض أى ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم أرادوا أسروا تصديقكم بان المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام (أو يحاجوكم عند ربكم) عطف

على ان يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم أن المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة ومعنى الاعتراض ان الهدى هدى الله من شاء هداه حتى أسلم أو ثبت على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله (قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) يريد الهداية والتوفيق أو يتم الكلام عند قوله الالمن تبع دينكم أى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الالمن تبع دينكم الالمن كانوا تابعين لدينكم ممن أسلموا منكم لان رجعوهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم ومعنى قوله أن يؤتى لان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لالشئ آخر يعنى ان ما بكم من الحسد والبغى أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم ويدل عليه قراءة ابن كثير آن بالمد والاستفهام يعنى ألان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الكتاب تحسدونهم وقوله أو يحاجوكم على هذا معناه دبرتم ما دبرتم لان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم (والله واسع) أى واسع الرحمة (عليم) بالمصلحة (يختص برحمته) بالنبوة أو بالاسلام (من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك) هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش ألفا ومائتى أوقية ذهبا فاداه اليه (ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك) هو فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم والخائنون فى القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم (الا مادمت عليه قائما) الامدة دوامك عليه ياصاحب الحق قائما على رأسه ملازما له يؤده ولا يؤده بكسر الهاء مشبعة مكى وشامى ونافع وعلى وحفص واختلس أبو عمرو وفى رواية غيرهم بسكون الهاء (ذلك) اشارة الى ترك الاداء الذى دل عليه لا يؤده (بانهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل) أى تركهم أداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا فى الاميين سبيل أى لا يتطرق علينا اثم وذم في شأن الاميين يعنون الذين ليسوا من أهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس أموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم وكانوا يقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك فى كتابهم (ويقولون على الله الكذب) بادعائهم ان ذلك فى كتابهم (وهم يعلمون) انهم كاذبون (بلى) اثبات لما نفوه من السبيل عليهم فى الاميين أى بلى عليهم سبيل فيهم وقوله (من أوفى بعهده واتقى) جملة مستأنفة مقررة للجملة التى سدت بلى مسدها والضمير فى بعهده يرجع الى الله تعالى أى كل من أوفى بعهد الله واتقاه (فان الله يحب المتقين) أى يحبهم فوضع الظاهر موضع الضمير وعموم المتقين قام مقام الضمير الراجع من الجزاء الى من ويدخل فى ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما أوجب اتقاؤه من الكفر وأعمال السوء قيل نزلت فى عبد الله بن سلام ونحوه من مسلمى أهل

الـكتاب ويجوز أن يرجع الضمير الى من أوفى أى كل من أوفى بما عاهد الله عليه واتقى الله
فى ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه ونزل فيمن حرف التوراة وبدل نعته عليه السلام من
اليهود وأخذ الرشوة على ذلك (ان الذين يشترون) يستبدلون (بعهد الله) بما عاهدوه عليه
من الايمان بالرسول المصدق لما معهم (وأيمانهم) وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به
ولننصرنه (ثمنا قليلا) متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقوله بعهد الله يقوى
رجوع الضمير فى بعهده الى الله (أولئك لا خلاق لهم في الآخرة) أى لا نصيب (ولا يكلمهم
الله) بما يسرهم (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) نظر رحمة (ولا يزكيهم) ولا يثنى عليهم (ولهم
عذاب أليم) مؤلم (وان منهم) من أهل الكتاب (لفريقا) هم كعب بن الاشرف ومالك
ابن الصيف وحيى بن أخطب وغيرهم (يلوون ألسنتهم بالكتاب) يفتلونها بقراءته عن
الصحيح الى المحرف والى الفتل وهو الصرف والمراد تحريفهم كآية الرجم ونعت محمد صلى
الله عليه وسلم ونحو ذلك والضمير فى (لتحسبوه) يرجع الى ما دل عليه يلوون ألسنتهم بالكتاب
وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه (من
الكتاب) أى التوراة (وما هو من الكتاب) وليس هو من التوراة (ويقولون هو من عند
الله) تأكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم (وما هو من عند الله ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون) انهم كاذبون (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب) تكذيب
لمن اعتقد عبادة عيسى عليه السلام وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا
على بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغى أن يسجد لاحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم
واعرفوا الحق لاهله (والحكم) والحكمة وهى السنة أو فصل القضاء (والنبوة ثم يقول)
عطف على يؤتيه (للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين) ولكن يقول
كونوا ربانيين والربانى منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون وهو شديد التمسك بدين الله
وطاعته وحين مات ابن عباس قال ابن الحنفية مات ربانى هذه الامة وعن الحسن ربانيين
علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وقالوا الربانى العالم العامل (بما كنتم تعلمون الكتاب)
كوفى وشامى أى غيركم غيرهم بالتخفيف (وبما كنتم تدرسون) أى تقرؤن والمعنى بسبب
كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم كانت الربانية التى هى قوة التمسك بطاعة الله
مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعى من جهد نفسه وكد روحه فى جمع العلم
ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان كمن غرس شجرة حسناء تؤنقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها
وقيل معنى تدرسون تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناه معنى تدرسون
من التدريس كقراءة ابن جبير (ولا يأمركم) بالنصب عطفا على ثم يقول ووجهه أن تجعل
لا مزيدة لتأكيد معنى النفى في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر أن يستنبئه الله
وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يأمر الناس بان يكونوا عبادا له
ويأمركم (أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) كما تقول ما كان لزيد أن أكرمه ثم يهينني

ولا يستخف بي و بالرفع حجازي وأبو عمرو وعلي على ابتداء الكلام والهمزة في (أيأمركم بالكفر) للانكار والضمير في لا يأمركم وأيأمركم للبشر أو لله وقوله (بعد اذ أنتم مسلمون) يدل على أن المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه أن يسجدوا له (واذ أخذ الله ميثاق النبيين) هو على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك أو المراد ميثاق أولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف واللام في (لما آتيتكم من كتاب وحكمة) لام التوطئة لان أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما يجوز أن تكون متضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وأن تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه لتؤمنن به (ثم جاءكم) معطوف على الصلة والعائد منه الى ما محذوف والتقدير ثم جاءكم به (رسول مصدق لما معكم) للكتاب الذي معكم (لتؤمنن به) بالرسول (ولتنصرنه) أي الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم لما آتيتكم حمزة وما بمعنى الذي أو مصدرية أي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم واللام للتعليل أي أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لاجل أني آتيتكم الحكمة وان الرسول الذي آمركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف آتيناكم مدني (قال) أي الله (أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري) أي قبلتم عهدي وسمي اصرا لانه مما يؤصر أي يشد ويعقد (قالوا أقررنا قال فاشهدوا) فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار (وأنا معكم من الشاهدين) وأنا معكم على ذلك من اقراركم وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل قال الله للملائكة اشهدوا (فمن تولى بعد ذلك) الميثاق والتوكيد ونقض العهد بعد قبوله وأعرض عن الايمان بالنبي الجائي (فأولئك هم الفاسقون) المتمردون من الكفار (أفغير دين الله يبغون) دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول وهو غير دين الله على فعله لانه أهم من حيث ان الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل (وله أسلم من في السموات) الملائكة (والارض) الانس والجن (طوعا) بالنظر في الادلة والانصاف من نفسه (وكرها) بالسيف أو بمعاينة العذاب كنتق الجبل على بني اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال أي طائعين ومكرهين (واليه ترجعون) فيجازيكم على الاعمال يبغون و يرجعون بالياء فيهما حفص و بالتاء في الثاني وفتح الجيم أبو عمرو لان الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس و بالتاء فيهما وفتح الجيم غيرهما (قل آمنا بالله وما أنزل علينا) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه وعمن معه بالايمان فلذا وحد الضمير في قل وجمع في آمنا أو أمر بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك اجلالا من الله لقدر نبيه وعدى أنزل هنا بحرف الاستعلاء وفي

البقرة بحرف الانتهاء لوجود المعنيين اذ الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسول فجاء تارة باحد المعنيين وأخرى بالآخر وقال صاحب اللباب الخطاب في البقرة للامة لقوله قولوا فلم يصح الا الى لان الكتب منتهية الى الانبياء والى أمتهم جميعا وهنا قال قل وهو خطاب للنبي عليه السلام دون أمته فكان اللائق به على لان الكتب منزلة عليه لاشركة للامة فيه وفيه نظر لقوله تعالى آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا (وما أنزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) أولاد يعقوب وكان فيهم أنبياء (وما أوتي موسى وعيسى والنبيون) كرر في البقرة وما أوتي ولم يكرر هنا لتقدم ذكر الايتاء حيث قال لما آتيتكم (من ربهم) من عند ربهم (لا نفرق بين أحد منهم) في الايمان كما فعلت اليهود والنصارى (ونحن له مسلمون) موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتنا (ومن يبتغ غير الاسلام) يعني التوحيد واسلام الوجه لله او غير دين محمد عليه السلام (دينا) تمييز (فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) من الذين وقعوا في الخسران ونزل في رهط أسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم) والواو في (وشهدوا ان الرسول حق) للحال وقد مضمرة اي كفروا وقد شهدوا ان الرسول اي محمدا حق او للعطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد ان آمنوا (وجاءهم البينات) اي الشواهد كالقرآن وسائر المعجزات (والله لا يهدي القوم الظالمين) اي مادامو ا مختارين الكفر او لا يهديهم طريق الجنة اذا ماتوا كفارا (أولئك) مبتدأ (جزاؤهم) مبتدا ثان خبره (أن عليهم لعنة الله) وهما خبر أولئك او جزاؤهم بدل الاشتمال من أولئك (والملائكة والناس أجمعين خالدين) حال من الهاء والميم في عليهم (فيها) في اللعنة (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك) الكفر العظيم والارتداد (وأصلحوا) ما أفسدوا او دخلوا في الصلاح (فان الله غفور) لكفرهم (رحيم) بهم ونزل في اليهود (ان الذين كفروا) بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتوراة (ثم ازدادوا كفرا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن او كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت او نزل في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر ان قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون (لن تقبل توبتهم) اي ايمانهم عند البأس لانهم لا يتوبون الا عند الموت قال الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا (وأولئك هم الضالون ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض) الفاء في فلن يقبل يؤذن بان الكلام بني على الشرط والجزاء وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وترك الفاء فيما تقدم يشعر بان الكلام مبتدا وخبر ولا دليل فيه على التسبيب (ذهبا) تمييز (ولو افتدى به) اي فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا قال عليه السلام يقال للكافر يوم القيامة لو كان لك ملء الارض ذهبا أكنت مفتديا به فيقول نعم فيقال له قد سئلت أيسر من ذلك قيل الواو لتأكيد النفي (أولئك لهم

عذاب أليم) مؤلم (ومالهم من ناصرين) معينين دافعين للعذاب (لن تنالوا البر) لن تبلغوا حقيقة البر أولن تكونوا ابرارا أولن تنالوا برالله وهو ثوابه (حتى تنفقوا مما تحبون) حتى تكون نفقتكم من أموالكم التى تحبونها وتؤثرونها وعن الحسن كل من تصدق ابتغاء وجه الله بما يحبه ولو تمرة فهو داخل فى هذه الآية قال الواسطى الوصول الى البر بانفاق بعض المحاب والى الرب بالتخلى عن الكونين وقال أبو بكر الوراق لن تنالوا برى بكم الا ببركم باخوانكم والحاصل انه لا وصول الى المطلوب الا باخراج المحبوب وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يشترى اعدال السكر ويتصدق بها فقيل له لم لا تتصدق بثمنها قال لان السكر أحب الىّ فاردت أن أنفق مما أحب (وما تنفقوا من شئ فان الله به عليم) أى هو عليم بكل شئ تنفقونه فيجازيكم بحسبه ومن الاولى للتبعيض لقراءة عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون والثانية للتبيين أى من أى شئ كان الانفاق طيب تحبونه أوخبيث تكرهونه ولما قالت اليهود للنبى عليه السلام انك تدعى انك على ملة ابراهيم وأنت تأكل لحوم الابل وألبانها فقال عليه السلام كان ذلك حلالا لابراهيم فنحن نحله فقالت اليهود انها لم تزل محرمة فى ملة ابراهيم ونوح عليهما السلام نزل تكذيبا لهم (كل الطعام) أى المطعومات التى فيها النزاع فان منها ما هو حرام قبل ذلك كالميتة والدم (كان حلا لبنى اسرائيل) أى حلالا وهو مصدر يقال حل الشئ حلا ولذا استوى فى صفة المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لاهن حل لهم (الا ما حرم اسرائيل) أى يعقوب (على نفسه من قبل أن تنزل التوراة) وبالتخفيف مكى و بصرى وهو لحوم الابل وألبانها وكانا أحب الطعام اليه والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلا لبنى اسرائيل من قبل انزال التوراة سوى ما حرم اسرائيل على نفسه فلما نزلت التوراة على موسى حرم عليهم فيها لحوم الابل وألبانها لتحريم اسرائيل ذلك على نفسه (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) أمر بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من أن تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فلم يجرؤا على اخراج التوراة وبهتوا وفيه دليل بين على صدق النبى عليه السلام وعلى جواز النسخ الذى ينكرونه (فمن افترى على الله الكذب) بزعمه أن ذلك كان محرما فى ملة ابراهيم ونوح عليهما السلام (من بعد ذلك) من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة (فاولئك هم الظالمون) المكابرون الذين لا ينصفون من أنفسهم ولا يلتفتون الى البينات (قل صدق الله) فى اخباره انه لم يحرم وفيه تعريض بكذبهم أى ثبت ان الله تعالى صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون (فاتبعوا ملة ابراهيم) وهى ملة الاسلام التى عليها محمد عليه السلام ومن آمن معه حتى تخلصوا من اليهودية التى ورطتكم فى فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية أغراضكم وألزمتكم تحريم الطيبات التى أحلها الله لابراهيم ولمن تبعه (حنيفا) حال من ابراهيم أى مائلا عن الاديان الباطلة (وما كان من المشركين) ولما قالت اليهود للسلمين قبلتنا قبل قبلتكم نزل (ان أول بيت وضع للناس) والواضع هو

الله عزوجل ومعنى وضع الله بيتا للناس أنه جعله متعبدا لهم فكأنه قال ان أول متعبد للناس الكعبة وفى الحديث ان المسجد الحرام وضع قبل بيت المقدس بأربعين سنة قيل أول من بناه ابراهيم وقيل هو أول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض وقيل هو أول بيت بناه آدم عليه السلام فى الارض وقوله وضع للناس فى موضع جر صفة لبيت والخبر (للذى ببكة) اى للبيت الذى ببكة وهى علم للبلد الحرام ومكة و بكة لغتان فيه وقيل مكة البلد و بكة موضع المسجد وقيل اشتقاقهما من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها اولانها تبك أعناق الجبابرة اى تدقها لم يقصدها جبار الاقصمه الله (مباركا) كثير الخير لما يحصل للحجاج والمعتمرين من الثواب وتكفير السيآت (وهدى للعالمين) لانه قبلتهم ومتعبدهم ومباركا وهدى حالان من الضمير فى وضع (فيه آيات بينات) علامات واضحات لا تلتبس على أحد (مقام ابراهيم) عطف بيان لقوله آيات بينات وصح بيان الجماعة بالواحد لانه وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى ونبوة ابراهيم عليه السلام من تأثير قدمه فى حجر صلد اولاشتماله على آيات لان أثر القدم فى الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية وإلانة بعض الصخرة دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء عليهم السلام آية لابراهيم خاصة على ان (ومن دخله كان آمنا) عطف بيان لآيات وان كان جملة ابتدائية اوشرطية من حيث المعنى لانه يدل على امن داخله فكانه قيل فيه آيات بينات مقام لابراهيم وأمن داخله والاثنان فى معنى الجمع ويجوز أن يذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كانه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن داخله وكثير سواهما نحو انمحاق الاحجار مع كثرة الرماة وامتناع الطير من العلو عليه وغير ذلك ونحوه فى طى الذكر قوله عليه السلام حبب الىّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة فقرة عينى ليس من الثلاث بل هو ابتداء كلام لانها ليست من الدنيا والثالث مطوى وكأنه عليه السلام ترك ذكر الثالث تنبيها على أنه لم يكن من شأنه أن يذكر شيأ من الدنيا فذكر شيأ هو من الدين وقيل فى سبب هذا الاثر أنه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابراهيم عليه السلام عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسمعيل عليه السلام انزل حتى تغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقى أثر قدميه عليه وأمان من دخله بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لوجنى كل جناية ثم التجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضى الله عنه لوظفرت فيه بقاتل الخطاب مامسسته حتى يخرج منه ومن لزمه القتل فى الحل بقود او ردة اوزنا فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل أمنا من النار لقوله عليه السلام من مات فى أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا من النار وعنه عليه السلام الحجون

والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران فى الجنة وهما مقبرتامكة والمدينة وعنه عليه السلام من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتى عام (ولله على الناس حج البيت) اى استقرله عليهم فرض الحج حج البيت كوفى غيرأبى بكر وهواسم و بالفتح مصدر وقيل هما لغتان فى مصدر حج (من) فى موضع جر على أنه بدل البعض من الكل (استطاع اليه سبيلا) فسرها النبى عليه السلام بالزاد والراحلة والضمير فى اليه للبيت اوللحج وكل مأتى الى الشئ فهوسبيل اليه ولما نزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلى اليه ولا نحجه فنزل (ومن كفر) اى جحد فرضية الحج وهوقول ابن عباس والحسن وعطاء ويجوز أن يكون من الكفران اى ومن لم يشكر ما أنعمت عليه من صحة الجسم وسعة الرزق ولم يحج (فانّ الله غنى عن العالمين) مستغن عنهم وعن طاعتهم وفى هذه الآية انواع من التأكيد والتشديد منها اللام وعلى اى انه حق واجب لله فى رقاب الناس ومنها الابدال ففيه تثنية للمراد وتكريرله ولان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له فى صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ومنها ذكر الاستغناء وذلك دليل على المقت والسخط ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل عنه ومافيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لامحالة ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان أدل على عظم السخط الذى وقع عبارة عنه (قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون) الواو للحال والمعنى لم تكفرون بآيات الله الدالة على صدق محمد عليه السلام والحال ان الله شهيد على أعمالكم فيجازيكم عليها (قل يا أهل الكتاب لم تصدون) الصد المنع (عن سبيل الله من آمن) عن دين حق علم انه سبيل الله التى أمر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يمنعون من أراد الدخول فيه بجهدهم ومحل (تبغونها) تطلبون لها نصب على الحال (عوجا) اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة بتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك (وأنتم شهداء) أنها سبيل الله التى لا يصد عنها الا ضال مضل (وما الله بغافل عما تعملون) من الصد عن سبيله وهو وعيد شديد ثم نهى المؤمنين عن اتباع هؤلاء الصادين عن سبيله بقوله (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين) قيل مرّ شاس بن قيس اليهودى على نفر من الانصار من الاوس والخزرج فى مجلس لهم يتحدثون فغاظه تحدثهم وتألفهم فامر شابا من اليهود أن يذكرهم يوم بعاث لعلهم يغضبون وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبى عليه السلام فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد اذ أكرمكم الله بالاسلام وألف بينكم فعرف القوم

أنها نزغة من الشيطان فالقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا باكين فنزلت الآية (وكيف تكفرون) معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجب أى من أين يتطرق اليكم الكفر (وانتم تتلى عليكم آيات الله) والحال ان آيات الله وهى القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية (وفيكم رسوله) وبين أظهركم رسول الله عليه السلام ينبهكم ويعظكم ويزيح عنكم شبهكم (ومن يعتصم بالله) ومن يتمسك بدينه أو بكتابه أوهو حث لهم على الالتجاء اليه فى دفع شرور الكفار ومكايدهم (فقد هدى الى صراط مستقيم) أرشد الى الدين الحق أو ومن يجعل ربه ملجأ ومفزعا عند الشبه يحفظه عن الشبه (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم وعن عبد الله هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى أوهو أن لا تأخذه فى الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو بنيه أو أبيه وقيل لا يتقى الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد (ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا أدرككم الموت (واعتصموا بحبل الله) تمسكوا بالقرآن لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين لا تنقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى الى صراط مستقيم (جميعا) حال من ضمير المخاطبين وقيل تمسكوا باجماع الامة دليله (ولا تفرقوا) أى ولا تتفرقوا يعنى ولا تفعلوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع أو ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى أو كما كنتم متفرقين فى الجاهلية يحارب بعضكم بعضا (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا) كانوا فى الجاهلية بينهم العداوة والحروب فألف بين قلوبهم بالاسلام وقذف فى قلوبهم المحبة فتحابوا وصاروا اخوانا (وكنتم على شفا حفرة من النار) وكنتم مشفين على أن تقعوا فى نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر (فأنقذكم منها) بالاسلام وهو رد على المعتزلة فعندهم هم الذين ينقذون أنفسهم لا الله تعالى والضمير للحفرة أو للنار أو للشفا وأنث لاضافته الى الحفرة وشفا الحفرة حرفها ولامها واو فالهذا يثنى شفوان (كذلك) مثل ذلك البيان البليغ (يبين الله لكم آياته) أى القرآن الذى فيه أمر ونهى ووعد ووعيد (لعلكم تهتدون) لتكونوا على رجاء الهداية أو لتهتدوا به الى الصواب وما ينال به الثواب (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف) بما استحسنه الشرع والعقل (وينهون عن المنكر) عما استقبحه الشرع والعقل أو المعروف ما وافق الكتاب والسنة والمنكر ما خالفهما أو المعروف الطاعة والمنكر المعاصى والدعاء الى الخير عام فى التكاليف من الافعال والتروك وما عطف عليه خاص ومن للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له الا من علم بالمعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر فى اقامته فانه يبدأ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا أو للتبيين أى وكونوا أمة تأمرون

كقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف (وأولئك هم المفلحون) أى هم الاخصاء بالفلاح الكامل قال عليه السلام من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن على رضى الله عنه أفضل الجهاد الامر بالمعروف والنهى عن المنكر (ولا تكونوا كالذين تفرقوا) بالعداوة (واختلفوا) فى الديانة وهم اليهود والنصارى فانهم اختلفوا وكفر بعضهم بعضا (من بعد ما جاءهم البينات) الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهى كلمة الحق (وأولئك لهم عذاب عظيم) ونصب (يوم تبيض وجوه) أى وجوه المؤمنين بالظرف وهو لهم أو بعظيم أو باذكروا (وتسود وجوه) أى وجوه الكافرين والبياض من النور والسواد من الظلمة (فأما الذين اسودت وجوههم) فيقال لهم (أكفرتم) فحذف الفاء والقول جميعا للعلم به والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم (بعد ايمانكم) يوم الميثاق فيكون المراد به جميع الكفار وهو قول أبى وهو الظاهر أو هم المرتدون أو المنافقون أى أكفرتم باطنا بعد ايمانكم ظاهرا أو أهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله) فى نعمته وهى الثواب المخلد ثم استأنف فقال (هم فيها خالدون) لا يظعنون عنها ولا يموتون (تلك آيات الله) الواردة فى الوعد والوعيد وغير ذلك (نتلوها عليك) ملتبسة (بالحق) والعدل من جزاء المحسن والمسىء (وما الله يريد ظلما للعالمين) أى لا يشاء أن يظلم هو عباده فيأخذ احدا بغير جرم أو يزيد فى عقاب مجرم أو ينقص من ثواب محسن (ولله ما فى السموات وما فى الارض والى الله ترجع الامور) فيجازى المحسن باحسانه والمسىء باساءته ترجع شامى وحمزة وعلى كان عبارة عن وجود الشىء فى زمان ماض على سبيل الابهام ولا دليل فيه على عدم سابق ولا على انقطاع طارىء ومنه قوله (كنتم خير أمة) كأنه قيل وجدتم خير أمة أوكنتم فى علم الله أو فى اللوح خير أمة أوكنتم فى الامم قبلكم مذكورين بانكم خير أمة موصوفين به (أخرجت) أظهرت (للناس) اللام يتعلق باخرجت (تأمرون) كلام مستأنف بين به كونهم خير أمة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم بينت بالاطعام والالباس وجه الكرم فيه (بالمعروف) بالايمان وطاعة الرسول (وتنهون عن المنكر) عن الكفر وكل محظور (وتؤمنون بالله) وتدومون على الايمان به ولان الواو لا تقتضى الترتيب (ولو آمن أهل الكتاب) بمحمد عليه السلام (لكان خيرا لهم) لكان الايمان خيرا لهم مما هم فيه لانهم انما آثروا دينهم عن دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان خيرا لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا مع الفوز بما وعدوا على الايمان به من ايتاء الاجر مرتين (منهم المؤمنون) كعبد الله بن سلام وأصحابه (وأكثرهم الفاسقون) المتمردون فى الكفر (لن يضروكم الا أذى) الا ضررا مقتصرا على أذى بقول من طعن فى الدين أو تهديد أو نحو ذلك (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) منهزمين ولا يضروكم بقتل

أوأسر (ثم لا ينصرون) ثم لا يكن لهم نصر من أحد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن أسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم بتوبيخهم وتهديدهم وهو ابتداء اخبار معطوف على جملة الشرط والجزاء وليس بمعطوف على يولوكم اذلو كان معطوفا عليه لقيل ثم لا ينصروا وانما استؤنف ليؤذن ان الله لا ينصرهم قاتلوا أولم يقاتلوا وتقدير الكلام أخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم انهم لا ينصرون وثم للتراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار (ضربت) ألزمت (عليهم الذلة) أي على اليهود (أينما ثقفوا) وجدوا (الا بحبل من الله) في محل النصب على الحال والباء متعلق بمحذوف تقديره الا معتصمين أو متمسكين بحبل من الله (وحبل من الناس) والحبل العهد والذمة والمعنى ضربت عليهم الذلة في كل حال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين أي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية (وباؤا بغضب من الله) استوجبوه (وضربت عليهم المسكنة) الفقر عقوبة لهم على قولهم ان الله فقير ونحن أغنياء أو خوف الفقر مع قيام اليسار (ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق) ذلك اشارة الى ماذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله أي ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق ثم قال (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) أي ذلك الكفر وذلك القتل كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده (ليسوا سواء) ليس أهل الكتاب مستوين (من أهل الكتاب) كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير أمة (أمة قائمة) جماعة مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام أي استقام وهم الذين أسلموا منهم (يتلون آيات الله) القرآن (آناء الليل) ساعاته واحدها انى كمعى أوانو كقنو أواني كنحى (وهم يسجدون) يصلون قيل يريد صلاة العشاء لان أهل الكتاب لا يصلونها وقيل عبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف) بالايمان وسائر أبواب البر (وينهون عن المنكر) عن الكفر ومنهيات الشرع (ويسارعون في الخيرات) يبادرون اليها خشية الفوت وقوله يتلون ويؤمنون في محل الرفع صفتان لامة أي أمة قائمة تالون مؤمنون ووصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل ومن الايمان باليوم الآخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع بالقيام به (وأولئك) الموصوفون بما وصفوا به (من الصالحين) من المسلمين أو من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) بالياء فيهما كوفي غير أبي بكر وأبو عمرو مخير غيرهم بالتاء وعدى يكفروه الى مفعولين وان كان شكر وكفر

لا يتعدى ان الا الى واحد تقول شكر النعمة وكفرها لتضمنه معنى الحرمان كأنه قيل فلن تحرموه اى فلن تحرموا جزاءه (والله عليم بالمتقين) بشارة للمتقين بجزيل الثواب (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ) اى من عذاب الله (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون فى هذه الحيوة الدنيا) فى المفاخر والمكارم وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس او ما يتقربون به الى الله مع كفرهم (كمثل ريح) كمثل مهلك ريح وهو الحرث اومثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح (فيها صر) برد شديد عن ابن عباس رضى الله عنهما وهو مبتدأ وخبر فى موضع جر صفة للريح مثل (أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم) بالكفر (فاهلكته) عقوبة على كفرهم (وما ظلمهم الله) باهلاك حرثهم (ولكن أنفسهم يظلمون) بارتكاب ما استحقوا به العقوبة او يكون الضمير للمنفقين اى وما ظلمهم الله بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها لائقة للقبول ونزل نهيا للمؤمنين عن مصافاة المنافقين (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) بطانة الرجل ووليجته خصيصته وصفيه شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعارى وفى الحديث الانصار شعار والناس دثار (من دونكم) من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون وهو صفة لبطانة اى بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم (لا يألونكم خبالا) فى موضع النصب صفة لبطانة يعنى لا يقصرون فى فساد دينكم يقال ألا فى الامر يألو اذا قصر فيه والخبال الفساد وانتصب خبالا على التمييز او على حذف فى اى فى خبالكم (ودوا ما عنتم) اى عنتكم فما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة اى تمنوا ان يضروكم فى دينكم ودنياكم أشد الضرر وأبلغه وهو مستأنف على وجه التعليل للنهى عن اتخاذهم بطانة كقوله (قد بدت البغضاء من أفواههم) لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم أنفسهم ان ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين (وما تخفى صدورهم) من البغض لكم (أكبر) مما بدا (قد بينا لكم الآيات) الدالة على وجوب الاخلاص فى الدين وموالاة اولياء الله ومعاداة أعدائه (ان كنتم تعقلون) ما بين لكم (ها أنتم أولاء) ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وأولاء خبره اى أنتم أولاء الخاطئون فى موالاة منافقى اهل الكتاب (تحبونهم ولا يحبونكم) بيان لخطئهم فى موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء وأولاء موصول صلته تحبونهم والواو فى (وتؤمنون بالكتاب كله) للحال وانتصابها من لا يحبونكم اى لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشئ من كتابكم وفيه توبيخ شديد لانهم فى باطلهم أصلب منكم فى حقكم وقيل الكتاب للجنس (واذا لقوكم قالوا آمنا) أظهروا كلمة التوحيد (واذا خلوا) فارقوكم او خلا بعضهم ببعض (عضوا عليكم الانامل من الغيظ) يوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام (قل موتوا بغيظكم) دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز أهله وما لهم فى ذلك من الذل والخزى (ان الله عليم بذات الصدور)

فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو داخل في جملة المقول أي أخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو أخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا ان شيأ من أسراركم يخفى عليه أو خارج عن المقول أي قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على ما يسرون فاني أعلم بما هو أخفى من ذلك وهو ما أضمروه في صدورهم (ان تمسسكم حسنة) رخاء وخصب وغنيمة ونصرة (تسؤهم) تحزنهم اصابتها (وان تصبكم سيئة) اضداد ماذكرنا والمس مستعار من الاصابة فكان المعنى واحدا الا ترى الى قوله تعالى ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة (يفرحوا بها) باصابتها (وان تصبروا) على عداوتهم (وتتقوا) ما نهيتم عنه من موالاتهم أو وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه (لا يضركم كيدهم شيأ) مكرهم وكنتم في حفظ الله وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقال الحكماء اذا أردت أن تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك لا يضركم مكي و بصري ونافع من ضاره يضيره بمعنى ضره وهو واضح والمشكل قراءة غيرهم لانه جواب الشرط وجواب الشرط مجزوم فكان ينبغي أن يكون بفتح الراء كقراءة المفضل عن عاصم الا أن ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد نحو مد يا هذا (ان الله بما تعملون) بالتاء هل أي من الصبر والتقوى وغيرهما (محيط) ففاعل بكم ما أنتم أهله و بالياء غيره أي انه عالم بما يعملون في عداوتكم فعاقبهم عليه (واذ غدوت من أهلك) واذكر يا محمد اذ خرجت غدوة من أهلك بالمدينة والمراد غدوه من حجرة عائشة رضي الله عنها الى أحد (تبوئ المؤمنين) تنزلهم وهو حال (مقاعد للقتال) مواطن ومواقف من الميمنة والميسرة والقلب والجناحين والساقة وللقتال يتعلق بتبوئ (والله سميع عليم) سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ودعا عبد الله بن أبي فاستشاره فقال أقم بالمدينة فما خرجنا على عدو قط الا أصاب منا وما دخلوا علينا الا أصبنا منهم فقال عليه السلام اني رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلمة فاولتها هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فلم يزل به قوم ينشطون في الشهادة حتى لبس لامته ثم ندموا فقالوا الامر اليك يا رسول الله فقال عليه السلام لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال (اذ همت) بدل من اذ غدوت أو عمل فيه معنى عليم (طائفتان منكم) حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج و بنو حارثة من الاوس وكان عليه السلام خرج الى أحد في ألف والمشركون في ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخذل عبد الله بن أبي بثلث الناس وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فضوا مع رسول الله (أن تفشلا) أي بان تفشلا أي بأن تجبنا وتضعفا والفشل الجبن والخور (والله وليهما) محبهما

أوناصرهما أو متولى أمرهما فمالهما تفشلان ولا تتوكلان على الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أمرهم بأن لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا أمورهم الا اليه قال جابر والله مايسرنا انالم نهم بالذى هممنا به وقد أخبرنا الله بانه ولينا ثم ذكرهم مايوجب عليهم التوكل مما يسرلهم من الفتح يوم بدروهم فى حال قلة وذلة فقال (ولقد نصركم الله ببدر) وهو اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمى به أوذكر بدرا بعد أحد للجمع بين الصبر والشكر (وأنتم أذلة) لقلة العدد فانهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم زهاء ألف مقاتل والعدد فانهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد ومع عدوهم مائة فرس والشكة والشوكة وجاء بجمع القلة وهو أذلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا (فاتقوا الله) فى الثبات مع رسوله (لعلكم تشكرون) بتقواكم ما انعم الله به عليكم من النصر (اذ تقول للمؤمنين) ظرف لنصركم على أن تقول لهم ذلك يوم بدر أى نصركم الله وقت مقالتكم هذه أو بدل ثان من اذ غدوت على أن تقول لهم ذلك يوم أحد (ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) منزلين شامى منزلين أبو حيوة أى للنصرة ومعنى ألن يكفيكم انكار أن لا يكفيهم الامداد بثلاثة آلاف من الملائكة وجىء بلن الذى هو لتأكيد النفى للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر (بلى) ايجاب لما بعد لن أى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال (ان تصبروا) على القتال (وتتقوا) خلاف الرسول عليه السلام (ويأتوكم) يعنى المشركين (من فورهم هذا) هو من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت بها الحالة التى لا ريث بها ولا تعريج على شىء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث ومنه قول الكرخى الامر المطلق على الفور لا على التراخى والمعنى أن يأتوكم من ساعتهم هذه (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) فى حال اتيانهم لا يتأخر نزولهم عن اتيانهم يعنى ان الله تعالى يعجل نصرتكم وييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم (مسومين) بكسر الواو مكى وأبو عمرو وعاصم وسهل أى معلمين أنفسهم أوخيلهم بعلامة يعرف بها فى الحرب والسومة العلامة عن الضحاك معلمين بالصوف الابيض فى نواصى الدواب وأذنابها غيرهم بفتح الواو أى معلمين قال الكلبى معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم وكانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك قال قتادة نزلت ألف فصاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف (وما جعله الله) الضمير يرجع الى الامداد الذى دل عليه ان يمدكم (الا بشرى لكم) أى وما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم بانكم تنصرون (ولتطمئن قلوبكم به) كما كانت السكينة لبنى اسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم (وما النصر الا من عند الله) لا من عند المقاتلة ولا من عند الملائكة ولكن ذلك مما يقوى به الله رجاء النصرة والطمع فى الرحمة (العزيز) الذى لا يغالب فى أحكامه (الحكيم) الذى يعطى النصر لاوليائه ويبتليهم بجهاد أعدائه واللام فى (ليقطع طرفا من الذين كفروا)

ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش متعلقة بقوله ولقد نصركم الله أو بقوله وما النصر الا من عند الله أو بيمددكم ربكم (أو يكبتهم) أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة وحقيقة الكبت شدّة وهن تقع في القلب فيصرع في الوجه لاجله (فينقلبوا خائبين) فيرجعوا غير ظافرين بمبتغاهم (ليس لك من الامر شيء) اسم ليس شيء والخبر لك ومن الامر حال من شيء لانها صفة مقدمة (أو يتوب عليهم) عطف على ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم وليس لك من الامر شيء اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ان الله تعالى مالك أمرهم فاما ان يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم ان أسلموا (أو يعذبهم) ان أصروا على الكفر وليس لك من أمرهم شيء انما أنت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وعن الفراء أو بمعنى حتى وعن ابن عيسى بمعنى الا أن كقولك لالزمنك أو تعطيني حقي أي ليس لك من أمرهم شيء الا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتتشفى منهم وقيل أراد أن يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه ان فيهم من يؤمن (فانهم ظالمون) مستحقون للتعذيب (ولله ما في السموات وما في الارض) أي الامر له لا لك لان ما في السموات وما في الارض ملكه (يغفر لمن يشاء) للمؤمنين (ويعذب من يشاء) الكافرين (والله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة) مضعفة مكي وشامي هذا نهي عن الربا مع التوبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله يقول اما ان تقضي حقي أو تربي وأزيد في الاجل (واتقوا الله) في أكله (لعلكم تفلحون واتقوا النار التي أعدت للكافرين) كان أبو حنيفة رضي الله عنه يقول هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وقد امد ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله بقوله (وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) وفيه رد على المرجئة في قولهم لا يضر مع الايمان ذنب ولا يعذب بالنار أصلا وعندنا غير الكافرين من العصاة قد يدخلها ولكن عاقبة أمره الجنة وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وان قال أهل التفسير ان لعل وعسى من الله للتحقيق ما لا يخفى على العارف من دقة مسلك التقوى وصعوبة اصابة رضا الله تعالى وعزة التوصل الى رحمته وثوابه (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة) سارعوا مدني وشامي فمن أثبت الواو عطفها على ما قبلها ومن حذفها استأنفها ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على ما يوصل اليهما ثم قيل هي الصلوات الخمس أو التكبيرة الاولى أو الطاعة أو الاخلاص أو التوبة أو الجمعة والجماعات (عرضها السموات والارض) أي عرضها عرض السموات والارض كقوله عرضها كعرض السماء والارض والمراد وصفها بالسعة والبسط فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه وخص العرض لانه في العادة أدنى من الطول للمبالغة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض وما روى ان الجنة في السماء السابعة او في السماء الرابعة

فعناه انها فى جهتها الا انها فيها أو فى بعضها كما يقال فى الدار بستان وان كان يزيد عليها لان المراد ان بابه اليها (أعدت) فى موضع جر صفة لجنة أيضا أى جنة واسعة معدة (للمتقين) ودلت الآيتان على ان الجنة والنار مخلوقتان ثم المتقى من يتقى الشرك كما قال وجنة عرضها كعرض السماء والارض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله أو من يتقى المعاصى فان كان المراد الثانى فهى لهم بغير عقوبة وان كان الاول فهى لهم أيضا فى العاقبة ويوقف عليه ان جعل (الذين ينفقون فى السراء والضراء) فى حال اليسر والعسر مبتدا او عطف عليه والذين اذا فعلوا فاحشة وجعل الخبر أولئك وان جعل وصفا للمتقين وعطف عليه والذين اذا فعلوا فاحشة أى أعدت للمتقين والتائبين فلا وقف فان قلت الآية تدل على أن الجنة معدة للمتقين والتائبين دون المصرين قلت جاز أن تكون معدة لهما ثم يدخلها بفضل الله وعفوه غيرهما كما يقال أعدت هذه المائدة للامير ثم قد يأكلها أتباعه ألا ترى انه قال واتقوا النار التى أعدت للكافرين ثم قد يدخلها غير الكافرين بالاتفاق وافتتح بذكر الانفاق لانه أشق شئ على النفس وأدله على الاخلاص ولانه كان فى ذلك الوقت أعظم الاعمال للحاجة اليه فى مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين وقيل المراد الانفاق فى جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة (والكاظمين الغيظ) والممسكين الغيظ عن الامضاء يقال كظم القربة اذا ملأها وشد فاها ومنه كظم الغيظ وهو أن يمسك على ما فى نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثرا والغيظ توقد حرارة القلب من الغضب وعن النبى عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه أمنا وايمانا (والعافين عن الناس) أى اذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه وروى ينادى مناد يوم القيامة أين الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه . (والله يحب المحسنين) اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون أو للعهد فيكون اشارة الى هؤلاء عن الثورى الاحسان أن تحسن الى المسئ فان الاحسان الى المحسن متاجرة (والذين اذا فعلوا فاحشة) فعلة متزايدة القبح ويجوز أن يكون والذين مبتدا خبره أولئك (أو ظلموا أنفسهم) قيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة أو الفاحشة الزنا وظلم النفس القبلة واللمسة ونحوهما (ذكروا الله) بلسانهم أو بقلوبهم ليبعثهم على التوبة (فاستغفروا لذنوبهم) فتابوا عنها لقبحها نادمين قيل بكى ابليس حين نزلت هذه الآية (ومن يغفر الذنوب الا الله) من مبتدا و يغفر خبره وفيه ضمير يعود الى من والا الله بدل من الضمير فى يغفر والتقدير ولا أحد يغفر الذنوب الا الله وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وبيان لسعة رحمته وقرب مغفرته من التائب واشعار بان الذنوب وان جلت فان عفوه أجل وكرمه أعظم (ولم يصروا على ما فعلوا) ولم يقيموا على قبيح فعلهم والاصرار الاقامة قال عليه السلام ما أصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة وروى لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار (وهم

يعلمون)

يعلمون) حال من الضمير في ولم يصروا أي وهم يعلمون أنهم أساؤا أو وهم يعلمون انه لا يغفر ذنوبهم الا الله (أولئك) الموصوفون (جزاؤهم مغفرة من ربهم) بتوبته (وجنات) برحمته (تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) المخصوص بالمدح محذوف أي ونعم أجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات نزلت في تمار قال لامرأة تريد التمر في بيتي تمر أجود فادخلها بيته وضمها الى نفسه وقبلها فندم أو في أنصاري استخلفه ثقفي وقد آخى بينهما النبي عليه السلام في غيبة غزوة فاتى أهله لكفاية حاجة فرآها فقبلها فندم فساح في الارض صارخا فاستعتبه الله تعالى (قد خلت) مضت (من قبلكم سنن) يريد ما سنه الله تعالى في الامم المكذبين من وقائعه (فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) فتعتبروا بها (هذا) أي القرآن أو ما تقدم ذكره (بيان للناس وهدى) أي ارشاد (وموعظة) ترغيب وترهيب (للمتقين) عن الشرك (ولا تهنوا) ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم من الهزيمة (ولا تحزنوا) على ما فاتكم من الغنيمة أو على من قتل منكم أو جرح وهو تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما أصابهم يوم أحد وتقوية لقلوبهم (وأنتم الاعلون) وحالكم انكم أعلى منهم وأغلب لانكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد أو وأنتم الاعلون بالنصر والظفر في العاقبة وهي بشارة لهم بالعلو والغلبة وان جندنا لهم الغالبون أو وأنتم الاعلون شأنا لان قتالكم لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر أو لان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار (ان كنتم مؤمنين) متعلق بالنهي أي ولا تهنوا ان صح ايمانكم يعني ان صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بوعد الله وقلة المبالاة بأعدائه أو بالاعلون أي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله به ويبشركم به من الغلبة (ان يمسسكم قرح) بضم القاف حيث كان كوفي غير حفص وبفتح القاف غيرهم وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل بالفتح الجراحة وبالضم ألمها (فقد مس القوم قرح مثله) أي ان نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يمنعهم عن معاودتكم الى القتال فانتم أولى ان لا تضعفوا (وتلك) مبتدأ (الايام) صفته والخبر (نداولها) نصرفها (بين الناس) أي نصرف ما فيها من النعم والنقم نعطي لهؤلاء تارة وطورا لهؤلاء كبيت الكتاب

فيوما علينا ويوما لنا * ويوما نساء ويوما نسر

(وليعلم الله الذين آمنوا) أي نداولها ضروب من التدبير وليعلم الله المؤمنين مميزين بالصبر والايمان من غيرهم كما علمهم قبل الوجود (ويتخذ منكم شهداء) وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم أحد أو ليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة من قوله لتكونوا شهداء على الناس (والله لا يحب الظالمين) اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيله وهم المنافقون والكافرون (وليمحص الله الذين آمنوا) التمحيص التطهير والتصفية (ويمحق الكافرين) ويهلكهم يعني ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص

وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار أي لا تحسبوا (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) أي ولما تجاهدوا والان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانتفائه تقول ماعلم الله في فلان خيرا أي ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل (ويعلم الصابرين) نصب باضماران والواو بمعنى الجمع نحو لا تأكل السمك وتشرب اللبن أو جزم للعطف على يعلم الله وانما حركت الميم لالتقاء الساكنين واختيرت الفتحة لفتحة ما قبلها (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه) خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون أن يحضروا مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لينالوا كرامة الشهادة وهم الذين ألحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى المشركين وكان رأيه في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته (فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) أي رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل اخوانكم بين أيديكم وشارفتم أن تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وانما تمنوا الشهادة لينالوا كرامة الشهداء من غير قصد الى ما يتضمنه من غلبة الكفار كمن شرب الدواء من طبيب نصراني فان قصده حصول الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه جر منفعة الى عدو الله وتنفيق الصناعته لما رمى ابن قميئة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته أقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يرى أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا وخرج صارخ قيل هو الشيطان ألا ان محمدا قد قتل ففشا في الناس خبر قتله فانكفؤا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الي عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من أصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يارسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك فولينا مدبرين فنزل (وما محمد الا رسول قد خلت) مضت (من قبله الرسل) فسيخلو كما خلوا وكما أن اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان المقصود من بعثة الرسل تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين أظهر قومه (أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة التي قبلها على معنى التسبيب والهمزة لانكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل مع علمهم أن خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب أن يجعل سببا للتمسك بدين محمد عليه السلام لا للانقلاب عنه والانقلاب على العقبين مجاز عن الارتداد أو عن الانهزام (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ) وانما ضر نفسه (وسيجزي الله الشاكرين) الذين لم ينقلبوا وسماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا (وما كان) وما جاز (لنفس أن تموت الا باذن الله) أي بعلمه أو بأن يأذن ملك الموت في قبض روحه والمعنى أن موت الانفس محال أن يكون الا بمشيئة

الله وفيه تحريض على الجهاد وتشجيع على لقاء العدو واعلام بان الحذر لا ينفع وأن أحدا لا يموت قبل بلوغ أجله وان خاض المهالك واقتحم المعارك (كتابا) مصدر مؤكد لان المعنى كتب الموت كتابا (مؤجلا) موقتا له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر (ومن يرد بقتاله (ثواب الدنيا) أي الغنيمة وهو تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد (نؤته منها) من ثوابها (ومن يرد ثواب الآخرة) أي اعلاء كلمة الله والدرجة في الآخرة (نؤته منها وسنجزي الشاكرين) وسنجزي الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد (وكأين) أصله أي دخل عليه كاف التشبيه وصار افي معنى كم التي للتكثير وكائن بوزن كاع حيث كان مكي (من نبي قاتل) قتل مكي و بصري ونافع (معه) حال من الضمير في قتل أي قتل كائنا معه (ربيون كثير) والربيون الربانيون وعن الحسن بضم الراء وعن البعض بفتحها فالفتح على القياس لانه منسوب الى الرب والضم والكسر من تغييرات النسب (فما وهنوا) فما فتروا عند قتل نبيهم (لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا) عن الجهاد بعده (وما استكانوا) وما خضعوا العدو وهم وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن عند الارجاف بقتل رسول الله عليه السلام واستكانتهم لهم حيث أرادوا أن يعتضدوا بابن أبي في طلب الامان من أبي سفيان (والله يحب الصابرين) على جهاد الكافرين (وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا) أي وما كان قولهم الا هذا القول وهو اضافة الذنوب الى أنفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها (واسرافنا في أمرنا) تجاوزنا حد العبودية (وثبت أقدامنا) في القتال (وانصرنا على القوم الكافرين) بالغلبة وقدم الدعاء بالاستغفار من الذنوب على طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على الاعداء لانه أقرب الى الاجابة لما فيه من الخضوع والاستكانة (فآتاهم الله ثواب الدنيا) أي النصرة والظفر والغنيمة (وحسن ثواب الآخرة) المغفرة والجنة وخص بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد به عنده (والله يحب المحسنين) أي هم محسنون والله يحبهم (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم) يرجعوكم الى الشرك (فتنقلبوا خاسرين) قيل هو عام في جميع الكفار وعلى المؤمنين أن يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء حتى لا يستجروهم الى موافقتهم وعن السدي ان تستكينوا لابي سفيان وأصحابه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم (بل الله مولاكم) ناصركم فاستغنوا عن نصرة غيره (وهو خير الناصرين سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) الرعب شامي وعلي وهما لغتان قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم أحد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة (بما أشركوا بالله) بسبب اشراكهم أي كان السبب في القاء الله الرعب في قلوبهم اشراكهم به (ما لم ينزل به سلطانا) آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة ولم يرد ان هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم أن تقوم عليه حجة وانما

المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله *ولا ترى الضب بها ينجحر* أي ليس بها ضب فينجحر ولم يعن أن بها ضبا ولا ينجحر (ومأواهم) مرجعهم (النار وبئس مثوى الظالمين) النار فالمخصوص بالذم محذوف ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه الى المدينة قال ناس من أصحابه من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزل (ولقد صدقكم الله وعده) أي حقق (اذ تحسونهم) تقتلونهم قتلا ذريعا وعن ابن عيسى حسه أبطل حسه بالقتل (باذنه) بامره وعلمه (حتى اذا فشلتم) جبنتم (وتنازعتم في الامر) أي اختلفتم (وعصيتم) أمر نبيكم بترككم المركز واشتغالكم بالغنيمة (من بعد ما أراكم ما تحبون) من الظفر وقهر الكفار ومتعلق اذا محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره وجاز أن يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم (منكم من يريد الدنيا) أي الغنيمة وهم الذين تركوا المركز لطلب الغنيمة روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة عند الجبل وأمرهم أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين أو عليهم فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم حتى اذا فشلوا وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا فادخلوا عسكر المسلمين وخذوا الغنيمة مع اخوانكم وقال بعضهم لا تخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثبت مكانه عبد الله بن جبير أمير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله (ومنكم من يريد الآخرة) فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير وأقبلوا على المسلمين حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله (ثم صرفكم عنهم) أي كف معونته عنكم فغلبوكم (ليبتليكم) ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم عندها وحقيقته ليعاملكم معاملة المختبر لانه يجازي على ما يعمله العبد لا على ما يعلمه منه (ولقد عفا عنكم) حيث ندمتم على ما فرط منكم من عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ذو فضل على المؤمنين) بالعفو عنهم وقبول توبتهم أو هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء أديل لهم أو أديل عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة وانتصب (اذ تصعدون) تبالغون في الذهاب في صعيد الارض والاصعاد الذهاب في صعيد الارض أو الابعاد فيه بصرفكم أو بقوله ليبتليكم أو باضمار اذكروا (ولا تلوون على أحد) ولا تلتفتون وهو عبارة عن غاية انهزامهم وخوف عدوهم (والرسول يدعوكم) يقول الي عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة والجملة في موضع الحال (في أخراكم) في ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهي المتأخرة يقال جئت في آخر الناس وأخراهم كما تقول في أولهم وأولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى (فأثابكم) عطف على صرفكم أي فجازاكم الله (غما) حين صرفكم عنهم وابتلاكم (بغم) بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم أمره أو غما مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما أرجف به من قتل رسول الله عليه السلام والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة

والنصر (لكيلا تحزنوا على مافاتكم) لتتمرنوا على تجرع الغموم فلا تحزنوا فيما بعد على
فائت من المنافع (ولا ما أصابكم) ولا على مصيب من المضار (والله خبير بما تعملون) عالم
بعملكم لا يخفى عليه شيء من أعمالكم وهذا ترغيب فى الطاعة وترهيب عن المعصية (ثم
أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا) ثم أنزل الله الامن على المؤمنين وأزال عنهم الخوف الذى
كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن أبى طلحة غشينا النعاس ونحن فى مصافنا فكان
السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والامنة الامن ونعاسا بدل من أمنة
أوهو مفعول وأمنة حال منه مقدمة عليه نحو رأيت راكبا رجلا والاصل أنزل عليكم نعاسا
ذا أمنة اذ النعاس ليس هو الأمن ويجوز أن يكون أمنة مفعولا له أوحالا من المخاطبين بمعنى
ذوى أمنة أوعلى أنه جمع آمن كبار وبررة (يغشى) يعنى النعاس تغشى بالتاء والامالة حمزة
وعلى أى الامنة (طائفة منكم) هم أهل الصدق واليقين (وطائفة) هم المنافقون (قد
أهمتهم أنفسهم) مايهمهم الا هم أنفسهم وخلاصها لاهم الدين ولا هم رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمسلمين رضوان الله عليهم (يظنون بالله غير الحق) فى حكم المصدر اى يظنون بالله
غير الظن الحق الذى يجب ان يظن به وهو ان لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم (ظن الجاهلية)
بدل منه والمراد الظن المختص بالملة الجاهلية أوظن أهل الجاهلية أى لا يظن مثل ذلك الظن
الا أهل الشرك الجاهلون بالله (يقولون هل لنا من الامر من شيء) هل لنا معاشر المسلمين من
أمر الله نصيب قط يعنون النصر والغلبة على العدو (قل ان الامر) أى النصر والغلبة (كله
لله) ولاوليائه المؤمنين وان جندنا لهم الغالبون كله تأكيد للامر ولله خبر ان كله بصرى وهو
مبتدأ ولله خبره والجملة خبر ان (يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك) خوفا من السيف
(يقولون) فى أنفسهم أو بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم ان الامر كله لله (لو كان لنا من
الامر شيء ماقتلنا ههنا) أى لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم الغالبون
لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل فى هذه المعركة قد أهمتهم صفة لطائفة ويظنون
خبر لطائفة أوصفة أخرى أوحال أى قد أهمتهم أنفسهم ظانين ويقولون بدل من يظنون
ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذى الحال ويقولون
بدل من يخفون أواستئناف (قل لو كنتم فى بيوتكم) أى من علم الله منه أنه يقتل فى هذه
المعركة وكتب ذلك فى اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم فى بيوتكم (لبرز) من بينكم
(الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) مصارعهم باحد ليكون ما علم الله انه يكون والمعنى
ان الله كتب فى اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون لعلمه ان
العاقبة فى الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين كله وان ماينكبون به فى بعض الاوقات
تمحيص لهم (وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم) وليمتحن ما فى صدور
المؤمنين من الاخلاص ويمحص ما فى قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك أوفعل ذلك
لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص (والله عليم بذات الصدور) بخفياتها (ان الذين تولوا منكم)

انهزموا (يوم التقى الجمعان) جمع محمد عليه السلام وجمع أبى سفيان للقتال باحد (انما استزلهم الشيطان) دعاهم الى الزلة وحملهم عليها (ببعض ما كسبوا) بتركهم المركز الذى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه فالاضافة الى الشيطان لطف وتقريب والتعليل بكسبهم وعظ وتأديب وكان أصحاب محمد عليه السلام تولوا عنه يوم احد الا ثلاثة عشر رجلا منهم أبو بكر وعلى وطلحة وابن عوف وسعد بن أبى وقاص والباقون من الانصار (ولقد عفا الله عنهم) تجاوز عنهم (ان الله غفور) للذنوب (حليم) لا يعاجل بالعقوبة (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) كابن أبىّ وأصحابه (وقالوا لاخوانهم) اى فى حق اخوانهم فى النسب أو فى النفاق (اذا ضربوا فى الارض) سافروا فيها للتجارة اوغيرها (اوكانوا غزا) جمع غاز كعاف وعفى وأصابهم موت اوقتل (لوكانوا عندنا ماماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم) اللام يتعلق بلا تكونوا اى لا تكونوا كهؤلاء فى النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم او بقالوا اى قالوا ذلك واعتقدوه ليكون ذلك حسرة فى قلوبهم والحسرة الندامة على فوت المحبوب (والله يحيى ويميت) رد لقولهم ان القتال يقطع الآجال اى الامر بيده قد يحيى المسافر والمقاتل ويميت المقيم والقاعد (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم على أعمالكم يعملون مكى وحمزة وعلى اى الذين كفروا (ولئن قتلتم فى سبيل الله اومتم) متم وبابه بالكسر نافع وكوفى غير عاصم تابعهم حفص الا فى هذه السورة كأنه أراد الوفاق بينه وبين قتلتم غيرهم بضم الميم فى جميع القرآن فالضم من مات يموت والكسر من مات يمات كخاف يخاف فكما تقول خفت تقول مت (لمغفرة من الله ورحمة خير مما تجمعون) ما بمعنى الذى والعائد محذوف وبالياء حفص (ولئن متم اوقتلتم لالى الله تحشرون) لالى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله فى هذا الموضع مع تقديمه وادخال اللام على الحرف المتصل به شأن غنى عن البرهان لمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لالى الله تحشرون كذب الكافرين أولا فى زعمهم أن من سافر من اخوانهم اوغزا لوكان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت اوالقتل فى سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت فى سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا فان الدنيا زاد المعاد فاذا وصل العبد الى المراد لم يحتج الى الزاد (فبما رحمة من الله لنت لهم) ما مزيدة للتوكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ومعنى الرحمة ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم (ولو كنت فظا) جافيا (غليظ القلب) قاسيه (لانفضوا من حولك) لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد منهم (فاعف عنهم) ما كان منهم يوم احد مما يختص بك (واستغفر لهم) فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم (وشاورهم فى الامر) اى فى أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحى تطييبا لنفوسهم وترويحا لقلوبهم ورفعا لاقدارهم اولتقتدى بك أمتك فيها فى

الحديث

الحديث ما تشاور قوم قط الا هدوا لأرشد أمرهم وعن أبي هريرة رضي الله عنه ما رأيت
أحدا أكثر مشاورة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى شاورت فلانا أظهرت
ما عندي وما عنده من الرأي وشرت الدابة استخرجت جريها وشرت العسل أخذته من
مآخذه وفيه دلالة جواز الاجتهاد وبيان أن القياس حجة (فإذا عزمت) فإذا قطعت الرأي
على شيء بعد الشورى (فتوكل على الله) في امضاء أمرك على الارشد لا على المشورة (ان الله
يحب المتوكلين) عليه والتوكل الاعتماد على الله والتفويض في الامور اليه وقال ذو النون خلع
الارباب وقطع الاسباب (ان ينصركم الله) كما نصركم يوم بدر (فلا غالب لكم) فلا أحد
يغلبكم وانما يدرك نصر الله من تبرأ من حوله وقوته واعتصم بربه وقدرته (وان يخذلكم)
كما خذلكم يوم أحد (فمن ذا الذي ينصركم من بعده) من بعد خذلانه وهو ترك المعونة أو هو
من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وهذا تنبيه على ان الامر
كله لله وعلى وجوب التوكل عليه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وليخص المؤمنون ربهم
بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يقتضي ذلك (وما كان لنبي
أن يغل) مكي وأبو عمرو وحفص وعاصم أي يخون وبضم الياء وفتح الغين غيرهم يقال
غل شيأ من المغنم غلولا وأغل اغلالا اذا أخذه في خفية ويقال أغله اذا وجده غالا والمعنى
ما صح له ذلك يعني ان النبوة تنافي الغلول وكذا من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع الى هذا
لان معناه وما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا روى ان قطيفة حمراء
فقدت يوم بدر مما أصيب من المشركين فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم أخذها فنزلت الآية (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) أي يأت بالشيء الذي غله
بعينه حاملا له على ظهره كما جاء في الحديث أو يأت بما احتمل من وباله واثمه (ثم توفى كل نفس
ما كسبت) تعطى جزاءها وافيا ولم يقل ثم يوفى ما كسب ليتصل بقوله ومن يغلل بل جيء
بعام ليدخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو أبلغ لانه اذا علم
الغال ان كل كاسب خيرا أو شرا مجزى فوفى جزاءه علم انه غير متخلص من بينهم مع عظم
ما اكتسب (وهم لا يظلمون) أي جزاء كل على قدر كسبه (أفمن اتبع رضوان الله) أي رضا
الله قيل هم المهاجرون والانصار (كمن باء بسخط من الله) وهم المنافقون والكفار
(ومأواه جهنم وبئس المصير) المرجع (هم درجات عند الله) هم متفاوتون كما تتفاوت
الدرجات أو ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين والتفاوت
بين الثواب والعقاب (والله بصير بما يعملون) عالم بأعمالهم ودرجاتها فيجازيهم على حسبها
(لقد من الله على المؤمنين) على من آمن مع رسول الله عليه السلام من قومه وخص
المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون ببعثه (اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) من جنسهم عربيا
مثلهم أو من ولد اسمعيل كما انهم من ولده والمنة في ذلك من حيث انه اذا كان منهم كان اللسان
واحدا فيسهل أخذ ما يجب عليهم أخذه عنه وكانوا واقفين على أحواله في الصدق والامانة

فكان ذلك أقرب لهم الى تصديقه وكان لهم شرف بكونه منهم وفى قراءة رسول الله من أنفسهم أى من أشرفهم (يتلوا عليهم آياته) أى القرآن بعدما كانوا أهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شئ من الوحى (ويزكيهم) ويطهرهم بالايمان من دنس الكفر والطغيان أو يأخذ منهم الزكاة (ويعلمهم الكتاب والحكمة) القرآن والسنة (وان كانوا من قبل) من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم (لفى ضلال) عمى وجهالة (مبين) ظاهر لا شبهة فيه ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والتقدير وان الشأن والحديث كانوا من قبل فى ضلال مبين (أولما أصابتكم مصيبة) يريد ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم (قد أصبتم مثليها) يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين وهو فى موضع رفع صفة لمصيبة (قلتم انى هذا) من أين هذا (قل هو من عند أنفسكم) لاختياركم الخروج من المدينة أو لترككم المركز لما نصب بقلتم وأصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه وتقديره أقلتم حين أصابتكم وأنى هذا نصب لانه مقول والهمزة للتقرير والتقريع وعطفت الواو هذه الجملة على مامضى من قصة أحد من قوله ولقد صدقكم الله وعده أو على محذوف كأنه قيل أفعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا (ان الله على كل شئ قدير) يقدر على النصر وعلى منعه (وما أصابكم) ما بمعنى الذى وهو مبتدأ (يوم التقى الجمعان) جمعكم وجمع المشركين باحد والخبر (فباذن الله) فكائن باذن الله أى بعلمه وقضائه (وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا) وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء (وقيل لهم) للمنافقين وهو كلام مبتدأ (تعالوا قاتلوا فى سبيل الله) أى جاهدوا للآخرة كما تقاتل المؤمنون (أو ادفعوا) أى قاتلوا دفعا عن أنفسكم وأهليكم وأموالكم ان لم تقاتلوا للآخرة وقيل أو ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين ان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما تروع العدو (قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم) أى لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون أن ما أنتم فيه لخطار أيكم ليس بشئ ولا يقال لمثله قتال انما هو القاء النفس في التهلكة (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) يعنى أنهم كانوا يتظاهرون بالايمان قبل ذلك وما ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وهم لاهل الكفر أقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المؤمنين بالانخذال تقوية للمشركين (يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم) أى يظهرون خلاف ما يضمرون من الايمان وغيره والتقييد بالافواه للتأكيد ونفى المجاز (والله أعلم بما يكتمون) من النفاق (الذين قالوا) أى ابن ابىّ وأصحابه وهو فى موضع رفع على هم الذين قالوا أو على الابدال من واو يكتمون أو نصب باضمار أعنى أو على البدل من الذين نافقوا أو جر على البدل من الضمير في أفواههم أو قلوبهم (لاخوانهم) لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد (وقعدوا) أى قالوا وقد قعدوا عن القتال (لو أطاعونا ما قتلوا) لو أطاعنا اخواننا فيما أمرناهم به من الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل (قل فادرؤا عن

أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) بان الحذر ينفع من القدر فخذوا حذركم من الموت او
معناه قل ان كنتم صادقين فى انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال
فخذوا الى دفع الموت سبيلا وروى انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا ونزل فى قتلى
أحد (ولا تحسبن) شامى وحمزة وعلى وعاصم وبكسر السين غيرهم والخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اولكل أحد (الذين قتلوا) قتلوا شامى (فى سبيل الله أمواتا بل أحياء)
بل هم أحياء (عند ربهم) مقربون عنده ذوو زلفى (يرزقون) مثل ما يرزق سائر الاحياء
يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التى هم عليها من التنعم برزق
الله (فرحين) حال من الضمير فى يرزقون (بما آتاهم الله من فضله) وهو التوفيق فى
الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم أحياء مقربين معجلا
لهم رزق الجنة ونعيمها وقال النبى عليه السلام لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم
فى أجواف طير خضر تدور فى أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب
معلقة فى ظل العرش وقيل هذا الرزق فى الجنة يوم القيامة وهو ضعيف لانه لا يبقى للتخصيص
فائدة (ويستبشرون بالذين) باخوانهم المجاهدين الذين (لم يلحقوا بهم) لم يقتلوا فيلحقوا
بهم (من خلفهم) يريد الذين من خلفهم قد بقوا من بعدهم وهم قد تقدموهم أولم يلحقوا بهم
لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم (ألا خوف عليهم) بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين
لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم يبعثون آمنين يوم القيامة بشرهم الله
بذلك فهم مستبشرون به وفى ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين
بعدهم على الجد فى الجهاد والرغبة فى نيل منازل الشهداء (ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة
من الله وفضل) يسرون بما أنعم الله عليهم وما تفضل عليهم من زيادة الكرامة (وأن الله)
عطف على النعمة والفضل وان الله على بالكسر على الاستئناف وعلى ان الجملة اعتراض
(لا يضيع أجر المؤمنين) بل يوفر عليهم (الذين استجابوا لله والرسول) مبتدا خبره للذين
أحسنوا او صفة للمؤمنين او نصب على المدح (من بعد ما أصابهم القرح) الجرح روى ان أبا
سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاراد أن يرهبهم ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب النبى أصحابه
للخروج فى طلب أبى سفيان فخرج يوم الاحد من المدينة مع سبعين رجلا حتى بلغوا حمراء
الاسد وهى من المدينة على ثمانية أميال وكان باصحابه القرح فألقى الله الرعب فى قلوب
المشركين فذهبوا فنزلت (للذين أحسنوا منهم واتقوا) من للتبيين ومثلها فى قوله وعد الله
الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم
واتقوا لا بعضهم (أجر عظيم) فى الآخرة (الذين قال لهم الناس) بدل من الذين استجابوا
(ان الناس قد جمعوا لكم) روى ان أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم
بدر القابل فقال عليه السلام ان شاء الله فلما كان القابل خرج أبو سفيان فى أهل مكة فألقى

الله الرعب فى قلبه فبدا له أن يرجع فلقى نعيم بن مسعود الاشجعى وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم انى واعدت محمدا أن نلتقى بموسم بدر وقد بدا لى ان أرجع فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندى عشرة من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم أتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم فوالله لا يفلت منكم أحد فقال عليه السلام والله لأخرجن ولو لم يخرج معى أحد فخرج فى سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى وافوا بدرا واقاموا بها ثمان ليال وكانت معهم تجارة فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ولم يكن قتال ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتأكلوا السويق فالناس الاول نعيم وهو جمع اريد به الواحد او كان له اتباع يثبطون مثل تثبيطه والثانى ابو سفيان واصحابه (فاخشوهم) فخافوهم (فزادهم) اى المقول الذى هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم او القول او نعيم (ايمانا) بصيرة وايقانا (وقالوا حسبنا الله) كافينا الله اى الذى يكفينا الله يقال احسبه الشئ اذا كفاه وهو بمعنى المحسب بدليل انك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته غير حقيقية لكونه فى معنى اسم الفاعل (ونعم الوكيل) ونعم الموكول اليه هو (فانقلبوا بنعمة من الله) وهى السلامة وحذر العدو منهم (وفضل) وهو الربح فى التجارة فاصابوا بالدرهم درهمين (لم يمسسهم سوء) لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو وهو حال من الضمير فى انقلبوا وكذا بنعمة والتقدير فرجعوا من بدر منعمين بريئين من سوء (واتبعوا رضوان الله) بجراءتهم وخروجهم الى وجه العدو وعلى اثر تثبيطه وهو معطوف على انقلبوا (والله ذو فضل عظيم) قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا (انما ذلكم الشيطان) هو خبر ذلكم اى انما ذلكم المثبط هو الشيطان وهو نعيم (يخوف اولياءه) اى المنافقين وهو جملة مستأنفة بيان لشيطنته او الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر (فلا تخافوهم) اى اولياءه (وخافون ان كنتم مؤمنين) لان الايمان يقتضى ان يؤثر العبد خوف الله على خوف غيره وخافونى فى الوصل والوقف سهل ويعقوب وافقهما ابو عمرو فى الوصل (ولا يحزنك) يحزنك فى كل القرآن نافع الا فى سورة الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر (الذين يسارعون فى الكفر) يعنى لا يحزنوك لخوف ان يضروك ألا ترى الى قوله (انهم لن يضروا الله شيأ) اى اولياء الله يعنى انهم لا يضرون بمسارعتهم فى الكفر غير انفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله (يريد الله ان لا يجعل لهم حظا فى الآخرة) اى نصيبا من الثواب (ولهم) بدل الثواب (عذاب عظيم). وذلك ابلغ ما ضربه الانسان نفسه والآية تدل على ارادة الكفر والمعاصى لان ارادته ان لا يكون لهم ثواب فى الآخرة لا تكون بدون ارادة كفرهم ومعاصيهم (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان) اى استبدلوه به (ان يضروا الله شيأ) هو نصب على المصدر اى شيأ من الضرر الآية الاولى فيمن نافق من المتخلفين او ارتد عن الاسلام والثانية فى جميع الكفار او على العكس (ولهم عذاب أليم ولا يحسبن) وثلاثة بعدها مع ضم الباء فى يحسبنهم بالياء مكى وابو

عمرو وكلها بالتاء حمزة وكلها بالياء مدني وشامي الا فلا تحسبنهم فانها بالتاء الباقون الاوليان بالياء والاخريان بالتاء (الذين كفروا) فيمن قرأ بالياء رفع أي ولا يحسبن الكافرون وان مع اسمه وخبره في قوله (أنما نملي لهم خير لانفسهم) في موضع المفعولين ليحسبن والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا املاءنا خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها في قياس علم الخط أن تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الامام متصلة فلا يخالف وفيمن قرأ بالتاء نصب أي ولا تحسبن الكافرين وانما نملي لهم خير لانفسهم بدل من الكافرين أي ولا تحسبن أن ما نملي للكافرين خير لهم وان مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين والاملاء لهم امهالهم واطالة عمرهم (انما نملي لهم ليزدادوا اثما) ما هذه حقها أن تكتب متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كانه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا اثما والآية حجة لنا على المعتزلة في مسئلتي الاصلح وارادة المعاصي (ولهم عذاب مهين) واللام في (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه) من اختلاط المؤمنين الخلص والمنافقين لتأكيد النفي (حتى يميز الخبيث من الطيب) حتى يعزل المنافق عن المخلص يميز حمزة وعلي والخطاب في أنتم للمصدقين من أهل الاخلاص والنفاق كأنه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض حتى يميزهم منكم بالوحي الى نبيه واخباره باحوالكم (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) وما كان الله ليؤتي أحدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند اخبار الرسل بنفاق الرجل واخلاص الآخر انه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) أي ولكن الله يرسل الرسول فيوحي اليه ويخبره بان في الغيب كذا وان فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة نفسه والآية حجة على الباطنية فانهم يدعون ذلك العلم لامامهم فان لم يثبتوا النبوة له صاروا مخالفين للنص حيث أثبتوا علم الغيب لغير الرسول وان أثبتوا النبوة له صاروا مخالفين لنص آخر وهو قوله وخاتم النبيين (فآمنوا بالله ورسله) بصفة الاخلاص (وان تؤمنوا وتتقوا) النفاق (فلكم أجر عظيم) في الآخرة ونزل في مانعي الزكاة (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم) من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا أي ولا تحسبن بخل الباخلين وهو فصل وخيرا لهم مفعول ثان وكذا من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله أو ضمير أحد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان التقدير ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم خيرا لهم وهو فصل وخيرا لهم مفعول ثان (بل هو) أي البخل (شر لهم) لان أموالهم ستزول عنهم ويبقى عليهم وبال البخل (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) تفسير لقوله بل هو شر لهم أي سيجعل مالهم الذي منعوه عن الحق طوقا في أعناقهم كما جاء في الحديث من منع زكاة ماله يصير حية ذكرا أقرع له نابان فيطوق في عنقه فينهشه ويدفعه الى النار (ولله ميراث السموات والارض) وله ما فيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيل الله

والاصل فی میراث موراث فقلبت الواو یاء لانكسار ماقبلها (والله بما تعملون خبیر) وبالیاء مكی وأبو عمرو فالتاء على طريقة الالتفات وهو أبلغ فی الوعید والیاء على الظاهر (لقد سمع الله قول الذین قالوا ان الله فقیر ونحن أغنیاء) قال ذلك الیهود حین سمعوا قوله تعالى من ذا الذی یقرض الله قرضا حسنا وقالوا ان إله محمد یستقرض منا فنحن اذا أغنیاء وهو فقیر ومعنى سماع الله له انه لم یخف علیه وانه أعد له كفأ من العقاب (سنكتب ماقالوا) سنأمر الحفظة بكتابة ماقالوا فی الصحائف أو سنحفظه اذ الكتاب من الخلق لیحفظ مافیه فسمی به مجازا وما مصدریة أو بمعنی الذی (وقتلهم الانبیاء بغیر حق) معطوف على ماجعل قتلهم الانبیاء قرینة له ایذانا بانهما فی العظم أخوان وان من قتل الانبیاء لم یستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول (ونقول) لهم یوم القیامة (ذوقوا عذاب الحریق) أی عذاب النار كما أذقتم المسلمین الغصص قال الضحاك یقول لهم ذلك خزنة جهنم وانما أضیف الى الله تعالى لانه بامره كما فی قوله سنكتب سیكتب وقتلهم ویقول حمزة (ذلك) اشارة الى ماتقدم من عقابهم (بما قدمت أیدیكم) أی ذلك العذاب بما قدمتم من الكفر والمعاصی والاضافة الى الید لان أكثر الاعمال یكون بالایدی فجعل كل عمل كالواقع بالایدی على سبیل التغلیب ولانه یقال للآمر بالشیء فاعله فذكر الایدی للتحقیق یعنی انه فعل نفسه لا غیره بامره (وأن الله لیس بظلام للعبید) وبان الله لا یظلم عباده فلا یعاقبهم بغیر جرم (الذین قالوا) فی موضع جر على البدل من الذین قالوا أو نصب باضمار أعنی أو رفع باضمارهم (ان الله عهد الینا) أمرنا فی التوراة وأوصانا (ان لا نؤمن) بان لا نؤمن (لرسول حتى یأتینا بقربان تأكله النار) أی یقرب قربانا فتنزل نار من السماء فتأكله فان جئتنا به صدقناك وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لان أكل النار القربان سبب الایمان للرسول الآتی به لكونه معجزة فهو اذا وسائر المعجزات سواء (قل قد جاءكم رسل من قبلی بالبینات) بالمعجزات سوى القربان (وبالذی قلتم) أی بالقربان یعنی قد جاء أسلافكم الذین أنتم على ملتهم وراضون بفعلهم (فلم قتلتموهم) أی ان كان امتناعكم عن الایمان لاجل هذا فلم لم تؤمنوا بالذین اتوا به ولم قتلتموهم (ان كنتم صادقین) فی قولكم انما نؤخر الایمان لهذا (فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك) فان كذبك الیهود فلا یهولنك فقد فعلت الامم بانبیائها كذلك (جاؤا بالبینات) بالمعجزات الظاهرات (والزبر) الكتب جمع زبور من الزبر وهو الكتابة وبالزبر شامی (والكتاب) جنسه (المنیر) المضیء قیل هما واحد فی الاصل وانما ذكرا لاختلاف الوصفین فالزبور كتاب فیه حكم زاجرة والكتاب المنیر هو الكتاب الهادی (كل نفس) مبتدأ والخبر (ذائقة الموت) وجاز الابتداء بالنكرة لما فیه من العموم والمعنى لا یحزنك تكذیبهم ایاك فرجع الخلق الیّ فأجازیهم على التكذیب وأجازیك على الصبر وذلك قوله (وانما توفون أجوركم یوم القیامة) أی تعطون ثواب أعمالكم على الكمال یوم القیامة فان الدنیا لیست بدار الجزاء (فمن زحزح) بعد والزحزحة الابعاد (عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) ظفر

بالخير وقيل فقد حصل له الفوز المطلق وقيل الفوز نيل المحبوب والبعد عن المكروه (وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور) شبه الدنيا بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغرحتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فامامن طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ وعن الحسن كخضرة النبات ولعب البنات لا حاصل لها (لتبلون) والله لتبلون أى لتختبرن (فى أموالكم) بالانفاق فى سبيل الله وبما يقع فيها من الآفات (وانفسكم) بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من أنواع المخاوف والمصائب وهذه الآية دليل على ان النفس هى الجسم المعاين دون ما فيه من المعنى الباطن كما قال بعض أهل الكلام والفلاسفة كذا فى شرح التأويلات (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعنى اليهود والنصارى (ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) كالطعن فى الدين وصد من أراد الايمان وتخطئة من آمن ونحو ذلك (وان تصبروا) على أذاهم وتتقوا مخالفة أمر الله (فان ذلك) فان الصبر والتقوى (من عزم الامور) من معزومات الامور أى مما يجب العزم عليه من الامور خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا أنفسهم على احتمال ما سيلقون من الشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) واذكر وقت أخذ الله ميثاق أهل الكتاب (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) عن الناس بالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن وبالياء مكى وأبو عمرو وأبو بكر لانهم غيب والضمير للكتاب أكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه (فنبذوه وراء ظهورهم) فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم أى لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل فى الطرح وترك الاعتداد وهو دليل على أنه يجب على العلماء ان يبينوا الحق للناس وما علموه وأن لا يكتموا منه شيأ لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم أو لجر منفعة أودفع أذية أو لبخل بالعلم وفى الحديث من كتم علما عن أهله ألجمه الله بلجام من نار (واشتروا به ثمنا قليلا) عرضا يسيرا (فبئس ما يشترون) والخطاب فى (لاتحسبن) لرسول الله واحد المفعولين (الذين يفرحون) والثانى بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد تقديره لاتحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين (بما أتوا) بما فعلوا وهى قراءة أبى وجاء وأتى يستعملان بمعنى فعل انه كان وعده مأتيا لقد جئت شيأ فريا وقرأ النخعى بما آتوا أى أعطوا (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) بمنجاة منه (ولهم عذاب أليم) مؤلم روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شىء مما فى التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه وأروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا من تدليسهم فأطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما أنزل من وعيدهم أى لاتحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون أن تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب وقيل هم المنافقون يفرحون بما أتوا من اظهار الايمان

للمسلمين وتوصلهم بذلك الى أغراضهم ويتحمدون اليهم بالايمان الذى لم يفعلوه على الحقيقة وفيه وعيد لمن يأتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب أن يحمده الناس بما ليس فيه (ولله ملك السموات والارض) فهو يملك أمرهما وفيه تكذيب لمن قال ان الله فقير (والله على كل شيء قدير) فهو يقدر على عقابهم (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات) لادلة واضحة على صانع قديم عليم حكيم قادر (لأولى الالباب) لمن خلص عقله عن الهوى خلوص اللب عن القشر فيرى أن العرض المحدث في الجواهر يدل على حدوث الجواهر لان جوهرا ما لا ينفك عن عرض حادث ومالا يخلو عن الحادث فهو حادث ثم حدوثها يدل على محدثها وذا قديم والا لاحتاج الى محدث آخر الى مالا يتناهى وحسن صنعه يدل على علمه واتقانه يدل على حكمته وبقاؤه يدل على قدرته قال عليه السلام ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وحكى أن في بني اسرائيل من اذا عبد الله ثلاثين سنة أظلته سحابة فعبدها فتى فلم تظله فقالت له أمه لعل فرطة فرطت منك في مدتك قال ما أذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما أوتيت الا من ذلك (الذين) في موضع جر نعت لاولى أو نصب باضمار أعنى أو رفع باضمارهم (يذكرون الله) يصلون (قياما) قائمين عند القدرة (وقعودا) قاعدين (وعلى جنوبهم) أى مضطجعين عند العجز وقياما وقعودا حالان من ضمير الفاعل في يذكرون وعلى جنوبهم حال أيضا أو المراد الذكر على كل حال لان الانسان لا يخلو عن هذه الاحوال وفي الحديث من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله (ويتفكرون في خلق السموات والارض) ومايدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شأن الصانع وكبرياء سلطانه وعن النبي عليه السلام بينا رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفر لى فنظر الله اليه فغفر له وقال عليه السلام لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكر (ربنا ما خلقت هذا باطلا) أى يقولون ذلك وهو في محل الحال أى يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لحكمة عظيمة وهو ان تجعلها مساكن للمكلفين وأدلة لهم على معرفتك وهذا اشارة الى الخلق على أن المراد به المخلوق أو الى السموات والارض لانها في معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا (سبحانك) تنزيها لك عن الوصف بخلق الباطل وهو اعتراض (فقنا عذاب النار) الفاء دخلت لمعنى الجزاء تقديره اذا نزهناك فقنا (ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته) أهنته أو أهلكته أو فضحته واحتج أهل الوعيد بالآية مع قوله يوم لا يخزى الله النبي والذين آمنوا معه في أن من يدخل النار لا يكون مؤمنا ويخلد قلنا قال جابر اخزاء المؤمن تأديبه وان فوق ذلك لخزيا (وما للظالمين) اللام اشارة الى من يدخل النار والمراد الكفار (من أنصار) من اعوان وشفعاء يشفعون لهم كما للمؤمنين (ربنا اننا سمعنا

منادیا)

منادیا) تقول سمعت رجلا یقول كذا فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما یسمع فاغناك عن ذكره ولولا الوصف لم یكن منه بد وان یقال سمعت كلام فلان والمنادى هو الرسول علیه السلام أو القرآن (ینادی للایمان) لاجل الایمان بالله وفیه تفخیم لشأن المنادى اذ لا منادى أعظم من مناد ینادی للایمان (أن آمنوا) بأن آمنوا أو أی آمنوا (بربكم فآمنا) قال الشیخ أبو منصور رحمه الله فیه دلیل بطلان الاستثناء فی الایمان (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) كبائرنا (وكفر عنا سیآتنا) صغائرنا (وتوفنا مع الابرار) مخصوصین بصحبتهم معدودین فی جملتهم والابرار المتمسكون بالسنة جمع بر أو بار كرب وأرباب وصاحب وأصحاب (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) أی على تصدیق رسلك أو ما وعدتنا منزلا على رسلك أو على ألسنة رسلك وعلى متعلق بوعدتنا والموعود هو الثواب أو النصرة على الاعداء وانما طلبوا انجاز ما وعد الله والله لا یخلف المیعاد لان معناه طلب التوفیق فیما یحفظ علیهم اسباب انجاز المیعاد أو المراد اجعلنا ممن لهم الوعد اذ الوعد غیر مبین لمن هو أو المراد ثبتنا على ما یوصلنا الى عدتك یؤیده قوله (ولا تخزنا یوم القیامة) أو هو اظهار للخضوع والضراعة (انك لا تخلف المیعاد) هو مصدر بمعنى الوعد (فاستجاب لهم ربهم) أی أجاب یقال استجاب له واستجابه (أنی) بأنی (لا أضیع عمل عامل منكم) منكم صفة لعامل (من ذكر أو أنثى) بیان لعامل (بعضكم من بعض) الذكر من الانثى والانثى من الذكر كلكم بنو آدم أو بعضكم من بعض فی النصرة والدین وهذه جملة معترضة بینت بها شركة النساء مع الرجال فیما وعد الله عباده العاملین عن جعفر الصادق رضی الله عنه من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما یخاف وأعطاه ما أراد وقرأ الآیات (فالذین هاجروا) مبتدأ وهو تفصیل لعمل العامل منهم على سبیل التعظیم له كأنه قال فالذین عملوا هذه الاعمال السنیة الفائقة وهی المهاجرة عن أوطانهم فارین الى الله بدینهم الى حیث یأمنون علیه فالهجرة كائنة فی آخر الزمان كما كانت فی أول الاسلام (وأخرجوا من دیارهم) التی ولدوا فیها ونشؤا (وأوذوا فی سبیلی) بالشتم والضرب ونهب المال یرید سبیل الدین (وقاتلوا وقتلوا) وغزوا المشركین واستشهدوا وقتلوا مكی وشامی وقتلوا وقاتلوا على التقدیم والتأخیر حمزة وعلی وفیه دلیل على ان الواو لا توجب الترتیب والخبر (لأكفرن عنهم سیآتهم ولأدخلنهم جنات تجری من تحتها الانهار) وهو جواب قسم محذوف (ثوابا) فی موضع المصدر المؤكد یعنی اثابة أو تثویبا (من عند الله) لان قوله لأكفرن عنهم ولأدخلنهم فی معنى لأثیبنهم (والله عنده حسن الثواب) أی یختص به ولا یقدر علیه غیره وروی ان طائفة من المؤمنین قالوا ان أعداء الله فیما نرى من الخیر وقد هلكنا من الجوع فنزل (لا یغرنك تقلب الذین كفروا فی البلاد) والخطاب لكل أحد أو للنبی علیه السلام والمراد به غیره ولأن مدره القوم ومقدمهم یخاطب بشیء فیقوم خطابه مقام خطابهم جمیعا فكأنه قیل لا یغرنكم ولان رسول الله صلى الله علیه وسلم كان غیر

مغرور بحالهم فأكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين وهذا في النهي نظير قوله في الامر اهدنا الصراط المستقيم يا أيها الذين آمنوا آمنوا (متاع قليل) خبر مبتدا محذوف أي تقلبهم في البلاد متاع قليل وأراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة أو في جنب ما أعد الله للمؤمنين من الثواب أو أراد انه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل (ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) وساء ما مهدوا لانفسهم (لكن الذين اتقوا ربهم) عن الشرك (لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا) النزل والنزل ما يقام للنازل وهو حال من جنات لتخصصها بالصفة والعامل اللام في لهم أو هو مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا أو عطاء (من عند الله) صفة له (وما عند الله) من الكثير الدائم (خير للابرار) مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل لكن بالتشديد يزيد وهو للاستدراك أي لا بقاء لتمتعهم لكن ذلك للذين اتقوا ونزلت في ابن سلام وغيره من مسلمي أهل الكتاب أو في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم وكانوا على دين عيسى عليه السلام فاسلموا (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) دخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما (وما أنزل اليكم) من القرآن (وما أنزل اليهم) من الكتابين (خاشعين لله) حال من فاعل يؤمن لان من يؤمن في معنى الجمع (لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) كما يفعل من لم يسلم من احبارهم وكبارهم وهو حال بعد حال أي غير مشترين (أولئك لهم أجرهم عند ربهم) أي ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعده في قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين (ان الله سريع الحساب) لنفوذ علمه في كل شئ (يا أيها الذين آمنوا اصبروا) على الدين وتكاليفه قال الجنيد رضي الله عنه الصبر حبس النفس على المكروه بنفي الجزع (وصابروا) أعداء الله في الجهاد أي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا أقل صبرا منهم وثباتا (ورابطوا) وأقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو (واتقوا الله لعلكم تفلحون) الفلاح البقاء مع المحبوب بعد الخلاص عن المكروه ولعل لتغييب المآل لئلا يتكلوا على الآمال عن تقديم الاعمال وقيل اصبروا في محبتي وصابروا في نعمتي ورابطوا أنفسكم في خدمتي لعلكم تفلحون تظفرون بقربتي قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرؤا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

﴿سورة النساء نزلت بالمدينة آياتها مائة وست وسبعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الناس) يا بني آدم (اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم (وخلق منها زوجها) معطوف على محذوف كأنه قيل من نفس واحدة

أنشأها وخلق منها زوجها والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهى أنه أنشأها من تراب وخلق منها زوجها حواء من ضلع من أضلاعه (وبث منهما) ونشر من آدم وحواء (رجالا كثيرا ونساء) كثيرة أى وبث منهما نوعى جنس الانس وهما الذكور والاناث فوصفها بصفة هى بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها أو على خلقكم والخطاب فى ياأيها الناس للذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى خلقكم من نفس آدم وخلق منها أمكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر فان قلت الذى تقتضيه جزالة النظم ان يجاء عقيب الامر بالتقوى بما يدعو اليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل الذى ذكره داعيا اليها قلت لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شئ ومن المقدورات عقاب الكفار والفجار فالنظر فيه يؤدى الى ان يتقى القادر عليه ويخشى عقابه ولانه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم ان يتقوه فى كفرانها قال عليه السلام عند نزول الآية خلقت المرأة من الرجل فهمها فى الرجل وخلق الرجل من التراب فهمه فى التراب (واتقوا الله الذى تساءلون به) والاصل تتساءلون فأدغمت التاء فى السين بعد ابدالها سينا لقرب التاء من السين الهمس تساءلون به بالتخفيف كوفى على حذف التاء الثانية استثقالا لاجتماع التاءين أى يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف (والارحام) بالنصب على انه معطوف على اسم الله تعالى اى واتقوا الارحام ان تقطعوها أو على موضع الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وبالجر حمزة على عطف الظاهر على الضمير وهو ضعيف لان الضمير المتصل كاسمه متصل والجار والمجرور كشئ واحد فاشبه العطف على بعض الكلمة (ان الله كان عليكم رقيبا) حافظا أو عالما (وآتوا اليتامى أموالهم) يعنى الذين ماتت آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وقيل اليتم فى الاناسى من قبل الآباء وفى البهائم من قبل الامهات وحق هذا الاسم ان يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء الا انه قد غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا بانفسهم عن كافل وقائم عليهم زال هذا الاسم عنهم وقوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم تعليم شريعة لا لغة يعنى انه اذا احتلم لم تجر عليه أحكام الصغار والمعنى وآتوا اليتامى أموالهم بعد البلوغ وسماهم يتامى لقرب عهدهم اذا بلغوا بالصغر وفيه اشارة الى ان لا يؤخر دفع أموالهم اليهم عن حد البلوغ ان أونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى والصغار (ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم أو لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع عنها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز ومنه التعجل بمعنى الاستعجال (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم) الى متعلقة بمحذوف وهو فى موضع الحال أى مضافة الى أموالكم والمعنى ولا تضموها اليها فى الانفاق حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال

(انه) ان أكلها (كان حوبا كبيرا) ذنبا عظيما (وان خفتم ألا تقسطوا) أى لا تعدلوا أقسط أى عدل (فى اليتامى) يقال للاناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة ويتيم وأما أيتام فجمع يتيم لا غير (فانكحوا ما طاب لكم) ما حل لكم (من النساء) لان منهن ما حرم الله كاللاتى فى آية التحريم وقيل ماذهابا الى الصفة لان ما يجىء فى صفات من يعقل فكانه قيل الطيبات من النساء ولان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى أو ما ملكت أيمانكم قيل كانوا لا يتحرجون من الزنا ويتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور فى حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات أو كانوا يتحرجون من الولاية فى أموال اليتامى ولا يتحرجون من الاستكثار من النساء مع ان الجور يقع بينهن اذا كثرن فكانه قيل اذا تحرجتم من هذا فتحرجوا من ذلك وقيل وان خفتم أن لا تقسطوا فى نكاح اليتامى فانكحوا من البالغات يقال طابت الثمرة أى أدركت (مثنى وثلاث ورباع) نكرات وانما منعت الصرف للعدل والوصف وعليه دل كلام سيبويه ومحلهن النصب على الحال من النساء أو مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا فان قلت الذى أطلق للناكح فى الجمع أن يجمع بين اثنتين أو ثلاث أو أربع فما معنى التكرير فى مثنى وثلاث ورباع قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما أراد من العدد الذى أطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو ألف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ولو أفردت لم يكن له معنى وجىء بالواو لتدل على تجويز الجمع بين الفرق ولو جىء باو مكانها لذهب معنى التجويز (فان خفتم ألا تعدلوا) بين هذه الاعداد (فواحدة) فالزموا أو فاختار واواحدة (أو ما ملكت أيمانكم) سوى فى اليسر بين الحرة الواحدة وبين الاماء من غير حصر (ذلك) اشارة الى اختيار الواحدة والتسرى (أدنى ألا تعولوا) أقرب من أن لا تميلوا ولا تجوروا يقال عال الميزان عولا اذا مال وعال الحاكم فى حكمه اذا جار ويحكى عن الشافعى رحمه الله انه فسر أن لا تعولوا أن لا تكثر عيالكم واعترضوا عليه بانه يقال أعال يعيل اذا كثر عياله وأجيب بان يحمل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا أنفق عليهم لان من كثر عياله لزمه أن يعولهم وفى ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال وكلام مثله من أعلام العلم حقيق بالحمل على السداد وأن لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا كانه سلك فى تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات (وآتوا النساء صدقاتهن) مهورهن (نحلة) من نحله كذا اذا أعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكانه قال وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة أى اعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم أو على الحال من المخاطبين أى آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبى النفوس بالاعطاء أو من الصدقات أى منحولة معطاة عن طيبة الانفس وقيل نحلة من الله تعالى عطية من

عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة وفلان ينتحل كذا أى يدين به يعنى وآتوهن مهورهن ديانة على انها مفعول لها والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور بناتهم (فان طبن لكم) للازواج (عن شئ منه) أى من الصداق اذ هو فى معنى الصدقات (نفسا) تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فان وهبن لكم شيأ من الصدقات وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم وفى الآية دليل على ضيق المسلك فى ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن لكم عن شئ منه نفسا ولم يقل فان وهبن لكم اعلاما بان المراعى هو تجافى نفسها عن الموهوب طيبة (فكلوه) الهاء يعود على شئ (هنيئا) لا اثم فيه (مريئا) لا داء فيه فسرهما النبى عليه السلام أو هنيئا فى الدنيا بلا مطالبة مريئا فى العقبى بلا تبعة وهما صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وهما وصف مصدر أى أكلا هنيئا مريئا أو حال من الضمير أى كلوه وهو هنئ مرئ وهذه عبارة عن المبالغة في الاباحة وازالة التبعة هنيا مريا بغير همز يزيد وكذا حمزة فى الوقف وهمزهما الباقون وعن على رضى الله عنه اذا اشتكى أحدكم شيأ فليسأل امرأته ثلاثة دراهم من صداقها ثم ليشتر بها عسلا فليشربه بماء السماء فيجمع الله له هنيئا ومريئا وشفاء ومباركا (ولا تؤتوا السفهاء) المبذرين أموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغى ولا قدرة لهم على اصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للاولياء وأضاف الى الاولياء أموال السفهاء بقوله (أموالكم) لانهم يلونها ويمسكونها (التى جعل الله لكم قياما) أى قواما لابدانكم ومعاشا لاهلكم وأولادكم قيما بمعنى قياما نافع وشامى كما جاء عوذا بمعنى عياذا وأصل قيام قوام فجعلت الواو ياء لانكسار ما قبلها وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان أترك مالا يحاسبنى الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان وكان له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بى بنو العباس (وارزقوهم فيها) واجعلوها مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فيأكلها الانفاق (واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا) قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم أموالكم وكل ما سكنت اليه النفس لحسنه عقلا أو شرعا من قول أو عمل فهو معروف وما أنكرته لقبحه فهو منكر (وابتلوا اليتامى) واختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ فالابتلاء عندنا أن يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى تتبين حاله فيما يجئ منه وفيه دليل على جواز اذن الصبى العاقل فى التجارة (حتى اذا بلغوا النكاح) أى الحلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد (فان آنستم منهم) تبينتم (رشدا) هداية فى التصرفات وصلاحا فى المعاملات (فادفعوا اليهم أموالهم) من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم هذا الكلام ان ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم أموالهم جعل غاية للابتلاء وهى حتى التى تقع بعدها الجمل كالتى في قوله حتى ماء دجلة أشكل والجملة الواقعة

بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذى هو اذا بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وتنكير الرشد يفيد ان المراد رشد مخصوص وهو الرشد فى التصرف والتجارة أو يفيد التقليل أى طرفا من الرشد حتى لا ينتظر به تمام الرشد وهو دليل لابى حنيفة رحمه الله فى دفع المال عند بلوغ خمس وعشرين سنة (ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا) ولا تأكلوها مسرفين ومبادرين كبرهم فاسرافا وبدارا مصدران فى موضع الحال وأن يكبروا فى موضع المصدر منصوب الموضع ببدارا ويجوز أن يكونا مفعولا لهما أى لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون فى انفاقها وتقولون ننفق فيما نشتهى قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا (ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) قسم الامر بين أن يكون الوصى غنيا وبين أن يكون فقيرا فالغنى يستعفف من أكلها أى يحترز من أكل مال اليتيم واستعف أبلغ من عف كانه طالب زيادة العفة والفقير يأكل قوتا مقدرا محتاطا فى أكله عن ابراهيم ماسد الجوعة ووارى العورة (فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم) بانهم تسلموها وقبضوها دفعا للتجاحد وتفاديا عن توجه اليمين عليكم عند التخاصم والتناكر (وكفى بالله حسيبا) محاسبا فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب أوهو راجع الى قوله فليأكل بالمعروف أى ولا يسرف فان الله يحاسبه عليه ويجازيه به وفاعل كفى لفظة الله والباء زائدة وكفى يتعدى الى مفعولين دليله فسيكفيكهم الله (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون) هم المتوارثون من ذوى القرابات دون غيرهم (مما قل منه أوكثر) بدل مما ترك بتكرير العامل والضمير فى منه يعود الى ماترك (نصيبا) نصب على الاختصاص بمعنى أعنى نصيبا (مفروضا) مقطوعا لابد لهم من أن يحوزوه روى ان أوس بن ثابت ترك امرأته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه ميراثه عنهن وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وحاز الغنيمة فجاءت أم كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت فقال ارجعى حتى أنظر ما يحدث الله فنزلت الآية فبعث اليهما لا تفرقا من مال أوس شيأ فان الله تعالى قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقى ابنى العم (واذا حضر القسمة) أى قسمة التركة (أولوا القربى) ممن لا يرث (واليتامى والمساكين) من الاجانب (فارزقوهم) فاعطوهم (منه) مما ترك الوالدان والاقربون وهو أمر ندب وهو باق لم ينسخ وقيل كان واجبا فى الابتداء ثم نسخ بآية الميراث (وقولوا لهم قولا معروفا) عذرا جميلا وعدة حسنة وقيل القول المعروف ان يقولوا لهم خذوا بارك الله عليكم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يمنوا عليهم (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا) المراد بهم الاوصياء

أمر وابان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى فيشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وأن يقدروا ذلك في أنفسهم ويصوروه حتى لايجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ولو مع ما في حيزه صلة للذين أي وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وجواب لو خافوا (فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا) القول السديد من الاوصياء ان يكلموهم كما يكلمون أولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم بيابني وياولدي (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) ظالمين فهو مصدر في موضع الحال (انما يأكلون في بطونهم) ملء بطونهم (نارا) أي يأكلون مايجر الى النار فكانه نار روى انه يبعث آكل مال اليتامى يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأذنيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا (وسيصلون) شامي وأبو بكر أي سيدخلون (سعيرا) نارا من النيران مبهمة الوصف (يوصيكم الله) يعهد اليكم ويأمركم (في أولادكم) في شأن ميراثهم وهذا اجمال تفصيله (للذكر مثل حظ الانثيين) أي للذكر منهم أي من أولادكم فحذف الراجع اليه لانه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم وبدأ بحظ الذكر ولم يقل للانثيين مثل حظ الذكر أو للانثى نصف حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور أن ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل مايدلون به والمراد حال الاجتماع أي اذا اجتمع الذكر والانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين وأما في حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنتان تأخذان الثلثين والدليل عليه انه اتبعه حكم الانفراد بقوله (فان كن نساء) أي فان كانت الاولاد نساء خلصا يعني بناتا ليس معهن ابن (فوق اثنتين) خبر ثان لكان أو صفة لنساء أي نساء زائدات على اثنتين (فلهن ثلثا ماترك) أي الميت لان الآية لما كانت في الميراث علم أن التارك هو الميت (وان كانت واحدة فلها النصف) أي وان كانت المولودة منفردة واحدة مدني على كان التامة والنصب أوفق لقوله فان كن نساء فان قلت قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما قلت حكمهما مختلف فيه فابن عباس رضي الله عنهما نزلهما منزلة الواحدة لا منزلة الجماعة وغيره من الصحابة رضي الله عنهم أعطوهما حكم الجماعة بمقتضى قوله للذكر مثل حظ الانثيين وذلك لان من مات وخلف بنتا وابنا فالثلث للبنت والثلثان للابن فاذا كان الثلث لبنت واحدة كان الثلثان للبنتين ولانه قال في آخر السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ماترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك والبنتان أمس رحما بالميت من الاختين فاوجبوا لهما ما أوجب الله للاختين ولم ينقصوا حظهما عن حظ من هو أبعد منهما ولان البنت لما وجب لها مع أخيها الثلث كان أحرى ان يجب لها الثلث اذا كانت مع أخت مثلها ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها أيضا مع أخيها لو انفردت معه فوجب لهما

الثلثان وفي الآية دلالة على أن المال كله للذكر اذا لم يكن معه أنثى لانه جعل للذكر مثل حظ الانثيين. وقد جعل للانثى النصف اذا كانت منفردة فعلم ان للذكر في حال الانفراد ضعف النصف وهو الكل والضمير في (ولابويه) للميت والمراد الاب والام الا أنه غلب الذكر (لكل واحد منهما السدس) بدل من لابويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها ولو قيل ولكل واحد من أبويه السدس لذهبت فائدة التأكيد وهو التفصيل بعد الاجمال والسدس مبتدأ خبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن السدس والربع والثمن والثلث بالتخفيف (مما ترك ان كان له ولد) هو يقع على الذكر والانثى (فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث) أي مما ترك والمعنى وورثه أبواه فحسب لانه اذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين كان للام ثلث ما يبقى بعد اخراج نصيب الزوج لاثلث ماترك لان الاب أقوى من الام في الارث بدليل ان له ضعف حظها اذا خلصا فلو ضرب لها الثلث كملا لأدى الى حط نصيبه عن نصيبها فان امرأة لو تركت زوجا وأبوين فصار للزوج النصف وللام الثلث والباقي للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الى ان يكون للانثى مثل حظ الذكرين فلامه بكسر الهمزة حمزة وعلي لمجاورة كسر اللام (فان كان له) أي للميت (اخوة فلامه السدس) اذا كان للميت اثنان من الاخوة والاخوات فصاعدا فلامه السدس والاخ الواحد لايحجب والاعيان والعلات والاخياف في حجب الام سواء (من بعد وصية) متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لابما يليه وحده كانه قيل قسمة هذه الانصباء من بعد وصية (يوصي بها) ومابعده بفتح الصاد مكي وشامي وحماد ويحيي وافق الاعشى في الاولى وحفص في الثانية لمجاورة يورث وكسر الاولى لمجاورة يوصيكم الله الباقون بكسر الصادين أي يوصي بها الميت (أودين) والاشكال ان الدين مقدم على الوصية في الشرع وقدمت الوصية على الدين في التلاوة والجواب ان أو لاتدل على الترتيب ألاترى انك اذا قلت جاءني زيد أو عمرو كان المعنى جاءني أحد الرجلين فكان التقدير في قوله من بعد وصية يوصي بها أودين من بعد أحد هذين الشيئين الوصية أو الدين ولو قيل بهذا اللفظ لم يدر فيه الترتيب بل يجوز تقديم المؤخر وتأخير المقدم كذا هنا وانما قدمنا الدين على الوصية بقوله عليه السلام ألا ان الدين قبل الوصية ولانها تشبه الميراث من حيث انها صلة بلاعوض فكان اخراجها مما يشق على الورثة وكان أداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فقدمت على الدين ليسارعوا الى اخراجها مع الدين (آباؤكم) مبتدأ (وأبناؤكم) عطف عليه والخبر (لاتدرون) وقوله (أيهم) مبتدأ خبره (أقرب لكم) والجملة في موضع نصب بتدرون (نفعا) تمييز والمعنى فرض الله الفرائض على ماهو على حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم فوضعتم أنتم الاموال على غير حكمة والتفاوت في السهام بتفاوت المنافع وأنتم لاتدرون تفاوتها فتولى الله ذلك فضلا منه

ولم

ولم يكلها الى اجتهادكم لعجزكم عن معرفة المقادير وهذه الجملة اعتراضية مؤكدة لا موضع لها من الاعراب (فريضة) نصبت نصب المصدر المؤكد أى فرض ذلك فرضا (من الله ان الله كان عليما) بالاشياء قبل خلقها (حكيما) فى كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها (ولكم نصف ما ترك أزواجكم) أى زوجاتكم (ان لم يكن لهن ولد) أى ابن أو بنت (فان كان لهن ولد) منكم أو من غيركم (فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين) والواحدة والجماعة سواء فى الربع والثمن جعل ميراث الزوج ضعف ميراث الزوجة لدلالة قوله للذكر مثل حظ الانثيين (وان كان رجل) يعنى للميت وهو اسم كان (يورث) من ورث أى يورث منه وهو صفة لرجل (كلالة) خبر كان أى وان كان رجل موروث منه كلالة أو يورث خبر كان وكلالة حال من الضمير فى يورث والكلالة تنطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وهو فى الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء (أو امرأة) عطف على رجل (وله أخ أو أخت) أى لام فان قلت قد تقدم ذكر الرجل والمرأة فلم أفرد الضمير وذكره قلت أما افراده فلان أو لاحد الشيئين وأما تذكيره فلانه يرجع الى رجل لانه مذكر مبدوء به أو يرجع الى أحدهما وهو مذكر (فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك) من واحد (فهم شركاء فى الثلث) لانهم يستحقون بقرابة الام وهى لا ترث أكثر من الثلث ولهذا لا يفضل الذكر منهم على الانثى (من بعد وصية يوصى بها أو دين) انما كررت الوصية لاختلاف الموصين فالاول الوالدان والاولاد والثانى الزوجة والثالث الزوج والرابع الكلالة (غير مضار) حال أى يوصى بها وهو غير مضار لورثته وذلك بأن يوصى بزيادة على الثلث أو لوارث (وصية من الله) مصدر مؤكد أى يوصيكم بذلك وصية (والله عليم) بمن جار أو عدل فى وصيته (حليم) على الجائر لا يعاجله بالعقوبة وهذا وعيد فان قلت فأين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها قلت يضمر يوصى فينتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم ان ثم موصيا كما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح لانه لما قيل يسبح له علم ان ثم مسبحا فاضمر يسبح واعلم ان الورثة أصناف أصحاب الفرائض وهم الذين لهم سهام مقدرة كالبنت ولها النصف وللاكثر الثلثان وبنت الابن وان سفلت وهى عند عدم الولد كالبنت ولها مع البنت الصلبية السدس وتسقط بالابن وبنتى الصلب الا ان يكون معها أو أسفل منها غلام فيعصبها والاخوات لاب وأم وهن عند عدم الولد وولد الابن كالبنات والاخوات لاب وهن كالاخوات لاب وأم عند عدمهن ويصير الفريقان عصبة مع البنت أو بنت الابن ويسقطن بالابن وابنه وان سفل والاب وبالجد عند أبى حنيفة رحمه الله وولد الام فللواحد السدس وللاكثر الثلث وذكرهم كانثاهم ويسقطون بالولد وولد الابن وان سفل والاب والجد والاب وله السدس مع الابن أو ابن الابن وان سفل ومع البنت أو بنت الابن وان سفلت السدس والباقى والجد وهو أبو الاب وهو كالاب عند عدمه الا فى رد الام الى ثلث ما يبقى والام ولها

السدس مع الولد او ولد الابن وان سفل أو الاثنين من الاخوة والاخوات فصاعدا من أي جهة كانا وثلث الكل عند عدمهم وثلث ما يبقى بعد فرض أحد الزوجين في زوج وأبوين أو زوجة وأبوين والجدة ولها السدس وان كثرت لام كانت أو لاب والبعدى تحجب بالقربى والكل بالام والابويات بالاب والزوج وله الربع مع الولد أو ولد الابن وان سفل وعند عدمه النصف والزوجة ولها الثمن مع الولد أو ولد الابن وان سفل وعند عدمه الربع * والعصبات وهم الذين يرثون ما بقي من الفرض وأولاهم الابن ثم ابنه وان سفل ثم الاب ثم أبوه وان علا ثم الاخ لاب وأم ثم الاخ لاب ثم ابن الاخ لاب وأم ثم ابن الاخ لاب ثم الاعمام ثم أعمام الاب ثم أعمام الجد ثم المعتق ثم عصبته على الترتيب واللاتي فرضهن النصف والثلثان يصرن عصبة باخواتهن لا غيرهن * وذو والارحام وهم الاقارب الذين ليسوا من العصبات ولا من أصحاب الفرائض وترتيبهم كترتيب العصبات (تلك) اشارة الى الاحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث (حدود الله) سماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها) انتصب خالدين وخالدا على الحال وجمع مرة وأفرد أخرى نظرا الى معنى من ولفظها ندخله فيهما مدني وشامي (وله عذاب مهين) له هوانه عند الله ولا تعلق للمعتزلة بالآية فانها في حق الكفار اذ الكافر هو الذي تعدى الحدود كلها وأما المؤمن العاصي فهو مطيع بالايمان غير متعد حد التوحيد ولهذا فسر الضحاك المعصية هنا بالشرك وقال الكلبي ومن يعص الله ورسوله بكفره بقسمة المواريث ويتعد حدوده استحلالا ثم خاطب الحكام فقال (واللاتي) هي جمع التي وموضعها رفع بالابتداء (يأتين الفاحشة) أي الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبائح يقال أتى الفاحشة وجاءها ورهقها وغشيها بمعنى (من نسائكم) من للتبعيض والخبر (فاستشهدوا عليهن) فاطلبوا الشهادة (أربعة منكم) من المؤمنين (فان شهدوا) بالزنا (فأمسكوهن في البيوت) فاحبسوهن (حتى يتوفاهن الموت) اى ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة أو حتى يأخذهن الموت ويستوفي أرواحهن (أو يجعل الله لهن) قيل أو بمعنى الأن (سبيلا) غير هذه عن ابن عباس رضي الله عنهما السبيل للبكر جلد مائة وتغريب عام وللثيب الرجم لقوله عليه السلام خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة (واللذان) يريد الزاني والزانية وبتشديد النون مكي (يأتيانها منكم) أي الفاحشة (فآذوهما) بالتوبيخ والتعيير وقولوا لهما أما استحييتما أما خفتما الله (فان تابا) عن الفاحشة (وأصلحا) وغيرا الحال (فأعرضوا عنهما) فاقطعوا التوبيخ والمذمة (ان الله كان توابا رحيما) يقبل توبة التائب ويرحمه قال الحسن أول ما نزل من حد الزنا الاذى ثم الحبس ثم الجلد أو الرجم فكان ترتيب النزول على خلاف ترتيب التلاوة والحاصل انهما اذا كانا محصنين فحدهما الرجم لا غير واذا

كانا غير محصنين فحدهما الجلد لا غير وان كان أحدهما محصنا والآخر غير محصن فعلى المحصن منهما الرجم وعلى الآخر الجلد وقال ابن بحر الآية الاولى فى السحاقات والثانية فى اللواطين والتى فى سورة النور فى الزانى والزانية وهو دليل ظاهر لابى حنيفة رحمه الله فى انه يعزر فى اللواطة ولا يحد وقال مجاهد آية الاذى فى اللواطة (انما التوبة) هى من تاب الله عليه اذا قبل توبته أى انما قبولها (على الله) وليس المراد به الوجوب اذ لا يجب على الله شئ ولكنه تأكيد للوعد يعنى أنه يكون لا محالة كالواجب الذى لا يترك (للذين يعملون السوء) الذنب لسوء عقابه (بجهالة) فى موضع الحال أى يعملون السوء جاهلين سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقيل جهالته اختياره اللذة الفانية على الباقية وقيل لم يجهل انه ذنب ولكنه جهل كنه عقوبته (ثم يتوبون من قريب) من زمان قريب وهو ما قبل حضرة الموت ألا ترى الى قوله حتى اذا حضر أحدهم الموت فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذى لا تقبل فيه التوبة وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبل أن ينظر الى ملك الموت وعنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ومن للتبعيض أى يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا (فأولئك يتوب الله عليهم) عدة بانه يفى بذلك واعلام بأن الغفران كائن لا محالة (وكان الله عليما) بعزمهم على التوبة (حكيما) حكم بكون الندم توبة (وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن) أى ولا توبة للذين يذنبون ويسوفون توبتهم الى أن يزول حال التكليف بحضور أسباب الموت ومعاينة ملك الموت فان توبة هؤلاء غير مقبولة لانها حالة اضطرار لا حالة اختيار وقبول التوبة ثواب ولا وعد به الا مختار (ولا الذين يموتون) فى موضع جر بالعطف على للذين يعملون السيآت أى ليست التوبة للذين يعملون السيآت ولا للذين يموتون (وهم كفار) قال سعيد بن جبير الآية الاولى فى المؤمنين والوسطى فى المنافقين والاخرى فى الكافرين وفى بعض المصاحف بلامين وهو مبتدأ خبره (أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما) أى هيأنا من العتيد وهو الحاضر وأو الاصل أعددنا فقلبت الدال تاء * كان الرجل يرث امرأة مورثه بان يلقى عليها ثوبه فيتزوجها بلا مهر فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) أى أن تأخذوهن على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك أو مكرهات كرها بالفتح من الكراهة وبالضم حمزة وعلى من الاكراه مصدر فى موضع الحال من المفعول والتقييد بالكره لا يدل على الجواز عند عدمه لان تخصيص الشئ بالذكر لا يدل على نفى ما عداه كما فى قوله ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة لتفتدى منه بمالها وتختلع فقيل (ولا تعضلوهن) وهو منصوب عطفا على أن ترثوا ولا لتأكيد النفى أى لا يحل لكم أن ترثوا النساء ولا ان تعضلوهن أو مجزوم بالنهى على الاستئناف

فيجوز الوقف حينئذ على كرها والعضل الحبس والتضييق (لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) من المهر واللام متعلقة بتعضلوا (الا أن يأتين بفاحشة) هي النشوز وايذاء الزوج وأهله بالبذاء أي الا أن يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها أن يسألها الخلع (مبينة) وبفتح الياء مكي وأبو بكر والاستثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت ان يأتين بفاحشة أو ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا لان يأتين بفاحشة وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم (وعاشروهن بالمعروف) وهو النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول (فان كرهتموهن) لقبحهن أو سوء خلقهن (فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه) في ذلك الشيء أو في الكره (خيرا كثيرا) ثوابا جزيلا أو ولدا صالحا والمعنى فان كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو أصلح في الدين وأدنى الى الخير وأحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في أسباب الصلاح وانما صح قوله فعسى أن تكرهوا جزاء للشرط لان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وكان الرجل اذا رأى امرأة فاعجبته بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما أعطاها فقيل (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج) أي تطليق امرأة وتزوج أخرى (وآتيتم احداهن) وأعطيتم احدى الزوجات فالمراد بالزوج الجمع لان الخطاب لجماعة الرجال (قنطارا) مالا عظيما كما مر في آل عمران وقال عمر رضي الله عنه على المنبر لا تغالوا بصدقات النساء فقالت امرأة أنتبع قولك أم قول الله وآتيتم احداهن قنطارا فقال عمر كل أحد أعلم من عمر تزوجوا على ما شئتم (فلا تأخذوا منه) من القنطار (شيأ أتأخذونه بهتانا واثما مبينا) أي بينا والبهتان أن تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو بريء منه لانه يبهت عند ذلك أي يتحير وانتصب بهتانا على الحال أي باهتين وآثمين ثم أنكر أخذ المهر بعد الافضاء فقال (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض) أي خلا بلا حائل ومنه الفضاء والآية حجة لنا في الخلوة الصحيحة انها تؤكد المهر حيث أنكر الاخذ وعلل بذلك (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) عهدا وثيقا وهو قول الله تعالى فامساك بمعروف أو تسريح باحسان والله تعالى أخذ هذا الميثاق على عباده لاجلهن فهو كاخذهن أو قول النبي عليه السلام استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان في أيديكم أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولما نزل لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قالوا تركناها لا نرثهن كرها ولكن نخطبهن فننكحهن برضاهن فقيل لهم (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) وقيل المراد بالنكاح الوطء أي لا تطؤا ما وطئ آباؤكم وفيه تحريم وطء موطوءة الاب بنكاح أو بملك يمين أو بزنا كما هو مذهبنا وعليه كثير من المفسرين ولما قالوا كنا نفعل ذلك فكيف حال ما كان منا قال (الا ما قد سلف) أي لكن ما قد سلف فانكم لا تؤاخذون به والاستثناء منقطع عن

سيبويه ثم بين صفة هذا العقد فى الحال فقال (انه كان فاحشة) بالغة في القبح (ومقتا) و بغضا عند الله وعند المؤمنين وناس منهم يمقتونه من ذوى مروآتهم و يسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتى (وساء سبيلا) و بئس الطريق طريقا ذلك ولما ذكر فى أول السورة نكاح ما طاب أى حل من النساء وذكر بعض ما حرم قبل هذا وهو نساء الآباء ذكر المحرمات الباقيات وهن سبع من النسب وسبع من السبب و بدأ بالنسب فقال (حرمت عليكم أمهاتكم) والمراد تحريم نكاحهن عند البعض وقد ذكرنا المختار فى شرح المنار والجدة من قبل الام أو الاب ملحقة بهن (و بناتكم) و بنات الابن و بنات البنت ملحقات بهن والاصل ان الجمع اذا قوبل بالجمع ينقسم الآحاد على الآحاد فتحرم على كل واحد أمه و بنته (وأخواتكم) لاب وأم أو لاب أو لام (وعماتكم) من الاوجه الثلاثة (وخالاتكم) كذلك (و بنات الاخ) كذلك (و بنات الاخت) كذلك ثم شرع في السبب فقال (وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) الله تعالى نزل الرضاعة منزلة النسب فسمى المرضعة أما للرضيع والمراضعة أختا وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه وأخته عمته وكل ولد وله من غير المرضعة قبل الرضاع و بعده فهم اخوته وأخواته لابيه وأم المرضعة جدته وأختها خالته وكل من ولدها من هذا الزوج فهم اخوته وأخواته لابيه وأمه ومن ولدها من غيره فهم اخوته وأخواته لام وأصله قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب (وأمهات نسائكم) وهن محرمات بمجرد العقد (ور بائبكم) سمى ولد المرأة من غير زوجها ر بيبا ور بيبة لانه ير بهما كما يرب ولده فى غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وان لم ير بهما (اللاتى فى حجوركم) قال داود اذا لم تكن فى حجره لا تحرم قلنا ذكر الحجر على غلبة الحال دون الشرط وفائدته التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم لهن أو لكونهن بصدد احتضانكم كانكم فى العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم (من نسائكم اللاتى دخلتم بهن) متعلق بر بائبكم أى الربيبة من المرأة المدخول بها حرام على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها والدخول بهن كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب أى أدخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول وقد جعل بعض العلماء اللاتى دخلتم بهن وصفا للنساء المتقدمة والمتأخرة وليس كذلك لان الوصف الواحد لا يقع على موصوفين مختلفى العامل وهذا لان النساء الاولى مجرورة بالاضافة والثانية بمن ولا يجوز أن تقول مررت بنسائك وهربت من نساء زيد الظريفات على أن تكون الظريفات نعتا لهؤلاء النساء وهؤلاء النساء كذا قال الزجاج وغيره وهذا أولى مما قاله صاحب الكشاف فيه (فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) فلا حرج عليكم فى أن تتزوجوا بناتهن اذا فارقتموهن أو متن (وحلائل أبنائكم) جمع حليلة وهى الزوجة لان كل واحد منهما يحل للآخر أو يحل فراش الآخر من الحل أو من الحلول (الذين من أصلابكم) دون من تبنيتم فقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب حين فارقها زيد وقال الله تعالى لكيلا يكون على المؤمنين

حرج في أزواج أدعيائهم وليس هذا النفي الحرمة عن حليلة الابن من الرضاع (وأن تجمعوا بين الاختين) أي في النكاح وهو في موضع الرفع عطف على المحرمات أي وحرم عليكم الجمع بين الاختين (الا ماقد سلف) ولكن مامضى مغفور بدليل قوله (ان الله كان غفورا رحيما) وعن محمد بن الحسن رحمه الله ان أهل الجاهلية كانوا يعرفون هذه المحرمات الا نكاح امرأة الاب ونكاح الاختين فلذا قال فيهما الا ماقد سلف (والمحصنات من النساء) أي ذوات الازواج لانهن أحصن فروجهن بالتزوج قرأ الكسائي بفتح الصاد هنا وفي سائر القرآن بكسرها وغيره بفتحها في جميع القرآن (الا ماملكت أيمانكم) بالسبي وزوجها في دار الحرب والمعنى وحرم عليكم نكاح المنكوحات أي اللاتي لهن أزواج الا ماملكتموهن بسبيهن واخراجهن بدون أزواجهن لوقوع الفرقة بتباين الدارين لا بالسبي فتحل الغنائم بملك اليمين بعد الاستبراء (كتاب الله عليكم) مصدر مؤكد أي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فريضة وهو تحريم ماحرم وعطف (وأحل لكم) على الفعل المضمر الذى نصب كتاب الله أي كتب الله عليكم تحريم ذلك وأحل لكم (ماوراء ذلكم) ماسوى المحرمات المذكورة وأحل كوفي غير أبي بكر عطف على حرمت (ان تبتغوا) مفعول له اى بين لكم مايحل ممايحرم لان تبتغوا أو بدل مماوراء ذلكم ومفعول تبتغوا مقدر وهو النساء والاجود ان لايقدر (باموالكم) يعني المهور وفيه دليل على ان النكاح لا يكون الا بمهر وانه يجب وان لم يسم وان غير المال لا يصلح مهرا وان القليل لا يصلح مهرا اذ الحبة لاتعد مالا عادة (محصنين) في حال كونكم محصنين (غير مسافحين) لئلا تضيعوا أموالكم وتفتقروا أنفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دينكم ودنياكم ولا فساد اعظم من الجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني (فما استمتعتم به منهن) فما نكحتموه منهن (فآتوهن أجورهن) مهورهن لان المهر ثواب على البضع فما في معنى النساء ومن للتبعيض أو للبيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فآتوهن (فريضة) حال من الاجور أي مفروضة أو وضعت موضع ايتاء لان الايتاء مفروض أو مصدر مؤكد أي فرض ذلك فريضة (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) فيما تحط عنه من المهر أو تهب له من كله أو يزيد لها على مقداره أو فيما تراضيا به من مقام أو فراق (ان الله كان عليما) بالاشياء قبل خلقها (حكيما) فيما فرض لهم من عقد النكاح الذى به حفظت الانساب وقيل ان قوله فما استمتعتم نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتح الله مكة على رسوله ثم نسخت (ومن لم يستطع منكم طولا) فضلا يقال لفلان على طول أي فضل وزيادة وهو مفعول يستطع (أن ينكح) مفعول الطول فانه مصدر فيعمل عمل فعله أو بدل من طولا (المحصنات المؤمنات) الحرائر المسلمات (فماملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) أي فلينكح مملوكة من الاماء المسلمات وقوله من فتياتكم أي من فتيات المسلمين والمعنى ومن لم

يستطع

يستطع زيادة فى المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح أمة ونكاح الامة الكتابية يجوز عندنا والتقييد في النص للاستحباب بدليل ان الايمان ليس بشرط فى الحرائر اتفاقا مع التقييد به وقال ابن عباس ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وفيه دليل لنا فى مسئلة الطول (والله أعلم بايمانكم) فيه تنبيه على قبول ظاهر ايمانهن ودليل على أن الايمان هو التصديق دون عمل اللسان لان العلم بالايمان المسموع لا يختلف (بعضكم من بعض) أى لا تستنكفوا من نكاح الاماء فكلكم بنو آدم وهو تحذير عن التعيير بالانساب والتفاخر بالاحساب (فانكحوهن باذن أهلهن) سادتهن وهو حجة لنا فى أن لهن أن يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالى لا عقدهم وانه ليس للعبد اوللامة أن يتزوج الا باذن المولى (وآتوهن أجورهن بالمعروف) وأدوا اليهن مهورهن بغير مطل واضرار وملاك مهورهن مواليهن فكان أداؤها اليهن أداء الى الموالى لانهن وما فى أيديهن مال الموالى أو التقدير وآتوا مواليهن فحذف المضاف (محصنات) عفائف حال من المفعول فى وآتوهن (غير مسافحات) زوان علانية (ولا متخذات أخدان) زوان سرا والاخدان الاخلاء فى السر (فاذا أحصن) بالتزويج أحصن كوفى غير حفص (فان أتين بفاحشة) زنا (فعليهن نصف ما على المحصنات) أى الحرائر (من العذاب) من الحد يعنى خمسين جلدة وقوله نصف ما على المحصنات يدل على انه الجلد لا الرجم لان الرجم لا يتنصف وان المحصنات هنا الحرائر اللاتى لم يزوجن (ذلك) أى نكاح الاماء (لمن خشى العنت منكم) لمن خاف الاثم الذى تؤدى اليه غلبة الشهوة وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر أعظم من مواقعة المآثم وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الزنا لانه سبب الهلاك (وأن تصبروا) في محل الرفع على الابتداء أى وصبركم عن نكاح الاماء متعففين (خير لكم) لان فيه ارقاق الولد ولانها خراجة ولاجة ممتهنة مبتذلة وذلك كله نقصان يرجع الى الناكح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين وفي الحديث الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت (والله غفور) يستر المحظور (رحيم) يكشف المحذور (يريد الله ليبين لكم) أصله يريد الله أن يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين كما زيدت في لا أبا لك لتأكيد اضافة الاب والمعنى يريد الله أن يبين لكم ما هو خفى عليكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) وان يهديكم مناهج من كان قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التى سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم (ويتوب عليكم) ويوفقكم للتوبة عما كنتم عليه من الخلاف (والله عليم) بمصالح عباده (حكيم) فيما شرع لهم (والله يريد أن يتوب عليكم) التكرير للتأكيد والتقرير والتقابل (ويريد) الفجرة (الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما) وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل أعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود لاستحلالهم الاخوات لاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله

قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخت والاخ فنزلت يقول يريدون ان تكونوا زناة مثلهم (يريد الله ان يخفف عنكم) باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص (وخلق الانسان ضعيفا) لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا (الا أن تكون تجارة) الا أن تقع تجارة تجارة كوفي أى الا أن تكون التجارة تجارة (عن تراض منكم) صفة لتجارة أى تجارة صادرة عن تراض بالعقد أو بالتعاطي والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض أو ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وخص التجارة بالذكر لان أسباب الرزق أكثرها متعلق بها والآية تدل على جواز البيع بالتعاطي وعلى جواز البيع الموقوف اذا وجدت الاجازة لوجود الرضا وعلى نفي خيار المجلس لان فيها اباحة الاكل بالتجارة عن تراض من غير تقييد بالتفرق عن مكان العقد والتقييد به زيادة على النص (ولا تقتلوا أنفسكم) من كان من جنسكم من المؤمنين لان المؤمنين كنفس واحدة أو ولا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة أو معنى القتل أكل الاموال بالباطل فظالم غيره كمهلك نفسه أو لا تتبعوا اهواءها فتقتلوها أو تركبوا ما يوجب القتل (ان الله كان بكم رحيما) ولرحمته بكم نهاكم على ما فيه صيانة أموالكم وبقاء أبدانكم وقيل معناه انه أمر بني اسرائيل بقتلهم أنفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة (ومن يفعل ذلك) أى القتل أى ومن يقدم على قتل الانفس (عدوانا وظلما) لا خطأ ولا قصاصا وهما مصدران في موضع الحال أو مفعول لهما (فسوف نصليه نارا) ندخله نارا مخصوصة شديدة العذاب (وكان ذلك) أى اصلاؤه النار (على الله يسيرا) سهلا وهذا الوعيد في حق المستحل للتخليد وفي حق غيره لبيان استحقاقه دخول النار مع وعد الله بمغفرته (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) عن ابن مسعود رضي الله عنه ما الكبائر كل ما نهى الله عنه من أول سورة النساء الى قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وعنه أيضا الكبائر ثلاث الاشراك بالله واليأس من روح الله والامن من مكر الله وقيل المراد بها أنواع الكفر بدليل قراءة عبد الله كبير ما تنهون عنه وهو الكفر (وندخلكم مدخلا) مدخلا مدني وكلاهما بمعنى المكان والمصدر (كريما) حسنا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد أن يتوب عليكم يريد الله أن يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم ان الله لا يغفر أن يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم وتشبث المعتزلة بالآية على ان الصغائر واجبة المغفرة باجتناب الكبائر وعلى ان الكبائر غير مغفورة باطل لان الكبائر والصغائر في مشيئته تعالى سواء ان شاء

عذب عليهما وان شاء عفى عنهما لقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فقد وعد المغفرة لما دون الشرك وقرنها بمشيئته تعالى وقوله ان الحسنات يذهبن السيآت فهذه الآية تدل على ان الصغائر والكبائر يجوز أن يذهبها الحسنات لان لفظ السيآت ينطلق عليهما ولما كان أخذ مال الغير بالباطل وقتل النفس بغير حق بتمنى مال الغير وجاهه نهاهم عن تمنى ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال بقوله (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما ينبغي لكل من بسط في الرزق أو قبض فعلى كل واحد أن يرضى بما قسم له ولا يحسد أخاه على حظه فالحسد ان يتمنى أن يكون ذلك الشيء له ويزول عن صاحبه والغبطة ان يتمنى مثل مال الغير وهو مرخص فيه والاول منهى عنه ولما قال الرجال نرجو أن يكون أجرنا على الضعف من أجر النساء كالميراث وقالت النساء يكون وزرنا على نصف وزر الرجال كالميراث نزل (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) وليس ذلك على حسب الميراث (واسألوا الله من فضله) فان خزائنه لا تنفد ولا تتمنوا ما للناس من الفضل (ان الله كان بكل شيء عليما) فالتفضيل منه عن علم بمواضع الاستحقاق قال ابن عيينة لم يامر بالمسئلة الا ليعطي وفي الحديث من لم يسأل الله من فضله غضب عليه وفيه ان الله تعالى ليمسك الخير الكثير عن عبده ويقول لا أعطى عبدى حتى يسألني وسلوا مكي وعلى (ولكل) المضاف اليه محذوف تقديره ولكل أحد أو لكل مال (جعلنا موالى) وراثا يلونه ويحرزونه (مما ترك الوالدان والاقربون) هو صفة مال محذوف أى من مال تركه الوالدان أو هو متعلق بفعل محذوف دل عليه الموالى تقديره يرثون مما ترك (والذين عاقدت أيمانكم) عاقدتهم أيديكم وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره وهو (فآتوهم نصيبهم) مع الفاء عقدت كوفى أى عقدت عهودهم أيمانكم والمراد به عقد الموالاة وهى مشروعة والوراثة بها ثابتة عند عامة الصحابة رضي الله عنهم وهو قولنا وتفسيره اذا أسلم رجل أو امرأة لا وارث له وليس بعربي ولا معتق فيقول لآخر واليتك على أن تعقلنى اذا جنيت وترث منى اذا مت ويقول الآخر قبلت انعقد ذلك ويرث الاعلى من الاسفل (ان الله كان على كل شيء شهيدا) أى هو عالم الغيب والشهادة وهو أبلغ وعد ووعيد (الرجال قوامون على النساء) يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك (بما فضل الله بعضهم على بعض) الضمير في بعضهم للرجال والنساء يعنى انما كانوا مسيطرين عليهن لسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء بالعقل والعزم والحزم والرأى والقوة والغزو وكمال الصوم والصلاة والنبوة والخلافة والامامة والاذان والخطبة والجماعة والجمعة وتكبير التشريق عند أبي حنيفة رحمه الله والشهادة في الحدود والقصاص وتضعيف الميراث والتعصيب فيه وملك النكاح والطلاق واليهم الانتساب وهم أصحاب اللحى والعمائم (وبما أنفقوا من أموالهم) وبان

نفقتهن عليهم وفيه دليل وجوب نفقتهن عليهم ثم قسمهن على نوعين النوع الاول (فالصالحات قانتات) مطيعات قائمات بما عليهن للازواج (حافظات للغيب) لمواجب الغيب وهو خلاف الشهادة أى اذ كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه فى حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وقيل للغيب لاسرارهم (بما حفظ الله) بما حفظهن الله حين أوصى بهن الازواج بقوله وعاشروهن بالمعروف أو بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب أو بحفظ الله اياهن حيث صيرهن كذلك والثانى (واللاتى تخافون نشوزهن) عصيانهن وترفعهن عن طاعة الازواج والنشز المكان المرتفع والنبوة عن ابن عباس رضى الله عنهما هو ان تستخف بحقوق زوجها ولا تطيع أمره (فعظوهن) خوفوهن عقوبة الله تعالى والضرب والعظة كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة (واهجروهن فى المضاجع) في المراقد أى لا تداخلوهن تحت اللحف وهو كناية عن الجماع أو هو ان يوليها ظهره فى المضجع لانه لم يقل عن المضاجع (واضربوهن) ضربا غير مبرح أمر بوعظهن أولا ثم بهجرانهن فى المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران (فان أطعنكم) بترك النشوز (فلا تبغوا عليهن سبيلا) فازيلوا عنهن التعرض بالاذى وسبيلا مفعول تبغوا وهو من بغيت الامر أى طلبته (ان الله كان عليا كبيرا) أى ان علت أيديكم عليهن فاعلموا ان قدرته عليكم أعظم من قدرتكم عليهن فاجتنبوا ظلمهن أو ان الله كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم أحق بالعفو عمن يجنى عليكم اذا رجع ثم خاطب الولاة بقوله (وان خفتم شقاق بينهما) أصله شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على سبيل الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار وأصله بل مكر فى الليل والنهار والشقاق العداوة والخلاف لان كلا منهما يفعل ما يشق على صاحبه أو يميل الى شق أى ناحية غير شق صاحبه والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجرى ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء (فابعثوا حكما من أهله) رجلا يصلح للحكومة والاصلاح بينهما (وحكما من أهلها) وانما كان بعث الحكمين من أهلهما لان الاقارب أعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح ونفوس الزوجين أسكن اليهم فيبرزان ما فى ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة والضمير فى (ان يريدا اصلاحا) للحكمين وفى (يوفق الله بينهما) للزوجين أى ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة بورك فى وساطتهما وأوقع الله بحسن سعيهما بين الزوجين الالفة والوفاق وألقى فى نفوسهما المودة والاتفاق أو الضميران للحكمين أى ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان فى طلب الوفاق حتى يتم المراد أو الضميران للزوجين أى ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلب الخير وان يزول عنهما الشقاق يلق الله بينهما الالفة وأبدلهما بالشقاق الوفاق وبالبغضاء المودة (ان الله كان عليما) بارادة الحكمين (خبيرا) بالظالم من الزوجين وليس لهما ولاية التفريق

عندنا خلافا لمالك رحمه الله (واعبدوا الله) قيل العبودية اربعة الوفاء بالعهود والرضا بالموجود والحفظ للحدود والصبر على المفقود (ولا تشركوا به شيأ) صنما وغيره ويحتمل المصدر اى اشراكا (وبالوالدين احسانا) واحسنوا بهما احسانا بالقول والفعل والانفاق عليهما عند الاحتياج (وبذى القربى) وبكل من بينكم وبينه قربى من اخ اوعم اوغيرهما (واليتامى والمساكين والجار ذى القربى) الذى قرب جواره (والجار الجنب) اى الذى جواره بعيد او الجار القريب النسيب والجار الجنب الاجنبى (والصاحب بالجنب) اى الزوجة عن علىّ رضى الله عنه او الذى صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقا فى سفر او شريكا فى تعلم علم اوغيره او قاعدا الى جنبك فى مجلس اومسجد (وابن السبيل) الغريب او الضيف (وما ملكت ايمانكم) العبيد والاماء (ان الله لا يحب من كان مختالا) متكبرا يأنف عن قراباته وجيرانه فلا يلتفت اليهم (فخورا) يعدد مناقبه كبرا فان عدها اعترافا كان شكورا (الذين يبخلون) نصب على البدل من من كان مختالا فخورا وجمع على معنى من اوعلى الذم او رفع على انه خبر مبتدا محذوف تقديره هم الذين يبخلون (ويأمرون الناس بالبخل) بالبخل حمزة وعلى وهما لغتان كالرشد والرشد اى يبخلون بذات ايديهم وبما فى ايدى غيرهم فيأمرونهم بان يبخلوا به مقتا للسخاء قيل البخل ان يأكل بنفسه ولا يؤكل غيره والشح ان لا يأكل ولا يؤكل والسخاء ان يأكل ويؤكل والجود ان يؤكل ولا يأكل (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) ويخفون ما انعم الله عليهم به من المال وسعة الحال وفى الحديث اذا انعم الله على عبده نعمة احب ان يرى نعمته على عبده وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الكريم يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى آثار نعمتك فاعجبه كلامه قيل نزلت فى شأن اليهود الذين كتموا صفة محمد عليه السلام (واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) اى يهانون به الآخرة (والذين ينفقون اموالهم) معطوف على الذين يبخلون اوعلى الكافرين (رئاء الناس) مفعول له اى للفخار وليقال ما اجودهم لا لابتغاء وجه الله وهم المنافقون او مشركو مكة (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم فى النار (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله) واى تبعة ووبال عليهم فى الايمان والانفاق فى سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومصلحة فى ذلك وهذا كما يقال للعاق ما ضرك لو كنت بارا وقد علم انه لا مضرة فى البر ولكنه ذم وتوبيخ (وكان الله بهم عليما) وعيد (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) هى النملة الصغيرة وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه ادخل يده فى التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء فى الكوة ذرة (وان تك حسنة) وان يك مثقال الذرة حسنة وانما أنث ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث حسنة حجازى على كان التامة وحذفت النون من تكن تخفيفا لكثرة الاستعمال (يضاعفها) يضاعف ثوابها يضعفها مكى

وشامي (ويؤت من لدنه أجرا عظيما) ويعط صاحبها من عنده ثوابا عظيما وما وصفه الله بالعظم
فمن يعرف مقداره مع انه سمى متاع الدنيا قليلا وفيه ابطال قول المعتزلة في تخليد مرتكب
الكبيرة مع ان له حسنات كثيرة (فكيف) يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم (اذا
جئنا من كل أمة بشهيد) يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم (وجئنا بك) يا محمد (على هؤلاء) أي
أمتك (شهيدا) حال أي شاهدا على من آمن بالايمان وعلى من كفر بالكفر وعلى من
نافق بالنفاق وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قرأ سورة النساء على رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
حسبنا (يومئذ) ظرف لقوله (يود الذين كفروا) بالله (وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض)
لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى أو يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض
سواء أو تصير البهائم ترابا فيودون حالها تسوى بفتح التاء وتخفيف السين والامالة وحذف
احدى التاءين من تتسوى حمزة وعلى تسوى بادغام التاء في السين مدني وشامي (ولا يكتمون
الله حديثا) مستأنف أي ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم ولما صنع
عبد الرحمن بن عوف طعاما وشرابا ودعا نفرا من الصحابة رضي الله عنهم حين كانت الخمر
مباحة فاكلوا وشربوا فقدموا أحدهم ليصلي بهم المغرب فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد
ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد نزل (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى) أي
لا تقربوها في هذه الحالة (حتى تعلموا ما تقولون) أي تقرؤن وفيه دليل على ان ردة السكران
ليست بردة لان قراءة سورة الكافرين بطرح اللامات كفر ولم يحكم بكفره حتى خاطبهم
باسم الايمان وما أمر النبي عليه السلام بالتفريق بينه وبين امرأته ولا بتجديد الايمان ولان
الامة اجتمعت على أن من أجرى كلمة الكفر على لسانه مخطئا لا يحكم بكفره (ولا جنبا)
عطف على وأنتم سكارى لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كأنه قيل لا تقربوا الصلاة
سكارى ولا جنبا أي ولا تصلوا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه
اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب (الا عابري سبيل) صفة لقوله جنبا أي لا تقربوا
الصلاة جنبا غير عابري سبيل أي جنبا مقيمين غير مسافرين والمراد بالجنب الذين لم يغتسلوا
كأنه قيل لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين (حتى تغتسلوا) الا أن تكونوا مسافرين عادمين
الماء متيممين عبر عن المتيمم بالمسافر لان غالب حاله عدم الماء وهذا مذهب أبي حنيفة رحمه
الله وهو مروي عن علي رضي الله عنه وقال الشافعي رحمه الله لا تقربوا الصلاة أي مواضع
الصلاة وهي المساجد ولا جنبا أي ولا تقربوا المسجد جنبا الا عابري سبيل الا مجتازين فيه
فيجوز للجنب العبور في المسجد عند الحاجة (وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد
منكم من الغائط) أي المطمئن من الارض وكانوا يأتونه لقضاء الحاجة فكنى به عن الحدث
(أو لامستم النساء) جامعتموهن كذا عن علي رضي الله عنه وابن عباس (فلم تجدوا ماء)
فلم تقدروا على استعماله لعدمه أو بعده أو فقد آلة الوصول اليه أو لمانع من حية أو سبع أو عدو

(فتيمموا)

(فتيمموا) أدخل فى حكم الشرط أربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون وأهل الجنابة والجزاء الذى هو الامر بالتيمم متعلق بهم جميعا فالمرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه والمسافرون اذا عدموه لبعده والمحدثون وأهل الجنابة اذا لم يجدوه لبعض الاسباب فلهم أن يتيمموا المستم حمزة وعلى (صعيدا) قال الزجاج هو وجه الارض ترابا كان أوغيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده ومسح لكان ذلك طهوره ومن فى سورة المائدة لابتداء الغاية لا للتبعيض (طيبا) طاهرا (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) قيل الباء زائدة (ان الله كان عفوا) بالترخيص والتيسير (غفورا) عن الخطا والتقصير (ألم تر) من رؤية القلب وعدى بالى على معنى ألم ينته علمك اليهم أو بمعنى ألم تنظر اليهم (الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) حظا من علم التوراة وهم أحبار اليهود (يشترون الضلالة) يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه هو النبى العربى المبشر به فى التوراة والانجيل (ويريدون أن تضلوا) أنتم أيها المؤمنون (السبيل) أى سبيل الحق كما ضلوه (والله أعلم) منكم (باعدائكم) وقد أخبركم بعداوة هؤلاء فاحذروهم ولا تستنصحوهم فى أموركم (وكفى بالله وليا) فى النفع (وكفى بالله نصيرا) فى الدفع فثقوا بولايته ونصرته دونهم أو لا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم ووليا ونصيرا منصوبان على التمييز أو على الحال (من الذين هادوا) بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب أو بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض أو يتعلق بقوله نصيرا أى ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا أو يتعلق بمحذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم فقوم مبتدأ و يحرفون صفة له والخبر من الذين هادوا مقدم عليه وحذف الموصوف وهو قوم وأقيم صفته وهو (يحرفون الكلم عن مواضعه) يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد أمالوه عن مواضعه فى التوراة التى وضعه الله تعالى فيها وأزالوه عنها مقامه وذلك نحو تحريفهم أسمر ربعة عن موضعه فى التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ثم ذكر هنا عن مواضعه وفى المائدة من بعد مواضعه فمعنى عن مواضعه على ما بينا من ازالته عن مواضعه التى أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه ومعنى من بعد مواضعه انه كانت له مواضع هو جدير بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذى لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان (ويقولون سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك قيل أسروا به (واسمع) قولنا (غير مسمع) حال من المخاطب أى اسمع وأنت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم أى اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع شيأ فكان أصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة أو اسمع غير مجاب الى ما تدعوا اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانك لم تسمع شيأ أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب و يحتمل المدح أى

اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبه وكذلك قوله (وراعنا) يحتمل راعنا نكلمك أي ارقبنا وانتظرنا ويحتمل سبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعنا فكانوا سخرية بالدين وهزؤا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام (ليا بألسنتهم) فتلا بها وتحريفا أي يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا سمعت مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا (وطعنا في الدين) هو قولهم لو كان نبيا حقا لاخبر بما نعتقد فيه (ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا) ولم يقولوا وعصينا (واسمع) ولم يلحقوا به غير مسمع (وانظرنا) مكان راعنا (لكان) قولهم ذلك (خيرا لهم) عند الله (وأقوم) وأعدل وأسد (ولكن لعنهم الله بكفرهم) طردهم وأبعدهم عن رحمته بسبب اختيارهم الكفر (فلا يؤمنون الا قليلا) منهم قد آمنوا كعبد الله بن سلام وأصحابه أو الا ايمانا قليلا ضعيفا لا يعبأ به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره ولما لم يؤمنوا انزل (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا) يعني القرآن (مصدقا لما معكم) يعني التوراة (من قبل ان نطمس وجوها) أي نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وأنف وفم (فنردها على أدبارها) فنجعلها على هيئة أدبارها وهي الاقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وان جعلتها للتعقيب على انهم توعدوا بعقابين أحدهما عقيب الآخر ردها على أدبارها بعد طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها فننكس الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام وقيل المراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس أموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاؤهم أي من قبل ان نغير أحوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم (أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) أي نخزيهم بالمسخ كما مسخنا أصحاب السبت والضمير يرجع الى الوجوه ان أريد الوجهاء أو الى الذين أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات والوعيد كان معلقا بان لا يؤمن كلهم وقد آمن بعضهم فان ابن سلام قد سمع الآية قافلا من الشأم فأتى النبي صلى الله عليه وسلم مسلما قبل أن يأتي أهله وقال ما كنت أرى ان أصل الى أهلي قبل أن يطمس الله وجهي ولان الله تعالى أوعدهم باحد الامرين بطمس الوجوه أو بلعنهم فان كان الطمس تبدل أحوال رؤسائهم فقد كان أحد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان وقيل هو منتظر في اليهود (وكان أمر الله) أي المأمور به وهو العذاب الذي أوعدوا به (مفعولا) كائنا لا محالة فلا بد أن يقع أحد الامرين ان لم يؤمنوا (ان الله لا يغفر أن يشرك به) ان مات عليه (ويغفر ما دون ذلك) أي ما دون الشرك وان كان كبيرة مع عدم التوبة والحاصل أن الشرك مغفور عنه بالتوبة وان وعد غفران ما دونه لمن لم يتب أي لا يغفر لمن يشرك وهو مشرك ويغفر لمن يذنب وهو مذنب قال النبي عليه السلام من لقي الله تعالى لا يشرك به شيأ دخل الجنة ولم تضره خطيئته وتقييده بقوله (لمن يشاء) لا يخرجه عن عمومه كقوله الله لطيف بعباده يرزق من

يشاء قال على رضى الله عنه مافى القرآن آية أحب الى من هذه الآية وحمل المعتزلة على التائب باطل لان الكفر مغفور عنه بالتوبة لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف فمادونه أولى أن يغفر بالتوبة والآية سيقت لبيان التفرقة بينهما وذا فيماذكرنا (ومن يشرك بالله فقد افترى اثماعظيما) كذب كذباعظيما استحق به عذاباأليما ونزل فيمن زكى نفسه من اليهود والنصارى حيث قالوانحن أبناء الله وأحباؤه وقالوالن يدخل الجنة الامن كان هودا أونصارى (ألم ترالى الذين يزكون أنفسهم) ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى (بل الله يزكى من يشاء) اعلام بان تزكية الله هى التى يعتد بها الاتزكية غيره لانه هو العالم بمن هوأهل للتزكية ونحوه فلاتزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى (ولا يظلمون) أى الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تزكية أنفسهم حق جزائهم أومن يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم (فتيلا) قدر فتيل وهو ما يحدث بفتل الاصابع من الوسخ (انظر كيف يفترون على الله الكذب) فى زعمهم انهم عند الله أزكياء (وكفى به) بزعمهم هذا (اثما مبينا) من بين سائر آثامهم (ألم ترالى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) يعنى اليهود (يؤمنون بالجبت) أى الاصنام وكل ماعبدوه من دون الله (والطاغوت) الشيطان (ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) وذلك أن حيى بن أخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنتم أهل الكتاب وأنتم الى محمد أقرب مناوهو أقرب منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام وأطاعوا ابليس عليه اللعنة فيما فعلوا فقال أبو سفيان أنحن أهدى سبيلا أم محمد فقال كعب أنتم أهدى سبيلا (أولئك الذين لعنهم الله) أبعدهم من رحمته (ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا) يعتد بنصره ثم وصف اليهود بالبخل والحسد وهما من شر الخصال يمنعون مالهم ويتمنون مالغيرهم فقال (أم لهم نصيب من الملك) فأم منقطعة ومعنى الهمزة الانكار أن يكون لهم نصيب من الملك (فاذالا يؤتون الناس نقيرا) أى لو كان لهم نصيب من الملك أى ملك أهل الدنيا أوملك الله فاذالا يؤتون أحدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة فى ظهر النواة وهو مثل فى القلة كالفتيل (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) بل أيحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على انكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب) أى التوراة (والحكمة) الموعظة والفقه (وآتيناهم ملكا عظيما) يعنى ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وهذا الزام لهم بماعرفوه من ايتاء الله الكتاب والحكمة آل ابراهيم الذين هم أسلاف محمد عليه السلام وانه ليس ببدع أن يؤتيه الله مثل ماأوتى أسلافه (فمنهم من آمن به) فمن اليهود من آمن بماذكر من حديث آل ابراهيم (ومنهم من

صد عنه) وأنكره مع علمه بصحته أومن اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من أنكر نبوته وأعرض عنه (وكفى بجهنم سعيرا) للصادين (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم) ندخلهم (نارا كلما نضجت جلودهم) أحرقت (بدلناهم جلودا غيرها) أعدنا تلك الجلود غير محترقة فالتبديل والتغيير لتغاير الهيئتين لا لتغاير الاصلين عند أهل الحق خلافا للكرامية وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج (ليذوقوا العذاب) ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعز يزأعزك الله أى أدامك على عزك (ان الله كان عزيزا) غالبا بالانتقام لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين (حكيما) فيما يفعل بالكافرين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة) من الانجاس والحيض والنفاس (وندخلهم ظلا ظليلا) هو صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل أليل وهوما كان طويلا فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة ثم خاطب الولاة باداء الامانات والحكم بالعدل بقوله (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) وقيل قد دخل فى هذا الامر أداء الفرائض التى هى أمانة الله تعالى التى حملها الانسان وحفظ الحواس التى هى ودائع الله تعالى (واذا حكمتم بين الناس) قضيتم (أن تحكموا بالعدل) بالسوية والانصاف وقيل ان عثمان بن طلحة بن عبد الدار كان سادن الكعبة وقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منه مفتاح الكعبة فلما نزلت الآية أمر عليا رضى الله عنه بان يرده اليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أنزل الله فى شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فاسلم عثمان فهبط جبريل عليه السلام وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن السدانة فى أولاد عثمان أبدا (ان الله نعما يعظكم به) ما نكرة منصوبة موصوفة بيعظكم به كانه قيل نعم شيأ يعظكم به أوموصولة مرفوعة المحل صلتها ما بعدها أى نعم الشيء الذى يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف أى نعما يعظكم به ذلك وهو المأمور به من أداء الامانات والعدل فى الحكم وبكسر النون وسكون العين مدنى وأبو عمرو وبفتح النون وكسر العين شامى وحمزة وعلى (ان الله كان سميعا) لاقوالكم (بصيرا) باعمالكم ولما أمر الولاة باداء الامانات والحكم بالعدل أمر الناس بان يطيعوهم بقوله (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) أى الولاة أو العلماء لان أمرهم ينفذ على الامراء (فان تنازعتم فى شيء) فان اختلفتم أنتم وأولو الامر فى شيء من أمور الدين (فردوه الى الله والرسول) أى ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أى ان الايمان يوجب الطاعة دون العصيان ودلت الآية على ان طاعة الامراء واجبة اذا وافقوا الحق فاذا خالفوه فلا طاعة لهم لقوله عليه السلام لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وحكى ان مسلمة بن عبد الملك بن مروان قال لابى حازم ألستم أمرتم بطاعتنا بقوله وأولى الامر منكم فقال أبو حازم أليس قد نزعت الطاعة عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله أى القرآن

والرسول

والرسول فى حياته والى احاديثه بعد وفاته (ذلك) اشارة الى الرد أى الرد الى الكتاب والسنة (خير) عاجلا (وأحسن تأويلا) عاقبة كان بين بشر المنافق ويهودى خصومة فدعاه اليهودى الى النبى صلى الله عليه وسلم لعلمه أنه لا يرتشى ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ليرشوه فاحتكما الى النبى عليه السلام فقضى لليهودى فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم الى عمر فقال اليهودى لعمر رضى الله عنه قضى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه فقال عمر للمنافق أكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى أخرج اليكما فدخل عمر فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق فقال هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزل (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) وقال جبريل عليه السلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت الفاروق (يريدون) حال من الضمير فى يزعمون (أن يتحاكموا الى الطاغوت) أى كعب بن الاشرف سماه الله طاغوتا لافراطه فى الطغيان وعداوة رسول الله عليه السلام أو على التشبيه بالشيطان أوجعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل قوله (وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم) عن الحق (ضلالا بعيدا) مستمرا الى الموت (واذا قيل لهم) للمنافقين (تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول) للتحاكم (رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) يعرضون عنك الى غيرك ليغروه بالرشوة فيقضى لهم (فكيف) تكون حالهم وكيف يصنعون (اذا أصابتهم مصيبة) من قتل عمر بشرا (بما قدمت أيديهم) من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك فى الحكم (ثم جاؤك) أى أصحاب القتيل من المنافقين (يحلفون بالله) حال (ان أردنا) ما أردنا بتحاكمنا الى غيرك (الا احسانا) لا اساءة (وتوفيقا) بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغنى عنهم الاعتذار وقيل جاء أولياء المنافق يطلبون بدمه وقد أهدره الله فقالوا ما أردنا بالتحاكم الى عمر الا أن يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به (أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم) من النفاق (فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا) فاعرض عن قبول الاعذار وعظ بالزجر والانكار وبالغ فى وعظهم بالتخويف والانذار أو أعرض عن عقابهم وعظهم فى عتابهم وبلغ كنه ما فى ضميرك من الوعظ بارتكابهم والبلاغة أن يبلغ بلسانه كنه ما فى جنانه وفى أنفسهم يتعلق بقل لهم أى قل لهم فى معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم (وما أرسلنا من رسول) أى رسولا قط (الا ليطاع باذن الله) بتوفيقه فى طاعته وتيسيره أو بسبب اذن الله فى طاعته وبانه أمر المبعوث اليهم بان يطيعوه لانه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله (ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم) بالتحاكم الى الطاغوت (جاؤك) تائبين من النفاق معتذرين عما ارتكبوا من الشقاق (فاستغفروا الله) من

النفاق والشقاق (واستغفر لهم الرسول) بالشفاعة لهم والعامل فى اذ ظلموا خبر ان وهو جاؤك والمعنى ولو وقع مجيئهم فى وقت ظلمهم مع استغفارهم واستغفار الرسول (لوجدوا الله توابا) لعلموه توابا أى لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما لشأنه صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان (رحيما) بهم قيل جاء اعرابى بعد دفنه عليه السلام فرمى بنفسه على قبره وحثا من ترابه على رأسه وقال يارسول الله قلت فسمعنا وكان فيما أنزل عليك ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم الآية وقد ظلمت نفسى وجئتك أستغفر الله من ذنبى فاستغفر لى من ربى فنودى من قبره قد غفر لك (فلا وربك) أى فوربك كقوله فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم وجواب القسم (لا يؤمنون) أو التقدير فلا أى ليس الامر كما يقولون ثم قال وربك لا يؤمنون (حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه (ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا) ضيقا (مما قضيت) أى لا تضيق صدورهم من حكمك أو شكا لان الشاك فى ضيق من أمره حتى يلوح له اليقين (ويسلموا تسليما) وينقادوا لقضائك انقيادا وحقيقته سلم نفسه له وأسلمها أى جعلها سالمة له أى خالصة وتسليما مصدر مؤكد للفعل بمنزلة تكريره كأنه قيل وينقادوا لحكمك انقياد الاشبهة فيه بظاهرهم وباطنهم والمعنى لا يكونوا مؤمنين حتى يرضوا بحكمك وقضائك (ولو أنا كتبنا عليهم) على المنافقين أى ولو وقع كتبنا عليهم (أن اقتلوا) ان هى المفسرة (أنفسكم) أى تعرضوا للقتل بالجهاد أو ولو أوجبنا عليهم مثل ما أوجبنا على بنى اسرائيل من قتلهم أنفسهم (أو اخرجوا من دياركم) بالهجرة (ما فعلوه) لنفاقهم والهاء ضمير أحد مصدرى الفعلين وهو القتل أو الخروج أو ضمير المكتوب لدلالة كتبنا عليه (الا قليل منهم) قليلا شامى على الاستثناء والرفع على البدل من واو فعلوه (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به) من اتباع رسول الله عليه السلام والانقياد لحكمه (لكان خيرا لهم) فى الدارين (وأشد تثبيتا) لايمانهم وأبعد عن الاضطراب فيه (واذا) جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا (لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما) أى ثوابا كثيرا لا ينقطع (ولهديناهم صراطا) مفعول ثان (مستقيما) أى لثبتناهم على الدين الحق (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين) كأفاضل صحابة الانبياء والصديق المبالغ فى صدق ظاهره بالمعاملة وباطنه بالمراقبة أو الذى يصدق قوله بفعله (والشهداء) والذين استشهدوا فى سبيل الله (والصالحين) ومن صلحت أحوالهم وحسنت أعمالهم (وحسن أولئك رفيقا) أى وما أحسن أولئك رفيقا وهو كالصديق والخليط فى استواء الواحد والجمع فيه (ذلك) مبتدأ خبره (الفضل من الله) أو الفضل صفته ومن الله خبره والمعنى ان ما أعطى المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل به عليهم أو أراد أن فضل المنعم عليهم ومرتبتهم من الله (وكفى بالله عليما) بعباده وبمن هو أهل الفضل ودلت الآية

على ان مايفعل الله بعباده فهو فضل منه بخلاف مايقوله المعتزلة (يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم) الحذر والحذر بمعنى وهو التحرز وهما كالاثر والاثر يقال أخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر آلته التى يقى بها نفسه و يعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو (فانفروا ثبات) فاخرجوا الى العدو جماعات متفرقة سرية بعد سرية فالثبات الجماعات واحدها ثبة (أوانفروا جميعا) أى مجتمعين أو مع النبى عليه السلام لان الجمع بدون السمع لايتم والعقد بدون الواسطة لاينتظم أوانفروا ثبات اذا لم يعم النفير أوانفروا جميعا اذا عم النفير وثبات حال وكذا جميعا واللام فى (وان منكم لمن) للابتداء بمنزلتها فى ان الله لغفور ومن موصولة وفى (ليبطئن) جواب قسم محذوف تقديره وان منكم لمن أقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها اليه مااستكن فى ليبطئن أى ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد و بطؤ بمعنى أبطأ أى تأخر و يقال ما بطؤ بك فيتعدى بالباء والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله منكم أى فى الظاهر دون الباطن يعنى المنافقين يقولون لم تقتلون أنفسكم تأنوا حتى يظهر الامر (فان أصابتكم مصيبة) قتل أوهزيمة (قال) المبطئ (قد أنعم الله على اذلم أكن معهم شهيدا) حاضرا فيصيبنى مثل ماأصابهم (ولئن أصابكم فضل من الله) فتح أوغنيمة (ليقولن) هذا المبطئ متأسفا على مافاته من الغنيمة لا طلبا للمثوبة (كأن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى كأنه (لم يكن) وبالتاء مكى وحفص (بينكم و بينه مودة) وهى اعتراض بين الفعل وهو ليقولن و بين مفعوله وهو (ياليتنى كنت معهم) والمعنى كأن لم يتقدم له معكم موادة لان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين فى الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل فى الباطن (فأفوز) بالنصب لانه جواب التمنى (فوزا عظيما) فآخذ من الغنيمة حظا وافرا (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون) يبيعون (الحيوة الدنيا بالآخرة) والمراد المؤمنون الذين يستحبون الحياة الآجلة على العاجلة و يستبدلونها بها أى ان صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون أو يشترون والمراد المنافقون الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق و يخلصوا الايمان بالله ورسوله و يجاهدوا فى سبيل الله حق جهاده (ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما) وعد الله المقاتل فى سبيل الله ظافرا أومظفورا به ايتاء الاجر العظيم على اجتهاده فى اعزاز دين الله (ومالكم) مبتدأ وخبر وهذا الاستفهام فى النفى للتنبيه على الاستبطاء وفى الاثبات للانكار (لاتقاتلون فى سبيل الله) حال والعامل فيها الاستقرار كما تقول مالك قائما والمعنى وأى شئ لكم تاركين القتال وقد ظهرت دواعيه (والمستضعفين) مجرور بالعطف على سبيل الله أى فى سبيل الله وفى خلاص المستضعفين أومنصوب على الاختصاص منه أى واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين من المستضعفين لان سبيل الله عام فى كل خير وخلاص المسلمين من أيدى الكفار من أعظم الخير وأخصه والمستضعفون هم الذين

أسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد (من الرجال والنساء والولدان) ذكر الولدان تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وأمهاتهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم فى دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس عليه السلام وعن ابن عباس رضى الله عنهما كنت أنا وأمى من المستضعفين من النساء والولدان (الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية) يعنى مكة (الظالم أهلها) الظالم وصف للقرية الا انه مسند الى أهلها فاعطى اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التى ظلم أهلها (واجعل لنا من لدنك وليا) يتولى أمرنا ويستنقذنا من أعدائنا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) ينصرنا عليهم كانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقى بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولى وناصر وهو محمد عليه السلام فتولاهم أحسن التولى ونصرهم أقوى النصر ولما خرج محمد صلى الله عليه وسلم استعمل عتاب بن أسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما أرادوا قال ابن عباس رضى الله عنهما كان ينصر الضعيف من القوى حتى كانوا أعز بها من الظلمة ثم رغب الله المؤمنين بانهم يقاتلون فى سبيل الله فهو وليهم وناصرهم وأعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولى لهم الا الشيطان بقوله (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت) أى الشيطان (فقاتلوا أولياء الشيطان) أى الكفار (ان كيد الشيطان) أى وساوسه وقيل الكيد السعى فى فساد الحال على جهة الاحتيال (كان ضعيفا) لانه غرور لا يؤول الى محصول أو كيده فى مقابلة نصر الله ضعيف كان المسلمون مكفوفين عن القتال مع الكفار ماداموا بمكة وكانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه فنزل (ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) أى عن القتال (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال) أى فرض بالمدينة (اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله) يخافون أن يقاتلهم الكفار كما يخافون أن ينزل الله عليهم بأسه لا شكا فى الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت قال الشيخ أبو منصور رحمه الله هذه خشية طبع لا أن ذلك منهم كراهة لحكم الله وأمره اعتقادا فالمرء مجبول على كراهة ما فيه خوف هلاكه غالبا وخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول ومحله النصب على الحال من الضمير فى يخشون أى يخشون الناس مثل خشية الله أى مشبهين لاهل خشية الله (أو أشد خشية) هو معطوف على الحال أى أو أشد خشية من أهل خشية الله وأو للتخيير أى ان قلت خشيتهم الناس كخشية الله فانت مصيب وان قلت انها أشد فانت مصيب لانه حصل لهم مثلها وزيادة (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب) هلا امهلتنا الى الموت فنموت على الفرش وهو سؤال عن وجه الحكمة فى فرض القتال عليهم لا اعتراض لحكمه بدليل انهم لم يوبخوا على هذا السؤال بل أجيبوا بقوله (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن

اتقى) متاع الدنيا قليل زائل ومتاع الآخرة كثير دائم والكثير اذا كان على شرف الزوال فهو قليل فكيف القليل الزائل (ولا تظلمون فتيلا) ولا تنقصون أدنى شيء من أجوركم على مشاق القتل فلا ترغبوا عنه وبالياء مكي وحمزة وعلي ثم أخبر أن الحذر لا ينجي من القدر بقوله (أينما تكونوا يدرككم الموت) ما زائدة لتوكيد معنى الشرط في أين (ولو كنتم في بروج) حصون أو قصور (مشيدة) مرفعة (وان تصبهم حسنة) نعمة من خصب ورخاء (يقولوا هذه من عند الله) نسبوها الى الله (وان تصبهم سيئة) بلية من قحط وشدة (يقولوا هذه من عندك) أضافوها اليك وقالوا هذه من عندك وما كانت الا بشؤمك وذلك أن المنافقين واليهود كانوا اذا أصابهم خير حمدوا الله تعالى واذا أصابهم مكروه نسبوه الى محمد صلى الله عليه وسلم فكذبهم الله تعالى بقوله (قل كل من عند الله) والمضاف اليه محذوف أي كل ذلك فهو يبسط الارزاق ويقبضها (فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون) يفهمون (حديثا) فيعلمون ان الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة ثم قال (ما أصابك) يا انسان خطابا عاما وقال الزجاج المخاطب به النبي عليه السلام والمراد غيره (من حسنة) من نعمة واحسان (فمن الله) تفضلا منه وامتنانا (وما أصابك من سيئة) من بلية ومصيبة (فمن نفسك) فمن عندك أي فبما كسبت يداك وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم (وأرسلناك للناس رسولا) لا مقدرا حتى نسبوا اليك الشدة أو أرسلناك للناس رسولا فاليك تبليغ الرسالة وليس اليك الحسنة والسيئة (وكفى بالله شهيدا) بانك رسوله وقيل هذا متصل بالاول أي لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما أصابك وحمل المعتزلة الحسنة والسيئة في الآية الثانية على الطاعة والمعصية تعسف بين وقد نادى عليه ما أصابك اذ قال في الافعال ما أصبت ولانهم لا يقولون الحسنات من الله خلقا وايجادا فانى يكون لهم حجة في ذلك وشهيدا تمييز (من يطع الرسول فقد أطاع الله) لانه لا يامر ولا ينهى الا بما أمر الله به ونهى عنه فكانت طاعته في أوامره ونواهيه طاعة لله (ومن تولى) عن الطاعة فاعرض عنه (فما أرسلناك عليهم حفيظا) تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم (ويقولون) ويقول المنافقون اذا أمرتهم بشيء (طاعة) خبر مبتدا محذوف أي أمرنا وشأننا طاعة (فاذا برزوا) خرجوا (من عندك بيت طائفة منهم) زور وسوى فهو من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل أو من أبيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها وبالادغام حمزة وأبو عمرو (غير الذي تقول) خلاف ما قلت وما أمرت به أو خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لانهم أبطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون (والله يكتب ما يبيتون) يثبته في صحائف أعمالهم ويجازيهم عليه (فأعرض عنهم) ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم (وتوكل على الله) في شأنهم فان الله يكفيك مضرتهم وينتقم لك منهم اذا قوي أمر الاسلام (وكفى بالله وكيلا) كافيا لمن توكل عليه (أفلا يتدبرون القرآن) افلا يتأملون في معانيه ومبانيه والتدبر التأمل والنظر في ادبار الامر وما يؤول اليه في عاقبته ثم

استعمل فى كل تأمل والتفكر تصرف القلب بالنظر فى الدلائل وهذا يرد قول من زعم من الروافض ان القرآن لا يفهم معناه الا بتفسير الرسول صلى الله عليه وسلم والامام المعصوم ويدل على صحة القياس وعلى بطلان التقليد (ولو كان من عند غير الله) كما زعم الكفار (لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) أى تناقضا من حيث التوحيد والتشريك والتحليل والتحريم أو تفاوتا من حيث البلاغة فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته أو من حيث المعانى فكان بعضه اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعانى وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم وأما تعلق الملحدة بآيات يدعون فيها اختلافا كثيرا من نحو قوله فاذا هى ثعبان مبين كأنها جان فوربك لنسألنهم أجمعين فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فقد تفصى عنها أهل الحق وستجدها مشروحة فى كتابنا هذا فى مظانها ان شاء الله تعالى (واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف) هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالاحوال أو المنافقون كانوا اذا بلغهم خبر من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمن وسلامة أو خوف وخلل (أذاعوا به) أفشوه وكانت اذاعتهم مفسدة يقال أذاع السر وأذاع به والضمير يعود الى الامر أو الى الامن أو الخوف لان أو تقتضى أحدهما (ولو ردوه) أى ذلك الخبر (الى الرسول) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم (والى أولى الامر منهم) يعنى كبراء الصحابة البصراء بالامور أو الذين كانوا يؤمرون منهم (لعلمه) لعلم تدبير ما أخبروا به (الذين يستنبطونه منهم) يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولى الامر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء أو على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر وفوضوه اليهم وكانوا كأن لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه والنبط الماء الذى يخرج من البئر أول ما تحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعانى والتدابير فيما يعضل (ولولا فضل الله عليكم) بارسال الرسول (ورحمته) بانزال الكتاب (لاتبعتم الشيطان) لبقيتم على الكفر (الا قليلا) لم يتبعوه ولكن آمنوا بالعقل كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وغيرهما لما ذكر فى الآى قبلها تثبطهم عن القتال واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال (فقاتل فى سبيل الله) ان أفردوك وتركوك وحدك (لا تكلف الا نفسك) غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله تعالى ناصرك لا الجنود وقيل دعا الناس فى بدر الصغرى الى الخروج وكان أبو سفيان واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللقاء فيها فكره بعض الناس أن يخرجوا فنزلت فخرج وما معه الا سبعون ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده (وحرض المؤمنين) وما عليك فى شأنهم الا التحريض على القتال فحسب لا التعنيف بهم (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) أى بطشهم وشدتهم وهم قريش

وقد كف بأسهم بالرعب فلم يخرجوا وعسى كلمة مطمعة غير ان اطماع الكريم أعود من انجاز اللئيم (والله أشد بأسا) من قريش (وأشد تنكيلا) تعذيبا وهو تمييز كبأسا (من يشفع شفاعة حسنة) هي الشفاعة في دفع شر أو جلب نفع مع جوازها شرعا (يكن له نصيب منها) من ثواب الشفاعة (ومن يشفع شفاعة سيئة) هي خلاف الشفاعة الحسنة قال ابن عباس رضي الله عنهما الحسنة غيري معناه من أمر بالتوحيد وقاتل أهل الكفر وضده السيئة وقال الحسن هو المشي بالصلح وضده النميمة (يكن له كفل منها) نصيب (وكان الله على كل شيء مقيتا) مقتدرا من أقات على الشيء اقتدر عليه أو حفيظا من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها (واذا حييتم) أي سلم عليكم فان التحية في ديننا بالسلام في الدارين فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله تحيتهم يوم يلقونه سلام وكانت العرب تقول عند اللقاء حياك الله أي أطال الله حياتك فابدل ذلك بعد الاسلام بالسلام (بتحية) هي تفعلة من حيا يحيي تحية (فحيوا بأحسن منها) أي قولوا وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وزيدوا وبركاته اذا قال ورحمة الله ويقال لكل شيء منتهى ومنتهى السلام وبركاته (أوردوها) أي أجيبوها بمثلها اورد السلام جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم وفيه حذف مضاف أي ردوا مثلها والتسليم سنة والرد فريضة والاحسن فضل وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القرآن جهرا أو رواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعند أبي يوسف رحمه الله لا يسلم على لاعب الشطرنج والنرد والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر في حمام أو غيره ويسلم الرجل اذا دخل على امرأته والماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وقيل باحسن منها لاهل الملة أوردوها لاهل الذمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم أي وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون السام عليكم وقوله عليه السلام لا غرار في تسليم أي لا يقال عليك بل عليكم لان كاتبيه معه (ان الله كان على كل شيء حسيبا) أي يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها (الله) مبتدأ (لا اله الا هو) خبر أو اعتراض والخبر (ليجمعنكم) ومعناه الله والله ليجمعنكم (الى يوم القيامة) أي ليحشرنكم اليه والقيامة القيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور أو قيامهم للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين (لا ريب فيه) هو حال من يوم القيامة والهاء يعود الى اليوم أو صفة لمصدر محذوف أي جمعا لا ريب فيه والهاء يعود الى الجمع (ومن أصدق من الله حديثا) تمييز وهو استفهام بمعنى النفي أي لا أحد أصدق منه في اخباره ووعده ووعيده لاستحالة الكذب عليه لقبحه لكونه اخبارا عن الشيء بخلاف ما هو عليه (فالكم) مبتدأ وخبر (في المنافقين فئتين) أي ما لكم اختلفتم في شأن قوم قد نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيهم فرقتين وما لكم لم تقطعوا القول بكفرهم وذلك ان قوما من المنافقين استأذنوا

رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو ومعتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وفئتين حال كقولك مالك قائما قال سيبويه اذا قلت مالك قائما فمعناه لم قمت ونصبه على تأويل أي شيء يستقر لك في هذه الحال (والله أركسهم) ردهم الى حكم الكفار (بما كسبوا) من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين فردوهم أيضا ولا تختلفوا في كفرهم (أتريدون أن تهدوا) أن تجعلوا من جملة المهتدين (من أضل الله) من جعله الله ضالا أو أتريدون أن تسموهم مهتدين وقد أظهر الله ضلالهم فيكون تعييرا لمن سماهم مهتدين والآية تدل على مذهبنا في اثبات الكسب للعبد والخلق للرب جلت قدرته (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) طريقا الى الهداية (ودوا لو تكفرون كما كفروا) الكاف نعت لمصدر محذوف وما مصدرية أي ودوا لو تكفرون كفرا مثل كفرهم (فتكونون) عطف على تكفرون (سواء) أي مستوين أنتم وهم في الكفر (فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله) فلا توالوهم حتى يؤمنوا لأن الهجرة في سبيل الله بالاسلام (فان تولوا) عن الايمان (فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم) كما كان حكم سائر المشركين (ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا) وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم (الا الذين يصلون الى قوم) أي ينتهون اليهم ويتصلون بهم والاستثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم دون الموالاة (بينكم وبينهم ميثاق) القوم هم الاسلميون كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وذلك انه وادع قبل خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه وعلى أن من وصل الى هلال والتجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال أي فاقتلوهم الا من اتصل بقوم بينكم وبينهم ميثاق (أو جاؤكم) عطف على صفة قوم أي الا الذين يصلون الى قوم معاهدين أو قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم أو على صلة الذين أي الا الذين يتصلون بالمعاهدين أو الذين لا يقاتلونكم (حصرت صدورهم) حال باضمار قد والحصر الضيق والانقباض (أن يقاتلوكم) عن أن يقاتلوكم أي عن قتالكم (أو يقاتلوا قومهم) معكم (ولو شاء الله لسلطهم عليكم) بتقوية قلوبهم وازالة الحصر عنها (فلقاتلوكم) عطف على لسلطهم ودخول اللام للتأكيد (فان اعتزلوكم) فان لم يتعرضوا لكم (فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم) أي الانقياد والاستسلام (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) طريقا الى القتال (ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم) بالنفاق (ويأمنوا قومهم) بالوفاق هم قوم من أسد وغطفان كانوا اذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم (كلما ردوا الى الفتنة) كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين (أركسوا فيها) قلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو (فان لم يعتزلوكم) فان لم يعتزلوا قتالكم (ويلقوا اليكم السلم) عطف على لم يعتزلوكم أي وان لم ينقادوا لكم بطلب الصلح (ويكفوا أيديهم) عطف عليه أيضا أي ولم يمسكوا عن قتالكم (فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم)

حيث

حيث تمكنتم منهم وظفرتم بهم (وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم بالمسلمين أو تسلطا ظاهرا حيث أذنا لكم في قتلهم (وما كان لمؤمن) وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله (ان يقتل مؤمنا) ابتداء من غير قصاص أي ليس المؤمن كالكافر الذي تقدم اباحة دمه (الا خطأ) لا على وجه الخطا وهو استثناء منقطع بمعنى لكن أي لكن ان وقع خطأ ويحتمل ان يكون صفة لمصدر أي الا قتلا خطأ والمعنى من شأن المؤمن ان ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء ألبتة الا اذا وجد منه خطأ من غير قصد بان يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرمي شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم (ومن قتل مؤمنا خطأ) صفة مصدر محذوف أي قتلا خطأ (فتحرير رقبة) مبتدأ والخبر محذوف أي فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللؤم في العبيد ومنه عتاق الطير وعتاق الخيل لكرامها والرقبة النسمة ويعبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق (مؤمنة) قيل لما أخرج نفسا مؤمنة من جملة الاحياء لزمه أن يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق ملحق بالاموات اذ الرق أثر من آثار الكفر والكفر موت حكما او من كان ميتا فأحييناه ولهذا منع من تصرف الاحرار وهذا مشكل اذ لو كان كذلك لوجب في العمد أيضا لكن يحتمل أن يقال انما وجب عليه ذلك لان الله تعالى أبقى للقاتل نفسا مؤمنة حيث لم يوجب القصاص فاوجب عليه مثلها رقبة مؤمنة (ودية مسلمة الى أهله) مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شئ فيقضى منها الدين وتنفذ الوصية واذا لم يبق وارث فهي لبيت المال وقد ورث رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها أشيم لكن الدية على العاقلة والكفارة على القاتل (الا أن يصدقوا) الا ان يتصدقوا عليه بالدية أي يعفوا عنه والتقدير فعليه دية في كل حال الا في حال التصدق عليه بها (فان كان من قوم عدو لكم) فان كان المقتول خطأ من قوم أعداء لكم أي كفرة فالعدو يطلق على الجمع (وهو مؤمن) أي المقتول مؤمن (فتحرير رقبة مؤمنة) يعني اذا أسلم الحربي في دار الحرب ولم يهاجر الينا فقتله مسلم خطأ تجب الكفارة بقتله للعصمة المؤثمة وهي الاسلام ولا تجب الدية لان العصمة المقومة بالدار ولم توجد (وان كان) أي المقتول (من قوم بينكم) بين المسلمين (وبينهم ميثاق) عهد (فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة) أي وان كان المقتول ذميا فحكمه حكم المسلم وفيه دليل على ان دية الذمي كدية المسلم وهو قولنا (فمن لم يجد) رقبة أي لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها (فصيام شهرين) فعليه صيام شهرين (متتابعين توبة من الله) قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه أو فليتب توبة فهي نصب على المصدر (وكان الله عليما) بما أمر (حكيما) فيما قدر (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) حال من ضمير القاتل أي قاصدا قتله لايمانه وهو كفر أو قتله مستحلا لقتله وهو كفر أيضا (فجزاؤه

جهنم خالدا فيها) أي ان جازاه قال عليه السلام هي جزاؤه ان جازاه والخلود قد يراد به طول المقام وقول المعتزلة بالخروج من الايمان يخالف قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى (وغضب الله عليه ولعنه) أي انتقم منه وطرده من رحمته (واعدله عذابا عظيما) لارتكابه أمرا عظيما وخطبا جسيما في الحديث لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم (يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله) سرتم في طريق الغزو (فتبينوا) فتثبتوا حمزة وعلى وهما من التفعل بمعنى الاستفعال أي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تهوكوا فيه (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام) السلم مدنى وشامي وحمزة وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذي هو تحية أهل الاسلام (لست مؤمنا) في موضع النصب بالقول وروى ان مرداس بن نهيك أسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى منعرج من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الآية على اسامة (تبتغون عرض الحيوة الدنيا) تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه والعرض المال سمي به لسرعة فنائه وتبتغون حال من ضمير الفاعل في تقولوا (فعند الله مغانم كثيرة) يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله (كذلك كنتم من قبل) أول ما دخلتم في الاسلام سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لالسنتكم والكاف في كذلك خبر كان وقد تقدم عليها وعلى اسمها (فمن الله عليكم) بالاستقامة والاشتهار بالايمان فافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم (فتبينوا) كرر الامر بالتبين ليؤكد عليهم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك (لا يستوي القاعدون) عن الجهاد (من المؤمنين غير أولي الضرر) بالنصب مدنى وشامي وعلى لانه استثناء من القاعدين أو حال منهم وبالجر عن حمزة صفة للمؤمنين وبالرفع غيرهم صفة للقاعدين والضرر المرض أو العاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها (والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وأنفسهم) عطف على القاعدون ونفي التساوي بين المجاهد والقاعد بغير عذر وان كان معلوما توبيخا للقاعد عن الجهاد وتحريكا له عليه ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فهو تحريك لطالب العلم وتوبيخ على الرضا بالجهل (فضل الله المجاهدين باموالهم وأنفسهم على القاعدين) ذكر هذه الجملة بيانا للجملة الاولى موضحة لما نفى من استواء القاعدين والمجاهدين كانه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك (درجة) نصب على المصدر لوقوعها موقع المرة من التفضيل كانه قيل فضلهم تفضلة كقولك ضربه سوطا ونصب (وكلا) أي وكل فريق من القاعدين والمجاهدين لانه

مفعول أول لقوله (وعد الله) والثانى (الحسنى) أى المثوبة الحسنى وهى الجنة وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة (وفضل الله المجاهدين على القاعدين) بغير عذر (أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة) قيل انتصب أجرا بفضل لانه فى معنى أجرهم أجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من أجرا أو انتصب درجات نصب درجة كانه قيل فضلهم تفضيلات كقولك ضربه أسواطا أى ضربات وأجرا عظيما على انه حال من النكرة التى هى درجات مقدمة عليها مغفرة ورحمة باضمار فعلهما أى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة وحاصله ان الله تعالى فضل المجاهدين على القاعدين بعذر درجة وعلى القاعدين بغير عذر بامر النبى عليه السلام اكتفاء بغيرهم درجات لان الجهاد فرض كفاية (وكان الله غفورا) بتكفير العذر (رحيما) بتوفير الاجر ونزل فيمن أسلم ولم يهاجر حين كانت الهجرة فريضة وخرج مع المشركين الى بدر مرتدا فقتل كافرا (ان الذين توفاهم الملائكة) يجوز أن يكون ماضيا لقراءة من قرأ توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم وحذفت التاء الثانية لاجتماع التاءين والتوفى قبض الروح والملائكة ملك الموت وأعوانه (ظالمى أنفسهم) حال من ضمير المفعول فى توفاهم أى فى حال ظلمهم أنفسهم بالكفر وترك الهجرة (قالوا) أى الملائكة للمتوفين (فيم كنتم) أى فى أى شئ كنتم فى أمر دينكم ومعناه التوبيخ بانهم لم يكونوا فى شئ من الدين (قالوا كنا مستضعفين) عاجزين عن الهجرة (فى الارض) أرض مكة فاخرجونا كارهين (قالوا) أى الملائكة موبخين لهم (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) أرادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التى لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصب فتهاجروا على جواب الاستفهام (فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) خبران فاولئك ودخول الفاء لما فى الذين من الابهام المشابه بالشرط أو قالوا فيم كنتم والعائد محذوف أى قالوا لهم والآية تدل على ان من لم يتمكن من اقامة دينه فى بلد كما يجب وعلم انه يتمكن من اقامته فى غيره حقت عليه المهاجرة وفى الحديث من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه ابراهيم ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) استثنى من أهل الوعيد المستضعفين الذين (لا يستطيعون حيلة) فى الخروج منها لفقرهم وعجزهم (ولا يهتدون سبيلا) ولا معرفة لهم بالمسالك ولا يستطيعون صفة للمستضعفين أو للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس بشئ بعينه كقوله * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * (فاولئك عسى الله أن يعفو عنهم) وعسى وان كان للاطماع فهو من الله واجب لان الكريم اذا أطمع أنجز (وكان الله عفوا غفورا) لعباده قبل أن يخلقهم (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما) مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه أى يفارقهم على رغم أنوفهم والرغم الذل والهوان وأصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة

تلحقه بذلك (كثيراوسعة) فى الرزق أوفى اظهار الدين أوفى الصدر لتبدل الخوف بالامن (ومن يخرج من بيته مهاجرا) حال من الضمير فى يخرج (الى الله ورسوله) الى حيث أمر الله ورسوله (ثم يدركه الموت) قبل بلوغه مهاجره وهو عطف على يخرج (فقد وقع أجره على الله) أى حصل له الاجر بوعد الله وهو تأكيد للوعد فلا شئ يجب على الله لاحد من خلقه (وكان الله غفورا رحيما) قالوا كل هجرة لطلب علم أوحج أوجهاد أوفرار الى بلد يزداد فيه طاعة أوقناعة أوزهدا أوابتغاء رزق طيب فهى هجرة الى الله ورسوله وان أدركه الموت فى طريقه فقد وقع أجره على الله (واذا ضربتم فى الارض) سافرتم فيها فالضرب فى الارض هو السفر (فليس عليكم جناح) حرج (أن تقصروا) فى أن تقصروا (من الصلوة) من أعداد ركعات الصلاة فتصلوا الرباعية ركعتين وظاهر الآية يقتضى ان القصر رخصة فى السفر والاكمال عزيمة كما قال الشافعى رحمه الله لان لاجناح يستعمل فى موضع التخفيف والرخصة لافى موضع العزيمة وقلنا القصر عزيمة غير رخصة ولايجوز الاكمال لقول عمر رضى الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم وأما الآية فكأنهم ألفوا الاتمام فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم أن عليهم نقصانا فى القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب أنفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه (ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) ان خشيتم أن يقصدكم الكفار بقتل أوجرح أوأخذ والخوف شرط جواز القصر عند الخوارج بظاهر النص وعند الجمهور ليس بشرط لما روى عن يعلى بن أمية أنه قال لعمر مابالنا نقصر وقد أمنا فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وفيه دليل على أنه لايجوز الاكمال فى السفر لان التصدق بما لايحتمل التمليك اسقاط محض لايحتمل الرد وان كان المتصدق ممن لاتلزم طاعته كولى القصاص اذا عفا فمن تلزم طاعته أولى ولان حالهم حين نزول الآية كذلك فنزلت على وفق الحال وهو كقوله ان أردن تحصنا دليله قراءة عبد الله من الصلاة أن يفتنكم أى لان لايفتنكم على ان المراد بالآية قصر الاحوال وهو ان يومى على الدابة عند الخوف أو يخفف القراءة والركوع والسجود والتسبيح كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) فتحرزوا عنهم (واذا كنت) يامحمد (فيهم) فى أصحابك (فأقمت لهم الصلوة) فاردت أن تقيم الصلاة بهم وبظاهره تعلق أبو يوسف رحمه الله فلا يرى صلاة الخوف بعده عليه السلام وقالا الائمة نواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل عصر فكان الخطاب له متناولا لكل امام كقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم دليله فعل الصحابة رضى الله عنهم بعده عليه السلام (فلتقم طائفة منهم معك) فاجعلهم طائفتين فلتقم احداهما معك فصل بهم وتقوم طائفة تجاه العدو (وليأخذوا أسلحتهم) أى الذين تجاه العدو عن ابن عباس رضى الله عنهما وان كان المراد به المصلين فقالوا يأخذون من السلاح مالا يشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر ونحوهما (فاذا سجدوا) أى قيدوا ركعتهم بسجدتين

فالسجود

فالسجود على ظاهره عندنا وعند مالك بمعنى الصلاة (فليكونوا من ورائكم) أى اذا صلت هذه الطائفة التى معك ركعة فليرجعوا ليقفوا بازاء العدو (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا) فى موضع رفع صفة لطائفة (فليصلوا معك) أى ولتحضر الطائفة الواقفة بازاء العدو فليصلوا معك الركعة الثانية (وليأخذوا حذرهم) ما يتحرزون به من العدو كالدرع ونحوه (وأسلحتهم) جمع سلاح وهو ما يقاتل به وأخذ السلاح شرط عند الشافعى رحمه الله وعندنا مستحب وكيفية صلاة الخوف معروفة (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم) أى تمنوا أن ينالوا منكم غرة فى صلاتكم (فيميلون عليكم ميلة واحدة) فيشدون عليكم شدة واحدة (ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا) فى أن تضعوا (أسلحتكم وخذوا حذركم) رخص لهم فى وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر أو يضعفهم من مرض وأمرهم مع ذلك باخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو (ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) أخبر أنه يهين عدوهم لتقوى قلوبهم وليعلموا أن الامر بالحذر ليس لتوقع غلبتهم عليهم وانما هو تعبد من الله تعالى (فاذا قضيتم الصلوة) فرغتم منها (فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) أى دوموا على ذكر الله فى جميع الاحوال أو فاذا أردتم أداء الصلاة فصلوا قياما ان قدرتم عليه وقعودا ان عجزتم عن القيام ومضطجعين ان عجزتم عن القعود (فاذا اطمأننتم) سكنتم بزوال الخوف (فأقيموا الصلوة) فاتموها بطائفة واحدة أو اذا أقمتم فاتموا ولا تقصروا أو اذا اطمأننتم بالصحة فاتموا القيام والركوع والسجود (ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) مكتوبا محدودا بأوقات معلومة (ولا تهنوا) ولا تضعفوا ولا تتوانوا (فى ابتغاء القوم) فى طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم ألزمهم الحجة بقوله (ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون) أى ليس ما تجدون من الالم بالجرح والقتل مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم انهم يصبرون عليه فمالكم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم أجدر منهم بالصبر لانكم ترجون من الله ما لا يرجون من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب العظيم فى الآخرة (وكان الله عليما) بما يجد المؤمنون من الالم (حكيما) فى تدبير أمورهم روى ان طعمة بن أبيرق أحد بنى ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودى فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودى فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل فنزل (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) أى محقا (لتحكم بين الناس بما أراك الله) بما عرفك وأوحى به اليك وقال الشيخ

أبو منصور رحمه الله بما ألهمك بالنظر في أصوله المنزلة وفيه دلالة جواز الاجتهاد في حقه (ولا تكن للخائنين) لاجل الخائنين (خصيما) مخاصما أي ولا تخاصم اليهود لاجل بني ظفر (واستغفر الله) مما هممت به (ان الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) يخونونها بالمعصية جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم لان الضرر راجع اليهم والمراد به طعمة ومن عاونه من قومه وهم يعلمون أنه سارق أوذكر بلفظ الجمع لتناول طعمة وكل من خان خيانته (ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما) وانما قيل بلفظ المبالغة لانه تعالى عالم من طعمة أنه مفرط في الخيانة وركوب المآثم وروى أن طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات وعن عمر رضي الله عنه انه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكي وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة (يستخفون) يستترون (من الناس) حياء منهم وخوفا من ضررهم (ولا يستخفون من الله) ولا يستحيون منه (وهو معهم) وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ماهم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم أنهم في حضرته لا سترة ولا غيبة (اذ يبيتون) يدبرون وأصله أن يكون ليلا (ما لا يرضى من القول) وهو تدبير طعمة أن يرمي بالدرع في دار زيد ليسرّق دونه ويحلف انه لم يسرقها وهو دليل على أن الكلام هو المعنى القائم بالنفس حيث سمى التدبير قولا (وكان الله بما يعملون محيطا) عالما علم احاطة (ها أنتم هؤلاء) ها للتنبيه في أنتم وأولاء وهما مبتدأ وخبر (جادلتم) خاصمتم وهي جملة مبينة لوقوع أولاء خبرا كقولك لبعض الاسخياء أنت حاتم تجود بمالك أو أولاء اسم موصول بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا أنكم خاصمتم (عنهم) عن طعمة وقومه (في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) فمن يخاصم عنهم في الآخرة اذا أخذهم الله بعذابه وقرئ عنه أي عن طعمة (أم من يكون عليهم وكيلا) حافظا ومحاميا من بأس الله وعذابه (ومن يعمل سوأ) ذنبا دون الشرك (أو يظلم نفسه) بالشرك أو سوأ قبيحا يتعدى ضرره الى الغير كما فعل طعمة بقتادة واليهودي أو يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب (ثم يستغفر الله) يسأل مغفرته (يجد الله غفورا رحيما) له وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة (ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه) لان وباله عليها (وكان الله عليما حكيما) فلا يعاقب بالذنب غير فاعله (ومن يكسب خطيئة) صغيرة (أو اثما) أو كبيرة أو الاول ذنب بينه وبين ربه والثاني ذنب في مظالم العباد (ثم يرم به بريأ) كما رمى طعمة زيدا (فقد احتمل بهتانا) كذبا عظيما (واثما مبينا) ذنبا ظاهرا وهذا لانه بكسب الاثم آثم وبرمي البرىء باهت فهو جامع بين الامرين والبهتان كذب يبهت من قيل عليه ما لا علم له به (ولولا فضل الله عليك ورحمته) أي عصمته ولطفه من الاطلاع على سرهم (لهمت طائفة منهم) من بني ظفر او المراد بالطائفة بنو ظفر والضمير في منهم يعود الى الناس (ان يضلوك) عن القضاء

بالحق

بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بأن الجاني صاحبهم (وما يضلون الا أنفسهم) لان وباله عليهم (وما يضرونك من شئ) لانك انما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك (وأنزل الله عليك الكتاب) القرآن (والحكمة) والسنة (وعلمك مالم تكن تعلم) من أمور الدين والشرائع أومن خفيات الامور وضمائر القلوب (وكان فضل الله عليك عظيما) فيما علمك وأنعم عليك (لاخير في كثير من نجواهم) من تناجي الناس (الا من أمر بصدقة) الا نجوى من أمر وهو مجرور بدل من كثير أو من نجواهم أو منصوب على الانقطاع بمعنى ولكن من أمر بصدقة ففي نجواه الخير (أو معروف) أى قرض أو اغاثة ملهوف أو كل جميل أو المراد بالصدقة الزكاة وبالمعروف التطوع (أو اصلاح بين الناس) أى اصلاح ذات البين (ومن يفعل ذلك) المذكور (ابتغاء مرضات الله) طلب رضا الله وخرج عنه من فعل ذلك رياء أو ترؤسا وهو مفعول له والاشكال انه قال الا من أمر ثم قال ومن يفعل ذلك والجواب انه ذكر الامر بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم أدخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم أو المراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الامر بالفعل (فسوف نؤتيه أجرا عظيما) يؤتيه أبو عمرو وحمزة (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى) ومن يخالف الرسول من بعد وضوح الدليل وظهور الرشد (ويتبع غير سبيل المؤمنين) أى السبيل الذى هم عليه من الدين الحنيفي وهو دليل على ان الاجماع حجة لاتجوز مخالفتها كما لاتجوز مخالفة الكتاب والسنة لان الله تعالى جمع بين اتباع غير سبيل المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول (نوله ماتولى) نجعله واليا لما تولى من الضلال وندعه وما اختاره في الدنيا (ونصله جهنم) في العقبى (وساءت مصيرا) قيل هى في طعمة وارتداده (ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) مر تفسيره في هذه السورة (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الصواب (ان يدعون من دونه) مايعبدون من دون الله (الا اناثا) جمع أنثى وهى اللات والعزى ومناة ولم يكن حي من العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه أنثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في أصنامهم هن بنات الله (وان يدعون) يعبدون (الا شيطانا) لانه هو الذى أغراهم على عبادة الاصنام فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة (مريدا) خارجا عن الطاعة عاريا عن الخير ومنه الامرد (لعنه الله وقال لأتخذن) صفتان يعني شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع (من عبادك نصيبا مفروضا) مقطوعا واجبا لي من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وواحد لله (ولأضلنهم) بالدعاء الى الضلالة والتزيين والوسوسة ولو كان انفاذ الضلالة اليه لأضل الكل (ولأمنينهم) ولالقين في قلوبهم الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الآمال (ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام) البتك القطع والتبتيك للتكثير والتكرير أى لاحملنهم على أن يقطعوا آذان الانعام وكانوا يشقون آذان الناقة اذا ولدت خمسة أبطن

وجاء الخامس ذكرا وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) بفقء عين الحامي واعفائه عن الركوب أو بالخصاء وهو مباح في البهائم محظور في بني آدم أو بالوشم أو بنفي الانساب واستلحاقها أو بتغيير الشيب بالسواد أو بالتحريم والتحليل أو بالتخنث أو بتبديل فطرة الله التي هي دين الاسلام لقوله لا تبديل لخلق الله (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله) وأجاب الى ما دعاه اليه (فقد خسر خسرانا مبينا) في الدارين (يعدهم) يوسوس اليهم أن لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب (ويمنيهم) ما لا ينالون (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) هو أن يرى شيأ يظهر خلافه (أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا) معدلا ومفرا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) ولم يتبعوا الشيطان في الامر بالكفر (سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) وقرأ النخعي سيدخلهم (وعد الله حقا) مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره (ومن أصدق من الله قيلا) قولا وهو استفهام بمعنى النفي أي لا أحد أصدق منه وهو تأكيد ثالث وفائدة هذه التوكيدات مقابلة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه (ليس بأمانيكم) ليس الامر على شهواتكم وأمانيكم أيها المشركون أن تنفعكم الاصنام (ولا أماني أهل الكتاب) ولا على شهوات اليهود والنصارى حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه لن تمسنا النار الا أياما معدودة (من يعمل سوأ يجز به) أي من المشركين وأهل الكتاب بدليل قوله (ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) وهذا وعيد للكفار لانه قال بعده (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) فقوله وهو مؤمن حال ومن الاولى للتبعيض والثانية لبيان الابهام في من يعمل وفيه اشارة الى أن الاعمال ليست من الايمان (فأولئك يدخلون الجنة) يدخلون مكي وأبو عمرو وأبو بكر (ولا يظلمون نقيرا) قدر النقير وهو النقرة في ظهر النواة والراجع في ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا وجاز ان يكون ذكره عند أحد الفريقين دليلا على ذكره عند الآخر وقوله من يعمل سوأ يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات بعد ذكر تمني أهل الكتاب كقوله بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله) أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربا ولا معبودا سواه (وهو محسن) عامل للحسنات (واتبع ملة ابراهيم حنيفا) مائلا عن الاديان الباطلة وهو حال من المتبع أو من ابراهيم (واتخذ الله ابراهيم خليلا) هو في الاصل المخالّ وهو الذي يخالك أي يوافقك في خلالك أو يداخلك خلال منزلك أو يسد خللك كما يسد خلله فالخلة صفاء مودة توجب الاختصاص بتخلل الاسرار والمحبة أصفى لانها من حبة القلب وهي جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب كقوله والحوادث جمة وفائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته وطريقته لان من بلغ من الزلفى عند الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بان تتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجمل قبلها لم يكن لها معنى وفي الحديث اتخذ الله ابراهيم خليلا لاطعامه الطعام وافشائه السلام

وصلاته بالليل والناس نيام وقيل أوحى اليه انما اتخذتك خليلا لانك تحب أن تعطى ولا تعطى وفى رواية لانك تعطى الناس ولا تسألهم وفى قوله (ولله ما فى السموات وما فى الارض) دليل على أن اتخاذه خليلا لاحتياج الخليل اليه لا لاحتياجه تعالى لانه منزه عن ذلك (وكان الله بكل شئ محيطا) عالما (ويستفتونك فى النساء) ويسألونك الافتاء فى النساء والافتاء تبيين المبهم (قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب فى يتامى النساء) أى الله يفتيكم والمتلو فى الكتاب أى القرآن في معنى اليتامى يعنى قوله وان خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى وهو من قولك أعجبنى زيد وكرمه وما يتلى فى محل الرفع بالعطف على الضمير فى يفتيكم أو على لفظ الله وفى يتامى النساء صلة يتلى أى يتلى عليكم فى معناهن ويجوز أن يكون فى يتامى النساء بدلا من فيهن والاضافة بمعنى من (اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن) ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه وما لها فان كانت جميلة تزوجها وأكل المال وان كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها (وترغبون أن تنكحوهن) أى فى ان تنكحوهن لجمالهن أو عن ان تنكحوهن لدمامتهن (والمستضعفين من الولدان) أى اليتامى وهو مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا فى الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالامور دون الاطفال والنساء (وأن تقوموا لليتامى) مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفى المستضعفين وفى أن تقوموا أو منصوب بمعنى ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة فى أن ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم (بالقسط) بالعدل فى ميراثهم ومالهم (وما تفعلوا من خير) شرط وجوابه (فان الله كان به عليما) أى فيجازيكم عليه (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا) توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله وأماراته والنشوز أن يتجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته وان يؤذيها بسب أو ضرب (أو اعراضا) عنها بان يقل محادثتها ومؤانستها بسبب كبر سن أو دمامة أو سوء فى خلق أو خلق أو ملال أو طموح عين الى أخرى أو غير ذلك (فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما) كوفى يصالحا غيرهم أى يتصالحا وهو أصله فابدلت التاء صادا وأدغمت (صلحا) فى معنى مصدر كل واحد من الفعلين ومعنى الصلح أن يتصالحا على أن تطيب له نفسا عن القسمة أو عن بعضها أو تهب له بعض المهر أو كله أو النفقة (والصلح خير) من الفرقة أو من النشوز أو من الخصومة فى كل شئ أو والصلح خير من الخيور كما ان الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض كقوله (وأحضرت الانفس الشح) أى جعل الشح حاضرا لها لا يغيب عنها أبدا ولا تنفك عنه يعنى انها مطبوعة عليه والمراد ان المرأة لا تكاد تسمح بقسمها والرجل لا يكاد يسمح بان يقسم لها اذا رغب عنها فكل واحد منهما يطلب ما فيه راحته وأحضرت يتعدى الى مفعولين والاول الانفس ثم حث على مخالفة الطبع ومتابعة الشرع بقوله (وان تحسنوا) بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة (وتتقوا) النشوز والاعراض وما يؤدى الى الاذى والخصومة (فان الله كان بما تعملون) من الاحسان والتقوى (خبيرا) فيثيبكم

عليه وكان عمران الخارجي من أدم بني آدم وامرأته من أجملهم فنظرت اليه وقالت الحمد لله على اني واياك من أهل الجنة قال كيف فقالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت والجنة موعود للشاكرين والصابرين (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) ولن تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل ألبتة فتمام العدل أن يسوى بينهن بالقسمة والنفقة والتعهد والنظر والاقبال والمحالمة والمفاكهة وغيرها وقيل معناه ان تعدلوا في المحبة وكان عليه السلام يقسم بين نسائه فيعدل و يقول هذه قسمتي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك يعني المحبة لان عائشة رضي الله عنها كانت أحب اليه (ولو حرصتم) بالغتم في تحري ذلك (فلا تميلوا كل الميل) فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمها من غير رضا منها بمعنى ان اجتناب كل الميل في حد اليسر فلا تفرطوا فيه وان وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ وكل نصب على المصدر لان له حكم ما يضاف اليه (فتذروها كالمعلقة) وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة (وان تصلحوا) بينهن (وتتقوا) الجور (فان الله كان غفورا رحيما) يغفر لكم ميل قلوبكم و يرحمكم فلا يعاقبكم (وان يتفرقا) أي ان لم يصطلح الزوجان على شيء وتفرقا بالخلع أو بتطليقه اياها وايفائه مهرها ونفقة عدتها (يغن الله كلا) كل واحد منهما (من سعته) من غناه أي يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا أهنأ من عيشه (وكان الله واسعا) بتحليل النكاح (حكيما) بالاذن في السراح فالسعة الغنى والقدرة والواسع الغني ثم المقتدر بين غناه وقدرته بقوله (ولله ما في السموات وما في الارض) خلقا والمتملكون عبيده رقا (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب) هو اسم للجنس فيتناول الكتب السماوية (من قبلكم) من الامم السالفة وهو متعلق بوصينا أو بأوتوا (واياكم) عطف على الذين أوتوا (أن اتقوا الله) بان اتقوا أو تكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول والمعنى ان هذه وصية قديمة ما زال يوصي الله عنها عباده ولستم بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده (وان تكفروا) عطف على اتقوا لان المعنى أمرناهم وأمرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا (فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا) عن خلقه وعن عبادتهم (حميدا) مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده أحد وتكرير قوله لله ما في السموات وما في الارض تقرير لما هو موجب تقواه لان الخلق لما كان كله له وهو خالقهم ومالكهم فحقه أن يكون مطاعا في خلقه غير معصى وفيه دليل على ان التقوى أصل الخير كله وقوله وان تكفر واعقيب التقوى دليل على ان المراد الاتقاء عن الشرك (ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا) فاتخذوه وكيلا ولا تتكلوا على غيره ثم خوفهم وبين قدرته بقوله (ان يشأ يذهبكم) يعدمكم (أيها الناس ويأت بآخرين) ويوجد انسا آخرين مكانكم أو خلقا آخرين غير الانس (وكان الله على ذلك قديرا) بليغ القدرة (من كان يريد ثواب الدنيا) كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) فماله يطلب أحدهما دون الآخر والذي يطلبه أخسهما (وكان الله سميعا)

للاقوال (بصيرا) بالا فعال وهو وعد ووعيد (ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا (شهداء) خبر بعد خبر (لله) أي تقيمون شهاداتكم لوجه الله (ولو على أنفسكم) ولو كانت الشهادة على انفسكم والشهادة على نفسه هي الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق وهذا لان الدعوى والشهادة والاقرار يشترك جميعها في الاخبار عن حق لاحد على أحد غير ان الدعوى اخبار عن حق لنفسه على الغير والاقرار للغير على نفسه والشهادة للغير على الغير (أو الوالدين والاقربين) أي ولو كانت الشهادة على آبائكم وأمهاتكم وأقاربكم (ان يكن) المشهود عليه (غنيا) فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه (أو فقيرا) فلا يمنعها ترحما عليه (فالله أولى بهما) بالغني والفقير أي بالنظر لهما والرحمة وانما ثنى الضمير في بهما وكان حقه أن يوحد لان المعنى ان يكن احد هذين لانه يرجع الى مادل عليه قوله غنيا أو فقيرا وهو جنس الغني والفقير كانه قيل فالله أولى بجنسي الغني والفقير أي بالاغنياء والفقراء (فلا تتبعوا الهوى) ارادة (ان تعدلوا) عن الحق من العدول أو كراهة ان تعدلوا بين الناس من العدل (وان تلووا) بواو واحدة وضم اللام شامي وحمزة من الولاية (أو تعرضوا) أي وان وليتم اقامة الشهادة أو أعرضتم عن اقامتها غيرهما تلووا بواوين وسكون اللام من اللي أي وان تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل أو تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) فيجازيكم عليه (ياأيها الذين آمنوا) خطاب للمسلمين (آمنوا) اثبتوا على الايمان ودوموا عليه أو لاهل الكتاب لانهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض أو للمنافقين أي ياأيها الذين آمنوا نفاقا آمنوا اخلاصا (بالله ورسوله) أي محمد صلى الله عليه وسلم (والكتاب الذي نزل على رسوله) أي الفرقان (والكتاب الذي أنزل من قبل) أي جنس ما أنزل على الانبياء قبله من الكتب ويدل عليه قوله وكتبه نزل وأنزل بالبناء للمفعول مكي وشامي وأبو عمرو وعلى البناء للفاعل فيهما غيرهم وانما قيل نزل على رسوله وأنزل من قبل لان الفرقان نزل مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) أي ومن يكفر بشيء من ذلك (فقد ضل ضلالا بعيدا) لان الكفر ببعضه كفر بكله (ان الذين آمنوا) بموسى عليه السلام (ثم كفروا) حين عبدوا العجل (ثم آمنوا) بموسى بعد عوده (ثم كفروا) بعيسى عليه السلام (ثم ازدادوا كفرا) بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) الى النجاة أو الى الجنة أو هم المنافقون آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد أخرى وازدياد الكفر منهم ثباتهم عليه الى الموت يؤيده قوله (بشر المنافقين) أي أخبرهم ووضع بشر مكانه تهكما بهم (بأن لهم عذابا أليما) مؤلما (الذين) نصب على الذم أو رفع بمعنى أريد الذين أو هم الذين (يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة) كان المنافقون يوالون الكفرة يطلبون منهم المنعة والنصرة ويقولون لا يتم أمر محمد عليه

السلام (فان العزة لله جميعا) ولمن أعزه كالنبي عليه السلام والمؤمنين كما قال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (وقد نزل عليكم) بفتح النون عاصم وبضمها غيره (في الكتاب) القرآن (أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) حتى يشرعوا في كلام غير الكفر والاستهزاء بالقرآن والخوض الشروع وان مخففة من الثقيلة أي أنه اذا سمعتم أي نزل عليكم ان الشان كذا والشأن ما افادته الجملة بشرطها وجزائها وأن مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل أو في موضع النصب بنزل والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزؤن به فنهى المسلمين عن القعود معهم ماداموا خائضين فيه وكان المنافقون بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين بمكة فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة (انكم اذا مثلهم) أي في الوزر اذا مكثتم معهم ولم يرد به التمثيل من كل وجه فان خوض المنافقين فيه كفر ومكث هؤلاء معهم معصية (ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) لاجتماعهم في الكفر والاستهزاء (الذين) بدل من الذين يتخذون أو صفة للمنافقين أو نصب على الذم منهم (يتربصون بكم) ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر او اخفاق (فان كان لكم فتح من الله) نصرة وغنيمة (قالوا ألم نكن معكم) مظاهرين فاشركونا في الغنيمة (وان كان للكافرين نصيب) سمى ظفر المسلمين فتحا تعظيما لشأنهم لانه أمر عظيم تفتح له أبواب السماء وظفر الكافرين نصيبا تخسيسا لحظهم لانه لحظة من الدنيا يصيبونها (قالوا) للكافرين (ألم نستحوذ عليكم) ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء والغلبة (ونمنعكم من المؤمنين) بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ماضعفت قلوبهم به ومرضوا عن قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما أصبتم (فالله يحكم بينكم) أيها المؤمنون والمنافقون (يوم القيامة) فيدخل المنافقين النار والمؤمنين الجنة (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) أي في القيامة بدليل أول الآية كذا عن علي رضي الله عنه أو حجة كذا عن ابن عباس رضي الله عنهما (ان المنافقين يخادعون الله) أي يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر والمنافق من أظهر الايمان وأبطن الكفر أو أولياء الله وهم المؤمنون فاضاف خداعهم الى نفسه تشريفا لهم (وهو خادعهم) وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والاموال في الدنيا وأعد لهم الدرك الاسفل من النار في العقبى والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت أخدع منه وقيل يجزيهم جزاء خداعهم (واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى) متثاقلين كراهة أما الغفلة فقد يبتلى بها المؤمن وهو جمع كسلان كسكارى في سكران (يراؤن الناس) حال أي يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة والمراآة مفاعلة من الرؤية لان المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانا (ولا يذكرون الله الا قليلا) ولا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون قط

غائبين عن عيون الناس أولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل الاذكرا قليلا نادرا وقال الحسن لو كان ذلك القليل لله تعالى لكان كثيرا (مذبذبين) نصب على الذم أى مرددين يعني ذبذبهم الشيطان والهوى بين الايمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين أي يدفع فلا يقر في جانب واحد الا أن الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب (بين ذلك) بين الكفر والايمان (لاالى هؤلاء) لامنسوبين الى هؤلاء فيكونوا مؤمنين (ولا الى هؤلاء) ولا منسوبين الى هؤلاء فيسموا مشركين (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) طريقا الى الهدى (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) حجة بينة في تعذيبكم (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار) أى في الطبق الذى في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وانما كان المنافق أشد عذابا من الكافر لانه أمن السيف في الدنيا فاستحق الدرك الاسفل في العقبى تعديلا ولانه مثله في الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام وأهله والدرك بسكون الراء كوفي وغير الاعشى وبفتح الراء غيرهم وهما لغتان وذكر الزجاج ان الاختيار فتح الراء (ولن تجد لهم نصيرا) يمنعهم من العذاب (الا الذين تابوا) من النفاق وهو استثناء من الضمير المجرور في ولن تجد لهم نصيرا (وأصلحوا) ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال النفاق (واعتصموا بالله) ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص (وأخلصوا دينهم لله) لايبتغون بطاعتهم الا وجهه (فأولئك مع المؤمنين) فهم أصحاب المؤمنين ورفاقهم في الدارين (وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما) فيشاركونهم فيه وحذفت الياء في الخط هنا اتباعا اللفظ ثم استفهم مقررا أنه لا يعذب المؤمن الشاكر فقال (مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم) لله (وآمنتم) به فما منصوبة بيفعل أي أي شيء يفعل بعذابكم فالايمان معرفة المنعم والشكر الاعتراف بالنعمة والكفر بالمنعم والنعمة عناد فلذا استحق الكافر العذاب وقدم الشكر على الايمان لان العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الايمان (وكان الله شاكرا) يجزيكم على شكركم أو يقبل اليسير من العمل ويعطي الجزيل من الثواب (عليما) عالما بما تصنعون (لايحب الله الجهر بالسوء من القول) ولا غير الجهر ولكن الجهر أفحش (الامن ظلم) الاجهر من ظلم استثني من الجهر الذي لايحبه الله جهر المظلوم وهو أن يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل الجهر بالسوء من القول هو الشتم الا من ظلم فانه ان رد عليه مثله فلا حرج عليه ولمن انتصر بعد ظلمه (وكان الله سميعا) لشكوى المظلوم (عليما) بظلم الظالم ثم حث على العفو وأن لايجهر أحد لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار بعد ما أطلق الجهر به حثا على الافضل وذكر ابداء الخير واخفاءه

تسببا للعفو فقال (ان تبدوا خيرا) مكان جهر السوء (أو تخفوه) فتعملوه سرا ثم عطف
العفو عليهما فقال (أو تعفوا عن سوء) أي تمحوه عن قلوبكم والدليل على أن العفو هو
المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله (فان الله كان عفوا قديرا) أي انه لم يزل عفوا عن
الآثام مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنته (ان الذين يكفرون بالله ورسله
ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) كاليهود كفروا
بعيسى ومحمد عليهما السلام والانجيل والقرآن وكالنصارى كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقرآن (ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا) أي دينا وسطا بين الايمان والكفر ولا
واسطة بينهما (أولئك هم الكافرون) هم الكاملون في الكفر لان الكفر بواحد كفر
بالكل (حقا) تأكيد لمضمون الجملة كقولك هذا عبد الله حقا أي حق ذلك حقا وهو
كونهم كاملين في الكفر أو هو صفة لمصدر الكافرين أي هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا
يقينا لا شك فيه (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) في الآخرة (والذين آمنوا بالله ورسله
ولم يفرقوا بين أحد منهم) وانما جاز دخول بين على أحد لانه عام في الواحد المذكر والمؤنث
وتثنيتهما وجمعهما (أولئك سوف نؤتيهم) وبالياء حفص (أجورهم) أي الثواب الموعود
لهم (وكان الله غفورا) يستر السيآت (رحيما) يقبل الحسنات والآية تدل على بطلان
قول المعتزلة في تخليد المرتكب الكبيرة لانه أخبر أن من آمن بالله ورسله ولم يفرق بين أحد
منهم يؤتيه أجره ومرتكب الكبيرة ممن آمن بالله ورسله ولم يفرق بين أحد فيدخل تحت
الوعد وعلى بطلان قول من لا يقول بقدم صفات الفعل من المغفرة والرحمة لانه قال وكان الله
غفورا رحيما وهم يقولون ما كان الله غفورا رحيما في الازل ثم صار غفورا رحيما ولما قال
فنحاص وأصحابه للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما
أتى به موسى عليه السلام نزل (يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم) وبالتخفيف مكي
وأبو عمرو (كتابا من السماء) أي جملة كما نزلت التوراة جملة وانما اقترحوا ذلك على سبيل
التعنت وقال الحسن ولو سألوه مسترشدين لاعطاهم لان انزال القرآن جملة ممكن (فقد سألوا
موسى أكبر من ذلك) هذا جواب شرط مقدر معناه ان استكبرت ما سألوه منك فقد
سألوا موسى أكبر من ذلك وانما أسند السؤال اليهم وقد وجد من آبائهم في أيام موسى عليه
السلام وهم النقباء السبعون لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم (فقالوا أرنا الله جهرة)
عيانا أي أرناه جهرة (فأخذتهم الصاعقة) العذاب الهائل أو النار المحرقة (بظلمهم)
على أنفسهم بسؤال شيء في غير موضعه أو بالتحكم على نبيهم في الآيات وتعنتهم في سؤال
الرؤية لا بسؤال الرؤية لانها ممكنة كانزال القرآن جملة ولو كان ذلك بسبب سؤال الرؤية
لكان موسى بذلك أحق فانه قال رب أرني أنظر اليك وما أخذته الصاعقة بل أطمعه وقيده
بالممكن ولا يعلق بالممكن الا ما هو ممكن الثبوت ثم أحياهم (ثم اتخذوا العجل) إلها (من
بعد ما جاءتهم البينات) التوراة والمعجزات التسع (فعفونا عن ذلك) تفضلا ولم نستأصلهم

(وآتينا موسى سلطانا مبينا) حجة ظاهرة على من خالفه (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه (وقلنا لهم) والطور مظل عليهم (ادخلوا الباب سجدا) اى ادخلوا باب ايلياء مطأطئين عند الدخول رؤسكم (وقلنا لهم لا تعدوا) لا تجاوزوا الحد تعدوا ورش تعدوا باسكان العين وتشديد الدال مدنى غير ورش وهما مدغما تعتدوا وهى قراءة أبى الا أنه أدغم التاء فى الدال وأبقى العين ساكنة فى رواية وفى رواية نقل فتح التاء الى العين (فى السبت) باخذ السمك (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) عهدا مؤكدا (فبما نقضهم) اى فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والباء يتعلق بقوله حرمنا عليهم طيبات تقديره حرمنا عليهم طيبات بنقضهم ميثاقهم وقوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم (ميثاقهم) ومعنى التوكيد تحقيق ان تحريم الطيبات لم يكن الا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الانبياء وغير ذلك (وكفرهم بآيات الله) اى معجزات موسى عليه السلام (وقتلهم الانبياء) كزكريا ويحيى وغيرهما (بغير حق) بغير سبب يستحقون به القتل (وقولهم قلوبنا غلف) جمع أغلف اى محجوبة لا يتوصل اليها شئ من الذكر والوعظ (بل طبع الله عليها بكفرهم) هو رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف (فلا يؤمنون الا قليلا) كعبد الله بن سلام وأصحابه (وبكفرهم) معطوف على فبما نقضهم او على ما يليه من قوله بكفرهم ولما تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم عطف بعض كفرهم على بعض (وقولهم على مريم بهتانا عظيما) هو النسبة الى الزنا (وقولهم انا قتلنا المسيح) سمى مسيحا لان جبريل عليه السلام مسحه بالبركة فهو ممسوح اولانه كان يمسح المريض والاكمه والابرص فيبرأ فسمى مسيحا بمعنى الماسح (عيسى بن مريم رسول الله) هم لم يعتقدوه رسول الله لكنهم قالوا استهزاء كقول الكفار للرسول يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون ويحتمل ان الله وصفه بالرسول وان لم يقولوا ذلك (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) روى ان رهطا من اليهود سبوه وسبوا أمه فدعا عليهم اللهم أنت ربى وبكلمتك خلقتنى اللهم العن من سبنى وسب والدتى فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى فلما ارادوا قتله قال أنا أدلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى وألقى الله شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى وجاز هذا على قوم متعنتين حكم الله بانهم لا يؤمنون وشبه مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل اليه كأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه او مسند الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا عليه كأنه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه (وان الذين اختلفوا فيه) فى عيسى يعنى اليهود قالوا ان الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا واختلف النصارى قالوا الله وابن الله وثالث ثلاثة (لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن) استثناء منقطع لان اتباع الظن

ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن وانما وصفوا بالشك وهو أن لا يترجح أحد الجانبين ثم وصفوا بالظن وهو ان يترجح أحدهما لان المراد انهم شاكون مالهم به من علم ولكن ان لاحت لهم أمارة فظنوا فذاك وقيل وان الذين اختلفوا فيه أى في قتله لفي شك منه أى من قتله لانهم كانوا يقولون ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فاين عيسى (وما قتلوه يقينا) أى قتلا يقينا أو ما قتلوه متيقنين أو ما قتلوه حقا فيجعل يقينا تأكيدا لقوله وما قتلوه أى حق انتفاء قتله حقا (بل رفعه الله اليه) الى حيث لا حكم فيه لغير الله أو الى السماء (وكان الله عزيزا) في انتقامه من اليهود (حكيما) فيما دبر من رفعه اليه (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من أهل الكتاب أحد الا ليؤمنن به ونحوه وما منا الا له مقام معلوم والمعنى وما من اليهود والنصارى أحد الا ليؤمنن قبل موته بعيسى عليه السلام و بانه عبد الله ورسوله يعني اذا عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف أو الضميران لعيسى يعني وان منهم أحد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روى انه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام أو الضمير في به يرجع الى الله أو الى محمد صلى الله عليه وسلم والثاني الى الكتابي (و يوم القيامة يكون عليهم شهيدا) يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) وهي ما ذكر في سورة الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد قبل هذا (و بصدهم عن سبيل الله) و بمنعهم عن الايمان (كثيرا) أى خلقا كثيرا أو صدا كثيرا (وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه) كان الربا محرما عليهم كما حرم علينا وكانوا يتعاطونه (وأكلهم أموال الناس بالباطل) بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة (وأعتدنا للكافرين منهم) دون من آمن (عذابا أليما) في الآخرة (لكن الراسخون في العلم) أى الثابتون فيه المتقنون كابن سلام وأضرابه (منهم) من أهل الكتاب (والمؤمنون) أى المؤمنون منهم والمؤمنون من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون على الابتداء (يؤمنون) خبره (بما أنزل اليك) أى القرآن (وما أنزل من قبلك) أى سائر الكتب (والمقيمين الصلوة) منصوب على المدح لبيان فضل الصلاة وفي مصحف عبد الله والمقيمون وهي قراءة مالك بن دينار وغيره (والمؤتون الزكوة) مبتدأ (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) عطف عليه والخبر (أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما) و بالياء حمزة (انا أوحينا اليك) جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان شأنه في الوحي اليه كشأن سائر الانبياء الذين سلفوا (كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) كهود وصالح وشعيب وغيرهم (وأوحينا الى ابراهيم

واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) أى أولاد يعقوب (وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا) زبورا حمزة مصدر بمعنى مفعول سمى به الكتاب المنزل على داود عليه السلام (ورسلا) نصب بمضمر فى معنى أوحينا اليك وهو أرسلنا ونبأنا (قد قصصناهم عليك من قبل) من قبل هذه السورة (ورسلا لم نقصصهم عليك) سأل أبوذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الانبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قال كم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر أول الرسل آدم وآخرهم نبيكم محمد عليه السلام وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ومحمد عليه السلام والآية تدل على ان معرفة الرسل باعيانهم ليست بشرط لصحة الايمان بل من شرطه ان يؤمن بهم جميعا اذ لو كان معرفة كل واحد منهم شرطا لقص علينا كل ذلك (وكلم الله موسى تكليما) أى بلا واسطة (رسلا مبشرين ومنذرين) الاوجه ان ينتصب على المدح أى أعنى رسلا ويجوز ان يكون بدلا من الاول وأن يكون مفعولا أى وأرسلنا رسلا واللام فى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) يتعلق بمبشرين ومنذرين والمعنى ان أرسالهم ازاحة للعلة وتتميم لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا أرسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا بما وجب الانتباه له ويعلمنا ما سبيل معرفته السمع كالعبادات والشرائع أعنى فى حق مقادير ها وأوقاتها وكيفياتها دون أصولها فانها مما يعرف بالعقل (وكان الله عزيزا) فى العقاب على الانكار (حكيما) فى بعث الرسل للانذار ولما نزل انا أوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل (لكن الله يشهد بما أنزل اليك) ومعنى شهادة الله بما أنزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات اذ الحكيم لا يؤيد الكاذب بالمعجزة (أنزله بعلمه) أى أنزله وهو عالم بانك أهل لانزاله اليك وانك مبلغه أو أنزله بما علم من مصالح العباد وفيه نفى قول المعتزلة فى انكار الصفات فانه أثبت لنفسه العلم (والملائكة يشهدون) لك بالنبوة (وكفى بالله شهيدا) شاهدا وان لم يشهد غيره (ان الذين كفروا) بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود (وصدوا عن سبيل الله) ومنعوا الناس عن سبيل الحق بقولهم للعرب انا لا نجده فى كتابنا (قد ضلوا ضلالا بعيدا) عن الرشد (ان الذين كفروا) بالله (وظلموا) محمدا عليه السلام بتغيير نعته وانكار نبوته (لم يكن الله ليغفر لهم) ما داموا على الكفر (ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا) وكان تخليدهم فى جهنم سهلا عليه والتقدير يعاقبهم خالدين فهو حال مقدرة والآيتان فى قوم علم الله أنهم لا يؤمنون ويموتون على الكفر (ياأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم) أى بالاسلام أو هو حال أى محقا (فآمنوا خيرا لكم) وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم أنه يحملهم على أمر فقال خيرا لكم أى اقصدوا وائتوا أمرا خيرا لكم مما أنتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان به والتوحيد (وان تكفروا فان لله ما فى السموات والارض) فلا يضره كفركم (وكان الله عليما) بمن يؤمن وبمن يكفر (حكيما) لا يسوى بينهما فى الجزاء (ياأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم)

لا تجاوزوا الحد فغلت اليهود في حط المسيح عن منزلته حتى قالوا انه ابن الزنا وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه ابن الله (ولا تقولوا على الله الا الحق) وهو تنزيهه عن الشريك والولد (انما المسيح عيسى ابن مريم) لا ابن الله (رسول الله) خبر المبتدا وهو المسيح وعيسى عطف بيان أو بدل (وكلمته) عطف على رسول الله وقيل له كلمة لانه يهتدى به كما يهتدى بالكلام (ألقاها الى مريم) حال وقد معه مرادة أي أوصلها اليها وحصلها فيها (وروح) معطوف على الخبر أيضا وقيل له روح لانه كان يحيي الموتى كما سمى القرآن روحا بقوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا لما أنه يحيي القلوب (منه) أي بتخليقه وتكوينه كقوله تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وبه أجاب علي بن الحسين ابن واقد غلاما نصرانيا كان للرشيد في مجلسه حيث زعم ان في كتابكم حجة على أن عيسى من الله (فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة) خبر مبتدا محذوف أي ولا تقولوا الآلهة ثلاثة (انتهوا) عن التثليث (خيرا لكم) والذى يدل عليه القرآن التصريح منهم بان الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وان المسيح ولد الله من مريم ألا ترى الى قوله أأنت قلت للناس اتخذونى وأمي إلهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله (انما الله) مبتدأ (إله) خبره (واحد) توكيد (سبحانه أن يكون له ولد) أسبحه تسبيحا من أن يكون له ولد (له ما في السموات وما في الارض) بيان لتنزهه مما نسب اليه بمعنى ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزأ منه اذ البنوة والملك لا يجتمعان على أن الجزء انما يصح في الاجسام وهو يتعالى عن أن يكون جسما (وكفى بالله وكيلا) حافظا ومدبرا لهما ولما فيهما ومن عجز عن كفاية أمر يحتاج الى ولد يعينه ولما قال وفد نجران لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا عيسى قال وأي شيء أقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار أن يكون عبد الله قالوا بلى نزل قوله تعالى (لن يستنكف المسيح) أي لن يأنف (أن يكون عبد الله) هو رد على النصارى (ولا الملائكة) رد على من يعبدهم من العرب وهو عطف على المسيح (المقربون) أي الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن في طبقتهم والمعنى ولا الملائكة المقربون أن يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه ايجازا وتشبثت المعتزلة والقائلون بتفضيل الملك على البشر بهذه الآية وقالوا الارتقاء انما يكون الى الاعلى يقال فلان لا يستنكف عن خدمتي ولا أبوه ولو قال ولا عبده لم يحسن وكان معنى قوله ولا الملائكة المقربون ولا من هو أعلى منه قدرا وأعظم منه خطرا ويدل عليه تخصيص المقربين والجواب انا نسلم تفضيل الثاني على الاول لكن هذا لا يمس ما تنازعنا فيه لان الآية تدل على أن الملائكة المقربين بأجمعهم أفضل من عيسى ونحن نسلم بان جميع الملائكة المقربين أفضل من رسول واحد من البشر الى هذا ذهب بعض أهل السنة ولان المراد أن الملائكة مع ما لهم من القدرة الفائقة قدر البشر والعلوم اللوحية وتجردهم عن التولد الازدواجي رأسا لا يستنكفون عن عبادته فكيف بمن يتولد من آخر ولا يقدر على

مايقدرون ولايعلم مايعلمون وهذا الان شدة البطش وسعة العلوم وغرابة التكون هي التي تورث الحمقاء امثال النصارى وهم الترفع عن العبودية حيث رأوا المسيح ولد من غير أب وهو يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى وينبئ بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم فبرؤه من العبودية فقيل لهم هذه الاوصاف في الملائكة أتم منها في المسيح ومع هذا لم يستنكفوا عن العبودية فكيف المسيح والحاصل أن خواص البشر وهم الانبياء عليهم السلام أفضل من خواص الملائكة وهم الرسل منهم كجبريل وميكائيل وعزرائيل ونحوهم وخواص الملائكة أفضل من عوام المؤمنين من البشر وعوام المؤمنين من البشر أفضل من عوام الملائكة ودليلنا على تفضيل البشر على الملك ابتداء أنهم قهروا نوازع الهوى في ذات الله تعالى مع أنهم جبلوا عليها فضاهت الانبياء عليهم السلام الملائكة عليهم السلام في العصمة وتفضلوا عليهم في قهر البواعث النفسانية والدواعي الجسدانية فكانت طاعتهم أشق لكونها مع الصوارف بخلاف طاعة الملائكة لانهم جبلوا عليها فكانت أزيد ثوابا بالحديث (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) يترفع ويطلب الكبرياء (فسيحشرهم اليه جميعا) فيجازيهم على استنكافهم واستكبارهم ثم فصل فقال (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولايجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) فان قلت التفصيل غير مطابق للمفصل لان التفصيل اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد قلت هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين أحدهما انه حذف ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر أحدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف أحدهما في التفصيل في قوله تعالى بعد هذا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به والثاني أن الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا رأى أجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله (ياأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم) أي رسوله يبهر المنكر بالاعجاز (وأنزلنا اليكم نورا مبينا) قرآنا يستضاء به في ظلمات الحيرة (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به) بالله أو بالقرآن (فسيدخلهم في رحمة منه) أي جنة (وفضل) زيادة النعمة (ويهديهم) ويرشدهم (اليه) الى الله أو الى الفضل أو الى صراطه (صراطا مستقيما) فصراطا حال من المضاف المحذوف (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) كان جابر بن عبد الله مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف أصنع في مالي فنزلت (ان امرؤ هلك) ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل (ليس له ولد) الرفع على الصفة أي ان هلك امرؤ غير ذي ولد والمراد بالولد الابن وهو مشترك يقع على الذكر والانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها البنت (وله أخت) أي لاب وأم أو لاب (فلها نصف ماترك) أي الميت (وهو يرثها) أي الاخ يرث الاخت جميع مالها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها (ان لم يكن

لها ولد) أي ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت فان قلت الابن لا يسقط الاخ وحده فالاب نظيره في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد قلت بين حكم انتفاء الولد وكل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنة وهو قوله عليه السلام ألحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلا ولى عصبة ذكر والاب أولى من الاخ (فان كانتا اثنتين) أي فان كانت الاختان اثنتين دل على ذلك وله أخت (فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة) أي وان كان من يرث بالاخوة والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم الذكورة (رجالا ونساء) ذكورا واناثا (فللذكر منهم (مثل حظ الانثيين يبين الله لكم) الحق فهو مفعول يبين (ان تضلوا) كراهة أن تضلوا (والله بكل شيء عليم) يعلم الاشياء بكنهها قبل كونها وبعده

﴿سورة المائدة مدنية وهي مائة وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) يقال وفى بالعهد وأوفى به والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه وهي عقود الله التي عقدها على عباده وألزمها اياهم من مواجب التكليف أو ما عقد الله عليكم وما تعاقدتم بينكم والظاهر انها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله (أحلت لكم بهيمة الانعام) والبهيمة كل ذات أربع قوائم في البر والبحر واضافتها الى الانعام للبيان وهي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش ونحوهما (الا مايتلى عليكم) آية تحريمه وهو قوله حرمت عليكم الميتة الآية (غير محلي الصيد) حال من الضمير في لكم أي أحلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد (وأنتم حرم) حال من محلي الصيد كانه قيل أحللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم من الصيد وأنتم محرمون لئلا يضيق عليكم والحرم جمع حرام وهو المحرم (ان الله يحكم ما يريد) من الاحكام أو من التحليل والتحريم ونزل نهيا عن تحليل ما حرم (ياأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) جمع شعيرة وهي اسم ما أشعر أي جعل شعارا وعلما للنسك به من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر (ولا الشهر الحرام) أي أشهر الحج (ولا الهدى) وهو ما أهدى الى البيت وتقرب به الى الله تعالى من النسائك وهو جمع هدية (ولا القلائد) جمع قلادة وهي ما قلد به الهدى من نعل أو عروة مزادة أو لحاء شجر أو غيره (ولا آمين البيت الحرام) ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام وهم الحجاج والعمار واحلال هذه الاشياء أن يتهاون بحرمة الشعائر وأن يحال بينها وبين المتنسكين بها وأن يحدثوا في أشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وأن يتعرضوا للهدى بالغصب أو بالمنع من بلوغ محله وأما القلائد فجاز أن يراد بها ذوات القلائد وهي البدن وتعطف على الهدى للاختصاص لانها أشرف الهدى

كقوله وجبريل وميكال كأنه قيل والقلائد منها خصوصا وجاز أن ينهى عن التعرض لقلائد الهدى مبالغة في النهي عن التعرض الهدى أي ولا تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها (يبتغون) حال من الضمير في آمين (فضلا من ربهم) أي ثوابا (ورضوانا) وان يرضى عنهم أي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم (واذا حللتم) خرجتم من الاحرام (فاصطادوا) اباحة للاصطياد بعد حظره عليهم بقوله غير محلي الصيد وأنتم حرم (ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا) جرم مثل كسب في تعديته الى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه وأول المفعولين ضمير المخاطبين والثاني أن تعتدوا وأن صدوكم متعلق بالشنآن بمعنى العلة وهو شدة البغض و بسكون النون شامي وأبو بكر والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه ان صدوكم على الشرط مكي وأبو عمرو ويدل على الجزاء ما قبله وهو ولا يجرمنكم ومعنى صدهم اياهم عن المسجد الحرام منع أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم (وتعاونوا على البر والتقوى) على العفو والاغضاء (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) على الانتقام والتشفي أو البر فعل المأمور والتقوى ترك المحظور والاثم ترك المأمور والعدوان فعل المحظور ويجوز أن يراد العموم لكل بر وتقوى ولكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار (واتقوا الله ان الله شديد العقاب) لمن عصاه وما اتقاه ثم بين ما كان أهل الجاهلية يأكلونه فقال (حرمت عليكم الميتة) أي البهيمة التي تموت حتف أنفها (والدم) أي المسفوح وهو السائل (ولحم الخنزير) وكله نجس وانما خص اللحم لانه معظم المقصود (وما أهل لغير الله به) أي رفع الصوت به لغير الله وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه (والمنخنقة) التي خنقوها حتى ماتت أو انخنقت بالشبكة أو غيرها (والموقوذة) التي أثخنوها ضربا بعصا أو حجر حتى ماتت (والمتردية) التي تردت من جبل أو في بئر فماتت (والنطيحة) المنطوحة وهي التي نطحتها أخرى فماتت بالنطح (وما أكل السبع) بعضه ومات بجرحه (الا ما ذكيتم) الا ما أدركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح والاستثناء يرجع الى المنخنقة وما بعدها فانه اذا أدركها وبها حياة فذبحها وسمى عليها حلت (وما ذبح على النصب) كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها يعظمونها بذلك ويتقربون اليها تسمى الانصاب واحدها نصب أو هو جمع والواحد نصاب (وأن تستقسموا بالازلام) في موضع الرفع بالعطف على الميتة أي حرمت عليكم الميتة وكذا والاستقسام بالازلام وهي القداح المعلمة واحدها زلم وزلم كان أحدهم اذا أراد سفرا أو غزوا أو تجارة أو نكاحا أو غير ذلك يعمد الى قداح ثلاثة على واحد منها مكتوب أمرني ربي وعلى الآخر نهاني والثالث غفل فان خرج الآمر مضى لحاجته وان خرج الناهي أمسك وان خرج الغفل أعاده فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم

له مما لم يقسم له بالازلام قال الزجاج لا فرق بين هذا و بين قول المنجمين لا تخرج من أجل
نجم كذا او اخرج لطلوع نجم كذا وفي شرح التأويلات رده هذا وقال لا يقول المنجم ان نجم
كذا يامر بكذا او نجم كذا ينهى عن كذا كما كان فعل أولئك ولكن المنجم جعل النجوم
دلالات وعلامات على أحكام الله تعالى و يجوز أن يجعل الله في النجوم معانى وأعلاما يدرك
بها الاحكام و يستخرج بها الاشياء ولا لائمة في ذلك انما اللائمة عليه فيما يحكم على الله و يشهد
عليه وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة (ذلكم فسق) الاستقسام
بالازلام خروج عن الطاعة و يحتمل أن يعود الى كل محرم في الآية (اليوم) ظرف ليئس
ولم يرد به يوم بعينه وانما معناه الآن وهذا كما تقول أنا اليوم قد كبرت تريد الآن وقيل أريد
يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع (يئس الذين كفروا
من دينكم) يئسوا منه أن يبطلوه أو يئسوا من دينكم أن يغلبوه لان الله تعالى وفى بوعده
من اظهاره على الدين كله (فلا تخشوهم) بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار
وانقلابهم مغلوبين بعد ما كانوا غالبين (واخشون) بغير ياء في الوصل والوقف أي أخلصوا
لي الخشية (اليوم) ظرف لقوله (أكملت لكم دينكم) بأن كفيتكم خوف عدوكم
وأظهرتكم عليهم كما يقول الملوك اليوم كمل لنا الملك أي كفينا من كنا نخافه أو أكملت لكم
ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوفيق على شرائع الاسلام
وقوانين القياس (وأتممت عليكم نعمتي) بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار
الجاهلية ومناسكهم (ورضيت لكم الاسلام دينا) حال اخترته لكم من بين الاديان وآذنتكم
بانه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه (فمن اضطر) متصل
بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض أكد به معنى التحريم وكذا ما بعده لان
تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المنعوت بالرضا دون
غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى الميتة أو الى غيرها (في مخمصة) مجاعة (غير) حال
(متجانف لاثم) مائل الى اثم أي غير متجاوز سد الرمق (فان الله غفور) لا يؤاخذه بذلك
(رحيم) باباحة المحظور للمعذور (يسئلونك) في السؤال معنى القول فلذا وقع بعده (ماذا
أحل لهم) كأنه قيل يقولون لك ماذا أحل لهم وانما لم يقل ماذا أحل لنا حكاية لما قالوا لان
يسئلونك بلفظ الغيبة كقولك أقسم زيد ليفعلن ولو قيل لافعلن وأحل لنا لكان صوابا وماذا
مبتدا وأحل لهم خبره كقولك أي شئ أحل لهم ومعناه ماذا أحل لهم من المطاعم كأنهم حين تلي
عليهم ما حرم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عما أحل لهم منها فقال (قل أحل لكم
الطيبات) أي ما ليس بخبيث منها أو هو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب الله أو سنة أو اجماع
أو قياس (وما علمتم) عطف على الطيبات أي أحل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف
المضاف أو تجعل ما شرطية وجوابها فكلوا (من الجوارح) أي الكواسب للصيد من
سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والعقاب والصقر والبازي والشاهين وقيل هي من

الجراحة فيشترط للحل الجرح (مكلبين) حال من علمتم وفائدة هذه الحال مع أنه استغنى عنها بعلمتم أن يكون من يعلم الجوارح موصوفا بالتكليب والمكلب مؤدب الجوارح ومعلمها مشتق من الكلب لان التأديب في الكلاب أكثر فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه أولان السبع يسمى كلبا ومنه الحديث اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الاسد (تعلمونهن) حال أواستئناف ولا موضع له وفيه دليل على ان على كل آخذ علما أن لا يأخذه الا من أبحرهم دراية فكم من آخذ عن غير متقن قد ضيع أيامه وعض عند لقاء النحارير أنامله (مما علمكم الله) من التكليب (فكلوا مما أمسكن عليكم) الامساك على صاحبه ان لا يأكل منه فان أكل منه لم يؤكل اذا كان صيد كلب ونحوه فاما صيد البازى ونحوه فأكله لا يحرمه وقد عرف في موضعه والضمير في (واذكروا اسم الله عليه) يرجع الى ما أمسكن على معنى وسموا عليه اذا أدركتم ذكاته أوالى ما علمتم من الجوارح أى سموا عليه عند ارساله (واتقوا الله) واحذروا مخالفة أمره في هذا كله (ان الله سريع الحساب) انه محاسبكم على أفعالكم ولا يلحقه فيه لبث (اليوم) الآن (أحل لكم الطيبات) كرره تأكيدا للمنة (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) أى ذبائحهم لان سائر الاطعمة لا يختص حلها بالملة (وطعامكم حل لهم) فلا جناح عليكم أن تطعموهم لانه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم (والمحصنات من المؤمنات) هى الحرائر أو العفائف وليس هذا بشرط لصحة النكاح بل هو الاستحباب لانه يصح نكاح الاماء من المسلمات ونكاح غير العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم وهو معطوف على الطيبات أو مبتدأ والخبر محذوف أى والمحصنات من المؤمنات حل لكم (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) هى الحرائر الكتابيات أو العفائف الكتابيات (اذا آتيتموهن أجورهن) أعطيتموهن مهورهن (محصنين غير مسافحين) متزوجين غير زانين (ولا متخذى أخدان) صدائق والخدن يقع على الذكر والانثى (ومن يكفر بالايمان) بشرائع الاسلام وما أحل الله وحرم (فقد حبط) بطل (عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم) أى اذا أردتم القيام الى الصلاة كقوله فاذا قرأت القرآن أى اذا أردت ان تقرأ القرآن فعبر عن ارادة الفعل بالفعل لان الفعل مسبب عن الارادة فاقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما طلبا للايجاز ونحوه كما تدين تدان عبر عن الفعل الابتدائى الذى هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذى هو مسبب عنه وتقديره وأنتم محدثون عن ابن عباس رضى الله عنهما أو من النوم لانه دليل الحدث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة يتوضؤن لكل صلاة وقيل كان الوضوء لكل صلاة واجبا أول ما فرض ثم نسخ (وأيديكم الى المرافق) الى تفيد معنى الغاية مطلقا فاما دخولها فى الحكم وخروجها فامر يدور مع الدليل فما فيه دليل على الخروج فنظرة الى ميسرة لان الاعسار علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا فى الحالتين

معسرا وموسرا وكذلك أتموا الصيام الى الليل لودخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من أوله الى آخره لان الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لوقوع العلم بانه عليه السلام لايسرى به الى بيت المقدس من غير أن يدخله وقوله الى المرافق لادليل فيه على أحد الامرين فاخذ الجمهور بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل وأخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدير الماء على مرفقيه (وامسحوا برؤسكم) المراد الصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه فاخذ مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب والشافعي باليقين فاوجب أقل مايقع عليه اسم المسح وأخذنا ببيان النبي عليه السلام وهو ماروى انه مسح على ناصيته وقدرت الناصية بربع الرأس (وأرجلكم الى الكعبين) بالنصب شامي ونافع وعلي وحفص والمعنى فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وأرجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤسكم على التقديم والتأخير غيرهم بالجر بالعطف على الرؤس لان الارجل من بين الاعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للاسراف المنهى عنه فعطفت على الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل الى الكعبين فجيء بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم تضرب له غاية في الشريعة وقال في جامع العلوم انها مجرورة للجوار وقد صح أن النبي عليه السلام رأى قوما يمسحون على أرجلهم فقال ويل للاعقاب من النار وعن عطاء والله ماعلمت أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين وانما أمر بغسل هذه الاعضاء ليطهرها من الاوساخ التي تتصل بها لانها تبدو كثيرا والصلاة خدمة الله تعالى والقيام بين يديه متطهرا من الاوساخ أقرب الى التعظيم فكان أكمل في الخدمة كما في الشاهد اذا أراد أن يقوم بين يدى الملك ولهذا قيل ان الاولى أن يصلى الرجل في أحسن ثيابه وان الصلاة متعمما أفضل من الصلاة مكشوف الرأس لما ان ذلك أبلغ في التعظيم (وان كنتم جنبا فاطهروا) فاغسلوا أبدانكم (وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم) قال الرازي معناه وجاء حتى لايلزم المريض والمسافر التيمم بلا حدث (من الغائط) المكان المطمئن وهو كناية عن قضاء الحاجة (أو لامستم النساء) جامعتم (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه مايريد الله ليجعل عليكم من حرج) في باب الطهارة حتى لايرخص لكم في التيمم (ولكن يريد ليطهركم) بالتراب اذا أعوزكم التطهر بالماء (وليتم نعمته عليكم) وليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه (لعلكم تشكرون) نعمته فيثيبكم (واذكروا نعمة الله عليكم) بالاسلام (وميثاقه الذى واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا) أى عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذى أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا سمعنا وأطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان

(واتقوا

(واتقوا الله) في نقض الميثاق (ان الله عليم بذات الصدور) بسرائر الصدور من الخير والشر وهو وعد ووعيد (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط) بالعدل (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا) عدى يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كانه قيل ولا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم (اعدلوا هو أقرب للتقوى) أي العدل أقرب الى التقوى نهاهم أولا ان تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استأنف فصرح لهم بالامر بالعدل تأكيدا وتشديدا ثم استأنف فذكر لهم وجه الامر بالعدل وهو قوله تعالى هو أقرب للتقوى واذا كان وجوب العدل مع الكفار بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه (واتقوا الله) فيما أمر ونهى (ان الله خبير بما تعملون) وعد ووعيد ولذا ذكر بعدها آية الوعد وهو قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وعد يتعدى الى مفعولين فالاول الذين آمنوا والثاني محذوف استغنى عنه بالجملة التي هي قوله (لهم مغفرة وأجر عظيم) والوعيد وهو قوله (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) أي لا يفارقونها (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم) روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني قريظة ومعه الشيخان أبو بكر وعمر والختنان يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده ونزل جبريل فاخبره بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت الآية اذ ظرف للنعمة (أن يبسطوا) بان يبسطوا (اليكم أيديهم) بالقتل يقال بسط لسانه اليه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش به ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها الى المبطوش به (فكف أيديهم عنكم) فمنعها أن تمد اليكم (واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فانه الكافي والدافع والمانع (ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) هو الذي ينقب عن أحوال القوم ويفتش عنها ولما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله بالمسير الى أريحاء أرض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وأمر الله موسى عليه السلام أن يأخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به توثقة عليهم فاختار النقباء وأخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا أجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم أن يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوقنا ويوشع بن نون وكانا من النقباء (وقال الله اني معكم) أي ناصركم ومعينكم وتقف هنا لابتدائك بالشرط الداخل عليه اللام الموطئة للقسم وهو (لئن أقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة) وكانتا فريضتين عليهم (وآمنتم برسلي) من غير تفريق بين أحد منهم (وعزرتموهم) وعظمتموهم أو نصرتموهم بان تردوا عنهم أعداءهم والعزر في اللغة الرد يقال عزرت فلانا

أى أدّبته يعنى فعلت به مايردعه عن القبيح كذا قاله الزجاج (وأقرضتم الله قرضا حسنا) بلا من وقيل هو كل خير واللام فى (لأكفرن عنكم سيا تكم) جواب للقسم وهذا الجواب سادّ مسد جواب القسم والشرط جميعا (ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم) أى بعد ذلك الشرط المؤكد المتعلق بالوعد العظيم (فقد ضل سواء السبيل) أخطأ طريق الحق نعم من كفر قبل ذلك فقد ضل سواء السبيل أيضا ولكن الضلال بعده أظهر وأعظم (فبما نقضهم ميثاقهم) ما مزيد لافادة تفخيم الامر (لعناهم) طردناهم وأخرجناهم من رحمتنا أومسخناهم أوضربنا عليهم الجزية (وجعلنا قلوبهم قاسية) يابسة لا رحمة فيها ولا لين قسية حمزة وعلى أى رديئة من قولهم درهم قسى أى ردىء (يحرفون الكلم عن مواضعه) يفسرونه على غير ما أنزل وهو بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة أشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه (ونسوا حظا) وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا (مما ذكروا به) من التوراة يعنى ان تركهم واعراضهم عن التوراة اغفال حظ عظيم أوقست قلوبهم وفسدت فحرفوا التوراة وزلت أشياء منها عن حفظهم عن ابن مسعود رضى الله عنه وقد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية وقيل تركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته (ولا تزال) يا محمد (تطلع على خائنة منهم) أى هذه عادتهم وكان عليها أسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ويهمون بالفتك بك وقوله على خائنة أى على خيانة أوعلى فعلة ذات خيانة أوعلى نفس أوفرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة (الا قليلا منهم) وهم الذين آمنوا منهم (فاعف عنهم) بعث على مخالفتهم أوفاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم (واصفح ان الله يحب المحسنين) ومن فى قوله (ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم) وهو الايمان بالله والرسل وأفعال الخير يتعلق بأخذنا أى وأخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم فقدم على الفعل الجار والمجرور وفصل بين الفعل والواو بالجار والمجرور وانما لم يقل من النصارى لانهم انما سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصر الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن أنصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية أنصارا للشيطان (فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا) فالصقنا وألزمنا من غرى بالشىء اذا لزمه ولصق به ومنه الغراء الذى يلصق به (بينهم) بين فرق النصارى المختلفين (العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) بالاهواء المختلفة (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) أى فى القيامة بالجزاء والعقاب (ياأهل الكتاب) خطاب لليهود والنصارى والكتاب للجنس (قد جاءكم رسولنا) محمد عليه السلام (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) من نحو صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن نحو الرجم (ويعفوا عن كثير) مما تخفونه لايبينه أو يعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك ولابانته ما كان خافيا على الناس من الحق أولانه ظاهر الاعجاز أوالنور محمد عليه السلام لانه يهتدى به كما سمى

سراجا (يهدي به الله) أي بالقرآن (من اتبع رضوانه) من آمن منهم (سبل السلام) طرق السلامة والنجاة من عذاب الله أو سبل الله فالسلام السلامة أو الله (ويخرجهم من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر الى نور الاسلام (باذنه) بارادته وتوفيقه (ويهديهم الى صراط مستقيم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) معناه بت القول على أن الله هو المسيح لا غير قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك أو لان مذهبهم يؤدي اليه حيث انهم اعتقدوا انه يخلق ويحيي ويميت (قل فمن يملك من الله شيأ) فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيأ (ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الارض جميعا) أي ان أراد أن يهلك من دعوه إلها من المسيح وأمه يعني ان المسيح عبد مخلوق كسائر العباد وعطف من في الارض جميعا على المسيح وأمه ابانة انهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم والمعنى ان من اشتمل عليه رحم الامومية متى يفارقه نقص البشرية ومن لاحت عليه شواهد الحدثية أنى يليق به نعت الربوبية ولو قطع البقاء عن جميع ما أوجد لم يعد نقص الى الصمدية (ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء) أي يخلق من ذكر وأنثى ويخلق من أنثى بلا ذكر كما خلق عيسى ويخلق من ذكر من غير أنثى كما خلق حواء من آدم ويخلق من غير ذكر وأنثى كما خلق آدم أو يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له فلا اعتراض عليه لانه الفعال لما يريد (والله على كل شيء قدير وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) أي أعزة عليه كالابن على الاب أو اشياع ابني الله عزير والمسيح كما قيل لاشياع أبي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبيون وكما كان يقول رهط مسيلمة نحن أبناء الله ويقول أقرباء الملك وحشمه نحن أبناء الملوك أو نحن أبناء رسل الله (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) أي فان صح انكم أبناء الله وأحباؤه فلم تعذبون بذنوبكم بالمسخ والنار أياما معدودة على زعمكم وهل يمسخ الاب ولده وهل يعذب الوالد ولده بالنار ثم قال ردا عليهم (بل أنتم بشر ممن خلق) أي أنتم خلق من خلقه لا بنوه (يغفر لمن يشاء) لمن تاب عن الكفر فضلا (ويعذب من يشاء) من مات عليه عدلا (ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير) فيه تنبيه على عبودية المسيح لان الملك والبنوة متنافيان (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا) محمد عليه السلام (يبين لكم) أي الشرائع وحذف لظهوره أو ما كنتم تخفون وحذف لتقدم ذكره أو لا يقدر المبين ويكون المعنى يبذل لكم البيان وهو حال أي مبينا لكم (على فترة من الرسل) متعلق بجاءكم أي جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحي وكان بين عيسى ومحمد عليهما السلام ستمائة سنة أو خمسمائة سنة وستون سنة (أن تقولوا) كراهة أن تقولوا (ما جاءنا من بشير ولا نذير) والفاء في (فقد جاءكم) متعلق بمحذوف أي لا تعتذروا فقد جاءكم (بشير) للمؤمنين (ونذير) للكافرين والمعنى الامتنان عليهم بان الرسول بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي أحوج ما يكونون اليه ليهشوا اليه ويعدوه أعظم نعمة من الله وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه

لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم (والله على كل شيء قدير) فكان قادرا على ارسال محمد عليه السلام ضرورة (واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء) لانه لم يبعث فى أمة ما بعث فى بنى اسرائيل من الانبياء (وجعلكم ملوكا) لانه ملكهم بعد فرعون ملكه و بعد الجبابرة ملكهم ولان الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وكانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية وقيل من له بيت وخدم ولانهم كانوا مملوكين فى أيدى القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا (وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين) من فلق البحر واغراق العدو وانزال المن والسلوى وتظليل الغمام ونحو ذلك من الامور العظام أو أراد عالمى زمانهم (ياقوم ادخلوا الارض المقدسة) أى المطهرة أو المباركة وهى أرض بيت المقدس أو الشام (التى كتب الله لكم) قسمها لكم أو سماها أو كتب فى اللوح المحفوظ انها مساكن لكم (ولا ترتدوا على أدباركم) ولا ترجعوا على أعقابكم مدبرين منهزمين من خوف الجبابرة جبنا أو لا ترتدوا على أدباركم فى دينكم (فتنقلبوا خاسرين) فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة (قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين) الجبار فعال من جبره على الامر بمعنى أجبره عليه وهو العاتى الذى يجبر الناس على مايريد (وانا لن ندخلها) بالقتال (حتى يخرجوا منها) بغير قتال (فان يخرجوا منها) بلا قتال (فانا داخلون) بلادهم حينئذ (قال رجلان) كالب و يوشع (من الذين يخافون) الله و يخشونه كأنه قيل رجلان من المتقين وهو فى محل الرفع صفة لرجلان وكذا (أنعم الله عليهما) بالخوف منه (ادخلوا عليهم الباب) أى باب المدينة (فاذا دخلتموه فانكم غالبون) أى انهزموا وكانت الغلبة لكم وانما علما ذلك باخبار موسى عليه السلام (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) اذ الايمان به يقتضى التوكل عليه وهو قطع العلائق وترك التملق للخلائق (قالوا ياموسى انا لن ندخلها) هذا نفى لدخولهم فى المستقبل على وجه التوكيد (أبدا) تعليق للنفى المؤكد بالدهر المتطاول (ماداموا فيها) بيان للابد (فاذهب أنت وربك) من العلماء من حمله على الظاهر وقال انه كفر منهم وليس كذلك اذ لو قالوا ذلك اعتقادا لكفروا وبه لحاربهم موسى ولم تكن مقاتلة الجبارين أولى من مقاتلة هؤلاء ولكن الوجه فيه ان يقال اذهب أنت وربك يعينك على قتالك أو وربك أى وسيدك وهو أخوك الاكبر هرون أو لم يرد به حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبنى تريد معنى الارادة كأنهم قالوا أريدا قتالهم (فقاتلا انا ههنا قاعدون) ما كثون لا نقاتلهم لنصرة دينكم فلما عصوه وخالفوه (قال رب انى لا أملك) لنصرة دينك (الا نفسى وأخى) وهو منصوب بالعطف على نفسى أو على اسم ان أى انى لا أملك الا نفسى وان أخى لا يملك الا نفسه أو مرفوع بالعطف على محل ان واسمها أو على الضمير فى لا أملك وجاز للفصل أى ولا يملك أخى الا نفسه أو هو مبتدأ والخبر محذوف أى وأخى كذلك وهذا من البث والشكوى الى الله ورقة القلب التى بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة وكأنه لم يثق بالرجلين المذكورين كل الوثوق فلم يذكر الا النبى

المعصوم أو أراد ومن يؤاخيني على ديني (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) فافصل بيننا وبينهم بان تحكم لنا بما وعدتنا وتحكم عليهم بما هم أهله وهو في معنى الدعاء عليهم أو فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين (قال فانها) أي الارض المقدسة (محرمة عليهم) لا يدخلونها وهو تحريم منع لا تحريم تعبد كقوله وحرمنا عليه المراضع والمراد بقوله كتب الله لكم أي بشرط أن تجاهدوا أهلها فلما أبوا الجهاد قيل فانها محرمة عليهم أو المراد فانها محرمة عليهم (أربعين سنة) فاذا مضى الاربعون كان ما كتب فقد سار موسى عليه السلام بمن بقي من بني اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتحها وأقام فيها ما شاء الله ثم قبض وأربعين ظرف التحريم والوقف على سنة أو ظرف (يتيهون في الارض) أي يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا أربعين سنة والوقف على عليهم وانما عوقبوا بالحبس لاختيارهم المكث فكانوا مع شدة سيرهم يصبحون حيث أمسوا ويمسون حيث أصبحوا في ستة فراسخ ولما ندم على الدعاء عليهم قيل له (فلا تأس على القوم الفاسقين) فلا تحزن عليهم لانهم فاسقون قيل لم يكن موسى وهرون معهم في التيه لانه كان عقابا وقد سأل موسى ربه انه يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم الا انه كان ذلك روحا لهما وسلاما لا عقوبة ومات هرون في التيه وموسى فيه بعده بسنة ومات النقباء في التيه الا كالب ويوشع ثم أمر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقص على حاسديه ما جرى بسبب الحسد ليتركوه ويؤمنوا بقوله (واتل عليهم) على أهل الكتاب (نبأ ابني آدم) من صلبه هابيل وقابيل أوهما رجلان من بني اسرائيل (بالحق) نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين أو تلاوة ملتبسة بالصدق والصحة أو واتل عليهم وأنت محق صادق (اذ قربا) نصب بالنبأ أي قصتهما وحديثهما في ذلك الوقت أو بدل من النبأ أي اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف (قربانا) ما يتقرب به الى الله من نسيكة أو صدقة يقال قرب صدقة وتقرب بها لان تقرب مطاوع قرب والمعنى اذ قرب كل واحد منهما قربانه دليله (فتقبل من أحدهما) قربانه وهو هابيل (ولم يتقبل من الآخر) قربانه وهو قابيل روى أنه أوحى الله تعالى الى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل أجمل واسمها اقليما فحسده عليها أخاه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فمن أيكما قبل يتزوجها فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وهو قوله (قال لاقتلنك) اى قال لهابيل (قال انما يتقبل الله من المتقين) وتقديره قال لم تقتلني قال لأن الله قبل قربانك ولم يقبل قربانى فقال انما يتقبل الله من المتقين وأنت غير متق فانما أوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي وعن عامر بن عبد الله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك وقد كنت وكنت قال انى أسمع الله يقول انما يتقبل الله من المتقين (لئن بسطت) مددت (الى يدك لتقتلني ما أنا بباسط) بماد (يدى) مدني وأبو عمرو وحفص (اليك لاقتلك انى أخاف الله رب العالمين) قيل كان أقوى من القاتل وأبطش منه

ولكن تحرج عن قتل أخيه واستسلم له خوفا من الله تعالى لان الدفع لم يكن مباحا فى ذلك الوقت وقيل بل كان ذلك واجبا فان فيه اهلاك نفسه ومشاركة للقاتل فى اثمه وانما معناه ما انا بباسط يدى اليك مبتدئا كقصدك ذلك منى وكان هابيل عازما على مدافعته اذا قصد قتله وانما قتله فتكا على غفلة منه انى أخاف حجازى وأبو عمرو (انى أريد) مدنى (ان تبوء) ان تحتمل اوترجع (بائمى) باثم قتلى اذا قتلتنى (واثمك) الذى لاجله لم يتقبل قربانك وهو عقوق الاب والحسد والحقد وانما أراد ذلك لكفره برده قضية الله تعالى أوكان ظالما وجزاء الظالم جائز أن يراد (فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه) فوسعته ويسرته من طاع له المرتع اذا اتسع (فقتله) عند عقبة حراء أو بالبصرة والمقتول ابن عشرين سنة (فأصبح من الخاسرين فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه) أى الله أو الغراب (كيف يوارى سوأة أخيه) عورة أخيه ومالا يجوز أن ينكشف من جسده روى أنه أول قتيل قتل على وجه الارض من بنى آدم ولما قتله تركه بالعراء لا يدرى مايصنع به فخاف عليه السباع فحمله فى جراب على ظهره سنة حتى أروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه فى الحفرة فحينئذ (قال ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فاوارى) عطف على أكون (سوأة أخى فأصبح من النادمين) على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره فى أمره ولم يندم ندم التائبين أو كان الندم توبة لنا خاصة أو على حمله لا على قتله وروى انه لما قتله اسود جسده وكان أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذا اسود جسدك فالسودان من ولده وماروى ان آدم رثاه بشعر فلا يصح لان الانبياء عليهم السلام معصومون من الشعر (من أجل ذلك) بسبب ذلك وبعلته وذلك اشارة الى القتل المذكور وقيل هو متصل بالآية الاولى فيوقف على ذلك أى فاصبح من النادمين لاجل حمله ولاجل قتله وقيل هو مستأنف والوقف على النادمين ومن يتعلق بكتبنا لابالنادمين (كتبنا على بنى اسرائيل) خصهم بالذكر وان اشترك الكل فى ذلك لان التوراة أول كتاب فيه الاحكام (أنه من قتل نفسا) الضمير للشأن ومن شرطية (بغير نفس) بغير قتل نفس (أو فساد فى الارض) عطف على نفس أى بغير فساد فى الارض وهو الشرك أو قطع الطريق وكل فساد يوجب القتل (فكانما قتل الناس جميعا) أى فى الذنب عن الحسن لان قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله عليه والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك (ومن أحياها) ومن استنقذها من أسباب الهلكة من قتل أو غرق أو حرق أو هدم أو غير ذلك (فكانما أحيا الناس جميعا) جعل قتل الواحد كقتل الجميع وكذلك الاحياء ترغيبا وترهيبا لان المتعرض لقتل النفس اذا تصور أن قتلها كقتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذا الذى أراد احياءها اذا تصور أن حكمه حكم احياء جميع الناس رغب فى احيائها (ولقد جاءتهم) أى بنى اسرائيل (رسلنا) رسلنا أبو عمرو (بالبينات) بالآيات الواضحات (ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك) بعد ما كتبنا عليهم أو بعد مجىء

الرسل بالآيات (في الارض لمسرفون) في القتل لايبالون بعظمته (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) أي أولياء الله في الحديث يقول الله تعالى من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة (ويسعون في الارض فسادا) مفسدين ويجوز أن يكون مفعولا له أي الفساد وخبر جزاء (أن يقتلوا) وما عطف عليه وأفاد التشديد الواحد بعد الواحد ومعناه ان يقتلوا من غير صلب ان أفردوا القتل (أو يصلبوا) مع القتل ان جمعوا بين القتل وأخذ المال (أو تقطع أيديهم وأرجلهم) ان أخذوا المال (من خلاف) حال من الايدي والارجل أي مختلفة (أو ينفوا من الارض) بالحبس اذا لم يزيدوا على الاخافة (ذلك) المذكور (لهم خزي في الدنيا) ذل وفضيحة (ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) فتسقط عنهم هذا الحد ولا ماهو حق العباد (فاعلموا أن الله غفور رحيم) يغفر لهم بالتوبة ويرحمهم فلا يعذبهم (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله) فلا تؤذوا عباد الله (وابتغوا اليه الوسيلة) هي كل ما يتوسل به أي يتقرب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به الى الله تعالى من فعل الطاعات وترك السيئات (وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ان الذين كفروا لو أن لهم ما في الارض جميعا) من صنوف الاموال (ومثله معه) وأنفقوها (ليفتدوا به) ليجعلوه فدية لانفسهم ولو مع ما في حيزه خبر ان ووحد الراجع في ليفتدوا به وقد ذكر شيآن لانه أجري الضمير مجرى اسم الاشارة كانه قيل ليفتدوا بذلك (من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم) فلا سبيل لهم الى النجاة بوجه (يريدون) يطلبون أو يتمنون (أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) دائم (والسارق والسارقة) ارتفعا بالابتداء والخبر محذوف تقديره وفيما يتلى عليكم السارق والسارقة أو الخبر (فاقطعوا أيديهما) أي يديهما والمراد اليمينان بدليل قراءة عبد الله بن مسعود ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لان المعنى والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما والاسم الموصول يضمن معنى الشرط وبدأ بالرجل لان السرقة من الجراءة وهي في الرجال أكثر وأخر الزاني لان الزنا ينبعث من الشهوة وهي في النساء أوفر وقطعت اليد لانها آلة السرقة ولم تقطع آلة الزنا تفاديا عن قطع النسل (جزاء بما كسبا) مفعول له (نكالا من الله) أي عقوبة منه وهو بدل من جزاء (والله عزيز) غالب لايعارض في حكمه (حكيم) فيما حكم من قطع يد السارق والسارقة (فمن تاب) من السرقة (من بعد ظلمه) سرقته (وأصلح) برد المسروق (فان الله يتوب عليه) يقبل توبته (ان الله غفور رحيم) يغفر ذنبه ويرحمه (ألم تعلم) يامحمد أو يامخاطب (أن الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء) من مات على الكفر (ويغفر لمن يشاء) لمن تاب عن الكفر (والله على كل شيء) من التعذيب والمغفرة وغيرهما (قدير) قادر وقدم التعذيب على المغفرة هنا لتقدم السرقة على التوبة (ياأيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون في الكفر) أي لاتهتم ولاتبال بمسارعة المنافقين في الكفر أي في اظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين فاني

ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال أسرع فيه الشيب أي وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر وقوعهم فيه أسرع شيء اذا وجدوا فرصة لم يخطئوها (من الذين قالوا) تبيين لقوله الذين يسارعون في الكفر (آمنا) مفعول قالوا (بأفواههم) متعلق بقالوا أي قالوا بأفواههم آمنا (ولم تؤمن قلوبهم) في محل النصب على الحال (ومن الذين هادوا) معطوف على من الذين قالوا أي من المنافقين واليهود ويرتفع (سماعون للكذب) على أنه خبر مبتدا مضمر أي هم سماعون والضمير للفريقين أو سماعون مبتدأ وخبره من الذين هادوا وعلى هذا يوقف على قلوبهم وعلى الاول على هادوا ومعنى سماعون للكذب يسمعون منك ليكذبوا عليك بان يمسخوا ما سمعوا منك بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير (سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) أي سماعون منك لاجل قوم آخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منك (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) أي يزيلونه ويميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد أن كان ذا موضع يحرفون صفة لقوم كقوله لم يأتوك أو خبر لمبتدا محذوف أي هم يحرفون والضمير مردود على لفظ الكلم (يقولون ان أوتيتم هذا) المحرف المزال عن مواضعه ويقولون مثل يحرفون وجاز أن يكون حالا من الضمير في يحرفون (فخذوه) واعلموا انه الحق واعملوا به (وان لم تؤتوه) وافتاكم محمد بخلافه (فاحذروا) فاياكم واياه فهو الباطل روى ان شريفا زنى بشريفة بخيبر وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان أمركم بالرجم فلا تقبلوا فامرهم بالرجم فابوا ان يأخذوا به (ومن يرد الله فتنته) ضلالته وهو حجة على من يقول يريد الله الايمان ولا يريد الكفر (فلن تملك له من الله شيأ) قطع رجاء محمد صلى الله عليه وسلم عن ايمان هؤلاء (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) عن الكفر لعلمه منهم اختيار الكفر وهو حجة لنا عليهم أيضا (لهم في الدنيا خزي) للمنافقين فضيحة ولليهود جزية (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) أي التخليد في النار (سماعون للكذب) كرر للتأكيد أي هم سماعون ومثله (أكالون للسحت) وهو كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة وفي الحديث هو الرشوة في الحكم وكانوا يأخذون الرشا على الاحكام وتحليل الحرام وبالتثقيل مكي وبصري وعلي (فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا اذا تحاكم اليه أهل الكتاب بين أن يحكم بينهم وبين ان لا يحكم بينهم وقيل نسخ التخيير بقوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله (وان تعرض عنهم فلن يضروك شيأ) فلن يقدروا على الاضرار بك لان الله تعالى يعصمك من الناس (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) بالعدل (ان الله يحب المقسطين) العادلين (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع ان الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الايمان به فيها حكم الله حال من التوراة وهي مبتدأ وخبره عندهم (ثم

يتولون من بعد ذلك) عطف على يحكمونك أي ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به (وما أولئك بالمؤمنين) بك أو بكتابهم كما يدعون (انا أنزلنا التوراة فيها هدى) يهدي للحق (ونور) يبين ما استبهم من الاحكام (يحكم بها النبيون الذين أسلموا) انقادوا لحكم الله في التوراة وهو صفة أجريت للنبيين على سبيل المدح وأريد باجرائها التعريض باليهود لانهم بعداء من ملة الاسلام التي هي دين الانبياء كلهم (للذين هادوا) تابوا من الكفر واللام يتعلق بيحكم (والربانيون والاحبار) معطوفان على النبيون أي الزهاد والعلماء (بما استحفظوا) استودعوا قيل ويجوز أن يكون بدلا من بها في يحكم بها (من كتاب الله) من للتبيين والضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله أي كلفهم الله حفظه أو للربانيين والاحبار ويكون الاستحفاظ من الانبياء (وكانوا عليه شهداء) رقباء لئلا يبدل (فلا تخشوا الناس) نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وامضائها على خلاف ما أمروا به من العدل خشية سلطان ظالم أو خيفة أذية أحد (واخشون) في مخالفة أمري وبالياء فيهما٣ سهل وافقه أبو عمرو في الوصل (ولا تشتروا بآياتي) ولا تستبدلوا بآيات الله وأحكامه (ثمنا قليلا) وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس (ومن لم يحكم بما أنزل الله) مستهينا به (فأولئك هم الكافرون) قال ابن عباس رضي الله عنهما من لم يحكم جاحدا فهو كافر وان لم يكن جاحدا فهو فاسق ظالم وقال ابن مسعود رضي الله عنه هو عام في اليهود وغيرهم (وكتبنا عليهم فيها) وفرضنا على اليهود في التوراة (أن النفس) مأخوذة (بالنفس) مقتولة بها اذا قتلتها بغير حق (والعين) مفقوأة (بالعين والانف) مجدوع (بالانف والاذن) مقطوعة (بالاذن والسن) مقلوعة (بالسن والجروح قصاص) أي ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص والا فحكومة عدل وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت وقوله أن النفس بالنفس يدل على أن المسلم يقتل بالذمي والرجل بالمرأة والحر بالعبد نصب نافع وعاصم وحمزة المعطوفات كلها للعطف على ما عملت فيه أن ورفعها علي للعطف على محل أن النفس لان المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس اجراء لكتبنا مجرى قلنا ونصب الباقون الكل ورفعوا الجروح والاذن بسكون الذال حيث كان نافع والباقون بضمها وهما لغتان كالسحت والسحت (فمن تصدق) من أصحاب الحق (به) بالقصاص وعفا عنه (فهو كفارة له) فالتصدق به كفارة للمتصدق باحسانه قال عليه السلام من تصدق بدم فما دونه كان كفارة له من يوم ولدته أمه (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) بالامتناع عن ذلك (وقفينا) معنى قفيت الشيء بالشيء جعلته في أثره كأنه جعل في قفاه يقال قفاه يقفوه اذا تبعه (على آثارهم) على آثار النبيين الذين أسلموا (بعيسى ابن مريم مصدقا) هو حال من عيسى (لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة) أي وآتيناه الانجيل ثابتا فيه هدى ونور ومصدقا فانتصب مصدقا بالعطف

٣ قوله فيهما اي في حالي الوقف والوصل اه

على ثابتا الذى تعلق به فيه وقام مقامه فيه وارتفع هدى ونور بثابتا الذى قام مقامه فيه (وهدى وموعظة) انتصبا على الحال أى هاديا وواعظا (للمتقين) لانهم ينتفعون به (وليحكم اهل الانجيل بما أنزل الله فيه) وقلنا لهم احكموا بموجبه فاللام لام الامر وأصله الكسر وانما سكن استثقالا لفتحة وكسرة وفتحة وليحكم بكسر اللام وفتح الميم حمزة على انها لام كى أى وقفينا ليؤمنوا وليحكم (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) الخارجون عن الطاعة قال الشيخ أبو منصور رحمه الله يجوز أن يحمل على الجحود فى الثلاث فيكون كافرا ظالما فاسقا لان الفاسق المطلق والظالم المطلق هو الكافر وقيل ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر بنعمة الله ظالم فى حكمه فاسق فى فعله (وأنزلنا اليك الكتاب) أى القرآن فحرف التعريف فيه للعهد (بالحق) بسبب الحق واثباته وتبيين الصواب من الخطا (مصدقا) حال من الكتاب (لما بين يديه) لما تقدمه نزولا وانما قيل لما قبل الشئ هو بين يديه لان ما تأخر عنه يكون وراءه وخلفه فما تقدم عليه يكون قدامه و بين يديه (من الكتاب) المراد به جنس الكتب المنزله لان القرآن مصدق لجميع كتب الله فكان حرف التعريف فيه للجنس ومعنى تصديقه الكتب موافقتها فى التوحيد والعبادة وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون (ومهيمنا عليه) وشاهدا لانه يشهد له بالصحة والثبات (فاحكم بينهم بما أنزل الله) أى بما فى القرآن (ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) نهى أن يحكم بما حرفوه و بدلوه اعتمادا على قولهم ضمن ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذا عدى بعن فكانه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا أهواءهم أو التقدير عادلا عما جاءك (لكل جعلنا منكم) أيها الناس (شرعة) شريعة (ومنهاجا) وطريقا واضحا واستدل به من قال ان شريعة من قبلنا لا تلزمنا ذكر الله انزال التوراة على موسى عليه السلام ثم انزال الانجيل على عيسى عليه السلام ثم انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم و بين انه ليس للسماع فحسب بل للحكم به فقال فى الاول يحكم بها النبيون وفى الثانى وليحكم أهل الانجيل وفى الثالث فاحكم بينهم بما أنزل الله (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) جماعة متفقة على شريعة واحدة (ولكن) أراد (ليبلوكم) ليعاملكم معاملة المختبر (فيما آتاكم) من الشرائع المختلفة فتعبد كل أمة بما اقتضته الحكمة (فاستبقوا الخيرات) فابتدروها وسابقوا نحوها قبل الفوات بالوفاة والمراد بالخيرات كل ما أمر الله تعالى به (الى الله مرجعكم) استئناف فى معنى التعليل لاستباق الخيرات (جميعا) حال من الضمير المجرور والعامل المصدر المضاف لانه فى تقدير اليه ترجعون (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم فى العمل (وأن احكم) معطوف على بالحق أى أنزلنا اليك الكتاب بالحق و بان احكم (بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك) أى يصرفوك وهو مفعول له أى مخافة أن يفتنوك وانما حذره وهو رسول مأمون لقطع أطماع القوم (عن بعض ما أنزل الله

اليك

اليك فان تولوا) عن الحكم بما أنزل الله اليك وأرادوا غيره (فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم
ببعض ذنوبهم) أى بذنب التولى عن حكم الله وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع
ذلك وهذا الابهام لتعظيم التولى وفيه تعظيم الذنوب فان الذنوب بعضها مهلك فكيف بكلها
(وان كثيرا من الناس لفاسقون) لخارجون عن أمر الله (أفحكم الجاهلية يبغون)
يطلبون و بالتاء شامى يخاطب بنى النضير فى تفاضلهم على بنى قريظة وقد قال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم القتلى سواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وسئل طاوس عن
الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية وناصب أفحكم الجاهلية يبغون (ومن
أحسن) مبتدأ وخبره وهو استفهام فى معنى النفى أى لا أحد أحسن (من الله حكما) هو تمييز
واللام فى (لقوم يوقنون) للبيان كاللام فى هيت لك أى هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون
فانهم هم الذين يتبينون ان لا أعدل من الله ولا أحسن حكما منه وقال أبو على معنى لقوم عند
قوم لان اللام وعند يتقاربان فى المعنى ونزل نهيا عن موالاة أعداء الدين (يا أيها الذين آمنوا لا
تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) أى لا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخونهم
وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهى بقوله (بعضهم أولياء بعض) وكلهم أعداء المؤمنين
وفيه دليل على أن الكفر كله ملة واحدة (ومن يتولهم منكم فانه منهم) من جملتهم وحكمه
حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد فى وجوب مجانبة المخالف فى الدين (ان الله لا يهدى
القوم الظالمين) لا يرشد الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفرة (فترى الذين فى قلوبهم
مرض) نفاق (يسارعون) حال أو مفعول ثان لاحتمال أن يكون فترى من رؤية العين
أو القلب (فيهم) فى معاونتهم على المسلمين وموالاتهم (يقولون) أى فى أنفسهم لقوله على
ما أسروا (نخشى أن تصيبنا دائرة) أى حادثة تدور بالحال التى يكونون عليها (فعسى الله أن
يأتى بالفتح) لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه واظهار المسلمين (أو أمر من
عنده) أى يؤمر النبى عليه السلام باظهار أسرار المنافقين وقتلهم (فيصبحوا) أى
المنافقون (على ما أسروا فى أنفسهم) من النفاق (نادمين) خبر فيصبحوا (ويقول
الذين آمنوا) أى يقول بعضهم لبعض عند ذلك ويقول بصرى عطفا على أن يأتى يقول بغير
واو شامى وحجازى على أنه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين
آمنوا (أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمعكم) أى أقسموا لكم باغلاظ
الايمان انهم أولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار وجهد أيمانهم مصدر فى تقدير الحال أى
مجتهدين فى توكيد أيمانهم (حبطت أعمالهم) ضاعت أعمالهم التى عملوها رياء وسمعة
لا ايمانا وعقيدة وهذا من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الاعمال لهم وتعجيبا من سوء
حالهم (فأصبحوا خاسرين) فى الدنيا والعقبى لفوات المعونة ودوام العقوبة (يا أيها الذين
آمنوا من يرتد منكم عن دينه) من يرجع منكم عن دين الاسلام الى ما كان عليه من
الكفر يرتدد مدنى وشامى (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) يرضى أعمالهم ويثنى

عليهم بها ويطيعونه و يؤثرون رضاه وفيه دليل نبوته عليه السلام حيث أخبرهم بما لم يكن فكان واثبات خلافة الصديق لانه جاهد المرتدين وفى صحة خلافته وخلافة عمر رضى الله عنهما وسئل النبى صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب على عاتق سلمان وقال هذا وذووه لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس والراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن لمعنى الشرط محذوف معناه فسوف يأتى الله بقوم مكانهم (أذلة) جمع ذليل وأما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم أنه من الذل الذى هو ضد الصعوبة فقد سها لان ذلولا لايجمع على أذلة قال الجوهرى الذل ضد العز و رجل ذليل بين الذل وقوم أذلاء وأذلة والذل بالكسر اللين وهو ضد الصعوبة يقال دابة ذلول ودواب ذلل (على المؤمنين) ولم يقل للمؤمنين لتضمن الذل معنى الحنو والعطف كانه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع (أعزة على الكافرين) أشداء عليهم والعزاز الارض الصلبة فهم مع المؤمنين كالولد لوالده والعبد لسيده ومع الكافرين كالسبع على فريسته (يجاهدون فى سبيل الله) يقاتلون الكفار وهو صفة لقوم كيحبهم وأعزة وأذلة (ولايخافون لومة لائم) الواو يحتمل أن تكون للحال أى يجاهدون وحالهم فى المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم كانوا موالين لليهود فاذا خرجوا فى جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود فلا يعملون شيأ مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم وأما المؤمنون فجاهدتهم لله لايخافون لومة لائم وان تكون للعطف أى من صفتهم المجاهدة فى سبيل الله وهم صلاب فى دينهم اذا شرعوا فى أمر من أمور الدين لاتنزعهم لومة لائم واللومة المرة من اللوم وفيها وفى التنكير مبالغتان كانه قيل لا يخافون شيأ قط من لوم واحد من اللوام (ذلك) اشارة الى ماوصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة (فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع) كثير الفواضل (عليم) بمن هو من أهلها عقب النهى عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله (انما وليكم الله و رسوله والذين آمنوا) وانما يفيد اختصاصهم بالموالاة ولم يجمع الولى وان كان المذكور جماعة تنبيها على أن الولاية لله أصل ولغيره تبع ولو قيل انما أولياؤكم الله و رسوله والذين آمنوا لم يكن فى الكلام أصل وتبع ومحل (الذين يقيمون الصلوة) الرفع على البدل من الذين آمنوا أو على هم الذين أو النصب على المدح (و يؤتون الزكوة) والواو فى (وهم راكعون) للحال أى يؤتونها فى حال ركوعهم فى الصلاة قيل انها نزلت في على رضى الله عنه حين سأله سائل وهو راكع فى صلاته فطرح له خاتمه كانه كان مرجا فى خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل يفسد صلاته و ورد بلفظ الجمع وان كان السبب فيه واحدا ترغيبا للناس فى مثل فعله لينالوا مثل ثوابه والآية تدل على جواز الصدقة فى الصلاة وعلى ان الفعل القليل لايفسد الصلاة (ومن يتول الله و رسوله والذين آمنوا) يتخذه وليا أو يكن وليا (فان حزب الله هم الغالبون) من اقامة الظاهر مقام الضمير أى فانهم هم الغالبون أو المراد بحزب الله الرسول والمؤمنون أى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن

لايغالب وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حزبهم أي أصابهم وروي أن رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث قد أظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزل (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا) يعني اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لايصح ان يقابل باتخاذكم اياهم أولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والمنابذة (من الذين أوتوا الكتاب) من للبيان (من قبلكم والكفار) أي المشركين وهو عطف على الذين المنصوبة والكفار بصري وعلى عطف على الذين المجرورة أي من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الكفار (أولياء واتقوا الله) في موالاة الكفار (ان كنتم مؤمنين) حقا لان الايمان حقا يأبى موالاة أعداء الدين (واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها) أي الصلاة أو المناداة (هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لايعقلون) لان لعبهم وهزوهم من أفعال السفهاء والجهلة فكأنهم لاعقل لهم وفيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده (قل ياأهل الكتاب هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل) يعني هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالله وبالكتب المنزلة كلها (وأن أكثركم فاسقون) وهو عطف على المجرور أي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وما أنزل وبأن أكثركم فاسقون والمعنى أعاديتمونا الا اعتقدنا توحيد الله وصدق أنبيائه وفسقكم لمخالفتكم لنا في ذلك ويجوز أن يكون الواو بمعنى مع أي وما تنقمون منا الا الايمان بالله مع انكم فاسقون (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله) أي ثوابا وهو نصب على التمييز والمثوبة وان كانت مختصة بالاحسان ولكنها وضعت موضع العقوبة كقوله فبشرهم بعذاب أليم وكان اليهود يزعمون ان المسلمين مستوجبون للعقوبة فقيل لهم (من لعنه الله) شر عقوبة في الحقيقة من أهل الاسلام في زعمكم وذلك اشارة الى المتقدم اي الايمان أي بشر مما نقمتم من ايماننا ثوابا أي جزاء ولا بد من حذف مضاف قبله أو قبل من تقديره بشر من أهل ذلك أودين من لعنه الله (وغضب عليه وجعل منهم القردة) يعني أصحاب السبت (والخنازير) أي كفار أهل مائدة عيسى عليه السلام أو كلا المسخين من أصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير (وعبد الطاغوت) أي العجل أو الشيطان لان عبادتهم العجل بتزيين الشيطان وهو عطف على صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت وعبد الطاغوت حمزة جعله اسما موضوعا للمبالغة كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة وهو معطوف على القردة والخنازير أي جعل الله منهم عبد الطاغوت (أولئك) الممسوخون الملعونون (شر مكانا) جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله للمبالغة (وأضل عن سواء السبيل) عن قصد الطريق الموصل الى الجنة ونزل في ناس من اليهود كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويظهرون له الايمان نفاقا (واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) الباء للحال أي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قد دخلوا وهم قد خرجوا ولذا دخلت قد تقريبا للماضي من الحال وهو متعلق بقالوا آمنا أي

قالواذلك وهذه حالهم (والله أعلم بما كانوا يكتمون) من النفاق (وترى كثيرامنهم) من اليهود (يسارعون فى الاثم) الكذب (والعدوان) الظلم أو الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم والمسارعة فى الشئ الشروع فيه بسرعة (وأكلهم السحت) الحرام (لبئس ما كانوا يعملون) لبئس شيأ عملوه (لولا) هلا وهو تحضيض (ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون) هذا ذم للعلماء والاول للعامة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى أشد آية فى القرآن حيث أنزل تارك النهى عن المنكر منزلة مرتكب المنكر فى الوعيد (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان) روى ان اليهود لعنهم الله لما كذبوا محمدا عليه السلام كف الله ما بسط عليهم من السعة وكانوا من أكثر الناس مالا فعند ذلك قال فنحاص يد الله مغلولة ورضى بقوله الآخرون فاشركوا فيه وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد المتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط حتى انه يستعمل فى ملك يعطى و يمنع بالاشارة من غير استعمال اليد ولو أعطى الاقطع الى المنكب عطاء جزلا لقالوا ما أبسط يده بالنوال وقد استعمل حيث لا تصح اليد يقال بسط اليأس كفيه في صدرى فجعل للياس الذى هو من المعانى كفان ومن لم ينظر فى علم البيان يتحير فى تأويل أمثال هذه الآية وقوله غلت أيديهم دعاء عليهم بالبخل ومن ثم كانوا أبخل خلق الله أوتغل فى جهنم فهى كأنها غلت وانما ثنيت اليد فى بل يداه مبسوطتان وهى مفردة في يد الله مغلولة ليكون رد قولهم وانكاره أبلغ وأدل على اثبات غاية السخاء له ونفى البخل عنه فغاية ما يبذله السخى أن يعطيه بيديه (ينفق كيف يشاء) تأكيد للوصف بالسخاء ودلالة على أنه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة (وليزيدن كثيرا منهم) من اليهود (ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) أى يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا فى الجحود وكفرا بآيات الله وهذا من اضافة الفعل الى السبب كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) فكلمهم أبدا مختلفة وقلوبهم شتى لا يقع بينهم اتفاق ولا تعاضد (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) كلما أرادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على أحد قط وقد أتاهم الاسلام وهم فى ملك المجوس وقيل كلما حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نصر عليهم عن قتادة لا تلقى يهوديا فى بلد الا وقد وجدته من أذل الناس (ويسعون فى الارض فسادا) ويجتهدون فى دفع الاسلام ومحو ذكر النبى عليه السلام من كتبهم (والله لا يحب المفسدين ولو أن أهل الكتاب آمنوا) برسول الله عليه السلام وبما جاء به مع ما عددنا من سيآتهم (واتقوا) أى وقرنوا ايمانهم بالتقوى (لكفرنا عنهم سيآتهم) ولم نؤاخذهم بها (ولأدخلناهم جنات النعيم) مع المسلمين (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل) أى أقاموا أحكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أنزل اليهم من ربهم) من سائر كتب الله لانهم

مكلفون الايمان بجميعها فكأنها أنزلت اليهم وقيل هو القرآن (لأكلوا من فوقهم) يعني الثمار من فوق رؤسهم (ومن تحت أرجلهم) يعني الزروع وهذه عبارة عن التوسعة كقولهم فلان في النعمة من فرقه الى قدمه ودلت الآية على ان العمل بطاعة الله تعالى سبب لسعة الرزق وهو كقوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا الآيات وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا (منهم أمة مقتصدة) طائفة حالها أمم في عداوة رسول الله عليه السلام وقيل هي الطائفة المؤمنة وهم عبد الله بن سلام وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى (وكثير منهم ساء ما يعملون) فيه معنى التعجب كانه قيل وكثير منهم ما أسوأ عملهم وقيل هم كعب بن الاشرف وأصحابه وغيرهم (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) جميع ما أنزل اليك وأي شيء أنزل اليك غير مراقب في تبليغه أحدا ولا خائف أن ينالك مكروه (وان لم تفعل) وان لم تبلغ جميعه كما أمرتك (فما بلغت رسالته) رسالاته مدني وشامي وأبو بكر أي فلم تبلغ اذا ما كلفت من أداء الرسالة ولم تؤد منها شيأ قط وذلك ان بعضها ليس باولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكأنك أغفلت أداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لكونها في حكم شيء واحد لدخولها تحت خطاب واحد والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن قالت الملاحدة لعنهم الله تعالى هذا كلام لا يفيد وهو كقولك لغلامك كل هذا الطعام فان لم تأكله فانك ما أكلته قلنا هذا أمر بتبليغ الرسالة في المستقبل أي بلغ ما أنزل اليك من ربك في المستقبل فان لم تفعل أي ان لم تبلغ الرسالة في المستقبل فكأنك لم تبلغ الرسالة أصلا أو بلغ ما أنزل اليك من ربك الآن ولا تنتظر به كثرة الشوكة والعدة فان لم تبلغ كنت كمن لم يبلغ أصلا أو بلغ ذلك غير خائف أحدا فان لم تبلغ على هذا الوصف فكأنك لم تبلغ الرسالة أصلا ثم قال مشجعا له في التبليغ (والله يعصمك من الناس) يحفظك منهم قتلا فلم يقدر عليه وان شج في وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته أو نزلت بعد ما أصابه ما أصابه والناس الكفار بدليل قوله (ان الله لا يهدي القوم الكافرين) لا يمكنهم مما يريدون انزاله بك من الهلاك (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء) على دين يعتد به حتى يسمى شيأ لبطلانه (حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) يعني القرآن (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) اضافة زيادة الكفر والطغيان الى القرآن بطريق التسبيب (فلا تأس على القوم الكافرين) فلا تتأسف عليهم فان ضرر ذلك يعود اليهم لا اليك (ان الذين آمنوا) بالسنتهم وهم المنافقون ودل عليه قوله لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم (والذين هادوا والصابئون والنصارى) قال سيبويه وجميع البصريين ارتفع الصابئون بالابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز ان من اسمها وخبرها كانه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى (من آمن بالله واليوم

الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون) والصابئون كذلك أى من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم فقدم وحذف الخبر كقوله

فمن يك أمسى بالمدينة رحله * فانى وقيار بها لغريب

أى فانى لغريب وقيار كذلك ودل اللام على انه خبران ولا يرتفع بالعطف على محل ان واسمها لان ذالايصح قبل الفراغ من الخبر لاتقول ان زيدا وعمرو منطلقان وانما يجوز ان زيدا منطلق وعمرو والصابئون مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين آمنوا الى آخره ولا محل لها كالا محل للتى عطفت عليها وفائدة التقديم التنبيه على أن الصابئين وهم أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا يتاب عليهم ان صح منهم الايمان فما الظن بغيرهم ومحل من آمن الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط ثم الجملة كما هى خبران والراجع الى اسم ان محذوف تقديره من آمن منهم (لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل) بالتوحيد (وأرسلنا اليهم رسلا) ليقفوهم على ما يأتون وما يذرون فى دينهم (كلما جاءهم رسول) جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف أى رسول منهم (بما لا تهوى أنفسهم) بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع وجواب الشرط محذوف دل عليه (فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) كانه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستأنف لقائل كأنه يقول كيف فعلوا برسلهم وقال يقتلون بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل وتنبيها على ان القتل من شأنهم وانتصب فريقا وفريقا على انه مفعول كذبوا يقتلون وقيل التكذيب مشترك بين اليهود والنصارى والقتل مختص باليهود فهم قتلوا زكريا ويحيى (وحسبوا أن لا تكون) حمزة وعلى وأبو عمرو على أن أن مخففة من الثقيلة أصله أنه لا تكون فخففت أن وحذف ضمير الشأن ونزل حسبانهم لقوته فى صدورهم منزلة العلم فلذا دخل فعل الحسبان على ان التى هى للتحقيق (فتنة) بلاء وعذاب أى وحسب بنو اسرائيل انهم لا يصيبهم من الله عذاب بقتل الانبياء وتكذيب الرسل وسد (٣) ما يشتمل عليه صلة أن وأن من المسند والمسند اليه مسد مفعولى حسب (فعموا وصموا) فلم يعملوا بما رأوا ولا بما سمعوا أو فعموا عن الرشد وصموا عن الوعظ (ثم تاب الله عليهم) رزقهم التوبة (ثم عموا وصموا كثير منهم) هو بدل من الضمير أى الواو وهو بدل البعض من الكل أو هو خبر مبتدا محذوف أى أولئك كثير منهم (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم بحسب أعمالهم (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم) لم يفرق عيسى عليه السلام بينه وبينهم فى أنه عبد مربوب ليكون حجة على النصارى (انه من يشرك بالله) فى عبادته غير الله (فقد حرم الله عليه الجنة) التى هى دار الموحدين أى

(٣) قوله ما يشتمل عليه صلة أن وأن أى أن وما تشتمل عليه صلتها اهـ

حرمه دخولها ومنعه منه (ومأواه النار) أى مرجعه (وما للظالمين) أى الكافرين (من أنصار) وهو من كلام الله تعالى أو من كلام عيسى عليه السلام (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) أى ثالث ثلاثة آلهة والاشكال انه تعالى قال فى الآية الاولى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال فى الثانية لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة والجواب ان بعض النصارى كانوا يقولون كان المسيح بعينه هو الله لان الله ربما يتجلى فى بعض الازمان فى شخص فتجلى فى ذلك الوقت فى شخص عيسى ولهذا كان يظهر من شخص عيسى أفعال لا يقدر عليها الا الله وبعضهم ذهبوا الى آلهة ثلاثة الله ومريم والمسيح وانه ولد الله من مريم ومن فى قوله (ومامن اله الا اله واحد) للاستغراق أى وما اله قط فى الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لا ثانى له وهو الله وحده لا شريك له وفى قوله (وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم) للبيان كالتى فى فاجتنبوا الرجس من الاوثان ولم يقل ليمسنهم لأن فى اقامة الظاهر مقام المضمر تكريرا للشهادة عليهم بالكفر أو للتبعيض أى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا عن النصرانية (عذاب أليم) نوع شديد الالم من العذاب (أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه) ألا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من اصرارهم (والله غفور رحيم) يغفر لهؤلاء ان تابوا ولغيرهم (ما المسيح ابن مريم الا رسول) فيه نفى الالوهية عنه (قد خلت من قبله الرسل) صفة لرسول أى ما هو الا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله وابراؤه الاكمه والابرص واحياؤه الموتى لم يكن منه لانه ليس إلها بل الله أبرأ الاكمه والابرص وأحيا الموتى على يده كما أحيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وخلقه من غير ذكر كخلق آدم من غير ذكر وأنثى (وأمه صديقة) أى وما أمه أيضا الا كبعض النساء المصدقات للانبياء المؤمنات بهم ووقع اسم الصديقة عليها لقوله تعالى وصدقت بكلمات ربها وكتبه ثم أبعدهما عما نسب اليهما بقوله (كانا يأكلان الطعام) لأن من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنقض لم يكن الا جسما مركبا من لحم وعظم وعروق وأعصاب وغير ذلك مما يدل على انه مصنوع مؤلف كغيره من الاجسام (انظر كيف نبين لهم الآيات) أى الاعلام من الادلة الظاهرة على بطلان قولهم (ثم انظر أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله بعد هذا البيان وهذا تعجيب من الله تعالى فى ذهابهم عن الفرق بين الرب والمربوب (قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا) هو عيسى عليه السلام أى شيأ لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلاء والمصائب فى الانفس والاموال ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الابدان والسعة والخصب لان كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فبتخليقه تعالى فكأنه لا يملك منه شيأ وهذا دليل قاطع على أن أمره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب أن يكون قادرا على كل شئ لا يخرج مقدور عن قدرته (والله هو السميع

العليم) متعلق بأتعبدون أى أتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذى يسمع ما تقولونه و يعلم ما تعتقدونه (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم) الغلو مجاوزة الحد فغلو النصارى رفعه فوق قدره باستحقاق الالوهية وغلو اليهود وضعه عن استحقاق النبوة (غير الحق) صفة لمصدر محذوف أى غلوا غير الحق يعنى غلوا باطلا (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) أى أسلافكم وأئمتكم الذين كانوا على الضلال قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم (وأضلوا كثيرا) ممن تابعهم (وضلوا) لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (عن سواء السبيل) حين كذبوه وحسدوه و بغوا عليه (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم) قيل ان أهل ايلة لما اعتدوا فى السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية فسخوا قردة ولما كفر أصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعد ما أكل من المائدة عذابا لم تعذبه أحدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) ذلك اللعن بعصيانهم واعتدائهم ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله (كانوا لا يتناهون) لا ينهى بعضهم بعضا (عن منكر فعلوه) عن قبيح فعلوه ومعنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهى بعد الفعل انهم لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه أو عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فعله أو المراد لا ينتهون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه ثم عجب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم بقوله (لبئس ما كانوا يفعلون) وفيه دليل على أن ترك النهى عن المنكر من العظائم فيا حسرة على المسلمين فى اعراضهم عنه (ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا) هم منافقو أهل الكتاب كانوا يوالون المشركين و يصافونهم (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم ان سخط الله عليهم) لبئس شيأ قدموه لانفسهم سخط الله عليهم أى موجب سخط الله (وفى العذاب هم خالدون) أى فى جهنم (ولو كانوا يؤمنون بالله) ايمانا خالصا بلا نفاق (والنبى) أى محمد صلى الله عليه وسلم (وما أنزل اليه) يعنى القرآن (ما اتخذوهم أولياء) ما اتخذوا المشركين أولياء يعنى ان موالاة المشركين تدل على نفاقهم (ولكن كثيرا منهم فاسقون) مستمرون فى كفرهم ونفاقهم أو معناه ولو كان هؤلاء اليهود يؤمنون بالله و بموسى وما أنزل اليه يعنى التوراة ما اتخذوا المشركين أولياء كما لم يوالهم المسلمون ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم فلا دين لهم أصلا (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود) هو مفعول ثان لتجدن وعداوة تمييز (والذين أشركوا) عطف عليهم (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) اللام تتعلق بعداوة ومودة ووصف اليهود بشدة الشكيمة والنصارى بلين العريكة وجعل اليهود قرناء المشركين فى شدة العداوة للمؤمنين ونبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على المشركين (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا) أى علماء وعبادا (وأنهم لا يستكبرون) علل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بان منهم قسيسين ورهبانا وان فيهم تواضعا

واستكانة واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل على أن العلم أنفع شئ وأهدى الى الخير وان كان علم القسيسين وكذا علم (٣) الآخرة وان كان فى راهب والبراءة من الكبر وان كانت فى نصرانى (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) وصفهم برقة القلوب وانهم يبكون عند استماع القرآن كما روى عن النجاشى أنه قال لجعفر بن أبى طالب حين اجتمع فى مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون وهم يقرؤنه عليهم هل فى كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب الى مريم فقرأها الى قوله ذلك عيسى بن مريم وقرأ سورة طه الى قوله هل أتاك حديث موسى فبكى النجاشى وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم سورة يس فبكوا تفيض من الدمع تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض ان يمتلئ الاناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذى هو من الامتلاء موضع الامتلاء أو قصدت المبالغة فى وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض بانفسها أى تسيل من أجل البكاء ومن فى مما عرفوا لابتداء الغاية على أن فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان من أجله ومن فى من الحق لتبيين الموصول الذى هو ما عرفوا أو للتبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم فكيف اذا عرفوا كله وقرؤا القرآن وأحاطوا بالسنة (يقولون) حال من ضمير الفاعل فى عرفوا (ربنا آمنا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والمراد انشاء الايمان والدخول فيه (فاكتبنا مع الشاهدين) مع أمة محمد عليه السلام الذين هم شهداء على سائر الامم يوم القيامة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم فى الانجيل كذلك (ومالنا لا نؤمن بالله) انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع فى انعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فأجابوهم بذلك ومالنا مبتدأ وخبر ولا نؤمن حال أى غير مؤمنين كقولك مالك قائما (وما جاءنا) وبما جاءنا (من الحق) يعنى محمدا عليه السلام والقرآن (ونطمع) حال من ضمير الفاعل فى نؤمن والتقدير ونحن نطمع (أن يدخلنا ربنا) الجنة (مع القوم الصالحين) الانبياء والمؤمنين (فأثابهم الله بما قالوا) أى بقولهم ربنا آمنا وتصديقهم لذلك (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين) وفيه دليل على أن الاقرار داخل فى الايمان كما هو مذهب الفقهاء وتعلقت الكرامية فى أن الايمان مجرد القول بقوله بما قالوا لكن الثناء بفيض الدمع فى السباق وبالاحسان فى السياق يدفع ذلك وأنى يكون مجرد القول ايمانا وقد قال الله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين نفى الايمان عنهم مع قولهم آمنا بالله لعدم التصديق بالقلب وقال أهل المعرفة الموجود منهم ثلاثة أشياء البكاء على الجفاء والدعاء على العطاء والرضا بالقضاء فمن ادعى المعرفة ولم يكن فيه هذه الثلاثة فليس بصادق فى دعواه (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) هذا أثر الرد فى حق الاعداء والاول أثر القبول للاولياء ونزل فى جماعة من الصحابة رضى الله عنهم حلفوا ان يترهبوا ويلبسوا

(٣) الذى فى الكشاف وكذلك علم الآخرة والتحدث بالعاقبة وان كان فى راهب

المسوح ويقوموا الليل ويصوموا النهار ويسيحوا فى الارض ويجبوا مذاكيرهم ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم أو لا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم فى العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال ان المؤمن حلوى يحب الحلواء وعن الحسن انه دعى الى طعام ومعه فرقد السبخي وأصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الالوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن أهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الالوان فاقبل الحسن عليه وقال يا فريقد أترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه انه قيل له فلان لا يأكل الفالوذ ويقول لا أؤدى شكره فقال أفيشرب الماء البارد قالوا نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه فى الماء البارد أكبر من نعمته عليه فى الفالوذ (ولا تعتدوا) ولا تجاوزوا الحد الذى حد عليكم فى تحليل أو تحريم أو ولا تتعدوا حدود ما أحل لكم الى ما حرم عليكم أو ولا تسرفوا فى تناول الطيبات (ان الله لا يحب المعتدين) حدوده (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) حلالا حال مما رزقكم الله (واتقوا الله) توكيد للتوصية بما أمر به وزاده توكيدا بقوله (الذى أنتم به مؤمنون) لان الايمان به يوجب التقوى فيما أمر به ونهى (لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم) اللغو فى اليمين الساقط الذى لا يتعلق به حكم وهو أن يحلف على شئ يرى أنه كذلك وليس كما ظن وكانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن أنه قربة فلما نزلت تلك الآية قالوا فكيف بأيماننا فنزلت وعند الشافعى رحمه الله ما يجرى على اللسان بلا قصد (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان) أى بتعقيدكم الايمان وهو توثيقها وبالتخفيف كوفى غير حفص والعقد العزم على الوطء وذا لا يتصور فى الماضى فلا كفارة فى الغموس وعند الشافعى رحمه الله القصد بالقلب ويمين الغموس مقصودة فكانت معقودة فكانت الكفارة فيها مشروعة والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لانه كان معلوما عندهم أو بنكث ما عقدتم فحذف المضاف (فكفارته) أى فكفارة نكثه أو فكفارة معقود الايمان والكفارة الفعلة التى من شأنها أن تكفر الخطيئة اى تسترها (اطعام عشرة مساكين) هو أن يغديهم ويعشيهم ويجوز أن يعطيهم بطريق التمليك وهو لكل أحد نصف صاع من بر أو صاع من شعير أو صاع من تمر وعند الشافعى رحمه الله مد لكل مسكين (من أوسط ما تطعمون أهليكم) أى غداء وعشاء من بر اذ الاوسع ثلاث مرات مع الادام والادنى مرة من تمر أو شعير (أو كسوتهم) عطف على اطعام أو على محل من أوسط ووجهه ان من أوسط بدل من اطعام والبدل هو المقصود فى الكلام وهو ثوب يغطى العورة وعن ابن عمر رضى الله عنه ازار وقميص ورداء (أو تحرير رقبة) مؤمنة أو كافرة لاطلاق النص وشرط الشافعى رحمه الله الايمان حملا

للمطلق على المقيد فى كفارة القتل ومعنى أو التخيير وإيجاب احدى الكفارات الثلاث (فن لم يجد) احداها (فصيام ثلاثة أيام) متتابعة لقراءة أبيّ وابن مسعود كذلك (ذلك) المذكور (كفارة أيمانكم اذا حلفتم) وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بان الكفارة لاتجب بنفس الحلف ولذا لم يجز التكفير قبل الحنث (واحفظوا أيمانكم) فبروا فيها ولاتحنثوا اذا لم يكن الحنث خيرا أو ولاتحلفوا أصلا (كذلك) مثل ذلك البيان (يبين الله لكم آياته) اعلام شريعته وأحكامه (لعلكم تشكرون) نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه (ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر) أى القمار (والأنصاب) الاصنام لانها تنصب فتعبد (والازلام) وهى القداح التى مرت (رجس) نجس أوخبيث مستقذر (من عمل الشيطان) لانه يحمل عليه فكانه عمله والضمير فى (فاجتنبوه) يرجع الى الرجس أوالى عمل الشيطان أوالى المذكور أوالى المضاف المحذوف كانه قيل انما تعاطى الخمر والميسر ولذا قال رجس (لعلكم تفلحون) أكد تحريم الخمر والميسر من وجوه حيث صدر الجملة بانما وقرنهما بعبادة الاصنام ومنها الحديث شارب الخمر كعابد الوثن وجعلهما رجسا من عمل الشيطان ولا يأتى منه الا الشر البحت وأمر بالاجتناب وجعل الاجتناب من الفلاح واذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خسارا (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة) ذكر مايتولد منهما من الوبال وهو وقوع التعادى والتباغض بين أصحاب الخمر والقمر ومايؤديان اليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة أوقات الصلاة وخص الصلاة من بين الذكر لزيادة درجتها كانه قال وعن الصلاة خصوصا وانما جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام أولا ثم أفردهما آخرا لان الخطاب مع المؤمنين وانما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الانصاب والازلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر واظهار ان ذلك جميعا من أعمال أهل الشرك فكانه لامباينة بين عابد الصنم وشارب الخمر والمقامر ثم أفردهما بالذكر ليعلم انهما المقصود بالذكر (فهل أنتم منتهون) من أبلغ ماينهى به كانه قيل قد تلى عليكم مافيهما من أنواع الصوارف والزواجر فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون أم أنتم على ما كنتم عليه كان لم توعظوا ولم تزجروا (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا) وكونوا حذرين خاشعين لانهم اذا حذروا دعاهم الحذر الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة (فان توليتم) عن ذلك (فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين) أى فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لانه ما كلف الا البلاغ المبين بالآيات وانما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتموه ونزل فيمن تعاطى شيأ من الخمر والميسر قبل التحريم (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) أى شربوا من الخمر وأكلوا من مال القمار قبل تحريمهما (اذا ما اتقوا) الشرك (وآمنوا) بالله (وعملوا الصالحات) بعد الايمان (ثم اتقوا) الخمر والميسر بعد التحريم (وآمنوا) بتحريمهما (ثم اتقوا) سائر المحرمات أو الاول عن الشرك والثانى عن

المحرمات والثالث عن الشبهات (وأحسنوا) الى الناس (والله يحب المحسنين) ولما ابتلاهم الله بالصيد عام الحديبية وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم فى رحالهم فيستمكنون من صيده أخذا بايديهم وطعنا برماحهم نزل (يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم) ومعنى يبلو يختبر وهو من الله لاظهار ما علم من العبد على ما علم لا لعلم مالم يعلم ومن للتبعيض اذ لا يحرم كل صيد أو لبيان الجنس (ليعلم الله من يخافه بالغيب) ليعلم الله خوف الخائف منه بالامتناع عن الاصطياد موجودا كما كان يعلم قبل وجوده انه يوجد ليثيبه على عمله لا على علمه فيه (فمن اعتدى) فصاد (بعد ذلك) الابتلاء (فله عذاب أليم) قال فى قوله بشيء من الصيد ليعلم انه ليس من الفتن العظام وتناله صفة لشيء (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد) أي المصيد اذ القتل انما يكون فيه (وأنتم حرم) أي محرمون جمع حرام كردح فى جمع رداح فى محل النصب على الحال من ضمير الفاعل فى تقتلوا (ومن قتله منكم متعمدا) حال من ضمير الفاعل أي ذاكرا لاحرامه أو عالما أن ما يقتله مما يحرم قتله عليه فان قتله ناسيا لاحرامه أو رمى صيدا وهو يظن أنه ليس بصيد فهو مخطىء وانما شرط التعمد فى الآية مع أن محظورات الاحرام يستوى فيها العمد والخطأ لان مورد الآية فيمن تعمد فقد روى أنه عن لهم فى عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه أبو اليسر فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وأنت محرم فنزلت ولان الاصل فعل المتعمد والخطأ ملحق به للتغليظ وعن الزهرى نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطا (فجزاء مثل ما قتل) كوفي أي فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد وهو قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدى خير بين أن يهدى من النعم ما قيمته قيمة الصيد و بين أن يشترى بقيمته طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما وعند محمد والشافعي رحمهما الله تعالى مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير من النعم فكما مر فجزاء مثل على الاضافة غيرهم وأصله فجزاء مثل ما قتل أن فعليه أي يجزى مثل ما قتل ثم أضيف كما تقول عجبت من ضرب زيدا ثم من ضرب زيد (من النعم) حال من الضمير فى قتل اذ المقتول يكون من النعم أو صفة لجزاء (يحكم به) بمثل ما قتل (ذوا عدل منكم) حكمان عادلان من المسلمين وفيه دليل على ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشياء المشاهدة ولان المثل المطلق فى الكتاب والسنة والاجماع مقيد بالصورة والمعنى أو بالمعنى لا بالصورة أو بالصورة بلا معنى ولان القيمة أريدت فيما لا مثل له صورة اجماعا فلم يبق غيرها مرادا اذ لا عموم للمشترك فان قلت قوله من النعم ينافي تفسير المثل بالقيمة قلت من أوجب القيمة خير بين أن يشترى بها هديا أو طعاما أو يصوم كما خير الله تعالى فى الآية فكان من النعم بيانا للهدى المشترى بالقيمة فى أحد وجوه التخيير لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير الذى فى الآية بين أن يجزى بالهدى أو يكفر بالطعام أو الصوم انما يستقيم اذا قوم ونظر بعد التقويم أي الثلاثة يختار فاما اذا عمد الى النظير وجعله

الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيأ لا نظير له قوم حينئذ ثم يخير بين الطعام والصيام ففيه نبوّ عما في الآية ألا ترى الى قوله أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما كيف خير بين الاشياء الثلاثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم (هديا) حال من الهاء في به أي يحكم به في حال الهدى (بالغ الكعبة) صفة لهديا لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة أن يذبح بالحرم فاما التصدق به فحيث شئت وعند الشافعي رحمه الله في الحرم (أو كفارة) معطوف على جزاء (طعام) بدل من كفارة أو خبر مبتدا محذوف أي هي طعام أو كفارة طعام على الاضافة مدني وشامي وهذه الاضافة لتبيين المضاف كانه قيل أو كفارة من طعام (مساكين) كما تقول خاتم فضة أي خاتم من فضة (أو عدل) وقرئ بكسر العين قال الفراء العدل ماعادل الشئ من غير جنسه كالصوم والاطعام والعدل مثله من جنسه ومنه عدلا الحمل يقال عندي غلام عدل غلامك بالكسر اذا كان من جنسه فان أريد ان قيمته كقيمته ولم يكن من جنسه قيل هو عدل غلامك بالفتح (ذلك) اشارة الى الطعام (صياما) تمييز نحو لي مثله رجلا والخيار في ذلك الى القاتل وعند محمد رحمه الله الى الحكمين (ليذوق وبال أمره) متعلق بقوله فجزاء اي فعليه أن يجازي او يكفر ليذوق سوء عقاب عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى فاخذناه أخذا وبيلا أي ثقيلا شديدا والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا يستمرأ (عفا الله عما سلف) لكم من الصيد قبل التحريم (ومن عاد) الى قتل الصيد بعد التحريم أو في ذلك الاحرام (فينتقم الله منه) بالجزاء وهو خبر مبتدا محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه (والله عزيز) بالزام الاحكام (ذو انتقام) لمن جاوز حدود الاسلام (أحل لكم صيد البحر) مصيدات البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل (وطعامه) ومايطعم من صيده والمعنى أحل لكم الانتفاع بجميع مايصاد في البحر وأحل لكم أكل المأكول منه وهو السمك وحده (متاعا لكم) مفعول له أي أحل لكم تمتيعا لكم (وللسيارة) وللمسافرين والمعنى أحل لكم طعامه تمتيعا لتُنّائكم ٢ يأكلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره الى الخضر (وحرم عليكم صيد البر) ماصيد فيه وهو مايفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كالبط فانه بري لانه يتولد في البر والبحر له مرعى كالناس متجر (مادمتم حرما) محرمين (واتقوا الله) في الاصطياد في الحرم أو في الاحرام (الذي اليه تحشرون) تبعثون فيجزيكم على أعمالكم (جعل الله الكعبة) أي صير (البيت الحرام) بدل أو عطف بيان (قياما) مفعول ثان أو جعل بمعنى خلق وقياما حال (للناس) أي انتعاشا لهم في أمر دينهم ونهوضا الى أغراضهم في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم وأنواع منافعهم قيل لو ترك عاما لم ينظروا ولم يؤخروا (والشهر الحرام) والشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لان في اختصاصه من بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شأنا قد علمه الله أو أريد به جنس الاشهر الحرم وهو رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم (والهدى) مايهدى الى مكة (والقلائد) والمقلد منه خصوصا

٢ (قوله لتنائكم) التناء كرمان المقيمون جمع تانئ من تنأ بالمكان اقام هكذا يؤخذ من القاموس

وهو البدن فالثواب فيه أكثر وبهاء الحج معه أظهر (ذلك) اشارة الى جعل الكعبة قياما أو الى ماذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره (لتعلموا أن الله يعلم مافى السموات ومافى الارض وأن الله بكل شئ عليم) أى لتعلموا أن الله يعلم مصالح مافى السموات ومافى الارض وكيف لا يعلم وهو بكل شئ عليم (اعلموا أن الله شديد العقاب) لمن استخف بالحرم والاحرام (وأن الله غفور) لآثام من عظم المشاعر العظام (رحيم) بالجانى الملتجئ الى البلد الحرام (ماعلى الرسول الا البلاغ) تشديد فى ايجاب القيام بما أمر به وان الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم فى التفريط (والله يعلم ماتبدون وماتكتمون) فلا يخفى عليه نفاقكم ووفاقكم (قل لا يستوى الخبيث والطيب) لما أخبر أنه يعلم مايبدون وما يكتمون ذكر أنه لا يستوى خبيثهم وطيبهم بل يميز بينهما فيعاقب الخبيث أى الكافر ويثيب الطيب أى المسلم (ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله) وآثروا الطيب وان قل على الخبيث وان كثر وقيل هو عام فى حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وجيد الناس ورديئهم (ياأولى الالباب) أى العقول الخالصة (لعلكم تفلحون) كانوا يسألون النبى صلى الله عليه وسلم عن أشياء امتحانا فنزل (ياأيها الذين آمنوا لاتسئلوا عن أشياء) قال الخليل وسيبويه وجمهور البصريين أصله شيئاء بهمزتين بينهما ألف وهى فعلاء من لفظ شئ وهمزتها الثانية للتأنيث ولذا لم تنصرف كحمراء وهى مفردة لفظا جمع معنى ولما استثقلت الهمزتان المجتمعتان قدمت الاولى التى هى لام الكلمة فجعلت قبل الشين فصار وزنها لفعاء والجملة الشرطية والمعطوفة عليها أى قوله (ان تبد لكم تسؤكم وان تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) صفة لاشياء أى وان تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة فى زمان الوحى وهو مادام الرسول بين أظهركم تبد لكم تلك التكاليف التى تسؤكم أى تغمكم وتشق عليكم وتؤمرون بتحملها فتعرضون أنفسكم لغضب الله بالتفريط فيها (عفا الله عنها) عفا الله عما سلف من مسئلتكم فلا تعودوا الى مثلها (والله غفور حليم) لا يعاقبكم الا بعد الانذار والضمير فى (قد سألها) لا يرجع الى أشياء حتى يعدى بعن بل يرجع الى المسئلة التى دلت عليها لاتسئلوا أى قد سأل هذه المسئلة (قوم من قبلكم) من الاولين (ثم أصبحوا بها) صاروا بسببها (كافرين) كما عرف فى بنى اسرائيل (ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) كان أهل الجاهلية اذا انتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا اذنها أى شقوها وامتنعوا من ركوبها وذبحها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واسمها البحيرة وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفرى أو برأت من مرضى فناقتى سائبة وجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا أعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث وكانت الشاة اذا ولدت سبعة أبطن فان كان السابع ذكرا أكله الرجال وان كان أنثى أرسلت فى الغنم وكذا ان كان ذكرا وأنثى وقالوا وصلت أخاها فالوصيلة بمعنى الواصلة واذا انتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ماجعل ماشرع ذلك ولا أمر به (ولكن الذين

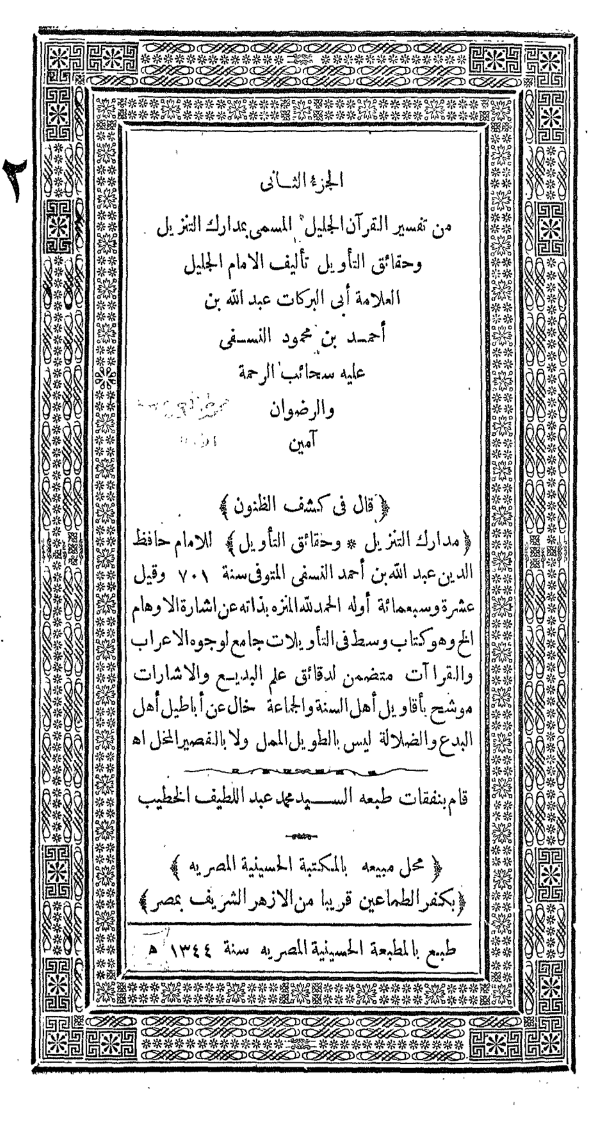
كفروا) بتحريمهم ماحرموا (يفترون على الله الكذب) فى نسبتهم هذا التحريم اليه (وأكثرهم لايعقلون) أن الله لم يحرم ذلك وهم عوامهم (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول) أى هلموا الى حكم الله ورسوله بان هذه الاشياء غير محرمة (قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا) أى كافينا ذلك حسبنا مبتدا والخبر ماوجدنا وما بمعنى الذى والواو فى (أولو كان آباؤهم) للحال قد دخلت عليها همزة الانكار وتقديره احسبهم ذلك ولو كان آباؤهم (لايعلمون شيأ ولا يهتدون) اى الاقتداء انما يصح بالعالم المهتدى وانما يعرف اهتداؤه بالحجة (ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) انتصب أنفسكم بعليكم وهو من أسماء الافعال أى الزموا اصلاح أنفسكم والكاف والميم فى عليكم فى موضع جر لان اسم الفعل هو الجار والمجرور لاعلى وحدها (لايضركم) رفع على الاستئناف أوجزم على جواب الامر وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد (من ضل اذا اهتديتم) كان المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة على أهل العناد من الكفرة يتمنون دخولهم فى الاسلام فقيل لهم عليكم أنفسكم وما كلفتم من اصلاحها لايضركم الضلال من دينكم اذا كنتم مهتدين وليس المراد ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فان تركهما مع القدرة عليهما لايجوز (الى الله مرجعكم جميعا) رجوعكم (فينبئكم بما كنتم تعملون) ثم يجزيكم على اعمالكم روى انه خرج بديل مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين مع عدى وتميم وكانا نصرانيين الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه فى متاعه ولم يخبر به صاحبيه وأوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى أهله ومات ففتشا متاعه فاخذا اناء من فضة فاصاب أهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل (ياأيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان) ارتفع اثنان لانه خبر المبتدا وهو شهادة بتقدير شهادة بينكم شهادة اثنين أولانه فاعل شهادة بينكم أى فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان واتسع فى بين فأضيف اليه المصدر واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفى ابداله منه دليل على وجوب الوصية لان حضور الموت من الامور الكائنة وحين الوصية بدل منه فيدل على وجود الوصية ولو وجدت بدون الاختيار لسقط الابتلاء فنقل الى الوجوب وحضور الموت مشارفته وظهور أمارات بلوغ الاجل (ذوا عدل) صفة لاثنين (منكم) من أقاربكم لانهم أعلم باحوال الميت (أوآخران) عطف على اثنان (من غيركم) من الاجانب (ان أنتم ضربتم فى الارض) سافرتم فيها وأنتم فاعل فعل يفسره الظاهر (فاصابتكم مصيبة الموت) أومنكم من المسلمين ومن غيركم من أهل الذمة وقيل منسوخ اذ لايجوز شهادة الذمى على المسلم وانما جازت فى أول الاسلام لقلة المسلمين (تحبسونهما) تقفونهما للحلف هو استئناف كلام أو صفة لقوله أوآخران من غيركم أى أوآخران من غيركم محبوسان وان أنتم ضربتم فى الارض فاصابتكم مصيبة الموت اعتراض بين الصفة والموصوف (من بعد الصلوة) من بعد صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن رحمه الله بعد العصر أو الظهر لان أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفى حديث بديل انها لما نزلت صلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدي (فيقسمان بالله) فيحلفان به (ان ارتبتم) شككتم في أمانتهما وهو اعتراض بين يقسمان وجوابه وهو (لانشترى) وجواب الشرط محذوف أغنى عنه معنى الكلام والتقدير ان ارتبتم في شأنهما فحلفوهما (به) بالله أو بالقسم (ثمنا) عوضا من الدنيا (ولو كان) أي المقسم له (ذا قربى) أي لانحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا (ولا نكتم شهادة الله) أي الشهادة التي أمر الله بحفظها وتعظيمها (انا اذا) ان كتمنا (لمن الآثمين) وقيل ان أريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وان أريد الوصيان فلم ينسخ تحليفهما (فان عثر) فان اطلع (على انهما استحقا اثما) فعلا ما أوجب اثما واستوجبا أن يقال انهما لمن الآثمين (فآخران) فشاهدان آخران (يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم) أي من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جنى عليهم وهم أهل الميت وعشيرته وفي قصة بديل انه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته انه اناء صاحبهما وان شهادتهما أحق من شهادتهما (الاوليان) الاحقان بالشهادة لقرابتهما أو معرفتهما وارتفاعهما على هما الاوليان كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان أو هما بدل من الضمير في يقومان أو من آخران استحق عليهم الاوليان حفص أي من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة أن يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين الاولين حمزة وأبو بكر على انه وصف للذين استحق عليهم مجرور أو منصوب على المدح وسموا أولين لانهم كانوا أولين في الذكر في قوله شهادة بينكم (فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما) أي ليميننا أحق بالقبول من يمين هذين الوصيين الخائنين (وما اعتدينا) وما تجاوزنا الحق في يميننا (انا اذا لمن الظالمين) أي ان حلفنا كاذبين (ذلك) الذي مر ذكره من بيان الحكم (أدنى) أقرب (أن يأتوا) أي الشهداء على نحو تلك الحادثة (بالشهادة على وجهها) كما حملوها بلا خيانة فيها (أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم) أي تكرر أيمان شهود آخرين بعد أيمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم (واتقوا الله) في الخيانة واليمين الكاذبة (واسمعوا) سمع قبول واجابة (والله لايهدي القوم الفاسقين) الخارجين عن الطاعة فان قلت ما معنى أو هنا قلت معناه ذلك أقرب من أن يؤدوا الشهادة بالحق والصدق اما لله أو لخوف العار والافتضاح برد الايمان وقد احتج به من يرى رد اليمين على المدعي والجواب ان الورثة قد ادعوا على النصرانيين انهما قد اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشراء فيما كتما فانكرت الورثة فكانت اليمين على الورثة لانكارهما الشراء (يوم) منصوب باذكروا أو احذروا (يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم) ما الذي أجابتكم أممكم حين دعوتموهم الى الايمان وهذا السؤال توبيخ لمن أنكرهم وماذا منصوب باجبتم نصب المصدر على معنى أي اجابة أجبتم (قالوا لاعلم لنا) باخلاص قومنا دليله (انك أنت علام الغيوب) أو بما أحدثوا بعدنا دليله كنت أنت الرقيب عليهم أو قالوا ذلك تأدبا أي علمنا ساقط مع علمك ومغمور به

فكانه لا علم لنا (اذ قال الله) بدل من يوم يجمع (ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك) حيث طهرتها واصطفيتها على نساء العالمين والعامل في (اذ أيدتك) أى قويتك نعمتي (بروح القدس) بجبريل عليه السلام أيد به لتثبت الحجة عليهم أو بالكلام الذي يحيا به الدين وأضافه الى القدس لانه سبب الطهر من أوصام الآثام دليله (تكلم الناس في المهد) حال أى تكلمهم طفلا اعجازا (وكهلا) تبليغا (واذ علمتك) معطوف على اذ أيدتك ونحوه واذ تخلق واذ تخرج واذ كففت واذ أوحيت (الكتاب) الخط (والحكمة) الكلام المحكم الصواب (والتوراة والانجيل واذ تخلق) تقدر (من الطين كهيئة الطير) هيئة مثل هيئة الطير (باذني) بتسهيلي (فتنفخ فيها) الضمير للكاف لانها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع الى الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه وكذا الضمير في (فتكون طيرا باذني) وعطف (وتبرئ الاكمه والابرص باذني) على تخلق (واذ تخرج الموتى) من القبور أحياء (باذني) قيل أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية (واذ كففت بني اسرائيل عنك) أى اليهود حين هموا بقتله (اذ جئتهم) ظرف لكففت (بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين) ساحر حمزة وعلى (واذ أوحيت) ألهمت (الى الحواريين) الخواص أو الاصفياء (ان آمنوا) أى آمنوا (بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) أى اشهد بأننا مخلصون من أسلم وجهه (اذ قال الحواريون) أى اذكروا اذ (ياعيسى ابن مريم) عيسى نصب على اتباع حركته حركة الابن نحو يازيد بن عمرو (هل يستطيع ربك) هل يفعل أو هل يعطيك ربك ان سألته فاستطاع وأطاع بمعنى كاستجاب وأجاب هل تستطيع ربك على أى هل تستطيع سؤال ربك فحذف المضاف والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله (أن ينزل علينا) ينزل مكي وبصري (مائدة من السماء) هي الخوان اذا كان عليه الطعام من ماده اذا أعطاه كانها تميد من تقدم اليها (قال اتقوا الله) في اقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ان كنتم مؤمنين) اذ الايمان يوجب التقوى (قالوا نريد أن نأكل منها) تبركا (وتطمئن قلوبنا) ونزداد يقينا كقول ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي (ونعلم أن قد صدقتنا) أى نعلم صدقك عيانا كما علمناه استدلالا (ونكون عليها من الشاهدين) بما عاينا لمن بعدنا ولما كان السؤال لزيادة العلم لا للتعنت (قال عيسى ابن مريم اللهم) أصله يا الله فحذف يا وعوض منه الميم (ربنا) نداء ثان (أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا) أى يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا والعيد السرور العائد ولذا يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا (لأولنا وآخرنا) بدل من لنا بتكرير العامل أى لمن في زماننا من أهل ديننا ولمن يأتي بعدنا أو يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم أو للمتقدمين منا والاتباع (وآية منك) على صحة نبوتي ثم أكد ذلك بقوله (وارزقنا وأنت خير الرازقين) وأعطنا ما سألناك وأنت خير المعطين (قال الله اني منزلها عليكم) بالتشديد مدني وشامي وعاصم وعد الانزال وشرط

عليهم شرطا بقوله (فمن يكفر بعد منكم) بعد انزالها منكم (فانى أعذبه عذابا) أى تعذيبا كالسلام بمعنى التسليم والضمير فى (لا أعذبه) للمصدر ولو أريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء (أحدا من العالمين) عن الحسن أن المائدة لم تنزل ولو نزلت لكانت عيدا الى يوم القيامة لقوله وآخرنا والصحيح أنها نزلت فعن وهب نزلت مائدة منكوسة تطير بها الملائكة عليها كل طعام الا اللحم وقيل كانوا يجدون عليها ما شاؤا وقيل كانت تنزل حيث كانوا بكرة وعشيا (واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله) الجمهور على أن هذا السؤال يكون فى يوم القيامة دليله سياق الآية وسباقها وقيل خاطبه به حين رفعه الى السماء دليله لفظ اذ (قال سبحانك) من أن يكون لك شريك (ما يكون لى) ما ينبغى لى (أن أقول ما ليس لى بحق) أن أقول قولا لا يحق لى أن أقوله (ان كنت قلته فقد علمته) ان صح انى قلته فيما مضى فقد علمته والمعنى انى لا أحتاج الى الاعتذار لانك تعلم انى لم أقله ولو قلته علمته لانك (تعلم ما فى نفسى) ذاتى (ولا أعلم ما فى نفسك) ذاتك فنفس الشئ ذاته وهويته والمعنى تعلم معلومى ولا أعلم معلومك (انك أنت علام الغيوب) تقرير للجملتين معا لان ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولان ما يعلم علام الغيوب لا ينتهى اليه علم أحد (ما قلت لهم الا ما أمرتنى به) أى ما أمرتهم الا بما أمرتنى به ثم فسر ما أمر به فقال (أن اعبدوا الله ربى وربكم) فان مفسرة بمعنى أى (وكنت عليهم شهيدا) رقيبا (ما دمت فيهم) مدة كونى فيهم (فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم) الحفيظ (وأنت على كل شئ شهيد) من قولى وفعلى وقولهم وفعلهم (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) قال الزجاج علم عيسى عليه السلام ان منهم من آمن ومنهم من أقام على الكفر فقال فى جملتهم ان تعذبهم أى ان تعذب من كفر منهم فانهم عبادك الذين علمتهم جاحدين لآياتك مكذبين لانبيائك وأنت العادل فى ذلك فانهم قد كفروا بعد وجوب الحجة عليهم وان تغفر لهم أى لمن أقلع منهم وآمن فذلك تفضل منك وأنت عزيز لا يمتنع عليك ما تريد حكيم فى ذلك أو عزيز قوى قادر على الثواب حكيم لا يعاقب الا عن حكمة وصواب (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) برفع اليوم والاضافة على انه خبر هذا أى يقول الله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين فيه صدقهم المستمر فى دنياهم وآخرتهم والجملة من المبتدا والخبر فى محل النصب على المفعولية كما تقول قال زيد عمرو منطلق وبالنصب نافع على الظرف أى قال الله هذا لعيسى عليه السلام يوم ينفع الصادقين صدقهم وهو يوم القيامة (لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم) بالسعى المشكور (ورضوا عنه) بالجزاء الموفور (ذلك الفوز العظيم) لانه باق بخلاف الفوز فى الدنيا فهو غير باق (لله ملك السموات والارض وما فيهن) عظم نفسه عما قالت النصارى ان معه الها آخر (وهو على كل شئ قدير) من المنع والاعطاء والايجاد والافناء نسأله أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

﴿تم الجزء الاول من تفسير الامام النسفى ويليه الجزء الثانى وأوله تفسير سورة الانعام﴾



٢

الجزء الثانى

من تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل
وحقائق التأويل تأليف الامام الجليل
العلامة أبى البركات عبد الله بن
أحمد بن محمود النسفى
عليه سحائب الرحمة
والرضوان
آمين

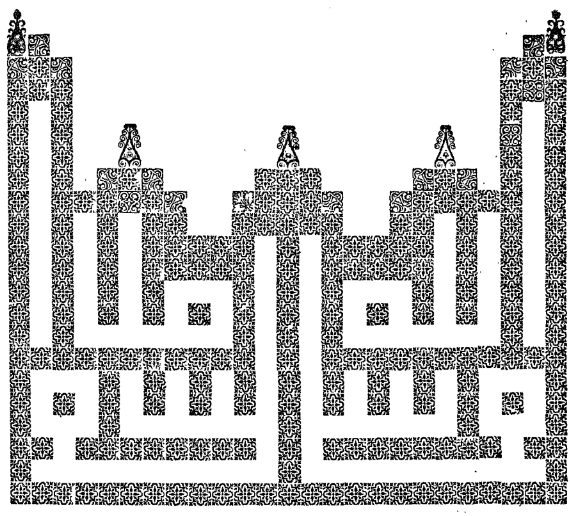
﴿قال فى كشف الظنون﴾

﴿مدارك التنزيل * وحقائق التأويل﴾ للامام حافظ الدين عبد الله بن أحمد النسفى المتوفى سنة ٧٠١ وقيل عشرة وسبعمائة أوله الحمد لله المنزه بذاته عن اشارة الاوهام الخ وهو كتاب وسط فى التأويلات جامع لوجوه الاعراب والقراآت متضمن لدقائق علم البديع والاشارات موشح بأقاويل أهل السنة والجماعة خال عن أباطيل أهل البدع والضلالة ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل اه

قام بنفقات طبعه السيد محمد عبد اللطيف الخطيب

﴿محل مبيعه بالمكتبة الحسينية المصريه﴾
﴿بكفر الطماعين قريبا من الازهر الشريف بمصر﴾

طبع بالمطبعة الحسينية المصريه سنة ١٣٤٤ هـ



﴿سورة الانعام مكية﴾

﴿وهى مائة وخمس وستون آية كوفى أربع وستون بصرى﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحمد لله) تعليم اللفظ والمعنى مع تعريض الاستغناء أى الحمد له وان لم تحمدوه (الذى خلق السموات والارض) جمع السموات لانها طباق بعضها فوق بعض والارض وان كانت سبعة عند الجمهور فليس بعضها فوق بعض بل بعضها موال لبعض جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى أحدث وأنشأ كقوله (وجعل الظلمات والنور) والى مفعولين ان كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وفيه رد قول الثنوية بقدم النور والظلمة وأفرد النور لارادة الجنس ولان ظلمة كل شئ تختلف باختلاف ذلك الشئ نظيره ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الموضع المظلم يخالف كل واحد منها صاحبه والنور ضرب واحد لا يختلف كما تختلف الظلمات وقدم الظلمات لقوله عليه السلام خلق الله خلقه فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل (ثم الذين كفروا) بعد هذا البيان (بربهم يعدلون) يساوون به الاوثان تقول عدلت هذا بذا أى ساويته به والباء فى بربهم صلة للعدل لا للكفر أو ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عنه أى يعرضون عنه فتكون الباء صلة للكفر وصلة يعدلون أى عنه محذوفة وعطف ثم الذين كفروا على الحمد لله

على معنى أن الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته أو على خلق السموات على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته (هو الذى خلقكم من طين) من لابتداء الغاية أى ابتدأ خلق أصلكم يعنى آدم منه (ثم قضى أجلا) أى حكم أجل الموت (وأجل مسمى عنده) أجل القيامة أو الاول ما بين أن يخلق الى أن يموت والثانى ما بين الموت والبعث وهو البرزخ أو الاول النوم والثانى الموت أو الثانى هو الاول وتقديره وهو أجل مسمى أى معلوم وأجل مسمى مبتدأ والخبر عنده وقدم المبتدأ وان كان نكرة والخبر ظرفا وحقه التأخير لانه تخصص بالصفة فقارب المعرفة (ثم أنتم تمترون) تشكون من المرية أو تجادلون من المراء ومعنى ثم استبعاد أن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه محييهم ومميتهم وباعثهم (وهو الله) مبتدأ وخبر (فى السموات وفى الارض) متعلق بمعنى اسم الله كانه قيل وهو المعبود فيهما كقوله وهو الذى فى السماء إله وفى الارض إله أو هو المعروف بالالهية فيهما أو هو الذى يقال له الله فيهما والاول تفريع على انه مشتق وغيره على انه غير مشتق (يعلم سركم وجهركم) خبر بعد خبر أو كلام مبتدأ أى وهو يعلم سركم وجهركم (ويعلم ما تكسبون) من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب ومن فى (وما تأتيهم من آية) للاستغراق وفى (من آيات ربهم) للتبعيض أى وما يظهر لهم دليل قط من الادلة التى يجب فيها النظر والاعتبار (الا كانوا عنها معرضين) تاركين للنظر لا يلتفتون اليه لقلة خوفهم وتدبرهم فى العواقب (فقد كذبوا) مردود على كلام محذوف كانه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا (بالحق لما جاءهم) أى بما هو أعظم آية وأكبرها هو القرآن الذى تحدوا به فعجزوا عنه (فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن) أى أنباء الشيء الذى كانوا به يستهزؤن وهو القرآن أى أخباره وأحواله يعنى سيعلمون بأى شيء استهزؤا وذلك عند ارسال العذاب عليهم فى الدنيا أو يوم القيامة أو عند ظهور الاسلام وعلو كلمته (ألم يروا) يعنى المكذبين (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) هو مدة انقضاء أهل كل عصر وهو ثمانون سنة أو سبعون (مكناهم) فى موضع جر صفة لقرن وجمع على المعنى (فى الارض ما لم نمكن لكم) التمكين فى البلاد اعطاء المكنة والمعنى لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة فى الاجسام والسعة فى الاموال والاستظهار باسباب الدنيا (وأرسلنا السماء) المطر (عليهم مدرارا) كثيرا وهو حال من السماء (وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم) من تحت أشجارهم والمعنى عاشوا فى الخصب بين الانهار والثمار وسقيا الغيث المدرار (فاهلكناهم بذنوبهم) ولم يغن ذلك عنهم شيأ (وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) بدلا منهم (ولو نزلنا عليك كتابا) مكتوبا (فى قرطاس) فى ورق (فلمسوه بأيديهم) هو للتأكيد لئلا يقولوا سكرت أبصارنا ومن المحتج عليهم العمى (لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره (وقالوا لولا) هلا (أنزل عليه) على النبى صلى الله عليه وسلم (ملك) يكلمنا انه نبى فقال الله (ولو أنزلنا ملكا لقضى

الامر) لقضي أمر هلاكهم (ثم لا ينظرون) لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت أرواحهم من هول مايشاهدون ومعنى ثم بعد مابين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار أشد من قضاء الامر لان مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة (ولو جعلناه ملكا) ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون تارة لولا أنزل على محمد ملك وتارة يقولون ماهذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة (لجعلناه رجلا) لارسلناه في صورة رجل كما كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم (وللبسنا عليهم ما يلبسون) ولخلطنا وأشكلنا عليهم من أمره اذا كان سبيله كسبيلك يا محمد فانهم يقولون اذا رأوا الملك في صورة الانسان هذا انسان وليس بملك يقال لبست الامر على القوم وألبسته اذا أشبهته وأشكلته عليهم ثم سلى نبيه على ما أصابه من استهزاء قومه بقوله (ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) فاحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزؤن به وهو الحق حيث أهلكوا من أجل استهزائهم ومنهم متعلق بسخروا كقوله فيسخرون منهم والضمير للرسل والدال مكسورة عند أبي عمرو وعاصم لالتقاء الساكنين وضمها غيرهما اتباعا لضم التاء (قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) والفرق بين فانظروا وبين ثم انظروا ان النظر جعل مسببا عن السير في فانظروا فكأنه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين ومعنى سيروا في الارض ثم انظروا اباحة السير في الارض للتجارة وغيرها وايجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح (قل لمن ما في السموات والارض) من استفهام وما بمعنى الذي في موضع الرفع على الابتداء ولمن خبره (قل لله) تقرير لهم أي هو لله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون ان تضيفوا منه شيأ الى غيره (كتب على نفسه الرحمة) أصل كتب أوجب ولكن لا يجوز الاجراء على ظاهره اذ لا يجب على الله شيء للعبد فالمراد به انه وعد ذلك وعدا مؤكدا وهو منجزه لا محالة وذكر النفس للاختصاص ورفع الوسائط ثم أوعدهم على اغفالهم النظر واشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء بقوله (ليجمعنكم الى يوم القيامة) فيجازيكم على اشراككم (لا ريب فيه) في اليوم أو في الجمع (الذين خسروا أنفسهم) نصب على الذم أي أريد الذين خسروا أنفسهم باختيارهم الكفر (فهم لا يؤمنون) وقال الاخفش الذين بدل من كم في ليجمعنكم أي ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا أنفسهم والوجه هو الاول لان سيبويه قال لا يجوز مررت بي المسكين ولا بك المسكين فتجعل المسكين بدلا من الياء أو الكاف لانهما في غاية الوضوح فلا يحتاجان الى البدل والتفسير (وله) عطف على لله (ما سكن في الليل والنهار) من السكنى حتى يتناول الساكن والمتحرك أو من السكون ومعناه ما سكن وتحرك فيهما فاكتفي باحد الضدين عن الآخر كقوله تقيكم الحر أي الحر والبرد وذكر السكون لانه أكثر من الحركة وهو احتجاج على المشركين لانهم لم ينكروا أنه خالق الكل

ومدبره

ومدبره (وهو السميع العليم) يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان (قل أغير الله أتخذ وليا) ناصرا ومعبودا وهو مفعول ثان لاتخذ والاول غير وانما أدخل همزة الاستفهام على مفعول أتخذ لا عليه لان الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فكان أحق بالتقديم (فاطر السموات والارض) بالجر صفة لله أي مخترعهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى احتصم الي أعرابيان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أي ابتدأتها (وهو يطعم ولا يُطعم) وهو يرزق ولا يرزق أي المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع (قل اني أمرت أن أكون أول من أسلم) لان النبي سابق أمته في الاسلام كقوله وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين (ولا تكونن من المشركين) وقيل لي لا تكونن من المشركين ولو عطف على ماقبله لفظا لقيل وأن لا أكون والمعنى أمرت بالاسلام ونهيت عن الشرك (قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) أي اني أخاف عذاب يوم عظيم وهو القيامة ان عصيت ربي فالشرط معترض بين الفاعل والمفعول به محذوف الجواب (من يصرف عنه) العذاب (يومئذ فقد رحمه) الله الرحمة العظمى وهي النجاة من يصرف حمزة وعلي وأبو بكر أي من يصرف الله عنه العذاب (وذلك الفوز المبين) النجاة الظاهرة (وان يمسسك الله بضر) من مرض أو فقر أو غير ذلك من بلاياه (فلا كاشف له الا هو) فلا قادر على كشفه الا هو (وان يمسسك بخير) من غنى أو صحة (فهو على كل شيء قدير) فهو قادر على ادامته وازالته (وهو القاهر) مبتدأ وخبر أي الغالب المقتدر (فوق عباده) خبر بعد خبر أي عال عليهم بالقدرة والقهر بلوغ المراد بمنع غيره عن بلوغه (وهو الحكيم) في تنفيذ مراده (الخبير) بأهل القهر من عباده (قل أي شيء أكبر شهادة) أي شيء مبتدأ وأكبر خبره وشهادة تمييز وأي كلمة يراد بها بعض ما تضاف اليه فاذا كانت استفهاما كان جوابها مسمى باسم ما أضيفت اليه وقوله (قل الله) جواب أي الله أكبر شهادة فالله مبتدأ والخبر محذوف فيكون دليلا على انه يجوز اطلاق اسم الشيء على الله تعالى وهذا لان الشيء اسم للموجود ولا يطلق على المعدوم والله تعالى موجود فيكون شيأ ولذا نقول الله تعالى شيء لا كالاشياء ثم ابتدأ (شهيد بيني وبينكم) أي هو شهيد بيني وبينكم ويجوز أن يكون الجواب الله شهيد بيني وبينكم لانه اذا كان الله شهيدا بينه وبينهم فأكبر شيء شهادة شهيد له (وأوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ) أي ومن بلغه القرآن الى قيام الساعة في الحديث من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا صلى الله عليه وسلم ومن في محل النصب بالعطف على كم والمراد به أهل مكة والعائد اليه محذوف أي ومن بلغه وفاعل بلغ ضمير القرآن (أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى) استفهام انكار وتبكيت (قل لا أشهد) بما تشهدون وكرر (قل) توكيدا (انما هو اله واحد) ما كافة لان عن العمل وهو مبتدأ واله خبره وواحد صفة أو بمعنى الذي في محل النصب بان وهو مبتدأ واله خبره والجملة صلة الذي وواحد خبران وهذا الوجه أوقع (وانني بريء مما تشركون) به (الذين آتيناهم الكتاب) يعني اليهود والنصارى والكتاب التوراة والانجيل

(يعرفونه) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته ونعته الثابت في الكتابين (كما يعرفون أبناءهم) بحلاهم ونعوتهم وهذا استشهاد لاهل مكة بمعرفة أهل الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال (الذين خسروا أنفسهم) من المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين (فهم لا يؤمنون) به (ومن أظلم) استفهام يتضمن معنى النفي أي لا أحد أظلم لنفسه والظلم وضع الشيء في غير موضعه وأشنعه اتخاذ المخلوق معبودا (ممن افترى) اختلق (على الله كذبا) فيصفه بما لا يليق به (أو كذب بآياته) بالقرآن والمعجزات (انه) ان الامر والشأن (لا يفلح الظالمون) جمعوا بين أمرين باطلين فكذبوا على الله ما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة حيث قالوا الملائكة بنات الله وسموا القرآن والمعجزات سحرا (ويوم نحشرهم) هو مفعول به والتقدير واذكر يوم نحشرهم (جميعا) حال من ضمير المفعول (ثم نقول للذين أشركوا) مع الله غيره توبيخا وبالياء فيهما يعقوب (أين شركاؤكم) آلهتكم التي جعلتموها شركاء الله (الذين كنتم تزعمون) أي تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان (ثم لم تكن) وبالياء حمزة وعلي (فتنتهم) كفرهم (الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) يعني ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارهم وقاتلوا عليه الا الجحود والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التدين به أو ثم لم يكن جوابهم الا أن قالوا فسمي فتنة لانه كذب وبرفع الفتنة مكي وشامي وحفص فمن قرأ تكن بالتاء ورفع الفتنة فقد جعل الفتنة اسم تكن وأن قالوا الخبر أي لم تكن فتنتهم الا قولهم ومن قرأ بالياء ونصب الفتنة جعل أن قالوا اسم يكن أي لم يكن فتنتهم الا قولهم ومن قرأ بالتاء ونصب الفتنة حمل على المقالة ربنا حمزة وعلي على النداء أي يا ربنا وغيرهما بالجر على النعت من اسم الله (انظر) يا محمد (كيف كذبوا على أنفسهم) بقولهم ما كنا مشركين قال مجاهد اذا جمع الله الخلائق ورأى المشركون سعة رحمة الله وشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين قال بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجو مع أهل التوحيد فاذا قال لهم الله أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم (وضل عنهم) وغاب عنهم (ما كانوا يفترون) إلهيته وشفاعته (ومنهم من يستمع اليك) حين تتلو القرآن روي أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال والله ما أدري ما يقول محمد الا انه يحرك لسانه ويقول أساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال أبو سفيان اني لأراه حقا فقال أبو جهل كلا فنزلت (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أغطية جمع كنان وهو الغطاء مثل عنان وأعنة (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه (وفي آذانهم وقرا) ثقلا يمنع من السمع ووحد الوقر لانه مصدر وهو عطف على أكنة وهو حجة لنا في الاصلح على المعتزلة (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا) حتى هي التي تقع بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاؤك يقول الذين كفروا ويجادلونك في موضع الحال ويجوز أن تكون

جارة ويكون اذا جاؤك فى موضع الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال ويقول الذين كفروا تفسير له والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بأنهم يقولون (ان هذا) ما القرآن (الا أساطير الاولين) فيجعلون كلام الله أكاذيب وواحد الاساطير اسطورة (وهم) أى المشركون (ينهون عنه) ينهون الناس عن القرآن أوعن الرسول واتباعه والايمان به (وينأون عنه) ويبعدون عنه بأنفسهم فيضلون ويضلون (وان يهلكون) بذلك (الا أنفسهم ومايشعرون) أى لايتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله وقيل عنى به أبوطالب لانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به والاول أشبه (ولوترى) حذف جوابه أى ولوترى لشاهدت أمرا عظيما (اذوقفوا على النار) أروها حتى يعاينوها أوحبسوا على الصراط فوق النار (فقالوا ياليتنا نرد) الى الدنيا تمنوا الرد الى الدنيا ليؤمنوا وتم تمنيهم ثم ابتدؤا بقوله (ولانكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) واعدين الايمان كانهم قالوا ونحن لانكذب ونؤمن ولانكذب ونكون حمزة وعلى وحفص على جواب التمنى بالواو وباضمار أن ومعناه ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين وافقهما فى ونكون شامى (بل) للاضراب عن الوفاء بما تمنوا (بدالهم) ظهر لهم (ما كانوا يخفون) من الناس (من قبل) فى الدنيا من قبائحهم وفضائحهم فى صحفهم وقيل هو فى المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذى كانوا يسرونه أوفى أهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولو ردوا) الى الدنيا بعد وقوفهم على النار (لعادوا لمانهوا عنه) من الكفر (وانهم لكاذبون) فيما وعدوا من أنفسهم لايوفون به (وقالوا) عطف على لعادوا أى ولو ردوا لكفروا ولقالوا (ان هى الا حياتنا الدنيا) كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة أوعلى قوله وانهم لكاذبون أى وانهم لقوم كاذبون فى كل شئ وهم الذين قالوا ان هى الا حياتنا الدنيا وهى كناية عن الحياة أوهو ضمير القصة (ومانحن بمبعوثين ولوترى اذوقفوا على ربهم) مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجانى بين يدى سيده ليعاتبه أووقفوا على جزاء ربهم (قال) جواب لسؤال مقدر كانه قيل ماذا قال لهم ربهم اذوقفوا عليه فقيل قال (أليس هذا) أى البعث (بالحق) بالكائن الموجود وهذا تعبير لهم على التكذيب للبعث وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث ماهو بحق (قالوا بلى وربنا) أقروا وأكدوا الاقرار باليمين (قال) الله تعالى (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بكفركم (قدخسر الذين كذبوا بلقاء الله) ببلوغ الآخرة ومايتصل بها أوهو مجرى على ظاهره لان منكر البعث منكر للرؤية (حتى) غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لاغاية له (اذا جاءتهم الساعة) أى القيامة لان مدة تأخرها مع تأبد مابعدها كساعة واحدة (بغتة) فجأة وانتصابها على الحال يعنى باغتة أوعلى المصدر كانه قيل بغتتهم الساعة بغتة وهى ورود الشئ على صاحبه من غير علمه بوقته (قالوا ياحسرتنا)

نداء تفجع معناه يا حسرة احضرى فهذا أوانك (على ما فرطنا) قصرنا (فيها) فى الحياة الدنيا أو فى الساعة أى قصرنا فى شأنها وفى الايمان بها (وهم يحملون أوزارهم) آثامهم (على ظهورهم) خص الظهر لان المعهود حمل الاثقال على الظهور كما عهد الكسب بالايدى وهو مجاز عن اللزوم على وجه لا يفارقهم وقيل ان الكافر اذا خرج من قبره استقبله أقبح شئ صورة وأخبثه ريحا فيقول أنا عملك السيئ فطالما ركبتنى فى الدنيا وأنا أركبك اليوم (ألا ساء ما يزرون) بئس شيأ يحملونه وأفاد ألا تعظيم ما يذكر بعده (وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو) جواب لقولهم ان هى الا حياتنا الدنيا واللعب ترك ما ينفع بما لا ينفع واللهو الميل عن الجد الى الهزل قيل ما أهل الحياة الدنيا الا أهل لعب ولهو وقيل ما أعمال الحياة الدنيا إلا لعب ولهو لانها لا تعقب منفعة كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة (وللدار) مبتدأ (الآخرة) صفتها ولدار الآخرة بالاضافة شامى أى ولدار الساعة الآخرة لان الشئ لا يضاف الى صفته وخبر المبتدأ على القراءتين (خير للذين يتقون) وفيه دليل على ان ماسوى أعمال المتقين لعب ولهو (أفلا يعقلون) بالتاء مدنى وحفص ولما قال أبو جهل ما نكذبك يا محمد وانك عندنا المصدق وانما نكذب ما جئتنا به نزل (قد نعلم انه) الهاء ضمير الشان (ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك) لا ينسبونك الى الكذب وبالتخفيف نافع وعلى من أكذبه اذا وجده كاذبا (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) من اقامة الظاهر مقام المضمر وفيه دلالة على انهم ظلموا فى جحودهم والباء يتعلق بيجحدون أو بالظالمين كقوله فظلموا بها والمعنى ان تكذيبك أمر راجع الى الله لانك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك فى الحقيقة وانما يكذبون الله لان تكذيب الرسل تكذيب المرسل (ولقد كذبت رسل من قبلك) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل على ان قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفى لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك اذا أهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما أهانونى (فصبروا) والصبر حبس النفس على المكروه (على ما كذبوا وأوذوا) على تكذيبهم وايذائهم (حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله) لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون انا لننصر رسلنا (ولقد جاءك من نبإ المرسلين) بعض أنبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين وأجاز الاخفش أن تكون من زائدة والفاعل نبأ المرسلين وسيبويه لا يجيز زيادتها فى الواجب كان يكبر على النبى صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم ويحب مجئ الآيات ليسلموا فنزل (وان كان كبر عليك) عظم وشق (اعراضهم) عن الاسلام (فان استطعت أن تبتغى نفقا) منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها (فى الارض) صفة لنفقا (أو سلما فى السماء فتأتيهم) منها (بآية) فافعل وهو جواب فان استطعت وان استطعت وجوابها جواب وان كان كبر والمعنى انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وانه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الارض أو من فوق السماء لأتى بها رجاء

إيمانهم (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) لجعلهم بحيث يختارون الهدى ولكن لما علم أنهم يختارون الكفر لم يشأ أن يجمعهم على ذلك كذا قاله الشيخ أبو منصور رحمه الله (فلا تكونن من الجاهلين) من الذين يجهلون ذلك ثم أخبر ان حرصه على هدايتهم لا ينفع لعدم سمعهم كالموتى بقوله (انما يستجيب الذين يسمعون) أي انما يجيب دعاءك الذين يسمعون دعاءك بقلوبهم (والموتى) مبتدأ أي الكفار (يبعثهم الله ثم اليه يرجعون) فحينئذ يسمعون وأما قبل ذلك فلا (وقالوا لولا نزل عليه) هلا أنزل عليه (آية من ربه) كما نقترح من جعل الصفا ذهبا وتوسيع أرض مكة وتفجير الانهار خلالها (قل ان الله قادر على أن ينزل آية) كما اقترحوا (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان الله قادر على أن ينزل تلك الآية أو لا يعلمون ما عليهم في الآية من البلاء لو أنزلت (وما من دابة) هي اسم لما يدب وتقع على المذكر والمؤنث (في الارض) في موضع جر صفة لدابة (ولا طائر يطير بجناحيه) قيد الطيران بالجناحين لنفي المجاز لان غير الطائر قد يقال فيه طار اذا أسرع (الا أمم أمثالكم) في الخلق والموت والبعث والاحتياج الى مدبر يدبر أمرها (ما فرطنا) ما تركنا (في الكتاب) في اللوح المحفوظ (من شيء) من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب أن يثبت أو الكتاب القرآن وقوله من شيء أي من شيء يحتاجون اليه فهو مشتمل على ما تعبدنا به عبارة واشارة ودلالة واقتضاء (ثم الى ربهم يحشرون) يعني الامم كلها من الدواب والطيور فينصف بعضها من بعض كما روى انه يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا وانما قال الأمم مع افراد الدابة والطائر لمعنى الاستغراق فيهما ولما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال (والذين كذبوا بآياتنا صم) لا يسمعون كلام المنبه (وبكم) لا ينطقون بالحق خابطون (في الظلمات) أي ظلمة الجهل والحيرة والكفر غافلون عن تأمل ذلك والتفكر فيه صم وبكم خبر الذين ودخول الواو لا يمنع من ذلك وفي الظلمات خبر آخر ثم قال ايذانا بأنه فعال لما يريد (من يشأ الله يضلله) أي من يشأ الله ضلاله يضلله (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) وفيه دلالة خلق الافعال وارادة المعاصي ونفي الاصلح (قل أرأيتكم) وبتليين الهمزة مدني وبتركه علي ومعناه هل علمتم ان الامر كما يقال لكم فاخبروني بما عندكم والضمير الثاني لا محل له من الاعراب والتاء ضمير الفاعل ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره أرأيتكم (ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة) من تدعون ثم بكتهم بقوله (أغير الله تدعون) أي أتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا أصابكم ضر أم تدعون الله دونها (ان كنتم صادقين) في ان الاصنام آلهة فادعوها لتخلصكم (بل اياه تدعون) بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة (فيكشف ما تدعون اليه) أي ما تدعونه الى كشفه (ان شاء) ان أراد أن يتفضل عليكم (وتنسون ما تشركون) وتتركون آلهتكم أو لا تذكرون آلهتكم في ذلك الوقت لان أذهانكم مغمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز أن يتعلق الاستخبار بقوله

أغير الله تدعون كأنه قيل أرأيتكم أغير الله تدعون ان أتاكم عذاب الله (ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك) رسلا فالمفعول محذوف فكذبوهم (فأخذناهم بالبأساء والضراء) بالبؤس والضر والاول القحط والجوع والثاني المرض ونقصان الانفس والاموال (لعلهم يتضرعون) يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم فالنفوس تتخشع عند نزول الشدائد (فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا) أى هلا تضرعوا بالتوبة ومعناه نفي التضرع كأنه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا عنادا (ولكن قست قلوبهم) فلم ينزجروا بما ابتلوا به (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) وصاروا معجبين بأعمالهم التى زينها الشيطان لهم (فلما نسوا ما ذكروا به) من البأساء والضراء أى تركوا الاتعاظ به ولم يزجرهم (فتحنا عليهم أبواب كل شئ) من الصحة والسعة وصنوف النعمة فتحنا شامي (حتى اذا فرحوا بما أوتوا) من الخير والنعمة (أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) آيسون متحسرون وأصله الاطراق حزنا لما أصابه أو ندما على ما فاته واذا للمفاجأة (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أى أهلكوا عن آخرهم ولم يترك منهم أحد (والحمد لله رب العالمين) ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وانه من أجل النعم وأجزل القسم أو احمدوا الله على اهلاك من لم يحمد الله ثم دل على قدرته وتوحيده بقوله (قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم) بأن أصمكم وأعماكم (وختم على قلوبكم) فسلب العقول والتمييز (من إله غير الله يأتيكم به) بما أخذ وختم عليه من رفع بالابتداء وإله خبره وغير صفة لإله وكذا يأتيكم والجملة في موضع مفعولى أرأيتم وجواب الشرط محذوف (انظر كيف نصرف) لهم (الآيات) نكررها (ثم هم يصدفون) يعرضون عن الآيات بعد ظهورها والصدوف الاعراض عن الشئ (قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة) بان لم تظهر أماراته (أو جهرة) بان ظهرت أماراته وعن الحسن ليلا أو نهارا (هل يهلك الا القوم الظالمون) ما يهلك هلاك تعذيب وسخط الا الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بربهم (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) بالجنان والنيران للمؤمنين والكفار ولن نرسلهم ليقترح عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم بالبراهين القاطعة والادلة الساطعة (فمن آمن وأصلح) أى داوم على ايمانه (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فلا خوف يعقوب (والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب) جعل العذاب ماسا كأنه حى يفعل بهم ما يريد من الآلام (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله تعالى بالكفر (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله) أى قسمه بين الخلق وأرزاقه ومحل (ولا أعلم الغيب) النصب عطفا على محل عندى خزائن الله لانه من جملة المقول كأنه قال لا أقول لكم هذا القول ولا هذا القول (ولا أقول لكم انى ملك) أى لا أدعى ما يستبعد في العقول أن يكون لبشر من ملك خزائن الله وعلم الغيب ودعوى الملكية وانما أدعى ما كان لكثير من البشر وهو النبوة (ان أتبع

الا

الا ما يوحى الىّ) أى ما أخبركم الا بما أنزل الله على (قل هل يستوى الاعمى والبصير) مثل للضال والمهتدى أولمن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع أولمن يدعى المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الالهية (أفلا تتفكرون) فلا تكونوا ضالين أشباه العميان أو فتعلموا أنى ماادعيت ما لا يليق بالبشر أو فتعلموا أن اتباع ما يوحى الى مما لابدلى منه (وأنذر به) بما يوحى (الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم) هم المسلمون المقرون بالبعث الا انهم مفرطون فى العمل فينذرهم بما أوحى اليه أو أهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث (ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع) فى موضع الحال من يحشروا أى يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم (لعلهم يتقون) يدخلون فى زمرة أهل التقوى ولما أمر النبى عليه السلام بانذار غير المتقين ليتقوا أمر بعد ذلك بتقريب المتقين ونهى عن طردهم بقوله (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) وأثنى عليهم بانهم يواصلون دعاء ربهم أى عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشى الدوام أو معناه يصلون صلاة الصبح والعصر أو الصلوات الخمس بالغدوة شامى ووسمهم بالاخلاص فى عبادتهم بقوله (يريدون وجهه) فالوجه يعبر به عن ذات الشئ وحقيقته نزلت فى الفقراء بلال وصهيب وعمار وأضرابهم حين قال رؤساء المشركين لو طردت هؤلاء السقاط لجالسناك فقال عليه السلام ما أنا بطارد المؤمنين فقالوا اجعل لنا يوما ولهم يوما وطلبوا بذلك كتابا فدعا عليا رضى الله عنه ليكتب فقام الفقراء وجلسوا ناحية فنزلت فرمى عليه الصلاة والسلام بالصحيفة وأتى الفقراء فعانقهم (ما عليك من حسابهم من شئ) كقوله ان حسابهم الا على ربى (وما من حسابك عليهم من شئ) وذلك أنهم طعنوا فى دينهم واخلاصهم فقال حسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم (فتطردهم) جواب النفى وهو ما عليك من حسابهم (فتكون من الظالمين) جواب النهى وهو ولا تطرد ويجوز أن يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب لان كونه ظالما مسبب عن طردهم (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) ومثل ذلك الفتن العظيم ابتلينا الاغنياء بالفقراء (ليقولوا) أى الاغنياء (أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) أى أنعم الله عليهم بالايمان ونحن المقدمون والرؤساء وهم الفقراء انكار الان يكون أمثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه لو كان خيرا ما سبقونا اليه (أليس الله باعلم بالشاكرين) بمن يشكر نعمته (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) اما أن يكون أمرا بتبليغ سلام الله اليهم واما أن يكون أمرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذا قوله (كتب ربكم على نفسه الرحمة) من جملة ما يقول لهم ليبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم ومعناه وعدكم بالرحمة وعدا مؤكدا (انه) الضمير للشان (من عمل منكم سوأ) ذنبا (بجهالة) فى موضع الحال أى عمله وهو جاهل بما يتعلق به من المضرة أو جعل جاهلا لايثار المعصية على الطاعة (ثم تاب من بعده) من بعد السوء أو العمل (وأصلح) وأخلص توبته (فانه غفور رحيم) أنه فانه شامى وعاصم الاول بدل الرحمة والثانى خبر مبتدأ

محذوف أى فشأنه أنه غفور رحيم أنه فانه مدنى الاول بدل الرحمة والثانى مبتدأ انه فانه غيرهم على الاستئناف كان الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل منكم (وكذلك نفصل الآيات ولتستبين) وبالياء حمزة وعلى وأبو بكر (سبيل المجرمين) بالنصب مدنى غيره بالرفع فرفع السبيل مع التاء والياء لانها تذكر وتؤنث ونصب السبيل مع التاء على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم يقال استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها فى صفة أحوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه ومن يرجى اسلامه ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب أن يعامل به فصلنا ذلك التفصيل (قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) أى صرفت وزجرت بادلة العقل والسمع عن عبادة ماتعبدون من دون الله (قل لاأتبع أهواءكم) أى لاأجرى فى طريقتكم التى سلكتموها فى دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذى منه وقعوا فى الضلال (قد ضللت اذا) أى ان اتبعت أهواءكم فانا ضال (وما أنا من المهتدين) وما أنا من المهتدين فى شئ يعنى أنكم كذلك ولما نفى أن يكون الهوى متبعا نبه على مايجب اتباعه بقوله (قل انى على بينة من ربى) أى انى من معرفة ربى وانه لامعبود سواه على حجة واضحة (وكذبتم به) حيث أشركتم به غيره وقيل على بينة من ربى على حجة من جهة ربى وهو القرآن وكذبتم به بالبينة وذكر الضمير على تأويل البرهان أو البيان أو القرآن ثم عقبه بما دل على انهم أحقاء بان يعاقبوا بالعذاب فقال (ماعندى ماتستعجلون به) يعنى العذاب الذى استعجلوه فى قولهم فأمطر علينا حجارة من السماء (ان الحكم الا لله) فى تأخير عذابكم (يقص الحق) حجازى وعاصم أى يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص أثره الباقون يقض الحق فى كل مايقضى من التأخير والتعجيل فالحق أى القضاء الحق صفة لمصدر يقضى وقوله (وهو خير الفاصلين) أى القاضين بالقضاء الحق اذ الفصل هو القضاء وسقوط الياء من الخط لاتباع اللفظ لالتقاء الساكنين (قل لو أن عندى) أى فى قدرتى وامكانى (ماتستعجلون به) من العذاب (لقضى الامر بينى وبينكم) لاهلكتكم عاجلا غضبا لربى (والله أعلم بالظالمين) فهو ينزل عليكم العذاب فى وقت يعلم أنه أردع (وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الا هو) المفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وهى خزائن العذاب والرزق أو ماغاب عن العباد من الثواب والعقاب والآجال والاحوال جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما فى الخزائن المستوثق منها بالاغلاق والاقفال ومن علم مفاتحها وكيفية فتحها توصل اليها فاراد أنه هو المتوصل الى المغيبات وحده لايتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح أقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما فى المخازن قيل عنده مفاتح الغيب وعندك مفاتح العيب فمن آمن بغيبه أسبل الله الستر على عيبه (ويعلم ما فى البر) من النبات والدواب (والبحر) من الحيوان والجواهر وغيرهما (وماتسقط من ورقة الا يعلمها) ما للنفى ومن للاستغراق أى يعلم عددها وأحوالها قبل السقوط وبعده (ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس) عطف على ورقة

وداخل في حكمها وقوله (الا في كتاب مبين) كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى الا في كتاب مبين واحد وهو علم الله أو اللوح ثم خاطب الكفرة بقوله (وهو الذى يتوفاكم بالليل) أى يقبض أنفسكم عن التصرف بالتمام في المنام (ويعلم ما جرحتم بالنهار) كسبتم فيه من الآثام (ثم يبعثكم فيه) ثم يوقظكم في النهار أو التقدير ثم يبعثكم في النهار ويعلم ما جرحتم فيه فقدم الكسب لانه أهم وليس فيه أنه لا يعلم ما جرحنا بالليل ولا أنه لا يتوفانا بالنهار فدل ان تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه (ليقضى أجل مسمى) لتوفى الآجال على الاستكمال (ثم اليه مرجعكم) رجوعكم بالبعث بعد الموت (ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) في ليلكم ونهاركم قال بعض أهل الكلام ان لكل حاسة من هذه الحواس روحا تقبض عند النوم ثم ترد اليها اذا ذهب النوم فاما الروح التي تحيا بها النفس فانها لا تقبض الا عند انقضاء الاجل والمراد بالارواح المعاني والقوى التي تقوم بالحواس ويكون بها السمع والبصر والاخذ والمشي والشم ومعنى ثم يبعثكم فيه أي يوقظكم ويرد اليكم أرواح الحواس فيستدل به على منكرى البعث لانه بالنوم يذهب أرواح هذه الحواس ثم يردها اليها فكذا يحيي الانفس بعد موتها (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون ليكون ذلك أزجر للعباد عن ارتكاب الفساد اذا تفكروا ان صحائفهم تقرأ على رؤس الاشهاد (حتى اذا جاء أحدكم الموت) حتى لغاية حفظ الاعمال أي وذلك دأب الملائكة مع المكلف مدة الحياة الى أن يأتيه الممات (توفته رسلنا) أى استوفت روحه وهم ملك الموت وأعوانه توفيه واستوفيه بالامالة حمزة رسلنا أبو عمرو (وهم لا يفرطون) لا يتوانون ولا يؤخرون (ثم ردوا الى الله) الى حكمه وجزائه أى رد المتوفون برد الملائكة (مولاهم) مالكهم الذى يلي عليهم أمورهم (الحق) العدل الذى لا يحكم الا بالحق وهما صفتان لله (ألا له الحكم) يومئذ لا حكم فيه لغيره (وهو أسرع الحاسبين) لا يشغله حساب عن حساب يحاسب جميع الخلق في مقدار حلب شاة وقيل الردالى من ربك خير من البقاء مع من آذاك (قل من ينجيكم) ينجيكم عباس (من ظلمات البر والبحر) مجاز عن مخاوفهما وأهوالهما أو ظلمات البر الصواعق والبحر الامواج وكلاهما في الغيم والليل (تدعونه) حال من ضمير المفعول في ينجيكم (تضرعا) معلنين الضراعة وهو مصدر في موضع الحال وكذا (وخفية) أى مسرين في أنفسكم خفية حيث كان أبو بكر وهما لغتان (لئن أنجانا) عاصم وبالامالة حمزة وعلى الباقون أنجيتنا والمعنى يقولون لئن خلصنا (من هذه) الظلمات (لنكونن من الشاكرين) لله تعالى (قل الله ينجيكم) بالتشديد كوفي (منها) من الظلمات (ومن كل كرب) وغم وحزن (ثم أنتم تشركون) ولا تشكرون (قل هو القادر) هو الذى عرفتموه قادرا أو هو الكامل القدرة فاللام يحتمل العهد والجنس (على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) كما أمطر على قوم لوط وعلى أصحاب الفيل الحجارة (أو من تحت أرجلكم) كما غرق فرعون وخسف بقارون أو من قبل سلاطينكم وسفلتكم أو هو حبس المطر

والنبات (او يلبسكم شيعا) او يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة
لامام ومعنى خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا و يشتبكوا فى ملاحم القتال (و يذيق
بعضكم بأس بعض) يقتل بعضكم بعضا والبأس السيف وعنه عليه الصلاة والسلام سألت
الله تعالى ان لا يبعث على أمتى عذابا من فوقهم اومن تحت أرجلهم فأعطانى ذلك وسألته أن
لايجعل بأسهم بينهم فمنعنى وأخبرنى جبريل ان فناء أمتى بالسيف (انظر كيف نصرف
الآيات) بالوعد والوعيد (لعلهم يفقهون وكذب به) بالقرآن او بالعذاب (قومك) قريش
(وهو الحق) اى الصدق أولا بد أن ينزل بهم (قل لست عليكم بوكيل) بحفيظ وكل الىّ أمركم
انما أنا منذر (لكل نبا) لكل شئ ينبأ به يعنى انباءهم بأنهم يعذبون وايعادهم به (مستقر)
وقت استقرار وحصول لا بد منه (وسوف تعلمون) تهديد (واذا رأيت الذين يخوضون فى
آياتنا) اى القرآن يعنى يخوضون فى الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش فى أنديتهم
يفعلون ذلك (فأعرض عنهم) ولا تجالسهم وقم عنهم (حتى يخوضوا فى حديث غيره) غير
القرآن مما يحل فحينئذ يجوز أن تجالسهم (واما ينسينك الشيطان) ما نهيت عنه ينسينك
شامى نسى وأنسى واحد (فلا تقعد بعد الذكرى) بعد ان تذكر (مع القوم الظالمين وما على
الذين يتقون من حسابهم) من حساب هؤلاء الذين يخوضون فى القرآن تكذيبا واستهزاء
(من شئ) اى وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شئ مما يحاسبون عليه من ذنوبهم (ولكن)
عليهم أن يذكروهم (ذكرى) اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم
وموعظتهم ومحل ذكرى نصب اى ولكن يذكرونهم ذكرى أى تذكيرا او رفع
والتقدير ولكن عليهم ذكرى فذكرى مبتدأ والخبر محذوف (لعلهم يتقون) لعلهم
يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم (وذر الذين اتخذوا دينهم) الذى كلفوه ودعوا اليه
وهو دين الاسلام (لعبا ولهوا) سخروا به واستهزؤا ومعنى ذرهم اعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم
واستهزائهم واللهو ما يشغل الانسان من هوى أو طرب (وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به) وعظ
بالقرآن (أن تبسل نفس بما كسبت) مخافة أن تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها
وأصل الابسال المنع (ليس لها من دون الله ولى) ينصرها بالقوة (ولا شفيع) يدفع عنها
بالمسئلة ولا وقف على كسبت فى الصحيح لان قوله ليس لها صفة لنفس والمعنى وذكر
بالقرآن كراهة أن تبسل نفس عادمة وليا وشفيعا بكسبها (وان تعدل كل عدل) نصب على
المصدر وان تفد كل فداء والعدل الفدية لان الفادى يعدل المفدى بمثله وفاعل (لا يؤخذ
منها) لا ضمير العدل لان العدل هنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ وأما فى قوله ولا يؤخذ منها عدل
فبمعنى المفدى به فصح اسناده اليه (اولئك) اشارة الى المتخذين من دينهم لعبا ولهوا وهو مبتدأ
والخبر (الذين أبسلوا بما كسبوا) وقوله (لهم شراب من حميم) اى ماء سخين حار خبر ثان
لاولئك والتقدير أولئك المبسلون ثابت لهم شراب من حميم اومستأنف (وعذاب أليم بما كانوا
يكفرون) بكفرهم (قل) لابى بكر يقل لابنه عبد الرحمن وكان يدعو أباه الى عبادة الاوثان

(اندعوا)

(أندعوا) أنعبد (من دون الله) الضار النافع (مالا ينفعنا) مالا يقدر على نفعنا ان دعوناه (ولا يضرنا) ان تركناه (ونرد) أنرد (على أعقابنا) راجعين الى الشرك (بعد اذ هدانا الله) للاسلام وأنقذنا من عبادة الاصنام (كالذى استهوته الشياطين) كالذى ذهبت به الغيلان ومردة الجن والكاف في محل النصب على الحال من الضمير في نرد على أعقابنا أى أننكص مشبهين من استهوته الشياطين وهو استفعال من هوى فى الارض اذا ذهب فيها كان معناه طلبت هويه (فى الارض) فى المهمه (حيران) حال من مفعول استهوته أى تائها ضالا عن الجادة لايدرى كيف يصنع (له) لهذا المستهوى (أصحاب) رفقة (يدعونه الى الهدى) الى أن يهدوه الطريق سمى الطريق المستقيم بالهدى يقولون له (ائتنا) وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبنى على مايقال ان الجن تستهوى الانسان والغيلان تستولى عليه فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم (قل ان هدى الله) وهو الاسلام (هو الهدى) وحده وما وراءه ضلال (وأمرنا) محله النصب بالعطف على محل ان هدى الله هو الهدى على أنهما مقولان كانه قيل قل هذا القول وقل أمرنا (لنسلم لرب العالمين وأن أقيموا الصلوة) والتقدير وأمرنا لان نسلم ولان أقيموا أى للاسلام ولاقامة الصلاة (واتقوه وهو الذى اليه تحشرون) يوم القيامة (وهو الذى خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة أو محقا (ويوم يقول كن فيكون) على الخبر دون الجواب (قوله الحق) مبتدأ ويوم يقول خبره مقدما عليه كما تقول يوم الجمعة قولك الصدق أى قولك الصدق كائن يوم الجمعة واليوم بمعنى الحين والمعنى انه خلق السموات والارض بالحق والحكمة وحين يقول لشئ من الاشياء كن فيكون ذلك الشئ قوله الحق والحكمة أى لا يكون شئ من السموات والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب (وله الملك) مبتدأ وخبر (يوم ينفخ) ظرف لقوله وله الملك (فى الصور) هو القرن بلغة اليمن أو جمع صورة (عالم الغيب) هو عالم الغيب (والشهادة) أى السر والعلانية (وهو الحكيم) فى الافناء والاحياء (الخبير) بالحساب والجزاء (واذ قال ابراهيم لابيه آزر) هو اسم أبيه أو لقبه لانه خلاف بين النسابين ان اسم أبيه تارخ وهو عطف بيان لابيه وزنه فاعل (أتتخذ أصناما آلهة) استفهام توبيخ أى أتتخذها آلهة وهى لا تستحق الالهية (انى أراك وقومك فى ضلال مبين وكذلك) أى وكما أريناه قبح الشرك (نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض) أى نرى بصيرته لطائف خلق السموات والارض ونرى حكاية حال ماضية والملكوت أبلغ من الملك لان الواو والتاء تزادان للمبالغة قال مجاهد فرجت له السموات السبع فنظر الى مافيهن حتى انتهى نظره الى العرش وفرجت له الارضون السبع حتى نظر الى مافيهن (وليكون من الموقنين) فعلنا ذلك أوليستدل وليكون من الموقنين عيانا كما أيقن بيانا (فلما جن عليه الليل) أى أظلم وهو عطف على قال ابراهيم لابيه وقوله وكذلك نرى ابراهيم جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه (رأى كوكبا) أى الزهرة أو المشترى وكان أبوه وقومه يعبدون الاصنام

والشمس والقمر والكواكب فاراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم وأن يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى أن شيأ منها ليس باله لقيام دليل الحدوث فيها ولان لها محدثا أحدثها ومدبرا دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها فلما رأى الكوكب الذي كانوا يعبدونه (قال هذا ربي) أي قال لهم هذا ربي في زعمكم أو المراد أهذا استهزاء بهم وانكارا عليهم والعرب تكتفي عن حرف الاستفهام بنغمة الصوت والصحيح ان هذا قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لانه أدعى الى الحق وانجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة (فلما أفل) غاب (قال لا أحب الآفلين) أي لا أحب عبادة الارباب المتغيرين عن حال الى حال لان ذلك من صفات الاجسام (فلما رأى القمر بازغا) مبتدئا في الطلوع (قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين) نبه قومه على ان من اتخذ القمر إلها فهو ضال وانما احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال لان الاحتجاج به أظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاج (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي) وانما ذكره لانه أراد الطالع أو لانه جعل المبتدأ مثل الخبر لانهما شيء واحد معنى وفيه صيانة الرب عن شبهة التأنيث ولهذا قالوا في صفات الله تعالى علام ولم يقولوا علامة وان كان الثاني أبلغ تفاديا من علامة التأنيث (هذا أكبر) من باب استعمال النصفة أيضا مع خصومه (فلما أفلت قال ياقوم اني بريء مما تشركون) من الاجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها وقيل هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله تعالى والاول أظهر لقوله ياقوم اني بريء مما تشركون (اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض) أي للذي دلت هذه المحدثات على انه منشئها (حنيفا) حال أي مائلا عن الاديان كلها الا الاسلام (وما أنا من المشركين) بالله شيأ من خلقه (وحاجه قومه) في توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه (قال أتحاجوني في الله) في توحيده أتحاجوني مدني وابن ذكوان (وقد هدان) الى التوحيد وبالياء في الوصل أبو عمرو ولما خوفوه أن معبوداتهم تصيبه بسوء قال (ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربي شيأ) أي لا أخاف معبوداتكم في وقت قط لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربي أن يصيبني منها بضر فهو قادر على أن يجعل فيما شاء نفعا وفيما شاء ضرا لا الاصنام (وسع ربي كل شيء علما) فلا يصيب عبدا شيء من ضر أو نفع الا بعلمه (أفلا تتذكرون) فتميزوا بين القادر والعاجز (وكيف أخاف ما أشركتم) معبوداتكم وهي مأمونة الخوف (ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به) باشراكه (عليكم سلطانا) حجة اذ الاشراك لا يصح أن يكون عليه حجة والمعنى ومالكم تنكرون على الامن في موضع الامن ولا تنكرون على أنفسكم الامن في موضع الخوف (فأي الفريقين) أي فريقي الموحدين والمشركين (أحق بالامن) من العذاب (ان كنتم تعلمون) ولم يقل فأينا احترازا من تزكية نفسه ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) بشرك عن الصديق رضي الله عنه (أولئك لهم

الامن وهم مهتدون) تم كلام ابراهيم عليه السلام (وتلك حجتنا) اشارة الى جميع ما احتج به ابراهيم عليه السلام على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى وهم مهتدون (آتيناها ابراهيم على قومه) وهو خبر بعد خبر (نرفع درجات من نشاء) في العلم والحكمة وبالتنوين كوفى وفيه نقض قول المعتزلة في الاصلح (ان ربك حكيم) بالرفع (عليم) بالاهل (ووهبنا له) لابراهيم (اسحاق ويعقوب كلا هدينا) أى كلهم وانتصب كلا بهدينا (ونوحا هدينا) أى وهدينا نوحا (من قبل) من قبل ابراهيم (ومن ذريته) الضمير لنوح أو لابراهيم والاول أظهر لان يونس ولوطا لم يكونا من ذرية ابراهيم (داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون) والتقدير وهدينا من ذريته هؤلاء (وكذلك نجزى المحسنين) ونجزى المحسنين جزاء مثل ذلك فالكاف فى موضع نصب نعت لمصدر محذوف (وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل) أى كلهم (من الصالحين) وذكر عيسى معهم دليل على ان النسب يثبت من قبل الام أيضا لانه جعله من ذرية نوح عليه السلام وهو لا يتصل به الا بالام وبذا أجيب الحجاج حين أنكر أن يكون بنو فاطمة أولاد النبى عليه السلام (واسمعيل واليسع) والليسع حيث كان بلامين حمزة وعلى (ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين) بالنبوة والرسالة (ومن آبائهم) فى موضع النصب عطفا على كلا أى وفضلنا بعض آبائهم (وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك) أى ما دان به هؤلاء المذكورون (هدى الله) دين الله (يهدى به من يشاء من عباده) فيه نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الله شاء هداية الخلق كلهم لكنهم لم يهتدوا (ولو أشركوا) مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات العلى (لحبط عنهم ما كانوا يعملون) لبطلت أعمالهم كما قال لئن أشركت ليحبطن عملك (أولئك الذين آتيناهم الكتاب) يريد الجنس (والحكم) والحكمة أو فهم الكتاب (والنبوة) وهى أعلى مراتب البشر (فان يكفر بها) بالكتاب والحكم والنبوة أو بآيات القرآن (هؤلاء) أى أهل مكة (فقد وكلنا بها قوما) هم الانبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده أو أصحاب النبى عليه السلام أو كل من آمن به أو العجم ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشئ ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه والباء فى (ليسوا بها) صلة كافرين وفى (بكافرين) لتأكيد النفى (أولئك الذين هدى الله) أى الانبياء الذين مر ذكرهم (فبهداهم اقتده) فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد الا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم فى الايمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فهى مختلفة والهاء فى اقتده للوقف تسقط فى الوصل واستحسن ايثار الوقف لثبات الهاء فى المصحف ويحذفها حمزة وعلى فى الوصل ويختلسها شامى (قل لا أسئلكم عليه) على الوحى أو على تبليغ الرسالة والدعاء الى التوحيد (أجرا) جعلا وفيه دليل على أن أخذ الاجر على تعليم القرآن ورواية الحديث لا يجوز (ان هو الا ذكرى للعالمين) ما القرآن الا عظة للجن والانس (وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ) أى ما عرفوه حق معرفته فى الرحمة

على عباده حين أنكروا بعثة الرسل والوحى اليهم وذلك من أعظم رحمته وما أرسلناك الا رحمة للعالمين روى أن جماعة من اليهود منهم مالك بن الصيف كانوا يجادلون النبي عليه السلام فقال النبي عليه السلام له أليس فى التوراة أن الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال فانت الحبر السمين فغضب وقال ماأنزل الله على بشر من شئ وحق قدره منصوب نصب المصدر (قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا) حال من الضمير فى به او من الكتاب (وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) مما فيه نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى بعضوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الابداء والاخفاء وبالياء فى الثلاثة مكى وأبو عمرو (وعلمتم) ياأهل الكتاب بالكتاب (مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) من أمور دينكم ودنياكم (قل الله) جواب اى أنزله الله فانهم لا يقدرون أن يناكروك (ثم ذرهم فى خوضهم) فى باطلهم الذى يخوضون فيه (يلعبون) حال من ذرهم او من خوضهم (وهذا كتاب أنزلناه) على نبينا عليه السلام (مبارك) كثير المنافع والفوائد (مصدق الذى بين يديه) من الكتب (ولتنذر) وبالياء أبو بكر اى الكتاب وهو معطوف على مادل عليه صفة الكتاب كأنه قيل أنزلناه للبركات وتصديق ماتقدمه من الكتب ولانذار (أم القرى) مكة وسميت أم القرى لانها سرة الارض وقبلة أهل القرى وأعظمها شأنا ولان الناس يؤمونها (ومن حولها) أهل الشرق والغرب (والذين يؤمنون بالآخرة) يصدقون بالعاقبة ويخافونها (يؤمنون به) بهذا الكتاب فاصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن (وهم على صلاتهم يحافظون) خصت الصلاة بالذكر لانها علم الايمان وعماد الدين فمن حافظ عليها يحافظ على اخواتها ظاهرا (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) هو مالك بن الصيف (اوقال أوحى الى ولم يوح اليه شئ) هو مسيلمة الكذاب (ومن قال) فى موضع جر عطف على من افترى أى وممن قال (سأنزل مثل ماأنزل الله) اى سأقول وأملى هو عبد الله بن سعد بن أبى سرح كاتب الوحى وقد أملى النبي عليه السلام عليه ولقد خلقنا الانسان الى خلقا آخر فجرى على لسانه فتبارك الله أحسن الخالقين فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك وقال ان كان محمد صادقا فقد أوحى الى كما أوحى اليه وان كان كاذبا فقد قلت كما قال فارتد ولحق بمكة او النضر بن الحرث كان يقول والطاحنات طحنا فالعاجنات عجنا فالخابزات خبزا كانه يعارض (ولو ترى) جوابه محذوف اى لرأيت أمرا عظيما (اذ الظالمون) يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فتكون اللام للعهد ويجوز أن تكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله (فى غمرات الموت) شدائده وسكراته (والملائكة باسطوا أيديهم اخرجوا أنفسكم) اى يبسطون اليهم أيديهم يقولون هاتوا أرواحكم أخرجوها الينا من اجسادكم وهذه عبارة عن التشديد فى الازهاق من غير تنفيس وامهال (اليوم تجزون عذاب الهون) أرادوا وقت الاماتة ومايعذبون به من شدة النزع والهون الهوان الشديد واضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء يريد العراقة فى الهوان والتمكن فيه (بما كنتم

تقولون على الله غـير الحق) من أن له شريكا وصاحبة وولدا وغـير الحق مفعول تقولون أو وصف لمصدر محذوف أى قولا غير الحق (وكنتم عن آياته تستكبرون) فلا تؤمنون بها (ولقد جئتمونا) للحساب والجزاء (فرادى) منفردين بلا مال ولا معين وهو جمع فريد كاسير وأسارى (كما خلقناكم) فى محل النصب صـفة لمصدر جئتمونا أى مجيئا مثل ما خلقناكم (أول مرة) على الهيآت التى ولدتم عليها فى الانفراد (وتركتم ما خولناكم) ملكناكم (وراء ظهوركم) ولم تحتملوا منه نقيرا (وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) فى استعبادكم (لقد تقطع بينـكم) وصلكم عن الزجاج والبين الوصل والهجر قال

فوالله لولا البين لم يكن الهوى * ولولا الهوى ما حن للبين آلف

بينـكم مدنى وعلى وحفص أى وقع التقطع بينـكم (وضـل عنـكم) وضاع وبطل (ما كنتم تزعمون) أنها شفعاؤكم عند الله (ان الله فالق الحب والنوى) بالنبات والشجر أى فلق الحب عن السنبلة والنواة عن النخلة والفلق الشق وعن مجاهد أراد الشـقين اللذين فى النواة والحنطة (يخرج الحى من الميت) النبات الغض النامى من الحب اليابس (ومخرج الميت من الحى) الحب اليابس من النبات النامى أو الانسان من النطفة والنطفة من الانسان أو المؤمن من الـكافر والـكافر من المؤمن فاحتج الله عليهـم بما يشاهدونه من خلقه لانهم أنـكروا البعث فاعلمهم أنه الذى خلق هـذه الاشياء فهو يقدر على بعثهم وانما قال ومخرج الميت بلفظ اسم الفاعل لانه معطوف على فالق الحب لا على الفعل ويخرج الحى من الميت موقعه موقع الجـملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميـين من جنس اخراج الحى من الميت لان النامى فى حكم الحيوان دليـله قوله ويحيى الارض بعد موتها (ذلـكم الله) ذلـكم المحيى والمميت هو الله الذى تحق له الربوبية لا الاصنام (فأنى تؤفـكون) فـكيف تصرفون عنه وعن توليـه الى غيره بعد وضوح الامر بما ذكرنا (فالق الاصباح) هو مصدر سمى به الصبح أى شاق عمود الصبح عن سواد الليل أو خالق نور النهار (وجاعل الليل) وجعل الليـل كوفى لان اسم الفاعل الذى قبله بمعنى المضى فلما كان فالق بمعنى فلق عطف عليـه جعل لتوافقهما معنى (سكنا) مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيـه أى ليسكن فيه الخلق عن كد المعيشـة الى نوم الغفـلة أو عن وحشة الخلق الى الانس بالحق (والشمس والقمر) انتصبا باضمار فعل يدل عليه جاعل الليـل أى وجعل الشمس والقمر (حسبانا) أى جعلهما على حسبان لان حساب الاوقات يعلم بدورهما وسـيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسب (ذلك) اشارة الى جعلهما حسبانا اى ذلك التسيير بالحساب المعلوم (تقدير العزيز) الذى قهرهما وسخرهما (العليم) بتدبيرهما وتدويرهما (وهو الذى جعل لـكم النجوم) خلقها (لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) أى فى ظلمات الليل بالبر والبحر وأضافها اليهما لملابستها لهما أو شـبه مشتبهات الطرق بالظلمات (قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) قد بينا الآيات الدالة على التوحيد لقوم يعلمون (وهو

الذي أنشأكم من نفس واحدة) هي آدم عليه السلام (فمستقر ومستودع) فمستقر بالكسر
مكي و بصري فمن فتح القاف كان المستودع اسم مكان مثله ومن كسرها كان اسم فاعل
والمستودع اسم مفعول يعني فلكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب أو مستقر فوق
الارض ومستودع تحتها أو فمنكم مستقر ومنكم مستودع (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون)
وانما قيل يعلمون ثم و يفقهون هنا لان الدلالة ثم أظهر وهنا أدق لان انشاء الانس من نفس
واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة أدق فكان ذكر الفقه الدال على تدقيق النظر أوفق
(وهو الذي أنزل من السماء ماء) من السحاب مطرا (فاخرجنا به) بالماء (نبات كل شيء) نبت
كل صنف من أصناف النامي أي السبب وهو الماء واحد والمسببات صنوف مختلفة (فاخرجنا
منه) من النبات (خضرا) أي شيأ غضا أخضر يقال أخضر وخضر وهو ما تشعب من أصل
النبات الخارج من الحبة (نخرج منه) من الخضر (حبا متراكبا) وهو السنبل الذي تراكب
حبه (ومن النخل من طلعها قنوان) هو رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه
كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو جمع قنو وهو العذق نظيره صنو وصنوان
(دانية) من المجتني لانحنائها بثقل حملها أو لقصر ساقها وفيه اكتفاء أي وغير دانية لطولها
كقوله سرابيل تقيكم الحر (وجنات) بالنصب عطفا على نبات كل شيء أي وأخرجنا به جنات
(من أعناب) أي مع النخل وكذا (والزيتون والرمان) وجنات بالرفع الاعشى أي وثم جنات
من أعناب أي مع النخل (مشتبها وغير متشابه) يقال اشتبه الشيآن وتشابها نحو استويا
وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وتقديره والزيتون متشابها وغير
متشابه والرمان كذلك يعني بعضه متشابه و بعضه غير متشابه في القدر واللون
والطعم (انظروا الى ثمره اذا أثمر) اذا أخرج ثمره كيف يخرجه ضعيفا لا ينتفع به
(وينعه) ونضجه أي انظروا الى حال نضجه كيف يعود شيأ جامعا للمنافع نظر اعتبار واستدلال
على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال (ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) ثمره
وكذا ما بعده حمزة وعلي جمع ثمار فهو جمع الجمع يقال ثمرة وثمر وثمار وثمر (وجعلوا لله شركاء
الجن) ان جعلت لله شركاء مفعولي جعلوا كان الجن بدلا من شركاء والا كان شركاء الجن
مفعولين قدم ثانيهما على الاول وفائدة التقديم استعظام أن يتخذ لله شريك من كان ملكا
أو جنيا أو غير ذلك والمعنى انهم أطاعوا الجن فيما سولت لهم من شركهم فجعلوهم شركاء لله
(وخلقهم) أي وقد خلق الجن فكيف يكون المخلوق شريكا لخالقه والجملة حال أو وخالق
الجاعلين لله شركاء فكيف يعبدون غيره (وخرقوا له) أي اختلقوا يقال خلق الافك وخرقه
واختلقه واخترقه بمعنى أو هو من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له (بنين) كقول أهل
الكتابين في المسيح وعزير (وبنات) كقول بعض العرب في الملائكة وخرقوا بالتشديد
للتكثير مدني لقوله بنين و بنات (بغير علم) من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوا من خطأ أو
صواب ولكن رميا بقول عن جهالة وهو حال من فاعل خرقوا أي جاهلين بما قالوا (سبحانه
وتعالى عما يصفون) من الشريك والولد (بديع السموات والارض) يقال بدع الشيء فهو

بديع وهو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها يعني بديع سمواته وأرضه أوهو بمعنى المبدع أي مبدعها وهو خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ وخبره (أنى يكون له ولد) أوهو فاعل تعالى (ولم تكن له صاحبة) أي من أين يكون له ولد والولد لا يكون الا من صاحبة ولا صاحبة له ولان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون له ولد (وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم) أي ما من شيء الا وهو خالقه وعالمه ومن كان كذلك كان غنيا عن كل شيء والولد انما يطلبه المحتاج (ذلكم) اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة وهي (الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء) وقوله (فاعبدوه) مسبب عن مضمون الجملة أي من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه (وهو على كل شيء وكيل) أي هو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الارزاق والآجال رقيب على الاعمال (لا تدركه الابصار) لا تحيط به أو أبصار من سبق ذكرهم وتشبث المعتزلة بهذه الآية لا يستتب لان المنفي هو الادراك لا الرؤية والادراك هو الوقوف على جوانب المرئي وحدوده وما يستحيل عليه الحدود والجهات يستحيل ادراكه لا رؤيته فنزل الادراك من الرؤية منزلة الاحاطة من العلم ونفي الاحاطة التي تقتضي الوقوف على الجوانب والحدود لا يقتضي نفي العلم به فكذا هذا على أن مورد الآية وهو التمدح يوجب ثبوت الرؤية اذ نفي ادراك ما تستحيل رؤيته لا تمدح فيه لان كل ما لا يرى لا يدرك وانما التمدح بنفي الادراك مع تحقق الرؤية اذ انتفاؤه مع تحقق الرؤية دليل ارتفاع نقيصة التناهي والحدود عن الذات فكانت الآية حجة لنا عليهم ولو أنعموا النظر فيها لاغتنموا التفصي عن عهدتها ومن ينفي الرؤية يلزمه نفي انه معلوم موجود والا فكما يعلم موجودا بلا كيفية وجهة بخلاف كل موجود لم يجز أن يرى بلا كيفية وجهة بخلاف كل مرئي وهذا لان الرؤية تحقق الشيء بالبصر كما هو فان كان المرئي في الجهة يرى فيها وان كان لا في الجهة يرى لا فيها (وهو) للطف ادراكه (يدرك الابصار وهو اللطيف) أي العالم بدقائق الامور ومشكلاتها (الخبير) العليم بظواهر الاشياء وخفياتها وهو من قبيل اللف والنشر (قد جاءكم بصائر من ربكم) البصيرة نور القلب الذي به يستبصر القلب كما ان البصر نور العين الذي به تبصر أي جاءكم من الوحي والتنبيه ما هو للقلوب كالبصائر (فمن أبصر) الحق وآمن (فلنفسه) أبصر واياها نفع (ومن عمي) عنه وضل (فعليها) فعلى نفسه عمي واياها ضر بالعمى (وما أنا عليكم بحفيظ) احفظ أعمالكم وأجازيكم عليها انما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم الكاف في (وكذلك نصرف الآيات) في موضع نصب صفة المصدر المحذوف أي نصرف الآيات تصريفا مثل ما تلونا عليك (وليقولوا) جوابه محذوف أي وليقولوا (درست) نصرفها ومعنى درست قرأت كتب أهل الكتاب دارست مكي وأبو عمرو أي دارست أهل الكتاب درست شامي أي قدمت هذه الآية ومضت كما قالوا أساطير الاولين (ولنبينه) أي القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما أو الآيات لانها في معنى القرآن

قيل اللام الثانية حقيقة والاولى لام العاقبة والصيرورة اى لتصير عاقبة أمرهم الى أن يقولوا درست وهو كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم لم يلتقطوه للعداوة وانما التقطوه ليصير لهم قرة عين ولكن صارت عاقبة أمرهم الى العداوة فكذلك الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا درست ولكن حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين فشبه به وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه وعندنا ليس كذلك لما عرف (لقوم يعلمون) الحق من الباطل (اتبع ما أوحى اليك من ربك) ولا تتبع أهواءهم (لا اله الا هو) اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحى لا محل له من الاعراب او حال من ربك مؤكدة (وأعرض عن المشركين) فى الحال الى أن يرد الامر بالقتال (ولوشاء الله) اى ايمانهم فالمفعول محذوف (ما أشركوا) بين انهم لا يشركون على خلاف مشيئة الله ولو علم منهم اختيار الايمان لهداهم اليه ولكن علم منهم اختيار الشرك فشاء شركهم فاشركوا بمشيئته (وما جعلناك عليهم حفيظا) مراعيا لاعمالهم مأخوذا باجرامهم (وما أنت عليهم بوكيل) بمسلط وكان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله بقوله (ولا تسبوا) آلهة (الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله) منصوب على جواب النهى (عدوا) ظلما وعدوانا (بغير علم) على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به (كذلك) مثل ذلك التزيين (زينا لكل أمة) من أمم الكفار (عملهم) وهو كقوله أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وهو حجة لنا فى الاصلح (ثم الى ربهم مرجعهم) مصيرهم (فينبئهم بما كانوا يعملون) فيخبرهم بما عملوا ويجزيهم عليه (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) جهد مصدر وقع موقع الحال اى جاهدين فى الاتيان باوكد الايمان (لئن جاءتهم آية) من مقترحاتهم (ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله) وهو قادر عليها لا عندى فكيف آتيكم بها (وما يشعركم) وما يدريكم (أنها) أن الآية المقترحة (اذا جاءت لا يؤمنون) بها يعنى أنا أعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وأنتم لا تعلمون ذلك وكان المؤمنون يطمعون فى ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال الله تعالى وما يدريكم انهم لا يؤمنون على معنى أنكم لا تدرون ما سبق علمى به من أنهم لا يؤمنون انها بالكسر مكى وبصرى وأبو بكر على ان الكلام تم قبله اى وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون ألبتة ومنهم من جعل لا مزيدة فى قراءة الفتح كقوله وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون لا تؤمنون شامى وحمزة (ونقلب أفئدتهم) عن قبول الحق (وأبصارهم) عن رؤية الحق عند نزول الآية التى اقترحوها فلا يؤمنون بها قيل هو عطف على لا يؤمنون داخل فى حكم وما يشعركم اى وما يشعركم أنهم لا يؤمنون وما يشعركم انا نقلب أفئدتهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق (كما لم يؤمنوا به أول مرة) كما كانوا عند نزول آياتنا أولا لا يؤمنون بها (ونذرهم فى طغيانهم يعمهون) قيل وما يشعركم أنا نذرهم فى طغيانهم يعمهون يتحيرون (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة) كما قالوا لولا أنزل علينا الملائكة (وكلمهم الموتى) كما قالوا فأتوا بآبائنا (وحشرنا عليهم) جمعنا (كل شئ قبلا)

كفلاء بصحة ما بشرنا به وأنذرنا جمع قبيل وهو الكفيل قبلا مدني وشامي أي عيانا وكلاهما نصب على الحال (ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله) ايمانهم فيؤمنوا وهذا جواب لقول المؤمنين لعلهم يؤمنون بنزول الآية (ولكن أكثرهم يجهلون) ان هؤلاء لا يؤمنون اذا جاءتهم الآية المقترحة (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) وكما جعلنا لك أعداء من المشركين جعلنا لمن تقدمك من الانبياء أعداء لما فيه من الابتلاء الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر وانتصب (شياطين الانس والجن) على البدل من عدوا أو على انه من المفعول الاول وعدوا مفعول ثان (يوحي بعضهم الى بعض) يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس أشد عليّ من شيطان الجن لاني اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا وقال عليه السلام قرناء السوء شر من شياطين الجن (زخرف القول) ما زينوه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي (غرورا) خدعا وأخذا على غرة وهو مفعول له (ولو شاء ربك ما فعلوه) أي الايحاء يعني ولو شاء الله لمنع الشياطين من الوسوسة ولكنه امتحن بما يعلم انه أجزل في الثواب (فذرهم وما يفترون) عليك وعلى الله فان الله يخزيهم وينصرك ويجزيهم (ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) ولتميل الى زخرف القول قلوب الكفار وهي معطوفة على غرورا أي ليغروه ولتصغى اليه (وليرضوه) لانفسهم (وليقترفوا ما هم مقترفون) من الآثام (أفغير الله ابتغي حكما) أي قل يا محمد أفغير الله أطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل (وهو الذي أنزل اليكم الكتاب) المعجز (مفصلا) حال من الكتاب أي مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة على ان القرآن حق بعلم أهل الكتاب أنه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له بقوله (والذين آتيناهم الكتاب) أي عبد الله بن سلام وأصحابه (يعلمون أنه منزل) شامي وحفص (من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين) الشاكين فيه أيها السامع أو فلا تكونن من الممترين في أن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل بالحق ولا يريبك جحود أكثرهم وكفرهم به (وتمت كلمت ربك) أي ما تكلم به كلمات ربك حجازي وشامي وأبو عمرو أي تم كل ما أخبر به وأمر ونهى ووعد وأوعد (صدقا) في وعده ووعيده (وعدلا) في أمره ونهيه وانتصبا على التمييز أو على الحال (لا مبدل لكلماته) لا أحد يبدل شيأ من ذلك (وهو السميع) لاقرار من أقر (العليم) باصرار من أصر أو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون (وان تطع أكثر من في الارض) أي الكفار لانهم الاكثرون (يضلوك عن سبيل الله) دينه (ان يتبعون الا الظن) وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم (وان هم الا يخرصون) يكذبون في أن الله حرم عليهم كذا وأحل لهم كذا (ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أي هو يعلم الكفار والمؤمنين من رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام والخبر يضل وموضع

الجملة نصب بيعلم المقدر لا باعلم لان أفعل لا يعمل في الاسم الظاهر النصب و يعمل الجر وقيل تقديره أعلم بمن يضل بدليل ظهور الباء بعده في بالمهتدين (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين) هو مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله أحق أن تأكلوا مما قتلتم أنتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة أي على ذبحه دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم أو مات حتف أنفه (وما لكم ألا تأكلوا) ما استفهام في موضع رفع بالابتداء ولكم الخبر أي وأي غرض لكم في أن لا تأكلوا (مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم) بين لكم (ما حرم عليكم) مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة فصل وحرم كوفي غير حفص وبفتحهما مدني وحفص وبضمهما غيرهم (الا ما اضطررتم اليه) مما حرم عليكم فانه حلال لكم في حال الضرورة أي شدة المجاعة الى أكله (وان كثيرا ليضلون) ليضلون كوفي (باهوائهم بغير علم) أي يضلون فيحرمون ويحللون باهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة (ان ربك هو أعلم بالمعتدين) بالمتجاوزين من الحق الى الباطل (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) علانيته وسره أو الزنا في الحوانيت والصديقة في السر أو الشرك الجلي والخفي (ان الذين يكسبون الاثم سيجزون) يوم القيامة (بما كانوا يقترفون) يكتسبون في الدنيا (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) عند الذبح (وانه) وان أكله (لفسق وان الشياطين ليوحون) ليوسوسون (الى أوليائهم) من المشركين (ليجادلوكم) بقولهم لا تأكلون مما قتله الله وتأكلون مما تذبحون بايديكم والآية تحرم متروك التسمية وخصت حالة النسيان بالحديث أو بجعل الناسي ذاكرا تقديرا (وان أطعتموهم) في استحلال ما حرمه الله (انكم لمشركون) لان من اتبع غير الله في دينه فقد أشرك به ومن حق المتدين أن لا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه لما في الآية من التشديد العظيم ومن أول الآية بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه لقوله أو فسقا أهل لغير الله به وقال ان الواو في وانه لفسق للحال لان عطف الجملة الاسمية على الفعلية لا يحسن فيكون التقدير ولا تأكلوا منه حال كونه فسقا والفسق مجمل فبين بقوله أو فسقا أهل لغير الله به فصار التقدير ولا تأكلوا منه حال كونه مهلا لغير الله به فيكون ما سواه حلالا بالعمومات المحللة منها قوله قل لا أجد الآية فقد عدل عن ظاهر اللفظ (أومن كان ميتا فاحييناه) أي كافرا فهديناه لان الايمان حياة القلوب ميتا مدني (وجعلنا له نورا يمشي به في الناس) مستضيئا به والمراد به اليقين (كمن مثله) أي صفته (في الظلمات) أي خابط فيها (ليس بخارج منها) لا يفارقها ولا يتخلص منها وهو حال قيل المراد بهما حمزة وأبو جهل والاصح ان الآية عامة لكل من هداه الله ولكل من أضله الله فبين ان مثل المهتدي مثل الميت الذي أحيي وجعل مستضيئا يمشي في الناس بنور الحكمة والايمان ومثل الكافر مثل من هو في الظلمات التي لا يتخلص منها (كذلك) أي كما زين للمؤمن ايمانه (زين للكافرين) بتزيين الله تعالى كقوله زينا لهم

أعمالهم (ما كانوا يعملون) أي أعمالهم (وكذلك) أي وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها (جعلنا) صيرنا (في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها) ليتجبروا على الناس فيها ويعملوا بالمعاصي واللام على ظاهرها عند أهل السنة وليست بلام العاقبة وخص الاكابر وهم الرؤساء لان ما فيهم من الرياسة والسعة أدعى لهم الى المكر والكفر من غيرهم دليله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ثم سلى رسوله عليه السلام ووعده النصرة بقوله (وما يمكرون الا بانفسهم) لان مكرهم يحيق بهم (وما يشعرون) أنه يحيق بهم أكابر مفعول أول والثاني في كل قرية ومجرميها بدل من أكابر أو الاول مجرميها والثاني أكابر والتقدير مجرميها أكابر ولما قال أبو جهل زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به الا أن يأتينا وحي كما يأتيه نزل (واذا جاءتهم) أي الاكابر (آية) معجزة أو آية من القرآن تأمرهم بالايمان (قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله) أي نعطى من الآيات مثل ما أعطى الانبياء فاعلم الله تعالى أنه أعلم بمن يصلح للنبوة فقال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) مكي وحفص رسالاته غيرهما حيث مفعول به والعامل محذوف والتقدير يعلم موضع رسالته (سيصيب الذين أجرموا) من أكابرها (صغار) ذل وهوان (عند الله) في القيامة (وعذاب شديد) في الدارين من القتل والاسر وعذاب النار (بما كانوا يمكرون) في الدنيا (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) يوسعه وينور قلبه قال عليه السلام اذا دخل النور في القلب انشرح وانفتح قيل وما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت (ومن يرد) أي الله (أن يضله يجعل صدره ضيقا) ضيقا مكي (حرجا) صفة لضيقا مدني وأبو بكر بالغا في الضيق حرجا غيرهما وصفا بالمصدر (كأنما يصعد في السماء) كأنه كلف أن يصعد الى السماء اذا دعي الى الاسلام من ضيق صدره عنه اذا ضاقت عليه الارض فطلب مصعدا في السماء أو كعازب الرأي طائر القلب في الهواء يصعد مكي يصاعد أبو بكر وأصله يتصاعد الباقون يصعد وأصله يتصعد (كذلك يجعل الله الرجس) العذاب في الآخرة واللعنة في الدنيا (على الذين لا يؤمنون) والآية حجة لنا على المعتزلة في ارادة المعاصي (وهذا صراط ربك) أي طريقه الذي اقتضته الحكمة وسنته في شرح صدر من أراد هدايته وجعله ضيقا لمن أراد ضلاله (مستقيما) عادلا مطردا أو هو حال مؤكدة (قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) يتعظون (لهم) أي لقوم يذكرون (دار السلام) دار الله يعني الجنة أضافها الى نفسه تعظيما لها أو دار السلامة من كل آفة وكدر أو السلام التحية سميت دار السلام لقوله تحيتهم فيها سلام الا قيلا سلاما سلاما (عند ربهم) في ضمانه (وهو وليهم) محبهم أو ناصرهم على أعدائهم (بما كانوا يعملون) باعمالهم أو متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون أو هو ولينا في الدنيا بتوفيق الاعمال وفي العقبى بتحقيق الآمال (ويوم نحشرهم جميعا) وبالياء حفص اي واذكر يوم نحشرهم أو ويوم نحشرهم قلنا (يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس) أضللتم منهم كثيرا وجعلتموهم

أتباعكم كما تقول استكثر الامير من الجنود (وقال أولياؤهم من الانس) الذين أطاعوهم واستمعوا الى وسوستهم (ربنا استمتع بعضنا ببعض) أى انتفع الانس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى أسباب التوصل اليها وانتفع الجن بالانس حيث أطاعوهم وساعدوهم على مرادهم فى اغوائهم (وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا) يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث وتحسر على حالهم (قال النار مثواكم) منزلكم (خالدين فيها) حال والعامل معنى الاضافة كقوله تعالى أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين فصبحين حال من هؤلاء والعامل فى الحال معنى الاضافة اذ معناه الممازجة والمضامة والمثوى ليس بعامل لان المكان لا يعمل في شئ (الا ما شاء الله) أى يخلدون فى عذاب النار الابد كله الا ما شاء الله الا الاوقات التى ينقلون فيها من عذاب السعير الى عذاب الزمهرير (ان ربك حكيم) فيما يفعل باوليائه وأعدائه (عليم) باعمالهم فيجزى كلا على وفق عمله (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا) نتبع بعضهم بعضا فى النار أو نسلط بعضهم على بعض أو نجعل بعضهم أولياء بعض (بما كانوا يكسبون) بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصى ثم يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم) عن الضحاك بعث الى الجن رسلا منهم كما بعث الى الانس رسلا منهم لانهم به آنس وعليه ظاهر النص وقال آخرون الرسل من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلين فى الخطاب صح ذلك وان كان من أحدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أو رسلهم رسل نبينا كقوله ولوا الى قومهم منذرين (يقصون عليكم آياتى) يقرؤن كتبى (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) يعنى يوم القيامة (قالوا شهدنا على أنفسنا) بوجوب الحجة علينا وتبليغ الرسل الينا (وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) بالرسل (ذلك) اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وهو خبر مبتدأ محذوف أى الامر ذلك (أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون) تعليل أى الامر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على أن أن مصدرية ويجوز أن تكون مخففة من الثقيلة والمعنى لان الشأن والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم بسبب ظلم أقدموا عليه أو ظالما على أنه لو أهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظالما وهو متعال عنه (ولكل) من المكلفين (درجات) منازل (مما عملوا) من جزاء أعمالهم وبه استدل أبو يوسف ومحمد رحمهما الله على أن للجن الثواب بالطاعة لانه ذكر عقيب ذكر الثقلين (وما ربك بغافل عما يعملون) بساه عنه وبالتاء شامى (وربك الغنى) عن عباده وعن عبادتهم (ذو الرحمة) عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة (ان يشأ يذهبكم) أيها الظلمة (ويستخلف من بعدكم ما يشاء) من الخلق المطيع (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام (ان ما) ما بمعنى الذى (توعدون) من البعث والحساب والثواب والعقاب (لآت) خبر ان أى لكائن (وما أنتم بمعجزين)

بفائتين رد لقولهم من مات فقد فات المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ التمكن و بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) يحتمل اعملوا على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وامكانكم واعملوا على جهتكم وحالكم التى أنتم عليها و يقال للرجل اذا أمر أن يثبت على حاله على مكانتك يافلان أى اثبت على ماأنت عليه (انى عامل) على مكانتى التى أنا عليها أى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لى فانى ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم وهو أمر تهديد ووعيد دليله قوله (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) أى فسوف تعلمون أينا تكون له العاقبة المحمودة وهذا طريق لطيف فى الانذار (انه لايفلح الظالمون) أى الكافرون مكاناتكم حيث كان أبو بكر يكون حمزة وعلى وموضع من رفع اذا كان بمعنى أى وعلق عنه فعل العلم أونصب اذا كان بمعنى الذى (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا) أى وللاصنام نصيبا فاكتفى بدلالة قوله تعالى (فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) بزعمهم على وكذا مابعده أى زعموا انه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة (فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله) أى لا يصل الى الوجوه التى كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين (وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) من انفاقهم عليها والاجراء على سدنتها روى انهم كانوا يعينون أشياء من حرث ونتاج لله وأشياء منهما لآلهتهم فاذا رأوا ما جعلوا لله زاكيا ناميا رجعوا فجعلوه للاصنام واذا زكا ما جعلوه للاصنام تركوه لها وقالوا ان الله غنى وانما ذاك لحبهم آلهتهم وايثارهم لها وفى قوله مما ذرأ اشارة الى ان الله كان أولى بان يجعل له الزاكى لانه هو الذى ذرأه ثم ذم صنيعهم بقوله (ساء مايحكمون) فى ايثار آلهتهم على الله وعملهم على مالم يشرع لهم وموضع ما رفع أى ساء الحكم حكمهم أونصب أى ساء حكما حكمهم (وكذلك زين لكثير من المشركين) أى كما زين لهم تجزئة المال زين وأد البنات (قتل) مفعول زين (أولادهم شركاؤهم) هو فاعل زين زين بالضم قتل بالرفع أولادهم بالنصب شركائهم بالجر شامى على اضافة القتل الى الشركاء أى الشياطين والفصل بينهما بغير الظرف وهو المفعول وتقديره زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم (ليردوهم) ليهلكوهم بالاغواء (وليلبسوا عليهم دينهم) وليخلطوا عليهم و يشوبوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل حتى زلوا عنه الى الشرك (ولو شاء الله مافعلوه) وفيه دليل على ان الكائنات كلها بمشيئة الله تعالى (فذرهم وما يفترون) ومايفترونه من الافك أو وافتراءهم لان ضرر ذلك الافتراء عليهم لاعليك ولا علينا (وقالوا هذه أنعام وحرث) للاوثان (حجر) حرام فعل بمعنى المفعول كالذبح والطحن و يستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وكانوا اذا عينوا أشياء من حرثهم وأنعامهم لآلهتهم قالوا (لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم) يعنون

خـدم الاوثان والرجال دون النساء والزعم قول بالظن يشوبه الكذب (وأنعام حرمت ظهورها) هي البحائر والسوائب والحوامي (وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها) حالة الذبح وانما يذكرون عليها أسماء الاصنام (افتراء عليه) هو مفعول له أو حال أي قسموا أنعامهم قسم حجر وقسم لا يركب وقسم لا يذكر اسم الله عليها ونسبوا ذلك الى الله افتراء عليه (سيجزيهم بما كانوا يفترون) وعيد (وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) كانوا يقولون في أجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا يأكل منه الاناث وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والاناث وأنث خالصة وهو خبر ما للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة وذكر ومحرم حملا على اللفظ أو التاء للمبالغة كنسابة (وان يكن ميتة) أي وان يكن ما في بطونها ميتة وان تكن ميتة أبو بكر أي وان تكن الاجنة ميتة وان تكن ميتة شامي على كان التامة يكن ميتة مكي لتقدم الفعل وتذكير الضمير في (فهم فيه شركاء) لان الميتة اسم لكل ميت ذكرا أو أنثى فكأنه قيل وان يكن ميت فهم فيه شركاء (سيجزيهم وصفهم) جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم (انه حكيم) في جزائهم (عليم) باعتقادهم (قد خسر الذين قتلوا أولادهم) كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر قتلوا مكي وشامي (سفها بغير علم) لخفة أحلامهم وجهلهم بان الله هو رازق اولادهم لاهم (وحرموا ما رزقهم الله) من البحائر والسوائب وغيرها (افتراء على الله) مفعول له (قد ضلوا وما كانوا مهتدين) الى الصواب (وهو الذي أنشأ) خلق (جنات) من الكروم (معروشات) مسموكات مرفوعات (وغير معروشات) متروكات على وجه الارض لم تعرش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان (والنخل والزرع مختلفا) في اللون والطعم والحجم والرائحة وهو حال مقدرة لان النخل وقت خروجه لا أكل فيه حتى يكون مختلفا وهو كقوله فادخلوها خالدين (اكله) أكله حجازي وهو ثمره الذي يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لانه معطوف عليه أو لكل واحد (والزيتون والرمان متشابها) في اللون (وغير متشابه) في الطعم (كلوا من ثمره) من ثمر كل واحد وفائدة (اذا أثمر) أن يعلم أن أول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر ولا يتوهم انه لا يباح الا اذا أدرك (وآتوا حقه) عشره وهو حجة أبي حنيفة رحمه الله في تعميم العشر (يوم حصاده) بصري وشامي وعاصم وبكسر الحاء غيرهم وهما لغتان (ولا تسرفوا) باعطاء الكل وتضييع العيال وقوله كلوا الى (انه لا يحب المسرفين) اعتراض (ومن الانعام حمولة وفرشا) عطف على جنات أي وأنشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح أو الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها (كلوا مما رزقكم الله) أي ما أحل الله لكم منها ولا تحرموها كما في الجاهلية (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) طرقه في التحليل والتحريم كفعل أهل الجاهلية (انه لكم عدو مبين) فاتهموه على دينكم (ثمانية أزواج) بدل من حمولة وفرشا (من الضأن اثنين)

ومن المعز اثنين) زوجين اثنين يريد الذكر والانثى والواحد اذا كان وحده فهو فرد واذا كان معه غيره من جنسه سمى كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والانثى ويدل عليه قوله ثمانية أزواج ثم فسرها بقوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وفتح عين المعز مكى وشامى وأبو عمرو وهما لغتان والهمزة فى (قل آلذكرين حرم أم الانثيين أم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين) للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضأن والذكر من المعز وبالانثيين الانثى من الضأن والانثى من المعز والمعنى انكار أن يحرم الله من جنسى الغنم ضأنها ومعزها شيأ من نوعى ذكورها واناثها ولا مما تحمل الاناث وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها طورا وأولادها كيفما كانت ذكورا أواناثا أو مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فانكر ذلك عليهم وانتصب آلذكرين بحرم وكذا أم الانثيين أى أم حرم الانثيين وكذا ما فى أم ما اشتملت (نبئونى بعلم) أخبرونى بأمر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم (ان كنتم صادقين) فى أن الله حرمه (ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين) منهما (حرم أم الانثيين) منهما (أم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين) أم ما تحمل أناثها (أم كنتم شهداء) أى منقطعة أى بل كنتم شهداء (اذ وصاكم الله بهذا) يعنى أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم ولما كانوا لا يؤمنون برسول الله وهم يقولون الله حرم هذا الذى نحرمه تهكم بهم فى قوله أم كنتم شهداء على معنى أعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) فنسب اليه تحريم ما لم يحرم (ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدى القوم الظالمين) أى الذين فى علمه انهم يختمون على الكفر ووقع الفاصل بين بعض المعدود وبعضه اعتراضا غير أجنبى من المعدود وذلك أن الله تعالى من على عباده بانشاء الانعام لمنافعهم وباباحتها لهم فالاعتراض بالاحتجاج على من حرمها يكون تأكيدا للتحليل والاعتراضات فى الكلام لاتساق الا للتوكيد (قل لا أجد فيما أوحى الى) أى فى ذلك الوقت أو فى وحى القرآن لان وحى السنة قد حرم غيره أو من الانعام لان الآية فى رد البحيرة وأخواتها وأما الموقوذة والمتردية والنطيحة فمن الميتة وفيه تنبيه على ان التحريم انما يثبت بوحى الله وشرعه لا بهوى الانفس (محرما) حيوانا حرم أكله (على طاعم يطعمه) على آكل يأكله (الا أن يكون ميتة) الا أن يكون الشىء المحرم ميتة أن تكون مكى وشامى وحمزة ميتة شامى (أو دما مسفوحا) مصبوبا سائلا فلا يحرم الدم الذى فى اللحم والكبد والطحال (أو لحم خنزير فانه رجس) نجس (أو فسقا) عطف على المنصوب قبله وقوله فانه رجس اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه (أهل لغير الله به) منصوب المحل صفة لفسقا أى رفع الصوت على ذبحه باسم غير الله وسمى بالفسق لتوغله فى باب الفسق (فمن اضطر) فمن دعته الضرورة الى أكل شىء من هذه المحرمات (غير باغ) على مضطر مثله تارك لمواساته (ولا عاد) متجاوز قدر حاجته من تناوله (فان ربك غفور

رحيم) لا يؤاخذه (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر) أى ماله أصبع من دابة أو طائر ويدخل فيه الابل والنعام (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) أى حرمنا عليهم لحم كل ذى ظفر وشحمه وكل شئ منه ولم يحرم من البقر والغنم الا الشحوم وهى الثروب وشحوم الكلى (الا ماحملت ظهورهما) الا مااشتمل على الظهور والجنوب من السحفة (أو الحوايا) أو مااشتمل على الامعاء واحدها حاوياء أو حوية (أو مااختلط بعظم) وهو الالية أو المخ (ذلك) مفعول ثان لقوله (جزيناهم) والتقدير جزيناهم ذلك (ببغيهم) بسبب ظلمهم (وانا لصادقون) فيما أخبرنا به وكيف نشكر من سبب معصيتهم لتحريم الحلال ومعصية سالف التحليل الحرام حيث قال وعفا عنكم فالآن باشروهن (فان كذبوك) فيما أوحيت اليك من هذا (فقل ربكم ذو رحمة واسعة) بامهال المكذبين ولا يعاجلهم بالعقوبة (ولا يرد بأسه) عذابه مع سعة رحمته (عن القوم المجرمين) اذا جاء فلا تغتر بسعة رحمته عن خوف نقمته (سيقول الذين أشركوا) اخبار بما سوف يقولونه (لو شاء الله) ان لا نشرك (ماأشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ) ولكن شاء فهذا عذرنا يعنون ان شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما أحل الله لهم بمشيئته ولولا مشيئته لم يكن شئ من ذلك (كذلك كذب الذين من قبلهم) أى كتكذيبهم اياك كان تكذيب المتقدمين رسلهم وتشبثوا بمثل هذا فلم ينفعهم ذلك اذ لم يقولوه عن اعتقاد بل قالوا ذلك استهزاء ولانهم جعلوا مشيئته حجة لهم على انهم معذورون به وهذا مردود لا الاقرار بالمشيئة او معنى المشيئة هنا الرضا كما قال الحسن أى رضى الله منا ومن آبائنا الشرك والشرك مراد لكنه غير مرضى ألا ترى أنه قال فلو شاء لهداكم أجمعين أخبر أنه لو شاء منهم الهدى لآمن كلهم ولكن لم يشأ من الكل الايمان بل شاء من البعض الايمان ومن البعض الكفر فيجب حمل المشيئة هنا على ماذكرنا دفعا للتناقض (حتى ذاقوا بأسنا) حتى أنزلنا عليهم العذاب (قل هل عندكم من علم) من أمر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم (فتخرجوه لنا) فتظهروه (ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون) تكذبون (قل فلله الحجة البالغة) عليكم بأوامره ونواهيه ولا حجة لكم على الله بمشيئته (فلو شاء لهداكم أجمعين) أى فلو شاء هدايتكم وبه تبطل صولة المعتزلة (قل هلم شهداءكم) هاتوا شهداءكم وقربوهم ويستوى في هذه الكلمة الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع (الذين يشهدون أن الله حرم هذا) أى زعموه محرما (فان شهدوا فلا تشهد معهم) فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لانه اذا سلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم فكان واحدا منهم (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان من كذب بآيات الله فهو متبع للهوى اذ لو تبع الدليل لم يكن الا مصدقا بالآيات موحدا لله (والذين لا يؤمنون بالآخرة) هم المشركون (وهم بربهم يعدلون) يسوون الاصنام (قل) للذين حرموا الحرث والانعام (تعالوا) هو من الخاص الذى صار عاما

وأصله أن يقوله من كان فى مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر حتى عم (أتل ما حرم ربكم) الذى حرمه ربكم (عليكم) من صلة حرم (أن لا تشركوا به شيأ) أن مفسرة لفعل التلاوة ولا للنهى (وبالوالدين احسانا) واحسنوا بالوالدين احسانا ولما كان ايجاب الاحسان تحريما لترك الاحسان ذكر فى المحرمات وكذا حكم ما بعده من الاوامر (ولا تقتلوا أولادكم من املاق) من أجل فقر ومن خشيته لقوله خشية املاق (نحن نرزقكم واياهم) لان رزق العبيد على مولاهم (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها) ما بينك وبين الخلق (وما بطن) ما بينك وبين الله ما ظهر بدل من الفواحش (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) كالقصاص والقتل على الردة والرجم (ذلكم وصاكم به) أى المذكور مفصلا أمركم ربكم بحفظه (لعلكم تعقلون) لتعقلوا عظمها عند الله (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن) الا بالخصلة التى هى أحسن وهى حفظه وتثميره (حتى يبلغ أشده) أشده مبلغ حلمه فادفعوه اليه وواحده شد كفلس وأفلس (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) بالسوية والعدل (لا نكلف نفسا الا وسعها) الا ما يسعها ولا تعجز عنه وانما اتبع الامر بايفاء الكيل والميزان ذلك لان مراعاة الحد من القسط الذى لا زيادة فيه ولا نقصان مما فيه حرج فأمر ببلوغ الوسع وان ما وراءه معفو عنه (واذا قلتم فاعدلوا) فأصدقوا (ولو كان ذا قربى) ولو كان المقول له أو عليه فى شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل كقوله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين (وبعهد الله) يوم الميثاق أو فى الامر والنهى والوعد والوعيد والنذر واليمين (أوفوا ذلكم) أى ما مر (وصاكم به لعلكم تذكرون) بالتخفيف حيث كان حمزة وعلى وحفص على حذف احدى التاءين غيرهم بالتشديد أصله تتذكرون فأدغم التاء الثانية فى الذال أى أمركم به لتتعظوا (وأن هذا صراطى) ولان هذا صراطى فهو علة للاتباع بتقدير اللام وان بالتخفيف شامى وأصله وانه على ان الهاء ضمير الشان والحديث وان على الابتداء حمزة وعلى (مستقيما) حال (فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) الطرق المختلفة فى الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات (فتفرق بكم عن سبيله) فتفرقكم أيادى سبا عن صراط الله المستقيم وهو دين الاسلام روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطا مستويا ثم قال هذا سبيل الرشد وصراط الله فاتبعوه ثم خط على كل جانب ستة خطوط ممالة ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه فاجتنبوها وتلا هذه الآية ثم يصير كل واحد من الاثنى عشر طريقا ستة طرق فتكون اثنين وسبعين وعن ابن عباس رضى الله عنهما هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شئ من جميع الكتب وعن كعب ان هذه الآيات لاول شئ فى التوراة (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) لتكونوا على رجاء اصابة التقوى ذكر أولا تعقلون ثم تذكرون ثم تتقون لانهم

اذا عقلوا وتفكروا وثم تذكروا أى اتعظوا فاتقوا المحارم (ثم آتينا موسى الكتاب تماما) أى ثم أخبركم انا آتينا أو هو عطف على قل أى ثم قل آتينا أو ثم مع الجملة تأتى بمعنى الواو كقوله ثم الله شهيد (على الذى أحسن) على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين دليله قراءة عبد الله على الذين أحسنوا أو أراد به موسى عليه السلام أى تتمة للكرامة على العبد الذى أحسن الطاعة فى التبليغ فى كل ما أمر به (وتفصيلا لكل شىء) وبيانا مفصلا لكل ما يحتاجون اليه فى دينهم (وهدى ورحمة لعلهم) أى بنى اسرائيل (بلقاء ربهم يؤمنون) يصدقون أى بالبعث والحساب وبالرؤية (وهذا) أى القرآن (كتاب أنزلناه مبارك) كثير الخير (فاتبعوه واتقوا) مخالفته (لعلكم ترحمون) لترحموا (أن تقولوا) كراهة أن تقولوا اولئلا تقولوا (انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) أى أهل التوراة وأهل الانجيل وهذا دليل على ان المجوس ليسوا باهل كتاب (وان كنا عن دراستهم) عن تلاوة كتبهم (لغافلين) لا علم لنا بشىء من ذلك ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا عن دراستهم غافلين على أن الهاء ضمير الشأن والخطاب لاهل مكة والمراد اثبات الحجة عليهم بانزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم كيلا يقولوا يوم القيامة ان التوراة والانجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا وكنا غافلين عما فيهما (أو تقولوا) كراهة ان تقولوا (لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم) لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا وغزارة حفظنا لايام العرب (فقد جاءكم بينة من ربكم) أى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من أنفسكم فقد جاءكم ما فيه البيان الساطع والبرهان القاطع فحذف الشرط وهو من أحاسن الحذوف (وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله) بعد ما عرف صحتها وصدقها (وصدف عنها) أى أعرض (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) وهو النهاية فى النكاية (بما كانوا يصدفون) باعراضهم (هل ينظرون) أى أقمنا حجج الوحدانية وثبوت الرسالة وأبطلنا ما يعتقدون من الضلالة فما ينتظرون فى ترك الايمان بعدها (الا أن تأتيهم الملائكة) أى ملائكة الموت لقبض أرواحهم يأتيهم حمزة وعلى (أو يأتى ربك) أى أمر ربك وهو العذاب أو القيامة وهذا لان الاتيان متشابه واتيان أمره منصوص عليه محكم فيرد اليه (أو يأتى بعض آيات ربك) أى اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك (يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها) لانه ليس بايمان اختيارى بل هو ايمان دفع العذاب والبأس عن أنفسهم (لم تكن آمنت من قبل) صفة نفسا (أو كسبت فى ايمانها خيرا) أى اخلاصا كما لا يقبل ايمان الكافر بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل اخلاص المنافق أيضا أو توبته وتقديره لا ينفع ايمان من لم يؤمن ولا توبة من لم يتب قبل (قل انتظروا) احدى الآيات الثلاث (انا منتظرون) بكم احداها (ان الذين فرقوا دينهم) اختلفوا فيه وصاروا فرقا كما اختلفت اليهود والنصارى وفى الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وهى الناجية وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة

كلها فى الهاوية الا واحدة وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وهى السوادالاعظم وفى رواية وهى ماأناعليه وأصحابى وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض فارقوا دينهم حمزة وعلى اى تركوا (وكانوا شيعا) فرقا كل فرقة تشيع اماما لها (لست منهم فى شئ) أى من السؤال عنهم وعن تفرقهم أومن عقابهم (انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) فيجازيهم على ذلك (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) تقديره عشر حسنات أمثالها الا أنه أقيم صفة الجنس المميزمقام الموصوف (ومن جاء بالسيئة فلايجزى الا مثلها وهم لا يظلمون) بنقص الثواب وزيادة العقاب (قل انى هدانى ربى) ربى أبوعمرو ومدنى (الى صراط مستقيم دينا) نصب على البدل من محل الى صراط مستقيم لان معناه هدانى صراطا بدليل قوله و يهديكم صراطا مستقيما (قيما) فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من القائم قيما كوفى وشامى وهومصدر بمعنى القيام وصف به (ملة ابراهيم) عطف بيان (حنيفا) حال من ابراهيم (وما كان من المشركين) بالله يامعشر قريش (قل ان صلاتى ونسكى) أى عبادتى والناسك العابد أوذبحى أوحجى (ومحياى ومماتى) وما آتيه فى حياتى وأموت عليه من الايمان والعمل الصالح (لله رب العالمين) خالصة لوجهه محياى ومماتى بسكون الياء الاول وفتح الثانى مدنى و بعكسه غيره (لا شريك له) فى شئ من ذلك (و بذلك) الاخلاص (أمرت وأنا اول المسلمين) لان اسلام كل نبى متقدم على اسلام امته (قل أغير الله أبغى ربا) جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم والهمزة للانكار اى منكر أن أطلب ربا غيره وتقديم المفعول للاشعار بانه أهم (وهورب كل شئ) وكل من دونه مربوب ليس فى الوجود من له الربوبية غيره (ولا تكسب كل نفس الا عليها) جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم (ولا تزروازرة وزرأخرى) أى لا تؤخذ نفس آثمة بذنب نفس أخرى (ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) من الاديان التى فرقتموها (وهوالذى جعلكم خلائف الارض) لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فأمته قد خلفت سائر الامم أولان بعضهم يخلف بعضا أوهم خلفاء الله فى أرضه يملكونها و يتصرفون فيها (ورفع بعضكم فوق بعض) فى الشرف والرزق وغيرذلك (درجات) مفعول ثان اوالتقدير الى درجات أوهى واقعة موقع المصدر كأنه قيل رفعة بعد رفعة (ليبلوكم فيما آتاكم) فيما أعطاكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والغنى بالفقير والمالك بالمملوك (ان ربك سريع العقاب) لمن كفر (وانه لغفور رحيم) لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ماهوآت قريب وماأمر الساعة الا كلمح البصر أوهوأقرب عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأثلاث آيات من أول الانعام حين يصبح وكل الله تعالى به سبعين ألف ملك يحفظونه وكتب له مثل أعمالهم الى يوم القيامة

﴿سورة الاعراف مكية وهي مائتان وخمس آيات بصري وست كوفي ومدني﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(المص) قال الزجاج المختار في تفسيره ماقال ابن عباس رضي الله عنهما أنا الله أعلم وأفصل (كتاب) خبر مبتدا محذوف أي هو كتاب (أنزل اليك) صفته والمراد بالكتاب السورة (فلا يكن في صدرك حرج منه) شك فيه وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه أي لا شك في أنه منزل من الله أو حرج منه بتبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه وأذاهم فكان يضيق صدره من الاذى ولا ينشط له فأمنه الله ونهاه عن المبالاة بهم والنهي متوجه الى الحرج وفيه من المبالغة مافيه والفاء للعطف أي هذا الكتاب أنزلته اليك فلا يكن بعد انزاله حرج في صدرك واللام في (لتنذر به) متعلق بانزل أي أنزل اليك لانذارك به أو بالنهي لانه اذا لم يخفهم أنذرهم وكذا اذا أيقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار به لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه (وذكرى للمؤمنين) في محل النصب باضمار فعلها أي لتنذر به وتذكر تذكيرا فالذكرى اسم بمعنى التذكير أو الرفع بالعطف على كتاب أي هو كتاب وذكرى للمؤمنين أو بانه خبر مبتدا محذوف أو الجر بالعطف على محل لتنذر أي للانذار وللذكرى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) أي القرآن والسنة (ولا تتبعوا من دونه) من دون الله (أولياء) أي ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والهواء والبدع (قليلا ما تذكرون) حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقليلا نصب بتذكرون أي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة تتذكرون شامي (وكم) مبتدأ (من قرية) تبيين والخبر (أهلكناها) أي أردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلاة (فجاءها) جاء أهلها (بأسنا) عذابنا (بياتا) مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا (أوهم قائلون) حال معطوفة على بياتا كأنه قيل فجاءهم باسنا بائتين أو قائلين وانما قيل هم قائلون بلا واو ولا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو لانه لما عطف على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي عطف لان واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل وخص هذان الوقتان لانهما وقتا الغفلة فيكون نزول العذاب فيهما أشد وأفظع وقوم لوط عليه السلام أهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب عليه السلام وقت القيلولة وقيل بياتا ليلا أي ليلا وهم نائمون أو نهارا وهم قائلون (فما كان دعواهم) دعاؤهم وتضرعهم (اذ جاءهم بأسنا) لما جاءهم أوائل العذاب (الا أن قالوا انا كنا ظالمين) اعترفوا بالظلم على أنفسهم والشرك حين لم ينفعهم ذلك ودعواهم اسم كان وأن قالوا الخبر ويجوز العكس (فلنسئلن الذين أرسل اليهم) أرسل مسند الى اليهم أي فلنسألن المرسل اليهم وهم الامم عما أجابوا به رسلهم (ولنسئلن المرسلين) عما أجيبوا به (فلنقصن عليهم) على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم (بعلم) عالمين

باحوالهم

باحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم (وما كنا غائبين) عنهم وعما وجد منهم ومعنى السؤال التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا بالسنتهم وشهد عليهم أنبياؤهم (والوزن) أى وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وهو مبتدأ وخبره (يومئذ) أى يوم يسأل الله الامم ورسلهم فحذفت الجملة وعوض عنها التنوين (الحق) أى العدل صفته ثم قيل توزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان اظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة وقيل هو عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل والله أعلم بكيفيته (فمن ثقلت موازينه) جمع ميزان أو موزون أى فمن رجحت أعماله الموزونة التى لها وزن وقدر وهى الحسنات أو ما توزن به حسناتهم (فاولئك هم المفلحون) الفائزون (ومن خفت موازينه) هم الكفار فانه لا ايمان لهم ليعتبر معه عمل فلا يكون فى ميزانهم خير فتخف موازينهم (فاولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) يجحدون فالآيات الحجج والظلم بها وضعها فى غير موضعها أى جحودها وترك الانقياد لها (ولقد مكناكم فى الارض) جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا أو مكناكم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معايش) جمع معيشة وهى ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرهما والوجه تصريح الياء لانها أصلية بخلاف صحائف فالياء فيها زائدة وعن نافع انه همز تشبيها بصحائف (قليلا ما تشكرون) مثل قليلا ما تذكرون (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) أى خلقنا أباكم آدم عليه السلام طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك دليله (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين) ممن سجد لآدم عليه السلام (قال ما منعك أن لا تسجد) ما رفع أى أى شىء منعك من السجود ولا زائدة بدليل ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ومثلها لئلا يعلم أهل الكتاب أى ليعلم (اذ أمرتك) فيه دليل على أن الامر للوجوب والسؤال عن المانع من السجود مع علمه به للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره باصله وتحقيره أصل آدم عليه السلام (قال أنا خير منه خلقتنى من نار) وهى جوهر نورانى (وخلقته من طين) وهو ظلمانى وقد أخطأ الخبيث بل الطين أفضل لرزانته ووقاره ومنه الحلم والحياء والصبر وذلك دعاه الى التوبة والاستغفار وفى النار الطيش والحدة والترفع وذلك دعاه الى الاستكبار والتراب عدة الممالك والنار عدة المهالك والنار مظنة الخيانة والافناء والتراب مئنة الامانة والانماء والطين يطفئ النار ويتلفها والنار لا تتلفه وهذه فضائل غفل عنها ابليس حتى زل بفاسد من المقاييس وقول نافى القياس أول من قاس ابليس قياس على أن القياس عند مثبته مردود عند وجود النص وقياس ابليس عناد للامر المنصوص فكان الجواب لما منعك أن يقول منعنى كذا وانما قال أنا خير منه لانه لما استأنف قصة وأخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم عليه السلام وبعلة فضله عليه فعلم منها الجواب كانه قال منعنى من السجود فضلى عليه وزيادة عليه وهى انكار الامر واستبعاد أن يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله اذ سجود الفاضل للمفضول خارج عن الصواب (قال فاهبط منها) من الجنة أو من السماء لانه كان فيها وهى مكان المطيعين

والمتواضعين والفاء في فاهبط جواب لقوله أنا خير منه أي ان كنت تتكبر فاهبط (فما يكون لك) فما يصح لك (أن تتكبر فيها) وتعصى (فاخرج انك من الصاغرين) من أهل الصغار والهوان على الله وعلى أوليائه يذمك كل انسان ويلعنك كل لسان لتكبرك وبه علم أن الصغار لازم للاستكبار (قال أنظرني الى يوم يبعثون) أمهلني الى يوم البعث وهو وقت النفخة الاخيرة (قال انك من المنظرين) الى النفخة الاولى وانما أجيب الى ذلك لما فيه من الابتلاء وفيه تقريب لقلوب الاحباب أي هذا برى بمن يسيئني فكيف بمن يحبني وانما جسره على السؤال مع وجود الزلل منه في الحال علمه بحلم ذي الجلال (قال فبما أغويتني) أضللتني أي فبسبب اغوائك اياي والباء تتعلق بفعل القسم المحذوف تقديره فبسبب اغوائك أقسم أو تكون الباء للقسم أي فاقسم باغوائك (لاقعدن لهم صراطك المستقيم) لاعترضن لهم على طريق الاسلام مترصدا للرد متعرضا للصد كما يتعرض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقولك ضرب زيد الظهر أي على الظهر وعن طاوس انه كان في المسجد الحرام فجاء رجل قدري فقال له طاوس تقوم أو تقام فقام الرجل فقيل له أتقول هذا الرجل فقيه فقال ابليس أفقه منه قال رب بما أغويتني وهو يقول أنا أغوي نفسي (ثم لآتينهم من بين أيديهم) أشككهم في الآخرة (ومن خلفهم) أرغبهم في الدنيا (وعن أيمانهم) من قبل الحسنات (وعن شمائلهم) من قبل السيئات وهو جمع شمال يعني ثم لآتينهم من الجهات الاربع التي يأتي منها العدو في الاغلب وعن شقيق ما من صباح الا قعد لي الشيطان على أربعة مراصد من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ومن خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرأ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وعن يميني فيأتيني من قبل الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين وعن شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولم يقل من فوقهم ومن تحتهم لمكان الرحمة والسجدة وقال في الاولين من لابتداء الغاية وفي الاخيرين عن لان عن تدل على الانحراف (ولا تجد أكثرهم شاكرين) مؤمنين قاله ظنا فاصاب لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه أو سمعه من الملائكة باخبار الله تعالى اياهم (قال اخرج منها) من الجنة أو من السماء (مذؤما) معيبا من ذأمه اذا ذمه والذأم والذم العيب (مدحورا) مطرودا مبعدا من رحمة الله واللام في (لمن تبعك منهم) موطئة للقسم وجوابه (لاملأن جهنم) وهو ساد مسد جواب الشرط (منكم) منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب (أجمعين ويا آدم) وقلنا يا آدم بعد اخراج ابليس من الجنة (اسكن أنت وزوجك الجنة) اتخذاها مسكنا (فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا) فتصيرا (من الظالمين فوسوس لهما الشيطان) وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره وهو غير متعد ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذي يلقي اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه ألقاها اليه (ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما) ليكشف لهما

ماستر عنهما من عوراتهما وفيه دليل على أن كشف العورة من عظائم الامور وأنه لم يزل مستقبحا في الطباع والعقول فان قلت ما للواو المضمومة في ووري لم تقلب همزة كما في أويصل تصغير واصل وأصله وويصل فقلبت الواو همزة كراهة لاجتماع الواوين قلت لان الثانية مدة كالف وارى فكما لم يجب همزها في واعد لم يجب في ووري وهذا لان الواوين اذا تحركتا ظهر فيهما من الثقل ما لا يكون فيهما اذا كانت الثانية ساكنة وهذا مدرك بالضرورة فالتزموا ابدالها في موضع الثقل لا في غيره وقرأ عبد الله أوري بالقلب (وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين) الا كراهة أن تكونا ملكين تعلمان الخير والشر وتستغنيان عن الغذاء وقرئ ملكين لقوله وملك لا يبلى (أو تكونا من الخالدين) من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين (وقاسمهما) واقسم لهما (اني لكما لمن الناصحين) وأخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه لما كان منه القسم ومنهما التصديق فكانها من اثنين (فدلاهما) فنزلهما الى الاكل من الشجرة (بغرور) بما غرهما به من القسم بالله وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر رضي الله عنهما من خدعنا بالله انخدعنا له (فلما ذاقا الشجرة) وجدا طعمها آخذين في الاكل منها وهي السنبلة أو الكرم (بدت لهما سوآتهما) ظهرت لهما عوراتهما لتهافت اللباس عنهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وقيل كان لباسهما من جنس الاظفار أي كالظفر بياضا في غاية اللطف واللين فبقي عند الاظفار تذكيرا للنعم وتجديدا للندم (وطفقا) وجعلا يقال طفق يفعل كذا أي جعل (يخصفان عليهما من ورق الجنة) يجعلان على عورتهما من ورق التين أو الموز ورقة فوق ورقة ليستترا بها كما تخصف النعل (وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة) هذا عتاب من الله وتنبيه على الخطا وروي أنه قال لآدم عليه السلام ألم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى ولكن ما ظننت ان أحدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا بكد يمين وعرق جبين فاهبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وطحن وخبز (وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) فيه دليل لنا على المعتزلة لان الصغائر عندهم مغفورة (قال اهبطوا) الخطاب لآدم وحواء بلفظ الجمع لان ابليس هبط من قبل ويحتمل انه هبط الى السماء ثم هبطوا جميعا الى الارض (بعضكم لبعض عدو) في موضع الحال أي متعادين يعاديهما ابليس ويعاديانه (ولكم في الارض مستقر) استقرار أو موضع استقرار (ومتاع) وانتفاع بعيش (الى حين) الى انقضاء آجالكم وعن ثابت البناني لما أهبط آدم عليه السلام وحضرته الوفاة وأحاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي ملائكة ربي فانما أصابني ما أصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له قبرا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده (قال فيها

تحيون) في الارض (وفيها تموتون ومنها تخرجون) للثواب والعقاب تخرجون حمزة وعلى (يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا) جعل ما في الارض منزلا من السماء لان أصله من الماء وهو منها (يوارى سوآتكم) يستر عوراتكم (وريشا) لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته أي أنزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سوآتكم ولباسا يزينكم (ولباس التقوى) ولباس الورع الذي يقي العقاب وهو مبتدأ وخبره الجملة وهي (ذلك خير) كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان أسماء الاشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع الى عود الذكر أو ذلك صفة المبتدا وخير خبر المبتدا كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير أو لباس التقوى خبر مبتدا محذوف أي وهو لباس التقوى أي ستر العورة لباس المتقين ثم قال ذلك خير وقيل ولباس أهل التقوى من الصوف والخشن ولباس التقوى مدني وشامي وعلى عطفا على لباسا أي وأنزلنا عليكم لباس التقوى (ذلك من آيات الله) الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني انزال اللباس (لعلهم يذكرون) فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليها اظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العرى من الفضيحة واشعارا بان التستر من التقوى (يابني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة) لا يخدعنكم ولا يضلنكم بان لا تدخلوا الجنة كما فتن أبويكم بان أخرجهما منها (ينزع عنهما لباسهما) حال أي أخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا في ان نزع عنهما والنهي في الظاهر للشيطان وفي المعنى لبني آدم أي لا تتبعوا الشيطان فيفتنكم (ليريهما سوآتهما) عوراتهما (انه) الضمير للشأن والحديث (يراكم هو) تعليل للنهي وتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم من حيث لا تشعرون (وقبيله) وذريته أو وجنوده من الشياطين وهو عطف على الضمير في يراكم المؤكد بهو ولم يعطف عليه لان معمول الفعل هو المستكن دون هذا البارز وانما يعطف على ما هو معمول الفعل (من حيث لا ترونهم) قال ذو النون ان كان هو يراك من حيث لا تراه فاستعن بمن يراه من حيث لا يراه وهو الله الكريم الستار الرحيم الغفار (انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) فيه دلالة خلق الافعال (واذا فعلوا فاحشة) ما يبالغ في قبحه من الذنوب وهو طوافهم بالبيت عراة وشركهم (قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) أي اذا فعلوها اعتذروا بان آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبان الله أمرهم بان يفعلوها حيث أقرنا عليها اذ لو كرهها لنقلنا عنها وهما باطلان لان أحدهما تقليد للجهال والثاني افتراء على ذي الجلال (قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) اذ المأمور به لا بد أن يكون حسنا وان كان فيه على مراتب على ما عرف في أصول الفقه (أتقولون على الله ما لا تعلمون) استفهام انكار وتوبيخ (قل أمر ربي بالقسط) بالعدل وبما هو حسن عند كل عاقل فكيف يأمر بالفحشاء (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) وقل أقيموا وجوهكم أي اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها في كل وقت سجود أو في كل مكان سجود (وادعوه) واعبدوه (مخلصين له الدين) أي الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا (كما بدأكم تعودون) كما

أنشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى انه يعيدكم فيجازيكم على أعمالكم فاخلصوا له العبادة (فريقا هدى) وهم المسلمون (وفريقا) أى أضل فريقا (حق عليهم الضلالة) وهم الكافرون (انهم) ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة (اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) أى أنصارا (ويحسبون أنهم مهتدون) والآية حجة لنا على أهل الاعتزال في الهداية والاضلال (يابني آدم خذوا زينتكم) لباس زينتكم (عند كل مسجد) كلما صليتم وقيل الزينة المشط والطيب والسنة ان يأخذ الرجل أحسن هيأته للصلاة لان الصلاة مناجاة الرب فيستحب لها التزين والتعطر كما يجب التستر والتطهر (وكلوا) من اللحم والدسم (واشربوا ولا تسرفوا) بالشروع في الحرام أو في مجاوزة الشبع (انه لا يحب المسرفين) وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت واشرب ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وكان للرشيد طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شئ والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له علي قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه وهو قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولم يرو عن رسولكم شئ في الطب فقال قد جمع رسولنا الطب في ألفاظ يسيرة وهي قوله عليه السلام المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا ثم استفهم انكارا على محرم الحلال بقوله (قل من حرم زينة الله) من الثياب وكل ما يتجمل به (التي أخرج لعباده) أى أصلها يعني القطن من الارض والقز من الدود (والطيبات من الرزق) والمستلذات من المآكل والمشارب وقيل كانوا اذا أحرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها (قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا) غير خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها (خالصة يوم القيامة) لا يشركهم فيها أحد ولم يقل للذين آمنوا ولغيرهم لينبه على انها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصالة والكفار تبع لهم خالصة بالرفع نافع فهي مبتدأ خبره للذين آمنوا وفي الحياة الدنيا ظرف للخبر أو خالصة خبر ثان أو خبر مبتدأ محذوف أى هي خالصة وغيره نصبها على الحال من الضمير الذي في الظرف الذي هو الخبر أى هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا في حال خلوصها يوم القيامة (كذلك نفصل الآيات) نميز الحلال من الحرام (لقوم يعلمون) أنه لا شريك له (قل انما حرم ربي الفواحش) ربي حمزة الفواحش ما تفاحش قبحه أى تزايد (ما ظهر منها وما بطن) سرها وعلانيتها (والاثم) أى شرب الخمر أو كل ذنب (والبغي) والظلم والكبر (بغير الحق) متعلق بالبغي ومحل (وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) حجة النصب كأنه قال حرم الفواحش وحرم الشرك ينزل بالتخفيف مكي وبصري وفيه تهكم اذ لا يجوز أن ينزل برهانا على أن يشرك به غيره (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) وأن تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره (ولكل أمة أجل) وقت معين يأتيهم فيه عذاب الاستئصال ان لم يؤمنوا وهو وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل في اجل معلوم عند الله كما نزل

بالامم (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) قيد بساعة لانها أقل ما يستعمل فى الامهال (يابنى آدم إما يأتينكم) هى ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط لان ما للشرط ولذا لزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة (رسل منكم يقصون عليكم آياتى) يقرؤن عليكم كتبى وهو فى موضع رفع صفة لرسل وجواب الشرط (فن اتقى) الشرك (وأصلح) العمل منكم (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أصلا فلا خوف يعقوب (والذين كذبوا) منكم (بآياتنا واستكبروا عنها) تعظموا عن الايمان بها (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون فمن أظلم) فمن أشنع ظلما (ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته) ممن تقول على الله مالم يقله أو كذب ما قاله (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) ما كتب لهم من الارزاق والاعمار (حتى اذا جاءتهم رسلنا) ملك الموت وأعوانه وحتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له وهى حتى التى يبتدأ بعدها الكلام والكلام هنا الجملة الشرطية وهى اذا جاءتهم رسلنا (يتوفونهم) يقبضون أرواحهم وهو حال من الرسل أى متوفيهم وما فى (قالوا أينما كنتم تدعون) فى خط المصحف موصولة باين وحقها أن تكتب مفصولة لانها موصولة والمعنى أين الآلهة الذين تعبدون (من دون الله) ليذبوا عنكم (قالوا ضلوا عنا) غابوا عنا فلا نراهم (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) اعترفوا بكفرهم بلفظ الشهادة التى هى لتحقيق الخبر (قال ادخلوا) أى يقول الله تعالى يوم القيامة لهؤلاء الكفار ادخلوا (فى أمم) فى موضع الحال أى كائنين فى جملة أمم مصاحبين لهم (قد خلت) مضت (من قبلكم من الجن والانس) من كفار الجن والانس (فى النار) متعلق بادخلوا (كلما دخلت أمة) النار (لعنت أختها) شكلها فى الدين أى التى ضلت بالاقتداء بها (حتى اذا اداركوا فيها) أصله تداركوا أى تلاحقوا واجتمعوا فى النار فابدلت التاء دالا وسكنت للادغام ثم أدخلت همزة الوصل (جميعا) حال (قالت أخراهم) منزلة وهى الاتباع والسفلة (لاولاهم) منزلة وهى القادة والرؤس ومعنى لاولاهم لاجل أولاهم لان خطابهم مع الله لا معهم (ربنا) يا ربنا (هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا) مضاعفا (من النار قال لكل ضعف) للقادة بالغواية والاغواء وللاتباع بالكفر والاقتداء (ولكن لا تعلمون) ما لكل فريق منكم من العذاب لا يعلمون أبو بكر أى لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر (وقالت أولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل) عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف أى فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا وانا متساوون فى استحقاق الضعف (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) بكسبكم وكفركم وهو من قول القادة للسفلة ولا وقف على فضل أو من قول الله لهم جميعا والوقف على فضل (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء) أى لا يؤذن لهم فى صعود السماء ليدخلوا الجنة اذ هى فى السماء أو لا يصعد لهم عمل صالح ولا تنزل عليهم البركة أو لا تصعد أرواحهم اذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين الى السماء وبالتاء مع التخفيف أبو عمرو وبالياء معه حمزة وعلى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) حتى يدخل البعير فى ثقب الابرة أى

لايدخلون الجنة أبدا لانه علقه بما لا يتكون والخياط والمخيط مايخاط به وهو الابرة (وكذلك) ومثل ذلك الجزاء الفظيع الذى وصفنا (نجزى المجرمين) أى الكافرين بدلالة التكذيب بآيات الله والاستكبار عنها (لهم من جهنم مهاد) فراش (ومن فوقهم غواش) أغطية جمع غاشية (وكذلك نجزى الظالمين) أنفسهم بالكفر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكلف نفسا الا وسعها) طاقتها والتكليف إلزام مافيه كلفة أى مشقة (أولئك) مبتدأ والخبر (أصحاب الجنة) والجلة خبر الذين ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا والخبر (هم فيها خالدون ونزعنا ما فى صدورهم من غل) حقد كان بينهم فى الدنيا فلم يبق بينهم الا التواد والتعاطف وعن على رضى الله عنه انى لارجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم (تجرى من تحتهم الانهار) حال من هم فى صدورهم والعامل فيها معنى الاضافة (وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا) لما هو وسيلة الى هذا الفوز العظيم وهو الايمان (وما كنا) ما كنا شامى على أنها جملة موضحة للاولى (لنهتدى لولا ان هدانا الله) اللام لتوكيد النفى أى وما كان يصح أن نكون مهتدين لولا هداية الله وجواب لولا محذوف دل عليه ماقبله (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) فكان لطفا لنا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا بما نالوا واظهارا لما اعتقدوا (ونودوا أن تلكم الجنة) ان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف والجلة بعدها خبرها تقديره ونودوا بأنه تلكم الجنة والهاء ضمير الشأن أو بمعنى أى كأنه قيل وقيل لهم تلكم الجنة (أورثتموها) أعطيتموها وهو حال من الجنة والعامل فيها مافى تلك من معنى الاشارة (بما كنتم تعملون) سماها ميراثا لانها لاتستحق بالعمل بل هى محض فضل الله ووعده على الطاعات كالميراث من الميت ليس بعوض عن شئ بل هو صلة خالصة وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله ان المعتزلة خالفوا الله فيما أخبر ونوحا عليه السلام وأهل الجنة والنار وابليس لانه قال الله تعالى يضل من يشاء ويهدى من يشاء وقال نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم وقال أهل الجنة وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله وقال أهل النار لو هدانا الله لهديناكم وقال ابليس فبما أغويتنى (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا) أن مخففة من الثقيلة أو مفسرة وكذلك أن لعنة الله على الظالمين (ماوعدنا ربنا) من الثواب (حقا) حال (فهل وجدتم ماوعد ربكم) من العذاب (حقا) وتقديره وعدكم ربكم فحذف كم لدلالة وعدنا ربنا عليه وانما قالوا لهم ذلك شماتة بأصحاب النار واعترافا بنعم الله تعالى (قالوا نعم) وبكسر العين حيث كان على (فأذن مؤذن بينهم) نادى مناد وهو ملك يسمع أهل الجنة والنار (أن لعنة الله على الظالمين) أن لعنة مكى وشامى وحمزة وعلى (الذين يصدون) يمنعون (عن سبيل الله) دينه (ويبغونها عوجا) مفعول ثان ليبغون أى ويطلبون لها الاعوجاج والتناقض (وهم بالآخرة) بالدار الآخرة (كافرون وبينهما) وبين الجنة والنار أو بين الفريقين (حجاب) وهو السور

المذكور في قوله فضرب بينهم بسور (وعلى الاعراف) على أعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهي أعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك (رجال) من أفاضل المسلمين أو من آخرهم دخولا في الجنة لاستواء حسناتهم وسيآتهم أو من لم يرض عنه أحد أبويه أو أطفال المشركين (يعرفون كلا) من زمرة السعداء والاشقياء (بسيماهم) بعلامتهم قيل سيما المؤمنين بياض الوجوه ونضارتها وسيما الكافرين سواد الوجوه وزرقة العيون (ونادوا) أي أصحاب الاعراف (أصحاب الجنة أن سلام عليكم) انه سلام أو أي سلام وهو تهنئة منهم لاهل الجنة (لم يدخلوها) أي أصحاب الاعراف ولا محل له لانه استئناف كان سائلا سأل عن أصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها (وهم يطمعون) في دخولها أوله محل وهو صفة لرجال (واذا صرفت أبصارهم) أبصار أصحاب الاعراف وفيه أن صارفا يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا (تلقاء) ظرف أي ناحية (أصحاب النار) ورأوا ماهم فيه من العذاب (قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) فاستعاذوا بالله وفزعوا الى رحمته أن لا يجعلهم معهم (ونادى أصحاب الاعراف رجالا) من رؤس الكفرة (يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم) المال أو كثرتكم واجتماعكم وما نافية (وما كنتم تستكبرون) واستكباركم على الحق وعلى الناس ثم يقولون لهم (أهؤلاء) مبتدأ (الذين) خبر مبتدا مضمر تقديره هؤلاء هم الذين (أقسمتم) حلفتم في الدنيا والمشار اليهم فقراء المؤمنين كصهيب وسلمان ونحوهما (لا ينالهم الله برحمة) جواب أقسمتم وهو داخل في صلة الذين تقديره أقسمتم عليهم بأن لا ينالهم الله برحمة أي لا يدخلهم الجنة يحتقرونهم لفقرهم فيقال لاصحاب الاعراف (ادخلوا الجنة) وذلك بعد ان نظروا الى الفريقين وعرفوهم بسيماهم وقالوا ما قالوا (لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء) أن مفسرة وفيه دليل على ان الجنة فوق النار (أو مما رزقكم الله) من غيره من الاشربة لدخوله في حكم الافاضة أو أريد وألقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقولك * علفتها تبنا وماء باردا * أي وسقيتها وانما سألوا ذلك مع يأسهم عن الاجابة لان المتحير ينطق بما يفيد وبما لا يفيد (قالوا ان الله حرمهما على الكافرين) هو تحريم منع كما في وحرمنا عليه المراضع وتقف هنا ان رفعت أو نصبت ما بعده ذما وان جررته وصفا للكافرين فلا (الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا) فحرموا وأحلوا ما شاؤا أو دينهم عيدهم (وغرتهم الحياة الدنيا) اغتروا بطول البقاء (فاليوم ننساهم) نتركهم في العذاب (كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون) أي كنسيانهم وجحودهم (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه) ميزنا حلاله وحرامه ومواعظه وقصصه (على علم) عالمين بكيفية تفصيل أحكامه (هدى ورحمة) حال من منصوب فصلناه كما ان على علم حال من مرفوعه (لقوم يؤمنون هل ينظرون) ينتظرون (الا تأويله) الا عاقبة أمره وما يؤول اليه من تبيين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد

والوعيد

والوعيد (يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل) تركوه وأعرضوا عنه (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أي تبين وصح أنهم جاؤا بالحق فأقروا حين لا ينفعهم (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) جواب الاستفهام (أو نرد) جملة معطوفة على جملة قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام كأنه قيل فهل لنا من شفعاء أو هل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كقولك ابتداء هل يضرب زيدا أو عطف على تقدير هل يشفع لنا شافع أو هل نرد (فنعمل) جواب الاستفهام أيضا (غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) ما كانوا يعبدونه من الاصنام (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام) أراد السموات والارض وما بينهما وقد فصلها في حم السجدة أي من الاحد الى الجمعة لاعتبار الملائكة شيأ فشيأ وللاعلام بالتأني في الامور ولان لكل عمل يوما ولان انشاء شيء بعد شيء أدل على عالم مدبر مريد يصرفه على اختياره ويجريه على مشيئته (ثم استوى) استولى (على العرش) أضاف الاستيلاء الى العرش وان كان سبحانه وتعالى مستوليا على جميع المخلوقات لان العرش أعظمها وأعلاها وتفسير العرش بالسرير والاستواء بالاستقرار كما تقوله المشبهة باطل لانه تعالى كان قبل العرش ولا مكان وهو الآن كما كان لان التغير من صفات الاكوان والمنقول عن الصادق والحسن وأبي حنيفة ومالك رضي الله عنهم ان الاستواء معلوم والتكييف فيه مجهول والايمان به واجب والجحود له كفر والسؤال عنه بدعة (يغشي الليل النهار) يغشي حمزة وعلي وأبو بكر أي يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل (يطلبه حثيثا) حال من الليل أي سريعا والطالب هو الليل كانه لسرعة مضيه يطلب النهار (والشمس والقمر والنجوم) أي وخلق الشمس والقمر والنجوم (مسخرات) حال أي مذللات والشمس والقمر والنجوم مسخرات شامي والشمس مبتدأ والبقية معطوفة عليها والخبر مسخرات (بأمره) هو أمر تكوين ولما ذكر انه خلقهن مسخرات بأمره قال (ألا له الخلق والامر) أي هو الذي خلق الاشياء وله الامر (تبارك الله) كثر خيره أو دام بره من البركة النماء أو من البروك الثبات ومنه البركة (رب العالمين أدعوا ربكم تضرعا وخفية) نصب على الحال أي ذوي تضرع وخفية والتضرع تفعل من الضراعة وهي الذل أي تذللا وتملقا قال عليه السلام انكم لا تدعون أصم ولا غائبا انما تدعون سميعا قريبا انه معكم أينما كنتم عن الحسن بين دعوة السر والعلانية سبعون ضعفا (انه لا يحب المعتدين) المجاوزين ما أمروا به في كل شيء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج الرافعين أصواتهم بالدعاء وعنه الصياح في الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب في الدعاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين (ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) أي بالمعصية بعد الطاعة أو بالشرك بعد التوحيد أو بالظلم بعد العدل (وادعوه خوفا وطمعا) حالان أي خائفين من الرد طامعين

في الاجابة أومن النيران وفي الجنان أومن الفراق وفي التلاق أومن غيب العاقبة وفي ظاهر الهداية أومن العدل وفي الفضل (ان رحمت الله قريب من المحسنين) ذكر قريب على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحم أولانه صفة موصوف محذوف أي شيء قريب أو على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول أولان تأنيث الرحمة غير حقيقي أوللاضافة الى المذكر (وهو الذي يرسل الرياح) الريح مكي وحمزة وعلي (نشرا) حمزة وعلي مصدر نشر وانتصابه اما لان أرسل ونشر متقاربان فكأنه قيل نشرها نشرا واما على الحال أي منشورات بشرا عاصم تخفيف بشرا جمع بشير لان الرياح تبشر بالمطر نشرا شامي تخفيف نشر كرسل ورسل وهو قراءة الباقين جمع نشور أي ناشرة للمطر (بين يدي رحمته) أمام نعمته وهو الغيث الذي هو من أجل النعم (حتى اذا أقلت) حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا (سحابا ثقالا) بالماء جمع سحابة (سقناه) الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لانث كما لوحمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا (لبلد ميت) لاجل بلد ليس فيه مطر ولسقيه ميت مدني وحمزة وعلي وحفص (فأنزلنا به الماء) بالسحاب أو بالسوق وكذلك (فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك) مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات (نخرج الموتى لعلكم تذكرون) فيؤديكم التذكر الى الايمان بالبعث اذ لا فرق بين الاخراجين لان كل واحد منهما إعادة الشيء بعد انشائه (والبلد الطيب) الارض الطيبة التراب (يخرج نباته باذن ربه) بتيسيره وهو موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لانه واقع في مقابلة نكدا (والذي خبث) صفة للبلد أي والبلد الخبيث (لايخرج) أي نباته فحذف للاكتفاء (الا نكدا) هو الذي لا خير فيه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ وهو المؤمن ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك وهو الكافر وهذا التمثيل واقع على أثر مثل ذلك المطر وانزاله بالبلد الميت واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد (كذلك) مثل ذلك التصرف (نصرف الآيات) نرددها ونكررها (لقوم يشكرون) نعمة الله وهم المؤمنون ليتفكروا فيها ويعتبروا بها (لقد أرسلنا) جواب قسم محذوف أي والله لقد أرسلنا (نوحا الى قومه) أرسل وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو اسم ادريس عليه السلام (فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) غيره علي فالرفع على المحل كانه قيل مالكم إله غيره فلا تعبدوا معه غيره والجر على اللفظ (انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان (قال الملا) أي الاشراف والسادة (من قومه إنا لنراك في ضلال مبين) أي بين في ذهاب عن طريق الصواب والرؤية رؤية القلب (قال ياقوم ليس بي ضلالة) ولم يقل ضلال كما قالوا لان الضلالة أخص من الضلال فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه كانه قال ليس بي شيء من الضلال ثم استدرك لتأكيد نفي الضلالة فقال (ولكني رسول من رب العالمين) لان كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته في معنى كونه على الصراط المستقيم فكان

في الغاية القصوى من الهدى (أبلغكم رسالات ربي) ما أوحي الي في الاوقات المتطاولة أو في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي والمواعظ والبشائر والنظائر أبلغكم أبو عمرو وهو كلام مستأنف بيان لكونه رسول رب العالمين (وأنصح لكم) وأقصد صلاحكم باخلاص يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وحقيقة النصح ارادة الخير لغيرك مما تريده لنفسك أو النهاية في صدق العناية (وأعلم من الله مالا تعلمون) أي من صفاته يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه وان بأسه لا يرد عن القوم المجرمين (أوعجبتم) الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قيل أكذبتم وعجبتم (أن جاءكم) من ان جاءكم (ذكر) موعظة (من ربكم على رجل منكم) على لسان رجل منكم أي من جنسكم وذلك أنهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لانزل ملائكة (لينذركم) ليحذركم عاقبة الكفر (ولتتقوا) ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار (ولعلكم ترحمون) ولترحموا بالتقوى ان وجدت منكم (فكذبوه) فنسبوه الى الكذب (فأنجيناه والذين معه) وكانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به (في الفلك) يتعلق بمعه كأنه قيل والذين صحبوه في الفلك (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين) عن الحق يقال أعمى في البصر وعم في البصيرة (والى عاد) وأرسلنا الى عاد وهو عطف على نوح (أخاهم) واحدا منهم من قولك يا أخا العرب للواحد منهم وانما جعل واحدا منهم لانهم عن رجل منهم أفهم فكانت الحجة عليهم ألزم (هودا) عطف بيان لاخاهم وهو هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون) وانما لم يقل فقال كما في قصة نوح عليه السلام لانه على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال ياقوم اعبدوا الله وكذلك (قال الملا الذين كفروا من قومه) وانما وصف الملأ بالذين كفروا دون الملا من قوم نوح لان في أشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد فأريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في أشراف قوم نوح عليه السلام مؤمن (انا لنراك في سفاهة) في خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك الى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا مجازا يعني انه متمكن فيها غير منفك عنها (وانا لنظنك من الكاذبين) في ادعائك الرسالة (قال ياقوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح) فيما أدعوكم اليه (أمين) على ما أقول لكم وانما قال هنا وأنا لكم ناصح أمين لقولهم وانا لنظنك من الكاذبين أي ليقابل الاسم الاسم وفي اجابة الانبياء عليهم السلام من ينسبهم الى الضلالة والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم واخبار الله تعالى ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم (اوعجبتم

أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) أي خلفتموهم في الارض أوفي مساكنهم واذ مفعول به وليس بظرف أى اذكروا وقت استخلافكم (وزادكم فى الخلق بسطة) طولا وامتدادا فكان أقصرهم ستين ذراعا وأطولهم مائة ذراع بصطة حجازى وعاصم وعلى (فاذكروا آلاء الله) فى استخلافكم وبسطة أجرامكم وماسواهما من عطاياه وواحد الآلاء الى نحوانى والآناء (لعلكم تفلحون) ومعنى المجىء فى (قالوا أجئتنا) أن يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما أوحى اليه جاء قومه يدعوهم (لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء فى اتخاذ الاصنام شركاء معهم حبا لما نشؤا عليه (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) ان العذاب نازل بنا (قال قد وقع) أي قد نزل (عليكم) جعل المتوقع الذى لابد من نزوله بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان (من ربكم رجس) عذاب (وغضب) سخط (أتجادلوننى فى أسماء سميتموها) فى أشياء ما هى الا أسماء ليس تحتها مسميات لانكم تسمون الاصنام آلهة وهى خالية عن معنى الالوهية (أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان) حجة (فانتظروا) نزول العذاب (انى معكم من المنتظرين) ذلك (فأنجيناه والذين معه) أى من آمن به (برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) الدابر الاصل أو الكائن خلف الشئ وقطع دابرهم استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم (وما كانوا مؤمنين) فائدة نفى الايمان عنهم مع اثبات التكذيب بآيات الله الاشعار بان الهلاك خص المكذبين وقصتهم ان عادا قد تبسطوا فى البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله اليهم هودا فكذبوه فامسك القطر عنهم ثلاث سنين وكانوا اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته الحرام فاوفدوا اليه قيل بن عنز ونعيم بن هزال ومرثد بن سعد وكان يكتم ايمانه بهود عليه السلام وأهل مكة اذ ذاك العماليق أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فنزلوا عليه بظاهر مكة فقال لهم مرثد لن تسقوا حتى تؤمنوا بهود فخلفوا مرثدا وخرجوا فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فاختار السوداء على ظن انها أكثر ماء فخرجت على عاد من وادلهم فاستبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا (والى ثمود) وأرسلنا الى ثمود وقرئ والى ثمود بتأويل الحى أو باعتبار الاصل لانه اسم أبيهم الاكبر ومنع الصرف بتأويل القبيلة وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام (أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم) آية ظاهرة شاهدة على صحة

نبوتى فكانه قيل ماهذه البينة فقال (هذه ناقة الله) وهذه اضافة تخصيص وتعظيم لانها
بتكوينه تعالى بلا صلاب ولا رحم (لكم آية) حال من الناقة والعامل معنى الاشارة فى هذه كانه
قيل أشير اليها آية ولكم بيان لمن هى له آية وهى ثمود لانهم عاينوها (فذروها تأكل فى أرض
الله) اى الارض أرض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل فى أرض ربها من نبات ربها
فليس عليكم مؤنتها (ولا تمسوها بسوء) ولا تضربوها ولا تعقروها ولا تطردوها اكراما لآية
الله (فيأخذكم) جواب النهى (عذاب أليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد
وبوأكم) ونزلكم والمباءة المنزل (فى الارض) فى أرض الحجر بين الحجاز والشام (تتخذون من
سهولها قصورا) غرفا للصيف (وتنحتون الجبال بيوتا) للشتاء وبيوتا حال مقدرة نحو خط هذا
الثوب قميصا اذ الجبل لا يكون بيتا فى حال النحت ولا الثوب قميصا فى حال الخياطة (فاذكروا
آلاء الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين) روى ان عادا لما أهلكت عمرت ثمود بلادها
وخلفوها فى الارض وعمروا أعمارا طوالا فنحتوا البيوت من الجبال خشية الانهدام قبل
الممات وكانوا فى سعة من العيش فعتوا على الله وأفسدوا فى الارض وعبدوا الاوثان فبعث
الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من أوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم
مستضعفون فأنذرهم فسألوه ان يخرج من صخرة بعينها ناقة عشراء فصلى ودعا ربه
فتمخضت تمخض النتوج بولدها فخرجت منها ناقة كما شاؤا فآمن به جندع ورهط من
قومه (قال الملأ الذين استكبروا من قومه) وقال شامى (للذين استضعفوا) للذين استضعفهم
رؤساء الكفار (لمن آمن منهم) بدل من الذين استضعفوا باعادة الجار وفيه دليل على أن
البدل حيث جاء كان فى تقدير اعادة العامل والضمير فى منهم راجع الى قومه وهو يدل على أن
استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين او الى الذين استضعفوا وهو يدل على أن المستضعفين
كانوا مؤمنين وكافرين (أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه) قالوه على سبيل السخرية (قالوا
انا بما أرسل به مؤمنون) وانما صار هذا جوابا لهم لانهم سألوهم عن العلم بارساله فجعلوا ارساله
أمرا معلوما مسلما كأنهم قالوا العلم بارساله وبما أرسل به لا شبهة فيه وانما الكلام فى
وجوب الايمان به فنخبركم انا به مؤمنون (قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون)
فوضعوا آمنتم به موضع أرسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما مسلما (فعقروا الناقة) أسند
العقر الى جميعهم وان كان العاقر قدار بن سالف لانه كان برضاهم وكان قدار أحمر أزرق
قصيرا كما كان فرعون كذلك وقال عليه السلام يا على أشقى الاولين عاقر ناقة صالح وأشقى
الآخرين قاتلك (وعتوا عن أمر ربهم) وتولوا عنه واستكبروا وأمر ربهم ما أمر به على
لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تأكل فى أرض الله او شأن ربهم وهو دينه (وقالوا
يا صالح ائتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة) الصيحة التى
زلزلت لها الارض واضطربوا لها (فأصبحوا فى دارهم) فى بلادهم او مساكنهم (جاثمين) ميتين
قعودا يقال الناس جثم اى قعود لا حراك بهم ولا يتكلمون (فتولى عنهم) لما عقروا الناقة

(وقال ياقوم) عند فراقه اياهم (لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين)
الآمرين بالهدى لاستحلاء الهوى والنصيحة منيحة تدرأ الفضيحة ولكنها وخيمة تورث
السخيمة روى ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء فقال صالح تعيشون بعده ثلاثة أيام تصفر
وجوهكم أول يوم وتحمر فى الثانى وتسود فى الثالث ويصيبكم العذاب فى الرابع وكان
كذلك روى أنه خرج فى مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكى فلما علم انهم هلكوا رجع بمن
معه فسكنوا ديارهم (ولوطا اذ قال لقومه) اى واذكر لوطا واذ بدل منه (أتأتون الفاحشة)
أتفعلون السيئة المتمادية فى القبح (ماسبقكم بها) ما عملها قبلكم والباء للتعدية ومنه قوله عليه
السلام سبقك بها عكاشة (من أحد) من زائدة لتأكيد النفى وافادة معنى الاستغراق (من
العالمين) من للتبعيض وهذه جملة مستأنفة أنكر عليهم أولا بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم
عليها فقال أنتم أول من عملها وقوله تعالى (أئنكم لتأتون الرجال) بيان لقوله أتأتون الفاحشة
والهمزة مثلها فى أتأتون للانكار انكم على الاخبار مدنى وحفص يقال أتى المرأة اذا غشيها
(شهوة) مفعول له اى للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة ولا ذم أعظم منه لانه وصف
لهم بالبهيمية (من دون النساء) اى لا من النساء (بل أنتم قوم مسرفون) أضرب عن الانكار
الى الاخبار عنهم بالحال التى توجب ارتكاب القبائح وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز
الحدود فى كل شئ فمن ثم أسرفوا فى باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد الى غير المعتاد
(وما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم) اى لوطا ومن آمن معه يعنى ما
أجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط من انكار الفاحشة ووصفهم بصفة الاسراف الذى
هو أصل الشر ولكنهم جاؤا بشئ آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن
معه من المؤمنين من قريتهم (انهم اناس يتطهرون) يدعون الطهارة ويدعون فعلنا الخبيث
عن ابن عباس رضى الله عنهما عابوهم بما يتمدح به (فأنجيناه وأهله) ومن يختص به من دونه
من المؤمنين (الا امرأته كانت من الغابرين) من الباقين فى العذاب والتذكير لتغليب
الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروى انها التفتت فاصابها حجر
فماتت (وأمطرنا عليهم مطرا) وأرسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا قالوا أمطر الله عليهم
الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت حجارة على مسافريهم وقال أبو عبيدة
أمطر فى العذاب ومطر فى الرحمة (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) الكافرين (والى مدين)
وأرسلنا الى مدين وهو اسم قبيلة (أخاهم شعيبا) يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه
وكانوا أهل بخس للمكاييل والموازين (قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم
بينة من ربكم) اى معجزة وان لم تذكر فى القرآن (فأوفوا الكيل والميزان) أتموهما والمراد
فأوفوا الكيل ووزن الميزان او يكون الميزان كالميعاد بمعنى المصدر (ولا تبخسوا الناس
أشياءهم) ولا تنقصوا حقوقهم بتطفيف الكيل ونقصان الوزن وكانوا يبخسون الناس كل
شئ فى مبايعتهم وبخس يتعدى الى مفعولين وهما الناس وأشياءهم تقول بخست زيدا حقه

أي نقصته اياه (ولاتفسدوا في الارض بعد اصلاحها) بعد الاصلاح فيها أي لاتفسدوا فيها بعد ما أصلح فيها الصالحون من الانبياء والاولياء واضافته كاضافة بل مكر الليل والنهار أي بل مكركم في الليل والنهار (ذلكم) اشارة الى ماذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والافساد في الارض (خير لكم) في الانسانية وحسن الاحدوثة (ان كنتم مؤمنين) مصدقين لى في قولى (ولاتقعدوا بكل صراط) بكل طريق (توعدون) من آمن بشعيب بالعذاب (وتصدون عن سبيل الله) عن العبادة (من آمن به) بالله وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين (وتبغونها) وتطلبون لسبيل الله (عوجا) أي تصفونها للناس بانها سبيل معوجة غير مستقيمة لتمنعوهم عن سلوكها ومحل توعدون وماعطف عليه النصب على الحال أي لاتقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله و باغين عوجا (واذكروا اذ كنتم قليلا) اذ مفعول به غير ظرف أي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم (فكثركم) الله ووفر عددكم وقيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) آخر أمر من أفسد قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا) فانتظروا (حتى يحكم الله بيننا) أي بين الفريقين بان ينصر المحقين على المبطلين و يظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله تعالى منهم أوهو حث للمؤمنين على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من المشركين الى أن يحكم الله بينهم و ينتقم لهم منهم أوهو خطاب للفريقين أي ليصبر المؤمنون على أذى الكفار والكافرون على مايسوءهم من ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب (وهو خير الحاكمين) لان حكمه حق وعدل لايخاف فيه الجور (قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا) أي ليكونن أحد الامرين اما اخراجكم واما عودكم في الكفر (قال) شعيب (أولو كنا كارهين) الهمزة للاستفهام والواو للحال تقديره أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين قالوا نعم ثم قال شعيب (قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم) وهو قسم على تقدير حذف اللام أي والله لقد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم (بعد اذ نجانا الله منها) خلصنا الله فان قلت كيف قال شعيب ان عدنا في ملتكم والكفر على الانبياء عليهم السلام محال قلت أراد عود قومه الا انه نظم نفسه في جملتهم وان كان بريئا من ذلك اجراء لكلامه على حكم التغليب (وما يكون لنا) ومايبنغي لنا ومايصح (أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا) الا أن يكون سبق في مشيئته أن نعود فيها اذ الكائنات كلها بمشيئة الله تعالى خيرها وشرها (وسع ربنا كل شيء علما) تمييز أي هو عالم بكل شيء فهو يعلم أحوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب (على الله توكلنا) في أن يثبتنا على الايمان و يوفقنا لازدياد الايقان (ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق) أي احكم والفتاحة الحكومة والقضاء

بالحق يفتح الامر المغلق فلذا سمي فتحا ويسمى أهل عمان القاضي فتاحا (وأنت خير الفاتحين) كقوله وهو خير الحاكمين (وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون) مغبونون لفوات فوائد البخس والتطفيف باتباعه لانه ينهاكم عنهما ويأمركم على الايفاء والتسوية وجواب القسم الذي وطأته اللام في لئن اتبعتم وجواب الشرط انكم اذا لخاسرون فهو ساد مسد الجوابين (فأخذتهم الرجفة) الزلزلة (فأصبحوا في دارهم جاثمين) ميتين (الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كأن لم يغنوا فيها) لم يقيموا فيها غني بالمكان أقام (الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كانوا هم الخاسرين) لا من قالوا لهم انكم اذا لخاسرون وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان أهلكوا كأن لم يقيموا في دارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد أنجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فهم الرابحون وفي التكرار مبالغة واستعظام لتكذيبهم ولما جرى عليهم (فتولى عنهم) بعد أن نزل بهم العذاب (وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى) أحزن (على قوم كافرين) اشتد حزنه على قومه ثم أنكر على نفسه فقال كيف يشتد حزني على قوم ليسوا باهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم أو أراد لقد أعذرت لكم في الابلاغ والتحذير مما حل بكم فلم تصدقوني فكيف آسى عليكم (وما أرسلنا في قرية من نبي) يقال لكل مدينة قرية وفيه حذف أي فكذبوه (الا أخذنا أهلها بالبأساء) بالبؤس والفقر (والضراء) الضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم أو هما نقصان النفس والمال (لعلهم يضرعون) ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا أردية الكبر (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة (حتى عفوا) كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم من قولهم عفا النبات اذا كثر ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى (وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) أي قالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بعقوبة الذنب فكونوا على ما أنتم عليه (فأخذناهم بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) بنزول العذاب واللام في (ولو أن أهل القرى) اشارة الى أهل القرى التي دل عليها وما أرسلنا في قرية من نبي كأنه قال ولو أن أهل تلك القرى الذين كذبوا وأهلكوا (آمنوا) بدل كفرهم (واتقوا) الشرك مكان ارتكابه (لفتحنا عليهم) لفتحنا شامي (بركات من السماء والارض) أراد المطر والنبات أو لآتيناهم بالخير من كل وجه (ولكن كذبوا) الانبياء (فأخذناهم بما كانوا يكسبون) بكفرهم وسوء كسبهم ويجوز أن تكون اللام للجنس (أفأمن أهل القرى) يريد الكفار منهم (أن يأتيهم بأسنا) عذابنا (بياتا) ليلا أي وقت بيات يقال بات بياتا (وهم نائمون أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى) نهارا والضحى في الاصل ضوء الشمس اذا أشرقت والفاء والواو في أفأمن وأوأمن حرفا عطف دخل عليهما همزة الانكار والمعطوف عليه فأخذناهم بغتة وقوله ولو أن أهل القرى الى يكسبون اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطفت بالفاء لان المعنى فعلوا

وصنعوا افأخذناهم بغتة بعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى أو أمن شامي وحجازي على العطف باو والمعنى انكار الامن من أحد هذين الوجهين من اتيان العذاب ليلا أو ضحى فان قلت كيف دخل همزة الاستفهام على حرف العطف وهو ينافي الاستفهام قلت التنافي في المفرد لا في عطف جملة على جملة لانه على استئناف جملة بعد جملة (وهم يلعبون) يشتغلون بما لا يجدي لهم (أفأمنوا) تكرير لقوله أفأمن أهل القرى (مكر الله) أخذه العبد من حيث لا يشعر وعن الشبلي قدس الله روحه العزيز مكره بهم تركه اياهم على ماهم عليه وقالت ابنة الربيع بن خيثم لابيها مالي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام قال يابنتاه ان أباك يخاف البيات أراد قوله أن يأتيهم بأسنا بياتا (فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) الا الكافرون الذين خسروا أنفسهم حتى صاروا الى النار (أولم يهد) يبين (للذين يرثون الارض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) أن لو نشاء مرفوع بانه فاعل يهد وان مخففة من الثقيلة أي أولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم أرضهم هذا الشأن وهو انا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم فاهلكنا الوارثين كما أهلكنا الموروثين وانما عدى فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبيين (ونطبع) مستأنف أي ونحن نختم (على قلوبهم فهم لا يسمعون) الوعظ (تلك القرى نقص عليك من أنبائها) كقوله هذا بعلي شيخا في أنه مبتدأ وخبر وحال أو تكون القرى صفة تلك ونقص خبرا والمعنى تلك القرى المذكورة من قوم نوح الى قوم شعيب نقص عليك بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فما كانوا ليؤمنوا) عند مجيء الرسل بالبينات (بما كذبوا من قبل) بما كذبوا من آيات الله من قبل مجيء الرسل او فما كانوا ليؤمنوا الى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولا حين جاءتهم الرسل أي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل اليهم الى أن ماتوا مصرين مع تتابع الآيات واللام لتأكيد النفي (كذلك) مثل ذلك الطبع الشديد (يطبع الله على قلوب الكافرين) لما علم منهم أنهم يختارون الثبات على الكفر (وما وجدنا لاكثرهم من عهد) الضمير للناس على الاطلاق يعني ان أكثر الناس نقضوا عهد الله وميثاقه في الايمان والآية اعتراض أو للامم المذكورين فانهم كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن أنجيتنا لنؤمنن ثم أنجاهم نكثوا (وان) الشان والحديث (وجدنا أكثرهم لفاسقين) لخارجين عن الطاعة والوجود بمعنى العلم بدليل دخول ان المخففة واللام الفارقة ولا يجوز ذلك الا في المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما (ثم بعثنا من بعدهم) الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم أو للامم (موسى بآياتنا) بالمعجزات الواضحات (الى فرعون وملئه فظلموا بها) فكفروا بآياتنا أجرى الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد ان الشرك لظلم عظيم أو فظلموا الناس بسببها حين آذوا من آمن أو لانه اذا وجب الايمان بها فكفروا وابدل الايمان كان كفرهم بها ظلما حيث وضعوا الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) حيث صاروا مغرقين

(وقال موسى يا فرعون) يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الاكاسرة وكانه قال يا ملك مصر واسمه قابوس أو الوليد بن مصعب بن الريان (انى رسول من رب العالمين) اليك قال فرعون كذبت فقال موسى (حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق) أى أنا حقيق على قول الحق أى واجب على قول الحق أن أكون قائله والقائم به حقيق على نافع أى واجب على ترك القول على الله الا الحق أى الصدق وعلى هذه القراءة تقف على العالمين وعلى الاول يجوز الوصل على جعل حقيق وصف الرسول وعلى بمعنى الباء كقراءة أبى أى انى رسول خليق بان لا أقول أو يعلق على بمعنى الفعل فى الرسول أى انى رسول حقيق جدير بالرسالة أرسلت على أن لا أقول على الله الا الحق (قد جئتكم ببينة من ربكم) بما يبين رسالتى (فأرسل معى بنى اسرائيل) فخلهم يذهبوا معى راجعين الى الارض المقدسة التى هى وطنهم وذلك ان يوسف عليه السلام لما توفى غلب فرعون على نسل الاسباط واستعبدهم فانقذهم الله بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذى دخل يوسف عليه السلام مصر واليوم الذى دخله موسى أربعمائة عام معى حفص (قال ان كنت جئت باۤية) من عند من أرسلك (فأت بها ان كنت من الصادقين) فاتنى بها لتصح دعواك ويثبت صدقك فيها (فألقى) موسى عليه السلام (عصاه) من يده (فاذا هى) اذا هذه للمفاجأة وهى من ظروف المكان بمنزلة ثمة وهناك (ثعبان) حية عظيمة (مبين) ظاهر أمره روى انه كان ذكرا فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل فى الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك وحمل على الناس فمات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضا فصاح فرعون يا موسى خذه وأنا أومن بك فاخذه موسى فعاد عصا (ونزع يده) من جيبه (فاذا هى بيضاء للناظرين) أى فاذا هى بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجمع الناس للنظر اليه روى انه أرى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم أدخلها فى جيبه ونزعها فاذا هى بيضاء غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الادمة (قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم) عالم بالسحر ماهر فيه قد خيل الى الناس العصا حية والاۤدم أبيض وهذا الكلام قد عزى الى فرعون فى سورة الشعراء وانه قاله للملأ وهنا عزى اليهم فيحتمل انه قد قاله هو وقالوه هم فحكى قوله ثمة وقولهم هنا أو قاله ابتداء فتلقنه منه الملأ فقالوه لاعقابهم (يريد أن يخرجكم من أرضكم) يعنى مصر (فماذا تأمرون) تشيرون من آمرته فأمرنى بكذا اذا شاورته فأشار عليك برأى وهو من كلام فرعون قاله للملأ لما قالوا له ان هذا الساحر عليم يريد أن يخرجكم (قالوا أرجه) بسكون الهاء عاصم وحمزة أى أخر واحبس أى أخر أمره ولا تعجل أو كانه هم بقتله فقالوا أخر قتله واحبسه ولا تقتله ليتبين سحره عند الخلق (وأخاه) هرون (وأرسل فى المدائن حاشرين) جامعين (يأتوك بكل ساحر عليم) سحار حمزة وعلى أى يأتوك بكل ساحر عليم مثله فى المهارة أو بخير منه (وجاء السحرة فرعون)

يريد فأرسل اليهم فحضروا (قالوا ان لنا لاجرا) على الخبر واثبات الاجر العظيم حجازي وحفص ولم يقل فقالوا لانه على تقدير سؤال سائل ماقالوا اذ جاؤه فأجيب بقوله قالوا ان لنا لاجرا الجعلا على الغلبة والتنكير للتعظيم كأنهم قالوا لابد لنا من أجر عظيم (ان كنا نحن الغالبين قال نعم) ان لكم لاجرا (وانكم لمن المقربين) عندي فتكونون أول من يدخل وآخر من يخرج وكانوا ثمانين ألفا أوسبعين ألفا أوبضعة وثلاثين ألفا (قالوا ياموسى اما أن تلقي) عصاك (واما أن نكون نحن الملقين) لما معنا وفيه دلالة على ان رغبتهم في أن يلقوا قبله حيث أكد ضميرهم المتصل بالمنفصل وعرف الخبر (قال) لهم موسى عليه السلام (ألقوا) تخييرهم اياه أدب حسن راعوه معه كما يفعل المناظرون قبل أن يتحاوروا في الجدال وقد سوغ لهم موسى مارغبوا فيه ازدراء لشأنهم وقلة مبالاة بهم واعتمادا على أن المعجزة لن يغلبها سحر أبدا (فلما ألقوا سحروا أعين الناس) أروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه روى انهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي أمثال الحيات قد ملأت الارض وركب بعضها بعضا (واسترهبوهم) وأرهبوهم ارهابا شديدا كأنهم استدعوا رهبتهم بالحيلة (وجاؤا بسحر عظيم) في باب السحر أوفي عين من رآه (وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك فاذا هي تلقف) تبتلع تلقف حفص (ما يأفكون) ما موصولة أو مصدرية يعني ما يأفكونه أي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه أو افكهم تسمية للمأفوك بالافك روى أنها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت وأعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمة أوفرقها أجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا (فوقع الحق) فحصل وثبت (وبطل ما كانوا يعملون) من السحر (فغلبوا هنالك) أي فرعون وجنوده والسحرة (وانقلبوا صاغرين) وصاروا أذلاء مبهوتين (وألقي السحرة ساجدين) وخروا سجدا لله كأنما ألقاهم ملق لشدة خرورهم أولم يتمالكوا مما رأوا فكأنهم ألقوا فكانوا أول النهار كفارا سحرة وفي آخره شهداء بررة (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) هو بدل مما قبله (قال فرعون آمنتم به) على الخبر حفص وهذا توبيخ منه لهم وبهمزتين كوفي غير حفص فالاولى همزة الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد (قبل أن آذن لكم) قبل اذني لكم (ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها) ان صنعكم هذا الحيلة احتلتموها أنتم وموسى في مصر قبل أن تخرجوا الى الصحراء لغرض لكم وهو ان تخرجوا من مصر القبط وتسكنوا بني اسرائيل (فسوف تعلمون) وعيد أجمله ثم فصله بقوله (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) من كل شق طرفا (ثم لاصلبنكم أجمعين) هو أول من قطع من خلاف وصلب (قالوا انا الى ربنا منقلبون) فلا نبالي بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته أوانا جميعا يعنون أنفسهم وفرعون ننقلب الى الله فيحكم بيننا (وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا) وما تعيب منا الا الايمان بآيات الله أرادوا وما تعيب منا الا ما هو أصل المناقب والمفاخر وهو الايمان

ومنه قوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

(ربنا أفرغ علينا صبرا) أي اصبب صبا ذريعا والمعنى هب لنا صبرا واسعا وأكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء افراغا (وتوفنا مسلمين) ثابتين على الاسلام (وقال الملا من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض) أرض مصر بالاستعلاء فيها وتغيير دين أهلها لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة ألف نفر (ويذرك وآلهتك) عطف على ليفسدوا وقيل صنع فرعون لقومه أصناما وأمرهم أن يعبدوها تقربا اليه كما يعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال أنا ربكم الاعلى (قال) فرعون مجيبا للملا (سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون) سنقتل حجازي أي سنعيد عليهم قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت أيدينا كما كانوا ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود الذي تحدث المنجمون بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا) قال لهم ذلك حين جزعوا من قول فرعون سنقتل أبناءهم تسلية لهم ووعدا بالنصر عليهم (ان الارض) اللام للعهد أي أرض مصر أو للجنس فيتناول أرض مصر تناولا أوليا (لله يورثها من يشاء من عباده) فيه تمنيته اياهم أرض مصر (والعاقبة للمتقين) بشارة بأن الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط وأخليت هذه الجملة عن الواو لانها جملة مستأنفة بخلاف قوله وقال الملأ لانها معطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون (قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) يعنون قتل أبنائهم قبل مولد موسى الى أن استنبئ واعادته عليهم بعد ذلك وذلك اشتكاء من فرعون واستبطاء لوعد النصر (قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض) تصريح بما رمز اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في أرض مصر (فينظر كيف تعملون) فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف أو رغيفان وطلب المنصور زيادة لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) سني القحط وهن سبع سنين والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة والنجم (ونقص من الثمرات) قيل السنون لاهل البوادي ونقص الثمرات للامصار (لعلهم يذكرون) ليتعظوا فينتهوا على أن ذلك لاصرارهم على الكفر ولان الناس في حال الشدة أضرع خدودا وأرق أفئدة وقيل عاش فرعون أربعمائة سنة لم ير مكروها في ثلثمائة وعشرين سنة ولو أصابه في تلك المدة وجع أو جوع أو حمى لما ادعى الربوبية (فاذا جاءتهم الحسنة) الصحة والخصب (قالوا لنا هذه) أي هذه التي نستحقها (وان تصبهم سيئة) جدب ومرض

(يطيروا) أصله يتطيروا فأدغمت التاء في الطاء لأنهما من طرف اللسان وأصول الثنايا (بموسى ومن معه) تشاءموا بهم وقالوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما أصابتنا وانما دخل اذا في الحسنة وعرفت الحسنة وان في السيئة ونكرت السيئة لان جنس الحسنة وقوعه كالكائن لكثرته وأما السيئة فلا تقع الا في الندرة ولا يقع الا شيء منها (ألا انما طائرهم) سبب خيرهم وشرهم (عند الله) في حكمه ومشيئته والله هو الذي يقدر ما يصيبهم من الحسنة والسيئة قل كل من عند الله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك (وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) أصل مهما ماما فما الاولى للجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج أخرج أينما تكونوا فاما نذهبن بك الا ان الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصرى وهو في موضع النصب بتأتنا أى أيما شيء ومن آية تبيين لهما والضمير في به وبها راجع الى مهما الا ان الاول ذكر على اللفظ والثاني أنث على المعنى لانها في معنى الآية وانما سموها آية اعتبارا لتسمية موسى أو قصدوا بذلك الاستهزاء (فأرسلنا عليهم الطوفان) ما طاف بهم وغلبهم من مطر أو سيل قيل طفا الماء فوق حروثهم وذلك انهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر أحد أن يخرج من داره وقيل دخل الماء في بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمن جلس غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة أو هو الجدري أو الطاعون (والجراد) فأكلت زروعهم وثمارهم وسقوف بيوتهم وثيابهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء (والقمل) وهي الدبى وهو أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها أو البراغيث أو كبار القردان (والضفادع) وكانت تقع في طعامهم وشرابهم حتى اذا تكلم الرجل تقع في فيه (والدم) أى الرعاف وقيل مياههم انقلبت دما حتى ان القبطي والاسرائيلي اذا اجتمعا على اناء فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما وقيل سال عليهم النيل دما (آيات) حال من الاشياء المذكورة (مفصلات) مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل أنها من آيات الله أو مفرقات بين كل آيتين شهر (فاستكبروا) عن الايمان بموسى (وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز) العذاب الاخير وهو الدم أو العذاب المذكور واحدا بعد واحد (قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) ما مصدرية أى بعهده عندك وهو النبوة والباء تتعلق بادع أى ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك (لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل) الى حد من الزمان (هم بالغوه) لا محالة فعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله (اذا هم ينكثون) جواب لما أى فلما كشفنا عنهم فاجؤا النكث ولم يؤخروه (فانتقمنا منهم) هو ضد الانعام كما أن العقاب هو ضد الثواب (فأغرقناهم في اليم) هو البحر الذي لا يدرك قعره أو هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان المنتفعين به يقصدونه (بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) أى كان اغراقهم

بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه بالقتل والاستخدام (مشارق الارض ومغاربها) يعني أرض مصر والشام (التي باركنا فيها) بالخصب وسعة الارزاق وكثرة الانهار والاشجار (وتمت كلمت ربك الحسنى على بني اسرائيل) هو قوله عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض أو ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض الى ما كانوا يحذرون والحسنى تأنيث الاحسن صفة للكلمة وعلى صلة تمت أي مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه (بما صبروا) بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر ضمن الله له الفرج (ودمرنا) أهلكنا (ما كان يصنع فرعون وقومه) من العمارات وبناء القصور (وما كانوا يعرشون) من الجنات أو وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وبضم الراء شامي وأبو بكر وهذا آخر قصة فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله ثم اتبعه قصة بني اسرائيل وما أحدثوه بعد انقاذهم من فرعون ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وغير ذلك ليتسلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مما رآه من بني اسرائيل بالمدينة (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر) روى أنهم عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعد ما أهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكرا لله (فأتوا على قوم) فمروا عليهم (يعكفون على اصنام لهم) يواظبون على عبادتها وكانت تماثيل بقر وبكسر الكاف حمزة وعلى (قالوا ياموسى اجعل لنا إلها) صنما نعكف عليه (كما لهم آلهة) أصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها قال يهودي لعلي رضي الله عنه اختلفتم بعد نبيكم قبل أن يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا إلها ولم تجف أقدامكم (قال انكم قوم تجهلون) تعجب من قولهم على أثر ما رأوا من الآية العظمى فوصفهم بالجهل المطلق وأكده (ان هؤلاء) يعني عبدة تلك التماثيل (متبر) مهلك من التبار (ماهم فيه) أي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بأنهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة (وباطل ما كانوا يعملون) أي ما عملوا من عبادة الاصنام باطل مضمحل (قال أغير الله أبغيكم إلها) أي أغير المستحق للعبادة أطلب لكم معبودا (وهو فضلكم على العالمين) حال أي على عالمي زمانكم (واذ أنجيناكم من آل فرعون) أنجاكم شامي (يسومونكم سوء العذاب) يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة اذا طلبها وهو استئناف لا محل له أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون (يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم) يقتلون نافع (وفي ذلكم) أي في الانجاء أو في العذاب (بلاء) نعمة أو محنة (من ربكم عظيم وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) لاعطاء التوراة (وأتممناها بعشر) روى أن موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني اسرائيل وهو بمصر ان أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من

عند الله فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يوما وهي شهر ذي القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر خلوف فيه فتسوك فأوحى الله اليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك فأمره أن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لذلك (فتم ميقات ربه) ماوقت له من الوقت وضربه له (أربعين ليلة) نصب على الحال أي تم بالغا هذا العدد ولقد أجمل ذكر الاربعين في البقرة وفصلها هنا (وقال موسى لأخيه هرون) هو عطف بيان لأخيه (اخلفني في قومي) كن خليفتي فيهم (وأصلح) مايجب أن يصلح من أمور بني اسرائيل (ولا تتبع سبيل المفسدين) ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه (ولما جاء موسى لميقاتنا) لوقتنا الذي وقتناله وحددناه ومعنى اللام الاختصاص أي اختص مجيئه لميقاتنا (وكلمه ربه) بلا واسطة ولا كيفية وروى انه كان يسمع الكلام من كل جهة وذكر الشيخ في التأويلات أن موسى عليه السلام سمع صوتا دالا على كلام الله تعالى وكان اختصاصه باعتبار أنه أسمعه صوتا تولى تخليقه من غير أن يكون ذلك الصوت مكتسبا لاحد من الخلق وغيره يسمع صوتا مكتسبا للعباد فيفهم منه كلام الله تعالى فلما سمع كلامه طمع في رؤيته لغلبة شوقه فسأل الرؤية بقوله (قال رب أرني أنظر اليك) ثاني مفعولي أرني محذوف أي أرني ذاتك أنظر اليك يعني مكني من رؤيتك بأن تتجلى لي حتى أراك أرني مكي وبكسر الراء مختلسة أبو عمرو وبكسر الراء مشبعة غيرهما وهو دليل لاهل السنة على جواز الرؤية فان موسى عليه السلام اعتقد ان الله تعالى يرى حتى سأله واعتقاد جواز مالا يجوز على الله كفر (قال لن تراني) بالسؤال بعين فانية بل بالعطاء والنوال بعين باقية وهو دليل لنا أيضا لانه لم يقل لن أرى ليكون نفيا للجواز ولو لم يكن مرئيا لاخبر بأنه ليس بمرئي اذ الحالة حالة الحاجة الى البيان (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه) بقي على حاله (فسوف تراني) وهو دليل لنا أيضا لانه علق الرؤية باستقرار الجبل وهو ممكن وتعليق الشيء بما هو ممكن يدل على امكانه كالتعليق بالممتنع يدل على امتناعه والدليل على انه ممكن قوله جعله دكا ولم يقل اندك وما أوجده تعالى كان جائزا ان لا يوجد لو لم يوجده لانه مختار في فعله ولانه تعالى ما آيسه عن ذلك ولا عاتبه عليه ولو كان ذلك محالا لعاتبه كما عاتب نوحا عليه السلام بقوله اني أعظك أن تكون من الجاهلين حيث سأل انجاء ابنه من الغرق (فلما تجلى ربه للجبل) أي ظهر وبان ظهورا بلا كيف قال الشيخ أبو منصور رحمه الله معنى التجلي للجبل ماقاله الاشعري انه تعالى خلق في الجبل حياة وعلما ورؤية حتى رأى ربه وهذا نص في اثبات كونه مرئيا وبهذه الوجوه يتبين جهل منكري الرؤية وقولهم بأن موسى عليه السلام كان عالما بأنه لا يرى ولكن طلب قومه أن يريهم ربه كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فطلب الرؤية ليبين الله تعالى انه ليس بمرئي باطل اذ لو كان كما زعموا لقال أرهم ينظروا اليك ثم يقول له لن يروني ولانها لو لم تكن جائزة لما أخر موسى عليه السلام الرد عليهم بل

كان يرد عليهم وقت قرع كلامهم سمعه لما فيه من التقرير على الكفر وهو عليه السلام بعث لتغييره لا لتقريره ألا ترى انهم لما قالوا له اجعل لنا إلها كما لهم آلهة لم يمهلهم بل رد عليهم من ساعته بقوله انكم قوم تجهلون (جعله دكا) مدكوكا مصدر بمعنى المفعول كضرب الامير والدق والدك اخوان دكاء حمزة وعلى أى مستوية بالارض لا أكمة فيها وناقة دكاء لا اسنام لها (وخر موسى صعقا) حال أى سقط مغشيا عليه (فلما أفاق) من صعقته (قال سبحانك تبت اليك) من السؤال في الدنيا (وأنا أول المؤمنين) بعظمتك وجلالك وبأنك لا تعطى الرؤية في الدنيا مع جوازها وقال الكعبي والاصم معنى قوله أرنى أنظر اليك أرنى آية أعلمك بها بطريق الضرورة كانى أنظر اليك لن ترانى لن تطيق معرفتى بهذه الصفة ولكن انظر الى الجبل فانى أظهر له آية فان ثبت الجبل لتجليها واستقر مكانه فسوف تثبت لها وتطيقها وهذا فاسد لانه قال أرنى أنظر اليك ولم يقل اليها وقال لن ترانى ولم يقل لن ترى آيتى وكيف يكون معناه لن ترى آيتى وقد أراه أعظم الآيات حيث جعل الجبل دكا (قال ياموسى انى اصطفيتك على الناس) اخترتك على أهل زمانك (برسالاتى) هى اسفار التوراة برسالتى حجازى (وبكلامى) وبتكليمى اياك (فخذ ما آتيتك) أعطيتك من شرف النبوة والحكمة (وكن من الشاكرين) على النعمة فى ذلك فهى من أجل النعم قيل خر موسى صعقا يوم عرفة وأعطى التوراة يوم النحر ولما كان هرون وزيرا وتابعا لموسى تخصص الاصطفاء بموسى عليه السلام (وكتبنا له فى الالواح) الالواح التوراة جمع لوح وكانت عشرة ألواح وقيل سبعة وكانت من زمرد وقيل من خشب نزلت من السماء فيها التوراة (من كل شئ) فى محل النصب على انه مفعول كتبنا (موعظة وتفصيلا لكل شئ) بدل منه والمعنى كتبنا له كل شئ كان بنو اسرائيل محتاجين اليه فى دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل انزلت التوراة وهى سبعون وقر بعير لم يقرأها كلها الا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى (فخذها) فقلنا له خذها عطفا على كتبنا والضمير للالواح أو لكل شئ لانه فى معنى الاشياء (بقوة) بجد وعزيمة فعل أولى العزم من الرسل (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) أى فيها ما هو حسن وأحسن كالقصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم أن يأخذوا بما هو أدخل فى الحسن وأكثر للثواب كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم (سأريكم دار الفاسقين) دار فرعون وقومه وهى مصر ومنازل عاد وثمود والقرون المهلكة كيف أقفرت منهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم أو جهنم (سأصرف عن آياتى) عن فهمها قال ذو النون قدس الله روحه أبى الله أن يكرم قلوب البطالين بمكنون حكمة القرآن (الذين يتكبرون) يتطاولون على الخلق ويأنفون عن قبول الحق وحقيقته التكلف للكبرياء التى اختصت بالبارى عزت قدرته (فى الارض بغير الحق) هو حال أى يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده (وان يروا كل آية) من الآيات المنزلة عليهم (لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد)

طريق صلاح الامر او طريق الهدى الرشد حمزة وعلى وهما كالسقم والسقم (لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى) الضلال (يتخذوه سبيلا) ومحل (ذلك) الرفع اى ذلك الصرف (بأنهم كذبوا بآياتنا) بسبب تكذيبهم (وكانوا عنها غافلين) غفلة عناد واعراض لا غفلة سهو وجهل (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) هو من اضافة المصدر الى المفعول به اى ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها (حبطت أعمالهم) خبر والذين (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) وهو تكذيب الاحوال بتكذيب الارسال (واتخذ قوم موسى من بعده) من بعد ذهابه الى الطور (من حليهم) وانما نسبت اليهم مع انها كانت عوارى فى أيديهم لان الاضافة تكون لادنى ملابسة وفيه دليل على ان من حلف أن لا يدخل دار فلان فدخل دارا استعارها يحنث على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم وفيه دليل على ان الاستيلاء على أموال الكفار يوجب زوال ملكهم عنها ثم المتخذ هو السامرى ولكنهم رضوا به فاسند الفعل اليهم والحلى جمع حلى وهو اسم ما يحسن به من الذهب والفضة حليهم حمزة وعلى للاتباع (عجلا) مفعول اتخذ (جسدا) بدل منه اى بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجساد (له خوار) هو صوت البقر والمفعول الثانى محذوف اى الهاثم عجب من عقولهم السخيفة فقال (ألم يروا) حين اتخذوه الها (أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد كلماته وهو الذى هدى الخلق الى سبيل الحق بما أركز فى العقول من الادلة وبما أنزل فى الكتب ثم ابتدأ فقال (اتخذوه) الها فاقدموا على هذا الامر المنكر (وكانوا ظالمين ولما سقط فى أيديهم) ولما اشتد ندمهم على عبادة العجل وأصله ان من اشتد ندمه أن يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه وقع فيها وسقط مسند الى فى أيديهم وهو من باب الكناية وقال الزجاج معناه سقط الندم فى أيديهم اى فى قلوبهم وأنفسهم كما يقال حصل فى يده مكروه وان استحال أن يكون فى اليد تشبيها لما يحصل فى القلب وفى النفس بما يحصل فى اليد ويرى بالعين (ورأوا انهم قد ضلوا) وتبينوا ضلالهم تبينا كانهم أبصروه بعيونهم (قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا) لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا حمزة وعلى وانتصاب ربنا على النداء (لنكونن من الخاسرين) المغبونين فى الدنيا والآخرة (ولما رجع موسى) من الطور (الى قومه) بنى اسرائيل (غضبان) حال من موسى (أسفا) حال أيضا اى حزينا (قال بئسما خلفتمونى) قمتم مقامى وكنتم خلفائى (من بعدى) والخطاب لعبدة العجل من السامرى وأشياعه او لهرون ومن معه من المؤمنين ويدل عليه قوله اخلفنى فى قومى والمعنى بئسما خلفتمونى حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله او حيث لم تكفوا عن عبادة غير الله وفاعل بئس مضمر يفسره ماخلفتمونى والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى خلافتكم ومعنى من بعدى بعد قوله خلفتمونى من بعد ما رأيتم منى من توحيد الله ونفى الشركاء عنه او من بعد ما كنت أحمل بنى اسرائيل على التوحيد وأكفهم عن عبادة البقرة

حين قالوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة المستخلف (أعجلتم) أسبقتم بعبادة العجل (أمر ربكم) وهو اتياني لكم بالتوراة بعد أربعين ليلة وأصل العجلة طلب الشيء قبل حينه وقيل عجلتم بمعنى تركتم (وألقى الالواح) ضجرا عند استماعه حديث العجل غضبا لله وكان في نفسه شديد الغضب وكان هرون ألين منه جانبا ولذلك كان أحب الى بني اسرائيل من موسى فتكسرت فرفعت ستة أسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي هدى ورحمة (وأخذ برأس أخيه) بشعر رأسه غضبا عليه حيث لم يمنعهم عن عبادة العجل (يجره اليه) عتابا عليه لا هوانا به وهو حال من موسى (قال ابن أم) بني الابن مع الام على الفتح كخمسة عشر وبكسر الميم حمزة وعلي وشامي لان أصله أمي فحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة وكان ابن أمه وأبيه وانما ذكر الام لانها كانت مؤمنة ولان ذكرها ادعى الى العطف (ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) أي اني لم آل جهدا في كفهم بالوعظ والانذار ولكنهم استضعفوني وهموا بقتلي (فلا تشمت بي الاعداء) الذين عبدوا العجل أي لا تفعل بي ما هو أمنيتهم من الاستهانة بي والاساءة الي (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) أي قرينا لهم بغضبك علي فلما اتضح له عذر أخيه (قال رب اغفر لي ولاخي) ليرضي أخاه وينفي الشماتة عنه باشراكه معه في الدعاء والمعنى اغفر لي ما فرط مني في حق أخي ولاخي ان كان فرط في حسن الخلافة (وأدخلنا في رحمتك) عصمتك في الدنيا وجنتك في الآخرة (وأنت أرحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل) إلها (سينالهم غضب من ربهم) هو ما أمروا به من قتل أنفسهم توبة (وذلة في الحيوة الدنيا) خروجهم من ديارهم فالغربة تذل الاعناق أو ضرب الجزية عليهم (وكذلك نجزي المفترين) الكاذبين على الله ولا فرية أعظم من قول السامري هذا إلهكم وإله موسى (والذين عملوا السيآت) من الكفر والمعاصي (ثم تابوا) رجعوا الى الله (من بعدها وآمنوا) وأخلصوا الايمان (ان ربك من بعدها) أي السيآت أو التوبة (لغفور) لستور عليهم محاء لما كان منهم (رحيم) منعم عليهم بالجنة وان مع اسمها وخبرها خبر والذين وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل وغيرهم عظم جنايتهم أولا ثم أردفها بعظم رحمته ليعلم أن الذنوب وان عظمت فعفوه أعظم ولما كان الغضب لشدته كانه هو الآمر لموسى بما فعل قيل (ولما سكت عن موسى الغضب) وقال الزجاج معناه سكن وقرئ به (أخذ الالواح) التي ألقاها (وفي نسختها) وفيما نسخ منها أي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة (هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) دخلت اللام لتقدم المفعول وضعف عمل الفعل فيه باعتباره (واختار موسى قومه) أي من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل (سبعين رجلا) قيل اختار من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة فبلغوا اثنين وسبعين رجلا فقال ليتخلف منكم رجلان فقعد كالب ويوشع (لميقاتنا) لاعتذارهم عن عبادة العجل (فلما أخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة (قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل) بما كان منهم من عبادة العجل (وإياي) لقتلي القبطي

(أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) أتهلكنا عقوبة بما فعل الجهال منا وهم أصحاب العجل (ان هى الا فتنتك) ابتلاؤك وهو راجع الى قوله انا قد فتنا قومك من بعدك فقال موسى هى تلك الفتنة التى أخبرتنى بها وهى ابتلاء الله تعالى عباده بما شاء ونبلوكم بالشر والخير فتنة (تضل بها) بالفتنة (من تشاء) من علمت منهم اختيار الضلالة (وتهدى) بها (من تشاء) من علمت منهم اختيار الهدى (أنت ولينا) مولانا القائم بامورنا (فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا) وأثبت لنا واقسم (فى هذه الدنيا حسنة) عاقبة وحياة طيبة أو وتوفيقا فى الطاعة (وفى الآخرة) الجنة (إنا هدنا اليك) تبنا اليك وهاد اليه يهود اذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب (قال عذابى) من صفته انى (أصيب به من أشاء) أى لا أعفو عنه (ورحمتى وسعت كل شئ) أى من صفة رحمتى انها واسعة تبلغ كل شئ ما من مسلم ولا كافر الا وعليه أثر رحمتى فى الدنيا (فسأكتبها) أى هذه الرحمة (للذين يتقون) الشرك من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ويؤتون الزكوة) المفروضة (والذين هم بآياتنا) بجميع كتبنا (يؤمنون) لا يكفرون بشئ منها (الذين يتبعون الرسول) الذى نوحى اليه كتابا مختصا به وهو القرآن (النبى) صاحب المعجزات (الامى الذى يجدونه) أى يجد نعته أولئك الذين يتبعونه من بنى اسرائيل (مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف) بخلع الانداد وانصاف العباد (وينهاهم عن المنكر) عبادة الاصنام وقطيعة الارحام (ويحل لهم الطيبات) ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها أو ما طاب فى الشريعة مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت (ويحرم عليهم الخبائث) ما يستخبث كالدم والميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به أو ما خبث فى الحكم كالربا والرشوة ونحوهما من المكاسب الخبيثة (ويضع عنهم اصرهم) هو الثقل الذى يأصر صاحبه أى يحبسه عن الحراك لثقله والمراد التكاليف الصعبة كقتل النفس فى توبتهم وقطع الاعضاء الخاطئة آصارهم شامى على الجمع (والاغلال التى كانت عليهم) هى الاحكام الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان أو خطأ من غير شرع الدية وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وظهور الذنوب على أبواب البيوت وشبهت بالغل للزومها لزوم الغل (فالذين آمنوا به) بمحمد صلى الله عليه وسلم (وعزروه) وعظموه أو منعوه من العدو حتى لا يقوى عليه عدو وأصل العزر المنع ومنه التعزير لانه منع عن معاودة القبيح كالحد فهو المنع (ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه) أى القرآن ومع متعلق باتبعوا أى واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبى والعمل بسنته (أولئك هم المفلحون) الفائزون بكل خير والناجون من كل شر (قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم) بعث كل رسول الى قومه خاصة و بعث محمد صلى الله عليه وسلم الى كافة الانس وكافة الجن (جميعا) حال من اليكم (الذى له ملك السموات والأرض) فى محل النصب باضمار أعنى وهو نصب على المدح (لا إله إلا هو) بدل من الصلة وهى له ملك السموات والارض وكذلك (يحيى ويميت) وفى لا إله إلا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان

هو الاله على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالالهية اذ لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره (فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته) أي الكتب المنزلة (واتبعوه لعلكم تهتدون) ولم يقل فآمنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم لتجرى عليه الصفات التي أجريت عليه ولما في الالتفات من مزية البلاغة وليعلم ان الذي وجب الايمان به هو هذا الشخص الموصوف بانه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان أنا أو غيري اظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق) أي يهدون الناس محقين أو بسبب الحق الذي هم عليه (وبه يعدلون) وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون قيل هم قوم وراء الصين آمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج أو هم عبد الله بن سلام واضرابه (وقطعناهم) وصيرناهم قطعا أي فرقا وميزنا بعضهم من بعض (اثنتي عشرة أسباطا) كقولك اثنتي عشرة قبيلة والاسباط أولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام نعم مميز ما عدا العشرة مفرد فكان ينبغي أن يقال اثني عشر سبطا لكن المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط لا سبط فوضع أسباط موضع قبيلة (أمما) بدل من اثنتي عشرة أي وقطعناهم أمما لان كل أسباط كانت أمة عظيمة وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى (وأوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر) فضرب (فانبجست) فانفجرت (منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم) هو اسم جمع غير تكسير (وظللنا عليهم الغمام) وجعلناه ظليلا عليهم في التيه (وأنزلنا عليهم المن والسلوى) وقلنا لهم (كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا) أي وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) ولكن كانوا يضرون أنفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم (واذ قيل لهم) واذكر اذ قيل لهم (اسكنوا هذه القرية) بيت المقدس (وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم) تغفر لكم مدني وشامي خطيئاتكم مدني خطاياكم أبو عمرو خطيئتكم شامي (سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون) ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية وكلوا منها في هذه السورة وبين قوله في سورة البقرة ادخلوا هذه القرية فكلوا لوجود الدخول والسكنى وسواء قدموا الحطة على دخول الباب أو أخروا فهم جامعون بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استئناف مرتب على قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وأرسلنا وأنزلنا ويظلمون ويفسقون من واد واحد (واسئلهم) واسأل اليهود (عن القرية) أيلة أو مدين وهذا السؤال للتقريع بقديم كفرهم (التي كانت حاضرة البحر) قريبة منه (اذ يعدون في السبت) اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم

السبت وقد نهوا عنه اذ يعدون في محل الجر بدل من القرية والمراد بالقرية أهلها كأنه قيل واسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال (اذ تأتيهم) منصوب بيعدون أو بدل بعد بدل (حيتانهم) جمع حوت أبدلت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها (يوم سبتهم شرعا) ظاهرة على وجه الماء جمع شارع حال من الحيتان والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد والمعنى اذ يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذا قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم أمر السبت ويدل عليه (ويوم لا يسبتون لا تأتيهم) ويوم ظرف لا تأتيهم (كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بفسقهم (واذ قالت) معطوف على اذ يعدون وحكمه كحكمه في الاعراب (أمة منهم) جماعة من صلحاء القرية الذين أيسوا من وعظهم بعد ما ركبوا الصعب والذلول في موعظتهم لآخرين لا يقلعون عن وعظهم (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا) وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم (قالوا معذرة الى ربكم) أي موعظتنا ابلاء (١) عذر الى الله لئلا ننسب في النهي عن المنكر الى التفريط معذرة حفص على انه مفعول له أي وعظناهم للمعذرة (ولعلهم يتقون) ولطمعنا في أن يتقوا (فلما نسوا) أي أهل القرية لما تركوا (ما ذكروا به) ماذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه (أنجينا الذين ينهون عن السوء) عن العذاب الشديد (وأخذنا الذين ظلموا) الراكبين للمنكر والذين قالوا لم تعظون من الناجين فعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان (بعذاب بئيس) شديد يقال بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد فهو بئيس بئس شامي بيس مدني بيئس على وزن فيعل أبو بكر غير حماد (بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) أي جعلناهم قردة أذلاء مبعدين وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ قيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وكانوا يعرفون أقاربهم ويبكون ولا يتكلمون والجمهور على انها ماتت بعد ثلاث وقيل بقيت وتناسلت (واذ تأذن ربك) أي أعلم وأجري مجرى فعل القسم ولذا أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله (ليبعثن عليهم) أي كتب على نفسه ليسلطن على اليهود (الى يوم القيامة من يسومهم) من يوليهم (سوء العذاب) فكانوا يؤدون الجزية الى المجوس الى أن بعث محمد صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى آخر الدهر (ان ربك لسريع العقاب) للكفار (وانه لغفور رحيم) للمؤمنين (وقطعناهم في الارض) وفرقناهم فيها فلا تخلو بلد عن فرقة (أمما منهم الصالحون) الذين آمنوا منهم بالمدينة أو الذين وراء الصين (ومنهم دون ذلك) ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الفسقة ومحل دون ذلك الرفع وهو صفة لموصوف محذوف أي ومنهم ناس منحطون عن الصلاح (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) بالنعم والنقم والخصب والجدب (لعلهم يرجعون) ينتهون فينيبون (فخلف من بعدهم) من بعد المذكورين (خلف) وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلف

(١) في القاموس ابلاه عذرا اداه اليه فقبله

بدل السوء بخلاف الخلف فهو الصالح (ورثوا الكتاب) التوراة ووقفوا على مافيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولم يعملوا بها (يأخذون عرض هذا الادنى) هو حال من الضمير في ورثوا والعرض المتاع أى حطام هذا الشئ الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وهو من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشا فى الاحكام وعلى تحريف الكلم وفى قوله هذا الادنى تخسيس وتحقير (ويقولون سيغفر لنا) لا يؤاخذنا الله بما أخذنا والفعل مسند الى الاخذ أو الى الجار والمجرور أى لنا (وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) الواو للحال أى يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) أى الميثاق المذكور فى الكتاب (أن لا يقولوا على الله الا الحق) أى اخذ عليهم الميثاق فى كتابهم أن لا يقولوا على الله الا الصدق وهو عطف بيان لميثاق الكتاب (ودرسوا ما فيه) وقرؤا ما فى الكتاب وهو عطف على ألم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه (والدار الآخرة خير) من ذلك العرض الخسيس (للذين يتقون) الرشا والمحارم (أفلا يعقلون) انه كذلك وبالتاء مدنى وحفص (والذين يمسكون بالكتاب) يمسكون أبو بكر والامساك والتمسيك والتمسك الاعتصام والتعلق بشئ (وأقاموا الصلوة) خص الصلاة مع ان التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة لانها عماد الدين والذين مبتدأ والخبر (انا لا نضيع أجر المصلحين) أى انا لا نضيع أجرهم وجاز أن يكون مجرورا عطفا على للذين يتقون وانا لا نضيع اعتراض (واذ نتقنا الجبل فوقهم) واذكر اذ قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقكم الطور (كأنه ظلة) هى كل ما أظلك من سقيفة أو سحاب (وظنوا أنه واقع بهم) وعلموا أنه ساقط عليهم وذلك انهم أبوا أن يقبلوا احكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا فى فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هى السجدة التى رفعت عنا بها العقوبة وقلنا لهم (خذوا ما آتيناكم) من الكتاب (بقوة) وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه (واذكروا ما فيه) من الاوامر والنواهى ولا تنسوه (لعلكم تتقون) ما أنتم عليه (واذ أخذ ربك من بنى آدم) أى واذكر اذ أخذ (من ظهورهم) بدل من بنى آدم والتقدير واذ أخذ ربك من ظهور بنى آدم (ذريتهم) ومعنى أخذ ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم من أصلاب آبائهم (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا) هذا من باب التمثيل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم التى ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الهدى والضلالة فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك (ان يقولوا) مفعول له أى فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة أن يقولوا (يوم

القيامة

القيامة انا كنا عن هذا غافلين) لم ننبه عليه (أو يقولوا) أو كراهة ان يقولوا (انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم فى الاعراض عنه والاقتداء بالآباء كالا عذر لآبائهم فى الشرك وأدلة التوحيد منصوبة لهم (أفتهلكنا بما فعل المبطلون) أى كانوا السبب فى شركنا لتأسيسهم الشرك وتركه سنة لنا (وكذلك) ومثل ذلك التفصيل البليغ (نفصل الآيات) لهم (ولعلهم يرجعون) عن شركهم نفصلها الى هذا ذهب المحققون من أهل التفسير منهم الشيخ أبو منصور والزجاج والزمخشرى وذهب جمهور المفسرين الى ان الله تعالى أخرج ذرية آدم من ظهر آدم مثل الذر وأخذ عليهم الميثاق أنه ربهم بقوله ألست بربكم فاجابوه ببلى قالوا وهى الفطرة التى فطر الله الناس عليها وقال ابن عباس رضى الله عنهما أخرج الله من ظهر آدم ذريته وأراه اياهم كهيئة الذر وأعطاهم العقل وقال هؤلاء ولدك آخذ عليهم الميثاق ان يعبدونى قيل كان ذلك قبل دخول الجنة بين مكة والطائف وقيل بعد النزول من الجنة وقيل فى الجنة والحجة للاولين انه قال من بنى آدم من ظهورهم ولم يقل من ظهر آدم ولا نالا ننكر ذلك فانى يصير حجة ذرياتهم مدنى و بصرى وشامى أن تقولوا أو تقولوا أبو عمرو (واتل عليهم) على اليهود (نبأ الذى آتيناه آياتنا) هو عالم من علماء بنى اسرائيل وقيل هو بلعم بن باعوراء أوتى علم بعض كتب الله (فانسلخ منها) فخرج من الآيات بان كفر بها ونبذها وراء ظهره (فأتبعه الشيطان) فلحقه الشيطان وأدركه وصار قرينا له (فكان من الغاوين) فصار من الضالين الكافرين روى ان قومه طلبوا منه ان يدعو على موسى ومن معه فابى فلم يزالوا به حتى فعل وكان عنده اسم الله الاعظم (ولو شئنا لرفعناه) الى منازل الابرار من العلماء (بها) بتلك الآيات (ولكنه أخلد الى الارض) مال الى الدنيا ورغب فيها (واتبع هواه) فى ايثار الدنيا ولذاتها على الآخرة ونعيمها (فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه) أى تزجره وتطرده (يلهث أو تتركه) غير مطرود (يلهث) والمعنى فصفته التى هى مثل فى الخسة والضعة كصفة الكلب فى أخس أحواله وأذلها وهى حال دوام اللهث به سواء حمل عليه أى شد عليه وهيج فطرد أو ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك ان سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا حرك أما الكلب فيلهث فى الحالين فكان مقتضى الكلام ان يقال ولكنه أخلد الى الارض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع هذا التمثيل موضع فحططناه أبلغ حط ومحل الجملة الشرطية النصب على الحال كأنه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا فى الحالين وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب وقيل معناه هو ضال وعظ أو ترك وعن عطاء من علم ولم يعمل فهو كالكلب ينبح ان طرد أو ترك (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) من اليهود بعد ما قرؤا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه و بشروا الناس باقتراب مبعثه (فاقصص القصص) أى قصص بلعم الذى هو نحو قصصهم (لعلهم يتفكرون) فيحذرون

مثل عاقبته اذا سار وانحوس سيرته (ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا) أي مثل القوم فحذف المضاف وفاعل ساء مضمر أي ساء المثل مثلا وانتصاب مثلا على التمييز (وأنفسهم كانوا يظلمون) معطوف على كذبوا فيدخل في حيز الصلة أي الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم أو منقطع عن الصلة أي وما ظلموا الا أنفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص أي وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعد الى غيرها (من يهد الله فهو المهتدى) حمل على اللفظ (ومن يضلل) أي ومن يضلله (فأولئك هم الخاسرون) حمل على المعنى ولو كان الهدى من الله البيان كما قالت المعتزلة لاستوى الكافر والمؤمن اذ البيان ثابت في حق الفريقين فدل انه من الله تعالى التوفيق والعصمة والمعونة ولو كان ذلك للكافر لاهتدى كما اهتدى المؤمن (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس) هم الكفار من الفريقين المعرضون عن تدبر آيات الله والله تعالى علم منهم اختيار الكفر فشاء منهم الكفر وخلق فيهم ذلك وجعل مصيرهم جهنم لذلك ولا تنافي بين هذا وبين قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لانه انما خلق منهم للعبادة من علم انه يعبده وأما من علم انه يكفر به فانما خلقه لما علم انه يكون منه فالحاصل ان من علم منه في الازل انه يكون منه العبادة خلقه للعبادة ومن علم منه أن يكون منه الكفر خلقه لذلك وكم من عام يراد به الخصوص وقول المعتزلة بان هذه لام العاقبة أي لما كان عاقبتهم جهنم جعل كأنهم خلقوا لها فرارا عن ارادة المعاصي عدول عن الظاهر (لهم قلوب لا يفقهون بها) الحق ولا يتفكرون فيه (ولهم أعين لا يبصرون بها) الرشد (ولهم آذان لا يسمعون بها) الوعظ (أولئك كالانعام) في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتفكر (بل هم أضل) من الانعام لانهم كابروا العقول وعاندوا الرسول وارتكبوا الفضول فالانعام تطلب منافعها وتهرب عن مضارها وهم لا يعلمون مضارهم حيث اختاروا النار وكيف يستوي المكلف المأمور والمخلي المعذور فالآدمي روحاني شهواني سماوي أرضي فان غلب روحه هواه فاق ملائكة السموات وان غلب هواه روحه فاقته بهائم الارض (أولئك هم الغافلون) الكاملون في الغفلة (ولله الاسماء الحسنى) التي هي أحسن الاسماء لانها تدل على معان حسنة فمنها ما يستحقه بحقائقه كالقديم قبل كل شيء والباقي بعد كل شيء والقادر على كل شيء والعالم بكل شيء والواحد الذي ليس كمثله شيء ومنها ما تستحسنه الانفس لآثارها كالغفور والرحيم والشكور والحليم ومنها ما يوجب التخلق به كالفضل والعفو ومنها ما يوجب مراقبة الاحوال كالسميع والبصير والمقتدر ومنها ما يوجب الاجلال كالعظيم والجبار والمتكبر (فادعوه بها) فسموه بتلك الاسماء (وذروا الذين يلحدون في أسمائه) واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الاسماء الحسنى وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه نحو أن يقولوا يا سخي يا رفيق لانه لم يسم نفسه بذلك ومن الالحاد تسميته بالجسم والجوهر والعقل والعلة يلحدون حمزة لحد وألحد مال (سيجزون ما كانوا يعملون وممن خلقنا) للجنة لانه في مقابلة ولقد ذرأنا لجهنم (أمة يهدون بالحق وبه يعدلون)

في أحكامهم قيل هم العلماء والدعاة الى الدين وفيه دلالة على ان اجماع كل عصر حجة (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم) سنستدنيهم قليلا قليلا الى مايهلكهم (من حيث لا يعلمون) مايراد بهم وذلك ان يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد الله عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين أن ترادف النعم أثرة من الله تعالى وتقريب وانما هو خذلان منه وتبعيد وهو استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد والاستنزال درجة بعد درجة (وأملي لهم) عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين أي أمهلهم (ان كيدي متين) أخذي شديد سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان ولما نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم الى الجنون نزل (أولم يتفكروا ما بصاحبهم) محمد عليه السلام وما نافية بعد وقف أي أولم يتفكروا في قولهم ثم نفى عنه الجنون بقوله ما بصاحبهم (من جنة) جنون (ان هو الا نذير مبين) منذر من الله موضح انذاره (أولم ينظروا) نظر استدلال (في ملكوت السموات والارض) الملكوت الملك العظيم (وما خلق الله من شئ) وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشئ من أجناس لا يحصرها العدد (وأن عسى) ان مخففة من الثقيلة وأصله وأنه عسى والضمير ضمير الشأن وهو في موضع الجر بالعطف على ملكوت والمعنى أولم ينظروا في ان الشان والحديث عسى (أن يكون قد اقترب أجلهم) ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا الى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مفاجأة الاجل وحلول العقاب (فبأي حديث بعده) بعد القرآن (يؤمنون) اذا لم يؤمنوا به وهو متعلق بعسى أن يكون قد اقترب أجلهم كانه قيل لعل أجلهم قد اقترب فمالهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا به (من يضلل الله فلا هادي له) أي يضلله الله (ويذرهم) بالياء عراقي وبالجزم حمزة وعلي عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله لا يهده أحد ويذرهم والرفع على الاستئناف أي وهو يذرهم الباقون بالنون (في طغيانهم) كفرهم (يعمهون) يتحيرون ولما سألت اليهود أو قريش عن الساعة متى تكون نزل (يسألونك عن الساعة) وهي من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو لانها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق (أيان) متى واشتقاقه من أي فعلان منه لان معناه أي وقت (مرساها) ارساؤها مصدر مثل المدخل بمعنى الادخال أو وقت ارسائها أي اثباتها والمعنى متى يرسيها الله (قل انما علمها عند ربي) أي علم وقت ارسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به أحدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل ليكون ذلك ادعى الى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أخفى الاجل الخاص وهو وقت الموت لذلك (لا يجليها لوقتها الا هو) لا يظهر أمرها ولا يكشف خفاء علمها الا هو وحده (ثقلت في السموات والارض) أي كل من أهلها من الملائكة والثقلين أهمه شأن الساعة ويتمنى أن يتجلى له علمها ويشق عليه

خفاؤها وثقل عليه أوثقلت فيها لان أهلها يخافون شدائدها وأهوالها (لاتأتيكم الابغتة) فجأة على غفلة منكم (يسئلونك كانك حفي عنها) كانك عالم بها وحقيقته كانك بليغ في السؤال عنها لان من بالغ في المسئلة عن الشيء والتنقير عنه استحكم علمه فيها وأصل هذا التركيب المبالغة ومنه احفاء الشارب أوعنها متعلق بيسئلونك أي يسئلونك عنها كانك حفي أي عالم بها (قل انما علمها عند الله) وكرر يسئلونك وانما علمها عند الله للتأكيد ولزيادة كانك حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء في كتبهم لايخلون المكرر من فائدة منهم محمد بن الحسن رحمه الله (ولكن أكثر الناس لايعلمون) أنه المختص بالعلم بها (قل لاأملك لنفسي نفعا ولاضرا الاماشاء الله) هو اظهار للعبودية وبراءة عما يختص بالربوبية من علم الغيب أي أنا عبد ضعيف لاأملك لنفسي اجتلاب نفع ولادفع ضرر كالمماليك الاماشاء مالكي من النفع لي والدفع عني (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسني السوء) أي لكانت حالي على خلاف ماهي عليه من استكثار الخير واجتناب السوء والمضار حتى لايمسني شيء منها ولم أكن غالبا مرة ومغلوبا أخرى في الحروب وقيل الغيب الاجل والخير العمل والسوء الوجل وقيل لاستكثرت لاعتددت من الخصب للجدب والسوء الفقر وقدرد (ان أنا الانذير وبشير) ان أنا الاعبد أرسلت نذيرا وبشيرا ومامن شأني ان أعلم الغيب واللام في (لقوم يؤمنون) يتعلق بالنذير والبشير لان النذارة والبشارة انما ينفعان فيهم أو بالبشير وحده والمتعلق بالنذير محذوف أي الانذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) هي نفس آدم عليه السلام (وجعل منها زوجها) حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من أضلاعه (ليسكن اليها) ليطمئن ويميل لان الجنس الى الجنس أميل خصوصا اذا كان بعضا منه كما يسكن الانسان الى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وذكر ليسكن بعد ماأنث في قوله واحدة وخلق منها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبين ان المراد بها آدم (فلماتغشاها) جامعها (حملت حملا خفيفا) خف عليها ولم تلق منه مايلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه (فمرت به) فمضت به الى وقت ميلاده من غير اخداج ولاازلاق أو حملت حملا خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت (فلما أثقلت) حان وقت ثقل حملها (دعوا الله ربهما) دعا آدم وحواء ربهما ومالك أمرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجأ اليه فقالا (لئن آتيتنا صالحا) لئن وهبت لنا ولدا سويا قد صلح بدنه أوولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح (لنكونن من الشاكرين) لك والضمير في آتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما (فلما آتاهما صالحا) أعطاهما ماطلباه من الولد الصالح السوي (جعلا له شركاء) أي جعل أولادهما له شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك (فيما آتاهما) أي آتى أولادهما دليله (فتعالى الله عما يشركون) حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد

شمس ونحو ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم أو يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي أي هو الذي خلقكم من نفس واحدة قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار والضمير في أيشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك شركا مدني وأبو بكر أي ذوي شرك وهم الشركاء (أيشركون مالا يخلق شيأ) يعني الاصنام (وهم يخلقون) أجريت الاصنام مجرى أولي العلم بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى أيشركون مالا يقدر على خلق شيء وهم يخلقون لان الله خالقهم أو الضمير في وهم يخلقون للعابدين أي أيشركون مالا يخلق شيأ وهم مخلوقو الله فليعبدوا خالقهم أو للعابدين والمعبودين وجمعهم كأولي العلم تغليبا للعابدين (ولا يستطيعون لهم) لعبدتهم (نصرا ولا أنفسهم ينصرون) فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث كالكسر وغيره بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم (وان تدعوهم) وان تدعوا هذه الاصنام (الى الهدى) الى ما هو هدى ورشاد والى أن يهدوكم أي وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى (لا يتبعوكم) الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله لا يتبعوكم نافع (سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون) عن دعائهم في أنه لا فلاح معهم ولا يجيبونكم والعدول عن الجملة الفعلية الى الاسمية لرؤس الآي (ان الذين تدعون من دون الله) أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة (عباد أمثالكم) أي مخلوقون مملوكون أمثالكم (فادعوهم) لجلب نفع أو دفع ضر (فليستجيبوا لكم) فليجيبوا (ان كنتم صادقين) في انهم آلهة ثم أبطل أن يكونوا عبادا أمثالهم فقال (ألهم أرجل يمشون بها) مشيكم (أم لهم أيد يبطشون بها) يتناولون بها (أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها) أي فلم تعبدون ما هو دونكم (قل ادعوا شركاءكم) واستعينوا بهم في عداوتي (ثم كيدون) جميعا أنتم وشركاؤكم وبالياء يعقوب وافقه أبو عمرو في الوصل (فلا تنظرون) فاني لا أبالي بكم وكانوا قد خوفوه آلهتهم فأمر أن يخاطبهم بذلك وبالياء يعقوب (ان وليي) ناصري عليكم (الله الذي نزل الكتاب) أوحى الي وأعزني برسالته (وهو يتولى الصالحين) ومن سنته أن ينصر الصالحين من عباده ولا يخذلهم (والذين تدعون من دونه) من دون الله (لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك) يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا أصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه (وهم لا يبصرون) المرئي (خذ العفو) هو ضد الجهد أي ما عفا لك من أخلاق الناس وأفعالهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام يسروا ولا تعسروا (وأمر بالعرف) بالمعروف والجميل من الافعال أو هو كل خصلة يرتضيها العقل ويقبلها الشرع (وأعرض عن الجاهلين) ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عليهم وفسرها جبريل

عليه السلام بقوله صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك وعن الصادق أمر الله نبيه عليه السلام بمكارم الاخلاق وليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الاخلاق منها (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) واما ينخسنك منه نخس أى بان يحملك بوسوسته على خلاف ماأمرت به (فاستعذ بالله) ولا تطعه والنزغ النخس كانه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصى وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده أو أريد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول أبى بكر رضى الله عنه ان لى شيطانا يعتريني (انه سميع) لنزغه (عليم) بدفعه (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان) طيف مكى و بصرى وعلى أى لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا وعن أبى عمرو هما واحد وهى الوسوسة وهذا تأكيد لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان عادة المتقين اذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان والمام بوسوسته (تذكروا) ما أمر الله به ونهى عنه (فاذاهم مبصرون) فابصروا السداد ودفعوا وسوسته وحقيقته أن يفروا منه الى الله فيزدادوا بصيرة من الله بالله (واخوانهم) وأما اخوان الشياطين من شياطين الانس فان الشياطين (يمدونهم فى الغى) أى يكونون مددا لهم فيه و يعضدونهم يمدونهم من الامداد مدنى (ثم لا يقصرون) ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وجاز أن يراد بالاخوان الشياطين و يرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين والاول أوجه لان اخوانهم فى مقابلة الذين اتقوا وانما جمع الضمير فى اخوانهم والشيطان مفرد لان المراد به الجنس (واذا لم تأتهم بآية) مقترحة (قالوا لولا اجتبيتها) هلا اخترتها أى اختلقتها كما اختلقت ماقبلها (قل انما أتبع مايوحى الى من ربى) ولست بمقترح لها (هذا بصائر من ربكم) هذا القرآن دلائل تبصركم وجوه الحق (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) به (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن فى الصلاة وغيرها وقيل معناه اذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضى الله عنهم على انه فى استماع المؤتم وقيل فى استماع الخطبة وقيل فيهما وهو الاصح (واذكر ربك فى نفسك) هو عام فى الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك (تضرعا وخيفة) متضرعا وخائفا (ودون الجهر من القول) ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء أدخل فى الاخلاص وأقرب الى حسن التفكر (بالغدو والآصال) لفضل هذين الوقتين وقيل المراد ادامة الذكر باستقامة الفكر ومعنى بالغدو باوقات الغدو وهى الغدوات والآصال جمع أصل والاصل جمع أصيل وهو العشى (ولا تكن من الغافلين) من الذين يغفلون عن ذكر الله و يلهون عنه (ان الذين عند ربك) مكانة ومنزلة لا مكانا ومنزلا يعنى الملائكة (لا يستكبرون عن عبادته) لا يتعظمون عنها (و يسبحونه) و ينزهونه عما لا يليق به (وله يسجدون) و يختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره والله أعلم

﴿ سورة الانفال مدنية وهى خمس أوست أوسبع وسبعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول) النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطائه والانفال الغنائم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين فى غنائم بدر وفى قسمتها فسألوا رسول الله كيف تقسم ولمن الحكم فى قسمتها المهاجرين أم للانصار أم لهم جميعا فقيل له قل لهم هى لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها مايشاء ليس لاحد غيره فيها حكم ومعنى الجمع بين ذكر الله والرسول أن حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ماتقتضيه حكمته ويمتثل الرسول أمر الله فيها وليس الامر فى قسمتها مفوضا الى رأى أحد (فاتقوا الله) فى الاختلاف والتخاصم وكونوا متآخين فى الله (وأصلحوا ذات بينكم) أحوال بينكم يعنى مابينكم من الاحوال حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق وقال الزجاج معنى ذات بينكم حقيقة وصلكم والبين الوصل أى فاتقوا الله وكونوا مجتمعين على ما أمر الله ورسوله به قال عبادة بن الصامت رضى الله عنه نزلت فينا يامعشر أصحاب بدر حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء (وأطيعوا الله ورسوله) فيما أمرتم به فى الغنائم وغيرها (ان كنتم مؤمنين) كاملى الايمان (انما المؤمنون) انما الكاملون الايمان (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزه وسلطانه (واذا تليت عليهم آياته) أى القرآن (زادتهم ايمانا) ازدادوا بها يقينا وطمأنينة لان تظاهر الادلة أقوى للمدلول عليه وأثبت لقدمه أو زادتهم ايمانا بتلك الآيات لانهم لم يؤمنوا بأحكامها قبل (وعلى ربهم يتوكلون) يعتمدون ولا يفوضون أمورهم الى غير ربهم لايخشون ولا يرجون الا اياه (الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون) جمع بين أعمال القلوب من الوجل والاخلاص والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة (أولئك هم المؤمنون حقا) هو صفة لمصدر محذوف أى أولئك هم المؤمنون ايمانا حقا أو هو مصدر مؤكد للجملة التى هى أولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا أى حق ذلك حقا وعن الحسن رحمه الله ان رجلا سأله أمؤمن أنت قال ان كنت تسألنى عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسألنى عن قوله انما المؤمنون الآية فلا أدرى أنا منهم أم لا وعن الثورى من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية أى كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بأنه مؤمن حقا وبهذا يتشبث من يقول أنا مؤمن ان شاء الله وكان أبو حنيفة رحمه الله لا يقول ذلك وقال لقتادة لم تستثنى فى ايمانك قال اتباعا لابراهيم فى قوله والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين فقال له هلا اقتديت به فى قوله أولم تؤمن قال بلى

وعن ابراهيم التيمى قل أنا مؤمن حقا فان صدقت أثبت عليه وان كذبت فكفرك أشد من كذبك وعن ابن عباس رضى الله عنهما من لم يكن منافقا فهو مؤمن حقا وقد احتج عبد الله على أحمد فقال ايش اسمك فقال أحمد فقال أتقول أنا أحمد حقا أو أنا أحمد ان شاء الله فقال أنا أحمد حقا فقال حيث سماك والداك لا تستثنى وقد سماك الله فى القرآن مؤمنا تستثنى (لهم درجات) مراتب بعضها فوق بعض على قدر الاعمال (عند ربهم ومغفرة) وتجاوز لسيآتهم (ورزق كريم) صاف عن كد الاكتساب وخوف الحساب الكاف فى (كما أخرجك ربك) فى محل النصب على انه صفة لمصدر الفعل المقدر والتقدير قل الانفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون (من بيتك) يريد بيته بالمدينة أو المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهى فى اختصاصها كاختصاص البيت لساكنه (بالحق) اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) فى موضع الحال أى أخرجك فى حال كراهتهم وذلك ان عير قريش أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سفيان فأخبر جبريل النبى عليه السلام فأخبر أصحابه فأعجبهم تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا علمت قريش بذلك فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهو النفير فى المثل السائر لا فى العير ولا فى النفير فقيل له ان العير أخذت طريق الساحل ونجت فأبى وسار بمن معه الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما فى السنة ونزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال العير أحب اليكم أم النفير قالوا بل العير أحب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردّد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت الى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو امض لما أمرك الله فانا معك حيث أحببت لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سعد بن معاذ امض يا رسول الله لما أردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله أبشروا فان الله وعدنى احدى الطائفتين والله لكانى الآن أنظر الى مصارع القوم وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون قال الشيخ أبو منصور رحمه الله يحتمل أنهم منافقون كرهوا ذلك اعتقادا ويحتمل أن يكونوا مخلصين وأن يكون ذلك كراهة طبع لانهم غير متأهبين له (يجادلونك فى الحق) الحق

الذى

الذى جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقى النفير لايثاره عليه تلقى العير (بعد ماتبين) بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد وذلك لكراهتهم القتال (كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) شبه حالهم فى فرط فزعهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل و يساق على الصغار الى الموت وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين) اذ منصوب باذكر واحدى مفعول ثان (أنها لكم) بدل من احدى الطائفتين وهما العير والنفير والتقدير واذ يعدكم الله أن احدى الطائفتين لكم (وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) أى العير وذات الشوكة ذات السلاح والشوكة كانت فى النفير لعددهم وعدتهم أى تتمنون أن تكون لكم العير لانها الطائفة التى لا سلاح لها ولا تريدون الطائفة الاخرى (ويريد الله أن يحق الحق) أى يثبته و يعليه (بكلماته) بآياته المنزلة فى محاربة ذات الشوكة و بما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة و بما قضى من قتلهم وطرحهم فى قليب بدر (ويقطع دابر الكافرين) آخرهم والدابر الآخر فاعل من دبر اذا أدبر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعنى انكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الامور والله تعالى يريد معالى الامور ونصرة الحق وعلو الكلمة وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وأعزكم وأذلهم (ليحق الحق) متعلق بيقطع أو بمحذوف تقديره ليحق الحق (ويبطل الباطل) فعل ذلك والمقدر متأخر ليفيد الاختصاص أى ما فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه وليس هذا بتكرار لان الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لمراده فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها (ولو كره المجرمون) المشركون ذلك (اذ تستغيثون ربكم) بدل من اذ يعدكم أو متعلق بقوله ليحق الحق و يبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا أنه لابد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون أى ربنا انصرنا على عدوك ياغياث المستغيثين أغثنا وهى طلب الغوث وهو التخليص من المكروه (فاستجاب لكم) فأجاب وأصل (أنى ممدكم) بأنى ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله (بألف من الملائكة مردفين) مدنى غيره بكسر الدال وفتحها فالكسر على أنهم أردفوا غيرهم والفتح على أنه أردف كل ملك ملكا آخر يقال ردفه اذا تبعه وأردفته اياه اذا اتبعته (وما جعله الله) أى الامداد الذى دل عليه ممدكم (الا بشرى) الا بشارة لكم بالنصر (ولتطمئن به قلوبكم) يعنى انكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم و ربطا على قلوبكم (وما النصر الا من عند الله) أى ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة أو وما النصر من الملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله واختلف فى قتال

الملائكة يوم بدر فقيل نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر رضي الله عنه وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي رضي الله عنه في صورة الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوا أذنابها بين أكتافهم فقاتلت حتى قال أبو جهل لابن مسعود من أين كان يأتينا الضرب ولا نرى الشخص قال من قبل الملائكة قال فهم غلبونا لا أنتم وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف في اهلاك أهل الدنيا (ان الله عزيز) بنصر أوليائه (حكيم) بقهر أعدائه (اذ يغشاكم) بدل ثان من اذ يعدكم أو منصوب بالنصر أو باضمار اذكر يغشيكم مدني (النعاس) النوم والفاعل هو الله على القراءتين يغشاكم النعاس مكي وأبو عمرو (أمنة) مفعول له أي اذ تنعسون أمنة بمعنى أمنا أي لا منكم أو مصدر أي فامنتم أمنة فالنوم يزيح الرعب ويريح النفس (منه) صفة لها أي أمنة حاصلة لكم من الله (وينزل) بالتخفيف مكي وبصري وبالتشديد غيرهم (عليكم من السماء ماء) مطرا (ليطهركم به) بالماء من الحدث والجنابة (ويذهب عنكم رجز الشيطان) وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش أو الجنابة من الاحتلام لانه من الشيطان وقد وسوس اليهم ان لا نصرة مع الجنابة (وليربط على قلوبكم) بالصبر (ويثبت به الاقدام) أي بالماء اذ الاقدام كانت تسوخ في الرمل أو بالربط لان القلب اذا تمكن فيه الصبر يثبت القدم في مواطن القتال (اذ يوحي) بدل ثالث من اذ يعدكم أو منصوب بيثبت (ربك الى الملائكة أني معكم) بالنصر (فثبتوا الذين آمنوا) بالبشرى وكان الملك يسير امام الصف في صورة رجل ويقول أبشروا فان الله ناصركم (سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) هو امتلاء القلب من الخوف والرعب شامي وعلي (فاضربوا) أمر للمؤمنين أو للملائكة وفيه دليل على أنهم قاتلوا (فوق الاعناق) أي أعالي الاعناق التي هي المذابح تطييرا للرؤس أو أراد الرؤس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام (واضربوا منهم كل بنان) هي الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما أن يقع على مقتل أو غير مقتل فامرهم أن يجمعوا عليهم النوعين (ذلك) اشارة الى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل وهو مبتدأ خبره (بانهم شاقوا الله ورسوله) أي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم أي مخالفتهم وهي مشتقة من الشق لان كلا المتعادين في شق خلاف شق صاحبه وكذا المعاداة والمخاصمة لان هذا في عدوة وخصم أي جانب وذا في عدوة وخصم (ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) والكاف في ذلك لخطاب الرسول أو لكل أحد وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع على ذلكم العقاب أو العقاب (ذلكم فذوقوه) والواو في (وأن للكافرين عذاب النار) بمعنى مع أي ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا) حال من الذين كفروا والزحف الجيش الذي يرى لكثرته كانه يزحف أي يدب

دبيبا من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا سمى بالمصدر (فلا تولوهم الادبار) فلا تنصرفوا عنهم منهزمين أى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير وأنتم قليل فلا تفروا فضلا أن تدانوهم فى العدد أو تساووهم أو حال من المؤمنين أو من الفريقين أى اذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم (ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا) مائلا (لقتال) هو الكر بعد الفر يخيل عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه وهو من خدع الحرب (أو متحيزا) منضما (الى فئة) الى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التى هو فيها وهما حالان من ضمير الفاعل فى يولهم (فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز ولما كسروا أهل مكة وقتلوا وأسروا وكان القاتل منهم يقول تفاخرا قتلت وأسرت قيل لهم (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) والفاء جواب لشرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ولما قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم خذ قبضة من تراب فارمهم بها فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا قيل (وما رميت) يا محمد (اذ رميت ولكن الله رمى) يعني ان الرمية التى رميتها أنت لم ترمها أنت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ أثرها الا ما يبلغه أثر رمى البشر ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الاثر العظيم وفى الآية بيان ان فعل العبد مضاف اليه كسبا والى الله تعالى خلقا لا كما تقول الجبرية والمعتزلة لانه أثبت الفعل من العبد بقوله اذ رميت ثم نفاه عنه وأثبته لله تعالى بقوله ولكن الله رمى ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن شامى وحمزة وعلى (وليبلى المؤمنين) وليعطيهم (منه بلاء حسنا) عطاء جميلا والمعنى وللاحسان الى المؤمنين فعل مافعل وما فعل الا لذلك (ان الله سميع) لدعائهم (عليم) باحوالهم (ذلكم) اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع أى الامر ذلكم (وان الله موهن كيد الكافرين) معطوف على ذلكم أى المراد ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين موهن كيد شامى وكوفى غير حفص موهن كيد حفص موهن غيرهم (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) ان تستنصروا فقد جاءكم النصر عليكم وهو خطاب لاهل مكة لانهم حين أرادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على الحق فانصرنا وقيل ان تستفتحوا خطاب للمؤمنين وان تنتهوا للكافرين أى (وان تنتهوا) عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فهو) أى الانتهاء (خير لكم) وأسلم (وان تعودوا) لمحاربته (نعد) لنصرته عليكم (ولن تغنى عنكم فئتكم) جمعكم (شيأ ولو كثرت) عددا (وان الله مع المؤمنين) بالفتح مدنى وشامى وحفص أى ولان الله مع المؤمنين بالنصر كان ذلك وبالكسر غيرهم ويؤيده قراءة عبد الله وان الله مع المؤمنين (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لان المعنى وأطيعوا الله ورسول الله كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع

الرسول فقد أطاع الله فكان رجوع الضمير الى أحدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان او يرجع الضمير الى الامر بالطاعة أي ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وأصله ولا تتولوا فحذف احدى التاءين تخفيفا (وأنتم تسمعون) أي وأنتم تسمعونه أو ولا تتولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تخالفوه وأنتم تسمعون أي تصدقون لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا) أي ادعوا السماع وهم المنافقون وأهل الكتاب (وهم لا يسمعون) لانهم ليسوا بمصدقين فكأنهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها أشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) أي ان شر من يدب على وجه الارض البهائم وان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها لانهم عاندوا بعد الفهم وكابروا بعد العقل (ولو علم الله فيهم) في هؤلاء الصم البكم (خيرا) صدقا ورغبة (لاسمعهم) لجعلهم سامعين حتى يسمعوا سماع المصدقين (ولو أسمعهم لتولوا) عنه أي ولو أسمعهم وصدقوا لارتدوا بعد ذلك ولم يستقيموا (وهم معرضون) عن الايمان (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم) وحد الضمير أيضا كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كاستجابته والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض (لما يحييكم) من علوم الديانات والشرائع لان العلم حياة كما أن الجهل موت قال الشاعر

لا تعجبن الجهول حلته * فذاك ميت وثوبه كفن

أو لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم أو للشهادة لقوله تعالى بل أحياء عند ربهم (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) أي يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب فاغتنموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله أو بينه وبين ما تمناه بقلبه من طول الحياة فيفسخ عزائمه (وانه اليه تحشرون) واعلموا انكم اليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة (واتقوا فتنة) عذابا (لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) هو جواب للامر أي ان أصابتكم لا تصب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وجاز أن تدخل النون المؤكدة في جواب الامر لان فيه معنى النهي كما اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك وجاز لا تطرحنك ومن في منكم للتبعيض (واعلموا أن الله شديد العقاب) اذا عاقب (واذكروا اذ أنتم قليل) اذ مفعول به لا ظرف أي واذكروا وقت كونكم أقلة أذلة (مستضعفون في الارض) أرض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش (تخافون أن يتخطفكم الناس) لان الناس كانوا لهم أعداء مضادين (فآواكم) الى المدينة (وأيدكم بنصره) بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) من الغنائم ولم تحل لاحد قبلكم

(لعلكم

(لعلكم تشكرون) هذه النعم (ياأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله) بأن تعطلوا فرائضه (والرسول) بأن لاتستنوا به (وتخونوا) جزم عطف على لاتخونوا أى ولاتخونوا (أماناتكم) فيما بينكم بأن لاتحفظوها (وأنتم تعلمون) تبعة ذلك ووباله أو وأنتم تعلمون انكم تخونون يعنى ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لاعن سهو أو وأنتم علماء تعلمون حسن الحسن وقبح القبيح ومعنى الخون النقص كما ان معنى الايفاء التمام ومنه تخوّنه اذا انتقصه ثم استعمل فى ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل فى شىء فقد أدخلت عليه النقصان فيه (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة) أى سبب الوقوع فى الفتنة وهى الاثم والعذاب أو محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده (وأن الله عنده أجر عظيم) فعليكم أن تحرصوا على طلب ذلك وتزهدوا فى الدنيا ولاتحرصوا على جمع المال وحب الولد (ياأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز أهله أو بيانا وظهورا يشهر أمركم ويثبت صيتكم وآثاركم فى أقطار الارض من قولهم سطع الفرقان أى طلع الفجر أو مخرجا من الشبهات وشرحا للصدور أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الاديان وفضلا ومزية فى الدنيا والآخرة (ويكفر عنكم سيآتكم) أى الصغائر (ويغفر لكم) ذنوبكم أى الكبائر (والله ذو الفضل العظيم) على عباده (واذ يمكر بك الذين كفروا) لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله فى نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك وذلك ان قريشا لما أسلمت الانصار فرقوا(٣) أن يتفاقم أمره فاجتمعوا فى دار الندوة متشاورين فى أمره فدخل عليهم ابليس فى صورة شيخ وقال أنا شيخ من نجد دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا فقال أبو البخترى رأيى أن تحبسوه فى بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيى أن تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ماصنع واسترحتم فقال ابليس بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل لعنه الله أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل فلايقوى بنوهاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال اللعين صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا فتفرقوا على رأى أبى جهل مجتمعين على قتله فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره ان لايبيت فى مضجعه وأذن له الله فى الهجرة فأمر عليا فنام فى مضجعه وقال له اتشح ببردتى فانه لن يخلص اليك أمر تكرهه وباتوا مترصدين فلما أصبحوا ثاروا الى مضجعه فأبصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتفوا أثره فأبطل الله مكرهم (ليثبتوك) ليحبسوك ويوثقوك (أو يقتلوك) بسيوفهم (أو يخرجوك) من مكة (ويمكرون) ويخفون

(٣) الفرق الخوف وقد فرق منه من باب طرب اهـ مختار

المكايد له (ويمكر الله) ويخفي الله ما أعد لهم حتى يأتيهم بغتة (والله خير الماكرين) أي مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيرا كان عليه السلام يقرأ القرآن ويذكر أخبار القرون الماضية في قراءته فقال النضر بن الحرث لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم وأحاديث العجم فنزل (واذا تتلى عليهم آياتنا) أي القرآن (قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين) وهذا صلف منهم ووقاحة لانهم دعوا الى أن يأتوا بسورة واحدة من مثل هذا القرآن فلم يأتوا به (واذ قالوا اللهم ان كان هذا) أي القرآن (هو الحق من عندك) هذا اسم كان وهو فصل والحق خبر كان روى ان النضر لما قال ان هذا الا أساطير الاولين قال له النبي عليه السلام ويلك هذا كلام الله فرفع النضر رأسه الى السماء وقال ان كان هذا هو الحق من عندك (فامطر علينا حجارة من السماء) أي ان كان القرآن هو الحق فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل (أو ائتنا بعذاب أليم) بنوع آخر من جنس العذاب الاليم فقتل يوم بدر صبرا وعن معاوية انه قال لرجل من سبا ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال أجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله عليه السلام حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) اللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم لانك بعثت رحمة للعالمين وسنته أن لا يعذب قوما عذاب استئصال ما دام نبيهم بين أظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر عنهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) هو في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم أي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم أو معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين (ومالهم ألا يعذبهم الله) أي وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم ومالهم ألا يعذبهم الله (وهم يصدون عن المسجد الحرام) وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية واخراجهم رسول الله والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء فقيل (وما كانوا أولياءه) وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاة أمر الحرم (ان أولياؤه الا المتقون) من المسلمين وقيل الضميران راجعان الى الله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك كأنه استثنى من كان يعلم وهو يعاند أو أراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم (وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء) صفيرا كصوت المكاء وهو طائر مليح الصوت وهو فعال من مكا يمكو اذا صفر (وتصدية) وتصفيقا تفعلة من الصدى وذلك انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته يخلطون

عليه

عليه (فذوقوا العذاب) عذاب القتل والاسر يوم بدر (بما كنتم تكفرون) بسبب كفركم ونزل فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا وكلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) أى كان غرضهم فى الانفاق الصد عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وهو سبيل الله (فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة) ثم تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكان ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة (ثم يغلبون) آخر الامر وهو من دلائل النبوة لانه أخبر عنه قبل وقوعه فكان كما أخبر (والذين كفروا) والكافرون منهم (الى جهنم يحشرون) لان منهم من أسلم وحسن اسلامه واللام فى (ليميز الله الخبيث) الفريق الخبيث من الكفار (من الطيب) أى من الفريق الطيب من المؤمنين متعلقة بيحشرون ليميز حمزة وعلى (ويجعل الخبيث) الفريق الخبيث (بعضه على بعض فيركمه جميعا) فيجمعه (فيجعله فى جهنم) أى الفريق الخبيث (أولئك) اشارة الى الفريق الخبيث (هم الخاسرون) أنفسهم وأموالهم (قل للذين كفروا) أى أبى سفيان وأصحابه (ان ينتهوا) عما هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول فى الاسلام (يغفر لهم ما قد سلف) لهم من العداوة (وان يعودوا) لقتاله (فقد مضت سنت الاولين) بالاهلاك فى الدنيا والعذاب فى العقبى أو معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر وأسلموا غفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصى وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله فى ان المرتد اذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) الى أن لا يوجد فيهم شرك قط (ويكون الدين كله لله) ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده (فان انتهوا) عن الكفر وأسلموا (فان الله بما يعملون بصير) يثيبهم على اسلامهم (وان تولوا) أعرضوا عن الايمان ولم ينتهوا (فاعلموا أن الله مولاكم) ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته (نعم المولى) لا يضيع من تولاه (ونعم النصير) لا يغلب من نصره والمخصوص بالمدح محذوف (واعلموا أن ما غنمتم) ما بمعنى الذى ولا يجوز أن يكتب الا مفصولا اذ لو كتب موصولا لوجب أن تكون ما كافة وغنمتم صلته والعائد محذوف والتقدير الذى غنمتموه (من شئ) بيانه قيل حتى الخيط والمخيط (فأن لله خمسه) والفاء انما دخلت لما فى الذى من معنى المجازاة وان وما عملت فيه فى موضع رفع على أنه خبر مبتدا تقديره فالحكم أن لله خمسه (وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) فالخمس كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم على خمسة أسهم سهم لرسول الله وسهم لذوى قرابته من بنى هاشم وبنى المطلب دون بنى عبد شمس وبنى نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة لقصة عثمان وجبير بن مطعم وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل وأما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوى القربى وانما يعطون لفقرهم ولا يعطى أغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه

كان على سنة لله والرسول سهمان وسهم لاقاربه فاجرى أبو بكر رضي الله عنه الخمس على ثلاثة وكذا عمر ومن بعده من الخلفاء رضي الله عنهم ومعنى لله وللرسول لرسول الله كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه (ان كنتم آمنتم بالله) فاعملوا به وارضوا بهذه القسمة فالايمان يوجب الرضا بالحكم والعمل بالعلم (وما أنزلنا) معطوف على بالله أى ان كنتم آمنتم بالله و بالمنزل (على عبدنا يوم الفرقان) يوم بدر (يوم التقى الجمعان) الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما أنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ وهو بدل من يوم الفرقان (والله على كل شيء قدير) يقدر على ان ينصر القليل على الكثير كما فعل بكم يوم بدر (اذ أنتم) بدل من يوم الفرقان أو التقدير اذكروا اذ أنتم (بالعدوة) شط الوادى و بالكسر فيهما مكي وأبو عمرو (الدنيا) القربى الى جهة المدينة تأنيث الادنى (وهم بالعدوة القصوى) البعدى عن المدينة تأنيث الاقصى وكلتاهما فعلى من بنات الواو والقياس قلب الواو ياء كالعليا تأنيث الاعلى وأما القصوى فكالقود في مجيئه على الاصل (والركب) أى العير وهو جمع راكب في المعنى (أسفل منكم) نصب على الظرف أى مكانا أسفل من مكانكم يعني في أسفل الوادى بثلاثة أميال وهو مرفوع المحل لانه خبر المبتدا (ولو تواعدتم) أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال (لاختلفتم في الميعاد) لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له (ولكن) جمع بينكم بلا ميعاد (ليقضي الله أمرا كان مفعولا) من اعزاز دينه واعلاء كلمته واللام تتعلق بمحذوف أى ليقضي الله أمرا كان ينبغي ان يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه دبر ذلك قال الشيخ أبو منصور رحمه الله القضاء يحتمل الحكم أى ليحكم ما قد علم انه يكون كائنا أو ليتم أمرا كان قد أراده وما أراد كونه فهو مفعول لا محالة وهو عز الاسلام وأهله وذل الكفر وحزبه و يتعلق بيقضي (ليهلك من هلك عن بينة و يحيى من حي عن بينة) حيي نافع وأبو عمرو فالادغام لالتقاء المثلين والاظهار لان حركة الثاني غير لازمة لانك تقول في المستقبل يحيا والادغام أكثر استعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام أى ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة و يصدر اسلام من أسلم أيضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذى يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان وقعة بدر من الآيات الواضحة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها ولهذا ذكر فيها مراكز الفريقين وان العير كانت أسفل منهم مع انهم قد علموا ذلك كله مشاهدة ليعلم الخلق أن النصر والغلبة لا تكون بالكثرة والاسباب بل بالله تعالى وذلك ان العدوة القصوى التي أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضا لا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار (٣) تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقة وكان العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم وعدتهم وقلة المسلمين وضعفهم ثم كان ما كان (وان الله لسميع) لاقوالهم (عليم) بكفر من

(٣) في القاموس الخبار كسحاب ما لان من الارض واسترخى

كفر وعقابه و بايمان من آمن وثوابه (اذ يريكهم الله) نصب باضمار اذكر أو هو متعلق بقوله لسميع عليم أى يعلم المصالح اذ يقللهم فى عينك (فى منامك قليلا) أى فى رؤياك وذلك ان الله تعالى أراه اياهم فى رؤياه قليلا فاخبر بذلك أصحابه فكان ذلك تشجيعا لهم على عدوهم (ولو أراكهم كثيرا لفشلتم) لجبنتم وهبتم الاقدام (ولتنازعتم فى الامر) أمر القتال وترددتم بين الثبات والفرار (ولكن الله سلم) عصم وأنعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف (انه عليم بذات الصدور) يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع (واذ يريكموهم) الضميران مفعولان أى واذ يبصركم اياهم (اذ التقيتم) وقت اللقاء (فى أعينكم قليلا) هو نصب على الحال وانما قللهم فى أعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود رضى الله عنه لقد قللوا فى أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبى أتراهم سبعين قال أراهم مائة وكانوا ألفا (ويقللكم فى أعينهم) حتى قال قائل منهم انما هم أكلة جزور وقيل قد قللهم فى أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيما بعده ليجترؤا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا ويجوز أن يبصر واالكثير قليلا بان يستر الله بعضهم بساتر أو يحدث فى عيونهم ما يستقلون به الكثير كما أحدث فى أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال مالى لا أرى هذين الديكين أربعة (ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور) فيحكم فيها بما يريد ترجع شامى وحمزة وعلى (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة) اذا حاربتم جماعة من الكفار وترك وصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم غالب للقتال (فاثبتوا) لقتالهم ولا تفروا (واذكروا الله كثيرا) فى مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم (لعلكم تفلحون) تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان على العبد ان لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلبا وأكثر ما يكون هما وان تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره (وأطيعوا الله ورسوله) فى الامر بالجهاد والثبات مع العدو وغيرهما (ولا تنازعوا فتفشلوا) فتجبنوا وهو منصوب باضمار ان ويدل عليه (وتذهب ريحكم) أى دولتكم يقال هبت رياح فلان اذا دانت له الدولة ونفذ أمره شبهت فى نفوذ أمرها وتمشيته بالريح وهبوبها وقيل لم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله وفى الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (واصبروا) فى القتال مع العدو وغيره (ان الله مع الصابرين) أى معينهم وحافظهم (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس) هم أهل مكة حين نفروا لحماية العير فاتاهم رسول أبى سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل وقال حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وننحر الجزور وتعزف علينا القيان ونطعم بها العرب فذلك بطرهم ورياؤهم الناس باطعامهم فوافوها فسقوا كؤس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم

أن يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين بأعمالهم وأن يكونوا من أهل التقوى والكآبة
والحزن من خشية الله مخلصين أعمالهم لله والبطر أن تشغله كثرة النعمة عن شكرها
(ويصدون عن سبيل الله) دين الله (والله بما يعملون محيط) عالم وهو وعيد (وإذ زين
لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس) واذكر إذ زين لهم الشيطان
أعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس إليهم أنهم لا يغلبون
وغالب مبني نحو لا رجل ولكم في موضع رفع خبر لا تقديره لا غالب كائن لكم (وإني جار
لكم) أي مجير لكم أوهمهم أن طاعة الشيطان مما يجيرهم (فلما تراءت الفئتان) فلما
تلاقى الفريقان (نكص) الشيطان هاربا (على عقبيه) أي رجع القهقرى (وقال
إني بريء منكم) أي رجعت عما ضمنت لكم من الأمان روي أن إبليس تمثل لهم في صورة
سراقة بن مالك بن جعشم في جند من الشياطين معه راية فلما رأى الملائكة تنزل نكص
فقال له الحرث بن هشام أتخذلنا في هذه الحالة فقال (إني أرى ما لا ترون) أي الملائكة
وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم
حتى بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان (إني أخاف الله) أي عقوبته
(والله شديد العقاب) اذكروا (إذ يقول المنافقون) بالمدينة (والذين في قلوبهم مرض)
هو من صفة المنافقين أو أريد والذين هم على حرف ليسوا بثابتي الأقدام في الإسلام
(غر هؤلاء دينهم) يعنون أن المسلمين اغتروا بدينهم فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر إلى زهاء
ألف ثم قال جوابا لهم (ومن يتوكل على الله) يكل إليه أمره (فإن الله عزيز) غالب يسلط
القليل الضعيف على الكثير القوي (حكيم) لا يسوي بين وليه وعدوه (ولو ترى) ولو عاينت
وشاهدت لأن لو ترد المضارع إلى معنى الماضي كما ترد الماضي إلى معنى الاستقبال (إذ) نصب
على الظرف (يتوفى الذين كفروا) بقبض أرواحهم (الملائكة) فاعل (يضربون)
حال منهم (وجوههم) إذا أقبلوا (وأدبارهم) ظهورهم وأستاههم إذا أدبروا أو وجوههم عند
الإقدام وأدبارهم عند الانهزام وقيل في يتوفى ضمير الله تعالى والملائكة مرفوعة بالابتداء
ويضربون خبر والأول الوجه لأن الكفار لا يستحقون أن يكون الله متوفيهم بلا واسطة دليله
قراءة ابن عامر تتوفى بالتاء (وذوقوا) ويقولون لهم ذوقوا معطوف على يضربون (عذاب
الحريق) أي مقدمة عذاب النار أو ذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به أو يقال لهم يوم القيامة
ذوقوا وجواب لو محذوف أي لرأيت أمرا فظيعا (ذلك بما قدمت أيديكم) أي كسبت وهو رد
على الجبرية وهو من كلام الله تعالى أو من كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت
خبره (وأن الله) عطف عليه أي ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم وبأن
الله (ليس بظلام للعبيد) لأن تعذيب الكفار من العدل وقيل ظلام للتكثير لأجل العبيد
أو لنفي أنواع الظلم الكاف في (كدأب آل فرعون) في محل الرفع أي دأب هؤلاء مثل
دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه أي داوموا عليه (والذين من قبلهم)

من قبل قريش اومن قبل آل فرعون (كفروا) تفسير لدأب آل فرعون (بآيات
الله فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوى شديد العقاب) والمعنى جروا على عادتهم فى التكذيب
فاجرى عليهم مثل ما فعل بهم فى التعذيب (ذلك) العذاب اوالانتقام (بان الله لم يك
مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم) بسبب ان الله لم يصح فى حكمته ان يغير
نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال نعم لم يكن لآل فرعون ومشركى مكة حال مرضية
فيغيروها الى حال مسخوطة لكن لما تغيرت الحال المرضية الى المسخوطة تغيرت الحال
المسخوطة الى أسخط منها وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة أصنام فلما بعث
اليهم بالآيات فكذبوه وسعوا فى اراقة دمه غيروا حالهم الى أسوأ مما كانت فغير الله ما أنعم به
عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب (وأن الله سميع) لما يقول مكذبو الرسل (عليم)
بما يفعلون (كدأب آل فرعون) تكرير للتأكيد اولان فى الاولى الاخذ بالذنوب بلا
بيان ذلك وهنا بين ان ذلك هو الاهلاك والاستئصال (والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم)
وفى قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق (فاهلكناهم بذنوبهم
وأغرقنا آل فرعون) بماء البحر (وكل) وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش (كانوا
ظالمين) أنفسهم بالكفر والمعاصى (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون)
اى أصروا على الكفر فلا يتوقع منهم الايمان (الذين عاهدت منهم) بدل من الذين كفروا
اى الذين عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار
المصرون وشر المصرين الناكثون للعهود (ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة) فى كل
معاهدة (وهم لا يتقون) لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار (فاما
تثقفنهم فى الحرب) فاما تصادفنهم وتظفرن بهم (فشرد بهم من خلفهم) ففرق عن محاربتك
ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم
أحد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقال الزجاج افعل بهم ما تفرق به جمعهم وتطرد به من عداهم
(لعلهم يذكرون) لعل المشردين من ورائهم يتعظون (واما تخافن من قوم) معاهدين
(خيانة) نكثا بامارات تلوح لك (فانبذ اليهم) فاطرح اليهم العهد (على سواء) على استواء
منك ومنهم فى العلم بنقض العهد وهو حال من النابذ والمنبوذ اليهم اى حاصلين على استواء فى
العلم (ان الله لا يحب الخائنين) الناقضين للعهود (ولا يحسبن) بالياء وفتح السين شامى وحمزة
ويزيد وحفص وبالتاء وفتح السين أبو بكر وبالتاء وكسر السين غيرهم (الذين كفروا سبقوا)
فاتوا وأفلتوا من أن يظفر بهم (انهم لا يعجزون) انهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن
ادراكهم أنهم شامى اى لانهم وكل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل غير ان المكسورة
على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح فمن قرأ بالتاء فالذين كفروا مفعول أول
والثانى سبقوا ومن قرأ بالياء فالذين كفروا فاعل وسبقوا مفعول تقديره ان سبقوا فحذف ان
وان مخففة من الثقيلة اى انهم سبقوا فسد مسد المفعولين او يكون الفاعل مضمرا اى ولا

يحسبن محمد الكافرين سابقين ومن ادعى تفرد حمزة بالقراءة ففيه نظر لما بينا من عدم تفرده بها وعن الزهرى انها نزلت فيمن أفلت من فل المشركين (وأعدوا) أيها المؤمنون (لهم) لناقضى العهد أولجميع الكفار (ما استطعتم من قوة) من كل ما يتقوى به فى الحرب من عددها وفى الحديث ألا ان القوة الرمى قالها ثلاثا على المنبر وقيل هى الحصون (ومن رباط الخيل) هو اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله أو هو جمع ربيط كفصيل وفصال وخص الخيل من بين ما يتقوى به كقوله جبريل وميكال (ترهبون به) بما استطعتم (عدوالله وعدوكم) أى أهل مكة (وآخرين من دونهم) غيرهم وهم اليهود أو المنافقون أو أهل فارس أو كفرة الجن فى الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروى ان صهيل الخيل يرهب الجن (لاتعلمونهم) لاتعرفونهم باعيانهم (الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم) يوفر عليكم جزاؤه (وأنتم لاتظلمون) فى الجزاء بل تعطون على التمام (وان جنحوا) مالوا جنح له واليه مال (للسلم) للصلح وبكسر السين أبو بكر وهو مؤنث تأنيث ضدها وهو الحرب (فاجنح لها) فمل اليها (وتوكل على الله) ولا تخف من ابطانهم المكر فى جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم (انه هو السميع) لاقوالك (العليم) باحوالك (وان يريدوا أن يخدعوك) بمكر واو يغدروا (فان حسبك الله) كافيك الله (هو الذى أيدك) قواك (بنصره وبالمؤمنين) جميعا أو بالانصار (وألف بين قلوبهم) قلوب الاوس والخزرج بعد تعاديهم مائة وعشرين سنة (لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) أى بلغت عداوتهم مبلغا لو أنفق منفق فى اصلاح ذات بينهم ما فى الارض من الاموال لم يقدر عليه (ولكن الله ألف بينهم) بفضله ورحمته وجمع بين كلمتهم بقدرته فاحدث بينهم التوادد والتحابب وأماط عنهم التباغض والتماقت (انه عزيز) يقهر من يخدعونك (حكيم) ينصر من يتبعونك (يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) الواو بمعنى مع وما بعده منصوب والمعنى كفاك وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا ويجوز أن يكون فى محل الرفع أى كفاك الله وكفاك أتباعك من المؤمنين قيل أسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت (يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال) التحريض المبالغة فى الحث على الامر من الحرض وهو أن ينهكه المرض حتى يشفى على الموت (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا) هذه عدة من الله و بشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الكفار بعون الله وتاييده (بانهم قوم لا يفقهون) بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم و يعدمون لجهلهم بالله نصرته بخلاف من يقاتل على بصيرة وهو يرجو النصر من الله قيل كان عليهم أن لا يفروا و يثبت الواحد للعشرة ثم ثقل عليهم ذلك فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين بقوله (الآن

خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا) ضعفا عاصم وحمزة (فان يكن منكم مائة صابرة) بالياء فيهما كوفي وافقه البصري في الاولى والمراد الضعف في البدن (يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين) وتكرير مقاومة الجماعة لأكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة لا تتفاوت اذا الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين (ما كان لنبي) ماصح له ولا استقام (ان يكون له أسرى) ان تكون بصري (حتى يثخن في الارض) الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من الثخانة وهي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر باشاعة القتل في أهله ويعز الاسلام بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بسبعين أسيرا فيهم العباس عمه وعقيل فاستشار النبي عليه السلام أبا بكر فيهم فقال قومك وأهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك وقال عمر رضي الله عنه كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فان هؤلاء أئمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب أعناقهم فقال عليه السلام مثلك يا أبا بكر كمثل ابراهيم حيث قال ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر كمثل نوح حيث قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا باحد فلما أخذوا الفداء نزلت الآية (تريدون عرض الدنيا) متاعها يعني الفداء سماه عرضا لقلة بقائه وسرعة فنائه (والله يريد الآخرة) أي ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل (والله عزيز) بقهر الاعداء (حكيم) في عتاب الاولياء (لولا كتاب من الله) لولا حكم من الله (سبق) أن لا يعذب أحدا على العمل بالاجتهاد وكان هذا اجتهادا منهم لانهم نظروا في ان استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد وخفي عليهم ان قتلهم أعز للاسلام واهيب لمن وراءهم أو ما كتب الله في اللوح أن لا يعذب أهل بدر أو كان لا يؤاخذ قبل البيان والاعذار وفيما ذكر من الاستشارة دلالة على جواز الاجتهاد فيكون حجة على منكري القياس كتاب مبتدأ ومن الله صفته أي لولا كتاب ثابت من الله وسبق صفة أخرى له وخبر المبتدأ محذوف أي لولا كتاب بهذه الصفة في الوجود وسبق لا يجوز أن يكون خبرا لان لولا لا يظهر خبرها ابدا (لمسكم) لنالكم وأصابكم (فيما أخذتم) من فداء الاسرى (عذاب عظيم) روى أن عمر رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت فقال أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروى انه عليه السلام قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان

الاثخان في القتل أحب الي (فكلوا مما غنمتم) روى أنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يمدوا أيديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء لانه من جملة الغنائم والفاء للتسبيب والسبب محذوف ومعناه قد احللت لكم الغنائم فكلوا (حلالا) مطلقا عن العتاب والعقاب من حل العقال وهو نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أي أكلا حلالا (طيبا) لذيذا هنيئا أو حلالا بالشرع طيبا بالطبع (واتقوا الله) فلا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه (ان الله غفور) لما فعلتم من قبل (رحيم) باحلال ما غنمتم (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم) في ملكتكم كان أيديكم قابضة عليهم (من الاسرى) جمع أسير من الاسارى أبو عمرو جمع أسرى (ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) خلوص ايمان وصحة نية (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) من الفداء اما أن يخلفكم في الدنيا أضعافه أو يثيبكم في الآخرة (ويغفر لكم والله غفور رحيم) روى أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون ألفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فاخذ منه ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ مني وأرجو المغفرة وكان له عشرون عبدا وان أدناهم ليتجر في عشرين ألفا وكان يقول أنجز الله أحد الوعدين وأنا على ثقة من الآخر (وان يريدوا) أي الاسرى (خيانتك) نكث ما بايعوك عليه من الاسلام بالردة أو منع ما ضمنوه من الفداء (فقد خانوا الله من قبل) في كفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه (فأمكن منهم) فأمكنك منهم أي أظفرك بهم كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم ان عادوا الى الخيانة (والله عليم) بالمآل (حكيم) فيما أمر في الحال (ان الذين آمنوا وهاجروا) من مكة حبا لله ورسوله (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) هم المهاجرون (والذين آووا ونصروا) أي آووهم الى ديارهم ونصروهم على أعدائهم وهم الانصار (أولئك بعضهم أولياء بعض) أي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة وبالنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض وقيل أراد به النصرة والمعاونة (والذين آمنوا ولم يهاجروا) من مكة (ما لكم من ولايتهم) من توليهم في الميراث ولايتهم حمزة وقيل هما واحد (من شيء حتى يهاجروا) فكان لا يرث المؤمن الذي لم يهاجر ممن آمن وهاجر ولما أبقى للذين لم يهاجروا اسم الايمان وكانت الهجرة فريضة فصاروا بتركها مرتكبين كبيرة دل أن صاحب الكبيرة لا يخرج من الايمان (وان استنصروكم) أي من أسلم ولم يهاجر (في الدين فعليكم النصر) أي ان وقع بينهم وبين الكفار قتال وطلبوا معونة فواجب عليكم أن تنصروهم على الكافرين (الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لانهم لا يبتدؤن بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك (والله بما تعملون بصير) تحذير عن تعدي حد الشرع (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) ظاهره اثبات الموالاة بينهم ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الكفار وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا أقارب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال (الا

تفعلوه) أى الا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولى بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم تجعلوا قرابة الكفار كلا قرابة (تكن فتنة فى الارض وفساد كبير) تحصل فتنة فى الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين مالم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والسكن والانسلاخ من المال والدنيا لاجل الدين والعقبى (لهم مغفرة ورزق كريم) لامنة فيه ولا تنغيص ولا تكرار لان هذه الآية واردة للثناء عليهم مع الوعد الكريم والاولى للامر بالتواصل (والذين آمنوا من بعد) يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة (وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) جعلهم منهم تفضلا وترغيبا (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض) وأولوا القرابات أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة (فى كتاب الله) فى حكمه وقسمته أوفي اللوح أوفى القرآن وهو آية المواريث وهو دليل لنا على توريث ذوى الارحام (ان الله بكل شئ عليم) فيقضى بين عباده بما شاء من أحكامه قسم الناس أربعة أقسام قسم آمنوا وهاجروا وقسم آمنوا ونصروا وقسم آمنوا ولم يهاجروا وقسم كفروا ولم يؤمنوا

﴿سورة التوبة مدنية وهى مائة وتسع وعشرون آية كوفى ومائة وثلاثون غيره﴾

لها أسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة لان فيها التوبة على المؤمنين وهى تقشقش من النفاق أى تبرئ منه وتبعثر عن أسرار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وفي ترك التسمية فى ابتدائها أقوال فعن على وابن عباس رضى الله عنهم ان بسم الله أمان وبراءة نزلت لرفع الامان وعن عثمان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزلت عليه سورة أوآية قال اجعلوها في الموضع الذى يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها تشبه قصة الانفال لان فيها ذكر العهود وفى براءة نبذ العهود فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وتعدان السابعة من الطوال وهى سبع وقيل اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة نزلت فى القتال وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة (براءة) خبر مبتدا محذوف أى هذه براءة (من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) من لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما فى قولك برئت من الدين أى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان او مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كقولك رجل من بنى تميم فى الدار والمعنى ان الله

ورسوله قد برئا من العهد الذى عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم (فسيحوا فى الارض أربعة أشهر) فسيروا فى الارض كيف شئتم والسيح السير على مهل روى انهم عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وأمروا أن يسيحوا فى الارض أربعة أشهر آمنين أين شاؤا لا يتعرض لهم وهى الاشهر الحرم فى قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن أسيد وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر على موسم سنة تسع ثم أتبعه عليا راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى أبى بكر فقال لا يؤدّى عنى الا رجل منى فلما دنا على سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر وحثهم على مناسكهم وقام على يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها الناس انى رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال امرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذى عهد عهده فقالوا عند ذلك يا على ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف والاشهر الاربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم أو عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من ربيع الآخر وكانت حرما لانهم أومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم أو على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها والجمهور على اباحة القتال فى الاشهر الحرم وان ذلك قد نسخ (واعلموا أنكم غير معجزى الله) لا تفوتونه وان أمهلكم (وأن الله مخزى الكافرين) مذلهم فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالعذاب (وأذان من الله ورسوله الى الناس) ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها والاذان بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء والفرق بين الجملة الاولى والثانية أن الاولى اخبار بثبوت البراءة والثانية اخبار بوجود الاعلام بما ثبت وانما علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم وأما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث (يوم الحج الاكبر) يوم عرفة لان الوقوف بعرفة معظم أفعال الحج أو يوم النحر لان فيه تمام الحج من الطواف والنحر والحلق والرمى ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر (ان الله برىء من المشركين) أى بأن الله حذفت صلة الاذان تخفيفا (ورسوله) عطف على المنوى فى برىء أو على الابتداء وحذف الخبر أى ورسوله برىء وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان والجر على الجوار أو على القسم كقوله لعمرك وحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرؤها فقال ان كان الله برئ من رسوله فأنا منه برىء فلببه

الرجل الى عمر فحكى الاعرابي قراءته فعندها أمر عمر بتعلم العربية (فان تبتم) من الكفر والغدر (فهو) أي التوبة (خير لكم) من الاصرار على الكفر (وان توليتم) عن التوبة أو ثبتم على التولي والاعراض عن الاسلام (فاعلموا أنكم غير معجزى الله) غير سابقين الله ولا فائتين أخذه وعقابه (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) مكان بشارة المؤمنين بنعيم مقيم (الا الذين عاهدتم من المشركين) استثناء من قوله فسيحوا في الارض والمعنى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم (ثم لم ينقصوكم شيأ) من شروط العهد أي وفوا بالعهد ولم ينقضوه وقرئ لم ينقضوكم أي عهدكم وهو اليق لكن المشهورة أبلغ لانه في مقابلة التمام (ولم يظاهروا عليكم أحدا) ولم يعاونوا عليكم عدوا (فأتموا اليهم عهدهم) فأدوه اليهم تاما كاملا (الى مدتهم) الى تمام مدتهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان أمروا في الناكثين لكن الذين لم ينكثوا فأتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر (ان الله يحب المتقين) يعني ان قضية التقوى أن لا يسوّى بين الفريقين فاتقوا الله في ذلك (فاذا انسلخ) مضى أو خرج (الاشهر الحرم) التي أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا (فاقتلوا المشركين) الذين نقضوكم وظاهروا عليكم (حيث وجدتموهم) من حل أو حرم (وخذوهم) وأسروهم والاخذ الاسر (واحصروهم) وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد (واقعدوا لهم كل مرصد) كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف (فان تابوا) عن الكفر (وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم) فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر أو فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم (ان الله غفور) يستر الكفر والغدر بالاسلام (رحيم) برفع القتل قبل الاداء بالالتزام (وان أحد من المشركين استجارك فأجره) أحد مرتفع بفعل شرط مضمر يفسره الظاهر أي وان استجارك أحد استجارك والمعنى وان جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه واستأمنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن فأمنه (حتى يسمع كلام الله) ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر (ثم أبلغه) بعد ذلك (مأمنه) داره التي يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت وفيه دليل على ان المستأمن لا يؤذى وليس له الاقامة في دارنا ويمكن من العود (ذلك) أي الامر بالاجارة في قوله فأجره (بأنهم قوم لا يعلمون) بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا أو يفهموا الحق (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) كيف استفهام في معنى الاستنكار أي مستنكر أن يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله (الا الذين عاهدتم) أي ولكن الذين عاهدتم منهم (عند المسجد الحرام) ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا أمرهم ولا تقاتلوهم (فما استقاموا لكم) ولم يظهر منهم نكث أي فما أقاموا على وفاء العهد (فاستقيموا لهم) على الوفاء وما

شرطية أى فان استقاموا لكم فاستقيموا لهم (ان الله يحب المتقين) يعنى ان التربص بهم من أعمال المتقين (كيف وان يظهروا عليكم) تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما أى كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم أى يظفروا بكم بعد ماسبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق (لايرقبوا فيكم الا) لايراعوا حلفا ولا قرابة (ولاذمة) عهدا (يرضونكم بافواههم) بالوعد بالايمان والوفاء بالعهد وهو كلام مبتدأ فى وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد (وتأبى قلوبهم) الايمان والوفاء بالعهد (وأكثرهم فاسقون) ناقضون العهد أو متمردون فى الكفر لامروءة تمنعهم عن الكذب ولا شمائل تردعهم عن النكث كما يوجد ذلك فى بعض الكفرة من التفادى عنهما (اشتروا) استبدلوا (بآيات الله) بالقرآن (ثمنا قليلا) عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات (فصدوا عن سبيله) فعدلوا عنه وصرفوا غيرهم (انهم ساء ما كانوا يعملون) أى بئس الصنيع صنيعهم (لايرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة) ولا تكرار لان الاول على الخصوص حيث قال فيكم والثانى على العموم لانه قال فى مؤمن (وأولئك هم المعتدون) المجاوزون الغاية فى الظلم والشرارة (فان تابوا) عن الكفر (وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم) فهم اخوانكم على حذف المبتدا (فى الدين) لا فى النسب (ونفصل الآيات) ونبينها (لقوم يعلمون) يفهمون فيتفكرون فيها وهذا اعتراض كانه قيل وان من تأمل تفصيلها فهو العالم تحريضا على تأمل ما فصل من أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها (وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم) أى نقضوا العهود المؤكدة بالايمان (وطعنوا فى دينكم) وعابوه (فقاتلوا أئمة الكفر) فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع ضميرهم وهم رؤساء الشرك أو زعماء قريش الذين هموا باخراج الرسول وقالوا اذا طعن الذمى فى دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة أئمة بهمزتين كوفى وشامى الباقون بهمزة واحدة غير ممدودة بعدها ياء مكسورة أصلها أأممة لانها جمع امام كعماد وأعمدة فنقلت حركة الميم الاولى الى الهمزة الساكنة وادغمت فى الميم الاخرى فمن حقق الهمزتين أخرجهما على الاصل ومن قلب الثانية ياء فلكسرتها (انهم لا أيمان لهم) وانما أثبت لهم الايمان فى قوله وان نكثوا أيمانهم لانه أراد أيمانهم التى أظهروها ثم قال لا أيمان لهم على الحقيقة وهو دليل لنا على أن يمين الكافر لاتكون يمينا ومعناه عند الشافعى رحمه الله انهم لا يوفون بها لان يمينهم يمين عنده حيث وصفها بالنكث لا ايمان شامى أى لا اسلام (لعلهم ينتهون) متعلق بفقاتلوا أئمة الكفر وما بينهما اعتراض أى ليكن غرضكم فى مقاتلتهم انتهاءهم عما هم عليه بعد ما وجد منهم من العظائم وهذا من غاية كرمه على المسىء ثم حرض على القتال فقال (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) التى حلفوها فى المعاهدة (وهموا باخراج الرسول) من مكة (وهم بدؤكم أول مرة) بالقتال والبادى أظلم

فما يمنعكم من أن تقاتلوهم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب (أتخشونهم) توبيخ على الخشية منهم (فالله أحق أن تخشوه) بان تخشوه فقاتلوا أعداءه (ان كنتم مؤمنين) فأخشوه اى ان قضية الايمان الكامل أن لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالى بمن سواه ولما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به بقوله (قاتلوهم) ووعدهم النصر ليثبت قلوبهم وتصح نياتهم بقوله (يعذبهم الله بأيديكم) قتلا (ويخزهم) أسرا (وينصركم عليهم) يغلبكم عليهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) طائفة منهم وهم خزاعة عيبة(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويذهب غيظ قلوبهم) لما لقوا منهم من المكروه وقد حصل الله هذه المواعيد كلها فكان دليلا على صحة نبوته (ويتوب الله على من يشاء) ابتداء كلام واخبار بان بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضا فقد أسلم ناس منهم كابى سفيان وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو وهى ترد على المعتزلة قولهم ان الله تعالى شاء أن يتوب على جميع الكفرة لكنهم لا يتوبون باختيارهم (والله عليم) يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان (حكيم) فى قبول التوبة (أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) أم منقطعة والهمزة فيها للتوبيخ على وجود الحسبان اى لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين الخاص منكم وهم الذين جاهدوا فى سبيل الله لوجه الله (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) اى بطانة من الذين يضادون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت على أن تبين ذلك متوقع كائن وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل فى حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كقولك ما علم الله منى ما قيل فى تريد ما وجد ذلك منى والمعنى أحسبتم أن تتركوا بلا مجاهدة ولا براءة من المشركين (والله خبير بما تعملون) من خير او شر فيجازيكم عليه (ما كان للمشركين) ما صح لهم وما استقام (أن يعمروا مساجد الله) مسجد الله مكى وبصرى يعنى المسجد الحرام وانما جمع فى القراءة بالجمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد أو اريد جنس المساجد واذا لم يصلحوا لان يعمروا جنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذى هو صدر الجنس وهو آكد اذ طريقه طريق الكناية كما تقول فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك (شاهدين على أنفسهم بالكفر) باعترافهم بعبادة الاصنام وهو حال من الواو فى يعمروا والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متضادين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته (أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون) دائمون (انما يعمر مساجد الله) عمارتها رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وصيانتها مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا لانها بنيت للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم

(٢) عيبة الرجل موضع سره كما يؤخذ من القاموس

(من آمن بالله واليوم الآخر) ولم يذكر الايمان بالرسول عليه السلام لما علم ان الايمان بالله قرينة الايمان بالرسول لاقترانهما في الاذان والاقامة وكلمة الشهادة وغيرها أودل عليه بقوله (وأقام الصلوة وآتى الزكوة) وفي قوله (ولم يخش الا الله) تنبيه على الاخلاص والمراد الخشية في أبواب الدين بان لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف اذ المؤمن قد يخشى المحاذير ولا يتمالك أن لا يخشاها وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم في الانتفاع باعمالهم لان عسى كلمة اطماع والمعنى انما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها عند الله دون من سواهم (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين) السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله وقيل المصدر بمعنى الفاعل يصدقه قراءة ابن الزبير سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة باعمالهم المثبتة وأن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر لانهم وضعوا المدح والفخر في غير موضعهما نزلت جوابا لقول العباس حين أسر فطفق على رضى الله عنه يوبخه بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم تذكر مساوينا وتدع محاسننا فقيل أولكم محاسن فقال نعمر المسجد ونسقى الحاج ونفك العانى وقيل افتخر العباس بالسقاية وشيبة بالعمارة وعلى رضى الله عنه بالاسلام والجهاد فصدق الله تعالى عليا (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وأنفسهم) أولئك (أعظم درجة عند الله) من أهل السقاية والعمارة (وأولئك هم الفائزون) لا أنتم والمختصون بالفوز دونكم (يبشرهم ربهم) يبشرهم حمزة (برحمة منه ورضوان وجنات) تنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف (لهم فيها) في الجنات (نعيم مقيم) دائم (خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم) لا ينقطع لما أمر الله النبي عليه السلام بالهجرة جعل الرجل يقول لابنه ولاخيه ولقرابته انا قد أمرنا بالهجرة فنهم من يسرع الى ذلك ويعجبه ومنهم من تتعلق به زوجته أو ولده فيقول تدعنا بلا شئ فنضيع فيجلس معهم ويدع الهجرة فنزل (ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان) أى آثروه واختاروه (ومن يتولهم منكم) أى ومن يتول الكافرين (فأولئك هم الظالمون قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) أقاربكم وعشيراتكم أبو بكر (وأموال اقترفتموها) اكتسبتموها (وتجارة تخشون كسادها) فوات وقت نفاقها (ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره) وهو عذاب عاجل أو عقاب آجل أو فتح مكة (والله لا يهدى القوم الفاسقين) والآية تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة

عقد الدين واضطراب حبل اليقين اذ لاتجد عنـدأورع الناس مايستحب له دينه على الآباء والابناء والاموال والحظوظ (لقـدنصركم الله فى مواطن كثيرة) كوقعـة بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة وقيـل ان المواطن التى نصرالله فيها النبى عليه السلام والمؤمنـين ثمانون موطناوه واطن الحرب مقاماتها ومواقفها (ويوم) أى واذكروا يوم (حنين) وادبين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشرألفا وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فلماالتقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله عليه الصلاة والسلام (اذ) بدل من يوم (أعجبتكم كثرتكم) فأدرك المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهـم ان الله هوالناصرلا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسـلم وحده وهو ثابت فى مركزه ليس معه الاعمه العباس آخذا بلجام دابته وأبوسفيان بن الحرث ابن عمه آخذا بركابه فقال للعباس صح بالناس وكان صيتا فنادى ياأصحاب الشجرة فاجتمعوا وهم يقولون لبيك لبيـك ونزلت الملائكة عليهم الثياب البيض على خيول بلق فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفامن تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا وكان من دعائه عليه السـلام يومئذ اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان وهذا دعاء موسى عليه السلام يوم انفلاق البحر (فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بمارحبت) مامصدرية والباء بمعنى مع أى مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجار والمجرور فى موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السـفر أى ملتبسابها والمعنى لم تجدوا موضعا لفراركم عن اعدائكم فكأنهاضاقت عليكم (ثم وليتم مدبرين) ثم انهزمتم (ثم أنزل الله سكينته) رحمته التى سكنوابها وأمنوا (على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودالم تروها) يعنى الملائكة وكانوا ثمانية آلاف أوخمسة آلاف أوستة عشرألفا (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر وسبى النساء والذرارى (وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعـد ذلك على من يشاء) وهـم الذين أسلموا منهـم (والله غفور) بستركفر العدو بالاسلام (رحيم) بنصر الولى بعد الانهزام (ياأيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) أى ذو نجس وهو مصـدر يقال نجس نجسا وقـذر قذرا لان معهـم الشرك الذى هو بمنزلة النجس ولانهـم لايتطهرون ولايغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهى ملابسة لهـم أوجعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغـة فى وصفهم بها (فلا يقربوا المسجد الحرام) فـلايحجوا ولايعتمروا كما كانوا يفـعلون فى الجاهليـة (بعدعامهم هـذا) وهو عام تسع من الهجرة حين أمر أبو بكر رضى الله عنـه على الموسم ويكون المراد من نهى القربان النهى عن الحج والعمرة وهو مذهبنا ولايمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عنـدنا وعند الشافعى رحمـه الله يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره وقيـل نهى المشركين أن يقربوه راجع الى نهى المسلمين عن تمكينهم منه (وان خفتم عيلة) أى فقرا بسبب منع المشركين من الحج

وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب (فسوف يغنيكم الله من فضله) من الغنائم أو المطر والنبات أو من متاجر حجيج الاسلام (ان شاء) هو تعليم لتعليق الامور بمشيئة الله تعالى لتنقطع الآمال اليه (ان الله عليم) باحوالكم (حكيم) في تحقيق آمالكم أو عليم بمصالح العباد حكيم فيما حكم وأراد ونزل في أهل الكتاب (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله) لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة (ولا باليوم الآخر) لانهم فيه على خلاف ما يجب حيث يزعمون ان لا أكل في الجنة ولا شرب (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) لانهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة أو لا يعملون بما في التوراة والانجيل (ولا يدينون دين الحق) ولا يعتقدون دين الاسلام الذي هو الحق يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده (من الذين أوتوا الكتاب) بيان للذين قبله وأما المجوس فلحقون باهل الكتاب في قبول الجزية وكذا الترك والهنود وغيرهما بخلاف مشركي العرب لما روى الزهري أن النبي عليه السلام صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب (حتى يعطوا الجزية) الى أن يقبلوها وسميت جزية لانه يجب على أهلها أن يجزوه أي يقضوه أو هي جزاء على الكفر على التحميل في تذليل (عن يد) أي عن يد مواتية غير ممتنعة ولذا قالوا أعطى بيده اذا انقاد وقالوا انزع يده عن الطاعة أو حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد أحد ولكن عن يد المعطي الى يد الآخذ (وهم صاغرون) أي تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو أن يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له أد الجزية ياذمي وان كان يؤديها ويزخ في قفاه وتسقط بالاسلام (وقالت اليهود) كلهم أو بعضهم (عزير ابن الله) مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم أعجمي ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون وهم عاصم وعلي فقد جعله عربيا (وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم) أي قول لا يعضده برهان ولا يستند الى بيان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ عن معنى تحته كالالفاظ المهملة (يضاهون قول الذين كفروا من قبل) لابد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا يعني ان الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث أو الضمير للنصارى أي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم أقدم منهم يضاهئون عاصم وأصل المضاهاة المشابهة والاكثر ترك الهمز واشتقاقه من قولهم امرأة ضهياء وهي التي أشبهت الرجال بانها لا تحيض كذا قاله الزجاج (قاتلهم الله) أي هم أحقاء بأن يقال لهم هذا (أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق بعد قيام البرهان (اتخذوا) أي أهل الكتاب (أحبارهم) علماءهم (ورهبانهم) نساكهم (أربابا) آلهة (من دون الله) حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله كما يطاع الارباب في أوامرهم

ونواهيهم

ونواهيهم (والمسيح ابن مريم) عطف على أحبارهم أى اتخذوه ربا حيث جعلوه ابن الله (وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا) يجوز الوقف عليه لان ما بعده يصلح ابتداء و يصلح وصفا لواحدا (لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) تنزيه له عن الاشراك (يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم و يأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) مثل حالهم فى طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ فى نور عظيم منبث فى الآفاق يريد الله أن يزيده و يبلغه الغاية القصوى من الاشراق ليطفئه بنفخه أجرى و يأبى الله مجرى لا يريد الله ولذا وقع فى مقابلة يريدون والا لا يقال كرهت أو أبغضت الا زيدا (هو الذى أرسل رسوله) محمدا عليه السلام (بالهدى) بالقرآن (ودين الحق) الاسلام (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على أهل الاديان كلهم أو ليظهر دين الحق على كل دين (ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس) استعار الاكل للاخذ (بالباطل) أى بالرشا فى الاحكام (و يصدون) سفلتهم (عن سبيل الله) دينه (والذين يكنزون الذهب والفضة) يجوز أن يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين ذميمتين فيهم أخذ الرشا وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق فى سبيل الخير و يجوز أن يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين و يقرن بينهم و بين المرتشين من أهل الكتاب تغليظا وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما أدى زكاته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ أن يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا ولقد كان كثير من الصحابة رضى الله عنهم كعبد الرحمن بن عوف وطلحة يقتنون الاموال و يتصرفون فيها وما عابهم أحد ممن أعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والاقتناء مباح لا يذم صاحبه (ولا ينفقونها فى سبيل الله) الضمير راجع الى المعنى لان كل واحد منهما دنانير ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا أو أريد الكنوز والاموال أو معناه ولا ينفقونها والذهب كما أن معنى قوله * فانى وقيار بها لغريب * وقيار كذلك وخصا بالذكر من بين سائر الاموال لانهما قانون التمول وأثمان الاشياء وذكر كنزهما دليل على ما سواهما (فبشرهم بعذاب أليم) ومعنى قوله (يوم يحمى عليها فى نار جهنم) ان النار تحمى عليها أى توقد وانما ذكر الفعل لانه مسند الى الجار والمجرور وأصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى لانتقال الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) وخصت هذه الاعضاء لانهم كانوا اذا أبصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوه ظهورهم أو معناه يكوون على الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم (هذا ما كنزتم لانفسكم) يقال لهم هذا ما كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وما علمتم أنكم كنزتموه لتستضر به أنفسكم وهو توبيخ (فذوقوا ما كنتم تكنزون) أى وبال المال الذى كنتم تكنزونه أو وبال كونكم كانزين (ان عدة الشهور

عند الله اثنا عشر شهرا) من غير زيادة والمراد بيان ان أحكام الشرع تبتنى على الشهور
القمرية المحسوبة بالاهلة دون الشمسية (فى كتاب الله) فيما أثبته وأوجبه من حكمه
أوفى اللوح (يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم) ثلاثة سرد ذوالقعدة للقعود
عن القتال وذوالحجة للحج والمحرم لتحريم القتال فيه وواحد فرد وهو رجب لترجيب العرب
اياه أى لتعظيمه (ذلك الدين القيم) أى الدين المستقيم لا ما يفعله أهل الجاهلية يعنى أن
تحريم الاربعة الاشهر هو الدين المستقيم ودين ابراهيم واسمعيل وكانت العرب تمسكت به
فكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى أحدثت النسىء فغيروا (فلا تظلموا فيهن)
فى الحرم أوفى الاثنى عشر (أنفسكم) بارتكاب المعاصى (وقاتلوا المشركين كافة) حال
من الفاعل أو المفعول (كما يقاتلونكم كافة) جميعا (واعلموا أن الله مع المتقين) أى
ناصرهم حثهم على التقوى بضمان النصرة لاهلها (انما النسىء) بالهمزة مصدر نسأه اذا
أخره وهو تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فاذا جاء
الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى
رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من بين شهور العام أربعة أشهر
(زيادة فى الكفر) أى هذا الفعل منهم زيادة فى كفرهم (يضل) كوفى غير أبى بكر
(به الذين كفروا) بالنسىء والضمير فى (يحلونه عاما ويحرمونه عاما) للنسىء أى اذا
أحلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه فى العام القابل (ليواطئوا عدة ما حرم الله)
ليوافقوا العدة التى هى الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذى هو أحد الواجبين
واللام تتعلق بيحلونه ويحرمونه أو بيحرمونه فحسب وهو الظاهر (فيحلوا ما حرم الله) أى
فيحلوا بمواطأة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال أو من ترك الاختصاص
للاشهر بعينها (زين لهم سوء أعمالهم) زين الشيطان لهم ذلك فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة
(والله لا يهدى القوم الكافرين) حال اختيارهم الثبات على الباطل (ياأيها الذين آمنوا
ما لكم اذا قيل لكم انفروا) اخرجوا (فى سبيل الله اثاقلتم) تثاقلتم وهو أصله الاأن التاء
أدغمت فى الثاء فصارت ثاء ساكنة فدخلت ألف الوصل لئلا يبتدأ بالساكن أى تباطأتم
(الى الارض) ضمن معنى الميل والاخلاد فعدى بالى أى ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم
مشاق السفر ومتاعبه أى ملتم الى الاقامة بارضكم ودياركم وكان ذلك فى غزوة تبوك
استنفروا فى وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ذلك وقيل
ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة الاورّى عنها بغيرها الا فى غزوة تبوك ليستعد
الناس تمام العدة (أرضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة) بدل الآخرة (فما متاع الحيوة
الدنيا فى الآخرة) فى جنب الآخرة (الا قليل الا تنفروا) الى الحرب (يعذبكم عذابا
أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيأ) سخط عظيم على المتثاقلين حيث أوعدهم
بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا

منهم

منهم وأطوع وأنه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيأ وقيل الضمير في ولا تضروه
للرسول عليه السلام لان الله وعده أن يعصمه من الناس وان ينصره ووعده كائن لا محالة
(والله على كل شئ) من التبديل والتعذيب وغيرهما (قدير الا تنصروه فقد نصره الله)
الا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد فدل بقوله فقد نصره الله
على انه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت (اذ أخرجه الذين كفروا) أسند
الاخراج الى الكفار لانهم حين هموا باخراجه أذن الله له في الخروج فكأنهم أخرجوه
(ثاني اثنين) أحد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله وأبو بكر وانتصابه على الحال
(اذ هما) بدل من اذ أخرجه (في الغار) هو نقب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على
مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا (اذ يقول) بدل ثان (لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) بالنصرة
والحفظ قيل طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخل الغار
بعث الله حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم أعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد أخذ الله بأبصارهم عنه
وقالوا من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة (فأنزل
الله سكينته) ما ألقى في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انهم لا يصلون اليه (عليه)
على النبي صلى الله عليه وسلم أو على أبي بكر لانه كان يخاف وكان عليه السلام ساكن القلب
(وأيده بجنود لم تروها) هم الملائكة صرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن أن يروه أو أيده
بالملائكة يوم بدر والاحزاب وحنين (وجعل كلمة الذين كفروا) أي دعوتهم الى
الكفر (السفلى وكلمة الله) دعوته الى الاسلام (هي) فصل (العليا) وكلمة الله بالنصب
يعقوب بالعطف والرفع على الاستئناف أوجه اذ هي لم تزل كانت عالية (والله عزيز) يعز
بنصره أهل كلمته (حكيم) يذل أهل الشرك بحكمته (انفروا خفافا) في النفور
لنشاطكم له (وثقالا) عنه لمشقته عليكم أو خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها أو خفافا
من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبابا وشيوخا أو مهازيل وسمانا أو صحاحا
ومراضا (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم) ايجاب للجهاد بهما ان أمكن أو بأحدهما
على حسب الحال والحاجة (في سبيل الله ذلكم) الجهاد (خير لكم) من تركه (ان
كنتم تعلمون) كون ذلك خيرا فبادروا اليه ونزل في المتخلفين عن غزوة تبوك من المنافقين
(لو كان عرضا) هو ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر
والفاجر أي لو كان ما دعوا اليه مغنما (قريبا) سهل المأخذ (وسفرا قاصدا) وسطا
مقاربا والقاصد والقصد المعتدل (لاتبعوك) لوافقوك في الخروج (ولكن بعدت
عليهم الشقة) المسافة الشاطة الشاقة (وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم) من
دلائل النبوة لانه أخبر بما سيكون بعد القفول فقالوا كما أخبر وبالله متعلق بسيحلفون أو

هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين أي سيحلفون يعني المنافقين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم أو سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة أو استطاعة الابدان كأنهم تمارضوا (يهلكون أنفسهم) بدل من سيحلفون أو حال منه أي مهلكين والمعنى انهم يهلكونها بالحلف الكاذب أو حال من لخرجنا أي لخرجنا معكم وان أهلكنا أنفسنا وألقيناها في التهلكة بما نحملها على المسير في تلك الشقة (والله يعلم انهم لكاذبون) فيما يقولون (عفا الله عنك) كناية عن الزلة لان العفو رادف لها وهو من لطف العتاب بتصدير العفو في الخطاب وفيه دلالة فضله على سائر الانبياء عليهم السلام حيث لم يذكر مثله لسائر الانبياء عليهم السلام (لم أذنت لهم) بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه مالك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالاذن (حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) يتبين لك الصادق في العذر من الكاذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين وأخذه الفدية من الاسارى فعاتبه الله وفيه دليل جواز الاجتهاد للانبياء عليهم السلام لانه عليه السلام انما فعل ذلك بالاجتهاد وانما عوتب مع ان له ذلك لتركه الافضل وهم يعاتبون على ترك الافضل (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا) ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في ان يجاهدوا (بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين) عدة لهم باجزل الثواب (انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا (وارتابت قلوبهم) شكوا في دينهم واضطربوا في عقيدتهم (فهم في ريبهم يترددون) يتحيرون لان التردد ديدن المتحير كما أن الثبات ديدن المستبصر (ولو أرادوا الخروج لاعدوا له) للخروج أو للجهاد (عدة) أهبة لانهم كانوا مياسير ولما كان ولو أرادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل (ولكن كره الله انبعاثهم) نهوضهم للخروج كأنه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم (فثبطهم) فكسلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث والتثبيط التوقيف عن الامر بالتزهيد فيه (وقيل اقعدوا) أي قال بعضهم لبعض أو قاله الرسول عليه السلام غضبا عليهم أو قاله الشيطان بالوسوسة (مع القاعدين) هو ذم لهم والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم القعود في البيوت (لو خرجوا فيكم ما زادوكم) بخروجهم معكم (الا خبالا) الا فسادا وشرا والاستثناء متصل لان المعنى ما زادوكم شيأ الا خبالا والاستثناء المنقطع أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء من الشيء فكان استثناء متصلا لان الخبال بعضه (ولأوضعوا خلالكم) ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا أسرع وأوضعته أنا

والمعنى ولا وضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب أسرع من الماشي وخط في المصحف ولا أوضعوا بزيادة الالف لان الفتحة كانت تكتب ألفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقي من تلك الالف أثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة ألفا وفتحها ألفا أخرى ونحوه أولا أذبحنه (يبغونكم) حال من الضمير في أوضعوا (الفتنة) أي يطلبون أن يفتنوكم بأن يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم (وفيكم سماعون لهم) أي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم (والله عليم بالظالمين) بالمنافقين (لقد ابتغوا الفتنة) بصد الناس أو بأن يفتكوا به عليه السلام ليلة العقبة أو بالرجوع يوم أحد (من قبل) من قبل غزوة تبوك (وقلبوا لك الامور) ودبروا لك الحيل والمكايد ودوّروا الآراء في ابطال أمرك (حتى جاء الحق) وهو تأييدك ونصرك (وظهر أمر الله) وغلب دينه وعلا شرعه (وهم كارهون) أي على رغم منهم (ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني) ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بأن لا تأذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك أثمت أو لا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس المنافق قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني أعينك بمالي فاتركني (ألا في الفتنة سقطوا) يعني ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) الآن لان أسباب الاحاطة معهم أو هي تحيط بهم يوم القيامة (ان تصبك) في بعض الغزوات (حسنة) ظفر وغنيمة (تسؤهم وان تصبك مصيبة) نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم أحد (يقولوا قد أخذنا أمرنا) الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم (من قبل) من قبل ما وقع (ويتولوا) عن مقام التحدث بذلك الى أهاليهم (وهم فرحون) مسرورون (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) أي قضى من خير أو شر (هو مولانا) أي الذي يتولانا ونتولاه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وحق المؤمنين أن لا يتوكلوا على غير الله (قل هل تربصون بنا) تنتظرون بنا (الا احدى الحسنيين) وهما النصرة والشهادة (ونحن نتربص بكم) احدى السوأيين اما (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود (أو) بعذاب (بأيدينا) وهو القتل على الكفر (فتربصوا) بنا ما ذكرنا (انا معكم متربصون) ما هو عاقبتكم (قل أنفقوا) في وجوه البر (طوعا أو كرها) طائعين أو مكرهين نصب على الحال كرها حمزة وعلي وهو أمر في معنى الخبر ومعناه (لن يتقبل منكم) أنفقتم طوعا أو كرها ونحوه استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وقوله

أسيئي بنا أو احسني لا ملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت

أي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ولا نلومك أسأت الينا أو أحسنت وقد جاز عكسه في قولك رحم الله زيدا ومعنى عدم القبول انه عليه السلام يردها عليهم ولا يقبلها

أولا يثيبها الله وقوله طوعا أي من غير إلزام من الله ورسوله وكرها أي ملزمين وسمى الالزام اكراها لانهم منافقون فكان إلزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه (انكم) تعليل لرد انفاقهم (كنتم قوما فاسقين) متمردين عاتين (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم) وبالياء حمزة وعلي (الا أنهم كفروا) أنهم فاعل منع وهم وأن تقبل مفعولاه أي وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم (بالله وبرسوله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى) جمع كسلان (ولا ينفقون الا وهم كارهون) لانهم لا يريدون بهما وجه الله تعالى وصفهم بالطوع في قوله طوعا وسلبه عنهم ههنا لان المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير إلزام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من رؤسائهم وما طوعهم ذلك الاعن كراهة واضطرار لاعن رغبة واختيار (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا) الاعجاب بالشيء ان تسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ما أوتوا من زينة الدنيا فان الله انما أعطاهم ما أعطاهم ليعذبهم بالمصائب فيها أو بالانفاق منه في أبواب الخير وهم كارهون له أو بنهب أموالهم وسبي أولادهم أو بجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والخوف عليها وكل هذا عذاب (وتزهق أنفسهم وهم كافرون) وتخرج أرواحهم وأصل الزهوق الخروج بصعوبة ودلت الآية على بطلان القول بالاصلح لانه أخبر أن اعطاء الاموال والاولاد لهم للتعذيب والاماتة على الكفر وعلى ارادة الله تعالى المعاصي لان ارادة العذاب بارادة ما يعذب عليه وكذا ارادة الاماتة على الكفر (ويحلفون بالله انهم لمنكم) لمن جملة المسلمين (وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون) يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية (لو يجدون ملجأ) مكانا يلجؤن اليه متحصنين من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة (أو مغارات) أو غيرانا (أو مدخلا) أو نفقا يندسون فيه وهو مفتعل من الدخول (لولوا اليه) لاقبلوا نحوه (وهم يجمحون) يسرعون اسراعا لا يرده شيء من الفرس الجموح (ومنهم) ومن المنافقين (من يلمزك في الصدقات) يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك (فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون) اذا للمفاجأة أي وان لم يعطوا منها فاجؤا السخط وصفهم بأن رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح أهله لانه عليه السلام استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) جواب لو محذوف تقديره ولو أنهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو أنهم رضوا ما أصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة أخرى فيؤتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما آتانا اليوم انا الى الله في أن يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون ثم بين مواضعها التي توضع فيها فقال (انما الصدقات للفقراء والمساكين) قصر جنس الصدقات على الاصناف المعدودة أي هي مختصة بهم

لا تتجاوز الى غيرهم كأنه قيل انما هي لهم لا لغيرهم كقولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها كما هو مذهبنا وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين انهم قالوا في أي صنف منها وضعتها أجزأك وعند الشافعي رحمه الله لا بد من صرفها الى الاصناف وهو المروي عن عكرمة ثم الفقير الذي لا يسأل لان عنده ما يكفيه للحال والمسكين الذي يسأل لانه لا يجد شيأ فهو أضعف حالا منه وعند الشافعي رحمه الله على العكس (والعاملين عليها) هم السعاة الذين يقبضونها (والمؤلفة قلوبهم) على الاسلام أشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم على أن يسلموا وقوم منهم أسلموا فيعطيهم تقريرا لهم على الاسلام (وفي الرقاب) هم المكاتبون يعانون منها (والغارمين) الذين ركبتهم الديون (وفي سبيل الله) فقراء الغزاة أو الحجيج المنقطع بهم (وابن السبيل) المسافر المنقطع عن ماله وعدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة للايذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها وتكرير في في قوله في سبيل الله وابن السبيل فيه فضل وترجيح لهذين على الرقاب والغارمين وانما وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ليدل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسما لاطماعهم واشعارا بأنهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم ومالها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها وسهم المؤلفة قلوبهم سقط باجماع الصحابة في صدر خلافة أبي بكر رضي الله عنه لان الله أعز الاسلام وأغنى عنهم والحكم متى ثبت معقولا لمعنى خاص يرتفع وينتهي بذهاب ذلك المعنى (فريضة من الله) في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم (والله عليم) بالمصلحة (حكيم) في القسمة (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) الاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جملته أذن سامعة وايذاؤهم له هو قولهم فيه هو أذن قصدوا به المذمة وأنه من أهل سلامة القلوب والغرة ففسره الله تعالى بما هو مدح له وثناء عليه فقال (قل أذن خير لكم) كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الاذن ويجوز أن يريد هو أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس بأذن في غير ذلك ثم فسر كونه أذن خير بأنه (يؤمن بالله) أي يصدق بالله لما قام عنده من الادلة (ويؤمن للمؤمنين) ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والانصار وعدى فعل الايمان بالباء الى الله لانه قصد به التصديق بالله الذي هو ضد الكفر به والى المؤمنين باللام لانه قصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده ألا ترى الى قوله وما أنت بمؤمن لنا كيف ينبئ عن الباء (ورحمة) بالعطف على أذن ورحمة حمزة عطف على خير أي هو أذن خير وأذن رحمة لا يسمع

غيرهما ولايقبله (للذين آمنوا منكم) أى وهو رحمة للذين آمنوا منكم أى أظهروا الايمان أيها المنافقون حيث يقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين أو هو رحمة للمؤمنين حيث استنقذهم من الكفر الى الايمان ويشفع لهم في الآخرة بايمانهم في الدنيا (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) في الدارين (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم (والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين) أى ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فأحق من أرضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق وانما وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسول الله فكانا في حكم شئ واحد كقولك احسان زيد واجماله رفعني أو والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك (ألم يعلموا أنه) أن الامر والشأن (من يحادد الله ورسوله) يجاوز الحد بالخلاف وهى مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق (فأن له) على حذف الخبر أى فحق أن له (نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزى العظيم يحذر المنافقون) خبر بمعنى الامر أى ليحذر المنافقون (أن تنزل عليهم سورة) تنزل بالتخفيف مكي وبصري (تنبئهم بما في قلوبهم) من الكفر والنفاق والضمائر للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهى نازلة عليهم دليله قل استهزؤا أو الاولان للمؤمنين والثالث للمنافقين وصح ذلك لان المعنى يعود اليه (قل استهزؤا) أمر تهديد (ان الله مخرج ما تحذرون) مظهر ما كنتم تحذرونه أى تحذرون اظهاره من نفاقكم وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحى فيهم وفي استهزائهم بالاسلام وأهله حتى قال بعضهم وددت أنى قدمت فجلدت مائة وانه لا ينزل فينا شئ يفضحنا (ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يانبى الله لا والله ما كنا في شئ من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن كنا في شئ مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر أى ولئن سألتهم وقلت لهم لم قلتم ذلك لقالوا انما كنا نخوض ونلعب (قل) يا محمد (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) لم يعبأ باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبأنه موجود فيهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلى حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد ثبوت الاستهزاء (لا تعتذروا) لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم (قد كفرتم) قد أظهرتم كفركم باستهزائكم (بعد ايمانكم) بعد اظهاركم الايمان (ان نعف عن طائفة منكم) بتوبتهم واخلاصهم الايمان بعد النفاق (نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين) مصرين على النفاق غير تائبين منه ان يعف تعذب طائفة غير عاصم (المنافقون والمنافقات) الرجال

المنافقون

المنافقون كانوا ثلثمائة والنساء المنافقات مائة وسبعين (بعضهم من بعض) أى كأنهم نفس واحدة وفيه نفى أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم فى قولهم ويحلفون بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وماهم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال (يأمرون بالمنكر) بالكفر والعصيان (وينهون عن المعروف) عن الطاعة والايمان (ويقبضون أيديهم) شحا بالمبار والصدقات والانفاق فى سبيل الله (نسوا الله) تركوا أمره وأغفلوا ذكره (فنسيهم) فتركهم من رحمته وفضله (ان المنافقين هم الفاسقون) هم الكاملون فى الفسق الذى هو التمرد فى الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا أن يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذى وصف به المنافقون حين بالغ فى ذمهم (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها) مقدرين الخلود فيها (هى) أى النار (حسبهم) فيه دلالة على عظم عذابها وانه بحيث لا يزاد عليه (ولعنهم الله) وأهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين (ولهم عذاب مقيم) دائم معهم فى العاجل لا ينفكون عنه وهو مايقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين ومايحذرونه أبدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على أسرارهم الكاف فى (كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) محلها رفع أى أنتم مثل الذين من قبلكم أو نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو أنكم استمتعتم بخلاقكم كما استمتعوا بخلاقهم أى تلذذوا بملاذ الدنيا والخلاق النصيب مشتق من الخلق وهو التقدير أى ماخلق للانسان بمعنى قدر من خير (وخضتم) فى الباطل (كالذى خاضوا) كالفوج الذى خاضوا أو كالخوض الذى خاضوا والخوض الدخول فى الباطل واللهو وانما قدم فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه ليذم الاولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر فى العاقبة وطلب الفلاح فى الآخرة ثم شبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم (أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة) فى مقابلة قوله وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين (وأولئك هم الخاسرون) ثم ذكر نبأ من قبلهم فقال (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح) هو بدل من الذين (وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين) وأهل مدين وهم قوم شعيب (والمؤتفكات) مدائن قوم لوط وائتفاكهن انقلاب أحوالهن عن الخير الى الشر (أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم) فما صح منه أن يظلمهم باهلاكهم لانه حكيم فلا يعاقبهم بغير جرم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر وتكذيب الرسل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) فى التناصر والتراحم (يأمرون بالمعروف) بالطاعة والايمان (وينهون عن المنكر) عن الشرك والعصيان (ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله) السين مفيدة وجود الرحمة

لا محالة فهى توكيد للوعيد كأنه توكيد الوعيد فى أنتقم منك يوما (ان الله عزيز) غالب على كل شئ قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب (حكيم) واضع كلا موضعه (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة) يطيب فيها العيش وعن الحسن رحمه الله قصورا من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد (فى جنات عدن) هو علم بدليل قوله جنات عدن التى وعد الرحمن وقد عرفت أن الذى والتى وضعا لوصف المعارف بالجمل وهى مدينة فى الجنة (ورضوان من الله) وشئ من رضوان الله (أكبر) من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز وسعادة (ذلك) اشارة الى ما وعد أو الى الرضوان (هو الفوز العظيم) وحده دون ما يعده الناس فوزا (يا أيها النبى جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالحجة (واغلظ عليهم) فى الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد فى العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها (ومأواهم جهنم وبئس المصير) جهنم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه٣ منهم الجلاس بن سويد فقال والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم سادا تنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصارى للجلاس أجل والله ان محمدا صادق وأنت شر من الحمير وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر) يعنى ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير أوهى استهزاؤهم فقال الجلاس يارسول الله والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته (وكفروا بعد اسلامهم) وأظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام وفيه دلالة على ان الايمان والاسلام واحد لانه قال وكفروا بعد اسلامهم (وهموا بما لم ينالوا) من قتل محمد عليه السلام أو قتل عامر لرده على الجلاس وقيل أرادوا أن يتوجوا ابن أبى وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما نقموا) وما أنكروا وما عابوا (الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثنى عشر ألفا فاستغنى (فان يتوبوا) عن النفاق (يك) الثواب (خيرا لهم) وهى الآية التى تاب عندها الجلاس (وان يتولوا) يصروا على النفاق (يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا والآخرة) بالقتل والنار (وما لهم فى الارض من ولى ولا نصير) ينجيهم من العذاب (ومنهم من عاهد الله) روى ان ثعلبة بن حاطب قال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذى بعثك بالحق لئن رزقنى مالا لاعطين كل ذى حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجمعة والجماعة فسأل عنه رسول الله صلى الله

(٣) الذى فى الكشاف فيسمع من معه منهم منهم الجلاس الخ

عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال ماهذه الا جزية وقال ارجعا حتى أرى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يكلماه ياويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني أن أقبل منك فجعل التراب على رأسه فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى أبي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان رضي الله عنه (لئن آتانا من فضله) أي المال (لنصدقن) لنخرجن الصدقة والاصل لنتصدقن ولكن التاء أدغمت في الصاد لقربها منها (ولنكونن من الصالحين) باخراج الصدقة (فلما آتاهم من فضله) أعطاهم الله المال ونالوا مناهم (بخلوا به) منعوا حق الله ولم يفوا بالعهد (وتولوا) عن طاعة الله (وهم معرضون) مصرون على الاعراض (فاعقبهم نفاقا في قلوبهم) فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه (الى يوم يلقونه) أي جزاء فعلهم وهو يوم القيامة (بما أخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون) بسبب اخلافهم ماوعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق (ألم يعلموا) يعني المنافقين (ان الله يعلم سرهم) ماأسروه من النفاق بالعزم على اخلاف ماوعدوه (ونجواهم) وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها (وأن الله علام الغيوب) فلا يخفى عليه شيء (الذين) محله النصب أو الرفع على الذم أو الجر على البدل من الضمير في سرهم ونجواهم (يلمزون المطوعين) يعيبون المطوعين المتبرعين (من المؤمنين في الصدقات) متعلق بيلمزون روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت أربعة لعيالي فقال عليه السلام بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين ألفا وتصدق عاصم بمائة وسق من تمر (والذين) عطف على المطوعين (لا يجدون الا جهدهم) طاقتهم وعن نافع جهدهم وهما واحد وقيل الجهد الطاقة والجهد المشقة وجاء أبو عقيل بصاع من تمر فقال بت ليلتي أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا للعيال وجئت بصاع فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الارياء وأما صاع أبي عقيل فالله غني عنه (فيسخرون منهم) فيهزؤن (سخر الله منهم) جازاهم على سخريتهم وهو خبر غير دعاء (ولهم عذاب أليم) مؤلم ولما سأل عبد الله بن عبد الله بن أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لابيه في مرضه نزل (استغفر لهم أولا تستغفر لهم) وقد مر أن هذا الامر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم (ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير وليس على التحديد والغاية اذ لو استغفر لهم مدة حياته لن يغفر الله لهم لانهم كفار والله لا يغفر لمن كفر به والمعنى وان بالغت في الاستغفار فلن

يغفر الله لهم وقد وردت الاخبار بذكر السبعين وكلها تدل على الكثرة لا على التحديد والغاية ووجه تخصيص السبعين من بين سائر الاعداد ان العدد قليل وكثير فالقليل مادون الثلاث والكثير الثلاث فما فوقها وأدنى الكثير الثلاث وليس لاقصاه غاية والعدد أيضا نوعان شفع ووتر وأول الاشفاع اثنان وأول الاوتار ثلاثة والواحد ليس بعدد والسبعة أول الجمع الكثير من النوعين لان فيها أوتارا ثلاثة واشفاعا ثلاثة والعشرة كمال الحساب لان ماجاوز العشرة فهو اضافة الآحاد الى العشرة كقولك اثناعشر وثلاثة عشر الى عشرين والعشرون تكرير العشرة مرتين والثلاثون تكريرها ثلاث مرات وكذلك الى مائة فالسبعون يجمع الكثرة والنوع والكثرة منه وكمال الحساب والكثرة منه فصار السبعون أدنى الكثير من العدد من كل وجه ولا غاية لاقصاه فجاز أن يكون تخصيص السبعين لهذا المعنى والله أعلم (ذلك) اشارة الى اليأس من المغفرة (بأنهم) بسبب انهم (كفروا بالله ورسوله) ولا غفران للكافرين (والله لا يهدى القوم الفاسقين) الخارجين عن الايمان ماداموا مختارين للكفر والطغيان (فرح المخلفون) المنافقون الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم وخلفهم بالمدينة فى غزوة تبوك اوالذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان (بمقعدهم) بقعودهم عن الغزو (خلاف رسول الله) مخالفة له وهو مفعول له اوحال اى قعد والمخالفته اومخالفين له (وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) اى لم يفعلوا مافعله المؤمنون من بذل أموالهم وأرواحهم فى سبيل الله وكيف لا يكرهونه ومافيهم مافى المؤمنين من باعث الايمان وداعى الايقان (وقالوا لا تنفروا فى الحر) قال بعضهم لبعض اوقالوا للمؤمنين تثبيطا (قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون فى مشقة الابد كان أجهل من كل جاهل (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) اى فيضحكون قليلا على فرحهم بتخلفهم فى الدنيا ويبكون كثيرا جزاء فى العقبى الا أنه أخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره يروى ان أهل النفاق يبكون فى النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم (جزاء بما كانوا يكسبون) من النفاق (فان رجعك الله) اى ردك من تبوك وانما قال (الى طائفة منهم) لان منهم من تاب من النفاق ومنهم من هلك (فاستأذنوك للخروج) الى غزوة بعد غزوة تبوك (فقل لن تخرجوا معى أبدا) وبسكون الياء حمزة وعلى وأبو بكر (ولن تقاتلوا معى عدوا) معى حفص (انكم رضيتم بالقعود أول مرة) أول مادعيتم الى غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) مع من تخلف بعد وسأل ابن عبدالله بن أبى وكان مؤمنا ان يكفن النبى صلى الله عليه وسلم اباه فى قميصه ويصلى عليه فقبل فاعترض عمر رضى الله عنه فى ذلك فقال عليه السلام ذلك لا ينفعه وكنت أرجو أن يؤمن به ألف من قومه فنزل (ولا تصل على أحد منهم) من المنافقين يعنى صلاة الجنازة روى انه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه يطلب التبرك بثوب النبى صلى الله عليه وسلم (مات) صفة لاحد (أبدا) ظرف لتصل وكان عليه السلام

اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فقيل (ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) تعليل للنهي أي انهم ليسوا باهل للصلاة عليهم لانهم كفروا بالله ورسوله (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) التكرير للمبالغة والتأكيد وأن يكون على بال من المخاطب لا ينساه وأن يعتقد أنه مهم ولان كل آية في فرقة غير الفرقة الاخرى (واذا أنزلت سورة) يجوز ان يراد سورة بتمامها وأن يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه (أن آمنوا بالله) بان آمنوا أوهي ان المفسرة (وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم) ذووا الفضل والسعة (وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين) مع الذين لهم عذر في التخلف كالمرضى والزمنى (رضوا بان يكونوا مع الخوالف) أي النساء جمع خالفة (وطبع على قلوبهم) ختم عليها لاختيارهم الكفر والنفاق (فهم لا يفقهون) ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الهلاك والشقاوة (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وأنفسهم) أي ان تخلف هؤلاء فقد نهض الى الغزو من هو خير منهم (وأولئك لهم الخيرات) تناول منافع الدارين لاطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات (وأولئك هم المفلحون) الفائزون بكل مطلوب (أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) قوله أعد دليل على أنها مخلوقة (وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم) هو من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى وحقيقته أن يوهم ان له عذرا فيما فعل ولا عذر له أو المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين وهم الذين يعتذرون بالباطل قيل هم أسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فاذن لنا في التخلف (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) هم منافقوا الاعراب الذين لم يجيؤا ولم يعتذروا فظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان (سيصيب الذين كفروا منهم) من الاعراب (عذاب أليم) في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار (ليس على الضعفاء) الهرمى والزمنى (ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) هم الفقراء من مزينة وجهينة وبني عذرة (حرج) اثم وضيق في التأخر (اذا نصحوا لله ورسوله) بان آمنوا في السر والعلن وأطاعوا كما يفعل الناصح بصاحبه (ما على المحسنين) المعذورين الناصحين (من سبيل) أي لا جناح عليهم ولا طريق للعتاب عليهم (والله غفور) يغفر تخلفهم (رحيم) بهم (ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم) لتعطيهم الحمولة (قلت) حال من الكاف في أتوك وقد قبله مضمرة أي اذا ما أتوك قائلا (لا أجد ما أحملكم عليه تولوا) هو جواب اذا (وأعينهم تفيض من الدمع) أي تسيل كقولك تفيض دمعا وهو أبلغ من تفيض دمعها لان العين جعلت كان كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك أفديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز ويجوز أن يكون قلت لا أجد استئنافا كانه قيل اذا ما أتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين فقيل قلت لا أجد ما أحملكم عليه الا أنه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض (حزنا) مفعول له (ألا يجدوا ما ينفقون) لئلا

يجدوا ماينفقون ومحله نصب على أنه مفعول له وناصبه حزنا والمستحملون أبوموسى الاشعرى وأصحابه أو البكاؤن وهم ستة نفر من الانصار (انما السبيل على الذين يستأذنونك) فى التخلف (وهم أغنياء) وقوله (رضوا) استئناف كانه قيل مابالهم استأذنوا وهم أغنياء فقيل رضوا (بان يكونوا مع الخوالف) أى بالانتظام فى جملة الخوالف (وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون اليكم) يقيمون لانفسهم عذرا باطلا (اذا رجعتم اليهم) من هذه السفرة (قل لا تعتذروا) بالباطل (لن نؤمن لكم) لن نصدقكم وهو علة للنهى عن الاعتذار لان غرض المعتذران يصدق فيما يعتذر به (قد نبأنا الله من أخباركم) علة لانتفاء تصديقهم لانه تعالى اذا أوحى الى رسوله الاعلام باخبارهم ومافى ضمائرهم لم يستقم مع ذلك تصديقهم فى معاذيرهم (وسيرى الله عملكم ورسوله) أتنيبون أم تثبتون على كفركم (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) أى تردون اليه وهو عالم كل سر وعلانية (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم على حسب ذلك (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم) لتتركوهم ولا توبخوهم (فاعرضوا عنهم) فاعطوهم طلبتهم (انهم رجس) تعليل لترك معاتبتهم أى ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم لانهم أرجاس لا سبيل الى تطهيرهم (ومأواهم جهنم) ومصيرهم النار يعنى وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم (جزاء بما كانوا يكسبون) أى يجزون جزاء كسبهم (يحلفون لكم لترضوا عنهم) أى غرضهم بالحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك فى دنياهم (فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) أى فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وانما قيل ذلك لئلا يتوهم ان رضا المؤمنين يقتضى رضا الله عنهم (الاعراب) أهل البدو (أشد كفرا ونفاقا) من أهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وبعدهم عن العلم والعلماء (وأجدر ان لا يعلموا) وأحق بان لا يعلموا (حدود ما أنزل الله على رسوله) يعنى حدود الدين وما أنزل الله من الشرائع والاحكام ومنه قوله عليه السلام ان الجفاء والقسوة فى الفدادين يعنى الاكرة لانهم يفدون أى يصيحون فى حروثهم والفديد الصياح (والله عليم) باحوالهم (حكيم) فى امهالهم (ومن الاعراب من يتخذ ماينفق) أى يتصدق (مغرما) غرامة وخسرانا لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده (ويتربص بكم الدوائر) أى دوائر الزمان وتبدل الاحوال بدور الايام لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة (عليهم دائرة السوء) أى عليهم تدور المصائب والحروب التى يتوقعون وقوعها فى المسلمين السوء مكى وأبو عمرو وهو العذاب والسوء بالفتح ذم للدائرة كقولك رجل سوء فى مقابلة قولك رجل صدق (والله سميع) لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة (عليم) بما يضمرونه (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ماينفق) فى الجهاد والصدقات (قربات) أسبابا للقربة (عند الله) وهو مفعول ثان ليتخذ (وصلوات الرسول) أى دعاءه لانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين

بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل أبي أوفى (الا انها) اى النفقة اوصلوات الرسول (قربة لهم) قربة نافع وهذا شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الامر وتمكنه وكذلك (سيدخلهم الله في رحمته) جنته وما في السين من تحقيق الوعد وما دل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها (ان الله غفور) يستر عيب المخل (رحيم) يقبل جهد المقل (والسابقون) مبتدأ (الاولون) صفة لهم (من المهاجرين) تبيين لهم وهم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او بيعة الرضوان (والانصار) عطف على المهاجرين اى ومن الانصار وهم أهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين (والذين اتبعوهم باحسان) من المهاجرين والانصار فكانوا سائر الصحابة وقيل هم الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة والخبر (رضي الله عنهم) باعمالهم الحسنة (ورضوا عنه) بما أفاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية (وأعدلهم) عطف على رضى (جنات تجرى تحتها الانهار) من تحتها مكى (خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم) يعني حول بلدتكم وهي المدينة (من الاعراب منافقون) وهم جهينة وأسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها (ومن أهل المدينة) عطف على خبر المبتدا الذي هو ممن حولكم والمبتدا منافقون ويجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدا والخبر اذا قدرت ومن أهل المدينة قوم (مردوا على النفاق) اى تمهروا فيه على أن مردوا صفة موصوف محذوف وعلى الوجه الاول لا يخلو من أن يكون كلاما مبتدأ او صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره ودل على مهارتهم فيه بقوله (لا تعلمهم) اى يخفون عليك مع فطنتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشككك في أمرهم ثم قال (نحن نعلمهم) اى لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر في سويداء قلوبهم ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين (سنعذبهم مرتين) هما القتل وعذاب القبر او الفضيحة وعذاب القبر او أخذ الصدقات من أموالهم ونهك أبدانهم (ثم يردون الى عذاب عظيم) اى عذاب النار (وآخرون) اى قوم آخرون سوى المذكورين (اعترفوا بذنوبهم) اى لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على أنفسهم بانهم بئس ما فعلوا نادمين وكانوا عشرة فسبعة منهم لما بلغهم ما نزل في المتخلفين اوثقوا أنفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر له انهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلهم فقال وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما أمرت ان آخذ من أموالكم شيأ فنزل خذ من أموالهم صدقة (خلطوا عملا

صالحا) خروجا الى الجهاد (وآخر سيئا) تخلفا عنه أو التوبة والاثم وهو من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما أى شاة بدرهم فالواو بمعنى الباء لان الواو للجمع والباء للالصاق فيتناسبان أو المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر فكل واحد منهما مخلوط ومخلوط به كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه بخلاف قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته بالواو فقد جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء (عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) ولم يذكر توبتهم لانه ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة (خذ من أموالهم صدقة) كفارة لذنوبهم وقيل هى الزكاة (تطهرهم) عن الذنوب وهو صفة لصدقة والتاء للخطاب أو لغيبة المؤنث والتاء فى (وتزكيهم) للخطاب لا محالة (بها) بالصدقة والتزكية مبالغة فى التطهير وزيادة فيه أو بمعنى الانماء والبركة فى المال (وصل عليهم) واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا أخذها (ان صلواتك) صلاتك كوفى غير أبى بكر قيل الصلاة أكثر من الصلوات لانها للجنس (سكن لهم) يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم (والله سميع) لدعائك أو سميع لاعترافهم بذنوبهم ودعائهم (عليم) بما فى ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم (ألم يعلموا) المراد المتوب عليهم أى ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم (ان الله هو يقبل التوبة عن عباده) اذا صحت (ويأخذ الصدقات) ويقبلها اذا صدرت على خلوص النية وهو للتخصيص أى ان ذلك ليس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الله هو الذى يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها اليه (وأن الله هو التواب) كثير قبول التوبة (الرحيم) يعفو الحوبة (وقل) لهؤلاء التائبين (اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) أى فان عملكم لا يخفى خيرا كان أو شرا على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم أو غير التائبين ترغيبا لهم فى التوبة فقد روى انه لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت وقوله تعالى فسيرى الله وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة (وستردون الى عالم الغيب) ما يغيب عن الناس (والشهادة) ما يشاهدونه (فينبئكم بما كنتم تعملون) تنبئة تذكير ومجازاة عليه (وآخرون مرجون لامر الله) بغير همز مدنى وكوفى غير أبى بكر مرجؤن غيرهم من أرجيته وأرجأته اذا أخرته ومنه المرجئة أى وآخرون من المتخلفين موقوفون الى أن يظهر أمر الله فيهم (إما يعذبهم) ان أصروا ولم يتوبوا (واما يتوب عليهم) ان تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع والضابط مكة تخلفوا عن غزوة تبوك وهم الذين ذكروا فى قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا (والله عليم) برجائهم (حكيم) فى ارجائهم واما للشك وهو راجع الى العباد أى خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة وروى أنه عليه السلام أمر أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم

ولم يفعلوا كما فعل ذلك الفريق من شد أنفسهم على السوارى واظهار الجزع والغم فلما علموا أن أحدا لا ينظر اليهم فوضوا أمرهم الى الله وأخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله (والذين اتخذوا مسجدا) تقديره ومنهم الذين اتخذوا الذين بغير واو مدنى وشامى وهو مبتدأ خبره محذوف أى جازيناهم روى أن بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبنى مسجدا ونرسل الى رسول الله يصلى فيه ويصلى فيه أبو عامر الراهب اذا قدم من الشأم وهو الذى قال لرسول الله عليه السلام يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة ونحن نحب أن تصلى لنا فيه فقال انى على جناح سفر واذا قدمنا من تبوك ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت عليه فقال لوحشى قاتل حمزة ومعن بن عدى وغيرهما انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعلوا وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام (ضرارا) مفعول وكذا ما بعده أى مضارة لاخوانهم أصحاب مسجد قباء (وكفرا) وتقوية للنفاق (وتفريقا بين المؤمنين) لانهم كانوا يصلون مجتمعين فى مسجد قباء فارادوا أن يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم (وارصادا لمن) واعدادا لاجل من (حارب الله ورسوله) وهو الراهب أعدوه له ليصلى فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كل مسجد بنى مباهاة أو رياء أو سمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله أو بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار (من قبل) متعلق بحارب أى من قبل بناء هذا المسجد يعنى يوم الخندق (وليحلفن) كاذبين (ان أردنا الا الحسنى) ما أردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى وهى الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلين (والله يشهد انهم لكاذبون) فى حلفهم (لا تقم فيه أبدا) للصلاة (لمسجد أسس على التقوى) اللام للابتداء وأسس نعت له وهو مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء وهى يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة أو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة (من أول يوم) من أيام وجوده قيل القياس فيه مذ لانه لابتداء الغاية فى الزمان ومن لابتداء الغاية فى المكان والجواب ان من عام فى الزمان والمكان (أحق ان تقوم فيه) مصليا (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقفوا على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر يارسول الله انهم لمؤمنون وأنا معهم فقال عليه السلام أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون فى الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون أنتم ورب الكعبة فجلس ثم قال يامعشر الانصار ان الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذى

تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يارسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي عليه السلام رجال يحبون أن يتطهروا وقيل هو عام في التطهر عن النجاسات كلها وقيل هو التطهر من الذنوب بالتوبة ومعنى محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء ومعنى محبة الله اياهم أنه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه (أفمن أسس بنيانه) وضع أساس ما يبنيه (على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار) هذا سؤال تقرير وجوابه مسكوت عنه لوضوحه والمعنى أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة محكمة وهي تقوى الله ورضوانه خير أم من أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينافي التقوى والشفا الجرف والشفير وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذي أشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف وألفه ليس بألف فاعل انما هي عينه وأصله هور فقلبت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل وكنه أمره أفمن أسس بنيانه أمن أسس بنيانه شامي ونافع جرف شامي وحمزة ويحيى هار بالامالة أبو عمرو وحمزة في رواية ويحيى (فانهار به في نار جهنم) فطاح به الباطل في نار جهنم ولما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليصور ان المبطل كانه أسس بنيانه على شفا جرف هار من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها قال جابر رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حين انهار (والله لا يهدي القوم الظالمين) لا يوفقهم للخير عقوبة لهم على نفاقهم (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم) لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم (الا أن تقطع قلوبهم) شامي وحمزة وحفص أي تتقطع غيرهم تقطع أي الا أن تقطع قلوبهم قطعا وتفرق أجزاء فحينئذ يسلون عنه وأما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة ثم يجوز أن يكون ذكر التقطع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم او في القبور أو في النار أو معناه الا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم (والله عليم) بعزائمهم (حكيم) في جزاء جرائمهم (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) مثل الله اثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيله بالشراء وروى تاجرهم فاغلى لهم الثمن وعن الحسن أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو يقرؤها فقال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد (يقاتلون في سبيل الله) بيان محل التسليم (فيقتلون ويقتلون) أي تارة يقتلون العدو وطورا يقتلهم العدو فيقتلون ويقتلون حمزة وعلي (وعدا عليه) مصدر أي وعدهم بذلك وعدا (حقا)

صفته

صفته أخبر بان هذا الوعد الذى وعده للمجاهدين فى سبيله وعد ثابت قد أثبته (فى التوراة والانجيل والقرآن) وهو دليل على أن أهل كل ملة أمروا بالقتال ووعدوا عليه ثم قال (ومن أوفى بعهده من الله) لان اخلاف الميعاد قبيح لايقدم عليه الكريم منا فكيف باكرم الاكرمين ولا ترى ترغيبا فى الجهاد أحسن منه وأبلغ (فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به) فافرحوا غاية الفرح فانكم تبيعون فانيا بباق (وذلك هو الفوز العظيم) قال الصادق ليس لابدانكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الابها (التائبون) رفع على المدح أى هم التائبون يعنى المؤمنين المذكورين أو هو مبتدأ خبره (العابدون) أى الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا له العبادة وما بعده خبر بعد خبر أى التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤا من النفاق (الحامدون) على نعمة الاسلام (السائحون) الصائمون لقوله عليه السلام سياحة أمتى الصيام أو طلبة العلم لانهم يسيحون فى الارض يطلبونه فى مظانه أو السائرون فى الارض للاعتبار (الراكعون الساجدون) المحافظون على الصلوات (الآمرون بالمعروف) بالايمان والمعرفة والطاعة (والناهون عن المنكر) عن الشرك والمعاصى ودخلت الواو للاشعار بأن السبعة عقد تام أو للتضاد بين الامر والنهى كما فى قوله ثيبات وأبكارا (والحافظون لحدود الله) أوامره ونواهيه أو معالم الشرع (وبشر المؤمنين) المتصفين بهذه الصفات وهم عليه السلام أن يستغفر لابى طالب فنزل (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى) أى ما صح له الاستغفار فى حكم الله وحكمته (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) من بعد ما ظهر لهم أنهم ماتوا على الشرك ثم ذكر عذر ابراهيم فقال (وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه) أى وعد أبوه اياه أن يسلم أو هو وعد أباه أن يستغفر وهو قوله لاستغفرن لك دليله قراءة الحسن وعدها أباه ومعنى استغفاره سؤاله المغفرة له بعد ما أسلم أو سؤاله اعطاء الاسلام الذى به يغفر له (فلما تبين) من جهة الوحى (له) لابراهيم (أنه) ان أباه (عدو لله) بأن يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه (تبرأ منه) وقطع استغفاره (ان ابراهيم لاواه) هو المتأوه شفقا وفرقا ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته كان يتعطف على أبيه الكافر (حليم) هو الصبور على البلاء الصفوح عن الاذى لانه كان يستغفر لابيه وهو يقول لارجمنك (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) أى ما أمر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين انه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم الاسلام ولا يخذلهم الا اذا قدموا عليه بعد بيان حظره وعلمهم بأنه واجب الاجتناب وأما قبل العلم والبيان فلا وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهى فأما ما يعلم بالعقل فغير موقوف على التوقيف (ان الله بكل شئ عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيى

ويميت ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير لقد تاب الله على النبي) أي تاب عليه باذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك (والمهاجرين والانصار) فيه بعث للمؤمنين على التوبة وانه مامن مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار (الذين اتبعوه في ساعة العسرة) في غزوة تبوك ومعناه في وقتها والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق وكانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد ومن الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة حتى اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء ومن الماء حتى نحروا الابل وعصروا كرشها وشربوه وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط (من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم) عن الثبات على الايمان أو عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد ضمير الشأن والجملة بعده في موضع النصب وهو كقولهم ليس خلق الله مثله أي ليس الشأن خلق الله مثله يزيغ حمزة وحفص (ثم تاب عليهم) تكرير للتوكيد (انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة) اى وتاب على الثلاثة وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وهو عطف على النبي (الذين خلفوا) عن الغزو (حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) برحبها أي مع سعتها وهو مثل للحيرة في أمرهم كأنهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا (وضاقت عليهم أنفسهم) أي قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور لانها حرجت من فرط الوحشة والغم (وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه) وعلموا أن لا ملجأ من سخط الله الا الى استغفاره (ثم تاب عليهم) بعد خمسين يوما (ليتوبوا) ليكونوا من جملة التوابين (ان الله هو التواب الرحيم) عن أبي بكر الوراق انه قال التوبة النصوح أن تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة هؤلاء الثلاثة (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) في ايمانهم دون المنافقين أو مع الذين لم يتخلفوا أو مع الذين صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا والآية تدل على أن الاجماع حجة لانه أمر بالكون مع الصادقين فلزم قبول قولهم (ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) المراد بهذا النفي النهي وخص هؤلاء بالذكر وان استوى كل الناس في ذلك لقربهم منه ولا يخفى عليهم خروجه (ولا يرغبوا) ولا أن يضنوا (بأنفسهم عن نفسه) عما يصيب نفسه أي لا يختاروا ابقاء أنفسهم على نفسه في الشدائد بل أمروا بأن يصحبوه في البأساء والضراء ويلقوا أنفسهم بين يديه في كل شدة (ذلك) النهي عن التخلف (بأنهم) بسبب أنهم (لا يصيبهم ظمأ) عطش (ولا نصب) تعب (ولا مخمصة) مجاعة (في سبيل الله) في الجهاد (ولا يطؤن موطئا) ولا يدوسون مكانا من أمكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وأرجلهم (يغيظ الكفار) يغضبهم ويضيق صدورهم (ولا ينالون من عدو نيلا) ولا يصيبون منهم اصابة بقتل أو أسر أو جرح أو كسر أو هزيمة (الا كتب

لهم به عمل صالح) عن ابن عباس رضى الله عنهما لكل روعة سبعون ألف حسنة يقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام في كل مايسوءهم وفيه دليل على أن من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وعلى أن المدد يشارك الجيش في الغنيمة بعد انقضاء الحرب لان وطء ديارهم مما يغيظهم وقد أسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب والموطئ امامصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه (ان الله لايضيع أجر المحسنين) أى أنهم محسنون والله لا يبطل ثوابهم (ولا ينفقون نفقة) في سبيل الله (صغيرة) ولو تمرة (ولا كبيرة) مثل ما أنفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة (ولا يقطعون واديا) أى أرضا في ذهابهم ومجيئهم وهو كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل فاعل من ودى اذا سال ومنه الودى وقد شاع في الاستعمال بمعنى الارض (الا كتب لهم) من الانفاق وقطع الوادى (ليجزيهم الله) متعلق بكتب أى أثبت في صحائفهم لاجل الجزاء (أحسن ما كانوا يعملون) أى يجزيهم على كل واحد جزاء أحسن عمل كان لهم فيلحق مادونه به توفيرا لاجرهم (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) اللام لتأكيد النفي أى أن نفير الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح لافضائه الى المفسدة (فلولا نفر) فحين لم يكن نفير الكافة فهلا نفر (من كل فرقة منهم طائفة) أى من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير (ليتفقهوا في الدين) ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في تحصيلها (ولينذروا قومهم) وليجعلوا مرمى همتهم الى التفقه انذار قومهم وارشادهم (اذا رجعوا اليهم) دون الاعراض الخسيسة من التصدر والترؤس والتشبه بالظلمة في المراكب والملابس (لعلهم يحذرون) مايجب اجتنابه وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك بعد ما أنزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن التفقه في الدين فأمروا أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة الى الجهاد ويبقى سائرهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذى هو الجهاد الاكبر اذ الجهاد بالحجاج أعظم أثرا من الجهاد بالنصال والضمير في ليتفقهوا للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في أيام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم) يقربون منكم (من الكفار) القتال واجب مع جميع الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب أوجب وقد حارب النبي صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم الشأم والشأم أقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على أهل كل ناحية أن يقاتلوا من وليهم (وليجدوا فيكم غلظة) شدة وعنفا في المقال قبل القتال (واعلموا أن الله مع المتقين) بالنصرة والغلبة (واذا ما أنزلت سورة) ماصلة مؤكدة (فمنهم) فمن

المنافقين (من يقول) بعضهم لبعض (أيكم زادته هذه) السورة (ايمانا) انكارا واستهزاء بالمؤمنين وأيكم مرفوع بالابتداء وقيل هو قول المؤمنين للحث والتنبيه (فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا) يقينا وثباتا أو خشية أو ايمانا بالسورة لانهم لم يكونوا آمنوا بها تفصيلا (وهم يستبشرون) بدون زيادة التكليف بشارة التشريف (وأما الذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق فهو فساد يحتاج الى علاج كالفساد في البدن (فزادتهم رجسا الى رجسهم) كفرا مضموما الى كفرهم (وماتوا وهم كافرون) هو اخبار عن اصرارهم عليه الى الموت (أولا يرون) يعني المنافقين وبالتاء حمزة خطاب للمؤمنين (أنهم يفتنون) يبتلون بالقحط والمرض وغيرهما (في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون) عن نفاقهم (ولا هم يذكرون) لايعتبرون أو بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لايتوبون بما يرون من دولة الاسلام ولا هم يذكرون بما يقع بهم من الاصطلام (واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض) تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين (هل يراكم من أحد) من المسلمين لننصرف فانا لانصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم أو اذا ما أنزلت سورة في عيب المنافقين أشار بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ان قمتم من حضرته عليه السلام (ثم انصرفوا) عن حضرة النبي عليه السلام مخافة الفضيحة (صرف الله قلوبهم) عن فهم القرآن (بأنهم) بسبب انهم (قوم لا يفقهون) لايتدبرون حتى يفقهوا (لقد جاءكم رسول) محمد عليه السلام (من أنفسكم) من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم (عزيز عليه ما عنتم) شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم الوقوع في العذاب (حريص عليكم) على ايمانكم (بالمؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) قيل لم يجمع الله اسمين من أسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم (فان تولوا) فان اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك (فقل حسبي الله) فاستعن بالله وفوض اليه أمورك فهو كافيك معرتهم وناصرك عليهم (لا إله الا هو عليه توكلت) فوضت أمري اليه (وهو رب العرش) هو أعظم خلق الله خلق مطافا لاهل السماء وقبلة للدعاء (العظيم) بالجر وقرئ بالرفع على نعت الرب جل وعز عن أبي آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية

﴿سورة يونس عليه السلام مائة وتسع آيات مكية﴾
(وكذا ما بعدها الى سورة النور)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الر) ونحوه ممال حمزة وعلي وأبو عمرو وهو تعديد للحروف على طريق التحدي (تلك آيات الكتاب) اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة (الحكيم)

ذى الحكمة لاشتماله عليها او المحكم عن الكذب والاقتراف والهمزة فى (أكان للناس عجبا) لانكار التعجب والتعجيب منه (أن أوحينا) اسم كان وعجبا خبره واللام فى للناس متعلق بمحذوف هو صفة لعجبا فلما تقدم صار حالا (الى رجل منهم أن أنذر الناس) بأن أنذر او هى مفسرة اذ الايحاء فيه معنى القول (وبشر الذين آمنوا أن لهم) بأن لهم ومعنى اللام فى للناس انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منه والذى تعجبوا منه أن يوحى الى بشر وأن يكون رجلا من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم أبى طالب وأن يذكرلهم البعث وينذر بالنيران ويبشر بالجنان وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وارسال اليتيم او الفقير ليس بعجب أيضا لان الله تعالى انما يختار للنبوة من جمع أسبابها والغنى والتقدم فى الدنيا ليس من أسبابها والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب والمنكر فى العقول تعطيل الجزاء (قدم صدق عند ربهم) اى سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة ولما كان السعى والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم فى الخير واضافتها الى صدق دلالة على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة اومقام صدق اوسبق السعادة (قال الكافرون ان هذا) الكتاب (لسحر مبين) مدنى وبصرى وشامى ومن قرأ لساحر فهذه اشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين فى تسميته سحرا (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش) اى استولى فقد يقدس الديان عن المكان والمعبود عن الحدود (يدبر) يقضى ويقدر على مقتضى الحكمة (الامر) اى أمر الخلق كله وأمر ملكوت السموات والارض والعرش ولما ذكر ما يدل على عظمته وملكه من خلق السموات والارض والاستواء على العرش أتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه لا يخرج أمر من الامور عن قضائه وتقديره وكذلك قوله (ما من شفيع الا من بعد اذنه) دليل على عزته وكبريائه (ذلكم) العظيم الموصوف بما وصف به (الله ربكم) وهو الذى يستحق العبادة (فاعبدوه) وحدوه ولا تشركوا به بعض خلقه من انسان اوملك فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع (أفلا تذكرون) أفلا تتدبرون فتستدلون بوجود المصالح والمنافع على وجود المصلح النافع (اليه مرجعكم جميعا) حال اى لا ترجعون فى العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه والمرجع الرجوع او مكان الرجوع (وعد الله) مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم (حقا) مصدر مؤكد لقوله وعد الله (أنه يبدأ الخلق ثم يعيده) استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم (بالقسط) بالعدل وهو متعلق بيجزى اى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم أجورهم او بقسطهم اى

بما أقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا اذ الشرك ظلم ان الشرك لظلم عظيم وهذا أوجه لمقابلة قوله (والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) ولوجه كلامي (هو الذي جعل الشمس ضياء) الياء فيه منقلبة عن واو ضواء لكسرة ماقبلها وقلبها قنبل همزة لانها الحركة أجلى (والقمر نورا) والضياء أقوى من النور فلذا جعله للشمس (وقدره) وقدر القمر أي وقدر مسيره (منازل) أو وقدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل (لتعلموا عدد السنين) أي عدد السنين والشهور فاكتفى بالسنين لاشتمالها على الشهور (والحساب) وحساب الآجال والمواقيت المقدرة بالسنين والشهور (ماخلق الله ذلك) المذكور (الا) ملتبسا (بالحق) الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا (يفصل الآيات) مكي و بصري وحفص و بالنون غيرهم (لقوم يعلمون) فينتفعون بالتأمل فيها (ان في اختلاف الليل والنهار) في مجيء كل واحد منهما خلف الآخر أو في اختلاف لونيهما (وما خلق الله في السموات والارض) من الخلائق (لآيات لقوم يتقون) خصهم بالذكر لانهم يحذرون الآخرة فيدعوهم الحذر الى النظر (ان الذين لايرجون لقاءنا) لايتوقعونه أصلا ولايخطرونه ببالهم لغفلتهم عن التفطن للحقائق أو لايؤملون حسن لقائنا كما يؤمله السعداء أو لايخافون سوء لقائنا الذي يجب أن يخاف (ورضوا بالحيوة الدنيا) من الآخرة وآثروا القليل الفاني على الكثير الباقي (واطمأنوا بها) وسكنوا فيها سكون من لايزعج عنها فبنوا شديدا وأملوا بعيدا (والذين هم عن آياتنا غافلون) لايتفكرون فيها ولا وقف عليه لان خبر ان (أولئك مأواهم النار) فأولئك مبتدأ ومأواهم مبتدأ ثان والنار خبره والجملة خبر أولئك والباء في (بما كانوا يكسبون) يتعلق بمحذوف دل عليه الكلام وهو جوزوا (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم) يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك الطريق السديد المؤدي الى الثواب ولذا جعل (تجري من تحتهم الانهار) بيانا له وتفسيرا اذ التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها أو يهديهم في الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له أنا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار وهذا دليل على أن الايمان المجرد منج حيث قال بايمانهم ولم يضم اليه العمل الصالح (في جنات النعيم) متعلق بتجري أو حال من الانهار (دعواهم فيها سبحانك اللهم) أي دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك أي يدعون الله بقولهم سبحانك اللهم تلذذا بذكره لا عبادة (وتحيتهم فيها سلام) أي يحيي بعضهم بعضا بالسلام أو هي تحية الملائكة اياهم وأضيف المصدر الى المفعول أو تحية الله لهم (وآخر دعواهم) وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح (أن الحمد لله رب العالمين) أن يقولوا الحمد لله رب العالمين ان مخففة من الثقيلة وأصله انه الحمد لله رب العالمين والضمير للشان قيل أول كلامهم التسبيح وآخره التحميد فيبتدؤن بتعظيم الله وتنزيهه و يختمون بالشكر

والثناء

والثناء عليه ويتكلمون بينهما بما أرادوا (ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير) أصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم والمراد أهل مكة وقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء أى ولو عجلنا لهم الشر الذى دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه (لقضى اليهم أجلهم) لاميتوا وأهلكوا لقضى اليهم أجلهم شامى على البناء للفاعل وهو الله عزوجل (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم) شركهم وضلالهم (يعمهون) يترددون ووجه اتصاله بما قبله ان قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفى التعجيل كأنه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضى اليهم أجلهم فنذرهم فى طغيانهم أى فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم (واذا مس الانسان) أصابه والمراد به الكافر (الضر دعانا) أى دعا الله لازالته (لجنبه) فى موضع الحال بدليل عطف الحالين أى (أو قاعدا أو قائما) عليه أى دعانا مضطجعا وفائدة ذكر هذه الاحوال ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا فى حالاته كلها كان مضطجعا عاجزا عن النهوض أو قاعدا لا يقدر على القيام أو قائما لا يطيق المشى (فلما كشفنا عنه ضره) أزلنا مابه (مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه) أى مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسى حال الجهد أو مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كأنه لا عهد له به والاصل كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن (كذلك) مثل ذلك التزيين (زين للمسرفين) للمجاوزين الحد فى الكفر زين الشيطان بوسوسته (ما كانوا يعملون) من الاعراض عن الذكر واتباع الكفر (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم) يا أهل مكة (لما ظلموا) أشركوا وهو ظرف لاهلكنا والواو فى (وجاءتهم رسلهم) للحال أى ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم (بالبينات) بالمعجزات (وما كانوا ليؤمنوا) ان بقوا ولم يهلكوا لان الله علم منهم أنهم يصرون على كفرهم وهو عطف على ظلموا أو اعتراض واللام لتأكيد النفى يعنى أن السبب فى اهلاكهم تكذيبهم للرسل وعلم الله أنه لا فائدة فى امهالهم بعد ان ألزموا الحجة ببعثة الرسل (كذلك) مثل ذلك الجزاء يعنى الاهلاك (نجزى القوم المجرمين) وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم) الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم أى استخلفناكم فى الارض بعد القرون التى أهلكناها (لننظر كيف تعملون) أى لننظر أتعملون خيرا أو شرا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف فى محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام فيه يمنع أن يتقدم عليه عامله والمعنى أنتم بمنظر منا فانظروا كيف تعملون أبالاعتبار بماضيكم أم الاغترار بما فيكم قال عليه السلام الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) حال (قال الذين لا يرجون لقاءنا) لما غاظهم ما فى القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد لاهل الطغيان (ائت بقرآن غير هذا) ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك (أو بدله) بأن تجعل

مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها فامر بأن يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة وأن يسقط ذكر الآلهة بقوله (قل ما يكون لي) ما يحل لي (أن أبدله من تلقاء نفسي) من قبل نفسي (ان أتبع الا ما يوحى الي) لا أتبع الا الوحي الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل لان الذي أتيت به من عند الله لا من عندي فابدله (اني أخاف ان عصيت ربي) بالتبديل من عند نفسي (عذاب يوم عظيم) أي يوم القيامة وأما الاتيان بقرآن آخر فلا يقدر عليه الانسان وقد ظهر لهم العجز عنه الا أنهم كانوا لا يعترفون بالعجز ويقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ولا يحتمل أن يريدوا بقوله ائت بقرآن غير هذا أو بدله من جهة الوحي لقوله اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وغرضهم في هذا الاقتراح الكيد اما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله فابدل مكانه آخر واما اقتراح التبديل فلاختبار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما أن يهلكه الله فينجوا منه أولا يهلكه فيسخروا منه فيجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم) يعني ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله واظهاره أمرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل أمي لم يتعلم ولم يشاهد العلماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا يغلب كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم الاصول والفروع والاخبار عن الغيوب التي لا يعلمها الا الله (ولا أدراكم به) ولا أعلمكم الله بالقرآن على لساني (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله) من قبل نزول القرآن أي فقد أقمت فيما بينكم أربعين سنة ولم تعرفوني متعاطيا شيأ من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت موصوفا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه (أفلا تعقلون) فتعلموا انه ليس الا من عند الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء اليه (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) يحتمل أن يريد افتراء المشركين على الله في أنه ذو شريك وذو ولد وان يكون تفاديا مما أضافوه اليه من الافتراء (أو كذب بآياته) بالقرآن فيه بيان ان الكاذب على الله والمكذب بآياته في الكفر سواء (انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم) ان تركوا عبادتها (ولا ينفعهم) ان عبدوها (ويقولون هؤلاء) أي الاصنام (شفعاؤنا عند الله) أي في أمر الدنيا ومعيشتها لانهم كانوا لا يقرون بالبعث وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت أو يوم القيامة ان يكن بعث ونشور (قل أتنبؤن الله بما لا يعلم) أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما له وهو عالم بجميع المعلومات لم يكن شيأ وقوله (في السموات ولا في الارض) تأكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو معدوم (سبحانه وتعالى عما يشركون) نزه ذاته عن ان يكون له شريك وبالتاء حمزة وعلي وما موصولة أو مصدرية أي عن الشركاء الذين تشركونهم به أو عن اشراكهم (وما كان الناس الا أمة واحدة) حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير أن يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل أو بعد

الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا (فاختلفوا) فصاروا مللا (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهو تأخير الحكم بينهم الى يوم القيامة (لقضى بينهم) عاجلا (فيما فيه يختلفون) فيما اختلفوا فيه وليميز المحق من المبطل وسبق كلمته لحكمة وهي ان هذه الدار دار تكليف وتلك الدار دار ثواب وعقاب (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه) أي آية من الآيات التي اقترحوها (فقل انما الغيب لله) أي هو المختص بعلم الغيب فهو العالم بالصارف عن انزال الآيات المقترحة لا غير (فانتظروا) نزول ما اقترحتموه (انى معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات (واذا أذقنا الناس) أهل مكة (رحمة) خصبا وسعة (من بعد ضراء مستهم) يعنى القحط والجوع (اذا لهم مكر فى آياتنا) أى مكروا بآياتنا بدفعها وانكارها روى انه تعالى سلط القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون فى آيات الله ويعادون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه فاذا الاولى للشرط والثانية جوابها وهي للمفاجأة وهو كقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون أى وان تصبهم سيئة قنطوا واذا أذقنا الناس رحمة مكروا والمكر اخفاء الكيد وطيه من الجارية المكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم وانما قال (قل الله أسرع مكرا) ولم يصفهم بسرعة المكر لان كلمة المفاجأة دلت على ذلك كانه قال واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجؤا وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤسهم من مس الضراء (ان رسلنا) يعنى الحفظة (يكتبون ما تمكرون) اعلام بان ما تظنونه خافيا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وبالياء سهل (هو الذى يسيركم فى البر والبحر) يجعلكم قادرين على قطع المسافات بالارجل والدواب والفلك الجارية فى البحار أو يخلق فيكم السير يذشركم شامى (حتى اذا كنتم فى الفلك) أى السفن (وجرين) أى السفن (بهم) بمن فيها رجوع من الخطاب الى الغيبة للمبالغة (بريح طيبة) لينة الهبوب لا عاصفة ولا ضعيفة (وفرحوا بها) بتلك الريح للينها واستقامتها (جاءتها) أى الفلك أو الريح الطيبة أى تلقتها (ريح عاصف) ذات عصف أى شديدة الهبوب (وجاءهم الموج) هو ما علا على الماء (من كل مكان) من البحر أو من جميع أمكنة الموج (وظنوا أنهم أحيط بهم) أهلكوا جعل احاطة العدو بالحى مثلا فى الاهلاك (دعوا الله مخلصين له الدين) من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ معه غيره يقولون (لئن أنجيتنا من هذه) الاهوال أو من هذه الريح (لنكونن من الشاكرين) لنعمتك مؤمنين بك متمسكين بطاعتك ولم يجعل الكون فى الفلك غاية للتسيير فى البحر ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما فى حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجىء الريح العاصف وتراكم الامواج والظن بالهلاك والدعاء بالانجاء وجواب اذا جاءتها ودعوا بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم للهلاك فهو ملتبس به (فلما أنجاهم اذا هم يبغون فى الارض) يفسدون فيها (بغير الحق)

باطلاأى مبطلين (ياأيها الناس انما بغيكم على أنفسكم) أى ظلمكم يرجع اليكم كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها (متاع الحيوة الدنيا) حفص أى تتمتعون متاع الحياة الدنيا وعلى أنفسكم خبر ابغيكم غيره بالرفع على انه خبر بغيكم وعلى أنفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم على أمثالكم أو هو خبر ومتاع خبر بعد خبر أو متاع خبر مبتدأ مضمر أى هو متاع الحياة الدنيا وفى الحديث أسرع الخير ثوابا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البغى واليمين الفاجرة وروى ثنتان يعجلهما الله فى الدنيا البغى وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغى وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على أنفسكم ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ومن نكث فانما ينكث على نفسه (ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون) فنخبركم به ونجازيكم عليه (انما مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء) من السحاب (فاختلط به) بالماء (نبات الارض) أى فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا (مما يأكل الناس) يعنى الحبوب والثمار والبقول (والانعام) يعنى الحشيش (حتى اذا أخذت الارض زخرفها) زينتها بالنبات واختلاف ألوانه (وازينت) وتزينت به وهو أصله وأدغمت التاء فى الزاى وهو كلام فصيح جعلت الارض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين (وظن أهلها) أهل الارض (أنهم قادرون عليها) متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها (أتاها أمرنا) عذابنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم انه قد سلم (ليلا أو نهارا فجعلناها) فجعلنا زرعها (حصيدا) شبيها بما يحصد من الزرع فى قطعه واستئصاله (كأن لم تغن) كأن لم يغن زرعها أى لم يلبث حذف المضاف فى هذه المواضع لا بد منه ليستقيم المعنى (بالامس) هو مثل فى الوقت القريب كانه قيل كأن لم تغن آنفا (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) فينتفعون بضرب الامثال وهذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا فى سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض فى جفافه وذهابه حطاما بعدما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه والتنبيه به على حكمة التشبيه ان الحياة صفوها شبيبتها وكدرها شيبتها كما أن صفو الماء فى أعلى الاناء قال

ألم تر أن العمر كاس سلافة * فاوله صفو وآخره كدر

وحقيقته تزيين جثة الطين بمصالح الدنيا والدين كاختلاط النبات على اختلاف التلوين فالطينة الطيبة تنبت بساتين الانس ورياحين الروح وزهرة الزهد وكروم الكرم وحبوب الحب وحدائق الحقيقة وشقائق الطريقة والخبيثة تخرج خلاف الخلاف وثمام الاثم وشوك الشرك وشيح الشح وحطب العطب ولماع اللعب ثم يدعوه معاده كما يحين للحرث حصاده فتزايله الحياة مغترا كما يهيج النبات مصفرا فتغيب جثته فى الرمس كأن لم تغن بالامس الى

ان

أن يعود ر بيع البعث وموعد العرض والبحث وكذلك حال الدنيا كالماء ينفع قليله و يهلك كثيره ولا بدمن ترك مازاد كالا بدمن أخذ الزاد وآخذ المال لا يخلو من زلة كما أن خائض الماء لا ينجو من بلة و جمعه وامساكه تلف صاحبه واهلاكه فادون النصاب بضحضاح ماء يجاوز بلا احتماء والنصاب كنهر حائل بين المجتاز والجواز الى المفاز لا يمكن الا بقنطرة وهى الزكاة وعمارتها بذل الصلات فمتى اختلت القنطرة غرقته أمواج القناطير المقنطرة وعن هذا قال عليه السلام الزكاة قنطرة الاسلام وكذا المال يساعد الاوغاد دون الامجاد كما أن الماء يجتمع فى الوهاد دون النجاد وكذلك المال لا يجتمع الا بكد البخيل كما أن الماء لا يجتمع الا بسد المسيل ثم يفنى و يتلف ولا يبقى كالماء فى الكف (والله يدعوا الى دار السلام) هى الجنة أضافها الى اسمه تعظيما لها أو السلام السلامة لان أهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قيلا سلاما سلاما (ويهدى من يشاء) و يوفق من يشاء (الى صراط مستقيم) الى الاسلام أو طريق السنة فالدعوة عامة على لسان رسول الله بالدلالة والهداية خاصة من لطف المرسل بالتوفيق والعناية والمعنى يدعو العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون (للذين أحسنوا) آمنوا بالله و رسله (الحسنى) المثوبة الحسنى وهى الجنة (وزيادة) رؤية الرب عزوجل كذا عن أبى بكر وحذيفة وابن عباس وأبى موسى الاشعرى وعبادة بن الصامت رضى الله عنهم وفى بعض التفاسير أجمع المفسرون على أن الزيادة النظر الى الله تعالى وعن صهيب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى أتريدون شيأ أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيرفع الحجاب فينظرون الى الله تعالى فما أعطوا شيأ أحب اليهم من النظر الى ربهم ثم تلا للذين أحسنوا الحسنى وزيادة والعجب من صاحب الكشاف انه ذكر هذا الحديث لا بهذه العبارة وقال انه حديث مدفوع مع انه مرفوع قد أورده صاحب المصابيح فى الصحاح وقيل الزيادة المحبة فى قلوب العباد وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان (ولا يرهق وجوههم) ولا يغشى وجوههم (قتر) غبرة فيها سواد (ولا ذلة) ولا أثر هوان والمعنى ولا يرهقهم ما يرهق أهل النار (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين كسبوا) عطف على للذين أحسنوا أى وللذين كسبوا (السيآت) فنون الشرك (جزاء سيئة بمثلها) الباء زائدة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها أو التقدير جزاء سيئة مقدرة بمثلها (وترهقهم ذلة) ذل وهوان (مالهم من الله) من عقابه (من عاصم) أى لا يعصمهم أحد من سخطه وعقابه (كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما) أى جعل عليها غطاء من سواد الليل أى هم سود الوجوه وقطعا جمع قطعة وهو مفعول ثان لاغشيت قطعا مكى وعلى من قوله بقطع من الليل وعلى هذه القراءة مظلما صفة لقطع وعلى الاول حال من الليل والعامل فيه أغشيت لان من الليل صفة لقطعا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة أو معنى الفعل فى من الليل (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون و يوم نحشرهم) أى الكفار وغيرهم (جميعا) حال

(ثم نقول للذين أشركوا مكانكم) أى الزموا مكانكم لاتبرحوا حتى تنظروا مايفعل بكم
(أنتم) أكد به الضمير فى مكانكم لسده مسد قوله الزموا (وشركاؤكم) عطف عليه
(فزيلنا) ففرقنا (بينهم) وقطعنا أقرانهم والوصل التى كانت بينهم فى الدنيا (وقال شركاؤهم)
من عبدوه من دون الله من أولى العقل أو الاصنام ينطقها الله عزوجل (ما كنتم ايانا
تعبدون) انما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم ان تتخذوا لله أندادا فاطعتموهم وهو
قوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم الى قوله بل كانوا يعبدون الجن
(فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم) أى كفى الله شهيدا وهو تمييز (ان كنا عن عبادتكم
لغافلين) ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية (هنالك) فى ذلك المكان
أوفى ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان (تبلوا كل نفس) تختبر وتذوق (ما أسلفت)
من العمل فتعرف كيف هو اقبيح أم حسن أنافع أم ضار أمقبول أم مردود وقال الزجاج تعلم
كل نفس ما قدمت تتلو حمزة وعلى أى تتبع ما أسلفت لان عمله هو الذى يهديه الى طريق
الجنة أوالنار أو تقرأ فى صحيفتها ما قدمت من خير أو شر كذا عن الاخفش (وردوا الى الله
مولاهم الحق) ربهم الصادق فى ربوبيته لانهم كانوا يتولون ماليس لربوبيته حقيقة أو الذى
يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذى لايظلم أحدا (وضل عنهم ما كانوا يفترون) وضاع عنهم
ما كانوا يدعون انهم شركاء الله أو بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة
(قل من يرزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات (أم من يملك السمع والابصار)
من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذى سويا عليه من الفطرة العجيبة أو من يحميهما
من الآفات مع كثرتها فى المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شئ (ومن يخرج الحى
من الميت ويخرج الميت من الحى) أى الحيوان والفرخ والزرع والمؤمن والعالم من النطفة
والبيضة والحب والكافر والجاهل وعكسها (ومن يدبر الامر) ومن يلى تدبير أمر العالم
كله جاء بالعموم بعد الخصوص (فسيقولون الله) فيجيبونك عند سؤالك ان القادر على
هذه هو الله (فقل أفلا تتقون) الشرك فى العبودية اذا اعترفتم بالربوبية (فذلكم الله)
أى من هذه قدرته هو الله (ربكم الحق) الثابت ربوبيته ثباتا لاريب فيه لمن حقق النظر
(فماذا بعد الحق الا الضلال) أى لاواسطة بين الحق والضلال فمن تخطى الحق وقع فى
الضلال (فأنى تصرفون) عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك (كذلك)
مثل ذلك الحق (حقت كلمت ربك) كلمات شامى ومدنى أى كما حق وثبت أن الحق
بعده الضلال أو كما حق أنهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك (على الذين
فسقوا) تمردوا فى كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه (أنهم لايؤمنون) بدل من
الكلمة أى حق عليهم انتفاء الايمان أوحق عليهم كلمة الله أن ايمانهم غير كائن أو أراد
بالكلمة العدة بالعذاب وأنهم لايؤمنون تعليل أى لانهم لايؤمنون (قل هل من شركائكم
من يبدأ الخلق ثم يعيده) انما ذكر ثم يعيده وهم غير مقرين بالاعادة لانه لظهور برهانها

جعل أمر اسلما على أن فيهم من يقر بالاعادة أو يحتمل اعادة غير البشر كاعادة الليل والنهار واعادة الانزال والنبات (قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده) أمر نبيه بأن ينوب عنهم فى الجواب يعنى أنهم لا تدعهم مكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق فتكلم عنهم (فأنى تؤفكون) فكيف تصرفون عن قصد السبيل (قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق) يرشد اليه (قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى الا أن يهدى) يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قراءة حمزة وعلى أمن لا يهدى بمعنى يهتدى لا يهدى بفتح الياء والهاء وتشديد الدال مكى وشامى وورش وباشمام الهاء فتحة أبو عمرو وبكسر الهاء وفتح الياء عاصم غير يحيى والاصل يهتدى وهى قراءة عبد الله فادغمت التاء فى الدال وفتحت الهاء بحركة التاء وكسرت لالتقاء الساكنين وبكسر الياء والهاء وتشديد الدال يحيى لاتباع ما بعدها وبسكون الهاء وتشديد الدال مدنى غير ورش والمعنى أن الله وحده هو الذى يهدى للحق بما ركب فى المكلفين من العقول وأعطاهم من التمكين للنظر فى الادلة التى نصبها لهم وبما وفقهم وألهمهم ووقفهم على الشرائع بارسال الرسل فهل من شركائكم الذين جعلتم أندادا لله أحد يهدى الى الحق مثل هداية الله ثم قال أفمن يهدى الى الحق أحق بالاتباع أم الذى لا يهدى أى لا يهتدى بنفسه أو لا يهدى غيره الا أن يهديه الله وقيل معناه أم من لا يهتدى من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا أن يهدى الا أن ينقل أو لا يهتدى ولا يصح منه الاهتداء الا أن ينقله الله من حاله الى أن يجعله حيا ناطقا فيهديه (فما لكم كيف تحكمون) بالباطل حيث تزعمون أنهم أنداد الله (وما يتبع أكثرهم) فى قولهم للاصنام انها آلهة وأنها شفعاء عند الله والمراد بالاكثر الجميع (الا ظنا) بغير دليل وهو اقتداؤهم بأسلافهم ظنا منهم أنهم مصيبون (ان الظن لا يغنى من الحق) وهو العلم (شيأ) فى موضع المصدر أى اغناء (ان الله عليم بما يفعلون) من اتباع الظن وترك الحق (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) أى افتراء من دون الله والمعنى وما صح وما استقام أن يكون مثله فى علو أمره واعجازه مفترى (ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه) وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة (وتفصيل الكتاب) وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم (لا ريب فيه من رب العالمين) داخل فى حيز الاستدراك كأنه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز أن يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب فى ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم (أم يقولون افتراه) بل أيقولون اختلقه (قل) ان كان الامر كما تزعمون (فأتوا) أنتم على وجه الافتراء (بسورة مثله) أى شبيهة به فى البلاغة وحسن النظم فانتم مثلى فى العربية (وادعوا من استطعتم من دون الله) أى وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة به على

الاتيان بمثله (ان كنتم صادقين) أنه افتراه (بل كذبوا بمالم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن فى بديهة السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه أمره وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم ومعنى التوقع فى ولما يأتهم تأويله أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليد الللآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو شأنه واعجازه لما كرر عليهم التحدى وجربوا قواهم فى المعارضة وعرفوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا (كذلك) مثل ذلك التكذيب (كذب الذين من قبلهم) يعنى كفار الامم الماضية كذبوا رسلهم قبل النظر فى معجزاتهم وقبل تدبرها عنادا وتقليد اللآباء ويجوز أن يكون معنى ولما يأتهم تأويله ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب أى عاقبته حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق يعنى أنه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل أن ينظروا فى نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل أن يجربوا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به) بالنبى أو بالقرآن أى يصدق به فى نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند بالتكذيب (ومنهم من لايؤمن به) لايصدق به ويشك فيه أو يكون للاستقبال أى ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر (وربك أعلم بالمفسدين) بالمعاندين أو المصرين (وان كذبوك) وان تموا على تكذيبك ويئست من اجابتهم (فقل لى عملى) جزاء عملى (ولكم عملكم) جزاء أعمالكم (أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) فكل مؤاخذ بعمله (ومنهم من يستمعون اليك) ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لايعون ولايقبلون فهم كالصم (أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لايعقلون) أتطمع انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع فى صماخه دوى الصوت فاذا اجتمع سلب العقل والسمع فقد تم الامر (ومنهم من ينظر اليك) ومنهم ناس ينظرون اليك ويعاينون أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لايصدقون (أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لايبصرون) أتحسب انك تقدر على هداية العمى ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذى له فى قلبه بصيرة قد يحدس وأما العمى مع الحمق فجهد البلاء يعنى انهم فى اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمى الذين لاعقول لهم ولابصائر (ان الله لايظلم الناس شيأ ولكن الناس أنفسهم يظلمون) ولكن الناس حمزة وعلى أى لم يظلمهم بسلب آلة الاستدلال ولكنهم ظلموا أنفسهم بترك الاستدلال حيث عبدوا جمادا وهم أحياء (ويوم نحشرهم) وبالياء حفص (كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار) استقصروا مدة لبثهم فى الدنيا أو فى قبورهم لهول مايرون (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف

بينهم لشـدة الامر عليهم كان لم يلبثوا حال من هم أي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبثوا الا ساعة
وكان مخففة من الثقيلة واسمها محـذوف أي كأنهم ويتعارفون بينهم حال بعد حال أو مستأنف
على تقـديرهم يتعارفون بينهـم (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) على ارادة القول أي
يتعارفون بينهم قائلين ذلك أو هي شهادة من الله على خسرانهم والمعنى أنهم وضعوا في تجارتهم
وبيعهم الايمان بالكفر (وما كانوا مهتدين) للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه معنى
التعجب كأنه قيل ما أخسرهم (واما نرينك بعض الذي نعدهم) من العذاب (أو نتوفينك)
قبل عذابهم (فالينا مرجعهم) جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف أي واما نرينك
بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك أو نتوفينك قبل أن نريكه فنحن نريكه في الآخرة (ثم الله
شهيد على ما يفعلون) ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها وهو العقاب كأنه قيل ثم الله معاقب
على ما يفعلون وقيـل ثم هنا بمعنى الواو (ولكل أمة رسول) يبعث اليهـم لينبههم على
التوحيد ويدعوهم الى دين الحق (فاذا جاء رسولهم) بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه (قضى
بينهم) بين النبي ومكذبيه (بالقسط) بالعدل فأنجي الرسول وعذب المكذبين أو ولكل
أمة من الامم يوم القيامة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهـم الموقف ليشهد عليهم
بالكفر والايمان (قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) لا يعذب أحد بغير ذنبه ولما قال
واما نرينك بعض الذي نعـدهم أي من العـذاب استعجلوا لما وعدوا من العـذاب نزل
(ويقولون متى هذا الوعد) أي وعد العذاب (ان كنتم صادقين) أن العذاب نازل وهو
خطاب منهـم للنبي والمؤمنين (قل) يا محمد (لا أملك لنفسي ضرا) من مرض أو فقر
(ولا نفعا) من صحة أو غنى (الا ما شاء الله) استثناء منقطع أي ولكن ما شاء الله من ذلك
كائن فكيف أملك لكم الضر وجلب العذاب (لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون) لكل أمة وقت معلوم للعذاب مكتوب في اللوح فاذا جاء وقت عذابهم
لا يتقدمون ساعة ولا يتأخرون فلا تستعجلوا (قل أرأيتم ان أتاكم عذابه) الذي تستعجلونه
(بياتا) نصب على الظرف أي وقت بيات وهو الليـل وأنتم ساهون نائمون لا تشعرون
(أو نهارا) وأنتم مشتغلون بطلب المعاش والكسب (ماذا يستعجل منه المجرمون) أي
من العذاب والمعنى ان العذاب كله مكروه موجب للنفور فأي شيء تستعجلون منه وليس شيء
منه يوجب الاستعجال والاستفهام في ماذا يتعلق بأرأيتم لان المعنى أخبروني ماذا يستعجل
منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه ولم
يقل ماذا يستعجلون منه لانه أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام
أو ماذا يستعجل منه المجرمون جواب الشرط نحو ان أتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة
بأرأيتم أو (أثم اذا ما وقع) العـذاب (آمنتم به) جواب الشرط وماذا يستعجل منه
المجرمون اعتراض والمعـنى ان أتاكم عـذابه آمنتم به بعـد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان
ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في أفأمن أهل القرى أوأمن أهل

القرى (آلآن) على ارادة القول أى قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به (وقد كنتم به تستعجلون) أى بالعذاب تكذيبا واستهزاء آلان بحذف الهمزة التى بعد اللام والقاء حركتها على اللام نافع (ثم قيل للذين ظلموا) عطف على قيل المضمر قبل آلآن (ذوقوا عذاب الخلد) أى الدوام (هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) من الشرك والتكذيب (ويستنبؤنك) ويستخبرونك فيقولون (أحق هو) وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء والضمير للعذاب الموعود (قل) يا محمد (اى وربى) نعم والله (انه لحق) ان العذاب كائن لا محالة (وما أنتم بمعجزين) بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة (ولو أن لكل نفس ظلمت) كفرت وأشركت وهو صفة لنفس أى ولو أن لكل نفس ظالمة (ما فى الارض) فى الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها (لافتدت به) لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه أيضا بمعنى فداه (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) وأظهروها من قولهم أسر الشىء اذا أظهره أو أخفوها عجزا عن النطق لشدة الامر فاسر من الاضداد (وقضى بينهم بالقسط) بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم (وهم لا يظلمون) ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله بقوله (ألا ان لله ما فى السموات والارض) فكيف يقبل الفداء وانه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب أو العقاب فهو حق لقوله (ألا ان وعد الله) بالثواب أو بالعذاب (حق) كائن (ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيى ويميت) هو القادر على الاحياء والاماتة لا يقدر عليهما غيره (واليه ترجعون) والى حسابه وجزائه المرجع فيخاف ويرجى (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم) أى قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد والموعظة التى تدعو الى كل مرغوب وتزجر عن كل مرهوب فما فى القرآن من الاوامر والنواهى داع الى كل مرغوب وزاجر عن كل مرهوب اذ الامر يقتضى حسن المأمور به فيكون مرغوبا وهو يقتضى النهى عن ضده وهو قبيح وعلى هذا فى النهى (وشفاء لما فى الصدور) أى صدوركم من العقائد الفاسدة (وهدى) من الضلالة (ورحمة للمؤمنين) لمن آمن به منكم (قل) يا محمد (بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا بذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشىء فليخصوهما بالفرح أو بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا وهما كتاب الله والاسلام فى الحديث من هداه الله للاسلام وعلمه القرآن ثم شكا الفاقة كتب الله الفقر بين عينيه الى يوم يلقاه وقرأ الآية (هو خير مما يجمعون) وبالتاء شامى فلتفرحوا يعقوب (قل أرأيتم) أخبرونى (ما أنزل الله لكم من رزق) ما منصوب بانزل أو بأرأيتم أى أخبرونيه (فجعلتم منه حراما وحلالا) فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقوله ما فى بطون هذه الانعام

خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ثم الارزاق تخرج من الارض ولكن لما نيطت أسبابها بالسماء نحو المطر الذى به تنبت الارض النبات والشمس التى بها النضج وينع الثمار أضيف انزالها الى السماء (قل آلله أذن لكم) متعلق بأرأيتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى أخبرونى آلله أذن لكم فى التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك باذنه (أم على الله تفترون) أم أنتم تكذبون على الله فى نسبة ذلك اليه أو الهمزة للانكار وأم منقطعة بمعنى بل أتفترون على الله تقريرا للافتراء والآية زاجرة عن التجوز فيما يسئل من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وأن لا يقول أحد فى شئ جائز أو غير جائز الا بعد ايقان واتقان والا فهو مفتر على الديان (وماظن الذين يفترون على الله الكذب) ينسبون ذلك اليه (يوم القيامة) منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه أى أى شئ ظن المفترين فى ذلك اليوم ما يصنع بهم وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث أبهم أمره (ان الله لذو فضل على الناس) حيث أنعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحى وتعليم الحلال والحرام (ولكن أكثرهم لا يشكرون) هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه (وما تكون فى شأن) ما نافية والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والشأن الامر (وما تتلو منه) من التنزيل كأنه قيل وما تتلو من التنزيل (من قرآن) لان كل جزء منه قرآن والاضمار قبل الذكر تفخيم له أو من الله عز وجل (ولا تعملون) أنتم جميعا (من عمل) أى عمل (الا كنا عليكم شهودا) شاهدين رقباء نحصى عليكم (اذ تفيضون فيه) تخوضون من أفاض فى الامر اذا اندفع فيه (وما يعزب عن ربك) وما يبعد وما يغيب وبكسر الزاى على حيث كان (من مثقال ذرة) وزن نملة صغيرة (فى الارض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) رفعهما حمزة على الابتداء والخبر (الا فى كتاب مبين) يعنى اللوح المحفوظ ونصبهما غيره على نفى الجنس وقدمت الارض على السماء هنا وفى سبأ قدمت السموات لان العطف بالواو وحكمه حكم التثنية (ألا ان أولياء الله) هم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة أو هم الذين تولى الله هداهم بالبرهان الذى آتاهم فتولوا القيام بحقه والرحمة لخلقه أو هم المتحابون فى الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها أو هم المؤمنون المتقون بدليل الآية الثانية (لا خوف عليهم) اذا خاف الناس (ولا هم يحزنون) اذا حزن الناس (الذين آمنوا) منصوب باضمار أعنى أو لانه صفة لاولياء أو مرفوع على أنه خبر مبتدا محذوف أى هم الذين آمنوا (وكانوا يتقون) الشرك والمعاصى (لهم البشرى فى الحيوة الدنيا) ما بشر الله به المؤمنين المتقين فى غير موضع من كتابه وعن النبى صلى الله عليه وسلم هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وعنه عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات والرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وهذا لان مدة الوحى ثلاث وعشرون سنة وكان فى ستة أشهر منها يؤمر فى النوم بالانذار وستة أشهر من ثلاث وعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزأ أو هى محبة الناس له والذكر الحسن أو لهم البشرى عند النزع بأن يرى مكانه فى الجنة (وفى الآخرة) هى الجنة (لا تبديل لكلمات الله) لا تغيير لاقواله ولا اخلاف

لمواعيده (ذلك) اشارة الى كونهم مبشرين فى الدارين (هو الفوز العظيم) وكلتا الجملتين اعتراض ولا يجب أن يقع بعد الاعتراض كلام كما تقول فلان ينطق بالحق والحق أبلج وتسكت (ولا يحزنك قولهم) تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم فى تدبير هلاكك وابطال أمرك (ان العزة) استئناف بمعنى التعليل كانه قيل مالى لا أحزن فقيل ان العزة (لله) ان الغلبة والقهر فى ملكه لا يملك أحد شيأ منهما لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن أنا ورسلى انا لننصر رسلنا أو به يتعزز كل عزيز فهو يعزك ودينك وأهلك والوقف لازم على قولهم لئلا يصير ان العزة مقول الكفار (جميعا) حال (هو السميع) لما يقولون (العليم) بما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك (ألا ان لله من فى السموات ومن فى الارض) يعنى العقلاء وهم الملائكة والثقلان وخصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا له وفى مملكته ولا يصلح أحد منهم للربوبية ولا أن يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل أحق أن لا يكون له ندا وشريكا (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) ما نافية أى وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله فى الربوبية محال (ان يتبعون الا الظن) الا ظنهم انهم شركاء الله (وان هم الا يخرصون) يحزرون ويقدرون أن يكون شركاء تقديرا باطلا أو استفهامية أى وأى شئ يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على أحدهما للدلالة والمحذوف مفعول يدعون أو موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أى وله شركاؤهم ثم نبه على عظيم قدرته وشمول نعمته على عباده بقوله (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) أى جعل لكم الليل مظلما لتستريحوا فيه من تعب التردد فى النهار (والنهار مبصرا) مضيئا لتبصروا فيه مطالب أرزاقكم ومكاسبكم (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع مذكر معتبر (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه) تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجيب من كلمتهم الحمقاء (هو الغنى) علة لنفى الولد لانه انما يطلب الولد ضعيف ليتقوى به أو فقير ليستعين به أو ذليل ليتشرف به والكل أمارة الحاجة فمن كان غنيا غير محتاج كان الولد عنه منفيا ولان الولد بعض الوالد فيستدعى أن يكون مركبا وكل مركب ممكن وكل ممكن يحتاج الى الغير فكان حادثا فاستحال القديم أن يكون له ولد (له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا ولا تجتمع البنوة معه (ان عندكم من سلطان بهذا) ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها أن تتعلق بقوله ان عندكم على أن يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بأرضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان ولما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فقال (أتقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب) باضافة الولد اليه (لا يفلحون) لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة (متاع فى الدنيا) أى افتراؤهم هذا منفعة قليلة فى الدنيا حيث يقيمون به رياستهم فى الكفر ومناصبة النبى صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به (ثم الينا

مرجعهم

مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد) المخلد (بما كانوا يكفرون) بكفرهم (واتل عليهم) واقرأ عليهم (نبأ نوح) خبره مع قومه والوقف عليه لازم اذ لو وصل لصار اذ ظرفا لقوله واتل بل التقدير واذكر (اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم) عظم وثقل كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين (مقامي) مكاني يعني نفسه كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان أي خاف ربه أو قيامي ومكثي بين أظهركم ألف سنة الا خمسين عاما أو مقامي (وتذكيري بآيات الله) لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا (فعلى الله توكلت) أي فوضت أمري اليه (فاجمعوا أمركم) من أجمع الامر اذا نواه وعزم عليه (وشركاءكم) الواو بمعنى مع أي فاجمعوا أمركم مع شركائكم (ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) أي غما عليكم وهما والغم والغمة كالكرب والكربة أو ملتبسا في خفية والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنه الحديث لا غمة في فرائض الله أي لا تستتر ولكن يجاهر بها والمعنى ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهروني به (ثم اقضوا الي) ذلك الامر الذي تريدون بي أي أدوا الي ما هو حق عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه أو اصنعوا ما أمكنكم (ولا تنظرون) ولا تمهلوني (فان توليتم) فان أعرضتم عن تذكيري ونصحي (فما سألتكم من أجر) فاوجب التولي أو فما سألتكم من أجر ففاتني ذلك بتوليكم (ان أجري الا على الله) وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة أي ما نصحتكم الا لله لا لغرض من أغراض الدنيا وفيه دلالة منع أخذ الاجر على تعليم القرآن والعلم الديني (وأمرت أن أكون من المسلمين) من المستسلمين لاوامره ونواهيه ان أجري بالفتح مدني وشامي وأبو عمرو وحفص (فكذبوه) فداموا على تكذيبه (فنجيناه) من الغرق (ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف) يخلفون الهالكين بالغرق في السفينة (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) هو تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له (ثم بعثنا من بعده) من بعد نوح عليه السلام (رسلا الى قومهم) أي هودا وصالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا (فجاؤهم بالبينات) بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم (فما كانوا ليؤمنوا) فاصروا على الكفر بعد المجئ (بما كذبوا به من قبل) من قبل مجيئهم يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم أحد (كذلك نطبع) مثل ذلك الطبع نختم (على قلوب المعتدين) المجاوزين الحد في التكذيب (ثم بعثنا من بعدهم) من بعد الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا) بالآيات التسع (فاستكبروا) عن قبولها وأعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن قبولها (وكانوا قوما مجرمين) كفارا ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤا على ردها (فلما جاءهم الحق من عندنا) فلما عرفوا أنه هو الحق وانه من عند الله

(قالوا) لحبهم الشهوات (ان هذا لسحر مبين) وهم يعلمون أن الحق أبعد شيء من السحر
(قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم) هو انكار ومقولهم محذوف اى هذا سحر ثم استأنف
انكار سحر آخر فقال (أسحر هذا) خبر ومبتدأ (ولا يفلح الساحرون) اى لا يظفر
(قالوا أجئتنا لتلفتنا) لتصرفنا (عما وجدنا عليه آباءنا) من عبادة الاصنام او عبادة
فرعون (وتكون لكما الكبرياء) اى الملك لان الملوك موصوفون بالكبرياء والعظمة
والعلو (فى الارض) أرض مصر (وما نحن لكما بمؤمنين) بمصدقين فيما جئتما به
ويكون حماد ويحيي (وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم) سحار حمزة وعلى (فلما
جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر) ما
موصولة واقعة مبتدأ وجئتم به صلتها والسحر خبر اى الذى جئتم به هو السحر لا الذى سماه
فرعون وقومه سحرا من آيات الله آلسحر بعد وقف أبو عمرو وعلى الاستفهام فعلى هذه
القراءة ما استفهامية اى اى شيء جئتم به أهو السحر (ان الله سيبطله) يظهر بطلانه (ان
الله لا يصلح عمل المفسدين) لا يثبته بل يدمره (ويحق الله الحق) ويثبته (بكلماته)
بأوامره وقضاياه او يظهر الاسلام بعداته بالنصرة (ولو كره المجرمون) ذلك (فما آمن
لموسى) فى أول أوامره (الا ذرية من قومه على خوف من فرعون) الا طائفة من ذرارى
بنى اسرائيل كأنه قيل الا أولاد من أولاد قومه وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من
فرعون وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف او الضمير فى قومه لفرعون والذرية مؤمن
آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وماشطته والضمير فى (وملئهم) يرجع الى فرعون بمعنى
آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر اولانه ذو أصحاب يأتمرون له او الى الذرية اى على خوف
من فرعون وخوف من أشراف بنى اسرائيل لانهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفا من فرعون
عليهم وعلى أنفسهم دليله قوله (أن يفتنهم) يريد أن يعذبهم فرعون (وان فرعون لعال
فى الارض) لغالب فيها قاهر (وانه لمن المسرفين) فى الظلم والفساد وفى الكبر والعتو
بادعائه الربوبية (وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله) صدقتم به وبآياته (فعليه توكلوا)
فاليه أسندوا أمركم فى العصمة من فرعون (ان كنتم مسلمين) شرط فى التوكل الاسلام
وهو أن يسلموا نفوسهم لله اى يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل
لا يكون مع التخليط (فقالوا على الله توكلنا) انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم
أن الله قبل توكلهم وأجاب دعاءهم ونجاهم وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء فى أرضه
فمن أراد أن يصلح للتوكل على ربه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص (ربنا لا تجعلنا فتنة
للقوم الظالمين) موضع فتنة لهم اى عذاب يعذبوننا او يفتنوننا عن ديننا اى يضلوننا
والفاتن المضل عن الحق (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) اى من تعذيبهم وتسخيرهم
(وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا) تبوأ المكان اتخذه مباءة كقوله
توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون

اليه

اليه للعبادة والصلاة فيه (واجعلوا بيوتكم قبلة) أى مساجد متوجهة نحو القبلة وهى الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا فى أول الامر مأمورين بأن يصلوا فى بيوتهم فى خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المسلمون على ذلك فى أول الاسلام بمكة (وأقيموا الصلوة) فى بيوتكم حتى تأمنوا (وبشر المؤمنين) ياموسى ثنى الخطاب أولا ثم جمع ثم وحد آخرا لان اختيار مواضع العبادة مما يفوض الى الانبياء ثم جمع لان اتخاذ المساجد والصلاة فيها واجب على الجمهور وخص موسى عليه السلام بالبشارة تعظيما لها وللمبشر بها (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة) هو ما يتزين به من لباس أوحلى أوفرش أوأثاث أوغير ذلك (وأموالا) أى نقدا وانعما وضيعة (فى الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك) ليضلوا الناس عن طاعتك كوفى ولا وقف على الدنيا لان قوله ليضلوا متعلق بآتيت وربنا تكرار الاول للالحاح فى التضرع قال الشيخ أبو منصور رحمه الله اذا علم منهم أنهم يضلون الناس عن سبيله آتاهم ما آتاهم ليضلوا عن سبيله وهو كقوله انما نملى لهم ليزدادوا اثما فتكون الآية حجة على المعتزلة (ربنا اطمس على أموالهم) أى أهلكها وأذهب آثارها لانهم يستعينون بنعمتك على معصيتك والطمس المحو والهلاك قيل صارت دراهمهم ودنانيرهم حجارة كهيئتها منقوشة وقيل وسائر أموالهم كذلك (واشدد على قلوبهم) اطبع على قلوبهم واجعلها قاسية (فلا يؤمنوا) جواب الدعاء الذى هو واشدد (حتى يروا العذاب الاليم) الى ان يروا العذاب الاليم وكان كذلك فانهم لم يؤمنوا الى الغرق وكان ذلك ايمان يأس فلم يقبل وانما دعا عليهم بهذا لما أيس من ايمانهم وعلم بالوحى انهم لا يؤمنون فاما قبل ان يعلم بانهم لا يؤمنون فلا يسع له أن يدعو بهذا الدعاء لانه أرسل اليهم ليدعوهم الى الايمان وهو يدل على ان الدعاء على الغير بالموت على الكفر لا يكون كفرا (قال قد اجيبت دعوتكما) قيل كان موسى عليه السلام يدعو وهرون يؤمن فثبت ان التأمين دعاء فكان اخفاؤه أولى والمعنى ان دعاءكما مستجاب وماطلبتما كائن ولكن فى وقته (فاستقيما) فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والتبليغ (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) ولا تتبعان طريق الجهلة الذين لا يعلمون صدق الاجابة وحكمة الامهال فقد كان بين الدعاء والاجابة أربعون سنة ولا تتبعان بتخفيف النون وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية شامى وخطأه بعضهم لان النون الخفيفة واجبة السكون وقيل هو اخبار عما يكونان عليه وليس بنهى أوهو حال وتقديره فاستقيما غير متبعين (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر) هو دليل لنا على خلق الافعال (فأتبعهم فرعون وجنوده) فلحقهم يقال تبعته حتى أتبعته (بغيا) تطاولا (وعدوا) ظلما وانتصبا على الحال أو على المفعول له (حتى اذا أدركه الغرق) ولا وقف عليه لان (قال آمنت) جواب اذا (انه) حمزة وعلى على الاستئناف بدل من آمنت وبالفتح غيرهما على حذف الباء التى هى صلة الايمان (لا إله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من

المسلمين) وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد حيث قال آمنت ثم قال وأنا من
المسلمين كرر فرعون المعنى الواحد ثلاث مرات فى ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم
يقبل منه حيث أخطأ وقته وكانت المرة الواحدة تكفى فى حالة الاختيار (آلآن) أتؤمن
بالساعة فى وقت الاضطرار حين أدركك الغرق وأيست من نفسك قيل قال ذلك حين ألجمه
الغرق والعامل فيه أتؤمن (وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) من الضالين المضلين
عن الايمان روى ان جبريل عليه السلام أتاه بفتيا ما قول الامير في عبد لرجل نشأ فى ماله
ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فيه يقول ابو العباس الوليد بن
مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه أن يغرق فى البحر فلما ألجمه الغرق ناوله
جبريل عليه السلام خطه فعرفه (فاليوم ننجيك) نلقيك بنجوة من الارض فرماه الماء الى
الساحل كانه ثور (ببدنك) فى موضع الحال أى في الحال التى لا روح فيك وانما أنت بدن أو ببدنك
كاملا سويا لم ينقص منه شئ ولم يتغير أو عريانا لست الا بدنا من غير لباس أو بدرعك وكانت له
درع من ذهب يعرف بها وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه بابدانك وهو مثل قولهم هو باجرامه
أى ببدنك كله وافيا باجزائه أو بدروعك لانه ظاهر بينها (لتكون لمن خلفك آية) لمن وراءك
من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان في أنفسهم ان فرعون أعظم شانا من أن يغرق وقيل
أخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه فألقاه الله على الساحل حتى عاينوه وقيل لمن خلفك لمن يأتى
بعدك من القرون ومعنى كونه آية أن يظهر للناس عبوديته وان ما كان يدعيه من
الربوبية محال وانه مع ما كان عليه من عظم الملك آل أمره الى ما ترون لعصيانه ربه فما
الظن بغيره (وان كثيرا من الناس عن آياتنا الغافلون ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق)
منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام (ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا) فى دينهم
(حتى جاءهم العلم) أى التوراة وهم اختلفوا فى تأويلها كما اختلف أمة محمد صلى الله عليه
وسلم في تأويل الآيات من القرآن أو المراد العلم بمحمد واختلاف بنى اسرائيل وهم أهل
الكتاب اختلافهم فى صفته انه هو أم ليس هو بعد ما جاءهم العلم انه هو (ان ربك يقضى
بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يميز المحق من المبطل ويجزى كلا جزاءه (فان
كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) لما قدم ذكر بنى
اسرائيل وهم قراء الكتاب ووصفهم بأن العلم قد جاءهم لان أمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم مكتوب فى التوراة والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم أراد أن يؤكد علمهم
بصحة القرآن وبصحة نبوته صلى الله عليه وسلم ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك
فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة أن يسارع الى حلها بالرجوع الى قوانين الدين وأدلته
أو بمباحثة العلماء فسل علماء أهل الكتاب فانهم من الاحاطة بصحة ما أنزل اليك بحيث
يصلحون لمراجعة مثلك فضلا عن غيرك فالمراد وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة
ما أنزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشك

فيه ثم قال (لقد جاءك الحق من ربك) أى ثبت عندك بالآيات الواضحة والبراهين اللائحة
ان ما أتاك هو الحق الذى لا مجال فيه للشك (فلا تكونن من الممترين) الشاكين ولا
وقف عليه للعطف (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين)
أى فاثبت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله أو هو على
طريقة التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله
بعد اذ أنزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا أشك
ولا أسأل بل أشهد انه الحق او خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد أمته أى وان
كنتم فى شك مما أنزلنا اليكم كقوله وأنزلنا اليكم نورا مبينا أو الخطاب لكل سامع يجوز
عليه الشك كقول العرب اذا عزأخوك فهن أو ان للنفى أى فما كنت في شك فسل أى ولا
نأمرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم عليه السلام بمعاينة احياء
الموتى فان قلت انما يجئ ان للنفى اذا كان بعده الا كقوله ان الكافرون الا فى غرور قلت
ذاك غير لازم ألا ترى الى قوله ان أمسكهما من أحد من بعده فان للنفى وليس بعده الا (ان
الذين حقت عليهم كلمت ربك) ثبت عليهم قول الله الذى كتبه في اللوح وأخبر به
الملائكة انهم يموتون كفارا أو قوله لاملأن جهنم الآية ولا وقف على (لا يؤمنون) لان
(ولو جاءتهم كل آية) تتعلق بما قبلها (حتى يروا العذاب الاليم) أى عند اليأس فيؤمنون
ولا ينفعهم أو عند القيامة ولا يقبل منهم (فلولا كانت قرية آمنت) فهلا كانت قرية
واحدة من القرى التى أهلكناها تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة ولم تؤخر
كما أخر فرعون الى أن أخذ بحنقه (فنفعها ايمانها) بأن تقبل الله ايمانها منها بوقوعه في
وقت الاختيار (الا قوم يونس) استثناء منقطع أى ولكن قوم يونس أو متصل والجملة
في معنى النفى كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على
أصل الاستثناء (لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين)
الى آجالهم روى أن يونس عليه السلام بعث الى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب
عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح كلهم وعجوا أربعين ليلة
وبرزوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان
والدواب وأولادها فحن بعضهم الى بعض وأظهروا الايمان والتوبة فرحمهم وكشف عنهم
وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وبلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقلع الحجر
وقد وضع عليه أساس بنيانه فيرده وقيل خرجوا لما نزل بهم العذاب الى شيخ من بقية
علمائهم فقال لهم قولوا يا حى حين لا حى ويا حى محيي الموتى ويا حى لا إله الا أنت فقالوها
فكشف الله عنهم وعن الفضيل قدس الله روحه قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت
وأنت أعظم منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله (ولو شاء ربك لآمن
من فى الارض كلهم) على وجه الاحاطة والشمول (جميعا) مجتمعين على الايمان

مطبقين عليه لا يختلفون فيه أخبر عن كمال قدرته ونفوذ مشيئته انه لو شاء لآمن من فى الارض كلهم ولكنه شاء أن يؤمن به من علم منه اختيار الايمان به وشاء الكفر ممن علم انه يختار الكفر ولا يؤمن به وقول المعتزلة المراد بالمشيئة مشيئة القسر والالجاء اى لو خلق فيهم الايمان جبرا لآمنوا لكن قد شاء ان يؤمنوا اختيارا فلم يؤمنوا دليله (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) اى ليس اليك مشيئة الاكراه والجبر فى الايمان انما ذلك الىّ فاسد لان الايمان فعل العبد وفعله ما يحصل بقدرته ولا يتحقق ذلك بدون الاختيار وتأويله عندنا ان الله تعالى لطفا لو أعطاهم لآمنوا كلهم عن اختيار ولكن علم منهم أنهم لا يؤمنون فلم يعطهم ذلك وهو التوفيق والاستفهام فى أفأنت بمعنى النفى اى لا تملك أنت يا محمد أن تكرههم على الايمان لانه يكون بالتصديق والاقرار ولا يمكن الاكراه على التصديق (وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله) بمشيئته او بقضائه او بتوفيقه وتسهيله او بعلمه (ويجعل الرجس) اى العذاب او السخط او الشيطان اى ويسلط الشيطان (على الذين لا يعقلون) لا ينتفعون بعقولهم ونجعل حماد ويحيى (قل انظروا) نظر استدلال واعتبار (ماذا فى السموات والارض) من الآيات والعبر باختلاف الليل والنهار وخروج الزروع والثمار (وما تغنى الآيات) ما نافية (والنذر) والرسل المنذرون او الانذارات (عن قوم لا يؤمنون) لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون (فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم) يعنى وقائع الله فيهم كما يقال أيام العرب او قائعها (قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين ثم ننجى رسلنا) معطوف على كلام محذوف يدل عليه الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم كأنه قيل نهلك الامم ثم ننجى رسلنا على حكاية الاحوال الماضية (والذين آمنوا) ومن آمن معهم (كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين) اى مثل ذلك الانجاء ننجى المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض اى وحق ذلك علينا حقا ننجى بالتخفيف على وحفص (قل يا أيها الناس) يا أهل مكة (ان كنتم فى شك من دينى) وصحته وسداده فهذا دينى فاستمعوا وصفه ثم وقف دينه فقال (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) اى الاصنام (ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم) يميتكم وصفه بالتوفى ليريهم انه الحقيق بأن يخاف ويتقى ويعبد دون ما لا يقدر على شئ (وأمرت أن أكون من المؤمنين) اى بان أكون يعنى ان الله أمرنى بذلك بما ركب فىّ من العقل وبما أوحى الىّ فى كتابه (وأن أقم وجهك للدين) اى وأوحى الىّ أن أقم ليشاكل قوله أمرت اى استقم مقبلا بوجهك على ما أمرك الله او استقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا (حنيفا) حال من الدين او الوجه (ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك) ان دعوته (ولا يضرك) ان خذلته (فان فعلت) فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا (فانك اذا من الظالمين) اذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كأن سائلا سأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم

أعظم من الشرك (وان يمسسك الله) يصبك (بضر) مرض (فلا كاشف له) لذلك الضر (الاهو) الاالله (وان يردك بخير) عافية (فلاراد لفضله) فلاراد لمراده (يصيب به) بالخير (من يشاء من عباده) قطع بهذه الآية على عباده طريق الرغبة والرهبة الا اليه والاعتماد الاعليه (وهو الغفور) المكفر بالبلاء (الرحيم) المعافي بالعطاء اتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بأنها لاتنفع ولاتضر ان الله هو الضار النافع الذي ان أصابك بضر لم يقدر على كشفه الاهو وحده دون كل أحد فكيف بالجماد الذي لاشعور به وكذا ان أرادك بخير لم يرد أحد ما يريده بك من الفضل والاحسان فكيف بالاوثان وهو الحقيق اذاً بأن توجه اليه العبادة دونها وهو أبلغ من قوله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته وانما ذكر المس في أحدهما والارادة في الآخر كانه أراد أن يذكر الامرين الارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير وانه لاراد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بأن ذكر المس وهو الاصابة في أحدهما والارادة في الآخر ليدل بما ذكر على ماترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده (قل ياأيها الناس) ياأهل مكة (قد جاءكم الحق) القرآن أو الرسول (من ربكم فمن اهتدى) اختار الهدى واتبع الحق (فانما يهتدي لنفسه) فانفع باختياره الا نفسه (ومن ضل فانما يضل عليها) ومن آثر الضلال فما ضر الا نفسه ودل اللام وعلى على معنى النفع والضرر (وما أنا عليكم بوكيل) بحفيظ موكول الى أمركم انما أنا بشير ونذير (واتبع مايوحى اليك واصبر) على تكذيبهم وايذائهم (حتى يحكم الله) لك بالنصرة عليهم والغلبة (وهو خير الحاكمين) لانه المطلع على السرائر فلا يحتاج الى بينة وشهود

﴿سورة هود عليه السلام مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الر كتاب) أي هذا كتاب فهو خبر مبتدا محذوف (أحكمت آياته) صفة له أي نظمت نظما رصينا محكما لايقع فيه نقض ولاخلل كالبناء المحكم (ثم فصلت) كاتفصيل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص أو جعلت فصولا سورة سورة وآية آية أو فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة أو فصل فيها ما يحتاج اليه العباد أي بين ولخص وليس معنى ثم التراخي في الوقت ولكن في الحال (من لدن حكيم خبير) صفة أخرى لكتاب أو خبر بعد خبر أو صلة لأحكمت وفصلت أي من عنده أحكامها وتفصيلها (ألا تعبدوا الا الله) مفعول له أي لئلا تعبدوا أو أن مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول كانه قيل قال لاتعبدوا الاالله أو أمركم أن لاتعبدوا الاالله (انني لكم منه نذير وبشير) أي من الله (وأن استغفروا ربكم) أي أمركم بالتوحيد والاستغفار (ثم توبوا اليه) أي

استغفروه من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة (يمتعكم متاعا حسنا) يطوّل نفعكم في الدنيا
بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة (الى أجل مسمى) الى أن يتوفاكم
(ويؤت كل ذي فضل فضله) ويعط في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة
فيه جزاء فضله لا يبخس منه شيأ (وان تولوا) وان تتولوا (فاني أخاف عليكم عذاب يوم
كبير) هو يوم القيامة (الى الله مرجعكم) رجوعكم (وهو على كل شيء قدير) فكان
قادرا على اعادتكم (ألا انهم يثنون صدورهم) يزورّون عن الحق وينحرفون عنه لان
من أقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازورّ عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه
كشحه (ليستخفوا منه) ليطلبوا الخفاء من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنون على ازورارهم
(ألا حين يستغشون ثيابهم) يتغطون بها أي يريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم
كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم
(يعلم ما يسرون وما يعلنون) أي لا تفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه
لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم
ونفاقهم غير نافع عنده قيل نزلت في المنافقين (انه عليم بذات الصدور) بما فيها (وما
من دابة في الارض الا على الله رزقها) تفضلا لا وجوبا (ويعلم مستقرها) مكانه من
الارض ومسكنه (ومستودعها) حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو
بيضة (كل في كتاب مبين) كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في
اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين (وهو الذي خلق السموات والارض) وما بينهما
(في ستة أيام) من الاحد الى الجمعة تعليما للتأني (وكان عرشه على الماء) أي فوقه يعني
ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض الا الماء وفيه دليل على أن العرش والماء
كانا مخلوقين قبل خلق السموات والارض قيل بدأ بخلق ياقوتة خضراء فنظر اليها بالهيبة
فصارت ماء ثم خلق ريحا فأقر الماء على متنه ثم وضع عرشه على الماء وفي وقوف العرش
على الماء أعظم اعتبار لاهل الافكار (ليبلوكم) أي خلق السموات والارض وما بينهما
للممتحن فيهما ولم يخلق هذه الاشياء لانفسها (أيكم أحسن عملا) أكثر شكرا وعنه عليه
السلام أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله فمن شكر وأطاع أثابه ومن
كفر وعصى عاقبه ولما أشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم أي ليفعل بكم ما يفعل المبتلي
لاحوالكم كيف تعملون (ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا
ان هذا الا سحر مبين) أشار بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه
سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره ساحر حمزة وعلي يريدون الرسول
والساحر كاذب مبطل (ولئن أخرنا عنهم العذاب) عذاب الآخرة أو عذاب يوم بدر
(الى أمة) الى جماعة من الاوقات (معدودة) معلومة أو قلائل والمعنى الى حين معلوم
(ليقولن ما يحبسه) ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء (ألا

يوم يأتيهم) العـذاب (ليس) العذاب (مصروفا عنهم) ويوم منصوب بمصروفا أى
ليس العذاب مصروفا عنهم يوم يأتيهم (وحاق بهم) وأحاط بهم (ما كانوا به يستهزؤن)
العذاب الذى كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم
كان على وجه الاستهزاء (ولئن أذقنا الانسان) هو للجنس (منا رحمة) نعمة من صحة
وأمن وجدة واللام فى لئن لتوطئة القسم (ثم نزعناها منه) ثم سلبناه تلك النعمة وجواب
القسم (انه ليؤس) شديد اليأس من أن يعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه
من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه (كفور) عظيم الكفران لما سلف له من
التقلب فى نعمة الله نساءله (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) وسعنا عليه النعمة بعد
الفقر الذى ناله (ليقولن ذهب السيآت عنى) أى المصائب التى ساءتنى (انه لفرح) أشر
بطر (فخور) على الناس بما أذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر
(الا الذين صبروا) فى المحنة والبلاء (وعملوا الصالحات) وشكروا فى النعمة والرخاء
(أولئك لهم مغفرة) لذنوبهم (وأجر كبير) يعنى الجنة كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا
لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية فى رشادهم ومن
اقتراحاتهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به فكان
يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقى اليهم مالا يقبلونه ويضحكون منه فهيجه
لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله (فلعلك تارك بعض ما يوحى
اليك) أى لعلك تترك أن تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به (وضائق به
صدرك) بأن تتلوه عليهم ولم يقل ضيق ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت لانه عليه السلام
كان أفسح الناس صدرا ولانه أشكل بتارك (أن يقولوا) مخافة أن يقولوا (لولا أنزل عليه
كنز أو جاء معه ملك) هلا أنزل عليه ما اقترحنا من الكنز لننفقه والملائكة لتصدقه ولم أنزل
عليه مالا نريده ولا نقترحه (انما أنت نذير) أى ليس عليك الا أن تنذرهم بما أوحى اليك
وتبلغهم ما أمرت بتبليغه ولا عليك ان ردوا أو تهاونوا (والله على كل شئ وكيل) يحفظ
ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل فتوكل عليه وكل أمرك اليه وعليك بتبليغ الوحى
بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم (أم
يقولون) أم منقطعة (افتراه) الضمير لما يوحى اليك (قل فأتوا بعشر سور) تحداهم
أولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخابر فى الخط لصاحبه اكتب عشرة أسطر نحو
ما أكتب فاذا تبين له العجز عن ذلك قال قد اقتصرت منك على سطر واحد (مثله) فى
الحسن والجزالة ومعنى مثله أمثاله ذهابا الى مماثلة كل واحدة منها له (مفتريات) صفة
لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله أرخى
معهم العنان وقال هبوا أنى اختلقته من عند نفسى فأتوا أنتم أيضا بكلام مثله مختلق من
عند أنفسكم فأنتم عرب فصحاء مثلى (وادعوا من استطعتم من دون الله) الى المعاونة على

المعارضة (ان كنتم صادقين) أنه مفترى (فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله الا هو) أى أنزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه واعلموا عند ذلك أن لا إله الا الله وحده وأن توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم وانما جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل لان الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يحدثونهم أولان الخطاب للمشركين والضمير فى فان لم يستجيبوا لمن استطعتم أى فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على المعارضة لعلمهم بالعجز عنه فاعلموا انما أنزل بعلم الله أى باذنه أو بأمره (فهل أنتم مسلمون) متبعون الاسلام بعد هذه الحجة القاطعة ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذى أنتم عليه وازدادوا يقينا على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد فهل أنتم مسلمون مخلصون (من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون) نوصل اليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير بخس فى الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وهم الكفار أو المنافقون (أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها) وحبط فى الآخرة ماصنعوه أو صنيعهم أى لم يكن لهم ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة انما أرادوا به الدنيا وقد وفى اليهم ما أرادوا (وباطل ما كانوا يعملون) أى كان عملهم فى نفسه باطلا لانه لم يعمل لغرض صحيح والعمل الباطل لا ثواب له (أفمن كان على بينة من ربه) أمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة من ربه أى لا يعقبونهم فى المنزلة ولا يقاربونهم يعنى ان بين الفريقين تباينا بينا وأراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه أى على برهان من الله و بيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل (ويتلوه) و يتبع ذلك البرهان (شاهد) يشهد بصحته وهو القرآن (منه) من الله أو من القرآن فقدمر ذكره آنفا (ومن قبله) ومن قبل القرآن (كتاب موسى) وهو التوراة أى و يتلو ذلك البرهان أيضا من قبل القرآن كتاب موسى عليه السلام (اماما) كتابا مؤتما به فى الدين قدوة فيه (ورحمة) ونعمة عظيمة على المنزل اليهم وهما حالان (أولئك) أى من كان على بينة (يؤمنون به) بالقرآن (ومن يكفر به) بالقرآن (من الاحزاب) يعنى أهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم (فالنار موعده) مصيره ومورده (فلا تك فى مرية) شك (منه) من القرآن أو من الموعد (انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم) يحبسون فى الموقف وتعرض أعمالهم (ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) و يشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه اتخذ ولدا وشريكا (ألا لعنة الله على الظالمين) الكاذبين على ربهم والاشهاد جمع شاهد كاصحاب وصاحب أو شهيد كشريف وأشراف (الذين يصدون عن سبيل الله) يصرفون الناس

عن دينه (ويبغونها عوجا) يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالارتداد (وهم بالآخرة هم كافرون) هم الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به (أولئك لم يكونوا) أي ما كانوا (معجزين في الارض) بمعجزين الله في الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم (وما كان لهم من دون الله من أولياء) من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه أراد انظارهم وتأخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد (يضاعف لهم العذاب) لانهم أضلوا الناس عن دين الله يضعف مكي وشامي (ما كانوا يستطيعون السمع) أي استماع الحق (وما كانوا يبصرون) الحق (أولئك الذين خسروا أنفسهم) حيث اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله (وضل عنهم) وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو (ما كانوا يفترون) من الآلهة وشفاعتها (لاجرم أنهم في الآخرة هم الاخسرون) بالصد والصدود وفي لاجرم أقوال أحدها أن لا رد لكلام سابق أي ليس الامر كما زعموا ومعنى جرم كسب وفاعله مضمر وأنهم في الآخرة في محل النصب والتقدير كسب قولهم خسرانهم في الآخرة وثانيها أن لا جرم كلمتان ركبتا فصار معناهما حقا وأن في موضع رفع بانه فاعل لحق أي حق خسرانهم وثالثها أن معناه لا محالة (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم) واطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع) شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع (هل يستويان) يعني الفريقين (مثلا) تشبيها وهو نصب على التمييز (أفلا تذكرون) فتنتفعون بضرب المثل (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين) أي باني والمعنى أرسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان والمعنى على الكسر وبكسر الالف شامي ونافع وعاصم وحمزة على ارادة القول (أن لا تعبدوا الا الله) أن مفسرة متعلقة بارسلنا أو بنذير (اني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) وصف اليوم بأليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) يريد الاشراف لانهم يملؤن القلوب هيبة والمجالس أبهة أو لانهم ملؤا بالاحلام والآراء الصائبة (ما نراك الا بشرا مثلنا) أرادوا انه كان ينبغي أن يكون ملكا أو ملكا (وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا) أخساؤنا جمع الارذل (بادى) وبالهمزة أبو عمرو (الرأى) وبغير همز أبو عمرو أي اتبعوك ظاهر الرأي أو أول الرأي من بدا يبدو اذا ظهر أو بدأ يبدأ اذا فعل الشئ أولا وانتصابه على الظرف أصله وقت حدوث ظاهر رأيهم أو أول رأيهم فحذف ذلك وأقيم المضاف اليه مقامه أرادوا أن اتباعهم لك شئ عن لهم بديهة من غير روية ونظر ولو تفكروا ما اتبعوك وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم في الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فكان الاشراف عندهم من له جاه ومال كما ترى أكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم أن

التقدم فى الدنيا لا يقرب أحدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه (ومانرى لكم علينا من فضل) فى مال ورأى عنوا نوحا وأتباعه (بل نظنكم كاذبين) أى نوحا فى الدعوة ومتبعيه فى الاجابة والتصديق يعنى تواطأتم على الدعوة والاجابة تسبيبا للرياسة (قال ياقوم أرأيتم) أخبرونى (ان كنت على بينة) برهان (من ربى) وشاهد منه يشهد بصحة دعواى (وآتانى رحمة من عنده) يعنى النبوة (فعميت عليكم) أى خفيت فعميت حمزة وعلى وحفص أى أخفيت أى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمى على القوم دليلهم فى المفازة بقوا بغير هاد وحقيقته أن الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدى ولا يهدى غيره (أنلزمكموها) أى الرحمة (وأنتم لها كارهون) لا تريدونها والواو دخلت هنا تتمة للميم وعن أبى عمرو اسكان الميم ووجهه أن الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوى سكونا وهو لحن لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا فى ضرورة الشعر (وياقوم لا أسئلكم عليه) على تبليغ الرسالة لانه مدلول قوله انى لكم نذير (مالا) أجرا يثقل عليكم ان أديتم أو على ان أبيتم (ان أجرى) مدنى وشامى وأبو عمرو وحفص (الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا) جواب لهم حين سألوا طردهم ليؤمنوا به أنفة من المجالسة معهم (انهم ملاقوا ربهم) فيشكوننى اليه ان طردتهم (ولكنى أراكم قوما تجهلون) تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل أو تجهلون لقاء ربكم أو انهم خير منكم (وياقوم من ينصرنى من الله) من يمنعنى من انتقامه (ان طردتهم أفلا تذكرون) تتعظون (ولا أقول لكم عندى خزائن الله) فادعى فضلا عليكم بالغنى حتى تجحدوا فضلى بقولكم ومانرى لكم علينا من فضل (ولا أعلم الغيب) حتى أطلع على ما فى نفوس اتباعى وضمائر قلوبهم وهو معطوف على عندى خزائن أى لا أقول عندى خزائن الله ولا أقول أنا أعلم الغيب (ولا أقول انى ملك) حتى تقولوا لى ما أنت الا بشر مثلنا (ولا أقول للذين تزدرى أعينكم) ولا أحكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم (لن يؤتيهم الله خيرا) فى الدنيا والآخرة لهوانهم عليه مساعدة لكم ونزولا على هواكم (الله أعلم بما فى أنفسهم) من صدق الاعتقاد وانما على قبول ظاهر اقرارهم اذ لا أطلع على خفى أسرارهم (انى اذا لمن الظالمين) ان قلت شيأ من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وأصله تزترى فابدلت التاء دالا (قالوا يانوح قد جادلتنا) خاصمتنا (فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) فى وعدك (قال انما يأتيكم به الله ان شاء) أى ليس الاتيان بالعذاب الىّ وانما هو الى من كفرتم به (وما أنتم بمعجزين) أى لم تقدروا على الهرب منه (ولا ينفعكم نصحى) هو اعلام موضع الغى ليتقى والرشد ليقتفى ولكنى انىَ نصحىَ مدنى وأبو عمرو (ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم) أى يضلكم وهذا شرط دخل على شرط فيكون الثانى مقدما فى الحكم لما عرف تقديره ان كان الله يريد أن يغويكم لا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم وهو دليل بين لنا فى ارادة

المعاصي

المعاصي (هو ربكم) فيتصرف فيكم على قضية ارادته (واليه ترجعون) فيجازيكم على أعمالكم (أم يقولون افتراه) بل أيقولون افتراه (قل ان افتريته فعلي اجرامي) أي ان صح أني افتريته فعلي عقوبة اجرامي أي افترائي يقال أجرم الرجل اذا أذنب (وأنا بريء) أي ولم يثبت ذلك وأنا بريء منه ومعنى (مما تجرمون) من اجرامكم في اسناد الافتراء الى فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم (وأوحي الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن) اقناط من ايمانهم وأنه غير متوقع وفيه دليل على أن للايمان حكم التجدد كأنه قال ان الذي آمن يؤمن في حادث الوقت وعلى ذلك تخرج الزيادة التي ذكرت في الايمان بالقرآن (فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) فلا تحزن حزن بائس مستكين والابتئاس افتعال من البؤس وهو الحزن والفقر والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك فقد حان وقت الانتقام من أعدائك (واصنع الفلك بأعيننا) هو في موضع الحال أي اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا بأعيننا كأن لله معه أعينا تكلؤه من أن يزيغ في صنعته عن الصواب (ووحينا) وانا نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله اليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطير (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) ولا تدعني في شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك (انهم مغرقون) محكوم عليهم بالاغراق وقد قضى به وجف القلم فلا سبيل الى كفه (ويصنع الفلك) حكاية حال ماضية (وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) من عمله السفينة وكان يعملها في برية في أبعد موضع من الماء فكانوا يتضاحكون منه ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعدما كنت نبيا (قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم) عند رؤية الهلاك (كما تسخرون) منا عند رؤية الفلك روي ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة من خشب الساج في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع أو ألفا ومائتي ذراع وعرضها خمسون ذراعا أو ستمائة ذراع وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب نوح ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله حاجزا بين الرجال والنساء (فسوف تعلمون من يأتيه) من في محل نصب بتعلمون أي فسوف تعلمون الذي يأتيه (عذاب يخزيه) ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق (ويحل عليه) وينزل عليه (عذاب مقيم) وهو عذاب الآخرة (حتى) هي التي يبتدأ بعدها الكلام أدخلت على الجملة من الشرط والجزاء وهي غاية لقوله ويصنع الفلك أي وكان يصنعها الى أن جاء وقت الموعد وما بينهما من الكلام حال من يصنع أي يصنعها والحال أنه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه وجواب كلما سخروا وقال استئناف على تقدير سؤال سائل أو قال جواب وسخروا بدل من مر أو صفة لملأ (اذا جاء أمرنا) عذابنا (وفار التنور) هو كناية عن اشتداد الامر وصعوبته وقيل معناه جاش الماء من تنور الخبز وكان من حجر لحواء فصار الى نوح عليه السلام وقيل التنور وجه الارض (قلنا احمل فيها) في السفينة (من

كل زوجين اثنين) تفسيره في سورة المؤمنين (وأهلك الا من سبق عليه القول) عطف على اثنين وكذا (ومن آمن) أى واحمل أهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من أهله من سبق عليه القول انه من أهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا للعلم بأنه يختار الكفر بتقديره وارادته جل خالق العباد عن أن يقع في الكون خلاف ما أراد (وما آمن معه الا قليل) قال عليه السلام كانوا ثمانية نوح وأهله و بنوه الثلاثة ونساؤهم وقيل كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجالا ونساء وأولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء (وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها) بسم الله متصل باركبوا حالا من الواو أى اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ويجوز أن يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة برأسها غير متعلقة بما قبلها وهى مبتدأ وخبر يعنى ان نوحا عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بأن مجراها ومرساها بذكر اسم الله أى بسم الله اجراؤها وارساؤها وكان اذا أراد أن تجرى قال بسم الله فجرت واذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست مجريها بفتح الميم وكسر الراء من جرى اما مصدر أو وقت حمزة وعلى وحفص وبضم الميم وكسر الراء أبو عمرو والباقون بضم الميم وفتح الراء (ان ربى لغفور) لمن آمن منهم (رحيم) حيث خلصهم (وهى تجرى بهم) متصل بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهى تجرى بهم أى السفينة تجرى وهم فيها (فى موج كالجبال) يريد موج الطوفان وهو جمع موجة كتمر وتمرة وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه بدخول الرياح الشديدة فى خلاله شبه كل موجة منه بالجبل فى تراكمها وارتفاعها (ونادى نوح ابنه) كنعان وقيل يام والجمهور على انه ابنه الصلبى وقيل كان ابن امرأته (وكان فى معزل) عن أبيه وعن السفينة مفعل من عزله عنه اذا نحاه وأبعده أو فى معزل عن دين أبيه (يابنى) بفتح الياء عاصم اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة من قولك يابنيا غيره بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة (اركب معنا) فى السفينة أى أسلم واركب (ولا تكن مع الكافرين قال سآوى) ألجأ (الى جبل يعصمنى من الماء) يمنعنى من الغرق (قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم) الا الراحم وهو الله تعالى أو لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله أى الا مكان من رحم الله من المؤمنين وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعنى السفينة أو هو استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله مالهم به من علم الا اتباع الظن (وحال بينهما الموج) بين ابنه والجبل أو بين نوح وابنه (فكان من المغرقين) فصار أو فكان فى علم الله (وقيل يا أرض ابلعى ماءك) انشفى وتشربى والبلع النشف (ويا سماء أقلعى) أمسكى (وغيض الماء) نقص من غاضه اذا نقصه وهو لازم ومتعد (وقضى الامر) وأنجز

ماوعدالله نوحامن اهلاك قومه (واستوت) واستقرت السفينة بعدأن طافت الارض كلها ستة أشهر (على الجودى) وهوجبل بالموصل (وقيل بعدا للقوم الظالمين) أى سحقا القوم نوح الذين غرقوا يقال بعد بعـدا و بَعَدًا اذا أرادوا البعد البعيـد من حيث الهلاك والموت ولذلك خص بدعاء السوء ✿ والنظر فى هذه الآية من أربع جهات من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية ومايتصـل بها فنقول ان الله تعالى لما أراد أن يبين معنى أردنا أن نرد ما انفجر من الارض الى بطنها فارتد وان نقطع طوفان السماء فانقطع وان نغيض الماء النازل من السماء فغيض وأن نقضى أمر نوح وهو انجاز ما كنا وعدناه من اغراق قومه فقضى وأن نسوى السفينة على الجودى فاسـتوت وأبقينا الظلمة غرقى بنى الكلام على تشبيه المراد بالامر الذى لايتأتى منه لكمال هيبته العصيان وتشبيه تكوين المراد بالامر الجزم النافـذ فى تكوين المقصود تصويرا لاقتداره العظيم وأن السموات والارض منقادة لتكوينه فيهامايشاء غير ممتنعة لارادته فيها تغييرا وتبـديلا كأنها عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفتـه وأحاطوا علما بوجوب الانقياد لامره والاذعان لحكمه ويحتم بذل المجهود عليهم فى تحصيل مراده ثم بنى على تشبيه هذا نظم الكلام فقال عز وجل وقيل على سبيل المجاز عن الارادة الواقع بسببها قول القائل وجعـل قرينة المجاز الخطاب للجماد وهو يا أرض و ياسماء ثم قال مخاطبا لهـما ياأرض و ياسماء على سبيل الاستعارة للشبه المذكور ثم استعار لغور الماء فى الارض البلع الذى هو أعمـال الجاذبة فى المطعوم للشبه بينهما وهو الذهاب الى مقر خفى ثم اسـتعار الماء للغذاء تشبيها له بالغـذاء لتقوى الارض بالماء فى الانبات كتقوى الآكل بالطعام ثم قال ماءك باضافة الماء الى الارض عـلى سبيل المجاز لاتصال المـاء بالارض كاتصال الملك بالمالك ثم اختار لاحتباس المطر الاقـلاع الذى هو ترك الفاعـل الفعل للشـبه بينهـما فى عـدم التأتى ثم قال وغيض الماء وقضى الامر واسـتوت على الجودى وقيل بعدا ولم يصرح بمن غاض الماء ولا بمن قضى الامر وسوى السفينة وقال بعـدا كالم يصرح بقائل ياأرض وياسماء سـلوكا فى كل واحـد من ذلك لسبيل الكناية وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعـل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها واحـد لايشارك فى فعـله فلا يذهب الوهـم الى أن يقول غـيره ياأرض ابلعى ماءك وياسماء أقلعى ولا أن يكون الغائض والقاضى والمسوى غـيره ثم ختم الكلام بالتعريض تنبيها لسالكى مسلكهم فى تكذيب الرسـل ظلما لانفسهم اظهارا لمكان السخط وأن ذلك العـذاب الشـديد ما كان الا لظلمهم ✿ ومن جهة علم المعانى وهو النظر فى فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتأخير فيما بين جملها وذلك انه اختير يا دون أخواتها لكونها أكثر استعمالا ولدلالتها على بعد المنادى الذى يستدعيه مقام اظهار العظمة والملكوت وابداء العزة والجبروت وهو تبعيـد المنادى المؤذن بالتهاون به ولم يقل ياأرضى لزيادة التهاون اذ الاضافة تسـتدعى القرب ولم يقل ياأيتها الارض للاختصار واختير لفظ

الارض والسماء لكونهما أخف وأدور واختير ابلعي على ابتلعي لكونه أخصر وللتجانس بينه وبين أقلعي وقيل أقلعي ولم يقل عن المطر وكذا لم يقل ياأرض ابلعي ماءك فبلعت وياسماء أقلعي فأقلعت اختصارا واختير غيض على غيّض وقيل الماء دون أن يقول ماء الطوفان والامر ولم يقل أمر نوح وقومه لقصد الاختصار والاستغناء بحرف العهد عن ذلك ولم يقل وسويت على الجودى أى أقرت على نحو قيل وغيض اعتبار البناء الفعل للفاعل مع السفينة فى قوله وهى تجرى بهم ارادة للمطابقة ثم قيل بعدا للقوم ولم يقل ليبعد القوم طلبا للتأكيد مع الاختصار هذا من حيث النظر الى تركيب الكلام وأما من حيث النظر الى ترتيب الجمل فذلك انه قدم النداء على الامر فقيل ياأرض ابلعي وياسماء أقلعي ولم يقل ابلعي ياأرض وأقلعي ياسماء جريا على مقتضى الكلام فيمن كان مأمورا حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الامر الوارد عقيبه فى نفس المنادى قصدا بذلك لمعنى الترشيح ثم قدم أمر الارض على أمر السماء وابتدأ به لابتداء الطوفان منها ثم أتبع وغيض الماء لاتصاله بقصة الماء وأخذه بحجزتها ثم ذكر ماهو المقصود وهو قوله وقضى الامر أى أنجز الموعود من اهلاك الكفرة وانجاء نوح ومن معه فى الفلك وعلى هذا فاعتبر ☆ ومن جهة الفصاحة المعنوية وهى كما ترى نظم للمعانى لطيف وتأدية لها ملخصة مبينة لاتعقيد يعثر الفكر فى طلب المراد ولا التواء يشيك الطريق الى المرتاد * ومن جهة الفصاحة اللفظية فألفاظها على ماترى عربية مستعملة سليمة عن التنافر بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات سلسلة على الاسلات كل منها كالماء فى السلاسة وكالعسل فى الحلاوة وكالنسيم فى الرقة ومن ثم أطبق المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الاتيان بمثل هذه الآية ولله درشأن التنزيل لايتأمل العالم آية من آياته الأأدرك لطائف لاتسع الحصر ولاتظنن الآية مقصورة على المذكور فلعل المتروك أكثر من المسطور (ونادى نوح ربه فقال رب) نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع مابعده من اقتضاء وعده فى تنجية أهله (ان ابنى من أهلى) أى بعض أهلى لانه كان ابنه من صلبه أوكان ربيبا له فهو بعض أهله (وان وعدك الحق) وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذى لاشك فى انجازه والوفاء به وقد وعدتنى أن تنجى أهلى فمابال ولدى (وأنت أحكم الحاكمين) أى أعلم الحكام وأعدلهم اذلا فضل لحاكم على غيره الابالعلم والعدل ورب غريق فى الجهل والجور من متقلدى الحكومة فى زمانك قد لقب أقضى القضاة ومعناه أحكم الحاكمين فاعتبر واستعبر (قال يانوح انه ليس من أهلك) ثم علل لانتفاء كونه من أهله بقوله (انه عمل غير صالح) وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك فى دينك وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك ومن لم يكن على دينك وان كان أمس أقاربك رحما فهو أبعد بعيد منك و جعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة فى ذمه كقولها

* فانما هى إقبال وإدبار * أو التقدير أنه ذو عمل وفيه اشعار بانه انما أنجى من أنجى من أهله لصلاحهم لا لانهم أهله وهذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوته عمل غير صالح على قال

الشيخ

الشيخ أبو منصور رحمه الله كان عند نوح عليه السلام ان ابنه كان على دينه لانه كان ينافق والالا يحتمل أن يقول ابني من أهلي و يسأله نجاته وقد سبق منه النهي عن سؤال مثله بقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فكان يسأله على الظاهر الذي عنده كما كان أهل النفاق يظهرون الموافقة لنبينا عليه السلام و يضمرون الخلاف له ولم يعلم بذلك حتى أطلعه الله عليه وقوله ليس من أهلك أي من الذين وعدت انجاءهم وهم المؤمنون حقيقة في السر والظاهر (فلا تسألن) اجتزأ بالكسرة عن الياء كوفي تسألني بصري تسألني مدني تسألن شامي بحذف الياء واجتزأ بالكسرة والنون نون التأكيد تسألن مكي (ماليس لك به علم) بجواز مسئلته (اني أعظك أن تكون من الجاهلين) هو كما نهى رسولنا بقوله فلا تكونن من الجاهلين (قال رب اني أعوذ بك أن أسألك ماليس لي به علم) أي من أن أطلب منك في المستقبل مالا علم لي بصحته تأدبا بأدبك واتعاظا بوعظك (والا تغفرلي) ما فرط مني (وترحمني) بالعصمة عن العود الى مثله (أكن من الخاسرين قيل يانوح اهبط بسلام منا) بتحية منا أو بسلامة من الغرق (وبركات عليك) هي الخيرات النامية وهي في حقه بكثرة ذريته وأتباعه فقد جعل أكثر الانبياء من ذريته وأئمة الدين في القرون الباقية من نسله (وعلى أمم ممن معك) من للبيان فتراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات أو قيل لهم أمم لان الامم تتشعب منهم أو لابتداء الغاية أي على أمم ناشئة ممن معك وهي الامم الى آخر الدهر وهو الوجه (وأمم) رفع بالابتداء (سنمتعهم) في الدنيا بالسعة في الرزق والخفض في العيش صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك أمم سنمتعهم وانما حذف لان ممن معك يدل عليه (ثم يمسهم منا عذاب أليم) أي في الآخرة والمعنى أن السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشؤن ممن معك وممن معك أمم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام أبا الانبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر (تلك) اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها وهي (من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك) أخبار أي تلك القصة بعض أنباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك (من قبل هذا) الوقت أو من قبل ايحائي اليك واخبارك بها (فاصبر) على تبليغ الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما كان لنوح ولقومه (ان العاقبة) في الفوز والنصر والغلبة (للمتقين) عن الشرك (والى عاد أخاهم) واحدا منهم وانتصابه للعطف على أرسلنا نوحا أي وأرسلنا الى عاد أخاهم (هودا) عطف بيان (قال ياقوم اعبدوا الله) وحدوه (مالكم من إله غيره) بالرفع نافع صفة على محل الجار والمجرور وبالجر علي على اللفظ (ان أنتم الا مفترون) تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء (ياقوم لا أسئلكم عليه أجرا ان أجري الا على الذي فطرني) ما من رسول

الاواجه قومه بهذا القول لان شأنهم النصيحة والنصيحة لا يمحضها الا حسم المطامع ومادام يتوهم شيء منها لم تنجع ولم تنفع (أفلا تعقلون) اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها أجرا الا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شيء أنفى للتهمة من ذلك (ويا قوم استغفروا ربكم) آمنوا به (ثم توبوا اليه) من عبادة غيره (يرسل السماء) أى المطر (عليكم مدرارا) حال أى كثيرة الدرور (ويزدكم قوة الى قوتكم) انما قصد استمالتهم الى الايمان بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا أصحاب زروع وبساتين فكانوا أحوج شيء الى الماء وكانوا مدلين بما أوتوا من شدة البطش والقوة وقيل أراد القوة بالمال أو على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم فوعدهم هود عليه السلام المطر والاولاد على الايمان والاستغفار وعن الحسن بن على رضى الله عنهما أنه وفد على معاوية فلما خرج قال له بعض حجابه انى رجل ذو مال ولا يولد لى علمنى شيأ لعل الله يرزقنى ولدا فقال الحسن عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر فى يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشر بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال وبنين (ولا تتولوا) ولا تعرضوا عنى وعما أدعوكم اليه (مجرمين) مصرين على اجرامكم وآثامكم (قالوا ياهود ما جئتنا ببينة) كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) هو حال من الضمير فى تاركى آلهتنا كانه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك (وما نحن لك بمؤمنين) وما يصح من أمثالنا أن يصدقوا مثلك فيما يدعوهم اليه اقناطا له من الاجابة (ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) ان حرف نفى فنفى جميع القول الا قولا واحدا وهو قولهم اعتراك أصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون وخبل وتقديره ما نقول قولا الا هذه المقالة أى قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء (قال انى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه) أى من اشراككم آلهة من دونه والمعنى انى أشهد الله أنى برىء مما تشركون واشهدوا أنتم أيضا انى برىء من ذلك وجىء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد على أنى لا أحبك تهكما به واستهانة بحاله (فكيدونى جميعا) أنتم وآلهتكم (ثم لا تنظرون) لا تمهلون فانى لا أبالى بكم وبكيدكم ولا أخاف معرتكم وان تعاونتم على وكيف تضرنى آلهتكم وما هى الا جماد لا يضر ولا ينفع وكيف تنتقم منى اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بان تخبلنى وتذهب بعقلى (انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) أى مالكها ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة فى قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بالناصية تمثيل لذلك (ان ربى على صراط مستقيم) ان ربى على الحق لا يعدل عنه أو ان ربى يدل على صراط مستقيم (فان

تولوا فقد أبلغتكم ماأرسلت به اليكم) هو في موضع فقد ثبتت الحجة عليكم (ويستخلف ربي قوما غيركم) كلام مستأنف أي ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم (ولاتضرونه) بتوليكم (شيأ) من ضرر قط اذلايجوز عليه المضار وانماتضرون أنفسكم (ان ربي على كل شيء حفيظ) رقيب عليه مهيمن فماتخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم أومن كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت الاشياء مفتقرة الى حفظه عن المضار لم يضر مثله مثلكم (ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه) وكانوا أربعة آلاف (برحمة منا) أي بفضل منا لا بعملهم أو بالايمان الذى أنعمنا عليهم (ونجيناهم من عذاب غليظ) وتكرار نجينا للتأكيد أو لثانية من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه (وتلك عاد) اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استأنف وصف أحوالهم فقال (جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لانفرق بين أحد من رسله (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) يريد رؤساءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل لانهم الذين يجبرون الناس على الامور ويعاندون ربهم ومعنى اتباع أمرهم طاعتهم (وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة) لما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين (ألا ان عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد) تكرار ألا مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم والدعاء ببعدا بعد هلاكهم وهو دعاء بالهلاك للدلالة على انهم كانوا مستأهلين له (قوم هود) عطف بيان لعاد وفيه فائدة لان عادا عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم (والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو أنشأكم من الارض) لم ينشئكم منها الا هو وانشاؤهم منها خلق آدم من التراب ثم خلقهم من آدم (واستعمركم فيها) وجعلكم عمارها وأراد منكم عمارتها أواستعمركم من العمر أي أطال أعماركم فيها وكانت أعمارهم من ثلثمائة الى ألف وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع مافيهم من الظلم فسأل نبي من أنبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى الله اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي (فاستغفروه) فاسألوه مغفرته بالايمان (ثم توبوا اليه ان ربي قريب) داني الرحمة (مجيب) لمن دعاه (قالوا ياصالح قد كنت فينا) فيما بيننا (مرجوا قبل هذا) للسيادة والمشاورة في الامور أوكنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على مانحن عليه (أتنهانا أن نعبد مايعبد آباؤنا) حكاية حال ماضية (واننا لفي شك مماتدعونا اليه) من التوحيد (مريب) موقع في الريبة من أرابه اذا أوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة (قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة) نبوة أتى بحرف الشك مع انه على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال قدروا اني على بينة من ربي وأنني

نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في أوامره (فمن ينصرني من الله) فمن يمنعني من عذاب الله (ان عصيته) في تبليغ رسالته ومنعكم عن عبادة الاوثان (فما تزيدونني) بقولكم أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا (غير تخسير) بنسبتكم اياي الى الخسار أو بنسبتي اياكم الى الخسران (و ياقوم هذه ناقة الله لكم آية) نصب على الحال قد عمل فيها مادل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل ولكم متعلق بآية حالا منها متقدمة لانها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال (فذروها تأكل في أرض الله) أي ليس عليكم رزقها مع أن لكم نفعها (ولا تمسوها بسوء) عقر أو نحر (فيأخذكم عذاب قريب) عاجل (فعقروها) يوم الاربعاء (فقال) صالح (تمتعوا) استمتعوا بالعيش (في داركم) في بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها أي يتصرف أو في دار الدنيا (ثلاثة أيام) ثم تهلكون فهلكوا يوم السبت (ذلك وعد غير مكذوب) أي غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به أو وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمعقول (فلما جاء أمرنا) بالعذاب أو عذابنا (نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا) قال الشيخ رحمه الله هذا يدل على ان من نجي انما نجي برحمة الله تعالى لا بعمله كما قال عليه السلام لا يدخل أحد الجنة الا برحمة الله (ومن خزي يومئذ) باضافة الخزي الى اليوم وانجرار اليوم بالاضافة و بفتحها مدني وعلي لانه مضاف الى اذ وهو مبني وظروف الزمان اذا أضيفت الى الاسماء المبهمة والافعال الماضية بنيت واكتسبت البناء من المضاف اليه كقوله * على حين عاتبت المشيب على الصبا * والواو للعطف وتقديره ونجيناهم من خزي يومئذ أي من ذله وفضيحته ولا خزي أعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه وجاز أن يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة (ان ربك هو القوي) القادر على تنجية أوليائه (العزيز) الغالب باهلاك أعدائه (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) أي صيحة جبريل عليه السلام (فأصبحوا في ديارهم) منازلهم (جاثمين) ميتين (كأن لم يغنوا فيها) لم يقيموا فيها (ألا ان ثمودا كفروا ربهم) ثمود حمزة وحفص (ألا بعدا لثمود) على فالصرف الذهاب الى الحي أو الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة (ولقد جاءت رسلنا) جبريل وميكائيل واسرافيل أو جبريل مع أحد عشر ملكا (ابراهيم بالبشرى) هي البشارة بالولد أو بهلاك قوم لوط والاول أظهر (قالوا سلاما) سلمنا عليك سلاما (قال سلام) أمركم سلام سلم حمزة وعلي بمعنى السلام (فما لبث أن جاء بعجل) فما لبث في المجيء به بل عجل فيه أو فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة وكان مال ابراهيم البقر (حنيذ) مشوي بالحجارة المحماة (فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم) نكر وأنكر بمعنى وكانت عادتهم أنه اذا مس من يطرقهم طعامهم أمنوه والا خافوه والظاهر أنه أحس بأنهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف أن يكونوا نزلوا لهم لامر أنكره الله عليه أو لتعذيب قومه دليله قوله (وأوجس منهم خيفة) أي أضمر منهم خوفا

(قالوا لاتخف انا أرسلنا الى قوم لوط) بالعذاب وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم أرسلوا وانما قالوا لاتخف لانهم رأوا أثر الخوف والتغير في وجهه (وامرأته قائمة) وراء الستر تسمع تحاورهم أو على رؤسهم تخدمهم (فضحكت) سرورا بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الخبائث أو من غفلة قوم لوط مع قرب العذاب أو فحاضت (فبشرناها باسحق) وخصت بالبشارة لان النساء أعظم سرورا بالولد من الرجال ولانه لم يكن لها ولد وكان لابراهيم ولد وهو اسمعيل (ومن وراء اسحق) ومن بعده (يعقوب) بالنصب شامي وحمزة وحفص بفعل مضمر دل عليه فبشرناها أي فبشرناها باسحق ووهبنا لها يعقوب من وراء اسحق وبالرفع غيرهم على الابتداء والظرف قبله خبر كما تقول في الدار زيد (قالت ياويلتا) الالف مبدلة من ياء الاضافة وقرأ الحسن ياويلتي بالياء على الاصل (أألد وأنا عجوز) ابنة تسعين سنة (وهذا بعلي شيخا) ابن مائة وعشرين سنة هذا مبتدا وبعلي خبره وشيخا حال والعامل معنى الاشارة التي دلت عليه ذا أو معنى التنبيه الذي دل عليه هذا (ان هذا الشئ عجيب) أن يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة (قالوا أتعجبين من أمر الله) قدرته وحكمته وانما أنكرت الملائكة تعجبها لانها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها أن تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيت النبوة وأن تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك أشارت الملائكة حيث قالوا (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) أرادوا أن هذه وأمثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا أهل بيت النبوة فليست بمكان عجيب وهو كلام مستأنف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب لان أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم وأهل البيت نصب على النداء أو على الاختصاص (انه حميد) محمود بتعجيل النعم (مجيد) ظاهر الكرم بتأجيل النقم (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) الفزع وهو ما أوجس من الخيفة حين نكر أضيافه (وجاءته البشرى) بالولد (يجادلنا في قوم لوط) أي لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى فزع للمجادلة وجواب لما محذوف تقديره أقبل يجادلنا أو يجادلنا جواب لما وانما جيء به مضارعا لحكاية الحال والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انا مهلكو أهل هذه القرية فقال أرأيتم لو كان فيها خمسون مؤمنا أتهلكونها قالوا لا قال فأربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرأيتم ان كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله (ان ابراهيم لحليم) غير عجول على كل من أساء اليه أو كثير الاحتمال ممن آذاه الصفوح عمن عصاه (أواه) كثير التأوه من خوف الله (منيب) تائب راجع الى الله وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم

العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة كما حمله على الاستغفار لابيه فقالت الملائكة (يا ابراهيم أعرض عن هذا) الجدال وان كانت الرحمة ديدنك (انه قد جاء أمر ربك) قضاؤه وحكمه (وانهم آتيهم عذاب غير مردود) لا يرد بجدال وغير ذلك عذاب مرتفع باسم الفاعل وهو آتيهم تقديره وانهم يأتيهم ثم خرجوا من عند ابراهيم متوجهين نحو قوم لوط وكان بين قرية ابراهيم وقوم لوط أربعة فراسخ (ولما جاءت رسلنا لوطا) لما أتوه ورأى هيآتهم وجمالهم (سيء بهم) أحزن لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه وأن يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم (وضاق بهم ذرعا) تمييز أى وضاق بمكانهم صدره (وقال هذا يوم عصيب) شديد روى ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله انها الشر قرية فى الارض عملا قال ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فاخبرت بهم قومها (وجاءه قومه يهرعون اليه) يسرعون كأنما يدفعون دفعا (ومن قبل كانوا يعملون السيئات) ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش حتى مرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء (قال يا قوم هؤلاء بناتى) فتزوجوهن أراد أن يقى أضيافه ببناته وذلك غاية الكرم وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا فى ذلك الوقت كما جاز فى الابتداء فى هذه الامة فقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن أبى لهب وأبى العاص وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد لوط أن يزوجهما ابنتيه (هن أطهر لكم) أحل هؤلاء مبتدأ وبناتى عطف بيان وهن فصل وأطهر خبر المبتدا أو بناتى خبر وهن أطهر مبتدا وخبر (فاتقوا الله) بايثارهن عليهم (ولا تخزون) ولا تهينونى ولا تفضحونى من الخزى أو ولا تخجلونى من الخزاية وهى الحياء وبالياء أبو عمرو فى الوصل (فى ضيفى) فى حق ضيوفى فانه اذا خزى ضيف الرجل أو جاره فقد خزى الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروءة (أليس منكم رجل رشيد) أى رجل واحد يهتدى الى طريق الحق وفعل الجميل والكف عن السوء (قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق) حاجة لان نكاح الاناث أمر خارج عن مذهبنا فمذهبنا اتيان الذكران (وانك لتعلم ما نريد) عنوا اتيان الذكور ومالهم فيه من الشهوة (قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد) جواب لو محذوف أى لفعلت بكم ولصنعت والمعنى لو قويت عليكم بنفسى أو أويت الى قوى أستند اليه وأتمنع به فيحمينى منكم فشبه القوى العزيز بالركن من الجبل فى شدته ومنعته روى أنه أغلق بابه حين جاؤا وجعل يرادهم ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة مالقى لوط من الكرب (قالوا يا لوط) ان ركنك لشديد (انا رسل ربك) فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه فى عقوبتهم فأذن له فضرب بجناحه وجوههم

فطمس

فطمس أعينهم فأعماهم كما قال الله تعالى فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة (لن يصلوا اليك) جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره (فاسر) بالوصل حجازي من سرى (بأهلك بقطع من الليل) طائفة منه او نصفه (ولا يلتفت منكم أحد) بقلبه الى ما خلف أو لا ينظر الى ما وراءه أو لا يتخلف منكم أحد (الا امرأتك) مستثنى من فاسر بأهلك وبالرفع مكي وأبو عمرو على البدل من أحد وفي اخراجها مع أهله روايتان روى أنه أخرجها معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها حجر فقتلها وروى أنه أمر بأن يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين (انه مصيبها ما أصابهم) أي ان الامر وروى أنه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا (ان موعدهم الصبح) فقال أريد أسرع من ذلك فقالوا (أليس الصبح بقريب فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها) جعل جبريل عليه السلام جناحه في أسفلها أي أسفل قراها ثم رفعها الى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وأتبعوا الحجارة من فوقهم وذلك قوله (وأمطرنا عليها حجارة من سجيل) هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين (منضود) نعت لسجيل أي متتابع أو مجموع معد للعذاب (مسومة) نعت للحجارة أي معلمة للعذاب قيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به (عند ربك) في خزائنه أو في حكمه (وما هي من الظالمين ببعيد) بشيء بعيد وفيه وعيد لاهل مكة فان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ظالمي أمتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة أو الضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم (والى مدين أخاهم شعيبا) هو اسم مدينتهم أو اسم جدهم مدين ابن ابراهيم أي وأرسلنا شعيبا الى ساكني مدين أو الى بني مدين (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال) أي المكيل بالمكيال (والميزان) والموزون بالميزان (اني أراكم بخير) بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون (واني أخاف عليكم عذاب يوم محيط) مهلك من قوله وأحيط بثمره وأصله من احاطة العدو والمراد عذاب الاستئصال في الدنيا أو عذاب الآخرة (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان) أتموهما (بالقسط) بالعدل نهوا أولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول لزيادة الترغيب فيه وجيء به مقيدا بالقسط أي ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) البخس النقص كانوا ينقصون من أثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك (ولا تعثوا في الارض مفسدين) العثي والعيث أشد الفساد نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز أن يجعل

البخس والتطفيف عثيا منهم في الارض (بقيت الله) ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم (خير لكم ان كنتم مؤمنين) بشرط ان تؤمنوا نعم بقيـة الله خير للكفرة أيضا لانهـم يسلمون معها من تبعـة البخس والتطفيف الا أن فائدتها تظهر مع الايمـان من حصول الثواب مع النجاة من العـقاب ولا تظهر مع عـدمه لانغماس صاحبها في غمرات الـكفر وفي ذلك تعظيم للايمـان وتنبيه على جلالة شأنه أو المراد ان كنتم مصدقين لى فيما أقول لـكم وأنصح به اياكم (وما أنا عليكم بحفيظ) لنعمه عليكم فاحفظوها بترك البخس (قالوا ياشعيب أصلواتك) وبالتوحيد كوفى غـير أبى بكر (تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء) كان شعيب عليه السـلام كثير الصـلوات وكان قومه يقولون له ما تستفيد بهذا فكان يقول انها تأمر بالمحاسن وتنهى عن القبائح فقالوا على وجـه الاستهزاء أصلواتك تأمرك أن تأمرنا بترك عبادة ما كان يعبـد آباؤنا أو أن نترك التبسط في أموالنا ما نشاء من ايفاء ونقص وجاز أن تـكون الصلوات آمرة مجازا كما سماها الله تعالى ناهية مجازا (انك لأنت الحليم الرشيد) أى السفيه الضال وهذه تسمية على القلب اسـتهزاء أو انك حليم رشيد عندنا ولست تفعل بنا ما يقتضيه حالك (قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى ورزقنى منه) من لدنه (رزقا حسنا) يعنى النبوة والرسالة أو مالا حلالا من غـير بخس وتطفيف وجواب أرأيتم محذوف أى أخبرونى ان كنت على حجة واضحة من ربى وكنت نبيا على الحقيقة أيصح لى أن لا آمركم بترك عبادة الاوثان والـكف عن المعاصى والانبياء لا يبعثون الا لذلك يقال خالفنى فلان الى كذا اذا قصده وأنت مول عنه وخالفنى عنه اذا ولى عنه وأنت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن المـاء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفنى الى المـاء يريد انه قد ذهب اليه واردا وأنا ذاهب عنـه صادرا ومنه قوله (وما أريد أن أخالفـكم الى ما أنهاكم عنه) يعنى أن أسبقـكم الى شهواتـكم التى نهيتـكم عنها لاستبد بها دونـكم (ان أريد الا الاصلاح) ما أريد الا أن أصلحكم بموعظتى ونصـيحتى وأمرى بالمعروف ونهيى عن المنـكر (ما استطعت) ظرف أى مدة اسـتطاعتى للاصلاح ومادمت متمـكنا منه لا آلوفيه جهدا (وما توفيقى الا بالله) وما كونى موفقا لاصابة الحق فيما آتى وأذر الا بمعونته وتأييده (عليه توكلت) اعتمدت (واليه أنيب) أرجع في السراء والضراء جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين ومنه قوله (و ياقوم لا يجرمنـكم شقاقى أن يصيبكم) أى لا يكسبنـكم خلافى اصابة العذاب (مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح) وهو الغرق والريح والرجفة (وما قوم لوط منـكم ببعيد) في الزمان فهـم أقرب الهـالـكين منـكم أو في المكان فمنازلهم قريبة منـكم أو فيما يستحق به الهـلاك وهو الـكفر والمساوى وسوى في قريب و بعيد وقليـل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التى هى الصهيل والنهيق ونحوهما (واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم)

يغفر لاهل الجفاء من المؤمنين (ودود) يحب اهل الوفاء من الصالحين (قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول) اى لا نفهم صحة ما تقول والا فكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الانبياء (وانا لنراك فينا ضعيفا) لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان أردنا بك مكروها (ولولا رهطك لرجمناك) ولولا عشيرتك لقتلناك بالرجم وهو شر قتلة وكان رهطه من اهل ملتهم فلذلك أظهروا الميل اليهم والاكرام لهم (وما أنت علينا بعزيز) أى لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من أهل ديننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النفى على أن الكلام واقع فى الفاعل لا فى الفعل كانه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك (قال) فى جوابهم (يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله) ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب وانما قال أرهطى أعز عليكم من الله والكلام واقع فيه وفى رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه لان تهاونهم به وهو نبى الله تهاون بالله وحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله ألا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (واتخذتموه وراءكم ظهريا) ونسيتموه وجعلتموه كالشئ المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهرى منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب كقولهم فى النسبة الى الامس امسى (ان ربى بما تعملون محيط) قد أحاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شئ منها (ويا قوم اعملوا على مكانتكم) هى بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة أو مصدر من مكن مكانة فهو مكين اذا تمكن من الشئ يعنى اعملوا قارين على جهتكم التى أنتم عليها من الشرك والشنآن لى أو اعملوا متمكنين من عداوتى مطيقين لها (انى عامل) على حسب ما يؤتينى الله من النصرة والتأييد ويمكننى (سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب) من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كانه قيل سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه أى يفضحه وأينا هو كاذب أو موصولة قد عمل فيها كانه قيل سوف تعلمون الشقى الذى يأتيه عذاب يخزيه والذى هو كاذب فى زعمكم ودعواكم وادخال الفاء فى سوف وصل ظاهر بحرف وضع للوصل ونزعها وصل تقديرى بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون والاتيان بالوجهين للتفنن فى البلاغة وأبلغهما الاستئناف (وارتقبوا) وانتظروا العاقبة وما أقول لكم (انى معكم رقيب) منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب بمعنى الضارب او بمعنى المراقب كالعشير بمعنى المعاشر أو بمعنى المرتقب كالرفيع بمعنى المرتفع (ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة) صاح بهم جبريل صيحة فهلكوا وانما ذكر فى آخر قصة عاد ومدين ولما جاء وفى آخر قصة ثمود ولوط فلما جاء لانهما وقعا بعد ذكر الموعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجئ بالفاء الذى هو للتسبيب كقولك وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت وأما الاخريان فقد وقعتا مبتدأتين فكان حقهما أن تعطفا بحرف الجمع

على ماقبلها كأنه عطف قصة على قصة (فأصبحوا فى ديارهم جاثمين) الجاثم اللازم لمكانه لا يريم يعنى ان جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو بغتة (كأن لم يغنوا فيها) كأن لم يقيموا فى ديارهم أحياء متصرفين مترددين (ألا بعدا لمدين) البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد ألا ترى الى قوله (كما بعدت ثمود) وقرئ كما بعدت والمعنى فى البناءين واحد وهو نقيض القرب الا أنهم فرقوا بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضمانى الخير والشر فقالوا وعد وأوعد (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) المراد به العصا لانها أبهرها (الى فرعون وملئه فاتبعوا) أى الملأ (أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد) هو تجهيل لمتبعيه حيث تابعوه على أمره وهو ضلال مبين وذلك انه ادعى الالوهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالظلم والشر الذى لا يأتى الا من شيطان ومثله بمعزل عن الالوهية وفيه أنهم عاينوا الآيات والسلطان المبين وعلموا أن مع موسى الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس فى أمره رشد قط أو المراد وما أمره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله (يقدم قومه يوم القيامة) أى يتقدمهم وهم على عقبه تفسيرا له وايضاحا أى كيف يرشد أمر من هذه عاقبته والرشد يستعمل فى كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغى فى كل ما يذم ويقال قدمه بمعنى تقدمه (فأوردهم النار) ادخلهم وجيء بلفظ الماضى لان الماضى يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة يعنى كما كان قدوة لهم فى الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه (وبئس الورد) المورد و(المورود) الذى وردوه شبه بالفارط الذى يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قال بئس الورد المورود الذى يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش والنار ضده (وأتبعوا فى هذه) أى الدنيا (لعنة ويوم القيامة) أى يلعنون فى الدنيا ويلعنون فى الآخرة (بئس الرفد المرفود) رفدهم أى بئس العون المعان أو بئس العطاء المعطى (ذلك) مبتدأ (من أنباء القرى) خبر (نقصه عليك) خبر بعد خبر أى ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك (منها) من القرى (قائم وحصيد) أى بعضها باق وبعضها عافى الاثر كالزرع القائم على ساقه والذى حصد والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب (وما ظلمناهم) باهلاكنا اياهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بارتكاب ما به أهلكوا (فما أغنت عنهم آلهتهم) فما قدرت أن ترد عنهم بأس الله (التى يدعون) يعبدون وهى حكاية حال ماضية (من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك) عذابه ولما منصوب بما أغنت (وما زادوهم غير تتبيب) تخسير يقال تب اذا خسر وتببه غيره أوقعه فى الخسران يعنى وما أفادتهم عبادة غير الله شيأ بل أهلكتهم (وكذلك) محل الكاف الرفع أى ومثل ذلك الاخذ (أخذ ربك اذا أخذ القرى) أى أهلها (وهى ظالمة) حال من القرى (ان أخذه أليم شديد) مؤلم شديد صعب على المأخوذ وهذا تحذير لكل

قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها فعلى كل ظالم أن يبادر التوبة ولا يغتر بالامهال (ان في ذلك) فيما قص الله من قصص الامم الهالكة (لآية) لعبرة (لمن خاف عذاب الآخرة) أي اعتقد صحته ووجوده (ذلك) اشارة الى يوم القيامة لان عذاب الآخرة دل عليه (يوم مجموع له الناس) وهو مرفوع بمجموع كما يرفع فعله اذا قلت يجمع له الناس وانما آثر اسم المفعول على فعله لما في اسم المفعول من دلالته على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه أثبت أيضا الاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه يجمعون للحساب والثواب والعقاب (وذلك يوم مشهود) أي مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به أي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد (وما نؤخره) أي اليوم المذكور الأجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره (الا لأجل معدود) الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف أو ما نؤخر هذا اليوم الا لتنتهي المدة التي ضربناها لبقاء الدنيا (يوم يأت) وبالياء مكي ووافقه أبو عمرو ونافع وعلي في الوصل واثبات الياء هو الاصل اذ لا علة توجب حذفها وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل ونظيره ما كنا نبغ وفاعل يأت ضمير يرجع الى قوله يوم مجموع له الناس لا اليوم المضاف الى يأت ويوم منصوب باذكر أو بقوله (لا تكلم) أي لا تتكلم (نفس الا باذنه) أي لا يشفع أحد الا باذن الله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه (فمنهم) الضمير لاهل الموقف لدلالة لا تكلم نفس عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس (شقي) معذب (وسعيد) أي ومنهم سعيد أي منعم (فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير) هو أول نهيق الحمار (وشهيق) هو آخره أوهما اخراج النفس ورده والجملة في موضع الحال والعامل فيها الاستقرار الذي في النار (خالدين فيها) حال مقدرة (مادامت السموات والارض) في موضع النصب أي مدة دوام السموات والارض والمراد سموات الآخرة وأرضها وهي دائمة مخلوقة للابد والدليل على أن لها سموات وأرضا قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقيل مادام فوق وتحت ولانه لابد لاهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم اما سماء أو عرش وكل ما أظلك فهو سماء أو هو عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع كقول العرب مالاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد (الا ماشاء ربك) هو استثناء من الخلود في عذاب النار وذلك لان أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وأنواع من العذاب سوى عذاب النار أو ماشاء بمعنى من شاء وهم قوم يخرجون من النار ويدخلون الجنة فيقال لهم الجهنميون وهم المستثنون من أهل الجنة أيضا لمفارقتهم اياها بكونهم في النار أياما فهؤلاء لم يشقوا شقاوة من يدخل النار على التأبيد ولا سعدوا سعادة من لا تمسه النار وهو مروي عن ابن عباس والضحاك وقتادة رضي الله عنهم (ان ربك فعال لما يريد) بالشقي والسعيد (وأما الذين سعدوا) سعدوا حمزة وعلي وحفص سعد لازم وسعده يسعده متعد (ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات

والارض الا ماشاء ربك) هواستثناء من الخلود فى نعيم الجنة وذلك أن لهم سوى الجنة
ماهو أكبر منها وهورؤية الله تعالى ورضوانه اومعناه الا من شاء أن يعذبه بقدر ذنبه قبل
أن يدخله الجنة وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال
الاستثناء فى الآيتين لاهل الجنة ومعناه ماذكرنا أنه لا يكون للمسلم العاصى الذى دخل
النار خلود فى النار حيث يخرج منها ولا يكون له أيضا خلود فى الجنة لانه لم يدخل الجنة
ابتداء والمعتزلة لما لم يروا خروج العصاة من النار ردوا الاحاديث المروية فى هذا الباب
وكفى به اثما مبينا (عطاء غير مجذوذ) غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله لهم أجر
غير ممنون وهو نصب على المصدر اى أعطوا عطاء قيل كفرت الجهمية بأربع آيات عطاء
غير مجذوذ أكلها دائم وما عند الله باق لا مقطوعة ولا ممنوعة لما قص الله قصص عبدة
الاوثان وذكر ما أحل بهم من نقمه وما أعد لهم من عذابه قال (فلا تك فى مرية مما يعبد
هؤلاء) اى فلا تشك بعد ما أنزل عليك من هذه القصص فى سوء عاقبة عبادتهم لما أصاب
أمثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال
(مايعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) يريد أن حالهم فى الشرك مثل حال آبائهم وقد
بلغك ما نزل بآبائهم فسينزل بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل النهى عن المرية وما فى
مما وكما مصدرية اوموصولة اى من عبادتهم وكعبادتهم اومما يعبدون من الاوثان ومثل
مايعبدون منها (وانا لموفوهم نصيبهم) حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم انصباءهم
(غير منقوص) حال من نصيبهم اى كاملا (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة
(فاختلف فيه) آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف فى القرآن وهو تسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) انه لا يعاجلهم بالعذاب (لقضى بينهم)
بين قوم موسى او قومك بالعذاب المستأصل (وانهم لفى شك منه) من القرآن اومن
العذاب (مريب) من أراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازى (وان كلا)
التنوين عوض عن المضاف اليه يعنى وان كلهم اى وان جميع المختلفين فيه وان مشددة
(لما) مخفف بصرى وعلى ما مزيدة جىء بها ليفصل بها بين لام ان ولام (ليوفينهم) وهو
جواب قسم محذوف واللام فى لما موطئة للقسم والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم (ربك
أعمالهم) اى جزاء أعمالهم من ايمان وجحود وحسن وقبيح بعكس الاولى أبو بكر
مخففان مكى ونافع على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذى هو التثقيل ولان ان
تشبه الفعل والفعل يعمل قبل الحذف وبعده نحو لم يكن ولم يك فكذا المشبه به مشددتان
غيرهم وهو مشكل وأحسن ماقيل فيه انه من لممت الشئ جمعته لما ثم وقف فصار لما ثم
أجرى الوصل مجرى الوقف وجاز ان يكون مثل الدعوى والثروى وما فيه ألف التأنيث
من المصادر وقرأ الزهرى وان كلا لما بالتنوين كقوله اكلا لما وهو يؤيد ماذكرنا
والمعنى وان كلا ملمومين اى مجموعين كأنه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة

كلهم أجمعون وقال صاحب الايجاز لما فيه معنى الظرف وقد دخل فى الكلام اختصار كأنه قيل وان كلا لما بعثوا ليوفينهم ربك أعمالهم وقال الكسائى ليس لى بتشديد لما علم (انه بما يعملون خبير فاستقم كما أمرت) فاستقم استقامة مثل الاستقامة التى أمرت بها غير عادل عنها (ومن تاب معك) معطوف على المستتر فى استقم وجاز للفاصل يعنى فاستقم أنت وليستقم من تاب عن الكفر ورجع الى الله مخلصا (ولا تطغوا) ولا تخرجوا عن حدود الله (انه بما تعملون بصير) فهو مجازيكم فاتقوه وقيل ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية كانت أشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتنى هود (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) ولا تميلوا قال الشيخ رحمه الله هذا خطاب لاتباع الكفرة اى لا تركنوا الى القادة والكبراء فى ظلمهم وفيما يدعونكم اليه (فتمسكم النار) وقيل الركون اليهم الرضا بكفرهم وقال قتادة ولا تلحقوا بالمشركين وعن الموفق أنه صلى خلف الامام فلما قرأ هذه الآية غشى عليه فلما أفاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا وقال سفيان فى جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعى ما من شئ أبغض الى الله من عالم يزور عاملا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك فى برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت قال دعه يموت (وما لكم من دون الله من أولياء) حال من قوله فتمسكم النار أى فتمسكم النار وأنتم على هذه الحالة ومعناه وما لكم من دون الله من أولياء يقدرون على منعكم من عذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره (ثم لا تنصرون) ثم لا ينصركم هو لانه حكم بتعذيبكم ومعنى ثم الاستبعاد اى النصرة من الله مستبعدة (وأقم الصلوة طرفى النهار) غدوة وعشية (وزلفا من الليل) وساعات من الليل جمع زلفة وهى ساعاته القريبة من آخر النهار من زلفه اذا قربه وصلاة الغدوة الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشى وصلاة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفى النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك أقمت عنده جميع النهار وأتيته نصف النهار وأوله وآخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه (ان الحسنات يذهبن السيآت) ان الصلوات الخمس يذهبن الذنوب وفى الحديث ان الصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب او الطاعات قال عليه السلام اتبع السيئة الحسنة تمحها او سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر (ذلك) اشارة الى فاستقم فما بعده او القرآن (ذكرى للذاكرين) عظة للمتعظين نزلت فى عمرو بن غزية الانصارى بائع التمر قال لامرأة فى البيت تمر أجود فدخلت فقبلها فندم فجاءه حاكيا باكيا فنزلت فقال عليه السلام هل شهدت معنا العصر قال نعم قال هى كفارة لك فقيل أله خاصة قال بل للناس عامة (واصبر) على امتثال ما أمرت به والانتهاء عما

نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) جاء بما هو مشتمل على جميع الاوامر والنواهي من قوله فاستقم الى قوله فاصبر وغير ذلك من الحسنات (فلولا كان من القرون من قبلكم) فهلا كان وهو موضوع للتحضيض ومخصوص بالفعل (أولوا بقية) أولوا فضل وخير وسمى الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقى مما يخرجه أجوده وأفضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم أى من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفى الرجال بقايا (ينهون عن الفساد في الارض) عجب محمدا عليه السلام وأمته أن لم يكن فى الامم التى ذكر الله اهلاكهم فى هذه السورة جماعة من أولى العقل والدين ينهون غيرهم عن الكفر والمعاصى (الا قليلا ممن أنجينا منهم) استثناء منقطع أى ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهى ومن فى ممن أنجينا للبيان لا للتبعيض لان النجاة للناهين وحدهم بدليل قوله أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا (واتبع الذين ظلموا) أى التاركون للنهى عن المنكر وهو عطف على مضمر أى الا قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا (ما أترفوا فيه) أى اتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترفه من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهنيء ورفضوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ونبذوه وراء ظهورهم (وكانوا مجرمين) اعتراض وحكم عليهم بأنهم قوم مجرمون (وما كان ربك ليهلك القرى) اللام لتأكيد النفى (بظلم) حال من الفاعل أى لا يصح أن يهلك الله القرى ظالما لها (وأهلها) قوم (مصلحون) تنزيها لذاته عن الظلم وقيل الظلم الشرك أى لا يهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون فى المعاملات فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا آخر (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة) أى متفقين على الايمان والطاعات عن اختيار ولكن لم يشأ ذلك وقالت المعتزلة هى مشيئة قسر وذلك رافع للابتلاء فلا يجوز (ولا يزالون مختلفين) فى الكفر والايمان أى ولكن شاء أن يكونوا مختلفين لما علم منهم اختيار ذلك (الا من رحم ربك) الا ناسا عصمهم الله عن الاختلاف فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه (ولذلك خلقهم) أى ولما هم عليه من الاختلاف فعندنا خلقهم للذى علم انهم يصيرون اليه من اختلاف او اتفاق ولم يخلقهم لغير الذى علم انهم يصيرون اليه كذا فى شرح التأويلات (وتمت كلمة ربك) وهى قوله للملائكة (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) لعلمه بكثرة من يختار الباطل (وكلا) التنوين فيه عوض من المضاف اليه كأنه قيل وكل نبأ وهو منصوب بقوله (نقص عليك) وقوله (من أنباء الرسل) بيان لكل وقوله (ما نثبت به فؤادك) بدل من كلا (وجاءك فى هذه الحق) أى فى هذه السورة أو فى هذه الانباء المقتصة ما هو حق (وموعظة وذكرى للمؤمنين) ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه لان تكاثر الادلة اثبت للقلب (وقل للذين لا يؤمنون) من أهل مكة وغيرهم (اعملوا على

مكانتكم)

مكانتكم) على حالكم وجهتكم التى أنتم عليها (انا عاملون) على مكانتنا (وانتظروا) بنا الدوائر (انا منتظرون) أن ينزل بكم نحو ما اقتص الله تعالى من النقم النازلة باشباهكم (ولله غيب السموات والارض) لاتخفى عليه خافية مما يجرى فيهما فلا تخفى عليه أعمالكم (واليه يرجع الامر كله) فلابد أن يرجع اليه أمرهم وأمرك فينتقم لك منهم يرجع نافع وحفص (فاعبده وتوكل عليه) فانه كافيك وكافلك (وماربك بغافل عما يعملون) وبالتاء مدنى وشامى وحفص أى أنت وهم على تغليب المخاطب قيل خاتمة التوراة هذه الآية وفى الحديث من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى

﴿سورة يوسف عليه السلام وهى مائة واحدى عشرة آية شامى واثنتا عشرة مكى﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الر تلك آيات الكتاب المبين) تلك اشارة الى آيات هذه السورة والكتاب المبين السورة أى تلك الآيات التى أنزلت اليك فى هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها فى اعجاز العرب أو التى تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لامن عند البشر أو الواضحة التى لاتشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم أوقد أبين فيها ماسألت عنه اليهود من قصة يوسف عليه السلام فقد روى ان علماء اليهود قالوا للمشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشأم الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام (انا أنزلناه قرآنا عربيا) أى أنزلنا هذا الكتاب الذى فيه قصة يوسف عليه السلام فى حال كونه قرآنا عربيا وسمى بعض القرآن قرآنا لانه اسم جنس يقع على كله وبعضه (لعلكم تعقلون) لكى تفهموا معانيه ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته (نحن نقص عليك أحسن القصص) نبين لك أحسن البيان والقاص الذى يأتى بالقصة على حقيقتها عن الزجاج وقيل القصص يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا فيكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب فعلى الاول معناه نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص (بما أوحينا اليك هذا القرآن) أى بايحائنا اليك هذه السورة على أن يكون أحسن منصوبا بانصب المصدر لاضافته اليه والمخصوص محذوف لان بما أوحينا اليك هذا القرآن مغن عنه والمراد بأحسن الاقتصاص انه اقتص على أبدع طريقة وأعجب أسلوب فانك لاترى اقتصاصه فى كتب الاولين مقاربا لاقتصاصه فى القرآن وان أريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك أحسن مايقص من الاحاديث وانما كان أحسن لما يتضمن من العبر والحكم والعجائب التى ليست فى غيره والظاهر انه أحسن مايقتص فى بابه كما يقال فلان أعلم الناس أى فى فنه واشتقاق القصص من قص أثره اذا اتبعه لان الذى يقص الحديث يتبع ماحفظ منه شيأ فشيأ (وان كنت من قبله) الضمير يرجع الى ما أوحينا (لمن الغافلين) عنه ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية يعنى وان الشأن والحديث كنت

من قبل ايحائنا اليك من الجاهلين به (اذ قال) بدل اشتمال من أحسن القصص لان الوقت مشتمل على القصص أو التقدير اذكر اذ قال (يوسف) اسم عبرانى لا عربى اذ لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف (لابيه) يعقوب (يا أبت) أبت شامى وهى تاء تأنيث عوضت عن ياء الاضافة لتناسبهما لان كل واحدة منهما زائدة فى آخر الاسم ولهذا قلبت هاء فى الوقف وجاز الحاق تاء التأنيث بالمذكر كما فى رجل ربعة وكسرت التاء لتدل على الياء المحذوفة ومن فتح التاء فقد حذف الالف من يا أبتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء فى ياغلام (انى رأيت) من الرؤيا لا من الرؤية (أحد عشر كوكبا) أسماؤها بيان النبى عليه السلام جريان والذيال والطارق وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين (والشمس والقمر) هما أبواه أو أبوه وخالته والكواكب اخوته قيل الواو بمعنى مع أى رأيت الكواكب مع الشمس والقمر وأجريت مجرى العقلاء فى (رأيتهم لى ساجدين) لانه وصفها بما هو المختص بالعقلاء وهو السجود وكررت الرؤيا لان الاولى تتعلق بالذات والثانية بالحال أو الثانية كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابا له كأن أباه قال له كيف رأيتها فقال رأيتهم لى ساجدين أى متواضعين وهو حال وكان ابن ثنتى عشرة سنة يومئذ وكان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه أربعون سنة أو ثمانون (قال يا بنى) بالفتح حيث كان حفص (لا تقصص رؤياك) هى بمعنى الرؤية الا انها مختصة بما كان منها فى المنام دون اليقظة وفرق بينهما بحرفى التأنيث كما فى القربة والقربى (على اخوتك فيكيدوا لك) جواب النهى أى ان قصصتها عليهم كادوك عرف يعقوب عليه السلام ان الله يصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين فخاف عليه حسد الاخوة وانما لم يقل فيكيدوك كما قال فكيدونى لانه ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وأبلغ فى التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك ألا ترى الى تأكيده بالمصدر وهو (كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين) ظاهر العداوة فيحملهم على الحسد والكيد (وكذلك) ومثل ذلك الاجتباء الذى دلت عليه رؤياك (يجتبيك ربك) يصطفيك والاجتباء والاصطفاء افتعال من جبيت الشئ اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء فى الحوض جمعته (ويعلمك) كلام مبتدأ غير داخل فى حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك (من تأويل الأحاديث) أى تأويل الرؤيا وتأويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف أعبر الناس للرؤيا أو تأويل أحاديث الانبياء وكتب الله وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع أحدوثة (ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب) بأن وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة أى جعلهم أنبياء فى الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى فى الجنة وآل يعقوب أهله وهم نسله وغيرهم وأصل آل أهل بدليل تصغيره على أهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبى وآل الملك ولا يقال آل الحجام ولكن أهله وانما علم يعقوب ان يوسف

يكون نبيا واخوته أنبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذا قال وعلى آل يعقوب (كما أتمها على أبويك من قبل) أراد الجد وأبا الجد (ابراهيم واسحق) عطف بيان لابويك (ان ربك عليم) يعلم من يحق له الاجتباء (حكيم) يضع الاشياء مواضعها (لقد كان في يوسف واخوته) أي في قصتهم وحديثهم (آيات) علامات ودلالات على قدرة الله وحكمته في كل شيء آية مكي (للسائلين) لمن سأل عن قصتهم وعرفها أو آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فأخبرهم من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب وأسماؤهم يهوذا وروبين وشمعون ولاوى وزبولون ويشجر وأمهم ليا بنت ليان ودان ونفتالى وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج أختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف (اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا) اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أرادوا ان زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه وانما قالوا وأخوه وهم اخوته أيضا لان أمهما كانت واحدة وانما قيل أحب في الاثنين لان أفعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا أضيف ساغ الامران والواو في (ونحن عصبة) للحال أي انه يفضلهما في المحبة علينا وهما صغيران لا كفاية فيهما ونحن عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن أحق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما (ان أبانا لفي ضلال مبين) غلط في تدبير أمر الدنيا ولو وصفوه بالضلالة في الدين لكفروا والعصبة العشرة فصاعدا (اقتلوا يوسف) من جملة ما حكى بعد قوله اذ قالوا كأنهم أطبقوا على ذلك الامن قال لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين (أو اطرحوه أرضا) منكورة مجهولة بعيدة عن العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها عن الوصف ولهذا الابهام نصبت نصب الظروف المبهمة (يخل لكم وجه أبيكم) يقبل عليكم اقبالة واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه وجاز أن يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك (وتكونوا) مجزوم عطفا على يخل لكم (من بعده) من بعد يوسف أي من بعد كفايته بالقتل أو التغريب أو من بعد قتله أو طرحه فيرجع الضمير الى مصدر اقتلوا أو اطرحوا (قوما صالحين) تائبين الى الله مما جنيتم عليه أو يصلح حالكم عند أبيكم (قال قائل منهم) هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيا (لا تقتلوا يوسف) فان القتل عظيم (وألقوه في غيابت الجب) في قعر البئر وما غاب منه عن عين الناظر غيابات وكذا ما بعده مدني (يلتقطه بعض السيارة) بعض الاقوام الذين يسيرون في الطريق (ان كنتم فاعلين) به شيأ (قالوا ياأبانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون) أي لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونشفق عليه وأرادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رأيه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على أنه أحس منهم بما أوجب ان لا يأمنهم عليه (أرسله

معنا غدا نرتع) نتسع في أكل الفواكه وغيرها والرتعة السعة (ونلعب) نتفرج بما يباح كالصيد والرمي والركض بالياء فيهما مدني وكوفي و بالنون فيهما مكي وشامي وأبوعمرو و بكسر العين حجازي من ارتعى يرتعي افتعال من الرعي (وانا له لحافظون) من ان يناله مكروه (قال اني ليحزنني أن تذهبوا به) اي يحزنني ذهابكم به واللام لام الابتداء (وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) اعتذر اليهم بان ذهابهم به مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة وانه يخاف عليه من عدوة الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم (قالوا لئن أكله الذئب) اللام موطئة للقسم والقسم محذوف تقديره والله لئن أكله الذئب والواو في (ونحن عصبة) اى فرقة مجتمعة مقتدرة على الدفع للحال (انا اذا لخاسرون) جواب للقسم مجزئ عن جزاء الشرط اى ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها واجابوا عن عذره الثاني دون الاول لان ذلك كان يغيظهم (فلما ذهبوا به وأجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب) اى عزموا على القائه في البئر وهي بئر على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام وجواب لما محذوف تقديره فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روى انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا له العداوة وضربوه وكادوا يقتلونه فمنعهم يهوذا فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يده فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم فيحتالوا به على ابيهم ودلوه في البئر وكان فيها ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي وكان يهوذا يأتيه بالطعام ويروى ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فاخرجه جبريل والبسه اياه (واوحينا اليه) قيل اوحى اليه في الصغر كما اوحى الى يحيى وعيسى عليهما السلام وقيل كان اذ ذاك مدركا (لتنبئنهم بأمرهم هذا) اى لتحدثن اخوتك بما فعلوا بك (وهم لا يشعرون) انك يوسف لعلو شأنك وكبرياء سلطانك وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وانكم ألقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيه اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس او يتعلق وهم لا يشعرون بأوحينا اى آنسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك (وجاؤا اباهم عشاء) للاستتار والتجسر على الاعتذار (يبكون) حال عن الاعمش لا تصدق باكية بعد اخوة يوسف فلما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما بالكم واين يوسف (قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق) اى نتسابق في العدو وفي الرمي والافتعال والتفاعل يشتركان كالارتماء والترامي وغير ذلك (وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا) بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا (وجاؤا على قميصه بدم كذب) ذي كذب ووصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب وعينه

كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته روى انهم ذبحوا سخلة ولطخوا القميص بدمها وزل عنهم ان يمزقوه وروى ان يعقوب عليه السلام لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال أين القميص فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا أكل ابنى ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم وألقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبره ومحل على قميصه النصب على الظرف كانه قيل وجاؤا فوق قميصه بدم (قال) يعقوب عليه السلام (بل سولت) زينت أوسهلت (لكم أنفسكم أمرا) عظيما ارتكبتموه (فصبر جميل) خبر أو مبتدا لكونه موصوفا أى فامرى صبر جميل أو فصبر جميل أجمل وهو ما لا شكوى فيه الى الخلق (والله المستعان) أى أستعينه (على) احتمال (ما تصفون) من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه (وجاءت سيارة) رفقة تسير من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلاثة أيام من القاء يوسف فى الجب فأخطؤا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب فى قفرة بعيدة من العمران وكان ماؤه ملحا فعذب حين ألقى فيه يوسف (فأرسلوا واردهم) هو الذى يرد الماء ليستقى للقوم اسمه مالك بن ذعر الخزاعى (فأدلى دلوه) أرسل الدلو ليملأها فتشبث يوسف بالدلو فنزعوه (قال يابشرى) كوفى نادى البشرى كانه يقول تعالى فهذا أوانك غيرهم بشراى على اضافتها الى نفسه أو هو اسم غلامه فناداه مضافا الى نفسه (هذا غلام) قيل ذهب به فلما دنا من أصحابه صاح بذلك يبشرهم به (وأسروه) الضمير للوارد وأصحابه أخفوه من الرفقة أو لاخوة يوسف فانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه (بضاعة) حال أى أخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة أى قطع (والله عليم بما يعملون) بما يعمل اخوة يوسف بأبيهم وأخيهم من سوء الصنيع (وشروه) وباعوه (بثمن بخس) مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا أو زيف (دراهم) بدل من ثمن (معدودة) قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا يعدون ما دون الاربعين ويزنون الاربعين وما فوقها وكانت عشرين درهما (وكانوا فيه من الزاهدين) ممن يرغب عما فى يده فيبيعه بالثمن الطفيف أو ومعنى وشروه واشتروه ويعنى الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين أى غير راغبين لانهم اعتقدوا انه آبق ويروى ان اخوته اتبعوهم وقالوا استوثقوا منه لا يأبق وفيه ليس من صلة الزاهدين أى غير راغبين لان الصلة لا تتقدم على الموصول وانما هو بيان كأنه قيل فى أى شئ زهدوا فقال زهدوا فيه (وقال الذى اشتراه من مصر) هو قطفير وهو العزيز الذى كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان ابن الوليد وقد آمن بيوسف ومات فى حياته واشتراه العزيز بزنته ورقا وحريرا ومسكا وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام فى منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة (لامرأته) راعيل أو زليخا واللام متعلقة بقال لا باشتراه (أكرمى مثواه) اجعلى منزلته

ومقامه عندنا كريماً اى حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربى أحسن مثواى وعن الضحاك بطيب معاشه ولين لباسه ووطىء فراشه (عسى أن ينفعنا) لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله (او نتخذه ولدا) او نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك (وكذلك) اشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف (مكنا ليوسف) اى كما أنجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له (فى الارض) اى أرض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) كان ذلك الانجاء والتمكين (والله غالب على أمره) لا يمنع عما شاء او على أمر يوسف بتبليغه ما أراد له دون ما أراد اخوته (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (ولما بلغ أشده) منتهى استعداد قوته وهو ثمان عشرة سنة اواحدى وعشرون (آتيناه حكما وعلما) حكمة وهو العلم مع العمل واجتناب ما يجهل فيه اوحكما بين الناس وفقها (وكذلك نجزى المحسنين) تنبيه على انه كان محسنا فى عمله متقيا فى عنفوان أمره (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه) اى طلبت يوسف أن يواقعها والمراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه اى فعلت فعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذى لا يريد أن يخرجه من يده يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه وهى عبارة عن التمحل لمواقعته اياها (وغلقت الابواب) وكانت سبعة (وقالت هيت لك) هو اسم لتعال وأقبل وهو مبنى على الفتح هيت مكى بناه على الضم هئت مدنى وشامى واللام للبيان كأنه قيل لك أقول هذا كما تقول هلم لك (قال معاذ الله) أعوذ بالله معاذا (انه) اى ان الشأن والحديث (ربى) سيدى ومالكى يريد قطفير (أحسن مثواى) حين قال لك أكرمى مثواه فما جزاؤه أن أخونه فى أهله (انه لا يفلح الظالمون) الخائنون او الزناة او أراد بقوله انه ربى الله تعالى لانه مسبب الاسباب (ولقد همت به) هم عزم (وهم بها) هم الطباع مع الامتناع قاله الحسن وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله وهم بها هم خطرة ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب ولا مؤاخذة عليه ولو كان همه كهمها لما مدحه الله تعالى بانه من عباده المخلصين وقيل وهم بها وشارف أن يهم بها يقال هم بالامر اذا قصده وعزم عليه وجواب (لولا أن رأى برهان ربه) محذوف اى لكان ما كان وقيل وهم بها جوابه ولا يصح لان جواب لولا لا يتقدم عليها لانه فى حكم الشرط وله صدر الكلام والبرهان الحجة ويجوز ان يكون وهم بها داخلا فى حكم القسم فى قوله ولقد همت به ويجوز أن يكون خارجا ومن حق القارئ اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه أن يقف على به ويبتدئ بقوله وهم بها وفيه أيضا اشعار بالفرق بين الهمين وفسر هم يوسف بانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهى مستلقية على قفاها وفسر البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها مرتين فسمع ثالثا أعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على أنملته وهو باطل ويدل على بطلانه قوله هى راودتنى عن نفسى ولو كان ذلك منه أيضا لما برأ نفسه

من

من ذلك وقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ولو كان كذلك لم يكن السوء مصروفا عنه وقوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ولو كان كذلك لخانه بالغيب وقوله ما علمنا عليه من سوء الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ولانه لو وجد منه ذلك لذكرت توبته واستغفاره كما كان لآدم ونوح وذي النون وداود عليهم السلام وقد سماه الله مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت في ذلك المقام وجاهد نفسه مجاهدة أولي العزم ناظرا في دلائل التحريم حتى استحق من الله الثناء ومحل الكاف في (كذلك) نصب أي مثل ذلك التثبيت ثبتناه أو رفع أي الامر مثل ذلك (لنصرف عنه السوء) خيانة السيد (والفحشاء) الزنا (انه من عبادنا المخلصين) بفتح اللام حيث كان مدني وكوفي أي الذين أخلصهم الله لطاعته وبكسرها غيرهم أي الذين أخلصوا دينهم لله ومعنى من عبادنا بعض عبادنا أي هو مخلص من جملة المخلصين (واستبقا الباب) وتسابقا الى الباب هي للطلب وهو للهرب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه أو على تضمين استبقا معنى ابتدرا ففر منها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج ووحد الباب وان كان جمعه في قوله وغلقت الابواب لانه أراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار ولما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج (وقدت قميصه من دبر) اجتذبته من خلفه فانقد أي انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه (وألفيا سيدها لدى الباب) وصادفا بعلها قطفير مقبلا يريد أن يدخل فلما رأته احتالت لتبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة ولتخويف يوسف طمعا في أن يواطئها خيفة منها ومن مكرها حيث (قالت ما جزاء من أراد باهلك سوأ الا أن يسجن أو عذاب أليم) ما نافية أي ليس جزاؤه الا السجن أو عذاب أليم وهو الضرب بالسياط ولم تصرح بذكر يوسف وانه أراد بها سوأ لانها قصدت العموم أي كل من أراد باهلك سوأ فحقه أن يسجن أو يعذب لان ذلك أبلغ فيما قصدت من تخويف يوسف ولما عرضته للسجن والعذاب ووجب عليه الدفع عن نفسه (قال هي راودتني عن نفسي) ولولا ذلك لكتم عليها ولم يفضحها (وشهد شاهد من أهلها) هو ابن عم لها وانما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لتكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف وقيل كان ابن خال لها وكان صبيا في المهد وسمي قوله شهادة لانه أدى مؤدى الشهادة في ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها (ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) والتقدير وشهد شاهد فقال ان كان قميصه وانما دل قد قميصه من قبل على انها صادقة لانه يسرع خلفها ليلحقها فيعثر في مقادم قميصه فيشقه ولانه يقبل عليها وهي تدفعه عن نفسها فيتخرق القميص من قبل واما تنكير قبل ودبر فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وانما جمع بين ان التي للاستقبال وبين كان لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد (فلما رأى) قطفير (قميصه قد من دبر) وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها (قال انه) ان قولك ما جزاء من أراد باهلك سوأ أو ان هذا الامر

وهو الاحتيال لنيل الرجال (من كيدكن) الخطاب لها ولامتها (ان كيدكن عظيم) لانهن ألطف كيدا وأعظم حيلة وبذلك يغلبن الرجال والقصريات منهن معهن ماليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء انى أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لان الله تعالى قال ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال لهن ان كيدكن عظيم (يوسف) حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله (أعرض عن هذا) الامر واكتمه ولاتحدث به ثم قال لراعيل (واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين) من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا أذنب متعمدا وانما قال بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وكان العزيز رجلا حليما قليل الغيرة حيث اقتصر على هذا القول (وقال نسوة) جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثها غير حقيقى ولذا لم يقل قالت وفيه لغتان كسر النون وضمها (فى المدينة) فى مصر (امرأت العزيز) يردن قطفير والعزيز الملك بلسان العرب (تراود فتاها) غلامها يقال فتاى وفتاتى أى غلامى وجاريتى (عن نفسه) لتنال شهوتها منه (قد شغفها حبا) تمييز أى قد شغفها حبه يعنى خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب أو جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب (انا لنراها فى ضلال مبين) فى خطاو بعد عن طريق الصواب (فلما سمعت) راعيل (بمكرهن) باغتيابهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعانى ومقتها وسمى الاغتياب مكرا لانه فى خفية وحال غيبة كما يخفى الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه عليها (أرسلت اليهن) دعتهن قيل دعت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات (وأعتدت) وهيأت افتعلت من العتاد (لهن متكأ) ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهى قعودهن متكئات والسكاكين فى أيديهن أن يدهشن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشئ وقعت يده على يده (وآتت كل واحدة منهن سكينا) وكانوا لا يأكلون فى ذلك الزمان الا بالسكاكين كفعل الاعاجم (وقالت اخرج عليهن) بكسر التاء بصرى وعاصم وحمزة وبضمها غيرهم (فلما رأينه أكبرنه) أعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائق والجمال الفائق وكان فضل يوسف على الناس فى الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وكان اذا سار فى أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران وكان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل أكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت اذ لا يقال النساء قد حضنه لانه لا يتعدى الى مفعول يقال أكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته دخلت فى الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر وكأن أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع * فان لحت حاضت فى الخدور العواتق

(وقطعن

(وقطعن أيديهن) وجرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدى تريد جرحتها أى أردن أن يقطعن الطعام الذى فى أيديهن فدهشن لما رأينه فخدشن أيديهن (وقلن حاش لله) حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء تقول أساء القوم حاشا زيد وهى حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله وقراءة أبى عمرو حاشا الله نحو قولك سقيا لك كأنه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ وينزه وغيره حاش لله بحذف الالف الاخيرة والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله (ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم) نفين عنه البشرية لغرابة جماله وأثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم لما ركز فى الطباع ان لا أحسن من الملك كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان (قالت فذلكن الذى لمتننى فيه) تقول هو ذلك العبد الكنعانى الذى صورتن فى أنفسكن ثم لمتننى فيه تعنى انكن لم تصورنه حق صورته والا لعذرتننى فى الافتتان به (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) والاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه فى عصمة وهو يجتهد فى الاستزادة منها وهذا بيان جلى على أن يوسف عليه السلام برىء مما فسر به أولئك الفريق الهم والبرهان ثم قلن له أطع مولاتك فقالت راعيل (ولئن لم يفعل ما آمره) الضمير راجع الى ما وهى موصولة والمعنى ما آمره به فحذف الجار كما فى قوله أمرتك الخير أو ما مصدرية والضمير يرجع الى يوسف أى ولئن لم يفعل أمرى اياه أى موجب أمرى ومقتضاه (ليسجنن) ليحبسن والالف فى (وليكونا) بدل من نون التأكيد الخفيفة (من الصاغرين) مع السراق والسفاك والاباق كما سرق قلبى وأبق منى وسفك دمى بالفراق فلا يهنأ ليوسف الطعام والشراب والنوم هنالك كما منعنى هنا كل ذلك ومن لم يرض بمثلى فى الحرير على السرير أميرا حصل فى الحصير على الحصير حسيرا فلما سمع يوسف تهديدها (قال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه) أسند الدعوة اليهن لانهن قلن له ما عليك لو أجبت مولاتك أو افتتنت كل واحدة به فدعته الى نفسها سرا فالتجأ الى ربه قال رب السجن أحب الى من ركوب المعصية (والا تصرف عنى كيدهن) فزع منه الى الله فى طلب العصمة (أصب اليهن) أمل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو اليها الطيب نسيمها وروحها (وأكن من الجاهلين) من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لم يعلم سواء أو من السفهاء فلما كان فى قوله والا تصرف عنى كيدهن معنى طلب الصرف والدعاء قال (فاستجاب له ربه) أى أجاب الله دعاءه (فصرف عنه كيدهن انه هو السميع) لدعوات الملتجئين اليه (العليم) بحاله وحالهن (ثم بدا لهم) فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء أى ظهر لهم رأى والضمير فى لهم للعزيز وأهله (من بعد ما رأوا الآيات) وهى الشواهد على براءته كقد القميص وقطع الايدى وشهادة الصبى وغير ذلك (ليسجننه) لابداء عذر الحال وارخاء الستر على القيل والقال وما كان ذلك الا باستنزال

المرأة لزوجها وكان مطواعا لها وجميلا اذلولا زمامه في يدها وقد طمعت أن يذلله السجن و يسخره لها أو خافت عليه العيون وظنت فيه الظنون فالجأها الخجل من الناس والوجل من الياس الى أن رضيت بالحجاب مكان خوف الذهاب لتشتفي بخبره اذا منعت من نظره (حتى حين) الى زمان كأنها اقترحت أن يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه (ودخل معه السجن فتيان) عبدان للملك خبازه وشرابيه بتهمة السم فادخلا السجن ساعة أدخل يوسف لان مع يدل على معنى الصحبة تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب أن يكون دخولهما السجن مصاحبين له (قال أحدهما) أي شرابيه (اني أراني) أي في المنام وهي حكاية حال ماضية (أعصر خمرا) أي عنبا تسمية للعنب بما يؤول اليه أو الخمر بلغة عمان اسم للعنب (وقال الآخر) أي خبازه (اني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله) بتأويل ما رأيناه (انا نراك من المحسنين) من الذين يحسنون عبارة الرؤيا أو من المحسنين الى أهل السجن فانك تداوي المريض وتعزي الحزين وتوسع على الفقير فأحسن الينا بتأويل ما رأيناه وقيل انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي اني رأيت كأني في بستان فاذا بأصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها أنواع الاطعمة فاذا سباع الطير تنهش منها (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله) أي ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل (قبل أن يأتيكما) ولما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وأنه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيكون كذلك وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه لم يكن من باب التزكية (ذلكما) اشارة لهما الى التأويل أي ذلك التأويل والاخبار بالمغيبات (مما علمني ربي) وأوحى به الي ولم أقله عن تكهن وتنجم (اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) يجوز أن يكون كلاما مبتدأ وأن يكون تعليلا لما قبله أي علمني ذلك وأوحى به الي لاني رفضت ملة أولئك وهم أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم (واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب) وهي الملة الحنيفية وتكرير هم للتوكيد وذكر الآباء ليريهما أنه من بيت النبوة بعد أن عرفهما انه نبي يوحى اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوى رغبتهما في اتباع قوله والمراد به ترك الابتداء لا انه كان فيه ثم تركه (ما كان لنا) ما صح لنا معشر الانبياء (أن نشرك بالله من شيء) أي شيء كان صنما أو غيره ثم قال (ذلك) التوحيد (من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) فضل الله فيشركون به ولا ينتبهون (يا صاحبي السجن) يا ساكني السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة (أأرباب متفرقون

خير أم الله الواحد القهار) يريد التفرق في العدد والتكاثر أي أن تكون أرباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما أم يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام (ما تعبدون) خطاب لهما ولمن كان على دينهما من أهل مصر (من دونه) من دون الله (الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) أي سميتم مالا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكأنكم لا تعبدون الا أسماء لا مسميات لها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد (ما أنزل الله بها) بتسميتها (من سلطان) حجة (ان الحكم) في أمر العبادة والدين (الا لله) ثم بين ما حكم به فقال (أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم) الثابت الذي دلت عليه البراهين (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وهذا يدل على ان العقوبة تلزم العبد وان جهل اذا أمكن له العلم بطريقه ثم عبر الرؤيا فقال (يا صاحبي السجن أما أحدكما) يريد الشرابي (فيسقي ربه) سيده (خمرا) أي يعود الى عمله (وأما الآخر) أي الخباز (فيصلب فتأكل الطير من رأسه) روى أنه قال للاول ما رأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده وأما القضبان الثلاثة فانها ثلاثة أيام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل ولما سمع الخباز صلبه قال ما رأيت شيأ فقال يوسف (قضي الامر الذي فيه تستفتيان) أي قطع وتم ما تستفتيان فيه من أمركما وشأنكما أي ما يجر اليه من العاقبة وهي هلاك أحدهما ونجاة الآخر (وقال للذي ظن انه ناج منهما) الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تأويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي أو يكون الظن بمعنى اليقين (اذكرني عند ربك) صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني ويخلصني من هذه الورطة (فأنساه الشيطان) فانسى الشرابي (ذكر ربه) ان يذكره لربه أو عند ربه أو فانسى يوسف ذكر الله حين وكل أمره الى غيره وفي الحديث رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا (فلبث في السجن بضع سنين) أي سبعا عند الجمهور والبضع ما بين الثلاث الى التسع (وقال الملك اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا أخر يابسات قد استحصدت وأدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها وقيل كان ابتداء بلاء يوسف في الرؤيا ثم كان سبب نجاته أيضا الرؤيا سمان جمع سمين وسمينة والعجاف المهازيل والعجف الهزال الذي ليس بعده سمانة والسبب في وقوع عجاف جمع العجفاء وأفعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على نقيضه وهو سمان ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض وفي الآية دلالة على ان السنبلات اليابسة كانت

سبعا كالخضر لان الكلام مبنى على انصبابه الى هذا العدد فى البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب أن يتناول معنى الاخر السبع ويكون قوله وأخر يابسات بمعنى وسبعا أخر (ياأيها الملأ) كأنه أراد الاعيان من العلماء والحكماء (أفتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون) اللام فى للرؤيا للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين أو لان المفعول به اذا تقدم على الفعل لم يكن فى قوته على العمل فيه مثله اذا تأخر عنه فعضد بها تقول عبرت الرؤيا وللرؤيا عبرت أو يكون للرؤيا خبر كان كقولك كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبر آخر أو حال وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه أولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذى اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر (قالوا أضغاث أحلام) أى هى أضغاث أحلام أى تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أووسوسة شيطان وأصل الاضغاث ما جمع من أخلاط النبات وحزم من أنواع الحشيش الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من أى أضغاث من أحلام وانما جمع وهو حلم واحد تزيدا فى وصف الحلم بالبطلان وجاز أن يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) أرادوا بالاحلام المنامات الباطلة فقالوا ليس لها عندنا تأويل انما التأويل للمنامات الصحيحة أو اعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا فى تأويل الاحلام بخابرين (وقال الذى نجا) من القتل (منهما) من صاحبى السجن (وادّكر) بالدال هو الفصيح وأصله اذتكر فأبدلت الذال دالا والتاء دالا وأدغمت الاولى فى الثانية لتقارب الحرفين وعن الحسن واذكر ووجهه أنه قلب التاء ذالا وأدغم أى تذكر يوسف وما شاهد منه (بعد أمة) بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك فى رؤياه وأعضل على الملك تأويلها تذكر الناجى يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك (أنا أنبئكم بتأويله) أنا أخبركم به عمن عنده علمه (فأرسلون) وبالياء يعقوب أى فابعثونى اليه لاسأله فارسلوه الى يوسف فأتاه فقال (يوسف أيها الصديق) أيها البليغ فى الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق وتعرف صدقه فى تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما أول (أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرجع الى الناس) الى الملك وأتباعه (لعلهم يعلمون) فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك (قال تزرعون سبع سنين) هو خبر فى معنى الامر كقوله تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون دليله قوله فذروه فى سنبله وانما يخرج الامر فى صورة الخبر للمبالغة فى وجود المأمور به فيجعل كأنه موجود فهو يخبر عنه (دأبا) بسكون الهمزة وحفص بحركه وهما مصدرا دأب فى العمل وهو حال من المأمورين أى دائبين (فما حصدتم فذروه فى سنبله) كى لا يأكله السوس (الا قليلا مما تأكلون) فى تلك السنين

(ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن) هو من اسناد المجاز جعل أكلهن مسندا اليهن (ماقدمتم لهن) أي في السنين المخصبة (الا قليلا مما تحصنون) تحرزون وتخبؤن (ثم يأتي من بعد ذلك عام) أي من بعد أربع عشرة سنة عام (فيه يغاث الناس) من الغوث أي يجاب مستغيثهم أو من الغيث أي يمطرون يقال غيثت البلاد اذا مطرت (وفيه يعصرون) العنب والزيتون والسمسم فيتخذون الاشربة والادهان يعصرون حمزة فأول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بان العام الثامن يجيء مباركا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي (وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول) ليخرجه من السجن (قال ارجع الى ربك) أي الملك (فاسأله مابال النسوة) أي حال النسوة (اللاتي قطعن أيديهن) انما تثبت يوسف وتأنى في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما رمي به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح أمره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ماخلد في السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير وفيه دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها وقال عليه السلام لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجوني ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن مالبث لاسرعت الاجابة وبادرت الباب ولما ابتغيت العذران كان لحليما ذا أناة ومن كرمه وحسن أدبه انه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات أيديهن (ان ربي بكيدهن عليم) أي ان كيدهن عظيم لايعلمه الا الله وهو مجازيهن عليه فرجع الرسول الى الملك من عند يوسف برسالته فدعا الملك النسوة المقطعات أيديهن ودعا امرأة العزيز ثم (قال) لهن (ما خطبكن) ما شأنكن (اذ راودتن يوسف عن نفسه) هل وجدتن منه ميلا اليكن (قلن حاش لله) تعجبا من قدرته على خلق عفيف مثله (ما علمنا عليه من سوء) من ذنب (قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق) ظهر واستقر (أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) في قوله هي راودتني عن نفسي ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على أنفسهن بانه لم يتعلق بشيء مما قذف به ثم رجع الرسول الى يوسف وأخبره بكلام النسوة واقرار امرأة العزيز وشهادتها على نفسها فقال يوسف (ذلك) أي امتناعي من الخروج والتثبت لظهور البراءة (ليعلم) العزيز (أني لم أخنه بالغيب) بظهر الغيب في حرمته وبالغيب حال من الفاعل أو المفعول على معنى وأنا غائب عنه أو وهو غائب عني أو ليعلم الملك أني لم أخن العزيز (وأن الله) أي وليعلم أن الله (لايهدي كيد الخائنين) لايسدده وكانه تعريض بامرأته في خيانتها أمانة زوجها ثم أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وليبين أن

مافيه من الامانة بتوفيق الله وعصمته فقال (وما أبرئ نفسى) من الزلل وما أشهد لها بالبراءة الكلية ولا أزكيها فى عموم الاحوال أو فى هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذى هو الخطرة البشرية لا عن طريق القصد والعزم (ان النفس لامارة بالسوء) أراد الجنس أى ان هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه لما فيه من الشهوات (الامارحم ربى) الا البعض الذى رحمه ربى بالعصمة ويجوز أن يكون مارحم فى معنى الزمان أى الا وقت رحمة ربى يعنى انها أمارة بالسوء فى كل وقت الا وقت العصمة أو هو استثناء منقطع أى ولكن رحمة ربى هى التى تصرف الاساءة وقيل هو من كلام امرأة العزيز أى ذلك الذى قلت ليعلم يوسف أنى لم أخنه ولم أكذب عليه فى حال الغيبة وجئت بالصدق فيما سئلت عنه وما أبرئ نفسى مع ذلك من الخيانة فانى قد خنته حين قذفته وقلت ما جزاء من أراد باهلك سوأ الا أن يسجن وأودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا مارحم ربى الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف (ان ربى غفور رحيم) استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت وانما جعل من كلام يوسف ولا دليل عليه ظاهر لان المعنى يقود اليه وقيل هذا من تقديم القرآن وتأخيره أى قوله ذلك ليعلم متصل بقوله فاسئله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن (وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى) اجعله خالصا لنفسى (فلما كلمه) وشاهد منه مالم يحتسب (قال) الملك ليوسف (انك اليوم لدينا مكين أمين) ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شئ روى ان الرسول جاءه ومعه سبعون حاجبا وسبعون مركبا وبعث اليه لباس الملوك فقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار فى الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلواء وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انى اسألك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائى وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فأجابه بجميعها فتعجب منه وقال ايها الصديق انى احب ان اسمع رؤياى منك قال رأيت بقرات فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التى رآها الملك وقال له من حقك ان تجمع الطعام فى الاهراء فيأتيك الخلق من النواحى ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز مالم يجتمع لاحد قبلك قال الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه (قال) يوسف (اجعلنى على خزائن الارض) ولنى على خزائن ارضك يعنى مصر (انى حفيظ) امين احفظ ما تستحفظنيه (عليم) عالم بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة والكفاية وهما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله بعث الانبياء الى العباد ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه فى ذلك فطلبه ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وفى الحديث رحم الله اخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن

الارض

الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة قالوا وفيه دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان عمالة من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة الظلمة واذا علم النبي او العالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه في كل ما رأى وكان في حكم التابع له (وكذلك) ومثل ذلك التمكين الظاهر (مكنا ليوسف في الارض) ارض مصر وكانت اربعين فرسخا في اربعين والتمكين الاقدار واعطاء المكنة (يتبوأ منها حيث يشاء) اى كل مكان اراد ان يتخذه منزلا لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت سلطانه نشاء مكي (نصيب برحمتنا) بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم (من نشاء) من اقتضت الحكمة ان نشاء له ذلك (ولا نضيع اجر المحسنين) في الدنيا (ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا) يريد يوسف وغيره من المؤمنين الى يوم القيامة (وكانوا يتقون) الشرك والفواحش قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق وتلا الآية روى ان الملك توج يوسف وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امرأته فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدراهم والدنانير في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر في الثانية ثم بالدواب في الثالثة ثم بالعبيد والاماء في الرابعة ثم بالدور والعقار في الخامسة ثم باولادهم في السادسة ثم برقابهم في السابعة حتى استرقهم جميعا ثم اعتق اهل مصر عن آخرهم ورد عليهم املاكهم وكان لا يبيع لاحد من الممتارين اكثر من حمل بعير واصاب ارض كنعان نحو ما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا وذلك قوله (وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم) بلا تعريف (وهم له منكرون) لتبدل الزى ولانه كان من وراء الحجاب ولطول المدة وهو اربعون سنة روى انه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما شأنكم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادى فقالوا معاذ الله نحن بنو نبي حزين لفقد ابن كان احبنا اليه وقد امسك اخاله من امه يستأنس به فقال ائتوني به ان صدقتم (ولما جهزهم بجهازهم) اعطى كل واحد منهم حمل بعير وقرئ بكسر الجيم شاذا (قال ائتوني باخ لكم من ابيكم ألا ترون انى اوفى الكيل) اتمه (وانا خير المنزلين) كان قد احسن انزالهم وضيافتهم رغبهم بهذا الكلام

على الرجوع اليه (فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى) فلا ابيعكم طعاما (ولا تقربون) اى فان لم تأتونى به تحرموا ولا تقربوا فهو داخل فى حكم الجزاء مجزوم معطوف على محل قوله فلا كيل لكم او هو بمعنى النهى (قالوا سنراود عنه اباه) سنخادعه عنه ونحتال حتى ننزعه من يده (وانا لفاعلون) ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى قال فدعوا بعضكم رهنا فتركوا عنده شمعون وكان احسنهم رأيا فى يوسف (وقال لفتيانه) كوفى غير ابى بكر لفتيته غيرهم وهما جمع فتى كاخوة واخوان فى اخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة اى لغلمانه الكيالين (اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم) اوعيتهم وكانت نعالا وأدما أو ورقا وهو أليق بالدس فى الرحال (لعلهم يعرفونها) يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين (اذا انقلبوا الى اهلهم) وفرغوا ظروفهم (لعلهم يرجعون) لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا او ربما لا يجدون بضاعة بها يرجعون او ما فيهم من الديانة يعيدهم لرد الامانة اولم ير من الكرم ان يأخذ من أبيه واخوته ثمنا (فلما رجعوا الى أبيهم) بالطعام وأخبروه بما فعل (قالوا ياأبانا منع منا الكيل) يريدون قول يوسف فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى لانهم اذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل (فأرسل معنا أخانا نكتل) نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه يكتل حمزة وعلى أى يكتل أخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا (وانا له لحافظون) عن أن يناله مكروه (قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل) يعنى انكم قلتم فى يوسف أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون كما تقولونه فى أخيه ثم خنتم بضمانكم فما يأمننى من مثل ذلك ثم قال (فالله خير حافظا) كوفى غير أبى بكر فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وهو حال أو تمييز ومن قرأ حفظا فهو تمييز لا غير (وهو أرحم الراحمين) فارجو أن ينعم على بحفظه ولا يجمع على مصيبتين قال كعب لما قال فالله خير حفظا قال الله تعالى وعزتى وجلالى لاردن عليك كليهما (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا ياأبانا ما نبغى) ما للنفى أى ما نبغى فى القول ولا نتجاوز الحق أو ما نبغى شيأ وراء ما فعل بنا من الاحسان أو ما نريد منك بضاعة أخرى أو للاستفهام أى أى شئ نطلب وراء هذا (هذه بضاعتنا ردت الينا) جملة مستأنفة موضحة لقوله ما نبغى والجمل بعدها معطوفة عليها أى ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها (ونمير أهلنا) فى رجوعنا الى الملك أى نجلب لهم ميرة وهى طعام يحمل من غير بلدك (ونحفظ أخانا) فى ذهابنا ومجيئنا فما يصيبه شئ مما تخافه (ونزداد كيل بعير) نزداد وسق بعير باستصحاب أخينا (ذلك كيل يسير) سهل عليه متيسر لا يتعاظمه (قال لن أرسله معكم حتى تؤتون) وبالياء مكى (موثقا) عهدا (من الله) والمعنى حتى تعطونى ما أتوثق به من عند الله أى أراد أن يحلفوا له بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما يؤكد به العهود وقد أذن الله فى ذلك فهو اذن منه (لتأتننى به) جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتأتننى به (الا أن يحاط بكم) الا أن تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به فهو مفعول له والكلام المثبت

وهو قوله لتأتنني به في تأويل النفي أي لا تمتنعوا من الاتيان به الا للاحاطة بكم يعني لا تمتنعوا منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهي أن يحاط بكم فهو استثناء من أعم العام في المفعول له والاستثناء من أعم العام لا يكون الا في النفي فلا بد من تأويله بالنفي (فلما آتوه موثقهم) قيل حلفوا بالله رب محمد عليه السلام (قال) بعضهم يسكت عليه لان المعنى قال يعقوب (الله على ما نقول) من طلب الموثق واعطائه (وكيل) رقيب مطلع غير ان السكتة تفصل بين القول والمقول وذا لا يجوز فالاولى أن يفرق بينهما بالصوت فيقصد بقوة النغمة اسم الله (وقال يابني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) الجمهور على أنه خاف عليهم العين لجمالهم وجلالة أمرهم ولم يأمرهم بالتفرق في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين في الكرة الاولى فالعين حق عندنا وجوده بأن يحدث الله تعالى عند النظر الى الشيء والاعجاب به نقصانا فيه وخللا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما فيقول أعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة وأنكر الجبائي العين وهو مردود بما ذكرنا وقيل اني أحب أن لا يفطن بهم أعداؤهم فيحتالوا لاهلاكهم (وما أغني عنكم من الله من شيء) أي ان كان الله أراد بكم سوأ لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة (إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) التوكل تفويض الامر الى الله تعالى والاعتماد عليه (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) أي متفرقين (ما كان يغني عنهم) دخولهم من أبواب متفرقة (من الله من شيء) أي شيأ قط حيث أصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك وأخذ أخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على أبيهم (الا حاجة) استثناء منقطع اى ولكن حاجة (في نفس يعقوب قضاها) وهي شفقته عليهم (وانه لذو علم) يعني قوله وما أغني عنكم وعلمه بأن القدر لا يغني عنه الحذر (لما علمناه) لتعليمنا اياه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه) ضم اليه بنيامين وروى انهم قالوا له هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم أحسنتم فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي أخوكم وحيدا فأجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله وقال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال ومن يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وعانقه ثم (قال) له (اني أنا أخوك) يوسف (فلا تبتئس) فلا تحزن (بما كانوا يعملون) بنا فيما مضى فان الله قد أحسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما أعلمتك وروى انه قال له فأنا لا أفارقك قال لقد علمت اغتمام والدي بي فان حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا أن أنسبك الى ما لا يحمد قال لا أبالي فافعل ما بدا لك قال فاني أدس صاعي في رحلك ثم أنادي عليك بأنك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم فقال افعل (فلما

جهزهم بجهازهم) هيأأسبابهم وأوفى الكيل لهم (جعل السقاية فى رحل أخيه) السقاية هى مشربة يسقى بها وهى الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به لعزة الطعام وكان يشبه الطاس من فضة أو ذهب (ثم أذن مؤذن) ثم نادى منادآذنه أى أعلمه وأذن أكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روى انهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف عليه السلام حتى انطلقوا ثم أمر بهم فأدركوا وحبسوا ثم قيل لهم (أيتها العير) هى الابل التى عليها الاحمال لانها تعير أى تذهب وتجىء والمراد أصحاب العير (انكم لسارقون) كناية عن سرقتهم اياه من أبيه (قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك) هو الصاع (ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم) بقوله المؤذن يريد وأنا بحمل البعير كفيل أؤديه الى من جاء به وأراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله (قالوا تالله) قسم فيه معنى التعجب مما أضيف اليهم (لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض) استشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم حيث دخلوا وأفواه رواحلهم مشدودة لئلا تتناول زرعا أو طعاما لاحد من أهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم التى وجدوها فى رحالهم (وما كنا سارقين) وما كنا نوصف قط بالسرقة (قالوا فما جزاؤه) الضمير للصواع أى فما جزاء سرقته (ان كنتم كاذبين) فى جحودكم وادعائكم البراءة منه (قالوا جزاؤه من وجد فى رحله) أى جزاء سرقته أخذ من وجد فى رحله وكان حكم السارق فى آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا فى جزائه وقولهم (فهو جزاؤه) تقرير للحكم أى فأخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هى خبره (كذلك نجزى الظالمين) أى السراق بالاسترقاق (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه) فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفى التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما أظن هذا أخذ شيأ فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر فى رحله فانه أطيب لنفسك وأنفسنا (ثم استخرجها) أى الصواع (من وعاء أخيه) ذكر ضمير الصواع مرات ثم أنثه لان التأنيث يرجع الى السقاية أو لان الصواع يذكر ويؤنث الكاف فى (كذلك) فى محل النصب أى مثل ذلك الكيد العظيم (كدنا ليوسف) يعنى علمناه اياه (ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك) تفسير للكيد وبيان له لان الحكم فى دين الملك أى فى سيرته للسارق أن يغرم مثلى ما أخذ لا ان يستعبد (الا أن يشاء الله) أى ما كان ليأخذه الا بمشيئة الله وارادته فيه (نرفع درجات) بالتنوين كوفى (من نشاء) أى فى العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه (وفوق كل ذى علم عليم) فوقه أرفع درجة منه فى علمه أو فوق العلماء كلهم عليم هم دونه فى العلم وهو الله عز وجل (قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل) أرادوا يوسف قيل دخل كنيسة فأخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كان فى المنزل دجاجة فأعطاها لسائل وقيل كانت منطقة لابراهيم عليه السلام يتوارثها أكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت أكبر أولاده فحضنت يوسف وهى عمته بعد وفاة أمه وكانت لا تصبر عنه

فلما شب أراد يعقوب أن ينزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لى سلم افعل به ماشئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت وروى انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا له فضحتنا وسودت وجوهنا يابنى راحيل مايزال لنا منكم بلاء متى أخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لايزال منكم عليهم بلاء ذهبتم بأخى فأهلكتموه ووضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع البضاعة فى رحالكم (فأسرّها) أى مقالتهم انه سرق كانه لم يسمعها (يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا) تمييز أى أنتم شر منزلة فى السرق لانكم سرقتم أخاكم يوسف من أبيه (والله أعلم بما تصفون) تقولون أوتكذبون (قالوا ياأيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا) فى السن أو فى القدر (فخذ أحدنا مكانه) أبدله على وجه الاسترهان أو الاستعباد فان أباه يتسلى به عن أخيه المفقود (انا نراك من المحسنين) الينا فأتمم احسانك أو من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها (قال معاذ الله أن نأخذ الامن وجدنا متاعنا عنده) أى نعوذ بالله معاذا من أن نأخذ فأضيف المصدر الى المفعول به وحذف من (انا اذا لظالمون) اذا جواب لهم وجزاء لان المعنى ان أخذنا بدله ظلمنا وهذا لانه وجب على قضية فتواكم أخذ من وجد الصاع فى رحله واستعباده فلو أخذنا غيره كان ذلك ظلما فى مذهبكم فلم تطلبون ماعرفتم أنه ظلم (فلما استيأسوا) يئسوا وزيادة السين والتاء للمبالغة كما مر فى استعصم (منه) من يوسف واجابته اياهم (خلصوا) انفردوا عن الناس خالصين لايخالطهم سواهم (نجيا) ذوى نجوى أوفوجا نجيا أى مناجيا المناجاة بعضهم بعضا أو تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم فى أنفسهم صورة التناجى وحقيقته فالنجى يكون بمعنى المناجى كالسمير بمعنى المسامر وبمعنى المصدر الذى هو التناجى وكان تناجيهم فى تدبير أمرهم على أى صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم فى شأن أخيهم (قال كبيرهم) فى السن وهو روبيل أو فى العقل والرأى وهو يهوذا أو رئيسهم وهو شمعون (ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل مافرطتم فى يوسف) ماصلة أى ومن قبل هذا قصرتم فى شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم أو مصدرية ومحل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه وقع من قبل تفريطكم فى يوسف (فلن أبرح الارض) فلن أفارق أرض مصر (حتى يأذن لى أبى) فى الانصراف اليه (أو يحكم الله لى) بالخروج منها أو بالموت أو بقتالهم (وهو خير الحاكمين) لانه لايحكم الا بالعدل (ارجعوا الى أبيكم فقولوا ياأبانا ان ابنك سرق) وقرئ سُرّق أى نسب الى السرقة (وماشهدنا) عليه بالسرقة (الا بما علمنا) من سرقته وتيقننا اذ الصواع استخرج من وعائه (وما كنا للغيب حافظين) وما علمنا انه سيسرق حين أعطيناك الموثق (واسئل القرية التى كنا فيها) يعنى مصر أى أرسل الى أهلها فاسئلهم عن كنه القصة (والعير التى أقبلنا

فيها) وأصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام (وانا لصادقون)
في قولنا فرجعوا الى أبيهم وقالوا له ما قال لهم أخوهم (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا) أردتموه
والا فمن أدرى ذلك الرجل ان السارق يسترق لولا فتواكم وتعليمكم (فصبر جميل عسى الله
أن يأتيني بهم جميعا) بيوسف وأخيه وكبيرهم (انه هو العليم) بحالي في الحزن والاسف
(الحكيم) الذي لم يبتلني بذلك الا لحكمة (وتولى عنهم) وأعرض عنهم كراهة لما جاؤا
به (وقال يا أسفا على يوسف) أضاف الاسف وهو أشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف
بدل من ياء الاضافة والتجانس بين الاسف ويوسف غير متكلف ونحوه اثاقلتم الى الارض
أرضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه ويحسبون أنهم يحسنون صنعا من سبا بنبا وانما تأسف
على يوسف دون أخيه وكبيرهم لتمادي أسفه على يوسف دون الآخرين وفيه دليل على
ان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا (وابيضت عيناه) اذا كثر الاستعبار
محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر وقيل قد عمي بصره وقيل كان قد يدرك
ادراكا ضعيفا (من الحزن) لان الحزن سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكأنه
حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين
عاما وما على وجه الارض أكرم على الله من يعقوب ويجوز للنبي عليه السلام أن يبلغ به
الجزع ذلك المبلغ لان الانسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الحزن فلذلك حمد صبره ولقد
بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع
ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما المذموم الصياح والنياحة
ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب (فهو كظيم) مملوء من الغيظ على أولاده ولا
يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله اذ نادى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا
شده على ملئه (قالوا تالله تفتؤا) أي لا تفتأ فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس اذ لو كان
اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ومعنى لا تفتأ لا تزال (تذكر يوسف حتى تكون حرضا)
مشفيا على الهلاك مرضا (أو تكون من الهالكين قال انما أشكو بثي وحزني الى الله)
البث أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس أي ينشره أي لا أشكو الى أحد
منكم ومن غيركم انما أشكو الى ربي داعيا له وملتجئا اليه فخلوني وشكايتي وروي انه
أوحي الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فوقف ببابكم مسكين فلم تطعموه
وان أحب خلقي الى الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى
جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت (وأعلم من الله ما لا تعلمون) وأعلم من
رحمته انه يأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب وروي أنه رأى ملك الموت في منامه فسأله
هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه وعلمه هذا الدعاء يا ذا المعروف الدائم
الذي لا ينقطع معروفه أبدا ولا يحصيه غيرك فرج عني (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف
وأخيه) فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وهو تفعل من الاحساس وهو المعرفة (ولا تيأسوا

من روح الله) ولا تقنطوا من رحمة الله وفرجه (انه) ان الامر والشان (لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) لان من آمن يعلم أنه متقلب فى رحمة الله ونعمته وأما الكافر فلا يعرف رحمة الله ولا تقلبه فى نعمته فييأس من رحمته فخرجوا من عند أبيهم راجعين الى مصر (فلما دخلوا عليه) على يوسف (قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر) الهزال من الشدة والجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من أزجيته اذا دفعته وطردته قيل كانت دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وقيل كانت صوفا وسمنا (فأوف لنا الكيل) الذى هو حقنا (وتصدق علينا) وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة أو زدنا على حقنا أوهب لنا أخانا (ان الله يجزى المتصدقين) ولما قالوا مسنا وأهلنا الضر وتضرعوا اليه وطلبوا منه أن يتصدق عليهم ارفضت عيناه ولم يتمالك أن عرفهم نفسه حيث قال (قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف) أى هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف (وأخيه اذ أنتم جاهلون) لا تعلمون قبحه أو اذ أنتم فى حد السفه والطيش وفعلهم بأخيه تعريضهم اياه للغم بافراده عن أخيه لابيه وأمه وايذاؤهم له بأنواع الاذى (قالوا أئنك) بهمزتين كوفى وشامى (لانت يوسف) اللام لام الابتداء وأنت مبتدأ ويوسف خبره والجملة خبران (قال أنا يوسف وهذا أخى) وانما ذكر أخاه وهم قد سألوه عن نفسه لانه كان فى ذكر أخيه بيان لما سألوه عنه (قد منّ الله علينا) بالالفة بعد الفرقة وذكر نعمة الله بالسلامة والكرامة ولم يبدأ بالملامة (انه من يتق) الفحشاء (ويصبر) عن المعاصى وعلى الطاعة (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) أى أجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين وقيل من يتق مولاه ويصبر على بلواه لا يضيع أجره فى دنياه وعقباه (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا) اختارك وفضلك علينا بالعلم والحلم والتقوى والصبر والحسن (وان كنا لخاطئين) وان شأننا وحالنا أنا كنا خاطئين متعمدين للاثم لم نتق ولم نصبر لاجرم ان الله أعزك بالملك وأذلنا بالتمسكن بين يديك (قال لا تثريب عليكم) لا تعيير عليكم (اليوم) متعلق بالتثريب أو بيغفر والمعنى لاأثربكم اليوم وهو اليوم الذى هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدأ فقال (يغفر الله لكم) فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر لك على لفظ الماضى والمضارع أو اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بعضادتى باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترونى فاعلا بكم قالوا نظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول ما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروى ان أبا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس اذا أتيت رسول الله فاتل عليه قال لا تثريب عليكم اليوم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ولمن علمك ويروى ان اخوته لما عرفوه أرسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحى منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان أهل مصر وان ملكت فيهم

فانهم ينظرون الى بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم حيث علم الناس أنى من حفدة ابراهيم (وهو أرحم الراحمين) أى اذا رحمتكم وأنا الفقير القتور فما ظنكم بالغنى الغفور ثم سألهم عن حال أبيه فقالوا انه عمى من كثرة البكاء قال (اذهبوا بقميصى هذا) قيل هو القميص المتوارث الذى كان فى تعويذ يوسف وكان من الجنة أمره جبريل أن يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفى (فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا) يصر بصيرا تقول جاء البناء محكما أى صار او يأت الى وهو بصير قال يهوذا أنا أحمل قميص الشفاء كما ذهبت بقميص الجفاء وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا (وأتونى بأهلكم أجمعين) لينعموا بآثار ملكى كما اغتموا بأخبار هلكى (ولما فصلت العير) خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه (قال أبوهم) لولد ولده ومن حوله من قومه (انى لاجد ريح يوسف) أوجده الله ريح القميص حين أقبل من مسيرة ثمانية أيام (لولا أن تفندون) التفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند والمعنى لولا تفنيدكم اياى لصدقتمونى (قالوا) أى أسباطه (تالله انك لفى ضلالك القديم) لفى ذهابك عن الصواب قديما فى افراط محبتك ليوسف أو فى خطئك القديم من حب يوسف وكان عندهم انه قد مات (فلما أن جاء البشير) أى يهوذا (ألقاه على وجهه) طرح البشير القميص على وجه يعقوب أو ألقاه يعقوب (فارتد) فرجع (بصيرا) يقال رده فارتد وارتده اذا ارجعه (قال ألم أقل لكم) يعنى قوله انى لاجد ريح يوسف أو قوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله (انى أعلم من الله ما لا تعلمون) كلام مبتدأ لم يقع عليه القول أو وقع عليه والمراد قوله انما أشكو بثى وحزنى الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون وروى انه سأل البشير كيف يوسف قال هو ملك مصر فقال ما أصنع بالملك على أى دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين) أى سل الله مغفرة ما ارتكبنا فى حقك وحق ابنك اذ انبنا واعترفنا بخطايانا (قال سوف أستغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم) اخر الاستغفار الى وقت السحر أو الى ليلة الجمعة أو ليتعرف حالهم فى صدق التوبة أو الى أن يسأل يوسف هل عفا عنهم ثم ان يوسف وجه الى أبيه جهازا ومائتى راحلة ليتجهز اليه بمن معه فلما بلغ قريبا من مصر خرج يوسف والملك فى أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشى يتوكأ على يهوذا (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه) ضم اليه (أبويه) واعتنقهما قيل كانت أمه باقية وقيل ماتت وتزوج أبوه خالته والخالة أم كما ان العم أب ومنه قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ومعنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر انه حين استقبلهم أنزلهم فى مضرب خيمة أو قصر كان له ثمة فدخلوا عليه وضم اليه أبويه (وقال) لهم بعد ذلك (ادخلوا

مصران شاء الله آمنين) من ملوكها وكانوا لا يدخلونها الا بجوار أو من القحط وروى انه لما لقيه قال يعقوب عليه السلام السلام عليك يا مذهب الاحزان وقال له يوسف يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت أن يسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجال ونساء وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية ألف ألف ومائتي ألف (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا) قيل لما دخلوا مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه أكرم أبويه فرفعهما على السرير وخروا له يعني الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا وكانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد وقال الزجاج سنة التعظيم في ذلك الوقت أن يسجد للمعظم وقيل ما كانت الا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا اياه وقيل وخر والاجل يوسف سجد الله شكرا وفيه نبوة أيضا واختلف في استنبائهم (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها) أى الرؤيا (ربي حقا) أى صادقة وكان بين الرؤيا وبين التأويل أربعون سنة أو ثمانون أو ست وثلاثون أو ثنتان وعشرون (وقد أحسن بي) يقال أحسن اليه وبه وكذلك أساء اليه وبه (اذ أخرجني من السجن) ولم يذكر الجب لقوله لا تثريب عليكم اليوم (وجاء بكم من البدو) من البادية لانهم كانوا أصحاب مواشي ينتقلون في المياه والمناجع (من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي) أى أفسد بيننا وأغرى (ان ربي لطيف لما يشاء) أى لطيف التدبير (انه هو العليم الحكيم) بتأخير الآمال الى الآجال أو حكم بالائتلاف بعد الاختلاف (رب قد آتيتني من الملك) ملك مصر (وعلمتني من تأويل الاحاديث) تفسير كتب الله أو تعبير الرؤيا ومن فيهما للتبعيض اذ لم يؤت الا بعض ملك الدنيا وبعض التأويل (فاطر السموات والارض) انتصابه على النداء (أنت وليي في الدنيا والآخرة) أنت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي (توفني مسلما) طلب الوفاة على حال الاسلام كقول يعقوب لولده ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون وعن الضحاك مخلصا وعن التستري مسلما اليك أمري وفي عصمة الانبياء انما دعا به يوسف ليقتدي به قومه ومن بعده ممن ليس بمأمون العاقبة لان ظواهر الانبياء لنظر الامم اليهم (وألحقني بالصالحين) من آبائي أو على العموم روى ان يوسف أخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فادخله خزائن الذهب والفضة وخزائن الثياب وخزائن السلاح حتى أدخله خزانة القراطيس قال يا بني ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمانية مراحل فقال أمرني جبريل قال أوما تسأله قال أنت أبسط اليه مني فاسأله فقال جبريل الله أمرني بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب فهلا خفتني وروى ان يعقوب أقام معه أربعا وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشأم الى جنب أبيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر وعاش

بعد أبيه ثلاثة وعشرين سنة فلما تم أمره طلبت نفسه الملك الدائم فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب أن يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا أن يعملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا حتى نقل موسى عليه السلام بعد أربعمائة سنة تابوته الى بيت المقدس وولد له افرائيم وميشا وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم تزل بنو اسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه (ذلك) اشارة الى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ (من أنباء الغيب نوحيه اليك) خبران (وما كنت لديهم) لدى بني يعقوب (اذ أجمعوا أمرهم) عزموا على ما هموا به من القاء يوسف في البئر (وهم يمكرون) بيوسف ويبغون له الغوائل والمعنى ان هذا النبأ غيب لم يحصل لك الا من جهة الوحي لانك لم تحضر بني يعقوب حين اتفقوا على القاء أخيهم في البئر (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) أراد العموم أو أهل مكة أي وما هم بمؤمنين ولو اجتهدت كل الاجتهاد على ايمانهم (وما تسئلهم عليه) على التبليغ أو على القرآن (من أجر) جعل (ان هو الا ذكر) ما هو الا عظة (للعالمين) وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله (وكأين من آية) من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده (في السموات والارض يمرون عليها) على الآيات أو على الارض ويشاهدونها (وهم عنها) عن الآيات (معرضون) لا يعتبرون بها والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) أي وما يؤمن أكثرهم في اقراره بالله وبأنه خلقه وخلق السموات والارض الا وهو مشرك بعبادة الوثن الجمهور على أنها نزلت في المشركين لانهم مقرون بالله خالقهم ورازقهم واذا حزبهم أمر شديد دعوا الله ومع ذلك يشركون به غيره ومن جملة الشرك ما يقوله القدرية من اثبات قدرة التخليق للعبد والتوحيد المحض ما يقوله أهل السنة وهو أنه لا خالق الا الله (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية) عقوبة تغشاهم وتشملهم (من عذاب الله او تأتيهم الساعة) القيامة (بغتة) حال أي فجأة (وهم لا يشعرون) باتيانها (قل هذه سبيلي) هذه السبيل التي هي الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله (أدعوا الى الله على بصيرة) اى أدعوا الى دينه مع حجة واضحة غير عمياء (أنا) تأكيد للمستتر في ادعو (ومن اتبعني) عطف عليه اى أدعوا الى سبيل الله أنا ويدعو اليه من اتبعني او أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبر مقدم ومن اتبعني عطف على أنا يخبر ابتداء بانه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى (وسبحان الله) وأنزهه عن الشركاء (وما أنا من المشركين) مع الله غيره (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا) لا ملائكة لانهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة اوليست فيهم امرأة (نوحى) بالنون حفص (اليهم من اهل

القرى

القرى) لانهم أعلم وأحلم واهل البوادى فيهم الجهل والجفاء (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة) اى ولدار الساعة الآخرة (خير للذين اتقوا) الشرك وآمنوا به (أفلا تعقلون) وبالياء مكى وأبو عمرو وحمزة وعلى (حتى اذا استيأس الرسل) يئسوا من ايمان القوم (وظنوا أنهم قد كذبوا) وأيقن الرسل ان قومهم كذبوهم وبالتخفيف كوفى أى وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا أى أخلفوا اووظن المرسل اليهم أنهم كذبوا من جهة الرسل أى كذبتهم الرسل فى أنهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه (جاءهم نصرنا) للانبياء والمؤمنين بهم فجأة من غير احتساب (فنجى) بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء شامى وعاصم على لفظ الماضى المبنى للمفعول والقائم مقام الفاعل من الباقون فننجى (من نشاء) أى النبى ومن آمن به (ولا يرد بأسنا) عذابنا (عن القوم المجرمين) الكافرين (لقد كان فى قصصهم) أى فى قصص الانبياء وأممهم اوفى قصة يوسف واخوته (عبرة لأولى الالباب) حيث نقل من غاية الحب الى غيابة الجب ومن الحصير الى السرير فصارت عاقبة الصبر سلامة وكرامة ونهاية المكر وخامة وندامة (ما كان حديثا يفترى) ما كان القرآن حديثا مفترى كما زعم الكفار (ولكن تصديق الذى بين يديه) ولكن تصديق الكتب التى تقدمته (وتفصيل كل شئ) يحتاج اليه فى الدين لانه القانون الذى تستند اليه السنة والاجماع والقياس (وهدى) من الضلال (ورحمة) من العذاب (لقوم يؤمنون) بالله وأنبيائه وما نصب بعد لكن معطوف على خبر كان * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا أرقاءكم سورة يوسف فأيما عبد تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلما قال الشيخ أبو منصور رحمه الله فى ذكر قصة يوسف عليه السلام واخوته تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أذى قريش كانه يقول ان أخوة يوسف مع موافقتهم اياه فى الدين ومع الاخوة عملوا بيوسف ما عملوا من الكيد والمكر وصبر على ذلك فانت مع مخالفتهم اياك فى الدين أحرى ان تصبر على أذاهم وقال وهب ان الله تعالى لم ينزل كتابا الا وفيه سورة يوسف عليه السلام تامة كما هى فى القرآن العظيم والله أعلم

﴿سورة الرعد مكية وهى ثلاث وأربعون آية كوفى وخمس وأربعون آية شامى﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(المر) أنا الله أعلم وأرى عن ابن عباس رضى الله عنهما (تلك) اشارة الى آيات السورة (آيات الكتاب) أريد بالكتاب السورة أى تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة فى بابها (والذى أنزل اليك من ربك) اى القرآن كله (الحق) خبر والذى (ولكن اكثر الناس لا يؤمنون) فيقولون تقوّله محمد ثم ذكر ما يوجب الايمان فقال (الله الذى رفع السموات) أى خلقها مرفوعة لا أن تكون موضوعة فرفعها والله مبتدأ والخبر

الذى رفع السموات (بغير عمد) حال وهو جمع عماد أو عمود (ترونها) الضمير يعود الى
السموات أى ترونها كذلك فلا حاجة الى البيان أو الى عمد فيكون فى موضع جر على أنه صفة
لعمد أى بغير عمد مرئية (ثم استوى على العرش) استولى بالاقتدار ونفوذ السلطان
(وسخر الشمس والقمر) لمنافع عباده ومصالح بلاده (كل يجرى لاجل مسمى) وهو
انقضاء الدنيا (يدبر الامر) أمر ملكوته وربوبيته (يفصل الآيات) يبين آياته فى
كتبه المنزلة (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) لعلكم توقنون بان هذا المدبر والمفصل لابد لكم من
الرجوع اليه (وهو الذى مد الارض) بسطها (وجعل فيها رواسى) جبالا ثوابت
(وأنهارا) جارية (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) أى الاسود والابيض والحلو
والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك (يغشى الليل النهار) يلبسه مكانه فيصير أسود
مظلما بعد ما كان أبيض منيرا يغشى حمزة وعلى وأبو بكر (ان فى ذلك لآيات لقوم
يتفكرون) فيعلمون ان لها صانعا عليما حكيما قادرا (وفى الارض قطع متجاورات) بقاع
مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وذلك
دليل على قادر مدبر مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه (وجنات) معطوفة على قطع
(من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان) بالرفع مكى وبصرى وحفص عطف على
قطع غيرهم بالجر بالعطف على أعناب والصنوان جمع صنو وهى النخلة لها رأسان وأصلها
واحد وعن حفص بضم الصاد وهما لغتان (تسقى بماء واحد) وبالياء عاصم وشامى (ونفضل
بعضها على بعض) وبالياء حمزة وعلى (فى الاكل) فى الثمر وبسكون الكاف نافع ومكى
(ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) عن الحسن مثل اختلاف القلوب فى آثارها وأنوارها
وأسرارها باختلاف القطع فى أنهارها وأزهارها وثمارها (وان تعجب) يا محمد من قولهم
فى انكار البعث (فعجب قولهم) خبر ومبتدأ أى فقولهم حقيق بأن يتعجب منه لان من
قدر على انشاء ما عدد عليك كانت الاعادة أهون شئ عليه وأيسره فكان انكارهم أعجوبة
من الاعاجيب (أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد) فى محل الرفع بدل من قولهم قرأ عاصم
وحمزة كل واحد بهمزتين (أولئك الذين كفروا بربهم) أولئك الكافرون المتمادون فى
كفرهم (وأولئك الاغلال فى أعناقهم) وصف لهم بالاصرار أو من جملة الوعيد (وأولئك
أصحاب النار هم فيها خالدون) دل تكرار أولئك على تعظيم الامر (ويستعجلونك بالسيئة
قبل الحسنة) بالنقمة قبل العافية وذلك انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم
بالعذاب استهزاء منهم بانذاره (وقد خلت من قبلهم المثلات) أى عقوبات أمثالهم من
المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزؤا والمثلة العقوبة لما بين العقاب والمعاقب عليه من
المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) أى مع ظلمهم
أنفسهم بالذنوب ومحله الحال أى ظالمين لانفسهم قال السدى يعنى المؤمنين وهى أرجى آية فى
كتاب الله حيث ذكر المغفرة مع الظلم وهو بدون التوبة فان التوبة تزيلها وترفعها (وان

ربك

ربك لشديد العقاب) على الكافرين أوهما جميعا في المؤمنين لكنه معلق بالمشيئة فيهما أي يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية واحياء الموتى فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (انما أنت منذر) انما أنت رجل أرسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة بأي آية كانت والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها (ولكل قوم هاد) من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله بآية خص بها لا بما يريدون ويتحكمون (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد) ما في هذه المواضع الثلاثة موصولة أي يعلم ما تحمله من الولد على أي حال هو من ذكورة وأنوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك وما تغيضه الارحام أي ويعلم ما تنقصه يقال غاض الماء وغضته أنا وما تزداده والمراد عدد الولد فانها تشتمل على واحد واثنين وثلاثة وأربعة أو جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا أو مدة الولادة فانها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيد عليها الى سنتين عندنا والى أربع عند الشافعي والى خمس عند مالك أو مصدرية أي يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض الارحام وازديادها (وكل شيء عنده بمقدار) بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه لقوله انا كل شيء خلقناه بقدر (عالم الغيب) ما غاب عن الخلق (والشهادة) ما شاهدوه (الكبير) العظيم الشأن الذي كل شيء دونه (المتعال) المستعلي على كل شيء بقدرته أو الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها وبالياء في الحالين مكي (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) أي في علمه (ومن هو مستخف بالليل) متوار (وسارب بالنهار) ذاهب في سربه أي في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض سروبا وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف أو على مستخف غير أن من في معنى الاثنين والضمير في (له) مردود على من كانه قيل لمن أسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب (معقبات) جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف أو هو مفعلات من عقبه اذا جاء على عقبه لان بعضهم يعقب بعضا أولانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه (من بين يديه ومن خلفه) أي قدامه ووراءه (يحفظونه من أمر الله) هما صفتان جميعا وليس من أمر الله بصلة للحفظ كانه قيل له معقبات من أمر الله أو يحفظونه من أجل أمر الله أي من أجل ان الله تعالى أمرهم بحفظه أو يحفظونه من باس الله ونقمته اذا أذنب بدعائهم له (ان الله لا يغير ما بقوم) من العافية والنعمة (حتى يغيروا ما بانفسهم) من الحال الجميلة بكثرة المعاصي (واذا أراد الله بقوم سوأ) عذابا (فلا مرد له) فلا يدفعه شيء (وما لهم من دونه من وال) من دون الله ممن يلي أمرهم ويدفع عنهم (هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا) انتصبا على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع أو على ذا خوف وذا طمع أو من المخاطبين

أى خائفين وطامعين والمعنى يخاف من وقوع الصواعق عند لمع البرق و يطمع فى الغيث قال أبو الطيب

فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى ☆ يرجى الحيا منه وتخشى الصواعق

أو يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر و يطمع فيه من له نفع فيه (وينشئ السحاب) هو اسم جنس والواحدة سحابة (الثقال) بالماء وهو جمع ثقيلة تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال (و يسبح الرعد بحمده) قيل يسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر أى يصيحون بسبحان الله والحمد لله وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الرعد ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والصوت الذى يسمع زجره السحاب حتى ينتهى الى حيث أمر (والملائكة من خيفته) ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) الصاعقة نار تسقط من السماء لما ذكر علمه النافذ فى كل شئ واستواء الظاهر والخفى عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته قال (وهم يجادلون فى الله) يعنى الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلون فى الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيى العظام وهى رميم ويردون الواحدانية باتخاذ الشركاء ويجعلونه بعض الاجسام بقولهم الملائكة بنات الله والواو للحال أى فيصيب بها من يشاء فى حال جدالهم وذلك ان أربد أخا لبيد بن ربيعة العامرى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية وأرسل على أربد صاعقة فقتله أخبرنى عن ربنا أمن نحاس هو أم من حديد (وهو شديد المحال) أى المماحلة وهى شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف لاستعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان والمعنى انه شديد المكر والكيد لاعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون (له دعوة الحق) أضيفت الى الحق الذى هو ضد الباطل للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة و يعطى الداعى سؤله فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بأنه يوجه اليه الدعاء لما فى دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينتفع ولا يجدى دعاءه واتصال شديد المحال وله دعوة الحق بما قبله على قصة أربد ظاهر لان اصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اخسفهما بما شئت فأجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وعلى الاول وعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ان دعا عليهم (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (من دونه) من دون الله (لا يستجيبون لهم بشئ) من طلباتهم (الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه) الاستثناء من المصدر أى من الاستجابة التى دل عليها لا يستجيبون لان الفعل

بحروفه يدل على المصدر وبصيغته على الزمان وبالضرورة على المكان والحال فجاز استثناء كل منها من الفعل فصار التقدير لا يستجيبون استجابة الا استجابة كاستجابة باسط كفيه الى الماء أى كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم واللام فى ليبلغ متعلق بباسط كفيه (وما هو ببالغه) وما الماء ببالغ فاه (وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) فى ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الاصنام لم تستطع اجابتهم (ولله يسجد من فى السموات والارض) سجود تعبد وانقياد (طوعا) حال يعنى الملائكة والمؤمنين (وكرها) يعنى المنافقين والكافرين فى حال الشدة والضيق (وظلالهم) معطوف على من جمع ظل (بالغدو) جمع غداة كقنى وقناة (والآصال) جمع أصل جمع أصيل قيل ظل كل شئ يسجد لله بالغدو والآصال وظل الكافر يسجد كرها وهو كاره وظل المؤمن يسجد طوعا وهو طائع (قل من رب السموات والارض قل الله) حكاية لاعترافهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من أن يقولوا الله دليله قراءة ابن مسعود وأبى قالوا الله أو هو تلقين أى فان لم يجيبوا فلقنهم فانه لا جواب الا هذا (قل أفاتخذتم من دونه أولياء) أبعد أن علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه آلهة (لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا) لا يستطيعون لانفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا ضرا عنها فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما أبين ضلالتكم (قل هل يستوى الاعمى والبصير) أى الكافر والمؤمن أو من لا يبصر شيأ ومن لا يخفى عليه شئ (أم هل تستوى الظلمات والنور) ملل الكفر والايمان يستوى كوفى غير حفص (أم جعلوا لله شركاء) بل أجعلوا ومعنى الهمزة الانكار (خلقوا كخلقه) خلقوا مثل خلقه وهو صفة لشركاء أى انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله (فتشابه الخلق عليهم) فاشتبه عليهم مخلوق الله بمخلوق الشركاء حتى يقولوا اقدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق (قل الله خالق كل شئ) أى خالق الاجسام والاعراض لا خالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له شريك فى الخلق فلا يكون له شريك فى العبادة ومن قال ان الله لم يخلق أفعال الخلق وهم خلقوها فتشابه الخلق على قولهم (وهو الواحد) المتوحد بالربوبية (القهار) لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور (أنزل) أى الواحد القهار وهو الله سبحانه (من السماء) من السحاب (ماء) مطرا (فسالت أودية) جمع واد وهو الموضع الذى يسيل فيه الماء بكثرة وانما نكر لان المطر لا يأتى الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الارض دون بعض (بقدرها) بمقدارها الذى علم الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار (فاحتمل السيل) أى رفع (زبدا) هو ما علا على وجه الماء من الرغوة والمعنى علاه زبد (رابيا) منتفخا مرتفعا

على وجه السيل (ومما توقدون عليه) وبالياء كوفي غير أبي بكر ومن لابتداء الغاية أي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء أو للتبعيض أي وبعضه زبد (في النار) حال من الضمير في عليه أي ومما توقدون عليه ثابتا في النار (ابتغاء حلية) مبتغين حلية فهو مصدر في موضع الحال من الضمير في توقدون (أو متاع) من الحديد والنحاس والرصاص يتخذ منها الاواني ومايتمتع به في الحضر والسفر وهو معطوف على حلية أي زينة من الذهب والفضة (زبد) خبث وهو مبتدا (مثله) نعت له ومما توقدون خبر له أي لهذه الفلزات اذا أغليت زبد مثل زبد الماء (كذلك يضرب الله الحق والباطل) أي مثل الحق والباطل (فأما الزبد فيذهب جفاء) حال أي متلاشيا وهو ماتقذفه القدر عند الغليان والبحر عند الطغيان والجفء الرمي وجفوت الرجل صرعته (وأما ماينفع الناس) من الماء والحلي والاواني (فيمكث في الارض) فيثبت الماء في العيون والآبار والحبوب والثمار وكذلك الجواهر تبقى في الارض مدة طويلة (كذلك يضرب الله الامثال) ليظهر الحق من الباطل وقيل هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم بأنواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الاواني والآلات المختلفات وذلك ماكث في الارض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منافعه وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه اذا أذيب قال الجمهور وهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن والقلوب والحق والباطل فالماء القرآن نزل لحياة الجنان كالماء للابدان والاودية القلوب ومعنى بقدرها بقدر سعة القلب وضيقه والزبد هواجس النفس ووساوس الشيطان والماء الصافي المنتفع به مثل الحق فكما يذهب الزبد باطلا ويبقى صفو الماء كذلك تذهب هواجس النفس ووساوس الشيطان ويبقى الحق كما هو وأما حلية الذهب والفضة فمثل للاحوال السنية والاخلاق الزكية وأما متاع الحديد والنحاس والرصاص فمثل للاعمال الممدة بالاخلاص المعدة للخلاص فان الاعمال جالبة للثواب دافعة للعقاب كما ان تلك الجواهر بعضها أداة النفع للكسب وبعضها آلة الدفع في الحرب وأما الزبد فالرياء والخلل والملل والكسل واللام في (للذين استجابوا) أي أجابوا متعلقة بيضرب أي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا (لربهم الحسنى) وهي صفة لمصدر استجابوا أي استجابوا الاستجابة الحسنى (والذين لم يستجيبوا له) أي وللكافرين الذين لم يستجيبوا أي هما مثلا الفريقين وقوله (لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به) كلام مبتدأ في ذكر ماأعد لغير المستجيبين أي لو ملكوا أموال الدنيا وملكوا معها مثلها لبذلوه ليدفعوا عن أنفسهم عذاب الله والوجه أن الكلام قدتم على الامثال ومابعده كلام مستأنف والحسنى مبتدا خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدا خبره لو مع ما في حيزه (أولئك لهم سوء الحساب) المناقشة فيه في الحديث من نوقش الحساب عذب (ومأواهم جهنم)

ومرجعهم بعد المحاسبة النار (وبئس المهاد) المكان الممهد والمذموم محذوف أي جهنم دخلت همزة الانكار على الفاء في (أفمن يعلم) لانكار أن تقع شبهة ما بعد ما ضرب من المثل في أن حال من علم (أن ما أنزل اليك من ربك الحق) فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب وهو المراد بقوله (كمن هو أعمى) كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز (انما يتذكر أولوا الالباب) أي الذين عملوا على قضايا عقولهم فنظروا واستبصروا (الذين يوفون بعهد الله) مبتدأ والخبر أولئك لهم عقبى الدار كقوله والذين ينقضون عهد الله أولئك لهم اللعنة وقيل هو صفة لاولي الالباب والاول أوجه وعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (ولا ينقضون الميثاق) ما أوثقوه على أنفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر (ويخشون ربهم) أي وعيده كله (ويخافون سوء الحساب) خصوصا فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والاموال ومشاق التكاليف (ابتغاء وجه ربهم) لا ليقال ما أصبره وأحمله للنوازل وأوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب في الجزع (وأقاموا الصلوة) داوموا على اقامتها (وأنفقوا مما رزقناهم) أي من الحلال وان كان الحرام رزقا عندنا (سرا وعلانية) يتناول النوافل لانها في السر أفضل والفرائض لان المجاهرة بها أفضل نفيا للتهمة (ويدرؤن بالحسنة السيئة) ويدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم أو اذا حرموا أعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا واذا أذنبوا تابوا واذا هربوا أنابوا واذا رأوا منكرا أمروا بتغييره فهذه ثمانية أعمال تشير الى ثمانية أبواب الجنة (أولئك لهم عقبى الدار) عاقبة الدنيا وهي الجنة لانها التي أرادها الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها (جنات عدن) بدل من عقبى الدار (يدخلونها ومن صلح) أي آمن (من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) وقرئ صلح والفتح أفصح ومن في محل الرفع بالعطف على الضمير في يدخلونها وساغ ذلك وان لم يؤكد لان ضمير المفعول صار فاصلا وأجاز الزجاج أن يكون مفعولا معه ووصفهم بالصلاح ليعلم ان الانساب لا تنفع بنفسها والمراد أبوا كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) في قدر كل يوم وليلة ثلاث مرات بالهدايا وبشارات الرضا (سلام عليكم) في موضع الحال اذ المعنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين (بما صبرتم) متعلق بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم أي هذا الثواب بسبب صبركم عن الشهوات أو على أمر الله أو بسلام أي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم والاول أوجه

(فنعم عقبى الدار) الجنات (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف والقبول (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض) بالكفر والظلم (أولئك لهم اللعنة) الابعاد من الرحمة (ولهم سوء الدار) يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار وان يراد بالدار جهنم وبسوئها عذابها (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي ويضيق لمن يشاء والمعنى الله وحده هو يبسط الرزق ويقدر دون غيره (وفرحوا بالحيوة الدنيا) بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يؤجروا بنعيم الآخرة (وما الحيوة الدنيا في الآخرة الامتاع) وخفي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس الا شيأ نزرا يتمتع به كعجلة الراكب وهو ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) أي الآية المقترحة (قل ان الله يضل من يشاء) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ويهدي اليه من أناب) ويرشد الى دينه من رجع اليه بقلبه (الذين آمنوا) هم الذين أو محله النصب بدل من من (وتطمئن قلوبهم) تسكن (بذكر الله) على الدوام أو بالقرآن أو بوعده (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) بسبب ذكره تطمئن قلوب المؤمنين (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ (طوبى لهم) خبره وهو مصدر من طاب كبشرى ومعنى طوبى لك أصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب أو الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن والقراءة في (وحسن مآب) مرجع بالرفع والنصب تدل على محليها (كذلك أرسلناك) مثل ذلك الارسال أرسلناك ارسالا له شأن وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف أرسله فقال (في أمة قد خلت من قبلها أمم) أي أرسلناك في أمة قد تقدمتها أمم كثيرة فهي آخر الامم وأنت خاتم الانبياء (لتتلو عليهم الذي أوحينا اليك) لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي أوحينا اليك (وهم يكفرون) وحال هؤلاء انهم يكفرون (بالرحمن) بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء (قل هو ربي) ورب كل شيء (لا إله إلا هو) أي هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء (عليه توكلت) في نصرتي عليكم (واليه متاب) مرجعي فيثيبني على مصابرتكم متابي وعقابي ومآبي في الحالين يعقوب (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) عن مقارها (أو قطعت به الارض) حتى تتصدع وتتزايل قطعا (أو كلم به الموتى) فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار والتخويف فجواب لو محذوف أو معناه ولو أن قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة الآية (بل لله الامر جميعا) بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها (أفلم ييأس الذين آمنوا) أفلم يعلم وهي لغة قوم من النخع وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس عن الشيء عالم بأنه لا يكون

كما استعمل النسيان فى معنى الترك لتضمن ذلك دليله قراءة على رضى الله عنه أفلم يتبين وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوى السنات وهذه والله فرية مافيها مرية (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من كفرهم وسوء أعمالهم (قارعة) داهية تقرعهم بما يحل الله بهم فى كل وقت من صنوف البلايا والمصائب فى نفوسهم وأولادهم وأموالهم (أو تحل قريبا من دارهم) أو تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويتطاير عليهم شررها ويتعدى اليهم شرورها (حتى يأتى وعد الله) أى موتهم أو القيامة أو ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة لان جيش رسول الله يغير حول مكة ويختطف منهم أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك يوم الحديبية حتى يأتى وعد الله أى فتح مكة (ان الله لا يخلف الميعاد) أى لا خلف فى موعده (ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا) الاملاء الامهال وأن يترك ملاوة من الزمان فى خفض وأمن (ثم أخذتهم فكيف كان عقاب) وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزاء به وتسلية له (أفمن هو قائم) احتجاج عليهم فى اشراكهم بالله يعنى أفالله الذى هو رقيب (على كل نفس) صالحة أو طالحة (بما كسبت) يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ثم استأنف فقال (وجعلوا لله شركاء) أى الاصنام (قل سموهم) أى سموهم له من هم ونبؤه بأسمائهم ثم قال (أم تنبؤنه بما لا يعلم فى الارض) على أم المنقطعة أى بل أتنبؤنه بشركاء لا يعلمهم فى الارض وهو العالم بما فى السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشئ والمراد نفى أن يكون له شركاء (أم بظاهر من القول) بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بأفواههم ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها (بل زين للذين كفروا مكرهم) كيدهم للاسلام بشركهم (وصدوا عن السبيل) عن سبيل الله بضم الصاد كوفى وبفتحها غيرهم ومعناه وصدوا المسلمين عن سبيل الله (ومن يضلل الله فما له من هاد) من أحد يقدر على هدايته (لهم عذاب فى الحيوة الدنيا) بالقتل والاسر وأنواع المحن (ولعذاب الآخرة أشق) أشد لدوامه (وما لهم من الله من واق) من حافظ من عذابه (مثل الجنة التى وعد المتقون) صفتها التى هى فى غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف أى فيما يتلى عليكم مثل الجنة أو الخبر (تجرى من تحتها الانهار) كما تقول صفة زيد أسمر (أكلها دائم) ثمرها دائم الوجود لا ينقطع (وظلها) دائم لا ينسخ كما ينسخ فى الدنيا بالشمس (تلك عقبى الذين اتقوا) أى الجنة الموصوفة عقبى تقواهم يعنى منتهى أمرهم (وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب) يريد من أسلم من اليهود كابن سلام ونحوه ومن النصارى بأرض الحبشة (يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب) أى ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه

وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف وأصحابه والسيد والعاقب وأشياعهما (من ينكر بعضه) لانهم كانوا لاينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعانى مما هو ثابت فى كتبهم وكانوا ينكرون نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع (قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به) هو جواب للمنكرين أى قل انما أمرت فيما أنزل الى بأن أعبد الله ولا أشرك به فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظر واماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وأن لا يشرك به (اليه أدعوا) خصوصا لا أدعوا الى غيره (واليه) لا الى غيره (مآب) مرجعى وأنتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم (وكذلك أنزلناه) ومثل ذلك الانزال أنزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء (حكما عربيا) حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أمور يشاركهم فيها فقيل (ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم) أى بعد ثبوت العلم بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة (مالك من الله من ولى ولا واق) أى لا ينصرك ناصر ولا يقيك منه واق وهذا من باب التهييج والبعث للسامعين على الثبات فى الدين وأن لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والافكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الثبات بمكان وكانوا يعيبونه بالزواج والاولاد ويقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فنزل (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية) نساء وأولادا (وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله) أى ليس فى وسعه اتيان الآيات على ما يقترحه قومه وانما ذلك الى الله (لكل أجل كتاب) لكل وقت حكم يكتب على العباد أى يفرض عليهم على ما تقتضيه حكمته (يمحوا الله ما يشاء) ينسخ ما يشاء نسخه (ويثبت) بدله ما يشاء أو يتركه غير منسوخ أو يمحو من ديوان الحفظة ما يشاء ويثبت غيره أو يمحو كفر التائبين ويثبت ايمانهم أو يميت من حان أجله وعكسه ويثبت مدنى وشامى وحمزة وعلى (وعنده أم الكتاب) أى أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه (واما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك) وكيفما دارت الحال أريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم أو توفيناك قبل ذلك (فانما عليك البلاغ) فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب (وعلينا الحساب) وعلينا حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم لا عليك فلا يهمنك أعراضهم ولا تستعجل بعذابهم (أولم يروا أنا نأتى الارض) أرض الكفرة (ننقصها من أطرافها) بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد فى دار الاسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة والمعنى عليك البلاغ الذى حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من النصرة والظفر (والله يحكم لا معقب لحكمه) لا راد لحكمه والمعقب الذى يكر على الشىء فيبطله وحقيقته الذى يعقبه أى يقفيه أى بالرد والابطال ومنه قيل

لصاحب

لصاحب الحق معقب لانه يقفى غريمه بالاقتضاء والطلب والمعنى أنه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس ومحل لا معقب لحكمه النصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة له تريد حاسرا (وهو سريع الحساب) فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا (وقد مكر الذين من قبلهم) أى كفار الامم الخالية بأنبيائهم والمكر ارادة المكروه في خفية ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال (فلله المكر جميعا) ثم فسر ذلك بقوله (يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار) يعني العاقبة المحمودة لان من علم ما تكسب كل نفس وأعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة عما يراد بهم الكافر على ارادة الجنس حجازي وأبو عمرو (ويقول الذين كفروا لست مرسلا) المراد بهم كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود قالوا لست مرسلا ولهذا قال عطاء هي مكية الا هذه الآية (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) بما أظهر من الادلة على رسالتي والباء دخلت على الفاعل وشهيدا تمييز (ومن عنده علم الكتاب) قيل هو الله عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ دليله قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب أى ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقيل ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقال ابن سلام فيّ نزلت هذه الآية وقيل هو جبريل عليه السلام ومن في موضع الجر بالعطف على لفظ الله أو في موضع الرفع بالعطف على محل الجار والمجرور اذ التقدير كفى الله وعلم الكتاب يرتفع بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف صلة لمن ومن هنا بمعنى الذي والتقدير من ثبت عنده علم الكتاب وهذا لان الظرف اذا وقع صلة يعمل عمل الفعل نحو مررت بالذي في الدار أخوه فأخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار أخوه وفي القراءة بكسر ميم من يرتفع العلم بالابتداء

﴿سورة ابراهيم عليه السلام مكية اثنتان وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الر كتاب) هو خبر مبتدا محذوف أى هذا كتاب يعني السورة والجملة التي هي (أنزلناه اليك) في موضع الرفع صفة للنكرة (لتخرج الناس) بدعائك اياهم (من الظلمات الى النور) من الضلالة الى الهدى (باذن ربهم) بتيسيره وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من التوفيق (الى صراط) بدل من النور بتكرير العامل (العزيز) الغالب بالانتقام (الحميد) المحمود على الانعام (الله) بالرفع مدني وشامي على هو الله وبالجر غيرهما على أنه عطف بيان للعزيز الحميد (الذي له ما في السموات وما في الارض) خلقا وملكا ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل وهو نقيض الوأل وهو النجاة وهو اسم معنى كالهلاك

فقال (وويل للكافرين من عذاب شديد) وهو مبتدأ وخبر وصفة (الذين يستحبون) يختارون ويؤثرون (الحيوة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله) عن دينه (ويبغونها عوجا) يطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا والاصل ويبغون لها فحذف الجار وأوصل الفعل الذين مبتدأ خبره (أولئك في ضلال بعيد) عن الحق ووصف الضلال بالبعد من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد عن طريق الحق فوصف به فعله كما تقول جد جده أو مجرور صفة للكافرين أو منصوب على الذم أو مرفوع على أعني الذين أو هم الذين (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه) الا متكلما بلغتهم (ليبين لهم) ما هو مبعوث به وله فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولون له لم نفهم ما خوطبنا به فان قلت ان رسولنا صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس جميعا بقوله قل ياايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على ألسنة مختلفة فان لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فتعين ان ينزل بلسان واحد وكان لسان قومه اولى بالتعيين لانهم اقرب اليه ولانه ابعد من التحريف والتبديل (فيضل الله من يشاء) من آثر سبب الضلالة (ويهدي من يشاء) من آثر سبب الاهتداء (وهو العزيز) فلا يغالب على مشيئته (الحكيم) فلا يخذل الا أهل الخذلان (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) التسع (أن أخرج قومك) بأن أخرج أو أي أخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل أرسلناه وقلنا له أخرج قومك (من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله) وأنذرهم بوقائعه التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه أيام العرب لحروبها وملاحمها أو بأيام الانعام حيث ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر (ان في ذلك لآيات لكل صبار) على البلايا (شكور) على العطايا كانه قال لكل مؤمن اذ الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب) اذ ظرف للنعمة بمعنى الانعام أي انعامه عليكم ذلك الوقت أو بدل اشتمال من نعمة الله أي اذكروا وقت انجائكم (ويذبحون أبناءكم) ذكر في البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون بلا واو وهنا مع الواو والحاصل ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث أثبت الواو جعل التذبيح من حيث انه زاد على جنس العذاب كانه جنس آخر (ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) الاشارة الى العذاب والبلاء المحنة أو الى الانجاء والبلاء النعمة ونبلوكم بالشر والخير فتنة (واذ تأذن ربكم) أي آذن ونظير تأذن وآذن توعد وأوعد ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل كانه قيل واذ آذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك والشبه وهو من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله.

عليكم واذ كر واحين تأذن ربكم والمعنى واذ تأذن ربكم فقال (لئن شكرتم) يابنى اسرائيل ماخولتكم من نعمة الانجاء وغيرها (لازيدنكم) نعمة الى نعمة فالشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقيل اذا سمعت النعمة نعمة الشكر تأهبت للمزيد وقال ابن عباس رضى الله عنهما لئن شكرتم بالجد فى الطاعة لازيدنكم بالجد فى المثوبة (ولئن كفرتم) ماأنعمت به عليكم (ان عذابى لشديد) لمن كفر نعمتى أما فى الدنيا فسلب النعمة وأما فى العقبى فتوالى النقم (وقال موسى ان تكفروا أنتم) يابنى اسرائيل (ومن فى الارض جميعا) والناس كلهم (فان الله لغنى) عن شكركم (حميد) وان لم يحمده الحامدون وأنتم ضررتم أنفسكم حيث حرمتموها الخير الذى لابد لكم منه (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود) من كلام موسى لقومه أو ابتداء خطاب لاهل عصر محمد عليه السلام (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) جملة من مبتدا وخبر وقعت اعتراضا أو عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما بين عدنان واسمعيل ثلاثون أبالا يعرفون وروى أنه عليه السلام قال عند نزول هذه الآية كذب النسابون (جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فردوا أيديهم فى أفواههم) الضميران يعودان الى الكفرة أى أخذوا أناملهم بأسنانهم تعجبا أو عضوا عليها تغيظا أو الثانى يعود الى الانبياء أى رد القوم أيديهم فى أفواه الرسل كيلا يتكلموا بما أرسلوا به (وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وانا لفى شك مما تدعوننا اليه) من الايمان بالله والتوحيد (مريب) موقع فى الريبة (قالت رسلهم أفى الله شك) أدخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس فى الشك انما هو فى المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وهو جواب قولهم وانا لفى شك (فاطر السموات والارض يدعوكم) الى الايمان (ليغفر لكم من ذنوبكم) اذا آمنتم ولم يجئ مع من الا فى خطاب الكافرين كقوله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال فى خطاب المؤمنين هل أدلكم على تجارة الى أن قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يعرف بالاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقين فى الميعاد (ويؤخركم الى أجل مسمى) الى وقت قد سماه وبين مقداره (قالوا) أى القوم (ان أنتم) ما أنتم (الا بشر مثلنا) لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا (تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) يعنى الاصنام (فأتونا بسلطان مبين) بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات وانما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا (قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم) تسليم لقولهم انهم بشر مثلهم (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) بالايمان والنبوة كما من علينا (وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله) جواب لقولهم فأتونا بسلطان مبين والمعنى أن الاتيان بالآية التى قد

اقترحتموها ليس الينا ولا في استطاعتنا وانما هو أمر يتعلق بمشيئة الله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا كأنهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وايذائكم ألا ترى الى قوله (وما لنا أن لا نتوكل على الله) معناه وأي عذر لنا في أن لا نتوكل عليه (وقد هدانا سبلنا) وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين قال أبو تراب التوكل طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية والشكر عند العطاء والصبر عند البلاء (ولنصبرن على ما آذيتمونا) جواب قسم مضمر أي حلفوا على الصبر على أذاهم وأن لا يمسكوا عن دعائهم (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) أي فليثبت المتوكلون على توكلهم حتى لا يكون تكرارا (وقال الذين كفروا لرسلهم) سبلنا لرسلهم أبو عمرو (لنخرجنكم من أرضنا) من ديارنا (أو لتعودن في ملتنا) أي ليكونن أحد الامرين اخراجكم أو عودكم وحلفوا على ذلك والعود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب أو خاطبوا به كل رسول ومن آمن معه فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد (فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين) القول مضمر أو أجرى الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه (ولنسكننكم الارض من بعدهم) أي أرض الظالمين وديارهم في الحديث من آذى جاره ورثه الله داره (ذلك) الاهلاك والاسكان أي ذلك الامر حق (لمن خاف مقامي) موقفي وهو موقف الحساب أو المقام مقحم أو خاف قيامي عليه بالعلم كقوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت والمعنى ان ذلك حق للمتقين (وخاف وعيد) عذابي وبالياء يعقوب (واستفتحوا) واستنصروا الله على أعدائهم وهو معطوف على أوحى اليهم (وخاب كل جبار) وخسر كل متكبر بطر (عنيد) مجانب للحق معناه فنصروا وظفروا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل الضمير للكفار ومعناه واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بأنهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه (من ورائه) من بين يديه (جهنم) وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكأنها بين يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله في الآخرة حيث يبعث ويوقف (ويسقى) معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى (من ماء صديد) ما يسيل من جلود أهل النار وصديد عطف بيان لماء لانه مبهم فبين بقوله صديد (يتجرعه) يشربه جرعة جرعة (ولا يكاد يسيغه) ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الاساغة كقوله لم يكد يراها أي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها (ويأتيه الموت من كل مكان) أي أسباب الموت من كل جهة أو من كل مكان من جسده وهذا تفظيع لما يصيبه من الآلام أي لو كان ثمة موت لكان كل واحد منها مهلكا (وما هو بميت) لانه لو مات لاستراح (ومن ورائه) ومن بين يديه (عذاب غليظ) أي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا أشد مما قبله وأغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في

الاجساد (مثل الذين) مبتدأ محذوف الخبر أى فيما يتلى عليكم مثل الذين (كفروا بربهم) والمثل مستعار للصفة التى فيها غرابة وقوله (أعمالهم كرماد) جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد (اشتدت به الريح) الرياح مدنى (فى يوم عاصف) جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح كقولك يوم ماطر وأعمال الكفرة المكارم التى كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسرى وعقر الابل للاضياف وغير ذلك شبهها فى حبوطها لبنائها على غير أساس وهو الايمان بالله تعالى برماد طيرته الريح العاصف (لا يقدرون) يوم القيامة (مما كسبوا) من أعمالهم (على شئ) أى لا يرون له أثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير فى الريح على شئ (ذلك هو الضلال البعيد) اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الثواب (ألم تر) ألم تعلم الخطاب لكل أحد (ان الله خلق السموات والارض) خالق مضافا حمزة وعلى (بالحق) بالحكمة والامر العظيم ولم يخلقها عبثا (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) أى هو قادر على أن يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم اعلاما بأنه قادر على اعدام الموجود وايجاد المعدوم (وما ذلك على الله بعزيز) بممتنع (وبرزوا لله جميعا) ويبرزون يوم القيامة وانما جىء به بلفظ الماضى لان ما أخبر به عز وجل لصدقه كانه قد كان ووجد ونحوه ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار وغير ذلك ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شئ حتى يبرز له انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا ان الله لا تخفى عليه خافية أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه (فقال الضعفاء) فى الرأى وهم السفلة والاتباع وكتب الضعفاء بواو قبل الهمزة على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو (للذين استكبروا) وهم السادة والرؤساء الذين استغووهم وصدوهم عن الاستماع الى الانبياء واتباعهم (انا كنا لكم تبعا) تابعين جمع تابع على تبع كخادم وخدم وغائب وغيب أو ذوى تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا (فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ) فهل تقدرون على دفع شئ مما نحن فيه ومن الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل فهل أنتم مغنون عنا بعض الشئ الذى هو عذاب الله أو هما للتبعيض أى فهل أنتم مغنون عنا بعض شئ هو بعض عذاب الله ولما كان قول الضعفاء توبيخا لهم وعتابا على استغوائهم لانهم علموا انهم لا يقدرون على الاغناء عنهم (قالوا) لهم مجيبين معتذرين (لو هدانا الله لهديناكم) أى لو هدانا الله الى الايمان فى الدنيا لهديناكم اليه أى لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم أى لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلكة (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وأم للتسوية روى انهم يقولون فى النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا

ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر ثم يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا وانصاله بما قبله من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا يريدون أنفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ماهذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر (مالنا من محيص) منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا ويجوز أن يكون هذا من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا (وقال الشيطان لما قضي الامر) حكم بالجنة والنار لاهلهما وفرغ من الحساب ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وروى أن الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا على منبر من نار فيقول لاهل النار (ان الله وعدكم وعد الحق) وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم (ووعدتكم) بان لا بعث ولا حساب ولا جزاء (فأخلفتكم) كذبتكم (وما كان لي عليكم من سلطان) من تسلط واقتدار (الا ان دعوتكم) لكني دعوتكم الى الضلالة بوسوستي وتزييني والاستثناء منقطع لان الدعاء ليس من جنس السلطان (فاستجبتم لي) فأسرعتم اجابتي (فلا تلوموني) لان من تجرد للعداوة لايلام اذا دعا الى أمر قبيح مع ان الرحمن قد قال لكم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة (ولوموا أنفسكم) حيث اتبعتموني بلا حجة ولا برهان وقول المعتزلة هذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين باطل لقوله لو هدانا الله أي الى الايمان لهديناكم كما مر (ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي) لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثة بمصرخي حمزة اتباعا للخاء غيره بفتح الياء لئلا تجتمع الكسرة والياآن بعد كسرتين وهو جمع مصرخ فالياء الاولى ياء الجمع والثانية ضمير المتكلم (اني كفرت بما أشركتمون) وبالياء بصرى وما مصدرية (من قبل) متعلق بأشركتموني أي كفرت اليوم باشراككم اياي مع الله من قبل هذا اليوم أي في الدنيا كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم أو من قبل متعلق بكفرت وما موصولة أي كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذي أشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول أشركني فلان أي جعلني له شريكا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وهذا آخر قول الشيطان وقوله (ان الظالمين لهم عذاب أليم) قول الله عز وجل وقيل هو من تمام كلام ابليس وانما حكى الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) عطف على برزوا (باذن ربهم) متعلق بأدخل أي أدخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وأمره (تحيتهم فيها سلام) هو تسليم بعضهم على بعض في الجنة أو تسليم الملائكة عليهم (ألم تر كيف ضرب الله مثلا) أي وصفه وبينه (كلمة طيبة)

نصب بمضمر أى جعل كلمة طيبة (كشجرة طيبة) وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا نحو
شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس أو انتصب مثلا وكلمة بضرب أى ضرب كلمة
طيبة مثلا يعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على أنها خبر مبتدا محذوف أى هى كشجرة طيبة
(أصلها ثابت) أى فى الارض ضارب بعروقه فيها (وفرعها) وأعلاها ورأسها (فى السماء)
والكلمة الطيبة كلمة التوحيد أصلها تصديق بالجنان وفرعها اقرار باللسان وأ كلها
عمل الاركان وكما ان الشجرة شجرة وان لم تكن حاملا فالمؤمن مؤمن وان لم يكن عاملا
ولكن الاشجار لا تراد الا للثمار فما أقوات النار الا من الاشجار اذا اعتادت الاخفار فى عهد
الاثمار والشجرة كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين ونحو ذلك والجهور
على انها النخلة فعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان الله تعالى ضرب
مثل المؤمن شجرة فأخبرونى ماهى فوقع الناس فى شجر البوادى وكنت صبيا فوقع فى
قلبى أنها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اقولها وأنا أصغر القوم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ألا انها النخلة فقال عمر يا بنى لو كنت قلتها لكانت أحب الى من حمر النعم
(تؤتى أ كلها كل حين) تعطى ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها (باذن ربها) بتيسير
خالقها وتكوينه (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) لان فى ضرب
الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعانى (ومثل كلمة خبيثة) هى كلمة الكفر
(كشجرة خبيثة) هى كل شجرة لا يطيب ثمرها وفى الحديث انها شجرة الحنظل (اجتثت
من فوق الارض) استؤصلت جثتها وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة كلها وهو فى مقابلة
أصلها ثابت (مالها من قرار) أى استقرار يقال قر الشئ قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها
القول الذى لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت (يثبت الله الذين آمنوا) أى يديمهم عليه
(بالقول الثابت) هو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله (فى الحيوة الدنيا) حتى اذا فتنوا فى
دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الاخدود وغير ذلك (وفى الآخرة) الجمهور على
ان المراد به فى القبر بتلقين الجواب وتمكين الصواب فعن البراء ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره
فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد صلى الله
عليه وسلم فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت ثم يقول الملكان عشت سعيدا ومت حميدا نم نومة العروس (ويضل الله الظالمين)
فلا يثبتهم على القول الثابت فى مواقف الفتن وتزل أقدامهم أول شئ وهم فى الآخرة أضل
وأزل (ويفعل الله ما يشاء) فلا اعتراض عليه فى تثبيت المؤمنين واضلال الظالمين (ألم تر
الى الذين بدلوا نعمت الله) أى شكر نعمة الله (كفرا) لان شكرها الذى وجب عليهم
وضعوا مكانه كفرا فكأنهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا وهم أهل مكة أكرمهم
بمحمد عليه السلام فكفروا نعمة الله بدل مالزمهم من الشكر (وأحلوا قومهم) الذين

تابعوهم على الكفر (دار البوار) دار الهلاك (جهنم) عطف بيان (يصلونها)
يدخلونها (وبئس القرار) وبئس المقر جهنم (وجعلوا لله أندادا) أمثالا في العبادة
أو في التسمية (ليضلوا عن سبيله) وبفتح الياء مكي وأبو عمرو (قل تمتعوا) في الدنيا
والمراد به الخذلان والتخلية وقال ذو النون التمتع ان يقضي العبد ما استطاع من شهوته
(فان مصيركم الى النار) مرجعكم اليها (قل لعبادي الذين آمنوا) خصهم بالاضافة اليه
تشريفا وبسكون الياء شامي وحمزة وعلي والاعشى (يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم)
المقول محذوف لان قل تقتضي مقولا وهو أقيموا وتقديره قل لهم أقيموا الصلاة وأنفقوا
يقيموا الصلاة وينفقوا وقيل انه أمر وهو المقول والتقدير ليقيموا ولينفقوا فحذف اللام لدلالة
قل عليه ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز (سرا وعلانية) انتصبا
على الحال أي ذوي سر وعلانية يعني مسرين ومعلنين أو على الظرف أي وقتي سر وعلانية
أو على المصدر أي انفاق سر وانفاق علانية والمعنى اخفاء التطوع واعلان الواجب (من
قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال) أي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة والخلال المخالة وانما
ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله بفتحهما مكي وبصري والباقون بالرفع والتنوين (الله)
مبتدأ (الذي خلق السموات والارض) خبره (وأنزل من السماء ماء) من السحاب
مطرا (فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) من الثمرات بيان للرزق أي أخرج به رزقا
هو ثمرات أو من الثمرات مفعول أخرج ورزقا حال من المفعول (وسخر لكم الفلك لتجري
في البحر بأمره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) دائمين وهو حال
من الشمس والقمر أي يدأبان في سيرهما وانارتهما ودرئهما الظلمات واصلاحهما
ما يصلحان من الارض والابدان والنبات (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان خلفة
لمعاشكم وسباتكم (وآتاكم من كل ما سألتموه) من للتبعيض أي آتاكم بعض جميع
ما سألتموه أو وآتاكم من كل شيء سألتموه وما لم تسألوه فما موصولة والجملة صفة لها وحذفت
الجملة الثانية لان الباقي يدل على المحذوف كقوله سرابيل تقيكم الحر من كل عن أبي عمرو
وما سألتموه نفي ومحله النصب على الحال أي آتاكم من جميع ذلك غير سائليه أو ما موصولة
أي وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه فكأنكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال (وان
تعدوا نعمت الله لا تحصوها) لا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا اذا أرادوا أن يعدوها
على الاجمال وأما التفصيل فلا يعلمه الا الله (ان الانسان لظلوم) يظلم النعمة باغفال
شكرها (كفار) شديد الكفران لها أو ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة
يجمع ويمنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه (واذ
قال ابراهيم) واذكر اذ قال ابراهيم (رب اجعل هذا البلد) أي البلد الحرام (آمنا)
ذا أمن والفرق بين هذه وبين ما في البقرة انه قد سأل فيها أن يجعله من جملة البلدان التي
يأمن أهلها وفي الثاني أن يخرجه من صفة الخوف الى الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله

آمنا (واجنبني) وبعدني أي ثبتني وأدمني على اجتناب عبادتها كما قال واجعلنا مسلمين لك أي ثبتنا على الاسلام (وبنيّ) أراد بنيه من صلبه (أن نعبد الاصنام) من ان نعبد الاصنام (رب انهن أضللن كثيرا من الناس) جعلن مضلات على طريق التسبيب لان الناس ضلوا بسببهن فكأنهن أضللنهم (فمن تبعني) على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي (فانه مني) أي هو بعضي لفرط اختصاصه بي (ومن عصاني) فيما دون الشرك (فانك غفور رحيم) أو ومن عصاني عصيان شرك فانك غفور رحيم ان تاب وآمن (ربنا اني أسكنت من ذريتي) بعض أولادي وهم اسمعيل ومن ولد منه (بواد) هو وادي مكة (غير ذي زرع) لا يكون فيه شيء من زرع قط (عند بيتك المحرم) هو بيت الله سمي به لان الله تعالى حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه أولانه لم يزل ممنعا يهابه كل جبار أولانه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها أولانه حرم على الطوفان أي منع منه كما سمي عتيقا لانه أعتق منه (ربنا ليقيموا الصلوة) اللام متعلقة بأسكنت أي ما أسكنتهم بهذا الوادي البلقع الا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك (فاجعل أفئدة من الناس) أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبعيض لما روى عن مجاهد لو قال أفئدة الناس لزاحمتكم عليه فارس والروم والترك والهند أوللابتداء كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي فكأنه قيل أفئدة ناس ونكرت المضاف اليه في هذا التمثيل لتنكير أفئدة لانها في الآية نكرة ليتناول بعض الافئدة (تهوي اليهم) تسرع اليهم من البلاد الشاسعة وتطير نحوهم شوقا (وارزقهم من الثمرات) مع سكناهم واديا ما فيه شيء منها بأن تجلب اليهم من البلاد الشاسعة (لعلهم يشكرون) النعمة في أن يرزقوا أنواع الثمرات في واد ليس فيه شجر ولا ماء (ربنا) النداء المكرر دليل التضرع واللجا الى الله (انك تعلم ما نخفي وما نعلن) تعلم السر كما تعلم العلن (وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء) من كلام الله عز وجل تصديقا لابراهيم عليه السلام أو من كلام ابراهيم ومن للاستغراق كأنه قيل وما يخفى على الله شيء ما (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر) على بمعنى مع وهو في موضع الحال أي وهب لي وأنا كبير (اسمعيل واسحق) روى ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وروى انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها أعظم لانها حال وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب اليأس من أجل النعم ولان الولادة في تلك السن العالية كانت آية لابراهيم (ان ربي لسميع الدعاء) مجيب الدعاء من قولك سمع الملك كلام فلان اذا تلقاه بالاجابة والقبول ومنه سمع الله لمن حمده وكان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر لله ما أكرمه به من اجابته واضافة السميع الى الدعاء من اضافة الصفة الى مفعولها وأصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا

رحيم اياه (رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي) وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يزال من ولد ابراهيم ناس على الفطرة الى أن تقوم الساعة (ربنا وتقبل دعاء) بالياء في الوصل والوقف مكي وافقه أبو عمرو وحمزة في الوصل الباقون بلا ياء اى استجب دعائي او عبادتي واعتزلكم وماتدعون من دون الله (ربنا اغفر لي ولوالدي) اى آدم وحواء اوقاله قبل النهي واليأس عن ايمان أبويه (وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) اى يثبت اوأسند الى الحساب قيام أهله اسناد اجازيا مثل واسأل القرية (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) تسلية للمظلوم وتهديد للظالم والخطاب لغير الرسول عليه السلام وان كان للرسول فالمراد تثبيته عليه السلام على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله إلها آخر وكما جاء في الامر يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله وقيل المراد به الايذان بأنه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شئ وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم (انما يؤخرهم) اى عقوبتهم (ليوم تشخص فيه الابصار) اى أبصارهم لا تقر في أماكنها من هول ماترى (مهطعين) مسرعين الى الداعي (مقنعي رؤسهم) رافعيها (لا يرتد اليهم طرفهم) لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى أنفسهم (وأفئدتهم هواء) صفر من الخير لاتعي شيأ من الخرف والهواء الخلاء الذي لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لاقوة في قلبه ولا جراءة وقيل جوف لا عقول لهم (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب) اى يوم القيامة ويوم مفعول ثان لأنذر لا ظرف اذ الانذار لا يكون في ذلك اليوم (فيقول الذين ظلموا) اى الكفار (ربنا أخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل) اى ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد من الزمان قريب نتدارك مافرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك فيقال لهم. (اولم تكونوا اقسمتم من قبل مالكم من زوال) اى حلفتم في الدنيا انكم اذامتم لا تزالون عن تلك الحالة ولا تنتقلون الى دار اخرى يعني كفرتم بالبعث كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ومالكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب كقوله اقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل مالنا من زوال اواريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى فانهم يسألون يومئذ ان يؤخرهم ربهم الى اجل قريب يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم) بالكفر لان السكنى من السكون وهو اللبث والاصل تعديته بفي نحو قر في الدار واقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها ويجوز ان يكون سكنوا من السكون اى قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الاولون من ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا. (وتبين لكم)

بالاخبار أو المشاهدة وفاعل تبين مضمر دل عليه الكلام أى تبين لكم حالهم و (كيف) ليس بفاعل لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وانما نصب كيف بقوله (فعلنا بهم) أى أهلكناهم وانتقمنا منهم (وضربنا لكم الامثال) أى صفات مافعلوا ومافعل بهم وهى فى الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم (وقد مكروا مكرهم) أى مكرهم العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم وهو ما فعلوه من تأييد الكفر وبطلان الاسلام (وعند الله مكرهم) وهو مضاف الى الفاعل كالاول والمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه أو الى المفعول أى وعند الله مكرهم الذى يمكرهم به وهو عذابهم الذى يأتيهم من حيث لا يشعرون (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) بكسر اللام الاولى ونصب الثانية والتقدير وان وقع مكرهم لزوال أمر النبى صلى الله عليه وسلم فعبر عن النبى عليه السلام بالجبال لعظم شأنه وكان تامة أو ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم والمعنى ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا دليله قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وبفتح اللام الاولى ورفع الثانية على أى وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقطع عن أماكنها فان مخففة من ان واللام مؤكدة (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) يعنى قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن أنا ورسلى مخلف مفعول ثان لتحسبن وأضاف مخلف الى وعده وهو المفعول الثانى له والاول رسله والتقدير مخلف رسله وعده وانما قدم المفعول الثانى على الاول ليعلم انه لا يخلف الوعد أصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده أحدا فكيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته (ان الله عزيز) غالب لا يماكر (ذوانتقام) لاوليائه من أعدائه وانتصاب (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) على الظرف للانتقام أو على اضمار اذكر والمعنى يوم تبدل هذه الارض التى تعرفونها أرضا أخرى غير هذه المعروفة وتبدل السموات غير السموات وانما حذف لدلالة ما قبله عليه والتبديل التغيير وقد يكون فى الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير وفى الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا أذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل واختلف فى تبديل الارض والسموات فقيل تبدل أوصافها وتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا ترى فيها عوجا ولا أمتا وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى تلك الارض وانما تغير وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبوابا وقيل تخلق بدلها أرض وسموات أخر وعن ابن مسعود رضى الله عنه يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن على رضى الله عنه تبدل أرضا من فضة وسموات من ذهب (وبرزوا) وخرجوا من قبورهم (لله الواحد القهار) هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره كان الامر فى غاية الشدة (وترى المجرمين)

الكافرين (يومئذ) يوم القيامة (مقرنين) قرن بعضهم مع بعض اومع الشياطين او قرنت ايديهم الى ارجلهم مغللين (فى الاصفاد) متعلق بمقرنين اى يقرنون فى الاصفاد او غير متعلق به والمعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود او الاغلال (سرابيلهم) قمصهم (من قطران) هو ما تحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فيهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وحره ومن شأنه ان يسرع فيه اشتعال النار وهو اسود اللون منتن الريح فيطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم لذع القطران وحرقته واسراع النار فى جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله اوا وعد به فى الآخرة فبينه و بين ما نشاهده من جنسه مالا يقادر قدره وكأنه ما عندنا منه الا الاسامى والمسميات ثمة نعوذ بالله من سخطه وعذابه من قطرآن زيد عن يعقوب نحاس مذاب بلغ حره اناه (وتغشى وجوههم النار) تعلوها باشتعالها وخص الوجه لانه اعز موضع فى ظاهر البدن كالقلب فى باطنه واذا قال تطلع على الافئدة (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) اى يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزى كل نفس مجرمة ما كسبت اوكل نفس مجرمة اومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المؤمنين بطاعتهم (ان الله سريع الحساب) يحاسب جميع العباد فى اسرع من لمح البصر (هذا) اى ما وصفه فى قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب (بلاغ للناس) كفاية فى التذكير والموعظة (ولينذروا به) بهذا البلاغ وهو معطوف على محذوف اى لينصحوا ولينذروا (وليعلموا انما هو إله واحد) لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله (وليذكر اولوا الالباب) ذووا العقول.

﴿سورة الحجر تسع وتسعون آية مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل فى كونه كتابا واى قرآن مبين كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال وللغرابة فى البيان (ربما) بالتخفيف مدنى وعاصم و بالتشديد غيرهما وما هى الكافة لانها حرف يجر ما بعده ويختص بالاسم النكرة فاذا كفت وقع بعدها الفعل الماضى والاسم وانما جاز (يود الذين كفروا) لان المترقب فى اخبار الله تعالى بمنزلة الماضى المقطوع به فى تحققه فكانه قيل ربما ودوودادتهم تكون عند النزع او يوم القيامة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين اواذا رأوا المسلمين يخرجون من النار فيتمنى الكافر لوكان مسلما كذا روى عن ابن عباس رضى الله عنهما (لو كانوا مسلمين) حكاية ودادتهم وانما جيء بها على لفظ

الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا وانما قال ربما لان أهوال القيامة تشغلهم عن التمني فاذا أفاقوا من سكرات العذاب ودوا لو كانوا مسلمين وقول من قال ان رب يعني بها الكثرة سهو لانه ضد ما يعرفه أهل اللغة لانها وضعت للتقليل (ذرهم) أمر اهانة أي اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم (يأكلوا ويتمتعوا) بدنياهم (ويلههم الامل) ويشغلهم أملهم وأمانيهم عن الايمان (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل ليس من أخلاق المؤمنين (وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم) ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس أن لا يتوسط الواو بينهما كما في وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف اذا الصفة ملتصقة بالموصوف بلا واو فجيء بالواو تأكيدا لذلك والوجه أن تكون هذه الجملة حالا لقرية لكونها في حكم الموصوفة كأنه قيل وما أهلكنا قرية من القرى لا وصفا وقوله كتاب معلوم أي مكتوب معلوم وهو أجلها الذي كتب في اللوح المحفوظ وبين ألا ترى الى قوله (ما تسبق من أمة أجلها) في موضع كتابها (وما يستأخرون) أي عنه وحذف لانه معلوم وأنث الامة أولا ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى (وقالوا) أي الكفار (يا أيها الذي نزل عليه الذكر) أي القرآن (انك لمجنون) يعنون محمدا عليه السلام وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم سائغ ومنه فبشرهم بعذاب أليم انك لانت الحليم الرشيد والمعنى انك لتقول قول المجانين حيث تدعي أن الله نزل عليك الذكر (لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين) لو ركبت مع لا وما لامتناع الشيء لوجود غيره أو للتحضيض وهل ركبت مع لا للتحضيض فحسب والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك أو هلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا (ما ننزل الملائكة) كوفي غير أبي بكر تنزل الملائكة أبو بكر تنزل الملائكة أي تتنزل غيرهم (الا بالحق) الا تنزيلا ملتبسا بالحكمة (وما كانوا اذا منظرين) اذا جواب لهم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين اذا وما أخر عذابهم (إنا نحن نزلنا الذكر) القرآن (وإنا له لحافظون) وهو رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع وأنه هو الذي نزله محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فوقع التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه وقد جعل قوله وانا له لحافظون دليلا على أنه منزل من عنده آية اذ لو كان من قول البشر أو غير آية

لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه أو الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الاولين) أي ولقد أرسلنا من قبلك رسلا في الفرق الاولين والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة (وما يأتيهم) حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال (من رسول الا كانوا به يستهزؤن) يعزي نبيه عليه السلام (كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) أي كما سلكنا الكفر أو الاستهزاء في شيع الاولين نسلكه أي الكفر أو الاستهزاء في قلوب المجرمين من أمتك من اختار ذلك يقال سلكت الخيط في الابرة وأسلكته اذا أدخلته فيها وهو حجة على المعتزلة في الاصلح وخلق الافعال (لا يؤمنون به) بالله أو بالذكر وهو حال (وقد خلت سنة الاولين) مضت طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم حين كذبوا رسله وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء) ولو أظهرنا لهم أوضح آية وهو فتح باب من السماء (فظلوا فيه يعرجون) يصعدون (لقالوا انما سكرت أبصارنا) حيرت أو حبست من الابصار من السكر أو من السكر سكرت مكي أي حبست كما يحبس النهر من الجري والمعنى أن هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من أبواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا (بل نحن قوم مسحورون) قد سحرنا محمد بذلك أو الضمير للملائكة أي لو أريناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على أنهم يبتون القول بأن ذلك ليس الا تسكيرا للابصار (ولقد جعلنا في السماء) خلقنا فيها (بروجا) نجوما أو قصورا فيها الحرس أو منازل للنجوم (وزيناها) أي السماء (للناظرين وحفظناها) أي السماء (من كل شيطان رجيم) ملعون أو مرمي بالنجوم (الا من استرق السمع) أي المسموع ومن في محل النصب على الاستثناء (فأتبعه شهاب) نجم ينقض فيعود (مبين) ظاهر للمبصرين قيل كانوا لا يحجبون عن السموات كلها فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها (والارض مددناها) بسطناها من تحت الكعبة والجمهور على أنه تعالى مدها على وجه الماء (وألقينا فيها رواسي) في الارض جبالا ثوابت (وأنبتنا فيها من كل شيء موزون) وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان أو له وزن وقدر في أبواب المنفعة والنعمة أو ما يوزن كالزعفران والذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها وخص ما يوزن لانتهاء الكيل الى الوزن (وجعلنا لكم فيها) في الارض (معايش) ما يعاش به من المطاعم جمع معيشة وهي بياء صريحة بخلاف الخبائث ونحوها فان تصريح الياء فيها خطأ (ومن لستم له برازقين) من في محل النصب بالعطف على معايش أو على محل لكم كأنه قيل وجعلنا لكم فيها معايش

وجعلنا لكم من لستم له برازقين أوجعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين وأراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يظنون أنهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب ونحو ذلك ولا يجوز أن يكون محل من جرا بالعطف على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار (وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شئ ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار معلوم فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور (وأرسلنا الرياح لواقح) جمع لاقحة أى وأرسلنا الرياح حوامل بالسحاب لانها تحمل السحاب في جوفها كأنها لاقحة بها من لقحت الناقة حملت وضدها العقيم الريح حمزة (فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه) فجعلناه لكم سقيا (وما أنتم له بخازنين) نفى عنهم ما أثبته لنفسه في قوله وان من شئ الا عندنا خزائنه كأنه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وانزاله منها وما أنتم عليه بقادرين دلالة عظيمة على قدرته وعجزهم (وانا لنحن نحيي ونميت) أى نحيي بالايجاد ونميت بالافناء أو نميت عند انقضاء الآجال ونحيي لجزاء الاعمال على التقديم والتأخير اذ الواو للجمع المطلق (ونحن الوارثون) الباقون بعد هلاك الخلق كلهم وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) من تقدم ولادة وموتا ومن تأخر أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم في الاسلام أو في الطاعة أو في صف الجماعة أو صف الحرب ومن تأخر (وان ربك هو يحشرهم) أى هو وحده يقدر على حشرهم ويحيط بحصرهم (انه حكيم عليم) باهر الحكمة واسع العلم (ولقد خلقنا الانسان) أى آدم (من صلصال) طين يابس غير مطبوخ (من حمإ) صفة لصلصال أى خلقه من صلصال كائن من حمإ أى طين أسود متغير (مسنون) مصور وفي الاول كان ترابا فعجن بالماء فصار طينا فمكث فصار حمأ فخلص فصار سلالة فصور ويبس فصار صلصالا فلا تناقض (والجان) أبا الجان كآدم للناس أو هو ابليس وهو منصوب بفعل مضمر يفسره (خلقناه من قبل) من قبل آدم (من نار السموم) من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزأ من سموم النار التي خلق الله منها الجان (واذ قال ربك) واذكر وقت قوله (للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته) أتممت خلقته وهيأتها لنفخ الروح فيها (ونفخت فيه من روحى) وجعلت فيه الروح وأحييته وليس ثمت نفخ وانما هو تمثيل والاضافة للتخصيص (فقعوا له ساجدين) هو أمر من وقع يقع أى اسقطوا على الارض يعنى اسجدوا له ودخل الفاء لانه جواب اذا وهو دليل على أنه يجوز تقدم الامر عن وقت الفعل (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) فالملائكة جمع عام محتمل للتخصيص فقطع باب التخصيص بقوله كلهم وذكر الكل احتمل تأويل التفرق فقطعه بقوله أجمعون (الا

ابليس) ظاهر الاستثناء يدل على أنه كان من الملائكة لان المستثنى يكون من جنس المستثنى منه وعن الحسن ان الاستثناء منقطع ولم يكن هو من الملائكة قلنا غير المأمور لا يصير بالترك ملعونا وقال في الكشاف كان بينهم مأمورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رأيتهم الاهندا (أبى أن يكون مع الساجدين) امتنع أن يكون معهم وأبى استئناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل أبى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس أبى (قال يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين) حرف الجر مع أن محذوف تقديره مالك في أن لا تكون مع الساجدين أى أى غرض لك في ابائك السجود (قال لم أكن لأسجد) اللام لتأكيد النفي أى لا يصح مني أن أسجد (لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون قال فاخرج منها) من السماء أو من الجنة أو من جملة الملائكة (فانك رجيم) مطرود من رحمة الله ومعناه ملعون لان اللعنة هو الطرد من الرحمة والابعاد منها (وان عليك اللعنة الى يوم الدين) ضرب يوم الدين حد اللعنة لانه أبعد غاية يضربها الناس في كلامهم والمراد به انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير أن تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه (قال رب فأنظرني) فأخرني (الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل انما سأل الانظار الى اليوم الذى فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث أحد فلم يجب الى ذلك وأنظر الى آخر أيام التكليف (قال رب بما أغويتني) الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لأزينن لهم ومعنى أقسم باغوائك اياى (لازينن لهم) المعاصي ونحوه قوله بما أغويتني لازينن لهم فبعزتك لاغوينهم في أنه أقسام الا أن أحدهما اقسام بصفة الذات والثاني بصفة الفعل وقد فرق الفقهاء بينهما فقال العراقيون الحلف بصفة الذات كالقدرة والعظمة والعزة يمين والحلف بصفة الفعل كالرحمة والسخط ليس بيمين والاصح ان الايمان مبنية على العرف فما تعارف الناس الحلف به يكون يمينا ومالا فلا والآية حجة على المعتزلة في خلق الافعال وحملهم على التسبيب عدول عن الظاهر (في الارض) في الدنيا التي هي دار الغرور وأراد اني أقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو في السماء فانا على التزيين لاولاده في الارض أقدر (ولاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) وبكسر اللام بصري ومكي وشامي استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلونه منه (قال هذا صراط على مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) أى هذا طريق حق على أن أراعيه وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقيل معنى على الى على يعقوب من علو الشرف والفضل (وان جهنم لموعدهم أجمعين) الضمير للغاوين (لها سبعة أبواب لكل باب منهم) من اتباع ابليس (جزء مقسوم) نصيب معلوم مفرز وقيل

ابواب

أبواب النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين (ان المتقين فى جنات وعيون) وبضم العين مدنى وبصرى وحفص المتقى على الاطلاق من يتقى ما يجب اتقاؤه مما نهى عنه وقال فى الشرح ان دخل أهل الكبائر فى قوله لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم فالمراد بالمتقين الذين اتقوا الكبائر والا فالمراد به الذين اتقوا الشرك (ادخلوها) أى يقال لهم ادخلوها (بسلام) حال أى سالمين أو مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة (آمنين) من الخروج منها والآفات فيها وهو حال أخرى (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) وهو الحقد الكامن فى القلب أى ان كان لاحدهم غل فى الدنيا على آخر نزع الله ذلك فى الجنة من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن على رضى الله عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم وقيل معناه طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات فى الجنة ونزع منها كل غل وألقى فيها التوادد والتحابب (اخوانا) حال (على سرر متقابلين) كذلك قيل تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون فى جميع أحوالهم متقابلين يرى بعضهم بعضا (لا يمسهم فيها نصب) فى الجنة تعب (وما هم منها بمخرجين) فتمام النعمة بالخلود ولما أتم ذكر الوعد والوعيد أتبعه (نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الاليم) تقريرا لما ذكر وتمكينا له فى النفوس قال عليه السلام لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه فى العبادة ولما أقدم على ذنب وعطف (ونبئهم) وأخبر أمتك على نبئ عبادى ليتخذوا ما أحل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم (عن ضيف ابراهيم) أى أضيافه وهو جبريل عليه السلام مع أحد عشر ملكا والضيف يجئ واحدا وجمعا لانه مصدر ضافه (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) أى نسلم عليك سلاما أو سلمنا سلاما (قال) أى ابراهيم (انا منكم وجلون) خائفون لامتناعهم من الاكل أو لدخولهم بغير اذن وبغير وقت (قالوا لا توجل) لا تخف (انا نبشرك) استئناف فى معنى التعليل للنهى عن الوجل أى انك مبشر آمن فلا توجل وبالتخفيف وفتح النون حمزة (بغلام عليم) هو اسحق لقوله فى سورة هود فبشرناها باسحق (قال أبشرتمونى على أن مسنى الكبر) أى أبشرتمونى مع مس الكبر بان يولد لى أى ان الولادة أمر مستنكر عادة مع الكبر (فبم تبشرون) هى ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قيل فبأى اعجوبة تبشرون وبكسر النون والتشديد مكى والاصل تبشروننى فادغم نون الجمع فى نون العماد ثم حذفت الياء وبقيت الكسرة دليلا عليها تبشرون بالتخفيف نافع والاصل تبشروننى فحذفت الياء اجتزاء بالكسرة وحذف نون الجمع لاجتماع النونين والباقون بفتح النون وحذف المفعول والنون نون الجمع (قالوا بشرناك بالحق) باليقين الذى لا لبس فيه (فلا تكن من القانطين) من الآيسين من

ذلك (قال) ابراهيم (ومن يقنط) وبكسر النون بصرى وعلى (من رحمة ربه الا الضالون) الا المخطئون طريق الصواب أو الا الكافرون كقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون أى لم أستنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له فى العادة التى أجراها (قال فما خطبكم) فما شأنكم (أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) أى قوم لوط (الا آل لوط) يريد أهله المؤمنين والاستثناء منقطع لان القوم موصوفون بالاجرام والمستثنى ليس كذلك أو متصل فيكون استثناء من الضمير فى مجرمين كانه قيل الى قوم قد أجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم والمعنى يختلف باختلاف الاستثناءين لان آل لوط مخرجون فى المنقطع من حكم الارسال بمعنى أنهم أرسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط أصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال السهم الى المرمى فى انه فى معنى التعذيب والاهلاك كأنه قيل انا أهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط أنجيناهم وأما فى المتصل فهم داخلون فى حكم الارسال يعنى ان الملائكة أرسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء واذا انقطع الاستثناء جرى (انا لمنجوهم أجمعين) مجرى خبر لكن فى الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستأنفا كان ابراهيم عليه السلام قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم (الا امرأته) مستثنى من الضمير المجرور فى لمنجوهم وليس باستثناء من الاستثناء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه بان يقول أهلكناهم الا آل لوط الا امرأته وهنا قد اختلف الحكمان لان الا آل لوط متعلق بارسلنا أو بمجرمين والا امرأته متعلق بمنجوهم فكيف يكون استثناء من استثناء لمنجوهم بالتخفيف حمزة وعلى (قدرنا) وبالتخفيف أبو بكر (انها لمن الغابرين) الباقين فى العذاب قيل لولم تكن اللام فى خبرها لوجب فتح ان لانه مع اسمه وخبره مفعول قدرنا ولكنه كقوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون وانما أسند الملائكة فعل التقدير الى أنفسهم ولم يقولوا قدر الله لقربهم كما يقول خاصة الملك أمرنا بكذا والآمر هو الملك (فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون) أى لا أعرفكم أى ليس عليكم زى السفر ولا أنتم من أهل الحضر فأخاف أن تطرقونى بشر (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه سرورك وتشفيك من أعدائك وهو العذاب الذى كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه أى يشكون ويكذبونك (وأتيناك بالحق) باليقين من عذابهم (وانا لصادقون) فى الاخبار بنزوله بهم (فأسر بأهلك بقطع من الليل) فى آخر الليل أو بعد مامضى شئ صالح من الليل (واتبع أدبارهم) وسر خلفهم لتكون مطلعا عليهم وعلى أحوالهم (ولا يلتفت منكم أحد) لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم أو جعل النهى عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التوانى والتوقف لان من يلتفت لا بد له فى ذلك من أدنى وقفة (وامضوا حيث تؤمرون) حيث أمركم الله بالمضى اليه وهو الشام

أومصر (وقضينا اليه ذلك الامر) عدى قضينا بالى لانه ضمن معنى أوحينا كأنه قيل وأوحينا اليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله (أن دابر هؤلاء مقطوع) وفى ابهامه وتفسيره تفخيم للامر ودابرهم آخرهم أى يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد (مصبحين) وقت دخولهم فى الصبح وهو حال من هؤلاء (وجاء أهل المدينة) سدوم التى ضرب بقاضيها المثل فى الجور (يستبشرون) بالملائكة طمعا منهم فى ركوب الفاحشة (قال) لوط (ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون) بفضيحة ضيفى لان من أساء الى ضيفى فقد أساء الى (واتقوا الله ولا تخزون) أى ولا تذلون بإذلال ضيفى من الخزى وهو الهوان وبالياء فيهما يعقوب. (قالوا أولم ننهك عن العالمين) عن أن تجير منهم أحدا أو تدفع عنهم فانهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان عليه السلام يقوم بالنهى عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين أوعن ضيافة الغرباء (قال هؤلاء بناتى) فانكحوهن وكان نكاح المؤمنات من الكفار جائزا ولا تتعرضوا لهم (ان كنتم فاعلين) ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم فقالت الملائكة للوط عليه السلام (لعمرك انهم لفى سكرتهم) أى فى غوايتهم التى أذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطا الذى هم عليه وبين الصواب الذى تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات (يعمهون) يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك أو الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قسم بحياته وما أقسم بحياة أحد قط تعظيما له والعمر والعمر واحد وهو البقاء الا أنهم خصوا القسم بالمفتوح ايثارا للاخف لكثرة دوران الحلف على ألسنتهم ولذا حذفوا الخبر وتقديره لعمرك قسمى (فأخذتهم الصيحة) صيحة جبريل عليه السلام (مشرقين) داخلين فى الشروق وهو بزوغ الشمس (فجعلنا عاليها سافلها) رفعها جبريل عليه السلام الى السماء ثم قلبها والضمير لقرى قوم لوط (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ان فى ذلك لآيات للمتوسمين) للمتفرسين المتأملين كأنهم يعرفون باطن الشئ بسمة ظاهرة (وانها) وان هذه القرى يعنى آثارها (لبسبيل مقيم) ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل (ان فى ذلك لآية للمؤمنين) لانهم المنتفعون بذلك (وان كان أصحاب الايكة) وان الامر والشأن كان أصحاب الايكة أى الغيضة (لظالمين) لكافرين وهم قوم شعيب عليه السلام (فانتقمنا منهم) فاهلكناهم لما كذبوا شعيبا (وانهما) يعنى قرى قوم لوط والايكة (لبامام مبين) لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمى به الطريق ومطمر البناء لانهما مما يؤتم به (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) هم ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين يعنى بتكذيبهم صالحا لان كل رسول كان يدعو الى الايمان بالرسل جميعا فمن كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا أو أراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبيون فى ابن الزبير وأصحابه (وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين)

أي أعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا) أي ينقبون في الجبال بيوتا أو يبنون من الحجارة (آمنين) لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تنهدم ومن نقب اللصوص والاعداء أو آمنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه (فأخذتهم الصيحة) العذاب (مصبحين) في اليوم الرابع وقت الصبح (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة واقتناء الاموال النفيسة (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) الا خلقا ملتبسا بالحق لا باطلا وعبثا أو بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال (وان الساعة) أي القيامة لتوقعها كل ساعة (لآتية) وان الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيآتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك (فاصفح الصفح الجميل) فاعرض عنهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء قيل هو منسوخ بآية السيف وان أريد به المخالفة فلا يكون منسوخا (ان ربك هو الخلاق) الذي خلقك وخلقهم (العليم) بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم (ولقد آتيناك سبعا) أي سبع آيات وهي الفاتحة أو سبع سور وهي الطوال واختلف في السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما في حكم سورة بدليل عدم التسمية بينهما وقيل سورة يونس أو أسباع القرآن (من المثاني) هي من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة مما يتكرر في الصلاة أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة أو مثنية صفة لآية وأما السور الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد ولما فيها من الثناء كأنها تثني على الله واذا جعلت السبع مثاني فمن للتبيين واذا جعلت القرآن مثاني فمن للتبعيض (والقرآن العظيم) هذا ليس بعطف الشيء على نفسه لانه اذا أريد بالسبع الفاتحة أو الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل دليله قوله بما أوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف واذا أريد به الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم أي الجامع لهذين النعتين وهو التثنية أو الثناء والعظم ثم قال لرسوله (لا تمدن عينيك) أي لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له (الى ما متعنا به أزواجا منهم) أصنافا من الكفار كاليهود والنصارى والمجوس يعني قد أوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة وهي القرآن العظيم فعليك ان تستغني به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا وفي الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث أبي بكر من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا (ولا تحزن عليهم) أي لا تتمن أموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام والمسلمون (واخفض جناحك للمؤمنين) وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وطب نفسا عن ايمان الاغنياء (وقل) لهم (اني أنا النذير المبين) أنذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم (كما أنزلنا) متعلق بقوله ولقد آتيناك أي أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا (على المقتسمين)

وهم أهل الكتاب (الذين جعلوا القرآن عضين) اجزاء جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها أعضاء حيث قالوا بعنادهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزؤن به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي أو اريد بالقرآن مايقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه فاليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى أقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض ويجوز ان يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير أي انذر المعضين الذين يجزؤن القرآن الى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لاتغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فاهلكهم الله ولاتمدن عينيك على الوجه الاول اعتراض بينهما لانه لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدار لمعنى التسلية من النهى عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بكليته على المؤمنين (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) أقسم بذاته وربوبيته ليسألن يوم القيامة واحدا واحدا من هؤلاء المقتسمين عما قالوه في رسول الله صلى الله عليه وسلم أو في القرآن أو في كتب الله (فاصدع بما تؤمر) فاجهر به وأظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا من الصديع وهو الفجر أو فاصدع فافرق بين الحق والباطل من الصدع في الزجاجة وهو الابانة بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله

☆ أمرتك الخير فافعل ما أمرت به ☆ (وأعرض عن المشركين) هو أمر استهانة بهم (انا كفيناك المستهزئين) الجمهور على انها نزلت في خمسة نفر كانوا يبالغون في ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فاهلكهم الله وهم الوليد بن المغيرة مر بنبال فتعلق بثوبه سهم فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات والعاص بن وائل دخل في أخمصه شوكة فانتفخت رجله فمات والاسود بن عبد المطلب عمى والاسود بن عبد يغوث جعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والحرث بن قيس امتخط قيحا ومات (الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم يوم القيامة (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) فيك أو في القرآن أو في الله (فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم (واعبد ربك) ودم على عبادة ربك (حتى يأتيك اليقين) أي الموت يعني مادمت حيا فاشتغل بالعبادة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة

﴿سورة النحل مكية وهي مائة وثمان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة ونزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم (أتى أمر الله) أي هو بمنزلة الآتي الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه (فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون) تبرأ جل وعز عن أن يكون له شريك وعن اشراكهم فما موصولة أو مصدرية واتصال هذا باستعجالهم من حيث ان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك (ينزل الملائكة) وبالتخفيف مكي وأبو عمرو (بالروح) بالوحي أو بالقرآن لان كلا منهما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد او يحيي القلوب الميتة بالجهل (من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا) أن مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى أنذروا (أنه لا إله الا أنا فاتقون) اعلموا بان الامر ذلك من نذرت بكذا اذا علمته والمعنى اعلموا الناس قولي لا اله الا أنا فاتقون فخافون وبالياء يعقوب ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وهو قوله (خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون) وبالتاء في الموضعين حمزة وعلي وخلق الانسان وما يكون منه وهو قوله (خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين) أي فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح لخصومه مبين لحجته بعدما كان نطفة لا حس به ولا حركة أو فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم وهو وصف للانسان بالوقاحة والتمادي في كفران النعمة وخلق ما لابد له منه من خلق البهائم لاكله وركوبه وحمل أثقاله وسائر حاجاته وهو قوله (والانعام خلقها لكم) هي الازواج الثمانية وأكثر ما يقع على الابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه منازل أو بالعطف على الانسان أي خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم أي ما خلقها الا لكم يا جنس الانسان (فيها دفء) هو اسم ما يدفأ به من لباس معمول من صوف أو وبر أو شعر (ومنافع) وهي نسلها ودرها (ومنها تأكلون) قدم الظرف وهو يؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها لان الاكل منها هو الاصل الذي يعتمده الناس في معايشهم وأما الاكل من غيرها كالدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه (ولكم فيها جمال حين تريحون) تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي (وحين تسرحون) ترسلونها بالغداة الى مسارحها من الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من أغراض أصحاب المواشي لان الرعيان اذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة تزينت باراحتها وتسريحها الافنية وفرحت أربابها وأكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس وانما قدمت الاراحة على التسريح لان الجمال في الاراحة أظهر اذا

أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع (وتحمل أثقالكم) أحمالكم (الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس) وبفتح الشين أبوجعفر وهما لغتان في معنى المشقة وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع وأما الشق فالنصف كانه يذهب نصف قوته لما ينال من الجهد والمعنى وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه لولم تخلق الابل الا بجهد ومشقة فضلا أن تحملوا أثقالكم على ظهوركم أو معناه لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل أثقالكم أبدانكم ومنه الثقلان للجن والانس ومنه وأخرجت الارض أثقالها أي بني آدم (ان ربكم لرؤف رحيم) حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) عطف على الانعام أي وخلق هذه للركوب والزينة وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله على حرمة أكل لحم الخيل لانه علل خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد ماذكره في الانعام ومنفعة الاكل أقوى والآية سيقت لبيان النعمة ولا يليق بالحكيم أن يذكر في مواضع المنة أدنى النعمتين ويترك أعلاهما وانتصاب زينة على المفعول له عطفا على محل لتركبوها وخلق مالا تعلمون من أصناف خلائقه وهو قوله (ويخلق مالا تعلمون) ومن هذا وصفه يتعالى عن أن يشرك به غيره (وعلى الله قصد السبيل) المراد به الجنس ولذا قال (ومنها جائر) والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعناه ان هداية الطريق الموصل الى الحق عليه كقوله ان علينا للهدى وليس ذلك للوجوب اذ لا يجب على الله شيء ولكن يفعل ذلك تفضلا وقيل معناه والى الله وقال الزجاج معناه وعلى الله تبيين الطريق الواضح المستقيم والدعاء اليه بالحجج ومنها جائر أي من السبيل مائل عن الاستقامة (ولوشاء لهداكم أجمعين) أراد هداية اللطف بالتوفيق والانعام بعد الهدى العام (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب) لكم متعلق بانزل أو خبر لشراب وهو ما يشرب (ومنه شجر) يعني الشجر الذي ترعاه المواشي (فيه تسيمون) من سامت الماشية اذا رعت فهي سائمة وأسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالمرعى علامات في الارض (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات) ولم يقل كل الثمرات لان كلها لا تكون الا في الجنة وانما أنبت في الارض بعض من كلها للتذكرة (ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والآية الدلالة الواضحة (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) بنصب الكل على وجعل النجوم مسخرات والنجوم مسخرات فقط حفص والشمس والقمر والنجوم مسخرات شامي على الابتداء والخبر (ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) جمع الآية وذكر العقل لان الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة (وماذرأ لكم في الارض) معطوف على الليل والنهار أي ماخلق فيهما من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك

(مختلفا) حال (ألوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون) يتعظون (وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا) هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيؤكل سريعا طريا خيفة الفساد وانما لا يحنث بأكله اذا حلف لا يأكل لحما لان مبنى الايمان على العرف ومن قال لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار (وتستخرجوا منه حلية) هى اللؤلؤ والمرجان (تلبسونها) المراد بلبسهم لبس نسائهم ولكنهن انما يتزين بها من أجلهم فكأنها زينتهم ولباسهم (وترى الفلك مواخر) جوارى تجرى جريا وتشق الماء شقا والمخر شق الماء بحيزومها (فيه) فى البحر (ولتبتغوا من فضله) هو عطف على محذوف اى لتعتبروا ولتبتغوا وابتغاء الفضل التجارة (ولعلكم تشكرون) الله على ما أنعم عليكم به (وألقى فى الارض رواسى) جبالا ثوابت (أن تميد بكم) كراهية أن تميل بكم وتضطرب اولئلا تميد بكم لكن حذف المضاف أكثر قيل خلق الله الارض فجعلت تميد فقالت الملائكة ماهى بمقر أحد على ظهرها فاصبحت وقد أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت (وأنهارا) وجعل فيها أنهارا لان ألقى فيه معنى جعل (وسبلا) طرقا (لعلكم تهتدون) الى مقاصدكم اوالى توحيد ربكم (وعلامات) هى معالم الطرق وكل مايستدل به السابلة من جبل وغيرذلك (وبالنجم هم يهتدون) المراد بالنجم الجنس اوهو الثريا والفرقدان و بنات نعش والجدى فان قلت وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كأنه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم قلت كانه أراد قريشا فلهم اهتداء بالنجوم فى مسايرهم ولهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصصوا (أفمن يخلق) اى الله تعالى (كمن لا يخلق) اى الاصنام وجىء بمن الذى هو لاولى العلم لزعمهم حيث سموها آلهة وعبدوها فاجروها مجرى أولى العلم اولان المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولى العلم فكيف بما لا علم عنده وانما لم يقل أفمن لا يخلق كمن يخلق مع اقتضاء المقام بظاهره اياه لكونه الزاما للذين عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبيها بالله لانهم حين جعلوا غير الله مثل الله فى تسميته باسمه والعبادة له فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبهوه بها فانكر عليهم ذلك بقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق وهو حجة على المعتزلة فى خلق الافعال (أفلا تذكرون) فتعرفون فساد ما أنتم عليه (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا أن تطيقوا القيام بحقها من اداء الشكر وانما اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على ان ماوراءها لا ينحصر ولا يعد (ان الله لغفور رحيم) يتجاوز عن تقصيركم فى اداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم (والله يعلم ماتسرون وما تعلنون) من اقوالكم وافعالكم وهو وعيد (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (من دون الله) وبالتاء غير عاصم (لا يخلقون شيأ وهم يخلقون اموات) اى هم اموات (غير احياء وما يشعرون أيان يبعثون) نفى عنهم خصائص

الالهية بنفى كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث وأثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون أموات جاهلون بالبعث ومعنى أموات غير أحياء انهم لوكانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات اى غير جائز عليها الموت وأمرهم بالعكس من ذلك والضمير فى يبعثون للداعين اى لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وان آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء أعمالهم منهم على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لا بد من البعث (إلهكم إله واحد) اى ثبت بما مرأن الالهية لا تكون لغير الله وان معبودكم واحد (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) للوحدانية (وهم مستكبرون) عنها وعن الاقرار بها (لا جرم) حقا (أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) اى سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد (انه لا يحب المستكبرين) عن التوحيد يعنى المشركين (واذا قيل لهم) لهؤلاء الكفار (ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين) ماذا منصوب بأنزل اى اى شئ أنزل ربكم اومرفوع على الابتداء اى اى شئ أنزله ربكم وأساطير خبر مبتدا محذوف قيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اساطير الاولين اى احاديث الاولين وأباطيلهم واحدتها اسطورة واذا رأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونهم بصدقه وانه نبى فهم الذين قالوا خيرا (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم) اى قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا أوزار ضلالهم كاملة وبعض أوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان واللام للتعليل (بغير علم) حال من المفعول اى يضلون من لا يعلم أنهم ضلال (ألا ساء ما يزرون) محل ما رفع (قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد) اى من جهة القواعد وهى الاساطين وهذا تمثيل يعنى أنهم سوّوا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فجعل الله هلاكهم فى تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وماتوا وهلكوا والجمهور على أن المراد به نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا فأتى الله اى أمره بالاستئصال (فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون (ثم يوم القيامة يخزيهم) يذلهم بعذاب الخزى سوى ما عذبوا به فى الدنيا (ويقول أين شركائى) على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم (الذين كنتم تشاقون فيهم) تعادون وتخاصمون المؤمنين فى شأنهم تشاقون نافع اى تشاقوننى فيهم لان مشاقة المؤمنين كأنها مشاقة الله (قال الذين أوتوا العلم) اى الانبياء والعلماء من اممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم أوهم الملائكة (ان الخزى اليوم) الفضيحة (والسوء) العذاب (على الكافرين

الذين تتوفاهم الملائكة) و بالياء حمزة وكذا ما بعده (ظالمي أنفسهم) بالكفر بالله (فألقوا السلم) أي الصلح والاستسلام أي اخبتوا وجاؤا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) وجحدوا ما وجد منهم من الكفران والعداوة فرد عليهم أولوا العلم وقالوا (بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون) فهو يجازيكم عليه وهذا أيضا من الشماتة وكذلك (فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين) جهنم (وقيل للذين اتقوا) الشرك (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) وانما نصب هذا ورفع أساطير لان التقدير هنا أنزل خيرا فاطبقوا الجواب على السؤال وثمة التقدير هو أساطير الاولين فعدلوا بالجواب عن السؤال (للذين أحسنوا في هذه الدنيا) أي آمنوا وعملوا الصالحات أو قالوا لا اله الا الله (حسنة) بالرفع أي ثواب وأمن وغنيمة وهو بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا أي قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه أو هو كلام مستأنف عدة للقائلين وجعل قولهم من جملة احسانهم (ولدار الآخرة خير) أي لهم في الآخرة ما هو خير منها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة (ولنعم دار المتقين) دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره (جنات عدن) خبر لمبتدا محذوف أو هو مخصوص بالمدح (يدخلونها) حال (تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر لانه في مقابلة ظالمي أنفسهم (يقولون سلام عليكم) قيل اذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك ياولي الله الله يقرأ عليك السلام و يبشره بالجنة و يقال لهم في الآخرة (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) بعملكم (هل ينظرون) ما ينتظر هؤلاء الكفار (الا ان تأتيهم الملائكة) لقبض أرواحهم و بالياء علي وحمزة (أو يأتي أمر ربك) أي العذاب المستأصل أو القيامة (كذلك) مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب (فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله) بتدميرهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حيث فعلوا ما استحقوا به التدمير (فأصابهم سيآت ما عملوا) جزاء سيئات أعمالهم (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) وأحاط بهم جزاء استهزائهم (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا) هذا كلام صدر منهم استهزاء ولو قالوه اعتقادا لكان صوابا (ولا حرمنا من دونه من شئ) يعني البحيرة والسائبة ونحوهما (كذلك فعل الذين من قبلهم) أي كذبوا الرسل وحرموا الحلال وقالوا مثل قولهم استهزاء (فهل على الرسل الا البلاغ المبين) الا أن يبلغوا الحق ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله) بأن وحدوه (واجتنبوا الطاغوت) الشيطان يعني طاعته (فمنهم من هدى الله) لاختيارهم الهدى (ومنهم من حقت عليه الضلالة) أي لزمته لاختياره اياها (فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) حيث أهلكهم الله وأخلى ديارهم عنهم ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانهم

وأعلمه أنهم من قسم من حقت عليه الضلالة فقال (ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى
من يضل) بفتح الياء وكسر الدال كوفي الباقون بضم الياء وفتح الدال والوجه فيه أن من
يضل مبتدأ ولا يهدى خبره (ومالهم من ناصرين) يمنعونهم من جريان حكم الله عليهم
ويدفعون عنهم عذابه الذى أعد لهم (واقسموا بالله جهد أيمانهم) معطوف على وقال
الذين أشركوا (لا يبعث الله من يموت بلى) هو اثبات لما بعد النفى أى بلى يبعثهم (وعدا
عليه حقا) وهو مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله وبين أن الوفاء بهذا
الوعد حق (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ان وعده حق أو انهم يبعثون (ليبين لهم)
متعلق بما دل عليه بلى أى يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو يشمل المؤمنين
والكافرين (الذى يختلفون فيه) هو الحق (وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين)
فى قولهم لا يبعث الله من يموت (انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) أى
فهو يكون وبالنصب شامى وعلى على جواب كن قولنا مبتدأ وأن نقول خبره وكن فيكون
من كان التامة التى بمعنى الحدوث والوجود أى اذا أردنا وجود شئ فليس الا أن نقول له
أحدث فهو يحدث بلا توقف وهذه عبارة عن سرعة الايجاد يبين أن مراداً لا يمتنع عليه
وان وجوده عند ارادته غير متوقف كوجود المأمور به عند أمر الآمر المطاع اذا ورد على
المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله بهذه السهولة فكيف
يمتنع عليه البعث الذى هو من بعض المقدورات (والذين هاجروا فى الله) فى حقه ولوجهه
(من بعد ما ظلموا) هم رسول الله وأصحابه ظلمهم أهل مكة ففروا بدينهم الى الله منهم من
هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة (لنبوئنهم فى
الدنيا حسنة) صفة للمصدر أى تبوئة حسنة أو لنبوئنهم مباءة حسنة وهى المدينة حيث آواهم
أهلها ونصروهم (ولأجر الآخرة أكبر) الوقف لازم عليه لان جواب (لو كانوا يعلمون)
محذوف والضمير للكفار أى لو علموا ذلك لرغبوا فى الدين أو للمهاجرين أى لو كانوا يعلمون
لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم (الذين صبروا) أى هم الذين صبروا أو أعنى الذين صبروا
وكلاهما مدح أى صبروا على مفارقة الوطن الذى هو حرم الله المحبوب فى كل قلب فكيف
بقلوب قوم هو مسقط رؤسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح فى سبيل الله (وعلى ربهم
يتوكلون) أى يفوضون الامر الى ربهم ويرضون بما أصابهم فى دين الله ولما قالت قريش
الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا نزل (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم) على
السنة الملائكة نوحى حفص (فاسئلوا أهل الذكر) أهل الكتاب ليعلموكم ان الله لم
يبعث الى الامم السالفة الا بشرا وقيل للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين (ان كنتم
لا تعلمون بالبينات والزبر) أى بالمعجزات والكتب والباء يتعلق برجالا صفة له أى رجالا
ملتبسين بالبينات أو بارسلنا مضمرا كانه قيل بم أرسل الرسل فقيل بالبينات أو بيوحى أى
يوحى اليهم بالبينات أو بلا تعلمون وقوله فاسئلوا أهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة

وقوله (وأنزلنا اليك الذكر) القرآن (لتبين للناس ما نزل اليهم) في الذكر مما أمروا به ونهوا عنه ووعدوا به وأوعدوا (ولعلهم يتفكرون) في تنبيهاته فيتنبهوا (أفأمن الذين مكروا السيئات) أي المكرات السيئات وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله عليه السلام (أن يخسف الله بهم الارض) كما فعل بمن تقدمهم (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) أي بغتة (أو يأخذهم في تقلبهم) متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم (فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف) متخوفين وهو أن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون (فان ربكم لرؤف رحيم) حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم والمعنى انه اذا لم يأخذكم مع ما فيكم فانما رأفته تقيكم ورحمته تحميكم (أولم يروا) وبالتاء حمزة وعلي وأبو بكر (الى ما خلق الله) ما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه (من شئ يتفيؤا ظلاله) أي يرجع من موضع الى موضع وبالتاء بصري (عن اليمين) أي الايمان (والشمائل) جمع شمال (سجدا لله) حال من الظلال عن مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شئ (وهم داخرون) صاغرون وهو حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شئ له ظل وجمع بالواو والنون لان الدخور من أوصاف العقلاء أولان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى أولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها أي ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله تعالى غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في أنفسها داخرة أيضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها غير ممتنعة (ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة) من بيان لما في السموات وما في الارض جميعا على أن في السموات خلقا يدبون فيها كما تدب الاناسي في الارض أو بيان لما في الارض وحده والمراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله (والملائكة) ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم قيل المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقيادهم لارادة الله ومعنى الانقياد يجمعهما فلم يختلفا فلذا جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد وجيء بما اذ هو صالح للعقلاء وغيرهم ولو جيء بمن لتناول العقلاء خاصة (وهم لا يستكبرون يخافون ربهم) هو حال من الضمير في لا يستكبرون اي لا يستكبرون خائفين (من فوقهم) ان علقته بيخافون فمعناه يخافونه أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم غالبا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده (ويفعلون ما يؤمرون) وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهي وانهم بين الخوف والرجاء (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد) فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلاثة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فاما رجل ورجلان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنان قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد

المخصوص

المخصوص فاذا أريدت الدلالة على أن المعنى به منهما هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد واليه والعناية به ألا ترى أنك لوقلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية (فاياى فارهبون) نقل الكلام عن الغيبة الى التكلم وهو من طريقة الالتفات وهو أبلغ فى الترغيب من قوله فاياه فارهبوا فارهبونى يعقوب (وله ما فى السموات والارض وله الدين) اى الطاعة (واصبا) واجبا ثابتا لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه وهو حال عمل فيه الظرف أوله الجزاء دائما يعنى الثواب والعقاب (أفغير الله تتقون وما بكم من نعمة) واى شئ اتصل بكم من نعمة عافية وغنى وخصب (فمن الله) فهو من الله (ثم اذا مسكم الضر) المرض والفقر والجدب (فاليه تجأرون) فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون) الخطاب فى وما بكم من نعمة ان كان عاما فالمراد بالفريق الكفرة وان كان الخطاب للمشركين فقوله منكم للبيان لا للتبعيض كأنه قال فاذا فريق كافر وهم أنتم ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد (ليكفروا بما آتيناهم) من نعمة الكشف عنهم كأنهم جعلوا غرضهم فى الشرك كفران النعمة ثم أوعدهم فقال (فتمتعوا فسوف تعلمون) هو عدول الى الخطاب على التهديد (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم) اى لآلهتهم ومعنى لا يعلمون انهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك لانها جماد لا تضر ولا تنفع او الضمير فى لا يعلمون الآلهة اى لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر أجعلوا لها نصيبا فى أنعامهم وزروعهم أم لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم (تالله لتسئلن) وعيد (عما كنتم تفترون) أنها آلهة وانها أهل للتقرب اليها (ويجعلون لله البنات) كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم (ولهم ما يشتهون) يعنى البنين ويجوز فى ما الرفع على الابتداء ولهم الخبر والنصب على العطف على البنات وسبحانه اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه اى وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور (واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا) اى صار فظل وأمسى وأصبح وبات تستعمل بمعنى الصيرورة لان أكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مسود الوجه من الكآبة والحياء من الناس (وهو كظيم) مملوء حنقا على المرأة (يتوارى من القوم من سوء ما بشر به) يستخفى منهم من أجل سوء المبشر به ومن أجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر (أيمسكه على هون) أيمسك ما بشر به على هون وذل (أم يدسه فى التراب) أم يئده (ألا ساء ما يحكمون) حيث يجعلون الولد الذى هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) صفة السوء وهى الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق (ولله المثل الأعلى) وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين. (وهو العزيز) الغالب فى تنفيذ

ماأراد (الحكيم) فى امهال العباد (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم (ماترك عليها) على الارض (من دابة) قط ولاهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين عن أبى هريرة رضى الله عنه ان الحبارى لتموت فى وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضى الله عنه كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم وعن ابن عباس رضى الله عنهما من دابة من مشرك يدب (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) أى أجل كل أحد أووقت تقتضيه الحكمة أوالقيامة (فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون ويجعلون لله مايكرهون) مايكرهونه لانفسهم من البنات ومن شركاء فى رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم ويجعلون له أرذل أموالهم ولاصنامهم أكرمها (وتصف ألسنتهم الكذب) مع ذلك أى ويقولون الكذب (أن لهم الحسنى) عند الله وهى الجنة ان كان البعث حقا كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وأن لهم الحسنى بدل من الكذب (لاجرم أن لهم النار وانهم مفرطون) مفرطون نافع مفرطون أبوجعفر فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من أفرطت فلانا وفرطته فى طلب الماء اذاقدمته أومنسيون متروكون من أفرطت فلانا خلفى اذاخلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط فى المعاصى والمشدد من التفريط فى الطاعات أى التقصير فيها (تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك) أى أرسلنا رسلا الى من تقدمك من الامم (فزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر والتكذيب بالرسل (فهو وليهم اليوم) أى قرينهم فى الدنيا تولى اضلالهم بالغرور أوالضمير لمشركى قريش أى زين للكفار قبلهم أعمالهم فهو ولى هؤلاء لانهم منهم أوهو على حذف المضاف أى فهو ولى أمثالهم اليوم (ولهم عذاب أليم) فى القيامة (وما أنزلنا عليك الكتاب) القرآن (الالتبين لهم) للناس (الذى اختلفوا فيه) هو البعث لانه كان فيهم من يؤمن به (وهدى ورحمة) معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذى أنزل الكتاب ودخلت اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لافعل المنزل (لقوم يؤمنون والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون) سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه لايسمع (وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه) وبفتح النون نافع وشامى وابوبكر قال الزجاج سقيته وأسقيته بمعنى واحد ذكر سيبويه الانعام فى الاسماء المفردة الواردة على أفعال ولذا رجع الضمير اليه مفردا وأما فى بطونها فى سورة المؤمنين فلان معناه الجمع وهو استئناف كانه قيل كيف العبرة فقال نسقيكم مما فى بطونه (من بين فرث ودم لبنا خالصا) أى يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ لايبغى أحدهما عليه بلون ولاطعم ولارائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا أكلت البهيمة العلف فاستقر فى كرشها طبخته فكان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فتجرى الدم فى العروق واللبن فى الضروع ويبقى الفرث فى

السكر شم يهدر وفى ذلك عبرة لمن اعتبر وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تميز العمل من العيوب كتميز اللبن من بين فرث ودم (سائغا للشاربين) سهل المرور فى الحلق ويقال لم يغص أحد باللبن قط ومن الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما فى بطونها والثانية لابتداء الغاية ويتعلق (ومن ثمرات النخيل والاعناب) بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب أى من عصيرهما وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله (تتخذون منه سكرا) بيان وكشف عن كنه الاسقاء أو تتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد والضمير فى منه يرجع الى المضاف المحذوف الذى هو العصير والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا ثم فيه وجهان أحدهما ان الآية سابقة على تحريم الخمر فتكون منسوخة وثانيهما أن يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند أبى حنيفة وأبى يوسف رحمهما الله الى حد السكر ويحتجان بهذه الآية وبقوله عليه السلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وبأخبار جمة (ورزقا حسنا) هو الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك (ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون وأوحى ربك الى النحل) وألهم (أن اتخذى من الجبال بيوتا) هى أن المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول قال الزجاج واحد النحل نحلة كنخل ونخلة والتأنيث باعتبار هذا ومن فى من الجبال (ومن الشجر ومما يعرشون) يرفعون من سقوف البيت أو ما يبنون للنحل فى الجبال والشجر والبيوت من الاماكن التى تعسل فيها للتبعيض لانها لا تبنى بيوتها فى كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش والضمير فى يعرشون للناس وبضم الراء شامى وأبو بكر (ثم كلى من كل الثمرات) أى ابنى البيوت ثم كلى كل ثمرة تشتهيها فاذا أكلتها (فاسلكى سبل ربك) فادخلى الطرق التى ألهمك وأفهمك فى عمل العسل أو اذا أكلت الثمار فى المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكى الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تضلين فيها (ذللا) جمع ذلول وهى حال من السبل لان الله تعالى ذللها وسهلها أو من الضمير فى فاسلكى أى وأنت ذلل منقادة لما أمرت به غير ممتنعة (يخرج من بطونها شراب) يريد العسل لانه مما يشرب تلقيه من فيها (مختلف ألوانه) منه أبيض وأصفر وأحمر من الشباب والكهول والشيب أو على ألوان أغذيتها (فيه شفاء للناس) لانه من جملة الادوية النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض انه شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره لتعظيم الشفاء الذى فيه أو لان فيه بعض الشفاء لان النكرة فى الاثبات تخص وشكا رجل استطلاق بطن أخيه فقال عليه السلام اسقه عسلا فجاءه وقال زاده شرا فقال عليه السلام صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه فصح وعن ابن مسعود رضى الله عنه العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل ومن بدع الروافض ان المراد بالنحل على وقومه وعن بعضهم ان رجلا قال عند

المهدي انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم (ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) في عجيب أمرها فيعلمون ان الله أودعها علما بذلك وفطنها كما أعطى أولي العقول عقولهم (والله خلقكم ثم يتوفاكم) بقبض أرواحكم من أبدانكم (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) الى أخسه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة أوثمانون أوتسعون (لكيلا يعلم بعد علم شيأ) لينسى مايعلم أولئلا يعلم زيادة علم على علمه (ان الله عليم) بحكم التحويل الى الارذل من الاكمل أوالى الافناء من الاحياء (قدير) على تبديل مايشاء كما يشاء من الاشياء (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) أي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم أفضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم (فما الذين فضلوا) في الرزق يعني الملاك (برادي) بمعطي (رزقهم على ماملكت أيمانهم) فكان ينبغي أن تردوا فضل مارزقتموه عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم (فهم فيه سواء) جملة اسمية وقعت في موضع جملة فعلية في موضع النصب لانه جواب النفي بالفاء وتقديره فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ماملكت أيمانهم فيستووا مع عبيدهم في الرزق وهو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء فقال لهم أنتم لاتسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولاتجعلونهم فيه شركاء ولاترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدي لي شركاء (أفبنعمة الله يجحدون) وبالتاء أبو بكر فجعل ذلك من جملة جحود النعمة (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أي من جنسكم (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) جمع حافد وهو الذي يحفد أي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد * واختلف فيه فقيل هم الاختان على البنات وقيل أولاد الاولاد والمعنى وجعل لكم حفدة أي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم (ورزقكم من الطيبات) أي بعضها لان كل الطيبات في الجنة وطيبات الدنيا أنموذج منها (أفبالباطل يؤمنون) هو مايعتقدونه من منفعة الاصنام وشفاعتها (وبنعمة الله) أي الاسلام (هم يكفرون) أوالباطل الشيطان والنعمة محمد صلى الله عليه وسلم أوالباطل مايسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ماأحل لهم (ويعبدون من دون الله مالايملك لهم رزقا من السموات والارض شيأ) أي الصنم وهو جماد لايملك أن يرزق شيأ فالرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى مايرزق فان أردت المصدر نصبت به شيأ أي لايملك أن يرزق شيأ وان أردت المرزوق كان شيأ بدلا منه أي قليلا ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا أي لايرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وصفة ان كان اسما لما يرزق والضمير في (ولا يستطيعون) لما لانه في معنى الآلهة بعد ماقال لايملك على اللفظ والمعنى لايملكون الرزق ولايمكنهم أن يملكوه ولا يتأتى ذلك منهم (فلا تضربوا لله الامثال) فلا تجعلوا لله مثلا فانه لامثل له أي فلا تجعلوا لله

شركاء (ان الله يعلم) أنه لا مثــل له من الخلق (وأنتم لا تعلمون) ذلك أو ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وأنتم لا تعلمون ذلك والوجه الأول ثم ضرب المثل فقال (ضرب الله مثلا عبدا) هو بدل من مثلا (مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا) مصدران في موضع الحال أي مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثــل من سوى بين عبــد مملوك عاجز عن التصرف و بين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه و ينفق منه ما شاء وقيــد بالمملوك ليميزه من الحر لان اسم العبــد يقع عليهما جميعا اذ هما من عباد الله و بلا يقــدر على شيء ليمتاز من المكاتب والمأذون فهما يقدران على التصرف ومن موصوفة أي وحرا رزقناه ليطابق عبــدا أو موصولة (هل يستوون) جمع الضمير لارادة الجمع أي لا يستوي القبيلان (الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) بأن الحمــد والعبادة لله ثم زاد في البيان فقال (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء) الابكم الذي ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم (وهو كل على مولاه) أي ثقل وعيال على من يلي أمره ويعوله (أينما يوجهه لا يأت بخــير) حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجــة أو كفاية مهم لم ينفع ولم يأت بنجح (هل يستوي هو ومن يأمر بالعــدل) أي ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل والخير (وهو) في نفسه (على صراط مستقيم) على ســيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده من آثار رحمتــه ونعمته وللاصــنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع (ولله غيب السموات والارض) أي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه أو أراد بغيب السموات والارض يوم القيامة على ان علمه غائب عن أهــل السموات والارض لم يطلع عليه أحــد منهم (وما أمر الساعة) في قرب كونها وسرعة قيامها (الا كلمح البصر) كرجع طرف وانما ضرب به المثل لانه لا يعرف زمان أقل منــه (أوهو) أي الامر (أقرب) وليس هذا الشــك المخاطب ولــكن المعنى كونوا في كونها على هذا الاعتبار وقيــل بل هو أقرب (ان الله على كل شيء قدير) فهو يقدر على أن يقيم الساعة و يبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده فقال (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) وبكسر الالف وفتح الميم علي اتباعا لكسرة النون وبكسرهما حمزة والهاء مزيدة في أمهات للتوكيد كما زيدت في أراق فقيل اهراق وشذت زيادتها في الواحدة (لا تعلمون شيأ) حال أي غير عالمين شيأ من حق المنعم الذي خلقكم في البطون (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون) أي وما ركب فيكم هذه الاشــيا الا آلات لازالة الجهــل الذي ولدتم عليه واجتلاب العــلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والافئدة في فؤاد كالاغربة في غراب وهو من جموع القــلة التي جرت مجرى جموع الكثرة لعــدم السماع في غيرها (ألم يروا) وبالتاء شامي وحمزة (الى الطير مسخرات) مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك (في جو السماء) هو الهواء المتباعد من الارض في

سمت العلو (مايمسكهن) فى قبضهن وبسطهن ووقوفهن (الاالله) بقدرته وفيه نفى لما يصوره الوهم من خاصية القوى الطبيعية (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بأن الخلق لاغنى به عن الخالق (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) هو فعل بمعنى مفعول أى مايسكن اليه وينقطع اليه من بيت أوالف (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) هى قباب الادم (تستخفونها) ترونها خفيفة المحمل فى الضرب والنقض والنقل (يوم ظعنكم) بسكون العين كوفى وشامى وبفتح العين غيرهم والظعن بفتح العين وسكونها الارتحال (ويوم اقامتكم) قراركم فى منازلكم والمعنى انها خفيفة عليكم فى أوقات السفر والحضر على أن اليوم بمعنى الوقت (ومن أصوافها) أى أصواف الضأن (وأوبارها) وأوبار الابل (وأشعارها) وأشعار المعز (أثاثا) متاع البيت (ومتاعا) وشيأ ينتفع به (الى حين) مدة من الزمان (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) كالاشجار والسقوف (وجعل لكم من الجبال أكنانا) جمع كن وهو ماستر من كهف أوغار (وجعل لكم سرابيل) هى القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن (تقيكم الحر) وهى تقى البرد أيضا الا أنه اكتفى باحد الضدين ولان الوقاية من الحر أهم عندهم لكون البرد يسيرا محتملا (وسرابيل تقيكم بأسكم) ودروعا من الحديد ترد عنكم سلاح عدوكم فى قتالكم والبأس شدة الحرب والسربال عام يقع على ما كان من حديد أوغيره (كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) أى تنظرون فى نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له (فان تولوا) أعرضوا عن الاسلام (فانما عليك البلاغ المبين) أى فلا تبعة عليك فى ذلك لان الذى عليك هو التبليغ الظاهر وقد فعلت (يعرفون نعمة الله) التى عددناها باقوالهم فانهم يقولون انها من الله (ثم ينكرونها) بافعالهم حيث عبدوا غير المنعم أوفى الشدة ثم فى الرخاء (وأكثرهم الكافرون) أى الجاحدون غير المعترفين أونعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا وأكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم وثم يدل على أن انكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة أن يعترف لاان ينكر (ويوم) انتصابه باذكر (نبعث) نحشر (من كل أمة شهيدا) نبيا يشهد لهم وعليهم بالتصديق والتكذيب والايمان والكفر (ثم لايؤذن للذين كفروا) فى الاعتذار والمعنى لاحجة لهم فدل بترك الاذن على أن لاحجة لهم ولاعذر (ولاهم يستعتبون) ولاهم يسترضون أى لايقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل ومعنى ثم أنهم يمنون أى يبتلون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو أطم وأغلب منها وهو أنهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم فى القاء معذرة ولا أدلاء بحجة (واذا رأى الذين ظلموا) كفروا (العذاب فلا يخفف عنهم) أى العذاب بعد الدخول (ولاهم ينظرون) يمهلون قبله (واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم) أوثانهم التى عبدوها (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا) أى آلهتنا التى جعلناها شركاء (الذين كنا ندعوا من دونك) أى نعبد (فالقوا اليهم

القول

القول انكم لكاذبون) أي أجابوهم بالتكذيب لانها كانت جمادا لا تعرف من عبدها ويحتمل أنهم كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله عن الشرك (وألقوا) يعني الذين ظلموا (الى الله يومئذ السلم) القاء السلم الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار في الدنيا (وضل عنهم) و بطل عنهم (ما كانوا يفترون) من أن لله شركاء وانهم ينصرونهم و يشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم (الذين كفروا) في أنفسهم (وصدوا عن سبيل الله) وحملوا غيرهم على الكفر (زدناهم عذابا فوق العذاب) أي عذابا بكفرهم وعذابا بصدهم عن سبيل الله (بما كانوا يفسدون) بكونهم مفسدين الناس بالصد (و يوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم) يعني نبيهم لانه كان يبعث أنبياء الامم فيهم منهم (وجئنا بك) يا محمد (شهيدا على هؤلاء) على أمتك (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا) بليغا (لكل شيء) من أمور الدين أما في الاحكام المنصوصة فظاهر وكذا فيما ثبت بالسنة أو بالاجماع أو بقول الصحابة أو بالقياس لان مرجع الكل الى الكتاب حيث أمرنا فيه باتباع رسوله عليه السلام وطاعته بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وحثنا على الاجماع فيه بقوله و يتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته باتباع أصحابه بقوله أصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا طرق الاجتهاد والقياس مع انه أمرنا به بقوله فاعتبروا يا أولي الابصار فكانت السنة والاجماع وقول الصحابي والقياس مستندة الى تبيان الكتاب فتبين أنه كان تبيانا لكل شيء (وهدى و رحمة و بشرى للمسلمين) ودلالة الى الحق و رحمة لهم و بشارة لهم بالجنة (ان الله يأمر بالعدل) بالتسوية في الحقوق فيما بينكم وترك الظلم وايصال كل ذي حق الى حقه (والاحسان) الى من أساء اليكم أوهما الفرض والندب لان الفرض لابد من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب (وايتاء ذي القربى) واعطاء ذي القرابة وهو صلة الرحم (وينهى عن الفحشاء) عن الذنوب المفرطة في القبح (والمنكر) ما تنكره العقول (والبغي) طلب التطاول بالظلم والكبر (يعظكم) حال أو مستأنف (لعلكم تذكرون) تتعظون بمواعظ الله وهذه الآية سبب اسلام عثمان بن مظعون فانه قال ما كنت أسلمت الا حياء منه عليه السلام لكثرة ما كان يعرض على الاسلام ولم يستقر الايمان في قلبي حتى نزلت هذه الآية وأنا عنده فاستقر الايمان في قلبي فقرأتها على الوليد ابن المغيرة فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وما هو بقول البشر وقال أبو جهل ان الهه ليأمر بمكارم الاخلاق وهي أجمع آية في القرآن للخير والشر ولهذا يقرؤها كل خطيب على المنبر في آخر كل خطبة لتكون عظة جامعة لكل مأمور ومنهي (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله (ولا تنقضوا الايمان) ايمان البيعة (بعد توكيدها) بعد توثيقها باسم الله وأكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة

بدل منها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه (ان الله يعلم ما تفعلون) من البر والحنث فيجازيكم به (ولا تكونوا) فى نقض الايمان (كالتى نقضت غزلها من بعد قوة) كالمرأة التى انحت على غزلها بعد ان أحكمته وأبرمته فجعلته (أنكاثا) جمع نكث وهو ماينكث فتله قيل هى ريطة وكانت حمقاء تغزل هى وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ماغزلن (تتخذون أيمانكم) حال كانكاثا (دخلا) أحد مفعولى تتخذ أى ولا تنقضوا أيمانكم متخذيها دخلا (بينكم) أى مفسدة وخيانة (أن تكون أمة) بسبب أن تكون أمة يعنى جماعة قريش (هى أربى من أمة) هى أزيد عددا وأوفر مالا من أمة من جماعة المؤمنين هى أربى مبتدأ وخبر فى موضع الرفع صفة لامة وأمة فاعل تكون وهى تامة وهى ليست بفصل لوقوعها بين نكرتين (انما يبلوكم الله به) الضمير للمصدر أى انما يختبركم بكونهم أربى لينظر أتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وماوكدتم من ايمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقلة المؤمنين وفقرهم (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) اذا جازاكم على أعمالكم بالثواب والعقاب وفيه تحذير عن مخالفة ملة الاسلام (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) حنيفة مسلمة (ولكن يضل من يشاء) من علم منه اختيار الضلالة (ويهدى من يشاء) من علم منه اختيار الهداية (ولتسئلن عما كنتم تعملون) يوم القيامة فتجزون به (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم) كرر النهى عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تأكيدا عليهم واظهارا لعظمه (فتزل قدم بعد ثبوتها) فتزل أقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وانما وحدت القدم ونكرت لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان تثبت عليه فكيف باقدام كثيرة (وتذوقوا السوء) فى الدنيا (بما صددتم) بصدودكم (عن سبيل الله) وخروجكم عن الدين أو بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها (ولكم عذاب عظيم) فى الآخرة (ولا تشتروا) ولا تستبدلوا (بعهد الله) وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثمنا قليلا) عرضا من الدنيا يسيرا كان قوما ممن أسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد أن ينقضوا مابايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله (انما عند الله) من ثواب الآخرة (هو خير لكم ان كنتم تعلمون ماعندكم) من اعراض الدنيا (ينفد وما عند الله) من خزائن رحمته (باق) لا ينفد (وليجزين) وبالنون مكى وعاصم (الذين صبروا) على أذى المشركين ومشاق الاسلام (أجرهم باحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر أو أنثى) من مبهم يتناول النوعين الا ان ظاهره للذكور فبين بقوله من ذكر أو أنثى ليعم الموعد النوعين (وهو مؤمن) شرط الايمان لان أعمال الكفار غير معتد

بهاوهو يدل على ان العمل ليس من الايمان (فلنحيينه حياة طيبة) أى فى الدنيا لقوله (ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون) وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان أو معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا فمعه مايطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله تعالى وأما الفاجر فأمره بالعكس ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فالحرص لايدعه أن يتهنأ بعيشه وقيل الحياة الطيبة القناعة أو حلاوة الطاعة أو المعرفة بالله وصدق المقام مع الله وصدق الوقوف على أمر الله والاعراض عما سوى الله (فاذا قرأت القرآن) فاذا أردت قراءة القرآن (فاستعذ بالله) فعبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل لانها سبب له والفاء للتعقيب اذ القراءة المصدرة بالاستعاذة من العمل الصالح المذكور (من الشيطان) يعنى ابليس (الرجيم) المطرود أو الملعون قال ابن مسعود رضى الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لى قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عليه السلام (انه ليس له) لابليس (سلطان) تسلط و ولاية (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) فالمؤمن المتوكل لايقبل منه وساوسه (انما سلطانه على الذين يتولونه) يتخذونه وليا و يتبعون وساوسه (والذين هم به مشركون) الضمير يعود الى ربهم أو الى الشيطان أى بسببه (واذا بدلنا آية مكان آية) تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لحكمة رآها وهو معنى قوله (والله أعلم بما ينزل) و بالتخفيف مكى وأبو عمرو (قالوا انما أنت مفتر) هو جواب اذا وقوله والله أعلم بما ينزل اعتراض كانوا يقولون ان محمدا يسخر باصحابه يأمرهم اليوم بأمر و ينهاهم عنه غدا فيأتيهم بما هو أهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق (بل أكثرهم لايعلمون) الحكمة فى ذلك (قل نزله روح القدس) أى جبريل عليه السلام أضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد والمقدس المطهر من المآثم (من ربك) من عنده وأمره (بالحق) حال أى نزله ملتبسا بالحكمة (ليثبت الذين آمنوا) ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة لانه حكيم لايفعل الا ماهو حكمة وصواب حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب (وهدى و بشرى) مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وارشادا و بشارة (للمسلمين) وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر) أرادوا به غلاما كان لحويطب قد أسلم وحسن اسلامه اسمه عائش أو يعيش وكان صاحب كتب أو هو جبر غلام رومى لعامر بن الحضرمى أو عبدان جبر و يسار كانا يقرآن التوراة والانجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع مايقرآن أو سلمان الفارسى (لسان الذى يلحدون اليه) و بفتح الياء والحاء حمزة وعلى (أعجمى وهذا لسان عربى مبين) أى لسان

الرجل الذى يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان أعجمى غير بين وهذا القرآن لسان عربى مبين ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وابطالا لطعنهم وهذه الجملة أعنى لسان الذى يلحدون اليه أعجمى لا محل لها لانها مستأنفة جواب لقولهم واللسان اللغة و يقال ألحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود اذا أمال حفره عن الاستقامة فحفر فى شق منه ثم استعير لكل امالة عن الاستقامة فقالوا ألحد فلان في قوله وألحد في دينه ومنه الملحد لانه أمال مذهبه عن الاديان كلها (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) أى القرآن (لا يهديهم الله) ماداموا مختارين الكفر (ولهم عذاب أليم) فى الآخرة على كفرهم (انما يفترى الكذب) على الله (الذين لا يؤمنون بآيات الله) أى انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه وهو رد لقولهم انما أنت مفتر (وأولئك) اشارة الى الذين لا يؤمنون أى وأولئك (هم الكاذبون) على الحقيقة الكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات الله أعظم الكذب أو وأولئك هم الكاذبون فى قولهم انما أنت مفتر جوزوا أن يكون (من كفر بالله من بعد ايمانه) شرطا مبتدأ وحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب (الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) ساكن به (ولكن من شرح بالكفر صدرا) أى طاب به نفسا واعتقده (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) وأن يكون بدلا من الذين لا يؤمنون بآيات الله على أن يجعل وأولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله وأن يكون بدلا من المبتدا الذى هو أولئك أى ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون أو من الخبر الذى هو الكاذبون أى وأولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه وان ينتصب على الذم روى أن ناسا من أهل مكة فتنوا فارتدوا وكان فيهم من أكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وأما أبواه ياسر وسمية فقد قتلا وهما أول قتيلين في الاسلام فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال مالك ان عادوا لك فعدلهم بما قلت وما فعل أبو عمار أفضل لان فى الصبر على القتل اعزازا للاسلام (ذلك) اشارة الى الوعيد وهو لحوق الغضب والعذاب العظيم (بانهم استحبوا) آثروا (الحياة الدنيا على الآخرة) أى بسبب ايثارهم الدنيا على الآخرة (وأن الله لا يهدى القوم الكافرين) ماداموا مختارين للكفر (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) فلا يتدبرون ولا يصغون الى المواعظ ولا يبصرون طريق الرشاد (وأولئك هم الغافلون) أى الكاملون فى الغفلة لان الغفلة عن تدبر العواقب هى غاية الغفلة ومنتهاها (لا جرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون ثم ان ربك) ثم يدل على تباعد حال هؤلاء من حال

أوائك (للذين هاجروا) من مكة أى انه لهم لا عليهم يعني انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور (من بعد ما فتنوا) بالعذاب والاكراه على الكفر فتنوا شامى أى بعد ما عذبوا المؤمنين ثم أسلموا (ثم جاهدوا) المشركين بعد الهجرة (وصبروا) على الجهاد (ان ربك من بعدها) من بعد هذه الافعال وهى الهجرة والجهاد والصبر (لغفور) لهم لما كان منهم من التكلم بكلمة الكفر تقية (رحيم) لا يعذبهم على ما قالوا في حالة الاكراه (يوم تأتى) منصوب برحيم أو باذكر (كل نفس تجادل عن نفسها) وانما أضيفت النفس الى النفس لانه يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفى نقيضه غيره والنفس الجملة كما هى فالنفس الاولى هى الجملة والثانية عينها وذاتها فكأنه قيل يوم يأتى كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره كل يقول نفسى نفسى ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء أضلونا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا الآية والله ربنا ما كنا مشركين (وتوفى كل نفس ما عملت) تعطى جزاء عملها وافيا (وهم لا يظلمون) فى ذلك (وضرب الله مثلا قرية) أى جعل القرية التى هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن تكون فى قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها (كانت آمنة) من القتل والسبى (مطمئنة) لا يزعجها خوف لان الطمأنينة مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف (يأتيها رزقها رغدا) واسعا (من كل مكان) من كل بلد (فكفرت) أهلها (بأنعم الله) جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أوجمع نعم كبؤس وأبؤس (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) الاذاقة واللباس استعارتان والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار ووجه صحة ذلك ان الاذاقة جارية عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها فى البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ماغشى الانسان والتبس به من بعض الحوادث وأما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكأنه قيل فاذاقهم ماغشيهم من الجوع والخوف (ولقد جاءهم رسول منهم) أى محمد صلى الله عليه وسلم (فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون) أى فى حال التباسهم بالظلم قالوا انه القتل بالسيف يوم بدر روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه الى أهل مكة فى سنى القحط بطعام ففرق فيهم فقال الله لهم بعد أن أذاقهم الجوع (فكلوا مما رزقكم الله) على يدى محمد صلى الله عليه وسلم (حلالا طيبا) بدلا عما كنتم تأكلونه حراما خبيثا من الاموال المأخوذة بالغارات والغصوب وخبائث الكسوب (واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون) تطيعون أو ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم

عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم فقال (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) انما للحصر أى المحرم هذا دون البحيرة وأخواتها وباقى الآية قد مر تفسيره (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) هو منصوب بلا تقولوا أى ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة فى قولكم ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى الوحى أو الى القياس المستنبط منه واللام مثلها فى قولك لا تقولوا لما أحل الله هو حرام وقوله (هذا حلال وهذا حرام) بدل من الكذب ولك ان تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا أى ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام وهذا الوصف ألسنتكم الكذب أى ولا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به ألسنتكم ويجول فى أفواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى بلا برهان وقوله تصف ألسنتكم الكذب من فصيح الكلام جعل قولهم كانه عين الكذب فاذا نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولك وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر واللام فى (لتفتروا على الله الكذب) من التعليل الذى لا يتضمن معنى الغرض (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم) هو خبر مبتدا محذوف أى منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعذابها عظيم (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) فى سورة الانعام يعنى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية (وما ظلمناهم) بالتحريم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) فحرمنا عليهم عقوبة على معاصيهم (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) فى موضع الحال أى عملوا السوء جاهلين غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم ومرادهم لذة الهوى لا عصيان المولى (ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ان ربك من بعدها) من بعد التوبة (لغفور) بتكفير ما كثر واقبل من الجرائم (رحيم) بتوثيق ما وثقوا بعد من العزائم (ان ابراهيم كان أمة) انه كان وحده أمة من الامم لكماله فى جميع صفات الخير كقوله

ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفارا أو كان أمة بمعنى مأموم يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير (قانتا لله) هو القائم بما أمره الله وقال ابن مسعود رضى الله عنه ان معاذا كان أمة قانتا لله فقيل له انما هو ابراهيم عليه السلام فقال الامة الذى يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وقال عمر رضى الله عنه لو كان معاذ حيا لاستخلفته فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبو عبيدة أمين هذه الامة ومعاذ أمة لله قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة الا المرسلون (حنيفا) مائلا عن الاديان الى ملة الاسلام (ولم يك من المشركين) نفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش لزعمهم انهم على ملة أبيهم ابراهيم وحذف النون للتشبيه بحروف اللين (شاكرا لانعمه) روى انه كان لا يتغدى الا مع ضيف

فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة فى صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له أن بهم جذاما فقال الآن وجبت مؤاكلتكم شكرا لله على انه عافانى وابتلاكم (اجتباه) اختصه واصطفاه للنبوة (وهداه الى صراط مستقيم) الى ملة الاسلام (وآتيناه فى الدنيا حسنة) نبوة وأموالا وأولادا أوتنويه الله بذكره فكل أهل دين يتولونه أوقول المصلى منا كما صليت على ابراهيم (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) لمن أهل الجنة (ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) فى ثم تعظيم منزلة نبينا عليه السلام واجلال محله والايذان بان أشرف ما أوتى خليل الله من الكرامة اتباع رسولنا ملته (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) أى فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) روى أن موسى عليه السلام أمرهم أن يجعلوا فى الاسبوع يوما للعبادة وأن يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذى فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم فى السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم اختاروا عليه الجمعة فاذن الله لهم فى السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فاطاع أمر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون أولئك وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيجازى كل واحد من الفريقين بما هو أهله (ادع الى سبيل ربك) الى الاسلام (بالحكمة) بالمقالة الصحيحة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة (والموعظة الحسنة) وهى التى لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها أو بالقرآن أى ادعهم بالكتاب الذى هو حكمة وموعظة حسنة والحكمة المعرفة بمراتب الافعال والموعظة الحسنة أن يخلط الرغبة بالرهبة والانذار بالبشارة (وجادلهم بالتى هى أحسن) بالطريقة التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة أو بما يوقظ القلوب ويعظ النفوس ويجلو العقول وهو رد على من يأبى المناظرة فى الدين (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أى هو أعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) سمى الفعل الاول عقوبة والعقوبة هى الثانية لازدواج الكلام كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فالثانية ليست بسيئة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل أونحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه روى ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم فرأى النبى عليه السلام حمزة مبقور البطن فقال أما والذى أحلف به لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما أراده ولا خلاف فى تحريم المثلة لورود الاخبار بالنهى عنها حتى بالكلب العقور (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) الضمير فى لهو يرجع الى مصدر صبرتم والمراد بالصابرين المخاطبون أى ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله عليهم لانهم صابرون على الشدائد ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(واصبر) أنت فمزم عليه بالصبر (وماصبرك الابالله) أى بتوفيقه وتثبيته (ولاتحزن عليهم) على الكفار ان لم يؤمنوا وعلى المؤمنين ومافعل بهم الكفار فانهم وصلوا الى مطلوبهم (ولاتك في ضيق مما يمكرون) ضيق مكي والضيق تخفيف الضيق أى فى أمر ضيق ويجوز أن يكونا مصدرين كالقيل والقول والمعنى ولا يضيقن صدرك من مكرهم فانه لاينفذ عليك (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) أى هو ولى الذين اجتنبوا السيآت وولى العاملين بالطاعات قيل من اتقى فى أفعاله وأحسن فى أعماله كان الله معه فى أحواله ومعينه نصرته فى المأمور وعصمته فى المحظور

(سورة بنى اسرائيل مكية وهى مائة وعشر آيات بصرى واحدى عشرة آية كوفى وشامى)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبحان) تنزيه الله عن السوء وهو علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره أسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ (الذى أسرى بعبده) محمد صلى الله عليه وسلم وسرى وأسرى لغتان (ليلا) نصب على الظرف وقيده بالليل والاسراء لا يكون الا بالليل للتأكيد أوليدل بلفظ التنكير على تقليل مدة الاسراء وأنه أسرى به فى بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة أربعين ليلة (من المسجد الحرام) قيل أسرى به من دار أم هانئ بنت أبى طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس رضى الله عنهما الحرم كله مسجد وقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فقد قال عليه السلام بينما أنا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ أتانى جبريل بالبراق وقد عرج بى الى السماء فى تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس وقد أخبر قريشا عن عيرهم وعدد جمالها وأحوالها وأخبرهم أيضا بما رأى فى السماء من العجائب وأنه لقى الانبياء عليهم السلام وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى وكان الاسراء قبل الهجرة بسنة وكان فى اليقظة وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت والله مافقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية مثله وعلى الاول الجمهور اذ لا فضيلة للحالم ولا مزية للنائم (الى المسجد الاقصى) هو بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (الذى باركنا حوله) يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء عليهم السلام ومهبط الوحى وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة (لنريه) أى محمدا عليه السلام (من آياتنا) الدالة على وحدانية الله وصدق نبوته برؤيته السموات ومافيها من الآيات (انه هو السميع) للاقوال (البصير) بالافعال ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل أسرى ثم باركنا ثم انه هو وهى طريقة الالتفات التى هى من طرق البلاغة (وآتينا موسى الكتاب وجعلناه) أى الكتاب وهو التوراة (هدى لبنى اسرائيل أن لا تتخذوا) أى لا تتخذوا وبالياء أبو عمرو

أى لئلا يتخذوا (من دونى وكيلا) ربا تكلون اليه أموركم (ذرية من حملنا مع نوح) نصب على الاختصاص أو على النداء فيمن قرأ لا تتخذوا بالتاء على النهى أى قلنا لهم لا تتخذوا من دونى وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح (انه) ان نوحا عليه السلام (كان عبدا شكورا) فى السراء والضراء والشكر مقابلة النعمة بالثناء على المنعم وروى أنه كان لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس الا قال الحمد لله وأنتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله آباؤكم اسوتهم وآية رشد الابناء صحة الاقتداء بسنة الآباء وقد عرفتم حال الآباء هنالك فكونوا أيها الابناء كذلك (وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض) وأوحينا اليهم وحيا مقضيا أى مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون فى الارض لا محالة والكتاب التوراة ولتفسدن جواب قسم محذوف أوجرى القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال وأقسمنا لتفسدن فى الارض (مرتين) أولاهما قتل زكرياء عليه السلام وحبس أرمياء عليه السلام حين أنذرهم سخط الله والاخرى قتل يحيى بن زكرياء عليهما السلام وقصد قتل عيسى عليه السلام (ولتعلن علوا كبيرا) ولتستكبرن عن طاعة الله من قوله ان فرعون علا فى الارض والمراد به البغى والظلم وغلبة المفسدين على المصلحين (فاذا جاء وعد أولاهما) أى وعد عقاب أولاهما (بعثنا عليكم) سلطنا عليكم (عبادا لنا أولى بأس شديد) أشداء فى القتال يعنى سنجاريب وجنوده أو بختنصر أو جالوت قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفا (فجاسوا خلال الديار) ترددوا للغارة فيها قال الزجاج الجوس طلب الشئ بالاستقصاء (وكان وعدا مفعولا) وكان وعد العقاب وعدا لابد ان يفعل (ثم رددنا لكم الكرة) أى الدولة والغلبة (عليهم) على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هى قتل بختنصر واستنقاذ بنى اسرائيل أسراهم وأموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل أعدنا لكم الدولة بملك طالوت وقتل داود جالوت (وأمددناكم باموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) مما كنتم وهو تمييز جمع نفر وهو من ينفر مع الرجل من قومه (ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها) قيل اللام بمعنى على كقوله وعليها ما اكتسبت والصحيح أنها على بابها لان اللام للاختصاص والعامل مختص بجزاء عمله حسنة كانت أو سيئة يعنى ان الاحسان والاساءة تختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضرر الى غيركم وعن على رضى الله عنه ما أحسنت الى أحد ولا أسأت اليه وتلاها (فاذا جاء وعد الآخرة) وعد المرة الآخرة بعثناهم (ليسوؤا) أى هؤلاء (وجوهكم) وحذف لدلالة ذكره أولا عليه أى ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا ليسوء شامى وحمزة وأبو بكر والضمير لله عز وجل أو للوعد أو للبعث لنسوء على (وليدخلوا المسجد) بيت المقدس (كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا) ما علوا مفعول ليتبروا أى ليهلكوا كل شئ غلبوه واستولوا عليه أو بمعنى مدة علوهم (عسى ربكم أن يرحمكم) بعد المرة الثانية ان تبتم توبة

أخرى وانزجرتم عن المعاصى (وان عدتم) مرة ثالثة (عدنا) الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما سلط عليهم المؤمنون الى يوم القيامة (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) محبسا يقال للسجن محصر وحصير (ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) للحالة التى هى أقوم الحالات وأسدها وهى توحيد الله والايمان برسله والعمل بطاعته اوللملة اوللطريقة (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات) ويبشر حمزة وعلى (أن لهم) بان لهم (أجرا كبيرا) اى الجنة (وأن الذين) وبأن الذين (لايؤمنون بالآخرة أعتدنا) اى أعددنا قلبت تاء (لهم عذابا أليما) يعنى النار والآية ترد القول بالمنزلة بين المنزلتين حيث ذكر المؤمنين وجزاءهم والكافرين وجزاءهم ولم يذكر الفسقة (ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير) اى ويدعوالله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله وولده كما يدعوالهم بالخيراو يطلب النفع العاجل وان قل بالضرر الآجل وان جل (وكان الانسان عجولا) يتسرع الى طلب كل مايقع فى قلبه ويخطر بباله لايتأنى فيه تأنى المتبصر واريد بالانسان الكافر وانه يدعوه بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير اذامسته الشدة وكان الانسان عجولا يعنى ان العذاب آتيه لامحالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فأجيب فضربت عنقه صبرا وسقوط الواو من يدع فى الخط على موافقة اللفظ (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) اى الليل والنهار آيتان فى أنفسهما فتكون الاضافة فى آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود اى فمحونا الآية التى هى الليل وجعلنا الآية التى هى النهار مبصرة او وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل التى هى القمر حيث لم يخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى الاشياء به رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر فى ضوئها كل شئ (لتبتغوا فضلا من ربكم) لتتوصلوا ببياض النهار الى التصرف فى معايشكم (ولتعلموا) باختلاف الجديدين (عدد السنين والحساب) يعنى حساب الآجال ومواسم الاعمال ولو كانا مثلين لما عرف الليل من النهار ولا استراح حراص المكتسبين والتجار (وكل شئ) مما تفتقرون اليه فى دينكم ودنياكم (فصلناه تفصيلا) بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم وماتركنا لكم حجة علينا (وكل انسان ألزمناه طائره) عمله (فى عنقه) يعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة او الغل للعنق لايفك عنه (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه) هو صفة لكتابا يلقاه شامى (منشورا) حال من يلقاه يعنى غير مطوى لتمكنه قراءته اوهما صفتان للكتاب ونقول له (اقرأ كتابك) اى كتاب أعمالك وكل يبعث قارئا (كفى بنفسك اليوم عليك) الباء زائدة اى كفى نفسك (حسيبا) تمييز وهو بمعنى حاسب وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا او بمعنى الكافى وضع موضع الشهيد فعدى بعلى لان الشاهد يكفى المدعى ما أهمه

وانما

وانما ذكر حسيبا لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير اذ الغالب أن يتولى هذه الامور الرجال فكانه قيل كفى نفسك رجلا حسيبا أوتؤول النفس بالشخص (من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) أي فلها ثواب الاهتداء وعليها وبال الضلال (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس أخرى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وما صح منا ان نعذب قوما عذاب استئصال في الدنيا الا بعد أن نرسل اليهم رسولا يلزمهم الحجة (واذا أردنا أن نهلك قرية) أي أهل قرية (أمرنا مترفيها) متنعميها وجبابرتها بالطاعة عن أبي عمرو والزجاج (ففسقوا فيها) أي خرجوا عن الامر كقولك أمرته فعصى أوأمرنا كثرنا دليله قراءة يعقوب آمرنا ومنه الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة أي كثيرة النسل (فحق عليها القول) فوجب عليها الوعيد (فدمرناها تدميرا) فاهلكناها اهلاكا (وكم) مفعول (أهلكنا من القرون) بيان لكم (من بعد نوح) يعني عادا وثمود وغيرهما (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا) وان أخفوها في الصدور (بصيرا) وان أرخوا عليها الستور (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء) لا ما يشاء (لمن نريد) بدل من له باعادة الجار وهو بدل البعض من الكل اذ الضمير يرجع الى من أي من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد المعجل بمشيئته والمعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة وأما المؤمن التقي فقد اختار غنى الآخرة فان أوتي حظا من الدنيا فبها والا فربما كان الفقر خيرا له (ثم جعلنا له جهنم) في الآخرة (يصلاها) يدخلها (مذموما) ممقوتا (مدحورا) مطرودا من رحمة الله (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها) هو مفعول به أو حقها من السعي وكفاءها من الاعمال الصالحة (وهو مؤمن) مصدق لله في وعده ووعيده (فأولئك كان سعيهم مشكورا) مقبولا عند الله مثابا عليه عن بعض السلف من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا الآية فانه شرط فيها ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الآخرة والسعي فيها كما ف والايمان الثابت (كلا) كل واحد من الفريقين والتنوين عوض عن المضاف اليه وهو منصوب بقوله (نمد هؤلاء) بدل من كلا أي نمد هؤلاء (وهؤلاء) أي من أراد العاجلة ومن أراد الآخرة (من عطاء ربك) رزقه ومن تتعلق بنمد والعطاء اسم للمعطى أي نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مددا للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل (وما كان عطاء ربك محظورا) ممنوعا عن عباده وان عصوا (أنظر) بعين الاعتبار (كيف فضلنا بعضهم على بعض) في المال والجاه والسعة والكمال (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) روي ان قوما من الاشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق

على أبي سفيان فقال سهيل بن عمرو وانما أتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فاسرعوا وأبطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم في الجنة أكبر (لاتجعل مع الله الها آخر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته (فتقعد مذموما مخذولا) فتصير جامعا على نفسك الذم والخذلان وقيل مشتوما بالاهانة محروما عن الاعانة اذ الخذلان ضد النصر والعون دليله قوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده حيث ذكر الخذلان بمقابلة النصر (وقضى ربك) وأمر أمرا مقطوعا به (ألا تعبدوا الا إياه) أن مفسرة ولا تعبدوا نهي أو بأن لا تعبدوا (وبالوالدين احسانا) وأحسنوا بالوالدين احسانا أو بأن تحسنوا بالوالدين احسانا (إما يبلغن عندك الكبر) إما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا لها ولذا دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو أفردت ان لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه (أحدهما) فاعل يبلغن وهو في قراءة حمزة وعلي يبلغان بدل من ألف الضمير الراجع الى الوالدين (أو كلاهما) عطف على أحدهما فاعلا وبدلا (فلا تقل لهما أف) مدني وحفص أف مكي وشامي أف غيرهم وهو صوت يدل على تضجر فالكسر على أصل التقاء الساكنين والفتح للتخفيف والتنوين لارادة التنكير أي أتضجر تضجرا وتركه لقصد التعريف أي أتضجر التضجر المعلوم (ولا تنهرهما) ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر اخوان (وقل لهما) بدل التأفيف والنهر (قولا كريما) جميلا لينا كما يقتضيه حسن الادب أو هو أن يقول يا أبتاه يا أماه ولا يدعوهما بأسمائهما فانه من الجفاء ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلني أبو بكر كذا وفائدة عندك انهما اذا صارا كلا على ولدهما ولا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك أشق عليه فهو مأمور بان يستعمل معهما لين الخلق حتى لا يقول لهما اذا أضجره ما يستقذر منهما أف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الاحسان اليهما بتوحيده ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومع أحوال لا يكاد يصبر الانسان معها (واخفض لهما جناح الذل) أي اخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فاضافه الى الذل كما أضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل (من الرحمة) من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان أفقر خلق الله اليهما بالامس وقال الزجاج وألن جانبك متذللا لهما من مبالغتك في الرحمة لهما (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بان يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك والمراد بالخطاب غيره عليه السلام والدعاء مختص بالابوين المسلمين وقيل اذا كانا كافرين له ان يسترحم لهما بشرط الايمان وان يدعو الله لهما بالهداية وعن النبي صلى الله عليه

وسلم رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروى يفعل البار ما شاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء أن يفعل فلن يدخل الجنة وعنه عليه السلام اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة يوجد ريحها من مسيرة ألف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبر لله رب العالمين (ربكم أعلم بما في نفوسكم) بما في ضمائركم من قصد البر الى الوالدين ومن النشاط والكرامة في خدمتهما (ان تكونوا صالحين) قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر هنة تؤدي الى أذاهما ثم أبتم الى الله واستغفرتم منها (فانه كان للاوابين غفورا) الاواب الذي اذا أذنب بادر الى التوبة فجاز أن يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على أبويه التائب من جنايته لوروده على أثره (وآت ذا القربى) منك (حقه) أي النفقة اذا كانوا محارم فقراء (والمسكين وابن السبيل) أي وآت هؤلاء حقهم من الزكاة (ولا تبذر تبذيرا) ولا تسرف اسرافا قيل التبذير تفريق المال في غير الحل والمحل فعن مجاهد لو أنفق مدا في باطل كان تبذيرا وقد أنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أمثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة لانه لا شر من الشيطان أو هم اخوانهم وأصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف (وكان الشيطان لربه كفورا) فما ينبغي أن يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله (وإما تعرضن عنهم) وان أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا) أي وان أعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو أن يفتح لك فسمي الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر أي دعاء فيه يسر وابتغاء مفعول له أو مصدر في موضع الحال وترجوها حال (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) كل نصب على المصدر لاضافته اليه وهذا تمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف أمر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير (فتقعد ملوما) فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضي عنده وعند الناس يقول الفقير أعطى فلانا وحرمني ويقول الغني ما يحسن تدبير أمر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت (محسورا) منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا أثر فيه أثرا بليغا أو عاريا من حسر رأسه وقد خاطرت مسلمة ضرتها اليهودية في انه يعني محمدا عليه السلام أجود من موسى عليه السلام فبعثت ابنتها تسأله قميصه الذي عليه فدفعه وقعد عريانا فاقيمت الصلاة فلم يخرج للصلاة فنزلت ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بان ذلك ليس لهوان منك عليه

ولا لبخل به عليك ولكن لان بسط الارزاق وقدرها مفوض الى الله تعالى فقال (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء) فليس البسط اليك (ويقدر) أى هو يضيق فلا لوم عليك (انه كان بعباده خبيرا) بمصالحهم فيمضيها (بصيرا) بحوائجهم فيقضيها (ولا تقتلوا أولادكم) قتلهم أولادهم وأدهم بناتهم (خشية املاق) فقر (نحن نرزقهم واياكم) نهاهم عن ذلك وضمن أرزاقهم (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) اثما عظيما يقال خطئ خطأ كاثم اثما وخطأ وهو ضد الصواب اسم من أخطأ وقيل هو والخطأ كالحذر والحذر خطاء بالمد والكسر مكى (ولا تقربوا الزنا) القصر فيه أكثر والمد لغة وقد قرئ به وهو نهى عن دواعى الزنا كالمس والقبلة ونحوهما ولو أريد النهى عن نفس الزنا لقال ولا تزنوا (انه كان فاحشة) معصية مجاوزة حد الشرع والعقل (وساء سبيلا) وبئس طريقا طريقه (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) أى بارتكاب ما يبيح الدم (ومن قتل مظلوما) غير مرتكب ما يبيح الدم (فقد جعلنا لوليه سلطانا) تسلطا على القاتل فى الاقتصاص منه (فلا يسرف فى القتل) الضمير للولى أى فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة أهل الجاهلية أو الاسراف المثلة والضمير للقاتل الاول فلا تسرف حمزة وعلى على خطاب الولى أو قاتل المظلوم (انه كان منصورا) الضمير للولى أى حسبه أن الله قد نصره بأن أوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك أو للمظلوم أى الله ناصره حيث أوجب القصاص بقتله وينصره فى الآخرة بالثواب أو للذى يقتله الولى بغير حق ويسرف فى قتله فانه كان منصورا بايجاب القصاص على المسرف وظاهر الآية يدل على ان القصاص يجرى بين الحر والعبد وبين المسلم والذمى لان أنفس أهل الذمة والعبيد داخلة فى الآية لكونها محرمة (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن) بالخصلة والطريقة التى هى أحسن وهى حفظه وتثميره (حتى يبلغ أشده) أى ثمانى عشرة سنة (وأوفوا بالعهد) بأوامر الله تعالى ونواهيه (إن العهد كان مسؤلا) مطلوبا يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويفى به او أن صاحب العهد كان مسؤلا (وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس) بكسر القاف حمزة وعلى وحفص وهو كل ميزان صغيرا أو كبير من موازين الدراهم وغيرها وقيل هو القرسطون أى القبان (المستقيم) المعتدل (ذلك خير) فى الدنيا (وأحسن تأويلا) عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤل اليه (ولا تقف ما ليس لك به علم) ولا تتبع ما لم تعلم أى لا تقل رأيت وما رأيت وسمعت وما سمعت وعن ابن الحنفية لا تشهد بالزور وعن ابن عباس لا ترم أحدا بما لا تعلم ولا يصح التثبت به لمبطل الاجتهاد لان ذلك نوع من العلم فان علمتموهن مؤمنات وأقام الشارع غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به كما فى الشهادات ولنافي العمل بخبر الواحد لما ذكرنا (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا) أولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد لان اولئك كما يكون اشارة الى العقلاء يكون اشارة الى غيرهم كقول جرير

ذم المنازل بعد منزلة اللوى ✡ والعيش بعد أولئك الايام

وعنه فى موضع الرفع بالفاعلية أى كل واحد منها كان مسؤلا عنه فمسؤل مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب فى غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت مالم يحل لك سماعه ولم نظرت الى مالم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على مالم يحل لك العزم عليه كذا فى الكشاف وفيه نظر لبعضهم لان الجار والمجرور انما يقومان مقام الفاعل اذا تأخرا عن الفعل فاما اذا تقدما فلا (ولا تمش فى الارض مرحا) هو حال أى ذا مرح (انك لن تخرق الارض) لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطأتك (ولن تبلغ الجبال طولا) بتطاولك وهو تهكم بالمختال أولن تحاذيها قوة وهو حال من الفاعل أو المفعول (كل ذلك كان سيئه) كوفى وشامى على اضافة سيئ الى ضمير كل سيئة غيرهم (عند ربك مكروها) ذكر مكروها لان السيئة فى حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه ألا تراك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فان قلت الخصال المذكورة بعضها سيئ وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالاضافة أى ما كان من المذكور سيئا كان عند الله مكروها فما وجه قراءة من قرأ سيئة قلت كل ذلك احاطة بما نهى عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة (ذلك) اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله إلها آخر الى هذه الغاية (مما أوحى اليك ربك من الحكمة) مما يحكم العقل بصحته وتصلح النفس باسوته (ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا) مطرودا من الرحمة عن ابن عباس رضى الله عنهما هذه الثمانى عشرة آية كانت فى ألواح موسى عليه السلام أولها لا تجعل مع الله إلها آخر وآخرها مدحورا ولقد جعلت فاتحتها وخاتمتها النهى عن الشرك لان التوحيد رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمة وان بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم ثم خاطب الذين قالوا الملائكة بنات الله بقوله (أفأصفاكم ربكم بالبنين) الهمزة للانكار يعنى أفخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الاولاد وهم البنون (واتخذ من الملائكة إناثا) واتخذ أدونهم وهى البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم فالعبيد لا يؤثرون بأجود الاشياء وأصفاها ويكون أردؤها وأدونها للسادات (انكم لتقولون قولا عظيما) حيث أضفتم اليه الاولاد وهى من خواص الاجسام ثم فضلتم عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون (ولقد صرفنا فى هذا القرآن) أى التنزيل والمراد ولقد صرفناه أى هذا المعنى فى مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم (ليذكروا) وبالتخفيف حمزة وعلى أى كررناه ليتعظوا (وما يزيدهم الا نفورا) عن الحق وكان الثورى اذا قرأها يقول زادنى لك خضوعا ما زاد أعداءك نفورا (قل لو كان معه) مع الله (آلهة كما تقولون) وبالياء مكى وحفص (اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا) يعنى لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما

يفعل الملوك بعضهم مع بعض أو لتقربوا اليه كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة واذا دالة على ان مابعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو (سبحانه وتعالى عما يقولون) وبالتاء حمزة وعلى (علوا) أى تعاليا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة (كبيرا) وصف العلو بالكبر مبالغة فى معنى البراءة والبعد مما وصفوه به (يسبح) وبالتاء عراقى غير أبى بكر (له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده) أى يقول سبحان الله وبحمده عن السدى قال عليه السلام مااصطيد حوت في البحر ولا طائر يطير الا بما يضيع من تسبيح الله تعالى (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) لاختلاف اللغات أو لتعسر الادراك أو سبب لتسبيح الناظر اليه والدال على الخبير كفاعله والوجه الاول (انه كان حليما) عن جهل العباد (غفورا) لذنوب المؤمنين (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) ذا ستر أو حجابا لا يرى فهو مستور (وجعلنا على قلوبهم أكنة) جمع كنان وهو الذى يستر الشئ (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) ثقلا يمنع عن الاستماع (واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة فهو مصدر سد مسد الحال أصله يحد وحده بمعنى واحدا (ولوا على أدبارهم) رجعوا على أعقابهم (نفورا) مصدر بمعنى التولية أو جمع نافر كقاعد وقعود أى يحبون أن تذكر معه آلهتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا (نحن أعلم بما يستمعون به) أى نحن أعلم بالحال أو الطريقة التى يستمعون القرآن به فالقرآن هو المستمع وهو محذوف وبه حال وبيان لما أى يستمعون القرآن هازئين لا جادين والواجب عليهم ان يستمعوه جادين (اذ يستمعون اليك) نصب بأعلم أى أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون (واذهم نجوى) وبما يتناجون به اذهم ذوو نجوى (اذ يقول الظالمون) بدل من اذهم (ان تتبعون الا رجلا مسحورا) سحر فجن (انظر كيف ضربوا لك الامثال) مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون (فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) أى فضلوا فى جميع ذلك ضلال من يطلب فى التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير فى أمره لا يدرى ما يصنع (وقالوا) أى منكرو البعث (أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) أى مجددا وخلقا حال أى مخلوقين (قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدوركم) أى السموات والارض فانها تكبر عندكم عن قبول الحياة (فسيقولون من يعيدنا قل) يعيدكم (الذى فطركم أول مرة) والمعنى انكم تستبعدون أن يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحياة بعدما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض أجزاء الحى بل هى عمود خلقه الذى يبنى عليه سائره فليس ببدع أن يردها الله بقدرته الى الحالة الاولى ولكن لو كنتم أبعد شئ من الحياة وهو أن تكونوا حجارة أو حديدا لكان قادرا على أن يردكم الى حال الحياة (فسينغضون اليك رؤسهم) فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء (ويقولون متى

هو) أى البعث استبعادا له ونفيا (قل عسى أن يكون قريبا) أى هو قريب وعسى للوجوب (يوم يدعوكم) الى المحاسبة وهو يوم القيامة (فتستجيبون بحمده) أى تجيبون حامدين والباء للحال عن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك (وتظنون ان لبثتم الا قليلا) أى لبثا قليلا أو زمانا قليلا فى الدنيا أو فى القبر (وقل لعبادى) وقل للمؤمنين (يقولوا) للمشركين الكلمة (التى هى أحسن) وألين ولا يخاشنوهم وهى أن يقولوا يهديكم الله (ان الشيطان ينزغ بينهم) يلقى بينهم الفساد ويغرى بعضهم على بعض ليوقع بينهم المشاقة والنزغ ايقاع الشر وافساد ذات البين وقرأ طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) ظاهر العداوة أو فسر التى هى أحسن بقوله (ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم) بالهداية والتوفيق (أوان يشأ يعذبكم) بالخذلان أى يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من أهل النار وانكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض (وما أرسلناك عليهم وكيلا) حافظا لاعمالهم وموكولا اليك أمرهم وانما أرسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر أصحابك بالمداراة (وربك أعلم بمن فى السموات والارض) وبأحوالهم وبكل ما يستأهل كل واحد منهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) فيه اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (وآتينا داود زبورا) دلالة على وجه تفضيله وانه خاتم الانبياء وان أمته خير الامم لان ذلك مكتوب فى زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون وهم محمد وأمته ولم يعرف الزبور هنا وعرفه فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور لانه كالعباس وعباس والفضل وفضل (قل ادعوا الذين زعمتم) انها آلهتكم (من دونه) من دون الله وهم الملائكة أو عيسى وعزير أو نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا (فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) أى ادعوهم فهم لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب ولا أن يحولوه من واحد الى آخر (أولئك) مبتدأ (الذين يدعون) صفة أى يدعونهم آلهة أو يعبدونهم والخبر (يبتغون الى ربهم الوسيلة) يعنى ان آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة وهى القربة الى الله عز وجل (أيهم) بدل من واو يبتغون وأى موصولة أى يبتغى من هو (أقرب) منهم الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب أو ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا) حقيقا بأن يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبى مرسل فضلا عن غيرهم (وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا) قبل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة (كان ذلك فى الكتاب) فى اللوح المحفوظ (مسطورا) مكتوبا وعن

مقاتل وجدت في كتب الضحاك في تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف وأما خراسان فعذابها ضروب وأما بلخ فتصيبهم هدة فيهلك أهلها واما بدخشان فيخربها أقوام وأما ترمذ فأهلها يموتون بالطاعون وأما صغانيان الى واشجرد فيقتلون بقتل ذريع وأما سمرقند فيغلب عليها بنو قنطوراء فيقتلون أهلها قتلا ذريعا وكذا فرغانة والشاش واسبيجاب وخوارزم وأما بخارى فهي أرض الجبابرة فيموتون قحطا وجوعا وأما مرو فيغلب عليها الرمل ويهلك بها العلماء والعباد وأما هراة فيمطرون بالحيات فتأكلهم أكلا وأما نيسابور فيصيب أهلها رعد وبرق وظلمة فيهلك أكثرهم وأما الري فيغلب عليها الطبرية والديلم فيقتلونهم وأما ارمينية وأذربيجان فيهلكها سنابك الخيول والجيوش والصواعق والرواجف وأما همذان فالديلم يدخلها ويخربها وأما حلوان فتمر بها ريح ساكنة وهم نيام فيصبح أهلها قردة وخنازير ثم يخرج رجل من جهينة فيدخل مصر فويل لاهلها ولاهل دمشق وويل لاهل افريقية وويل لاهل الرملة ولا يدخل بيت المقدس وأما سجستان فيصيبهم ريح عاصف أياما ثم هدة تأتيهم ويموت فيها العلماء وأما كرمان وأصبهان وفارس فيأتيهم عدو وصاح واصيحة تخلع القلوب وتموت الابدان (وما منعنا أن أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون) استعير المنع لترك ارسال الآيات وان الاولى مع صلتها في موضع النصب لانها مفعول ثان لمنعنا وان الثانية مع صلتها في موضع الرفع لانها فاعل منعنا والتقدير وما منعنا ارسال الآيات الا تكذيب الاولين والمراد الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك وسنة الله في الامم أن من اقترح منهم آية فأجيب اليها ثم لم يؤمن أن يعاجل بعذاب الاستئصال والمعنى وما منعنا عن ارسال ما يقترحونه من الآيات الا أن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك وعذبوا العذاب المستأصل وقد حكمنا أن نؤخر أمر من بعثت اليهم الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فأهلكوا واحدة وهي ناقة صالح عليه السلام لان آثار هلاكهم قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم فقال (وآتينا ثمود الناقة) باقتراحهم (مبصرة) آية بينة (فظلموا بها) فكفروا بها (وما نرسل بالآيات) ان أراد بها الآيات المقترحة فالمعنى لانرسلها (الا تخويفا) من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان أراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الآخرة وهو مفعول له (واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس) واذكر اذ أوحينا اليك ان ربك أحاط بقريش علما وقدرة فكلهم في قبضته فلا تبال بهم وامض لامرك وبلغ ما أرسلت به أو بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك

قوله

قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد فجعله كأن قد كان ووجد فقال أحاط بالناس على سننه فى اخباره واول الله تعالى أراه مصارعهم فى منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكأنى أنظر الى مصارع القوم وهو يومئ الى الارض ويقول هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر بدر وما أرى فى منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويسخرون ويستعجلون به استهزاء (والشجرة الملعونة فى القرآن) أى وما جعلنا الشجرة الملعونة فى القرآن الا فتنة للناس فانهم حين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجرة وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ذلك فانه لا يمتنع أن يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار فوبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك يتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت فى النار فذهب الوسخ وبقى المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر فلا يضرها وخلق فى كل شجرة نارا فلا تحرقها فجاز أن يخلق فى النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان الآيات انما ترسل تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما أثر فيهم ثم قال (ونخوفهم) أى بمخاوف الدنيا والآخرة (فما يزيدهم) التخويف (الا طغيانا كبيرا) فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هى الاسراء والفتنة ارتداد من استعظم ذلك وبه تعلق من يقول كان الاسراء فى المنام ومن قال كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وانما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها استبعادا منهم كما سمى أشياء بأساميها عند الكفرة كقوله فراغ الى آلهتهم أين شركائى أوهى رؤيا انه سيدخل مكة والفتنة الصد بالحديبية فان قلت ليس فى القرآن ذكر لعن شجرة الزقوم قلت معناه والشجرة الملعون آكلها وهم الكفرة لانه قال ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالؤن منها البطون فوصفت بلعن أهلها على المجاز ولان العرب تقول لكل طعام مكره وضار ملعون ولان اللعن هو الابعاد من الرحمة وهى فى أصل الجحيم فى أبعد مكان من الرحمة (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) هو تمييز أو حال من الموصول والعامل فيه أأسجد على أأسجد له وهو طين أى اصله طين (قال أرأيتك هذا الذى) الكاف لا موضع لها لانها ذكرت للخطاب تأكيدا هذا مفعول به والمعنى اخبرنى عن هذا الذى (كرمت على) أى فضلته لم كرمته على وأنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فحذف ذلك اختصارا لدلالة ما تقدم عليه ثم ابتدأ فقال (لئن أخرتنى) وبلا ياء كوفى وشامى واللام موطئة للقسم المحذوف (الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته) لاستأصلنهم باغوائهم (الا قليلا) وهم المخلصون قيل من كل ألف واحد وانما علم الملعون ذلك بالاعلام أو لانه رأى انه خلق شهوانى (قال

اذهب) ليس من الذهاب الذى هو ضد المجئ وانما معناه امض لشأنك الذى اخترته خذلانا وتخلية ثم عقبه بذكر ما جره سوء اختياره فقال (فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) والتقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم وانتصب (جزاء موفورا) أى موفرا باضمار تجازون (واستفزز) استزل أو استخف استفزه أى استخفه والفز الخفيف (من استطعت منهم بصوتك) بالوسوسة أو بالغناء أو بالمزمار (وأجلب عليهم) اجمع وصح بهم من الجلبة وهو الصياح (بخيلك ورجلك) بكل راكب وماش من أهل العيث فالخيل الخيالة والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب ورجلك حفص على أن فعلا بمعنى فاعل كتعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وهذا لان أقصى ما يستطاع فى طلب الامور الخيل والرجل وقيل يجوز أن يكون لابليس خيل ورجال (وشاركهم فى الاموال والاولاد) قال الزجاج كل معصية فى مال وولد فابليس شريكهم فيها كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والانفاق فى الفسوق والاسراف ومنع الزكاة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام والتسمية بعبد العزى وعبد شمس (وعدهم) المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وايثار العاجل على الآجل ونحو ذلك (وما يعدهم الشيطان الاغرورا) هو تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب (ان عبادى) الصالحين (ليس لك عليهم سلطان) يد بتبديل الايمان ولكن بتسويل العصيان (وكفى بربك وكيلا) لهم يتوكلون به فى الاستعاذة منك أو حافظا لهم عنك والكل أمر تهديد فيعاقب به أو اهانة أى لا يخل ذلك بملكى (ربكم الذى يزجى) يجرى ويسير (لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله) يعنى الربح فى التجارة (انه كان بكم رحيما واذا مسكم الضر فى البحر) أى خوف الغرق (ضل من تدعون الا إياه) ذهب عن أوهامكم كل من تدعونه فى حوادثكم الا إياه وحده فانكم لا تذكرون سواه أو ضل من تدعون من الآلهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده الذى ترجونه على الاستثناء المنقطع (فلما نجاكم الى البر اعرضتم) عن الاخلاص بعد الخلاص (وكان الانسان) أى الكافر (كفورا) للنعم (أفأمنتم) الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض (أن يخسف بكم جانب البر) انتصب جانب بيخسف مفعولا به كالارض فى قوله فخسفنا به وبداره الارض وبكم حال والمعنى أن يخسف جانب البر أى يقلبه وأنتم عليه والحاصل ان الجوانب كلها فى قدرته سواء وله فى كل جانب برا كان أو بحرا سبب من أسباب الهلاك ليس جانب البحر وحده مختصا به بل ان كان الغرق فى جانب البحر ففى جانب البر الخسف وهو تغييب تحت التراب والغرق تغييب تحت الماء فعلى العاقل أن يستوى خوفه من الله فى جميع الجوانب وحيث كان (أو يرسل عليكم حاصبا) هى الريح التى تحصب أى ترمى بالحصباء يعنى أو ان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء (ثم لا تجدوا

لكم وكيلا) يصرف ذلك عنكم (أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم) أي أم أمنتم أن يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم الى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فأعرضتم فينتقم منكم بأن يرسل عليكم (قاصفا من الريح) وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد أو هو الكاسر للفلك (فيغرقكم بما كفرتم) بكفرانكم النعمة وهو اعراضكم حين نجاكم (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) مطالبا من قوله فاتباع بالمعروف أي مطالبة والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا يجدوا أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها أن نخسف أو نرسل أن نعيدكم فنرسل فنغرقكم بالنون مكي وأبو عمرو (ولقد كرمنا بني آدم) بالعقل والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير أمر المعاش والمعاد والاستيلاء وتسخير الاشياء وتناول الطعام بالايدي وعن الرشيد أنه أحضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف رحمه الله تعالى فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فأحضرت الملاعق فردها وأكل بأصابعه (وحملناهم في البر) على الدواب (والبحر) على السفن (ورزقناهم من الطيبات) باللذيذات أو بما كسبت أيديهم (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) أي على الكل كقوله وأكثرهم كاذبون قال الحسن أي كلهم وقوله وما يتبع أكثرهم الاظنا ذكر في الكشاف أن المراد بالاكثر الجميع وعنه عليه السلام المؤمن أكرم على الله من الملائكة وهذا لانهم مجبولون على الطاعة ففيهم عقل بلا شهوة وفي البهائم شهوة بلا عقل وفي الآدمي كلاهما فمن غلب عقله شهوته فهو أكرم من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم ولانه خلق الكل لهم وخلقهم لنفسه (يوم ندعوا) منصوب باذكر (كل أناس بامامهم) الباء للحال والتقدير مختلطين بامامهم أي بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين فيقال يا اتباع فلان يا أهل دين كذا أو كتاب كذا وقيل بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر (فمن أوتي) من هؤلاء المدعوين (كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم) وانما قيل أولئك لان من في معنى الجمع (ولا يظلمون فتيلا) ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء ولم يذكر الكفار وايتاء كتبهم بشمالهم اكتفاء بقوله (ومن كان في هذه) الدنيا (أعمى فهو في الآخرة أعمى) كذلك (وأضل سبيلا) من الاعمى أي أضل طريقا والاعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي الى طريق النجاة أما في الدنيا فلفقد النظر وأما في الآخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا ان يكون الثاني بمعنى التفضيل بدليل عطف وأضل ومن ثم قرأ أبو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما لان أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلمة فلا يقبل الامالة وأما الاول فلم يتعلق به شيء فكانت ألفه واقعة في الطرف فقبلت الامالة وأمالهما حمزة وعلي وفخمهما الباقون ولما قالت قريش اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة

حتى نؤمن بك نزل (وان كادوا ليفتنونك) ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشأن قاربوا أن يفتنوك أى يخدعوك فاتنين (عن الذى أوحينا اليك) من أوامرنا ونواهينا ووعدنا وعيدنا (لتفترى علينا غيره) لتتقول علينا مالم نقل يعنى ما اقترحوه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا (واذا لاتخذوك خليلا) اى ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتى (ولولا أن ثبتناك) ولولا تثبيتنا وعصمتنا (لقد كدت تركن اليهم) لقاربت أن تميل الى مكرهم (شيأ قليلا) ركونا قليلا وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت (اذا) لوقاربت تركن اليهم أدنى ركنة (لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات) لاذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين لعظم ذنبك بشرف منزلتك ونبوتك كما قال يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة الآية وأصل الكلام لاذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب فى الممات وهو عذاب القبر وعذاب فى حياة الآخرة وهو عذاب النار والعذاب يوصف بالضعف كقوله فآتهم عذابا ضعفا من النار أى مضاعفا فكان أصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا فى الحياة وعذابا ضعفا فى الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم أضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات ويجوز أن يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار وفى ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف فى الدارين دليل على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله ولما نزلت كان عليه السلام يقول اللهم لاتكلنى الى نفسى طرفة عين (ثم لاتجد لك علينا نصيرا) معينا لك يمنع عذابنا عنك (وان كادوا) أى أهل مكة (ليستفزونك) ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم (من الارض) من أرض مكة (ليخرجوك منها واذا لايلبثون) لايبقون (خلفك) بعدك أى بعد اخراجك خلافك كوفى غير أبى بكر وشامى بمعناه (الاقليلا) زمانا قليلا فان الله مهلكهم وكان كما قال فقد أهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل أو معناه ولو أخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من أرض العرب أو من أرض المدينة (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) يعنى أن كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله ان يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد أى سن الله ذلك سنة (ولاتجد لسنتنا تحويلا) تبديلا *(اقم الصلوة لدلوك الشمس) لزوالها وعلى هذا الآية جامعة للصلوات الخمس اولغروبها وعلى هذا يخرج الظهر والعصر (الى غسق الليل) هو الظلمة وهو وقت صلاة العشاء (وقرآن الفجر) صلاة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لكونها ركنا كما سميت ركوعا وسجودا وهو حجة على الاصم حيث زعم ان القراءة ليست بركن او سميت قرآنا لطول قراءتها وهو عطف على الصلاة (ان قرآن الفجر كان مشهودا) يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو فى آخر ديوان الليل واول ديوان النهار أو يشهده

الكثير من المصلين فى العادة (ومن الليل) وعليك بعض الليل (فتهجد) والتهجد ترك الهجود للصلاة ويقال فى النوم أيضا تهجد (به) بالقرآن (نافلة لك) عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى أن التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة غنيمة لك أو فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) نصب على الظرف أى عسى أن يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاما محمودا أو ضمن يبعثك معنى يقيمك وهو مقام الشفاعة عند الجمهور ويدل عليه الاخبار أو هو مقام يعطى فيه لواء الحمد (وقل رب أدخلنى مدخل صدق) وهو مصدر أى أدخلنى القبر ادخالا مرضيا على طهارة من الزلات (وأخرجنى مخرج صدق) أى أخرجنى منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من الملامة دليله ذكره على أثر ذلك البعث وقيل نزلت حين أمر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة أو هو عام فى كل ما يدخل فيه ويلابسه من أمر ومكان (واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) حجة تنصرنى على من خالفنى أو ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه (وقل جاء الحق) الاسلام (وزهق) وذهب وهلك (الباطل) الشرك أو جاء القرآن وهلك الشيطان (ان الباطل كان زهوقا) كان مضمحلا فى كل أوان (وننزل) وبالتخفيف أبو عمرو (من القرآن) من للتبيين (ما هو شفاء) من أمراض القلوب (ورحمة) وتفريج للكروب وتطهير للعيوب وتكفير للذنوب (للمؤمنين) وفى الحديث من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله (ولا يزيد الظالمين) الكافرين (الا خسارا) ضلالا لتكذيبهم به وكفرهم (واذا أنعمنا على الانسان) بالصحة والسعة (أعرض) عن ذكر الله أو أنعمنا بالقرآن أعرض (ونأى بجانبه) تأكيد للاعراض لان الاعراض عن الشئ أن يوليه عرض وجهه والنأى بالجانب أن يلوى عنه عطفه ويوليه ظهره أو أراد الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين نأى بالامالة حمزة وبكسرهما على (واذا مسه الشر) الفقر والمرض أو نازلة من النوازل (كان يؤسا) شديد اليأس من روح الله (قل كل) أى كل أحد (يعمل على شاكلته) على مذهبه وطريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلال (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أسد مذهبا وطريقة (ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) أى من أمر يعلمه ربى الجمهور على انه الروح الذى فى الحيوان سألوه عن حقيقته فاخبر انه من أمر الله أى مما استأثر بعلمه وعن أبى هريرة لقد مضى النبى صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقد عجزت الاوائل عن ادراك ماهيته بعد انفاق الاعمار الطويلة على الخوض فيه والحكمة فى ذلك تعجيز العقل عن ادراك معرفة مخلوق مجاور له ليدل على انه عن ادراك خالقه أعجز ولذا رد ما قيل فى حده انه جسم دقيق هوائى فى كل جزء من الحيوان وقيل هو خلق عظيم روحانى أعظم من الملك وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو جبريل عليه السلام نزل به الروح الامين على قلبك وعن الحسن القرآن دليله وكذلك أوحينا

اليك روحا من أمرنا ولان به حياة القلوب ومن أمر ربي أي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر وروي أن اليهود بعثت الى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان أجاب عن الكل أو سكت عن الكل فليس بنبي وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم وقيل كان السؤال عن خلق الروح يعني أهو مخلوق أم لا وقوله من أمر ربي دليل خلق الروح فكان هذا جوابا (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) الخطاب عام فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم الا قليلا وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله فالقلة والكثرة من الامور الاضافية فالحكمة التي أوتيها العبد خير كثير في نفسها الا انها اذا أضيفت الى علم الله تعالى فهي قليلة ثم نبه على نعمة الوحي وعزاه بالصبر على أذى الجدال في السؤال بقوله (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك) لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان توطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا (ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) أي ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا (الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا) أي الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمته تتوكل عليه بالرد أو يكون على الاستثناء المنقطع أي ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه ونزل جوابا لقول النضر لو نشاء لقلنا مثل هذا (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) معينا ولا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط كقوله * يقول لا غائب مالي ولا حرم * لان الشرط وقع ماضيا أي لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه لعجزوا عن الاتيان بمثله (ولقد صرفنا) رددنا وكررنا (للناس في هذا القرآن من كل مثل) من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه (فأبى أكثر الناس الا كفورا) جحودا وانما جاز فأبى أكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا لان أبى متأول بالنفي كأنه قيل فلم يرضوا الا كفورا ولما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه المعجزات الاخر ولزمتهم الحجة وغلبوا اقترحوا الآيات فعل المبهوت المحجوج المتحير (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا) وبالتخفيف كوفي (من الارض) أي مكة (ينبوعا) عينا غزيرة من شأنها ان تنبع بالماء لا تقطع يفعول من نبع الماء (أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر) والتشديد هنا مجمع عليه (الانهار خلالها) وسطها (تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) بفتح السين مدني وعاصم أي

قطعا قال اعطني كسفة من هذا الثوب و بسكون السين غيرهما جمع كسفة كسدرة وسدر يعنون قوله ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء (أو تأتي بالله والملائكة قبيلا) كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى أو تأتي بالله قبيلا و بالملائكة قبيلا كقوله كنت منه ووالدي بريا أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا أو جماعة حالا من الملائكة (أو يكون لك بيت من زخرف) ذهب (أو ترقى في السماء) تصعد اليها (ولن نؤمن لرقيك) لاجل رقيك (حتى تنزل علينا) وبالتخفيف أبو عمرو (كتابا) أي من السماء فيه تصديقك (نقرؤه) صفة كتاب (قل) قال مكي وشامي أي قال الرسول (سبحان ربي) تعجب من اقتراحاتهم عليه (هل كنت الا بشرا رسولا) أي أنا رسول كسائر الرسل بشر مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات الى انما هو الى الله فما بالكم تتخيرونها على (وما منع الناس) يعني أهل مكة ومحل (أن يؤمنوا) نصب بانه مفعول ثان لمنع (اذ جاءهم الهدى) النبي والقرآن (الا أن قالوا) فاعل منع والتقدير وما منعهم الايمان بالقرآن و بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا قولهم (أبعث الله بشرا رسولا) أي الا شبهة تمكنت في صدورهم وهي انكارهم أن يرسل الله البشر والهمزة في أبعث الله للانكار وما أنكروه ففي قضية حكمته (۳) منكر ثم رد الله عليهم بقوله (قل لو كان في الارض ملائكة يمشون) على أقدامهم كما يمشي الانس ولا يطيرون بأجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها ويعلموا ما يجب عليهم (مطمئنين) حال أي ساكنين في الارض قارين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فاما الانس فانما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم وبشرا وملكا حالان من رسولا (قل كفى بالله شهيدا بيني و بينكم) على اني بلغت ما أرسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم شهيدا تمييز أو حال (انه كان بعباده) المنذرين والمنذرين (خبيرا) عالما باحوالهم (بصيرا) بافعالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله عليه السلام ووعيد للكفرة (ومن يهد الله فهو المهتد) و بالياء يعقوب وسهل وافقهما أبو عمرو ومدني في الوصل أي من وفقه الله لقبول ما كان من الهدى فهو المهتدي عند الله (ومن يضلل) أي ومن يخذله ولم يعصمه حتى قبل وساوس الشيطان (فلن تجد لهم أولياء من دونه) أي انصارا (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) أي يسحبون عليها كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله عليه السلام كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم (عميا و بكما وصما) كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق و يتصامون عن استماعه فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا يسمعون

---

(۳) قوله منكر هكذا في النسخ الخط والطبع ولعل قبله سقطا تقديره خلافه و يدل عليه عبارة الكشاف ونصها وما أنكروه فخلافه هو المنكر عند الله لان قضية حكمته أن لا يرسل ملك الوحي الا الى أمثاله أو الى الانبياء اه .

ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم (مأواهم جهنم كلما خبت) طفئ لهبها (زدناهم سعيرا) توقدا (ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) أى ذلك العذاب بسبب انهم كذبوا بالاعادة بعد الافناء فجعل الله جزاءهم أن سلط النار على أجزائهم تأكلها ثم يعيدها لا يزالون على ذلك ليزيد فى تحسرهم على تكذيبهم البعث (أولم يروا) أولم يعلموا (أن الله الذى خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم) من الانس (وجعل لهم أجلا لا ريب فيه) وهو الموت أو القيامة (فأبى الظالمون الا كفورا)، جحودا مع وضوح الدليل (قل لو أنتم تملكون) تقديره لو تملكون أنتم لان لو تدخل على الافعال دون الاسماء فلابد من فعل بعدها فاضمر تملك على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل وهو الواو ضمير منفصل وهو أنتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فأنتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذى يقتضيه علم الاعراب وأما ما يقتضيه علم البيان فهو ان أنتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ (خزائن رحمة ربى) رزقه وسائر نعمه على خلقه (اذا لامسكتم خشية الانفاق) أى لبخلتم خشية أن يفنيه الانفاق (وكان الانسان قتورا) بخيلا (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) عن ابن عباس رضى الله عنهما هى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذى نتقه على بنى اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور (فاسئل بنى اسرائيل) فقلنا له سل بنى اسرائيل أى سلهم من فرعون وقل له أرسل معى بنى اسرائيل وقوله (اذ جاءهم) متعلق بقوله المحذوف أى فقلنا له سلهم حين جاءهم (فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا) سحرت فخولط عقلك (قال) أى موسى (لقد علمت) يا فرعون (ما أنزل هؤلاء) الآيات (الا رب السموات والارض) خالقهما (بصائر) حال أى بينات مكشوفات لانك معاند ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا علمت بالضم على أى انى لست بمسحور كما وصفتنى بل أنا عالم بصحة الامر وان هذه الآيات منزلها رب السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه بقوله (وانى لاظنك يا فرعون مثبورا) كانه قال ان ظننتنى مسحورا فانا أظنك مثبورا وظنى أصح من ظنك لان له أمارة ظاهرة وهى انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها وأما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة أمرى انى لاظنك مسحورا قول كذب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير من قولهم ما ثبرك عن هذا أى ما منعك وصرفك (فأراد فرعون أن يستفزهم) يخرجهم أى موسى وقومه (من الارض) أى أرض مصر أو ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستئصال (فأغرقناه ومن معه جميعا) فحاق به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه (وقلنا من بعده) من بعد فرعون (لبنى اسرائيل اسكنوا الارض) التى أراد فرعون أن يستفزكم منها (فاذا جاء

وعد الآخرة) أى القيامة (جئنا بكم لفيفا) جميعا مختلطين إياكم وإياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدائكم وأشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) وما أنزلنا القرآن الا بالحكمة وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير أو ما أنزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين قال الراوى اشتكى محمد بن السماك فاخذنا ماءه وذهبنا به الى طبيب نصرانى فاستقبلنا رجل حسن الوجه طيب الرائحة نقى الثوب فقال لنا الى أين فقلنا اله الى فلان الطبيب نريه ماء ابن السماك فقال سبحان الله تستعينون على ولى الله بعدو الله اضربوه على الارض وارجعوا الى ابن السماك وقولوا له ضع يدك على موضع الوجع وقل وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ثم غاب عنا فلم نره فرجعنا الى ابن السماك فاخبرناه بذلك فوضع يده على موضع الوجع وقال ماقال الرجل وعوفى فى الوقت وقال كان ذلك الخضر عليه السلام (وما أرسلناك الا مبشرا) بالجنة (ونذيرا) من النار (وقرآنا) منصوب بفعل يفسره (فرقناه) أى فصلناه أو فرقنا فيه الحق من الباطل (لتقرأه على الناس على مكث) على تؤدة وتثبت (ونزلناه تنزيلا) على حسب الحوادث (قل آمنوا به أولا تؤمنوا) أى اختاروا لانفسكم النعيم المقيم أو العذاب الاليم ثم علل بقوله (ان الذين أوتوا العلم من قبله) أى التوراة من قبل القرآن (اذا تتلى عليهم) القرآن (يخرون للاذقان سجدا) حال (ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا) لقوله آمنوا به أولا تؤمنوا أى أعرض عنهم فانهم ان لم يؤمنوا به ولم يصدقوا بالقرآن فان خيرا منهم وهم العلماء الذين قروا الكتب قد آمنوا به وصدقوه فاذا تلى عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولانجازه ما وعد فى الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد المذكور ان بمعنى انه وهى تؤكد الفعل كما أن إن تؤكد الاسم وكما أكدت ان باللام فى إنهم لمحضرون أكدت ان باللام فى لمفعولا (ويخرون للاذقان يبكون) ومعنى الخرور للذقن السقوط على الوجه وانما خص الذقن لان أقرب الاشياء من وجهه الى الارض عند السجود الذقن يقال خر على وجهه وعلى ذقنه وخر لوجهه ولذقنه أما معنى على فظاهر وأما معنى اللام فكانه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به اذ اللام للاختصاص وكرر يخرون للاذقان لاختلاف الحالين وهما خرورهم فى حال كونهم ساجدين وخرورهم فى حال كونهم باكين (ويزيدهم) القرآن (خشوعا) لين قلب ورطوبة عين (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) لما سمعه أبو جهل يقول يا الله يا رحمن قال انه نهانا أن نعبد الهين وهو يدعو الها آخر فنزلت وقيل ان أهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثر الله فى التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وأو للتخيير أى سموا بهذا الاسم أو بهذا أو اذكروا اما هذا واما هذا والتنوين فى (أياما تدعوا) عوض من المضاف اليه وما زيدت للتوكيد وأيا نصب

بتدعوا وهو مجزوم بأى أى أى هذين الاسمين ذكرتم وسميتم (فله الاسماء الحسنى) والضمير فى فله يرجع الى ذات الله تعالى والفاء لانه جواب الشرط أى أياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونها أحسن الاسماء انها مستقلة بمعانى التمجيد والتقديس والتعظيم (ولا تجهر بصلاتك) بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لا يلبس اذ الجهر والمخافتة تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة أفعال وأذكار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فأمر بأن يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين (ولا تخافت بها) حتى لا تسمع من خلفك (وابتغ بين ذلك) بين الجهر والمخافتة (سبيلا) وسطا أو معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار أو بصلاتك بدعائك (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا) كما زعمت اليهود والنصارى وبنو مليح (ولم يكن له شريك فى الملك) كما زعم المشركون (ولم يكن له ولى من الذل) أى لم يذل فيحتاج الى ناصر أو لم يوال أحدا من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته (وكبره تكبيرا) وعظمه وصفه بانه أكبر من أن يكون له ولد أو شريك وسمى النبى عليه السلام الآية آية العز وكان اذا أفصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية

﴿ تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث وأوله سورة الكهف ﴾




Bibliotheca Alexandrina
04419425